حاشية

محيي الدين شيخ زاده

محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي
المتوفى سنة ٩٥١هـ

على

تفسير القاضي البيضاوي

المتوفى سنة ٦٨٥هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته
محمد عبد القادر شاهين

الجزء الثامن

المحتوى:
من أول سورة النجم - حتى آخر سورة الناس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

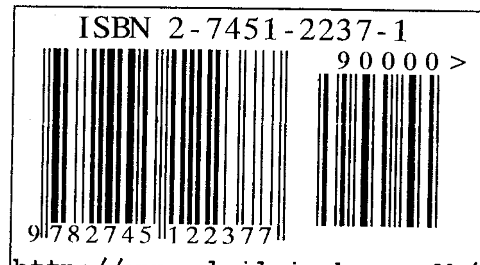
الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon



http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : baydoun@dm.net.lb

سورة والنجم

مكية وآيها إحدى أو ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١)﴾ أقسم بجنس النجوم أو الثريا، فإنه غلب فيه إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال: هوى هويًا بالفتح إذا سقط وغرب، وهويًا

سورة النجم

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

وبه الإعانة وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

قوله: (أقسم بجنس النجوم) سمى نجوم السماء أي نجم كان نجمًا لطلوعه، فإن كل طالع نجم يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلع. ويحتمل أن يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لأن النجم صار علمًا لها بالغلبة. قال قائلهم:

إن بـدا الـنـجـم عـشـيـا　　　ابـتـغـى الـراعـي كـسـيـا

وقال أيضًا:

طـلـع الـنـجـم عـشـيـه　　　وابـتـغـى الـراعـي كـسـيـه

فإنها إنما تطلع عشيًا في قلب الشتاء أو أن شدة البرد يقال: إن الثريا سبعة أنجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم. وروى القاضي عياض في الشفاء أن النبي ﷺ كان يرى الثريا أحد عشر نجمًا. عن أبي هريرة مرفوعًا: «ما طلع النجم قط وفي

الضم إذا علا وصعد، أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل أو النبات إذا سقط على الأرض أو إذا نما وارتفع على قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما عدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم ﴿وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ وما اعتقد باطلاً. والخطاب لقريش

الأرض من العاهة شيء إلا رفع». وأراد بالنجم الثريا. وهوي النجم سواء أريد به نجوم السماء كلها أو الثريا وحدها إما غروبه وإما انتثاره يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] وإما انقضاضه لرمي الشياطين عند استراقهم السمع وإما طلوعه. وعلّل الاحتمالات الثلاثة الأول بقوله: فإنه يقال هوى يهوي هويًا بالفتح إذا سقط وغرب، وعلّل الاحتمال الرابع بقوله: هويًا بالضم إذا صعد فإن الهوى بفتح الهاء هو السقوط من علو إلى سفل، والهوى بضم الهاء الطلوع وفعلهما واحد والاختلاف إنما هو في المصدر. وكل واحد من غروب النجوم وانتثارها وانقضاضها لرمي الشياطين لكونه سقوطًا من علو إلى سفل يصح أن يطلق عليه الهوى بفتح الهاء، كما يصح أن يطلق على طلوعها الهوى بضم الهاء. وفائدة تقييد المقسم به بوقت هويه بفتح الهاء أو ضمها أنه إذا كان النجم في وسط السماء يقل نفعه حيث لا يهتدي به الساري حينئذٍ لأنه لا يعلم المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، بخلاف ما إذا لم يكن في وسط السماء بأن يكون في جانب المشرق أو المغرب فإنه حينئذٍ يتميز به جانب المشرق عن المغرب والجنوب عن الشمال. **قوله: (أو بالنجم) عطف على قوله: «بجنس النجوم» أي أو أقسم بالنجم من نجوم القرآن، فإن النجم في الأصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت المضروب لكون امتيازه منوطًا بتعيين طلوع الكوكب وغروبه، ويسمى تفريق الفعل إلى الأوقات تنجيمًا والفعل المفرق منجمًا. ثم يطلق النجم على الفعل الواقع في وقت معين بطريق إطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القرآن القطع النازلة في أوقات متفرقة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسم بالقرآن إذا نزل نجومًا متفرقة على رسول الله ﷺ في عشرين سنة. فالمراد بهويه نزوله. **قوله**: (أو النبات) عطف أيضًا على قوله: «بجنس النجوم» فإن النجم قد يطلق على النبت الذي لا ساق له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] وهويه سقوطه على الأرض أو طلوعه منها وارتفاعه. **قوله**: (على قوله) متعلق بقوله: «أقسم بجنس النجوم» يعني أن قوله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ هو المقسم عليه وذلك أن قريشًا قالوا: ضل محمد عن دين آبائه وغوى، فأنزل الله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ بل اهتدى ورشد، فإن الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما يزعمون من أنه ضل وغوى. وذهب أكثر المفسرين إلى أن الغي والضلال واحد. والمصنف أشار إلى الفرق بينهما بقوله في تفسير «ما ضل»: ما عدل عن الطريق المستقيم، وفي تفسير و«ما غوى»: وما اعتقد

والمراد نفي ما ينسبون إليه. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى. ﴿إِنْ هُوَ﴾ والقرآن أو الذي ينطق به ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ إلا وحي يوحيه الله إليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له. وأجيب عنه بأنه إذا أوحي إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحيًا، وفيه نظر لأن ذلك حينئذٍ يكون بالوحي لا الوحي ﴿عَلَّمَهُۥ

باطلاً. وحاصل ما ذكره من الفرق أن الغواية هي الخطأ في الاعتقاد خاصة والضلال أعم منها يتناول الخطأ في الأفعال والأقوال والعقائد، فلذلك يقال: ضل بعيري ولا يقال غوى، فالضلال هو العدول عن الطريق المستقيم الذي بينها الله تعالى لعباده سواء كان متعلقًا بالأفعال أو الأقوال أو العقائد أو الأخلاق، والغواية هو العدول عن الطريق المستقيم في باب العقائد فيكون قوله تعالى: ﴿وما غوى﴾ من قبيل التخصيص بعد التعميم لمزيد العناية بنفي الخاص. فالمراد نفي ما نسبوه إليه من العدول عن سنن الصواب في كل واحد من باب الاعتقاد والعمل، فالله تعالى تولى جواب ما قالوا له عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٢] ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وسائر الأنبياء كانوا يجيبون بأنفسهم: فإن قوم نوح لما قالوا له عليه الصلاة والسلام: ﴿إنا لنراك في ضلالة﴾ أجابهم بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١] ولما قال عاد لهود: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦] قال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧] ولما قال فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] قال له: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] ونحو ذلك. **قوله: (وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى)** أي عن ميل نفسه وشهوته من غير أن يوحي إليه شيء. وهو إشارة إلى أن تعدية النطق بـ «عن» مبني على تضمنه معنى الصدور. وقيل: «عن» بمعنى الباء فإن العرب تجعل عن مكان الباء تقول: رميت عن القوس أي بالقوس. قال أولاً: ما ضل وما غوى بصيغة الماضي، ثم قال: و﴿ما ينطق عن الهوى﴾ بصيغة المستقبل بيانًا لحاله قبل البعثة وبعدها أي ما ضل وما غوى أبدًا حيث اعتزلكم وما تعبدون قبل أن يبعث رسولاً، وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه. والوحي في الأصل مصدر أطلق ههنا على الكتاب الإلهي الموحى وقوله: ﴿يوحى﴾ صفة لوحي وفائدة المجيء بهذا الوصف دفع توهم المجاز أي هو وحي حقيقة لا بمجرد تسميته وحيًا. والوحي بالمعنى المصدري له معانٍ وهي: الإرسال والإلهام والكتابة والإشارة والكلام والإفهام. **قوله: (واحتج به من لم ير الاجتهاد له)** قال صاحب الكشاف: وجه الاحتجاج أن الله تعالى أخبر بأن جميع ما ينطق به وحي وما كان عن اجتهاد فليس بوحي فليس مما ينطق به، ثم نقل جواب صاحب

﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ ملك شديد قواه وهو جبرائيل فإنه الواسطة في إبداء الخوارق. روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ حصافة في عقله ورأيه. ﴿فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها. قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في السماء ومرة في الأرض. وقيل: استولى بقوته على ما جعل له من الأمر.

الكشاف بقوله: وأجاب بأن الله تعالى إذا سوغ له الاجتهاد كان له الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيًا لا نطقًا عن الهوى. ثم قال: واعترض عليه بأن يستلزم أن تكون الأحكام التي يستنبطها المجتهدون بالقياس وحيًا، والجواب أنه عليه الصلاة والسلام أوحي إليه أن يجتهد بخلاف سائر المجتهدين. ثم أورد اعتراض المصنف فقال: وما قيل من أنه حينئذٍ بالوحي لا وحي فغير قادح لأنه بمنزلة أن يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: حيثما ظننت كذا فهو حكمي. انتهى كلامه.

قوله: (ملك شديد قواه) أشار إلى أن شديد القوى من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها مثل حسن الوجه، وأن موصوفها محذوف هو الملك. وقيل: هو الباريء تعالى كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمـٰن: ١، ٢] وضمير «علمه» يجوز أن يكون للرسول أي لقوله: «صاحبكم» أي علم محمدًا ﷺ جبريل عليه السلام بوحي الله تعالى وهو الظاهر، فيكون المفعول الثاني محذوفًا أي علمه الرسول بأن نزل به عليه وبينه له ولعل مراد المصنف بقوله: «فإنه الواسطة في إبداء الخوارق» الإشارة إلى أن ضمير «علمه» للرسول وأن ثاني مفعولي علم محذوف ليذهب ذهن السامع إلى كل ما ظهر على يده من الخوارق قرآنًا كان أو غيره، وأن طريق تعليم ذلك إياه عليه الصلاة والسلام كونه واسطة في إبداء تلك الخوارق. وقوله تعالى: ﴿ذو مرة﴾ نعت بعد نعت للموصوف المحذوف. والمرة القوة وشدة العقل أيضًا ورجل مرير أي قوي ذو مرة. كذا في الصحاح. والحصافة استحكام العقل وصحة الرأي، وفي الصحاح: الحصيف الرجل المحكم العقل يقال: حصف بضم العين حصافة وإحصاف الأمر إحكامه، حمل قوله تعالى: ﴿شديد القوى﴾ على قوته في جسمه واستدل عليها بما روي من قلعه قرى قوم لوط وصيحته بثمود وحمل قوله: ﴿ذو مرة﴾ على قوته في عقله وعلمه دفعًا للتكرار وتساعده اللغة أيضًا. **قوله تعالى**: (فاستوى) معطوف على قوله: «علمه» أي علمه وهو على غير صورته الحقيقية، ثم استوى على صورته التي جبل عليها، وكان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحي ليتمكن النبي ﷺ من ضبطه الوحي وتلقيه. فلما أحب النبي عليه السلام أن يراه في صورته التي جبل عليها استوى له بتلك الصورة قيل: ما

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ أفق السماء والضمير لجبرائيل. ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من النبي ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول. وقيل: «ثم» تدلى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول، فيكون إشعارًا بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريرًا لشدة قوته فإن تدلى استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة يقال: دلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق. ﴿فَكَانَ﴾ جبريل كقولك: هو مني معقد الإزار، أو المسافة بينهما

رآه أحد من الأنبياء على حقيقته الأصلية غير محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، فإنه عليه الصلاة والسلام رآه على صورته مرتين رآه مرة في الأرض أي في جبل حرًا، وقيل: بأجياد وهو جبل بمكة طلع جبريل عليه السلام من جانب المشرق وهو الأفق الأعلى فملأ الأفق وسد الأرض وملأها، فخر رسول الله ﷺ مغشيًا عليه فنزل جبريل في صورة الآدمي فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه. ورآه أخرى بتلك الصورة وهو في السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] وقوله تعالى: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ جملة اسمية في موضع الحال من المنوي في «استوى». **قوله:** (**فتعلق به**) دفع لما يقال: الظاهر أن يقال: ثم تدلى إليه فدنا منه لأن التدلي سبب للدنو فلا يتفرع على الدنو بل الدنو يتفرع عليه. ووجه الدفع أن التدلي هو الاسترسال مع التعلق وجرد ههنا لمعنى التعلق الذي هو متفرع على الدنو. روي عن الإمام الواحدي أنه قال: تقديره: ثم تدلى فدنى من محمد ﷺ حتى صار بعد ما بينهما قدر قوسين على التقديم والتأخير. وقيل: دنى بمعنى قصد القرب منه عليه السلام وتحول عن المكان الذي كان فيه فتدلى أي فنزل إليه لأن التدلي وإن كان بمعنى الامتداد من علو إلى سفل يستعمل أيضًا في النزول من العلو بالانتقال عنه. **قوله:** (**كقولك هو مني معقد الإزار**) أي في كونه عبارة عن غاية القرب، فإن ﴿قاب قوسين﴾ خبر «كان» فلو جعل اسم «كان» ضمير جبريل عليه السلام لزم منه أن يحكم عليه بأنه قاب قوسين أي قدرهما والشخص لا يكون مقدارًا فأوله بأنه من قبيل قولك: هو مني معقد الإزار في كونه عبارة عن غاية القرب فإن أصل الكلام أن يقال: فكان قرب جبريل من محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قرب إحدى القوسين من الأخرى، فحذف المضاف وأداة التشبيه للمبالغة في بيان قربه منه كما يقال: هو مني معقد الإزار، والأصل أن يقال: قربه مني واتصاله بي كاتصال معقد الإزار بي فعدل عنه إلى هذه العبارة لقصد المبالغة. **قوله:** (**أو المسافة بينهما**) عطف على قوله: «جبريل» والقاب المقدار و«قاب قوسين» عبارة عن كمال القرب. وفي التيسير: كانت عظماء العرب إذا أرادوا تأكيد عهد وتوثيق عقد لا ينقض ولا يرفض أحضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما ونزعاهما جميعًا ورميا عنهما سهمًا واحدًا يشيران بذلك

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدارهما ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ على تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس. ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ جبريل ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلومًا كقوله: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥] ﴿مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ جبريل. وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه. وقيل: الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ودنوه منه برفع مكانته وتداليه جذبه بشر شره إلى جناب القدس.

إلى الاتحاد الكلي والاجتماع الأصلي، فكان بعد ذلك رضى أحدهما رضى الآخر وسخط أحدهما سخط الآخر فكأنهما قالا: أكدنا المحبة بيننا والتزمنا القربة فمقبولك مقبولي ومردودك مردودي. وفي معالم التنزيل: معنى قوله كان بين جبريل ومحمد صلوات الله عليهما مقدار قوسين، أنه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر. وهذا إشارة إلى تأكيد القرب. **قوله:** (أو أدنى على تقديركم) يعني أن كلمة «أو» فيه للشك من جهة العباد كما أن كلمة «لعل» كذلك في مواضع من القرآن أي لو رآهما راء منكم لقال: هو قدر قوسين في القرب أو أدنى، إذ لا يلتبس عليه مقدار القرب. وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] فإنه تعالى عالم بمقادير الأشياء فخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة بيننا. **قوله:** (وفيه تفخيم للموحى به) أي في قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ على تقدير أن يكون المنوي في كل واحد من الفعلين ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام تفخيم لما تقرر من أن التعريف بالموصول قد يكون للتفخيم كما في قوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] أي الذي لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره. **قوله:** (أو الله إليه) على أن يكون المنوي في الفعل الأول ضمير جبريل، وفي الثاني ضمير البارىء أي فأوحى جبريل إلى النبي ﷺ ما أوحى الله تعالى إليه.

قوله: (وقيل الضمائر كلها لله) أي ثم دنا الله تعالى من محمد ﷺ إلى آخر الآية، وكذا موصوف ﴿شديد القوى﴾ هو الله تعالى كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمٰن: ١، ٢] والقوى جمع القوة فقوله: ﴿فاستوى﴾ الظاهر أن معناه حينئذٍ فاستوى القرآن في صدره أي في صدر محمد ﷺ حين علمه ربه، أو في صدر جبريل. وقيل: المعنى ثم دنا محمد عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل دنو الرتبة والمنزلة وأعطاه المنية وإجابة الدعوة لا المكان والمسافة كقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿فتدلى﴾ أي هوى للسجود ﴿فكان قاب قوسين﴾ وهو تمثيل لكمال دنوه من ربه على اصطلاح العرب، فإن المحبين والحليفين في الجاهلية كانا إذا أرادا عقد الصفاء في الود والمحبة ألصقا قوسيهما

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ ما رآه ببصره من صورة جبرائيل أو الله تعالى.

يريدان بذلك أن كل واحد منهما يحامي عن صاحبه، فأوحى الله عز وجل إلى عبده محمد: ما كذب فؤاد محمد فيما رأى. وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «رأيته بفؤادي ولم أره بعيني». **قوله:** (من صورة جبريل أو الله تعالى) إشارة إلى الاختلاف الواقع بين فضلاء الأمة في أنه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه ليلة الإسراء أولاً، فأنكرته عائشة رضي الله عنها وقالت: من حدث أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] وقالت: إن المرئي في قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ هو صورة جبريل حيث قالت: ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. ووافقها ابن مسعود رضي الله عنه في أن المرئي هو جبريل. وذهب جماعة كثيرة إلى أن المرئي هو الله تعالى وأنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه. ثم إنهم اختلفوا في أنه عليه الصلاة والسلام هل رأى ربه بقلبه أو بعين رأسه؟ فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده، وهو قول ابن عباس قال: رآه بفؤاده مرتين. وقال أنس والحسن وعكرمة: رأى محمد ربه بعين رأسه.
وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين بالرؤية. واعلم أن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة لأن دليل الجواز غير مخصوص برؤيته في الآخرة، ولأن مذهب أهل السنة أن الرؤية بالإرادة لا بقدرة العبد فإذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالإراءة، وإن حصل من طريق القلب كان معرفة. فالله تعالى قادر على أن يحصل مدرك المعلوم في البصر كما قدر على أن يحصل مدرك المعلوم في القلب. والمسألة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف في الوقوع مما ينبىء عن الاتفاق على الجواز. وقوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد﴾ قرأه هشام وأبو جعفر بتشديد الذال والباقون بتخفيفها. و«ما» الأولى نافية والثانية موصولة وعائدها محذوف ومحلها النصب على أنها مفعول «كذب» المشددة وعلى نزع الخافض في قراءة التخفيف أي ما كذب الفؤاد في الذي رآه ببصره فلو قال: الفؤاد الذي يراه بصرك ليس بصحيح وأن الصورة المرتسمة بأعمال حاسة البصر ليست مطابقة لما نشأ في الارتسام في الحس المشترك كما إذا ارتسمت صورة الإنسان من شبح الإنسان المرئي من بعيد، وقال الفؤاد في حق الصورة المرتسمة في الحس المشترك: لا أعرفك حقًا مطابقًا للشبح المرئي، لكان كاذبًا لأنه قد عرفها حقًا واعتقد كونها مطابقة للشبح. قال المكي: من خفف «كذب» جعل «ما» في موضع النصب على نزع الخافض وإسقاطه أي ما كذب فؤاده فيما رآه بصره أي لم يقل فيه كذبًا وإنما يقول الكذب فيه أن لو قال له: لا أعرفك ولا أعتقدك لأنه قد

أي ما كذب بصره بما حكاه له فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر. أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذبًا لأنه عرفه بقلبه كما رآه بصره أو ما رآه بقلبه. والمعنى: لم يكن تخيلاً كاذبًا. وبدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك؟ قال: «رأيته بفؤادي». وقرىء «ما كذب» أي صدقه ولم يشك فيه. ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كلاً من المتجادلين يمري ما عند صاحبه.

عرفه بقلبه واعتقده حقًا كما رآه ببصره وجعله مرئيًا، فيكون قوله: «لا أعرفك» كذبًا فإذا لم يقل فؤاده ذلك القول صح أن يقال له: إنه ما كذب فيما رآه ببصره من صورة المرئي. **قوله:** (أي ما كذب بصره) بنصب «البصر» على نزع الخافض أيضًا أي وما كذب الفؤاد في حق بصره بأن يقول له: حكايتك لا تطابق المحكي بأن قال إنه لم يحك صورة المرئي على الوجه المطابق له. **قوله:** (فإن الأمور القدسية) جواب عما يرد على قوله أي ما كذب بصره بما حكاه له من أن إدراك القلب لما يحس بالبصر ومعرفته المتعلقة بالمحسوسات بالبصر متفرع على استعمال حاسة البصر وارتسام الصورة في الحس المشترك، فكيف يمكن للفؤاد أن يكذب في حق البصر بأن قال إنه لم يحك صورة المحسوس على الوجه المطابق له، وهو يستلزم أن يدرك المحسوس من غير استعانته بالبصر؟ وتقرير الجواب أن الأمور القدسية بمنزلة المعقولات الصرفة في أن الفؤاد يدركها بنفسه ولا يستعين في إدراكها بالقوى الحاسة من حيث إنه تعالى لم يخلق في الحواس قوة الإحساس بها. ثم إنه تعالى لما خلق في حاسته عليه الصلاة والسلام قوة الإحساس بالصورة التي جبل عليها جبريل وقد عرفها قبل ذلك بفؤاده فقد عرفها من طريق البصر أيضًا، فيمكن له أن يصدق ويكذب في حق البصر أي يصدق ويكذب فيما حكاه له.

قوله: (أو ما رآه بقلبه) عطف على قوله: «ما رآه ببصره» وهذا على قول من يقول إنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده لا بعين رأسه. فالمعنى حينئذٍ: ما كذب الفؤاد فيما رآه الفؤاد بأن قال في حقه إنه هاجس شيطاني وتخييل كاذب إذ ليس في وسع الإنسان معرفة الرب تعالى. **قوله:** (واشتقاقه من مري الناقة) الجوهري: مريت الناقة مريًا إذا مسحت ضرعها لتدر، ومريت الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط أو غيره. والمراد به الجدال بالباطل وكان حقه أن يتعدى بـ «في» لأنه يقال: جادلته في كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها. أنكر الله تعالى عليهم في جدالهم معه عليه السلام حين أسرى به فقالوا: صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به. فإن قيل: الظاهر أن يقال: أفتمارونه على ما رأى بصيغة الماضي لأنهم إنما جادلوه بعدما أسري

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب «أفتمرونه» أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته، أو أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده و«على» لتضمين الفعل معنى الغلبة فإن المماري والجاحد يقصد أن بفعلهما غلبة الخصم.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعارًا بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضًا بنزول ودنو. والكلام في المرئي والدنو ما سبق. وقيل: تقديره ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة. ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ التي ينتهي إليها علم الخلائق، أو

به فما الحكمة في إيراده بصيغة المضارع؟ فالجواب أنه على حكاية الحال الماضية إحضارًا للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين وتعجيبًا لهم. **قوله:** (وقرأ حمزة الخ أفتمرونه) أي بفتح التاء من غير ألف بعد الميم على أنه من فعله المسند إلى الغالب في باب المغالبة أو من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه. **قوله:** (مرة أخرى) يعني أن نزلة لما كان اسمًا للمرة من الفعل أقيمت مقامها فكانت في حكمها في كونها منصوبة على الظرفية. وقيل: إنها منصوبة على أنها مفعول مطلق واقع موقع عامله المحذوف المنصوب على أنه حال من مفعوله رآه أي رآه نازلاً نزلة أخرى. والواو في «ولقد رآه» يحتمل أن تكون عاطفة ويحتمل أن تكون حالية أي كيف تجادلونه فيما رآه وتقولون: إنه لم ير جبريل وإنما رأى شيطانًا كما يرى الكهنة الشياطين؟ وهو قد رآه على وجه لا شك فيه رآه مرتين: مرة بالأفق الأعلى أي بناحية من السماء التي هي أعلى أطراف الكون، ومرة عند سدرة المنتهى ليلة المعراج فرآه على صورته التي خلق عليها قال: «رأيته عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح يتناثر منها الدر والياقوت». وهي مقام جبريل عليه السلام أمّ فيها رسول الله ﷺ ملائكة السماء كلها فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدرة المنتهى، فظهر بذلك فضله على أهل السماء والأرض. قال مقاتل: السدرة هي شجرة طوبى ولو أن رجلاً ركب هجينه وطاف على ساقها حتى أدركه الهرم لما وصل إلى المكان الذي ركب منه تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل وجميع ألوان الثمر. وقيل: هي شجرة غير طوبى ثابتة في يمين العرش فوق السماء السابعة تخرج أنهار الجنة من أصل تلك الشجرة، وإضافة السدرة إلى المنتهى يحتمل أن تكون من قبيل إضافة الشيء إلى مكانه كقولك: شجرة بلدة كذا ومكان كذا، فالمنتهى حينئذٍ موضع لا يتعداه ملك. **قوله:** (والكلام في المرئي والدنو ما سبق) من أن المرئي هل هو جبريل أو الله عز وجل؟ فإنه روي عن كعب الأحبار أنه قال: إن محمدًا ﷺ رأى ربه مرة أخرى فقال: إن الله تعالى كلم موسى مرتين وأدنى محمدًا ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين مرتين. وذهب أكثر المفسرين إلى أن الضمير البارز في «رآه» لجبريل والمعنى:

أعمالهم، أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها. ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها. وروي مرفوعًا «أنها في السماء السابعة». ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ الجنة التي يأوي إليها المتقون، أو أرواح الشهداء. ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ وتعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد. وقيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها. ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ﴿وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ وما تجاوزه بل أثبته إثباتًا صحيحًا مستيقنًا، أو ما عدا عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

أنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من عند ربه ليلة الإسراء رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى. وقوله: ﴿عند سدرة المنتهى﴾ يجوز أن يكون حالاً من مفعول «رآه» على تقدير أن يكون المرئي جبريل. وأما إذا كان المرئي هو الله تعالى فلا يجوز ذلك لأنه تعالى منزه عن أن يحل في زمان أو مكان، ويجوز أن يكون ظرفًا «لرأى» على التقديرين: على أن يكون الظرف ظرفًا للرائي ورؤيته لا للمرئي كما إذا قلت: رأيت الهلال في بيتي. وقوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة﴾ في محل النصب على أنه بدل من قوله نزلة أخرى وقد مر أنه منصوب أي رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قيل: يغشاها الملائكة حتى تغطي السدرة. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكًا قائمًا يسبح الله تعالى». وفي إبهام «ما يغشى» تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق، والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ويكون بمعنى الإتيان أيضًا وهو المناسب ههنا. **قوله: (وقيل يغشاها الجم)** عطف على معنى قوله: «ما يغشاها» بحيث لا يكتنهها نعت. واختلفوا فيما يغشى السدرة؛ فقيل: هو فراش من ذهب أو جراد من ذهب أو هو الملائكة الذين يعبدون الله عندها. وقيل: بل يغشاها أنوار الله تعالى لأن النبي ﷺ وصل إليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الأنوار الإلـٰهية عليها، لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكًا ولم تتحرك الشجرة وخرّ موسى صعقًا ولم يتزلزل محمد ﷺ. **قوله: (ولعلها شبهت بالسدرة)** كأنه جواب عما يقال: العالم العلوي ليس فيه شيء مما هو في هذا العالم فلا يكون فيه شجرة النبق وهي شجرة الصنوبر، فما وجه قوله: ﴿عند سدرة المنتهى﴾؟ فأجاب بأن شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية شبهت بها شجرة المنتهى فأطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة. **قوله تعالى: (ما زاغ البصر)** أي أي شيء رآه في تلك الليلة لم يمل بصره عنه قبل أن يستيقنه ويطلع على حقيقته، أو قصر نظره على ما أمر برؤيته ولم يلتفت يمينًا ولا شمالاً على أنه وصف له بالتأدب.

أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج. وقد قيل: إنها المعنية بما رأى. ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على أن المفعول محذوف أي شيئًا من آيات ربه أو «من» مزيدة.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف، أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون. وقرىء «اللات» بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج. والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله

قوله: (لقد رأى الكبرى) على أن «الكبرى» مفعول «رأى» و«من آيات ربه» حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف «الكبرى» والتقدير: ولقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه أي رأى من آيات ربه آيات هي أكبر الآيات. **قوله:** (وقد قيل إنها المعنية بما رأى) أي في قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ قال الإمام: إن هذه الآية تدل على أن محمدًا ﷺ لم ير الله عز وجل ليلة المعراج، وإنما رأى آيات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبريل على صورته وفيه خلاف، ووجه الدلالة أنه تعالىٰ ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] إلى أن قال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] ولو كان عليه الصلاة والسلام رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن من الكرامة، فكان حقه أن يختم به قصة المعراج. ثم إنه تعالى لما قرر أمر الرسالة ذكر بعده ما ينبغي أن يبتدىء به الرسول ﷺ وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك فقال: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة﴾ كما هي عليه من العجز والهوان فكيف تشركونها بالله العزيز العليم؟ فلو رأيتم إياها حق الرؤية لعلمتم أنها لا تصلح شريكًا لله تعالى في استحقاق التعظيم.

قوله: (وهي فعلة من لوى) أي من لوى على الشيء يلوي إذا عكف عليه، أو من لوى الرجل رأسه إذا أماله فإنهم كانوا يعكفون عليها ويميلون أعناقهم إليها، أصله لوية فأسكنت الياء وحذفت لانتفاء الساكنين فبقيت لوت فقلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار لات. والعامة على تخفيف تائها. وقرىء بتشديد التاء أيضًا على أنه في الأصل اسم فاعل من لت السويق إذا بله بالماء. قيل: كان رجل يلت السويق للحاج فلما مات نحتوا على صورته حجرًا وسموه باسمه وعبدوه، فلم يزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه فكسرها وأحرقها بالنار. **قوله:** (سمرة) هي نوع من الشجر. روي أن خالدًا كان يقول حين يقطعها اليوم:

كفرانك لا سبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها، وأصلها تأنيث الأعز. ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه إذا قطعه فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى. وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء فإنهم يستمطرون الأنواء عندها تبركًا بها وقوله: «الثالثة الأخرى» صفتان للتأكيد كقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] أو الأخرى من التأخر في الرتبة. ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾ إنكار لقولهم: الملائكة

فلما قطعها رجع إلى النبي ﷺ فقال: قد قطعتها. فقال: «ما رأيت»؟ قال: ما رأيت شيئًا. فقال عليه الصلاة والسلام: «ما بلغت». فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة ناشرة شعرها داعية وبلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد رضي الله عنه، ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبدًا».

قوله: (من مناه إذا قطعه) وقيل: من منى يمني أي صب سميت الصخرة مناة لأن دماء النساء البكر كانت تصب عندها، وألفها منقلبة عن ياء والتاء زائدة لتأنيث الصخرة فوزنها فعلة وميمها أصلية. وقرأ ابن كثير«مناءة» بالمد والهمز من النوء أصله منوأة فنقلت حركة الواو إلى النون قبلها فقلبت ألفًا ومعناه: موضع الاستمطار من الأنواء. والنوء سقوط نجم من المنازل الثماني والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلة ما سقط من ساعة سقوطه وذلك في ثلاثة عشر يومًا ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا. وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. وقال الأصمعي: إلى الطالع منها فتقول: مطرنا بنوء كذا. والجمع أنواء فوزن الكلمة حينئذٍ مفعلة فألفها عن واو وهمزتها أصلية وميمها زائدة فإنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركًا بها. **قوله:** (صفتان للتأكيد) أما كون الثالثة للتأكيد فظاهر، وأما الأخرى فإنها وإن أفادت معنى زائدًا على ما أفاده الموصوف لأنها تأنيث الآخر بفتح الخاء بمعنى المغاير مع الاشتراك مع الموصوف فيما أثبت له، فالأخرى تصلح مخصصة للمناة إلا أنه لا يصح أن تحمل الأخرى في الآية على هذا المعنى إذ لا مشارك للمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالأخرى احترازًا عنها، فوجب أن تكون بمعنى المغاير مطلقًا فتكون صفة مؤكدة ضرورة أن مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى فهي مغايرة لهما. **قوله:** (أو الأخرى من التأخر في الرتبة) أي ويجوز أن تكون الأخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتأخرة في الرتبة الوضيعة الذليلة في القدر كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي ضعفاؤهم لأشرافهم. ووجه كون مناة وضيعة ذليلة بالنسبة إلى اللات والعزى أن اللات وإن كانت صخرة إلا أنها على صورة الأدمي والعزى شجرة وهي لكونها من أقسام النبات أشرف من المناة التي هي صخرة، فظهر أن مناة متأخرة عنها رتبة.

بنات الله. وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله: «أفرأيتم».

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه. وهي فعلى من الضيز وهو الجور، لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض

قوله: (وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم) أي ساد مسده فإن «رأيتم» تستدعي مفعولين إما لكونها بمعنى أفعلمتم و «اللات» وما عطف عليه مفعوله الأول، والجملة الاستفهامية سادة مسد مفعوله الثاني كأنه قيل: أفعلمتم هذه الأصنام حاكمة بأن يكون لكم الذكر وله الأنثى. وإما لكونها بمعنى أخبروني والمعنى: أفتمارون بعد ما تبين لكم رفعة شأنه وحقية رسالته، فأخبروني أن هذه الأصنام هل هي بنات الله مع وأدكم البنات وكراهتكم إياهن؟ فإنه قيل: كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولاً ثانيًا «لأفرأيتم» ولم يعد منها ضمير على المفعول الأول؟ قلنا: استغنى عن الضمير بتعريف الأنثى فإنه في قوة أن يقال: وله هذه الأصنام وكان الظاهر أن يقال: وله هن أي تلك الأصنام، إلا أنه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لرعاية الفواصل والإشارة إلى علة الإنكار والتوبيخ. والفاء في قوله: «أفرأيتم» للتعقيب كالتي في قوله: ﴿أفتمارونه﴾ فإنه تعالى صور أمر الوحي أولاً تصويرًا تامًا وحقق أن ما ينطق به وحي أوحي إليه بواسطة ملك شديد قواه لأنه رأى ذلك الملك بصورته الملكية وعرفه حق المعرفة، ثم قال: ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أي أفتجادلونه بعد هذه البينات على ما يرى من الآيات المحققة لكونه على بينة من ربه بحيث لا يتصور معه أن يكون له شائبة ارتياب في أن ما أوحي إليه كلام إلٰهي يلقيه إليه ملك مقرب عنده، كيف وقد رآه نزلة أخرى وعرفه حق المعرفة؟ ثم قال: ﴿لقد رأى من آيات ربه﴾ تنبيهًا على أن ما ذكر إلى هنا من الآيات الكبرى فهو أيضًا نفي للضلالة والغواية وتحقيق للدراية والهداية. ثم عطف قوله: ﴿أفرأيتم﴾ على ﴿أفتمارونه﴾ وادخل عليه الهمزة لزيادة الإنكار فإنه إذا تبين عظمة الله في ملكوته، وأن رسوله أي المرسل يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله تعالى وعزته، فقد تحقق واتضح أن ما ذهبوا إليه من أن هؤلاء الأصنام شركاء له تعالى وبناته مع خستها وحقارة شأنها منكر غاية الإنكار أي أنكم مع مماراتكم فيما ليس بمظنة للمراء أخبروني هل هؤلاء الأخساء بنات الله تعالى؟ والمقصود التهكم بهم والتنبيه على أنه نتيجة مرائهم وأن من بلغ في الضلال إلى أن كان معتقده مثل هذا لا يبعد منه أن ينسب من هو في أعلى درجات الرشاد والسداد إلى الضلالة والغواية وأن يمارى معه فيما اتضح كنار على علم.

فإن فعلى بالكسر لم يأت وصفًا. وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضازه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ الضمير للأصنام أي ما هي باعتبار الألوهية إلا أسماء تطلقونها عليها لأنكم تقولون إنها آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبناتًا وشفعاء، أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها، والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب إليها بالقرابين. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ﴾ سميتم بها ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ بهواكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ برهان تتعلقون به ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ وقرىء بالتاء ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا

قوله: (فإن فعلى بالكسر لم يأت وصفًا) فإن الصفات في المؤنث لا تأتي إلا على فعلى بضم الفاء كحبلى وفعلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى، ولا تأتي على فعلى بالكسر إلا في بناء الأسماء كالعشرى والدفلى وفي المصدر كالذكرى، فظهر أن أصل «ضيزى» بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزًا أي جار وضازه حقه يضيزه أي بخسه ونقصه، ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض أصله بيض جمع أبيض مثل سود جمع أسود، ولو أبقيت الضمة على حالها وأبدلت الياء واو ألزم النقل لأن الكسرة والياء أخف عندهم من الضمة والواو مع عدم اللبس أي ليس في الصفات فعلى بالكسر. **قوله: (على أنه مصدر نعت به)** كالذكرى ولا يجوز كونه نعتًا أصليًا لما مر من أنه ليس في الصفات فعلى.

قوله: (أي ما هي باعتبار الألوهية) أي ما هي باعتبار أن يعبّر عنها باسم الآلهة إلا أسماء عارية عن مدلولاتها، كما إذا أردت أن تحقر من هو ملقب بما يشعر مدحًا تقول: ما هو الاسم؟ وكذا إذا كان ضمير هي للصفة أو للأسماء يكون المعنى ما ذكر. فإن قيل: الأسماء لا تسمى وإنما يسمى بها فكيف قيل سميتموها؟ قلنا: أشار المصنف إلى جوابه بقوله: «إلا أسماء تطلقونها عليها» جعل سميتموها بمعنى ذكرتموها وأطلقتموها عليها يقال: سميت زيدًا بمعنى ذكرته بهذا الاسم، وإن كان للأصنام يكون سميت متعديًا إلى مفعولين بنفسه فإن الأصنام باعتبار الآلهة، وكذلك الصفات التي يصفون الأصنام بها والأسماء التي يسمونها بها أسماء يطلقونها على الأصنام إطلاقًا عاريًا عن مدلولاتها كأنه قيل: وما هذه الألفاظ إلا أسماء أطلقتموها عليها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة إطلاقها عليها برهان تتعلقون به.

فسر قوله تعالى: ﴿سميتموها أنتم﴾ بقوله: «سميتم بها» إشارة إلى أن أنتم تأكيد للضمير المرفوع المتصل وأن قوله: ﴿وآباؤكم﴾ معطوف على ذلك الضمير. **قوله: (وقرىء بالتاء)** كما يقتضيه الظاهر لأن المقام مقام الخطاب، إلا أن العامة قرؤوا بياء الغيبة التفاتًا من خطابهم إلى الغيبة تحقيرًا لهم كأنه قطع الكلام معهم وقال لنبيه ﷺ: إنهم لا يتبعون إلا الظن فلا تلتفت إلى قولهم، فإن من اتبع ظنه وما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان

توهم أن ما هم عليه حق تقليدًا وتوهمًا باطلاً. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تشتهيه أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ الرسول والكتاب فتركوه ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ «أم» منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. والمعنى: ليس كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم: ولئن رجعت إلى ربي أن لي عنده للحسنى. وقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١] عظيم ونحوها ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئًا ولا تنفع ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من الملائكة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له ﴿وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ ويراه أهلاً لذلك فكيف تشفع

الشافي لا يعد إنسانًا ولا يعتد به. وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ الظاهر أنه حال من فاعل «يتبعون» أي هم يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجيء الهدى من عند ربهم من الكتاب والرسول والبرهان الدال على بطلان ما اعتقدوه. **قوله**: (أم **منقطعة**) ومعناها الإضراب عن اتباعهم التوهم الباطل والهوى إلى إنكار ما هو أفحش منه، وهو أن يكون لهم ما يتمنونه من شفاعة آلهتهم وسائر متمنياتهم أي للإنسان كل ما يتمناه والدليل عليه قوله: ﴿وكم من ملك﴾ الخ.

قوله: (**وكثير من الملائكة**) إشارة إلى أن «كم» خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتداء وخبره «لا تغني» وجمع ضمير «شفاعتهم» مع أنه راجع إلى الملك حملاً على معنى «كم» دون لفظها وليس المعنى أنهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه أنهم لا يشفعون لأنه لا يؤذن لهم، فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم؟ واللام في قوله تعالى: ﴿لمن يشاء﴾ متعلقة بالإذن وقوله: ﴿من يشاء﴾ يجوز أن يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع له من الناس، والثاني هو الظاهر لأن الملائكة بأجمعهم مأذونون في الشفاعة للمؤمنين لأن الكل يستغفرون للمؤمنين فلا وجه للتخصيص. ثم إنه تعالى لما استدل على بطلان شفاعة الأصنام لعبدتهم بأن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم إلا بالإذن فكيف يشفع أخس الموجودات من غير أن يؤذن لهم؟ فإنهم كانوا يقولون نحن لا نعبد الأصنام لأنها جمادات وإنما نعبد الملائكة بعبادتها فإنها صور الملائكة فنضعها بين أيدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملائكة للقرب، رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ مع أنكم تحقرون الإناث وتكرهونهن وقد علم الجواب عن أصل اعتذارهم بقوله: ﴿وكم من ملك في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئًا﴾ إلا من بعد أن يؤذن لهم في أن يشفعوا لمن

الأصنام لعبدتهم؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي كل واحد منهم. ﴿تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ بأن سموه بنتًا ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ أي بما يقولون. وقرىء بها أي بالملائكة أو التسمية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ فإن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وإنما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة إليها. ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾﴾ فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فإن من غفل من الله وأعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا

يشاء أن يشفع لهم من المؤمنين ويراهم أهلاً لأن يشفع لهم. **قوله تعالى:** (تسمية الأنثى) منصوب بنزع الخافض أي كتسمية الأنثى والجار والمجرور في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أي تسمية مثل تسمية الأنثى أي ليذكرون الملائكة ذكرًا كذكر الإناث حيث يذكرونهم ببينات الله تعالى. **قوله:** (أي كل واحد منهم) لما كان الظاهر أن يقال: تسمية الإناث بدل الأنثى لأن المسمى الملائكة دون الملك أول الملائكة بكل واحد منهم، فإن قيل: كيف يصح أن يقال إنهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وكان من عادتهم أن يربطوا مركب الميت على قبره زعمًا منهم أنه يحشر عليه؟ أجيب عنه بأنهم ما كانوا يجزمون بل ينكرون ويقولون لا حشر ثم يقولون فإن كان فلنا هم شفعاء بدليل أنه تعالى حكى عنهم قولهم: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [فصلت: ٥٠] وأيضًا أنهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينه الرسل فهم لا يؤمنون بحقيقة الآخرة بل بما يزعمونه آخرة. **قوله:** (وقرىء بها) أي وقرىء «ما لهم بها من علم» بدل «به» فيكون ضمير «بها» إما للملائكة أو للتسمية على حذف المضاف أي ما لهم بأنوثة الملائكة أو بمطابقة التسمية لهم من علم فإنهم جاهلون بكل واحد من الأمرين معتقدون اعتقادًا لا يطابق الواقع. **قوله:** (فإن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم) فسر العلم بحقيقة الشيء وهي ما عليه الشيء في نفس الأمر وحكم عليها بأنها لا تدرك إلا باليقين. وأشار إلى أن المعارف قسمان: حقيقية واعتبارية، والحقيقية هي الأحوال الثابتة للأشياء في أنفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهي التي تبحث عنها أهل الحكمة، والاعتبارية هي المباحث المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية. فالأولى لا يتوصل إليها إلا بالعلم واليقين، بخلاف الثانية فإن الظن يعتبر فيها عند عدم الوصول إلى اليقين. فإن قيل: كيف يصح أن يقال الظن لا يغني شيئًا من المعارف الحقيقية مع أنه قد يصيب ويتعلق بحقيقة الشيء وما هو عليه في نفس الأمر؟ فالجواب نعم إن الظن قد يتعلق بالحق إلا أن الواجب على المكلف في المطالب الاعتقادية

تزيده الدعوة لا عنادًا أو إصرارًا على الباطل. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي أمر الدنيا أو كونها شهيته. ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لا يتجاوزه علمهم. والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ تعليل للأمر بالإعراض أي إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم إذ ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ بعقاب ما عملوا من السوء، أو بمثله، أو بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله أي خلق العالم وسواه للجزاء، أو ميز الضال من المهتدي وحفظ أحوالهم

التيقن بما هو الحق ولا يكفيه الظن به، فالظن بالوحدانية مثلاً لا يُغني من الحق ولا ينوب منابه ولا ينفع صاحبه ولا ينزله منزلة المحق لأن المحق من تيقن بالحق وجزم به والظن بالوحدانية لا يغني موحدًا. ثم إنه تعالى لما ذكر أنهم تركوا الهدى الذي جاءهم من ربهم واتبعوا الظن وما تهوي الأنفس فرع عليه قوله: ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ أي عن كتابنا ووعظنا فلم يصدقه ولم يقبله. وقيل: عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء. ثم جهلهم وصغر رأيهم فقال: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ فإن أمر الدنيا وما يتمتع به فيها أخس الحظوظ وأوضعها لا يقتصر أحد من العقلاء عليه، إذ هو من أخلاق البهائم التي لا ترغب إلا في الحاضر التافه الفاني. قيل: كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿فأعرض﴾ منسوخ بآية القتال. ورد بأن الأمر بالقتال لا ينافي الأمر بالإعراض عن الدعوة وإنما يتنافيان أن لو كان المراد بالإعراض الإعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الإعراض عن دعوتهم إلى الإيمان بإقامة الدليل والبرهان، فإنه تعالى أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أولاً بدعائهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمره بإزالة شبهتهم والجواب عن أباطيلهم بأن قال له: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] ثم لما لم ينفع ذلك قال له ربه: ﴿أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢] ولا تشتغل بإقامة الدليل والبرهان إذ لم يبق سبيل إلى معالجتهم بالغذاء الصالح ولا بالدواء النافع، فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدى داؤهم إلى الصالحين ويشيع الفساد في الأمة. فلما كان الإعراض عن دعوتهم إلى الإيمان شرطًا لجواز المقاتلة معهم لم يكن أحدهما منافيًا للآخر.

قوله: (والجملة اعتراض) حيث تخللت بين الأمر بالإعراض وتعليله. **قوله:** (وهو علة لما دل عليه ما قبله) يعني أن قوله تعالى: ﴿ليجزي﴾ متعلق بمحذوف هو قوله: «خلق العالم» دل عليه قوله: ﴿لله ما في السمٰوات والأرض﴾ فإن اللام فيه للملك والملك إنما يكون بالخلق. ويجوز أن يكون المحذوف قوله: «ميز الضال من المهتدي الذي هو مدلول»

لذلك. ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الأعمال الحسنى. ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه. وقيل: ما أوجب الحد. وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير كبير «الإثم» على إرادة الجنس أو الشرك ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وما فحش

قوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ **فجملة قوله:** ﴿لله ما في السمٰوات﴾ معترضة جيء بها لتأكيد الجزاء وتقريره: أي ميز أحد الفريقين عن الآخر ليجازي كل واحد من آحاد الفريقين بما يليق به من الجزاء. **قوله:** (**أو بأحسن من أعمالهم**) مقابل لقوله: «أو بمثله» فإن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. والحسنى على الأولين صفة المثوبة إلا أن الحسنى على الأول منهما من قبيل: زيد الأفضل، وعلى الثاني من قبيل: زيد أفضل من عمرو، والحسنى على الثاني صفة أعمالهم. **قوله تعالى:** (الذين يجتنبون كبائر) يجوز أن يكون منصوب المحل على أنه بدل أو بيان أو نعت «الذين أحسنوا» أو بتقدير أعني. ويجوز أن يكون مرفوعًا على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين. فإن قيل: إذا كان بدلاً من «الذين أحسنوا» فلم تخالفا في الصلة حيث كانت صلة الأول ماضيًا وصلة الثاني مستقبلاً؟ قلنا: للإشعار بأن ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات أو بترك الواجبات ينبغي أن يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبًا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى، فإن من اجتنب مرة عنها وانهمك عليها في باقي زمانه لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فإن من أتى بها ولو مرة يؤجر عليها. فقوله: ﴿الذين يجتنبون﴾ على جميع التقادير يدل على أن المحسن هو الذي لا يسيء ولا يرتكب القبيح الذي فحش قبحه واتضح فالذين أحسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى، وبهذا تبين المسيء والمحسن لأن من يجتنب الكبائر يكون مسيئًا والذي يجتنبها يكون محسنًا. فإن قيل: الكبائر جمع كبيرة وهي صفة فما موصوفها؟ قلنا: إنها صفة الفعلة كأنه قيل: الفعلات الكبائر من الإثم فإن قيل: لم اختصت الكبائر بالذنوب في الاستعمال وما المانع من أن يقال: فعلات كبائر للحسنات؟ قلنا: الحسنة لا تكون كبيرة لأنها إذا قوبلت بما يجب أن يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر، ولولا أن الله عز وجل يقبلها لكانت هباء ضائعًا بخلاف السيئة فإنها من العبد الذي أنعم الله عليه بأنواع النعم تكون كبيرة. **قوله:** (**كبائر الإثم**) معناه الكبائر من الإثم، فإن الإثم جنس يدخل تحته الكبائر والصغائر. وقد تقرر أن المضاف إليه إذا كان جنس المضاف تكون الإضافة بمعنى «من» كخاتم فضة. وفسر الكبائر بما يكبر عقابه من الذنوب وجعل الفواحش أخص منها وفسرها بما فحش قبحه من الكبائر، فيكون عطف «الفواحش» على «الكبائر» للتغليظ

من الكبائر خصوصًا. ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ إلا ما قل وصغر فإنه مغفور من مجتنبي الكبائر. والاستثناء منقطع ومحل «الذين» النصب على الصفة، أو المدح، أو الرفع على أنه خبر محذوف ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر أو له أن يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها. ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى. ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ أعلم بأحوالكم منكم. ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾

والمبالغة في الذم كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة في المدح كأنه قيل: والفواحش منها خاصة. **قوله:** (**إلا ما قل وصغر**) يعني أن اللمم الصغير من الذنب من ألم بالمكان إذا نزل نزولاً من غير لبث طويل، ويقال: ألم بالطعام إذا أقل أكله منه. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «إن تغفر اللهم فاغفر جمًا وأي عبد لك ما الما» فيكون الاستثناء منقطعًا لأن اللمم وهو الصغير من الذنب لا يدخل تحت الكبائر والفواحش والمعنى: لكم اللمم قد غفره الله تعالى فإن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. **قوله تعالى:** (**هو أعلم بكم**) يحتمل أن يكون متعلقًا بقوله: ﴿هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ وبمن اهتدى تقرير الإحاطة علمه بأحوال الفريقين فحينئذٍ يكون وجه تفريع قوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ عليه ظاهرًا فإنه تعالى لما قال: نحن أعلم بحال الفريقين ونجازيهما على حسب استحقاقهما كان ذلك مظنة أن يقول بعض الكفرة: نحن نعمل أمورًا في جوف الليل المظلم في البيت الخالي فكيف يعلمها الله؟ فرد الله تعالى عليهم وقرر إحاطة علمه بها بقوله: هو أعلم بأحوالكم منكم حيث يعلم أحوالكم حين ابتدأ خلقكم وحين صوركم في الأرحام، فكيف لا يعلم من أحسن منكم ممن أساء؟ ويحتمل أن يكون متعلقًا بقوله: ﴿ليجزي الذين أساؤوا وأحسنوا﴾ وتأكيد الأمر الجزاء فإنه تعالى لما قال: ليجزي كل واحد من الفريقين كان ذلك مظنة لأن يقول من أنكر الحشر والجزاء: هذا يقتضي أن يحشر من في القبور ويجمع أجزاءهم المتفرقة بحيث لا يختلط شيء من أجزاء البعض بأجزاء الباقين وذلك غير ممكن، فرد الله عليهم وقرر إحاطة علمه بجميع أحوالهم فيعلم تفاصيل أجزاء كل شخص فيعيدها إلى بدنه فحينئذٍ يكون وجه تفريع قوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ على ما قبله كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الأجزاء. والمعنى: فلا تزكوا أنفسكم من العذاب ولا تقولوا تفرقت الأجزاء بحيث امتنع جمعها فلا حشر ولا جزاء، فإن العالم بكم عند الإنشاء عالم بكم عند الإعادة. والأجنة جمع جنين مثل أسرة وسرير، والجنين الولد ما دام في بطن أمه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه إذا ستره، وإذا خرج من بطن أمه لا يسمى إلا ولدًا أو سقطًا فإن قيل: إذا

علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحيثما صوركم في الأرحام ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير، أو بالطهارة من المعاصي والرذائل. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ فإنه يعلم التقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام. ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ عن اتباع الحق والثبات عليه. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ وقطع العطاء من قولهم: أكدى الحافر إذا بلغ الكدية، وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر. والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام فعيّره بعض المشركين وقال: تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال: أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ يعلم أن صاحبه يتحمل عنه. ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا

كان الجنين اسمًا للولد ما دام في بطن أمه فما فائدة قوله: ﴿في بطون أمهاتكم﴾؟ قلنا: فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فإن بطون الأمهات في غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من أحواله. واختار الحسن البصري كونه متعلقًا بقوله: ﴿هو أعلم بمن ضل﴾ حيث قال: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وما هي إليه صائرة فلا تزكوا أنفسكم ولا تطهروها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن الأعمال، لأن كل واحد من التخلية والتحلية إنما يعتد به إذا كان خالصًا لله تعالى وإذا كان هو أعلم بأحوالكم منكم فأي حاجة إلى التزكية؟

قوله: (ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم) أي منه أو بخلق كل واحد منكم من التراب، فإنه أصل كل واحد من بني آدم من حيث إن النبات المتولد منه يصير غذاء ويصير الغذاء دمًا ويصير الدم نطفة والنطفة إنسانًا. ثم إنه تعالى لما أمره عليه الصلاة والسلام بالإعراض عمن تولى وعلّل الأمر المذكور بإحاطة علمه بمن ضل واهتدى وأنه يجازي كل واحد على حسب حاله فرع قوله: ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ تعجيبًا من حاله وإنكارًا عليه جهله وبخله بإعطاء ما التزمه. **قوله:** (من قولهم أكدى الحافر) يعني أن أصل الإكداء أن يحفر الحافر فيبلغ الكدية فيمسك عن الحفر لتعذره عليه، ثم استعير لكل ما تعذر عن الإنسان. وقيل: ﴿أرأيت﴾ بمعنى أخبرني ﴿أعنده علم الغيب﴾ مفعوله الثاني أي أخبرني أن هذا المعطى المكدي هل عنده علم ما غاب عنه من أحواله وأحوال الآخرة؟ فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه أوزاره على أن قوله: ﴿يرى﴾ بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما. **قوله تعالى:** (أم لم ينبأ) أي لم يخبر بما في صحف موسى يعني أسفار التوراة. وفي الكواشي: عن النبي ﷺ: «أنه أنزل على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف وعلى موسى

فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ وفر وأتم ما التزمه أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى أتاه جبرائيل عليه السلام حين ألقى في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وذبح الولد. وأنه كان يمشي كل يوم فرسخًا يرتاد ضيفًا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وتقديم موسى، لأن صحفه وهي التوراة كانت أكثر وأشهر عندهم. ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ «أن» هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلاً مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل: ما في صحفهما فأجاب به. والمعنى: أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] وقوله عليه السلام: «من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فإن ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره.

عشر صحائف قبل التوراة» و«أم» منقطعة أي بل ينبأ أضرب عن إنكار أن يكون عنده علم الغيب إلى تقرير أنه نبىء وأخبر بما في الصحف. **قوله:** (وإبراهيم) عطف على موسى أي وبما في صحف إبراهيم. والجمهور على تشديد قوله: «وفى» للتكثير والمبالغة في الوفاء بما التزمه وبما عاهد الله تعالى عليه وبالعمل بما أمره الله على التمام، أو هو بمعنى «أوفى». الجوهري: أوفاه حقه ووفاه بمعنى أي أعطاه إياه تامًا وافيًا. ومن جملة وفائه بما عاهد الله تعالى عليه أنه عهد أن لا يسأل مخلوقًا فأتاه جبريل عليه السلام حين ألقي في النار فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. **قوله:** (يرتاد ضيفًا) أي يطلبه يقال: ارتاده ارتيادًا أي طلبه. **قوله:** (وتقديم موسى) أي مع أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام متقدم عليه في البعث فلذلك قدم في قوله تعالى: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ ثم إنه تعالى بيّن ما في صحفهما فقال: ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ومعناه: لا تؤاخذ نفس بإثم غيرها. وفيه إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الإثم. روي عن ابن عباس أنه قال: كانوا قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده، حتى جاءهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى أن لا تزر وازرة وزر أخرى. و«أن» في «أن لا تزر» هي المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشأن والتقدير: أن الشأن لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى. فإن قيل: الآية مسوقة لبيان أن وزر الرجل لا يحمل عنه ونظم الآية لا يدل عليه، لأن النفس الوازرة مثقلة بوزرها فكل واحد يعلم أنها لا تحمل شيئًا غير ذلك الذي عليها فلو قال: لا تحمل فارغة وزر أخرى لكان أولى وأظهر. فالجواب أن المراد من

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ إلا سعيه أي كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له

الوازرة هي التي يتوقع منها الحمل والوزر لا التي وزرت وحملت ثقلاً. وقوله: ﴿وأن ليس للإنسان﴾ معطوف على قوله: ﴿أن لا تزر﴾ «وأن» فيه أيضًا هي المخففة من الثقيلة و«للإنسان» خبر «ليس» و«إلا ما سعى» اسمها أي إلا سعيه. ويجوز أن تكون «ما» موصولة وقوله: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ معطوف على أن لا تزر أيضًا، والمعنى: إن المذكورات كلها في الصحف. وقوله: «يرى» خبر «أن» وهو من رؤية العين وفيه ضمير يعود على اسمها وهو السعي، والمراد بالسعي العمل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] وعن ابن عباس: عدم إثابة الإنسان بسعي غيره وفعله منسوخ الحكم في هذه الشريعة، فالحصر المستفاد من قوله تعالى: ﴿ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فإنه يدل على أن الذريات يدخلون الجنة بعمل آبائهم. وقال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا أي ما عملوا وسعى لهم غيرهم، لما روي أن امرأة رفعت صبيًا له عليه الصلاة والسلام من المحفة فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر». وقال رجل: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها. أي ماتت. فجأة وأظنها أنها لو تكلمت لتصدقت فهل لها أجران تصدقت عنها؟ قال: «نعم». قال الشيخ تقي الدين أبو العباس: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل فإن الأمة قد أجمعوا على أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير. وأيضًا أنه عليه الصلاة والسلام يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها، ثم لأهل الكبائر في الإخراج من النار، وهذا انتفاع بسعي الغير، وكذا كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير. وأيضًا الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير.

وأيضًا أنه تعالى يخرج طائفة من النار ممن لم يعمل خيرًا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع من غير سعيهم. وأيضًا أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير. وكذا الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق عنه بنص السنة والإجماع وهو من عمل غيره، وأنه يسقط الحج المفروض عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة. وكذا تبرأ ذمة الإنسان من ديون الخلق إذا قضاها عنه قاضٍ وذلك انتفاع بعمل الغير. وكذا الصلاة والدعاء له فيها ينتفع بها الميت وهي من عمل الغير. ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب أيضًا كثيرة فلا بد من توجيه قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ فإنه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمل نفسه ولا

كالنائب عنه ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفر فنصب بنزع الخافض، ويجوز أن يكون مصدرًا. والهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله. ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ انتهاء الخلائق ورجوعهم. وقرىء بالكسر على أنه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده.

يجزى إلا على قدر سعيه ولا يزاد عليه، وذلك يخالف الأقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب أعماله. ولا يصح أن يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة فقول المصنف: «وما جاء في الأخبار إلى» الخ جواب عن هذا الإشكال وتقرير الجواب أن معنى الآية أن الإنسان لا ينتفع بسعي غيره وعمله إذا عمل الغير لنفسه ولم ينو أن يكون ثواب عمله لغيره، وأما إذا عمل العامل ناويًا أن يكون ثواب عمله لغيره فحينئذٍ ينتفع غيره بثواب ذلك العمل لأن العامل إذا نوى أن يعمل لغيره صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعًا، فلما كان العامل بمنزلة الوكيل عن الغير صار سعيه وعمله بمنزلة عمل الغير بنفسه وصار الغير منتفعًا بعمل غيره إذ عمله كعمل نفسه بهذا الاعتبار. فكأنه قيل: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه حقيقة أو حكمًا، فإن عمل الوكيل عمل للموكل حكمًا. وأيضًا إن سعي الغير إنما لا ينفعه إذا لم يوجد له سعي قط، فإذا وجد له سعي بأن يكون مؤمنًا صالحًا كان سعي الغير تابعًا لسعيه فكأنه سعى بنفسه فإن علقة الإيمان وصلة وقرابة كما قال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوًا تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، ثم شبك بين أصابعه فإذا سعى أحد لأخيه في الإيمان والعمل الصالح فكأنه سعى في شد عضد أخيه فكان سعيه سعيه. **قوله:** (أي يجزى العبد سعيه) يعني أن فعل الجزاء يتعدى إلى مفعولين كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] وقولهم: جزاك الله خيرًا فأحد المفعولين في الآية هو المرفوع المستتر في «يجزى» وثانيهما المنصوب البارز والتقدير. ثم يجزى الإنسان سعيه أي جزاء سعيه فحذف المضاف. و «الجزاء الأوفى» مفعول به بواسطة حرف الجر عدي إليه الفعل بنزع الخافض ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقًا مبينًا للنوع. ويجوز أن تكون الهاء في «يجزاه» ضمير الجزاء المدلول عليه «بيجزى» فيكون منصوب المحل على أنه مفعول مطلق «ليجزى» فلا يكون الجزاء الأوفى مفعولاً مطلقًا أيضًا لأن الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلاً منه أو عطف بيان له أو منصوبًا بتقدير أعنى. **قوله:** (وقرىء بالكسر) العامة على فتح الهمزة من «أن» وما عطف عليها بمعنى أن الجميع في صحف موسى وإبراهيم. وقرىء بكسر الهمزة في الجميع على أنه ابتداء كلام لبيان أن انتهاء رجوعهم إلى موقف حساب الله تعالى

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره، فإن القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة. ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من مني إذا قدر. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ الإحياء بعد الموت وفاء بوعده. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بالمد وهو أيضًا مصدر نشأة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال وإفرادها لأنها أشف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ يعني العبور وهي أشد ضياء من الغميصاء عبدها أبو كبشة أحد أجداد الرسول عليه الصلاة

فيجازيهم بأعمالهم. والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء. **قوله تعالى:** (وأنه هو أضحك وأبكى) قيل: معناه أن ما يعمله الإنسان فبقضائه وحكمه وخلقه حتى الضحك والبكاء. وقال الكلبي: أضحك أهل الجنة بفضله ورحمته وأبكى أهل النار بعدله وسخطه. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر. وقيل: أضحك قومًا عند الموت بإسماع ﴿وَأَبْشِرُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] وأبكى قومًا عنده بإسماع ﴿لا بشرى لكم﴾ **قوله:** (تدفق في الرحم) يقال: منى المني وأمناه أي أنزله وأراقه وصبه. وفسره الأخفش بقوله: تخلق على أنه من منى الماني أي قدر المقدر. ومما يدل على كمال قدرة الله تعالى أن النطفة مع كونها جسمًا متناسب الأجزاء يخلق الله تعالى منها الذكر والأنثى والأعضاء المختلفة والطبائع المتباينة. ثم إنه تعالى بعد ما خلقهم أولاً من نطفة كذا يخلقهم ثانيًا من تراب كما قال: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ وإنما قال: «عليه» لأنه فاعل لا محالة على ما تقتضيه الحكمة. ثم قال: ﴿وأنه هو أغنى﴾ أي أعطى ما يغني عن الغير ﴿وأقنى﴾ أي أعطى القنية وهي اسم لما يقتني أي يدخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية. والتأثيل التأصيل ومال مؤثل أي متخذ أصل مال يحفظ ويدخر لقصد الاستثمار والاستنماء. وفي الصحاح: اقتناء المال وغيره اتخاذه، وفي المثل: لأتقن من كلب سوء جروًا، وأقناه الله أعطاه ما يقني من القنية والنشب قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيتها قنية وقنية إذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة، وأقناه الله أيضًا أي أرضاه. والقنى الرضى تقول العرب: من أعطى مائة من المعز فقد أعطى الغنى، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطى القنى، ومن أعطى مائة الإبل فقد أعطى المنى.

قوله: (يعني العبور) إشارة إلى أن الشعرى شعريان: إحداهما الشعرى اليمانية وتسمى أيضًا الشعرى العبور، وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى أيضًا الغميصاء فصلت المجرة بينهما لزعم العرب أن الشعريين أختا سهيل، وأن الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن

والسلام وخالف قريشًا في عبادة الأوثان، ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن أبي كبشة. ولعل تخصيصها للإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وإن وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضًا في عبادتها ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكًا بعد قوم نوح. وقيل: عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم. وقرىء «عادًا» الأولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها إلى لام التعريف وعاد الولي بإدغام التنوين في اللام. ﴿وَثَمُودَا۟﴾

وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلاً وأقامت الغميصا فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها أي كانت أقل نورًا من العبور وأخفى. والغمص في العين ما سال من الرمص يقال: غمصت عينه بالكسر غمصًا. **قوله:** (ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلاة والسلام ابن أبي كبشة) لا يريدون بذلك اتصال نسبته عليه الصلاة والسلام إليه وإن كان الأمر كذلك بل يريدون به موافقته عليه الصلاة والسلام إياه في ترك عبادة الأوثان وإحداث دين جديد. وكان أبو كبشة الخزاعي جد رسول الله ﷺ لأمه عبدها وقال: لا أرى شمسًا ولا قمرًا ولا نجمًا يقطع السماء عرضًا غيرها وليس شيء مثلها. فعبدها وعبدتها خزاعة. والمعنى: إن الشعرى مربوب فاعبدوا ربه. ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما خالف العرب وأظهر بينهم دينًا جديدًا شبهوه في خلافه إياهم بأبي كبشة وسموه بذلك لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة العرب في عبادة الشعرى. **قوله:** (لأنهم أولى الأمم هلاكًا بعد قوم نوح) إشارة إلى أنه ليس هناك عادان إحداهما أقدم زمانًا من الأخرى حتى يكون وصف إحداهما بالأولى للاحتراز عن عادة الأخيرة، بل ليس هناك إلا عادة واحدة هم أعقاب عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وهم قوم هود عليه السلام أهلكهم الله بريح صرصر عاتية. والمراد بأوليتهم تقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح. وقيل: كان بعدهم عاد أخرى سواهم فلذا سماهم الله تعالى عادًا الأولى، وهو قول المصنف. وقيل: عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم. قال الكشاف في تفسير سورة الفجر: قيل لعقب عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام: عاد كما يقال لبني هاشم: هاشم ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، وإرم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخرى فإرم في قوله تعالى: ﴿بِعَادٍ إِرَمَ﴾ [الفجر: ٦، ٧] عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة. انتهى كلامه. وهو وإن كان موافقًا لما نقله المصنف من أن عادًا عادان عاد أولى وعاد أخرى، إلا أنه مخالف له من حيث إن إرم هي الأولى على هذا القول وهي أخرى على ما نقله المصنف. **قوله:** (وقرىء عادًا الأولى) اعلم أنه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون «عادًا الأولى» بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها على الأصل، فإن التنوين إذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

عطف على عادًا لأن ما بعده لا يعمل فيه. وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير ألف. ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ الفريقين ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أيضًا معطوف عليه ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل عاد وثمود. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾ من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت، وهي قرى قوم لوط. ﴿أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ بعد أن رفعها فقلبها. ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ فيه تهويل وتعميم لما أصابهم. ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ تتشكك والخطاب للرسول أو لكل أحد، والمعدودات وإن كانت نعمًا ونقمًا لكن سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للأنبياء والمؤمنين.

[الإخلاص: ١ و٢] وقد يحذف التنوين تشبيهًا له بحرف العلة كما في قراءة من قرأ ﴿أَحَدُ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ و٢] وكقوله: ﴿ولا ذاكر الله إلا قليلاً﴾ وهو قليل جدًا، هذا في الوصل. فإذا وقفوا على «عادا» وابتدؤوا «بالأولى» فقياسهم أن يقولوا الأولى بفتح همزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة، وهم صرفوا عادًا إما لأنه اسم للحي أو الأب فليس فيه ما يمنعه، وإما لأنه وإن كان مؤنثًا اسمًا للقبيلة إلا أنه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه. وقرأ قالون «عاد الؤلى» بإدغام التنوين في لام التعريف بعد نقل حركة همزة أولى إلى لام التعريف وحذف الهمزة للتخفيف وإبدال واو أولى همزة، فإنه لما قصد التخفيف بالإدغام نقل حركة الهمزة إلى اللام وإن لم يكن النقل من أصله. ولما نقل الحركة إلى اللام اعتد بتلك الحركة إذ لا يمكن الإدغام في ساكن ولا فيما هو في حكم الساكن. وقرأ ورش وأبو عمرو «عاد الولى» بإدغام التنوين في اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها إلى لام التعريف كقالون إلا أنهما أبقيا الواو على حالها غير مبدلة همزة. وروى المصنف قراءة أخرى وهي أن تحذف همزة أولى بعد نقل حركتها إلى اللام وتحذف همزة الوصل استغناء عنها بحركة اللام وأن لا يدغم التنوين في لام التعريف لعدم الاعتداد بحركتها، فإن العرب إذا نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها كلام التعريف مثلاً تجعله في حكم الساكن ولا تعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين، وإن كان قبلها همزة وصل لا يستغنى عنها فتقول: لم يذهب الحمر ورأيت زياد العجم، من غير إدغام التنوين في اللام والحمر والعجم بهمزة الوصل لكون اللام في حكم الساكن. فقراءة «عادا الأولى» مبنية على هذا الأصل. **قوله: (عطف على عادًا)** فيكون منصوبًا «بأهلك» ولا يجوز كونه منصوبًا بقوله: «فما بقي» لما تقرر من أن ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ أيضًا معطوف على «عاد» أي وأهلك المؤتفكة وهي قرى قوم لوط عليه السلام. ومفعول «أهوى» محذوف وهو ضمير «المؤتفكة» أي أسقطها من السماء بعد ما رفعها إليها على جناح

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ أي هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات المتقدمة أو هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الأولين. ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله لكنه لا يكشفها أو الآن بتأخيرها إلا الله أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله إذ لا يطلع عليه سواه أو ليس لها من غير الله كشف على أنها مصدر كالعافية. ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

جبريل عليه السلام يقال: أفكه فائتفك أي قلبه فانقلب. ويجوز أن تكون «المؤتفكة» منصوبة «بأهوى» والمنوي فيه وفي قوله تعالى: ﴿فغشاها﴾ ضمير البارىء عز وجل أي ألبس الله المؤتفكة ما ألبسها من العذاب الذي من جملته ما أمطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة، فمفعولاه مذكوران أحدهما ضمير المؤتفكة والثاني قوله: ﴿ما غشى﴾ والمنوي في قوله ما غشى أيضًا ضمير البارىء ومفعولاه محذوفان أحدهما ضمير «ما» والثاني ضمير «المؤتفكة» أي فغشاها الله ما غشاه إياها.

قوله: (**إنذار من جنس الإنذارات**) جعل النذير مصدرًا بمعنى الإنذار على تقدير كون هذا إشارة إلى القرآن لأن القرآن إنما يتعلق به الإنذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذبين، ولا شك أن اقتصاصها ليس بمنذر بل هو إنذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه منذر ليس إلا. وتأنيث الأولى على تقدير كونه صفة للنذر بمعنى المنذرين لكون النذر بمعنى الجماعة إذ لا وجه أن يقال من جنس المرسلين الأولى إلا بذلك التأويل. **قوله**: (**دنت الساعة الموصوفة بالدنو**) يعني الآزفة صفة لمحذوف هو الساعة أو القيامة وأن اللام فيها للعهد، فلذلك صح الإخبار عنها بالدنو إذ لو كانت للجنس لما صح إذ لا فائدة في أن يقال: قرب جنس القريب فإن قلت: الإخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه أيضًا قلت: لا نسلم ذلك لأنه إنما لا يفيد إذا كان الكلام مخرجًا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو مبني على تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم. **قوله**: (**أو الآن**) عطف على قوله إذا وقعت أي إذا وقعت الآن لم يردها إلى وقتها أحد إلا الله. قال محيي السنة: وقيل: معناه ليس لها راد يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد إلا الله. وبهذا قال قتادة والضحاك. ويجوز أن يكون المعنى القيامة التي وصفت لك بالأزوف هي أزفة في نفس الأمر فكيف لا نستعد لها؟ **قوله**: (**ليس لها نفس قادرة على كشفها**) الكشف على الأول بمعنى الإزالة بالكلية وعلى الثاني يكون بمعنى الإزالة أيضًا إلا أنه لا يكون بمعنى الإزالة بالكلية، بل يكون بمعنى التأخير إلى أمد بعيد. وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والإعلام أي ليس لها نفس مبينة تبين

إنكارًا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ تحزنًا على ما فرطتم. ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ لاهون أو مستكبرون من سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء. ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾ أي واعبدوه دون الآلهة. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة».

أنها متى تقوم. **قوله**: (وأنتم سامدون) يحتمل أن يكون مستأنفًا أخبر الله تعالى عنهم بذلك. ويحتمل أن يكون حالاً أي انتفى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين. والسمود قيل: الإعراض والغفلة عن الشيء. فسر السمود بثلاثة أوجه: الأول كون الإنسان لاهيًا غافلاً قال الشاعر:

ألا أيها الإنسان إنك سامد كأنك لا تفنى ولا أنت هالك

والثاني الاستكبار، والثالث الغناء. قال عكرمة: السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكان الكفار إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا ليشغلوا الناس عن استماعه. تم هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة القمر

مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ روي أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر. وقيل: معناه سينشق يوم القيامة. ويؤيد الأول أنه قرىء «وقد انشق القمر»

سورة القمر

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وبه التوفيق وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال ابن عباس رضي الله عنهما: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت نبيًا فشق لنا القمر فرقتين. فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلت تؤمنون»؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق فرقتين ورسول الله ﷺ ينادي: «يا فلان يا فلان اشهدوا». وحديث انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وقول من قال: إنه سينشق يوم القيامة إلا أنه قيل: «انشق» بلفظ الماضي لتحقق وقوعه، قول مخالف للإجماع. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ما وعد الله رسوله من أشراط الساعة كلها قد مضى إلا أربعة: طلوع الشمس من مغربها ودابة الأرض وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج. وقال ابن مسعود: رأيت حرابين فلقى القمر. وهذا صريح في أن كل واحد من النصفين ذهب من موضع القمر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ذهب أحد النصفين عن موضع

أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر. وقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ﴾ عن تأملها والإيمان بها ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك، أو محكم من المرة يقال: أمررته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم، أو مستبشع من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أو مار ذاهب لا يبقى.

الآخر وبقي النصف الآخر في موضعه. وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] فكأنه تعالى أعاد ذلك مع الدليل، فإن انشقاق القمر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام ونبوته وزمانه من أشراط الساعة. وأيضًا أن من ينكر خراب العالم يقول: إن الأفلاك وما فيها من الكواكب لا يقبل الخرق والالتئام فإذا انشق بعضها ثبت بطلان ما قالوه، فعلى هذا يجوز أن يراد باقتراب الساعة استبعاد الأذهان والعقول لوقوعها لا اقتراب زمان وقوعها. **قوله:** (وقوله: وإن يروا) مرفوع بالعطف على فاعل قوله: «ويؤيد الأول» أي ويؤيد وقوع الانشقاق في عهده عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ﴾ [القمر: ٢] ووجه كونه مؤيدًا لذلك أنه مسوق لذمهم بأن حالهم فيما يستقبل كحالهم فيما مضى وهي الإعراض عن تأمل الآيات والاهتداء بها إلى الحق الصريح، والذم بهذا الطريق إنما يحسن إذا رأوا قبله آية عظيمة وأعرضوا عنها ولم يرفعوا إليها رأسًا. والتنكير في قوله: «آية للتعظيم» أي وأن يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا الخ.

قوله: (مطّرد) أي دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد أخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها إلى السحر، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يأتي في كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية فقالوا: هذا سحر مستمر أي دائم لا يختص تعلقه بشيء دون شيء ولا بزمان دون زمان، بخلاف سحر السحرة فإن بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الأمور في جميع الأزمان. قال المفسرون: لما انشق القمر قال المشركون: سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فنستخبر السفار والقادمين، فلما قدموا سألوهم فأخبروهم أنهم رأوا ذلك فتعجبوا منه. **قوله:** (أو محكم) معطوف على «مطرد». والمراد القوة والشدة فالسحر الذي يؤثر في الأجرام العلوية كما يؤثر في الأجرام السفلية يكون قويًا مستحكمًا يقال: حبل مرير الفتل إذا اشتد فتله. ويحتمل أن يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر مر مستبشع، وأن يكون من المرور يقال: مر يمر مرًا ومرورًا أي ذهب واستمر مثله، ويقال: أمر الشيء إذا صار مرًا وكذلك مر الشيء يمر بالفتح مرارة فهو مر واستمر مثله على أن استفعل بمعنى فعل كطاب واستطاب وقر واستقر فقولهم إنه: ﴿سحر مستمر﴾ أي مار يذهب ويفنى تمنية منهم لأنفسهم وتعليلاً لها وإطماعًا في غير

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ المضي للإشعار بأنهما من عادتهم القديمة. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ منته إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة، فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر. وقرىء بالفتح أي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر و«كل» معطوف على «الساعة». ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ في القرآن ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أنباء القرون الخالية، أو أنباء الآخرة ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ ازدجار من تعذيب أو وعيد. وتاء الافتعال دالاً مع الدال والذال والزاي للتناسب. وقرىء «مزجر» بقلبها زايًا وإدغامها. ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ غايتها لا خلل فيها وهي بدل من «ما» أو خبر لمحذوف. وقرىء بالنصب حالاً مما فإنها موصولة أو مخصوصة بالصفة فيجوز

مطمع. **قوله:** (وذكرهما بلفظ المضي) مع أن الظاهر أن يقال: ويكذبوا ويتبعوا لكونهما معطوفين على قوله: «يعرضوا» و«يقولوا». **قوله تعالى:** (وكل أمر مستقر) الجمهور على كسر قاف مستقر ورفعه على أنه خبر «كل» الواقع مبتدأ. وفسره المصنف بقوله: «منته إلى غاية» إشارة إلى أن الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء إلى الغاية، فإن عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل وتنكشف جلية الحال وتتضح الشبهة والالتباس. فالحقائق إنما تظهر عند العواقب فإن لكل أمر غاية في الدنيا وكذا في الآخرة ينتهي إليها لا محالة فإذا انتهى إليها يستقر ويتم أمره ويتبيّن حاله. فأمر رسول الله ﷺ سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته وكذلك أمر تكذيبه. فالآية وعيد للمشركين ووعد للرسول وللمؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧] أي كل نبأ وإن طالت مدته فلا بد أن ينتهي إلى غايته وتنكشف حقيقته من الحقية والبطلان. **قوله:** (وقرىء بالفتح) أي بفتح القاف على أنه مصدر ميمي بمعنى الاستقرار فلا بد من تقدير مضاف أي وكل أمر ذو استقرار. وقرىء بكسر القاف وجر الكلمة أيضًا فيكون «كل أمر» مرفوعًا بالعطف على فاعل «اقتربت» وهو الساعة. ثم إنه تعالى بعد ما أوعد كفار مكة بخذلانهم في الدنيا وشقاوتهم في العقبى ووعد الرسول والمؤمنين بالنصرة في الدنيا والسعادة في الآخرة، أمر رسوله عليه السلام بأن يتولى عن دعوتهم ومناظرتهم بالحجة والبرهان وفرع الأمر بالإعراض على قوله: ﴿جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾ ﴿فما تغن النذر﴾ تعليلاً للأمر المذكور والأنباء هي الأخبار العظام فإن النبأ والأنباء لم يرد في القرآن إلا لما له وقع وشأن عظيم. والزجر المنع والنهي، وازدجر افتعل منه أصله ازتجر. وقد تقرر أن تاء الافتعال إذا وقعت بعد الزاي والدال والذال تقلب دالاً لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فتقلب حرفًا يناسب الزاي في الجهر ويناسب التاء في المخرج

نصب الحال عنها. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ نفي أو استفهام إنكار أي فأي غناء يغني النذر، وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو المنذر منه أو مصدر بمعنى الإنذار. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ إسرافيل. ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣] وآيات أخرى. وإسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب «يوم» «بيخرجون» أو بإضمار اذكر. ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة. وقرأ ابن كثير «نكر» بالتخفيف. وقرىء «نكر» بمعنى أنكر.

وهو الدال فيصير ازدجر. والمزدجر في الآية مصدر ميمي بمعنى الازدجار أي الزجر فإن بناء افتعل وإن شاع كونه لمطاوعة فعل نحو: جمعته فاجتمع إلا أنه قد يكون بمعنى فعل نحو: مدحته وامتدحته، وهذا هو المناسب في هذا المقام. فقولنا: زجره وازدجره بمعنى واحد أي نهاه ومنعه عن السوء. وارتفاع «مزدجر» يجوز أن يكون على الابتداء و «فيه» خبره، وأن يكون على أنه فاعل لقوله: «فيه» لاعتماده على الموصول أو الموصوف فإن ما يجوز كونها موصولة وموصوفة فالجملة بعدها صلتها أو صفتها. **قوله:** (نفي أو استفهام إنكار) أي يجوز أن تكون «ما» نافية فيكون مفعول «تغني» محذوفًا أي فما تغني النذر شيئًا، وأن تكون استفهامية بمعنى الإنكار فتكون في موضع النصب على أنها مفعول مقدم لتغني أي أي شيء تغني النذر إذا خالفهم أهل مكة وكذبوهم؟

قوله: (ويجوز أن يكون الدعاء فيه) أي في البعث والإعادة مثل ﴿كن﴾ في التكوين ابتداء بأن لا يكون ثم داع من إسرافيل وغيره، بل يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بأن يشبه نفاذ مشيئته تعالى وعدم تخلف مراده عن إرادته بترتب إجابة المدعو المطيع لدعاء الداعي المطاع من غير توقف وتردد كما قيل: إن أمركن في الإبداء والتكوين كذلك. ومن قال: إن الدعاء والنداء على حقيقته منهم من يقول: إن إسرافيل ينفخ قائمًا على صخرة بيت المقدس ويدعو وينادي قائلاً: أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعوا لفصل القضاء، ومنهم من يقول: إن إسرافيل ينفخ وجبريل عليه السلام يدعو وينادي بذلك. ولما حذفت الواو من «يدعو» في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط أيضًا تبعًا للفظ وحذفت ياء الداعي اكتفاء بالكسرة. والنكر بضمتين صفة على فعل. وقرىء بسكون الكاف كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] وكلاهما بمعنى المنكر والشيء الشديد الفظيع يسمى نكرًا لأن النفوس تنكره. وقرىء «نكر» بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء على أنه فعل ماض مبني للمفعول في موضع الجر على أنه صفة لشيء و «خاشعًا» حال من فاعل «يخرجون» قدمت على عاملها لكونه فعلاً أصليًا

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي يخرجون من قبورهم خاشعًا ذليلاً أبصارهم من الهول وإفراده وتذكيره لأن فاعله غير حقيقي التأنيث. وقرىء «خاشعة» على الأصل. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم «خشعًا» وإنما حسن ذلك ولا يحسن: مررت برجال قائمين غلمانهم، لأنه ليس على صيغة يشبه الفعل. وقرىء «خشع أبصارهم» على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالاً ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة. ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه. ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ صعب ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبل

في العمل. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي «خاشعًا أبصارهم». وباقي السبعة «خشعًا». والقراءة الأولى جارية على اللغة الفصحى من حيث إن الفعل وما جرى مجراه إذا قدم على فاعله الظاهر يفرد ويذكر فيقال: تخشع أبصارهم ولا يقال تخشعن أبصارهم فإن تأنيث الجمع غير حقيقي لكونه بمعنى الجماعة، والفعل إذا أسند إلى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي جاز إلحاق علامة التأنيث بالفعل وتركها نحو: طلع الشمس وقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] فكذا إذا أسند إلى ظاهر الجمع مطلقًا أي سواء كان جمع سلامة أو جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقي التذكير أو التأنيث كرجال ونسوة، أو مجازي التأنيث كأيام ودور، وكذا واحد المجموع بالألف والتاء ينقسم إلى هذه الأقسام الأربعة نحو: الظلمات والزينبات والجبليات والغرفات، فحكم المسند إلى ظاهر هذه الجموع حكم المسند إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي في جواز إلحاق علامة التأنيث وتركه. وأما إلحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندًا إلى الظاهر فغير فصيح إلا على لغة طي يقولون: أكلوني البراغيث، فقراءة «خشعًا أبصارهم» جاءت على تلك اللغة. فكذا أسماء الفاعلين إذا أسندت إلى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو «خاشعًا أبصارهم» وجاز أيضًا التوحيد مع التأنيث نحو «خاشعة أبصارهم» وجاز الجمع أيضًا على لغة طي «خشعًا أبصارهم». فقوله: «وقرىء خاشعة على الأصل» وهو أن لا يجمع إذا أسند إلى ظاهر الجميع وأن يؤنث لكونه مسندًا إلى المؤنث وإن كان تأنيثه غير حقيقي، ولم يجعل المصنف قراءة «خشعًا أبصارهم» مبنية على لغة أكلوني البراغيث لعدم الاحتياج إلى حملها على تلك اللغة، لأنه إنما يحتاج إلى الحمل عليها فيما إذا كان المسند فعلاً أو ما يشبه الفعل ويجري مجراه وهو جمع السلامة مثل: قائمين غلمانهم وكريمين آباؤهم. وأما إذا كان المسند مما لا يشبه الفعل كجمع التكسير فجمع مثل هذا المسند أولى من إفراده ليطابق فاعله ولا محذور في كونه مخالفًا للفعل في الحكم لأنه لا يشبه الفعل، فكذلك «خشعًا أبصارهم» وقبح قاعدين غلمانهم ولم يصح قعودًا غلامهم. والظاهر أن قوله تعالى: ﴿يخرجون من الأجداث﴾ استئناف لبيان عاقبة

قومك ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا. وهو تفصيل بعد إجمال. وقيل: معناه كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون، أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ هو مجنون ﴿وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾ وزجر على التبليغ بأنواع الأذية. وقيل: إنه من جملة قيلهم أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته. ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي بأني. وقرىء بالكسر على إرادة القول. ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي ﴿فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيًا عليه فيفيق ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

المتولي عنهم إن كان «يوم» منصوبًا «بيخرجون» ولبيان ما يكون في ذلك اليوم إن كان منصوبًا باذكر. وقوله تعالى: ﴿كأنهم جراد﴾ في موضع الحال من فاعل «يخرجون» أي يخرجون مشبهين بالجراد وكذا «مهطعين» والإهطاع الإسراع أي مسرعين إلى جهة الداعي منقادين أذلاء. وقيل: هو الإسراع مع مد العنق. وقيل: هو النظر. الجوهري: هطع الرجل إذا أقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه يهطع هطوعًا، وأهطع إذا مد عنقه وصوب رأسه، وأهطع في عدوه أي أسرع. ثم إنه تعالى شرع في ذكر بعض الأنبياء فقال: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾. **قوله: (وهو تفصيل بعد إجمال)** يعني أن قوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم﴾ لا يقدر له مفعول بل ينزل منزلة اللازم أي فعلوا فعل التكذيب والتكذيب لا بد له من متعلق إلا أنه أجمل ثم فصل بقوله: ﴿فكذبوا عبدنا﴾ فتكون الفاء فيه للتعقيب في الذكر كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ﴾ [هود: ٤٥]. **قوله: (وقيل معناه)** أي قيل: إن الفاء ليست لعطف تفصيل المجمل على المجمل بل هي لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها في التحقق والوجود، وذلك بأن يقصد تعلق قوله: ﴿كذبت قبلهم﴾ بالمفعول إلا أن ذلك المفعول لم يذكر إما لقصد التعميم وإما لكونه متعينًا لدلالة القرينة عليه. والمعنى: كذبوا نوحًا تكذيبًا عقيب تكذيب أو كذبوه بعد ما كذبوا جميع الرسل، فإن قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الأصنام ومن يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة رأسًا ويقول: لا تعلق للباريء تعالى بالعالم السفلي وإنما أمره إلى الكواكب والأوضاع الفلكية، فكان مذهبه تكذيب الرسل جميعًا. فلما بعث إليهم نوح عليه الصلاة والسلام كذبوه أيضًا على مقتضى ما ذهبوا إليه، فتكذيبهم إياه تكذيب له عقيب تكذيب الرسل عليهم السلام وقولهم في حقه عليه السلام: هو مجنون مبالغة في تكذيبهم إياه حيث شبهوه بالمجنون زاعمين أنه يقول ما لا يقبله العقل ويأباه، وليس مرادهم أنه عليه السلام مجنون حقيقة لأنه مكابرة محضة. **قوله: (وزجر)** يعني أن قوله تعالى: ﴿وازدجر﴾ افتعل بمعنى فعل كقوله: ﴿ما فيه مزدجر﴾ فيكون قوله: ﴿وازدجر﴾ من كلام الله تعالى أخبر عنه عليه الصلاة والسلام بأنه انتهر وزجر بالسب

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب «ففتحنا» بالتشديد لكثرة الأبواب ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون منفجرة. وأصله وفجرنا عيون الأرض غير للمبالغة. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماء السماء وماء الأرض وقرىء الماءان لاختلاف النوعين، والماوان بقلب الهمزة واو ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ على حال قدرها الله في الأزل من غير تفاوت، أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدّر ما أنزل على قدر ما أخرج، أو على أمر قدّره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ ذات أخشاب

وأنواع الأذية حيث قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله: ﴿فدعا ربه﴾ عليه بالفاء أي لما زجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته إليهم دعا ربه بأني غلبني قومي بالتكذيب وأنواع الأذية على طول الزمان فانتقم لي ممن كذبني.

قوله: (وهو مبالغة وتمثيل) يعني جعل الماء آلة لفتح أبواب السماء مبالغة في كثرة الماء. هذا على أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بماء منهمر﴾ للاستعانة كما تقول: **فتحت** بالمفتاح. ويحتمل أن تكون للحال أي فتحناها ملتبسة بهذا الماء المنهمر الكثير النازل بقوة وتتابع حيث قيل: إنه لم ينقطع أربعين يومًا، وجعل الكلام استعارة تمثيلية لأن الظاهر أن السماء ليست لها أبواب تفتح وتغلق حتى تنزل الأمطار من تلك الأبواب بل هي إنما تنزل من السحاب، إلا أنه شبه نزولها من السحاب بكثرة وشدة بنزولها من السماء بأن غلبت على أبوابها وانصبت منها ولم يتأت للأبواب أن تسدها. وقيل: كل واحد من السماء والأبواب وفتحها حقيقة إذ لا بعد في أن يكون للسماء أبواب تفتح وتغلق حتى روي عن علي رضي الله عنه: أن أبواب السماء هي المجرة ولا بعد أيضًا أن ينزل المطر من تلك الأبواب.

قوله: (فغير للمبالغة) أي غير العيون من المفعولية إلى التمييز للمبالغة لأن قولنا: فجرنا عيون الأرض معناه فجرنا وسيلنا ما فيها من العيون، ولا مبالغة فيه بخلاف قولنا: ﴿فجرنا الأرض عيونًا﴾ فإن معناه فجرنا أجزاء الأرض كلها بجعلها عيون ماء، ولا شك في أنه أبلغ. ولما كان الماء اسم جنس صح أن يقال: ﴿فالتقى الماء﴾ بدل فالتقى ماء السماء وماء الأرض، والظاهر أن قوله تعالى: ﴿على أمر﴾ حال من «الماء» أي فالتقى مياه السماء والأرض كائنة على المقدار الذي قدر الله تعالى في الأزل أن تكون عليه، أو التقيا كائنًا كل واحد منهما على مقدار الآخر مساويًا له كما قال مقاتل: قدر الله أن يكون الماءان سواء وكانا على ما قدرا، أو فالتقى الماء مستوليًا على ما قدره الله تعالى من هلاك قوم نوح. انتهى.

عريضة. ﴿وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث إنها شرح لها يؤدي مؤداها. ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمرأى منا محفوظة بحفظنا ﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ أي فعلنا ذلك جزاء لنوح لأنه نعمة كفروها، فإن كل نبي نعمة من الله ورحمة على أمته. ويجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير. وقرىء «لمن كفر» أي للكافرين. ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾ أي السفينة أو الفعلة. ﴿ءَايَةٗ﴾ يعتبر بها إذ شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾﴾

قوله: (جمع دسار) مثل كتاب وكتب، وكما أن الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور، فإن المسمار يدفع دفعًا شديدًا. **قوله:** (**أقيمت مقامها من حيث إنها شرح لها**) أي كالشرح يعني أن قوله تعالى: ﴿ذات ألواح ودسر﴾ لما كانت صفة كاشفة للسفينة مبينة لماهيتها لكونها مركبة من ألواح ودسر حسن إقامتها مقام السفينة، فإن تقدير الكلام وحملناه على سفينة ذات ألواح ودسر، فحذف الموصوف. وقوله: ﴿تجري﴾ في محل الجر على أنه صفة «ذات ألواح» و «بأعيننا» في موضع النصب على أنه حال من المنوي في «تجري» أي بمرأى منا محفوظة بحفظنا. **قوله:** (**أي فعلنا ذلك**) الإشارة إلى الأفعال المذكورة بقوله: «فتحنا» و «فجرنا» و «حملنا» أي فعلنا كله جزاء للمكفور وهو نوح عليه الصلاة والسلام، فإن إنجاءه وإهلاك مكذبيه جزاء له على ما تحمله من أذيتهم على أن يكون المراد بالكفر هو ضد الشكر وهو جحود النعمة، فإن الكفر بهذا المعنى يتعدى بنفسه يقال: كفره كفورًا وكفرانًا. ويجوز أن يراد به ما هو ضد الإيمان ويكون التقدير: لمن كان كفر به فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير، فإن الكفر الذي هو ضد الإيمان يعدى بالباء قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] والجمهور على أن «كفر» بضم الكاف وكسر الفاء على بناء المفعول. وقرىء «كفر» على بناء الفاعل والمراد بمن كفر قوم نوح. **قوله:** (**أي السفينة**) يعني الموصوفة بقوله: ﴿ذات ألواح ودسر﴾ ثم قيل: المراد ترك عينها على الجودي من أرض الجزيرة. وقيل: بأرض الهند. وقيل: المراد ترك مثلها في الناس فإنهم لم يعرفوا قبل ذلك اتخاذ السفن، فلما رأوا تلك السفينة صنعوا مثلها فكانت آية باقية وعبرة باهرة تدل على قدرة الله تعالى وحكمته وعظم فضله لعباده. عن قتادة أنه قال: أبقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وكذا عن ابن عباس. قال الإمام أبو الليث: قوله تعالى: ﴿تركناها آية﴾ يعني سفينة نوح أبقيناها عبرة للخلق. قال بعضهم: يعني تلك السفينة كانت باقية بعينها على الجبل إلى قريب من خروج النبي ﷺ. وقال بعضهم: يعني جنس السفينة صارت عبرة لأن الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس السفن بعد ذلك في البحر فلذلك كانت آية للناس. إلى هنا كلامه. **قوله:** (**أو الفعلة**) وهي إنجاء نوح

معتبر. وقرىء «مذتكر» على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالاً والإدغام فيها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ استفهام تعظيم ووعيد. والنذر يحتمل المصدر والجمع. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر إذا رحلها. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ للإذكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ متعظ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله، أو لمن بعدهم في تعذيبهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة أو شديدة الصوت ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ استمر شؤمه أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدًا واشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر. ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم. روي أنهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط

ومن آمن به من أصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب أليم. **قوله:** (**معتبر**) يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والإنابة. ثم إنه تعالى لما بيّن أنه أجاب دعوة نوح بأن فتح أبواب السماء بالماء المنهمر وفجر الأرض عيونًا وأنه حمل من آمن من عباده على السفينة، علم منه أنه تعالى عذب قومه بأسرهم بأن أغرقهم أجمعين فقال استعظامًا لذلك العذاب وإيعادًا لمشركي مكة ﴿فكيف كان عذابي﴾ الذي عذبتهم به؟ كيف كان عاقبة إنذاري وعنادهم؟ والنذر يحتمل أن يكون مصدرًا كالإنذار كما حكى عن الفراء أنه قال: تقول العرب: أنذرت إنذارًا ونذرًا كقولهم: أنفقت إنفاقًا ونفقة وأيقنت إيقانًا ويقينًا. ويحتمل أن يكون جمع نذير الذي بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار فالمعنى: فكيف كان عاقبة إنذاراتي لهم بالعذاب ألم أعذبهم بمرة واحدة بعدما تتابعت وتواترت عليهم إنذاراتي التي هي آثار رحمتي؟

قوله: (**باردة**) على أن يكون الصرصر مأخوذًا من الصر بكسر الصاد وهو برد يضر بالنبات والحرث. وفي الصحاح: ريح صرصر أي باردة ويقال: أصلها صرر من الصر، فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم: كبكبوا أصله كببوا، وتجفجف الثوب أصله تجفف. وعن المبرد: أن الصرصر الريح الشديد الصوت من صر الباب أو القلم إذا صوت. وقيل: الصرصر الدائمة الهبوب من أصر على الشيء إذا دام وثبت. **قوله تعالى:** (**في يوم نحس**) العامة على إضافة «يوم» إلى «نحس» بسكون الحاء وهو عند الكوفيين من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته فإنهم يجوزون ذلك خلافًا للبصريين فإنهم لا يجوزونها إلا بتأويل

على الأرض. وقيل: شبهوا بالإعجاز لأن الريح طيرت رؤوسهم وطرحت أجسادهم. وتذكير «منقعر» للحمل على اللفظ والتأنيث في قوله: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] للمعنى ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ كرره للتهويل. وقيل: الأول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال أيضًا في قصتهم ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ [فصلت: ١٦] ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾

حذف الموصوف من المضاف إليه فيقولون في مسجد الجامع مثلاً: تأويله مسجد الوقت الجامع وتأويل الآية: في يوم عذاب نحس، ويجعلون المضاف إليه صفة لموصوف محذوف. وقرىء بتنوين «يوم» ووصفه بنحس كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت: ١٦] جعل الاستمرار أولاً بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة لنحس إذ لا معنى لاستمرار اليوم بخلاف نحوسة أيام فإنه يجوز استمرارها. ثم أشار إلى جواز كون الدوام صفة لليوم بأن يكون اليوم بمعنى الوقت مطبقًا كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾ [مريم: ٣٣] حيث قال: أو استمر عليهم حتى أهلكهم. ويجوز أن يكون المراد به أن ذلك اليوم استحكم عليهم واشتد حتى أهلكهم على أن يكون الاستمرار من المرة وقوله: «أو على جميعهم» على أن يكون من المرور قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ﴾ [الحاقة: ٦، ٧] أي متتابعة وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء آخر الشهر إلى وقت غروب الشمس في الأربعاء الآخر. وتشاءم بعض الناس بالأربعاء الذي يكون في آخر الشهر بناء على أنه تعالى قال في حقه: ﴿يوم نحس مستمر﴾ ولا وجه له لأن المراد أنه نحس على المفسدين بمشيئة الله تعالى إذ لم يظهر نحسه في حق هود ومن آمن به، ولا في حق سائر المفسدين. والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين وقوله تعالى: ﴿تنزع الناس﴾ صفة لقوله: ﴿ريحًا صرصرًا﴾ ويجوز كونه حالاً منها لكونها موصوفة وقوله تعالى: ﴿كأنهم﴾ حال من الناس أي نازعة للناس مشبهين بأعجاز نخل وهي أصولها التي قلعت فروعها، لأن الريح كانت تبين رؤوسهم عن أجسادهم فتبقى أجسادهم بلا رؤوس. والمنقعر المنقلع عن أصله وقعر الشيء أصله يقال: قعرت النخلة أي قلعتها من أصلها فانقعرت أي انقلعت. والنخل جمع نخلة وتذكيره حيث قيل في صفته: «منقعر» باعتبار لفظه وتأنيثه في قوله تعالى: ﴿أعجاز نخل خاوية﴾ باعتبار معناه. وقيل: لرعاية الفواصل والمعنى: تنزعهم الريح نزعًا بعنف كأنهم أعجاز نخل تقعرهم فينقعرون. وفيه إشارة إلى قوتهم وثباتهم في الأرض لجسامتهم فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يتصدون لمقاومة الريح. ثم إن الريح لما صرعتهم وألقتهم على الأرض كانت كأنها قلعت أعجاز نخل

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ بالإنذارات أو المواعظ أو الرسل ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ من جنسنا أو من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده. وقرىء بالرفع على الابتداء والأول أوجه للاستفهام. ﴿وَٰحِدًا﴾ منفردًا لا تبع له أو من آحادهم دون أشرافهم. ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل: السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة. ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الكتاب والوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ حمله بطره على الترفع علينا بادعائه. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ الذي حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح أم من كذبه؟ وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس «ستعلمون» على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح. وقرىء «الأشر» كحذر في حذر والأشر أي الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير.

منقعر. **قوله:** (**بالإنذارات أو المواعظ**) الأول على أن يكون النذر مصدرًا كالإنذار، والثاني على أن يكون جمع نذير بمعنى الإنذار والموعظة كالنكير بمعنى الإنكار، والثالث على أن يكون جمع نذير بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين للرسل مع أنهم كذبوا رسولهم صالحًا عليه الصلاة والسلام لأن تكذيبه فيما جاء به تكذيب للرسل جميعًا في الحقيقة لأنهم متفقون في أصول الدين. **قوله:** (**والأول أوجه للاستفهام**) أي كونه منصوبًا على الاشتغال بمعنى أنتَّبع بشرًا منا نتبعه أوجه لأنه حينئذٍ تكون أداة الاستفهام داخلة على الفعل على الأصل. **قوله:** (**كأنهم عكسوا الخ**) يعني كان صالحًا عليه الصلاة والسلام يقول لهم: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران هائلة في العقبى، وهي المراد بالسعر الذي هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إذًا كما تقول. **قوله تعالى:** (**من بيننا**) حال من هاء عليه أي أخصص بالرسالة والوحي منفردًا من بين آل ثمود وفيهم من هو أكثر مالاً وأحسن حالاً. والاستفهام للإنكار. والأشر صفة مشبهة مثل فرح وفعله أشر يأشر أشرًا فهو أشر من باب علم.

قوله: (**وقرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون**) أي بتاء الخطاب وفيه وجهان: أحدهما أنه حكاية قول صالح لقومه والثاني أنه خطاب الله تعالى وكلامه لهم على سبيل الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿فقالوا﴾ وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله: ﴿فقالوا﴾ والجمهور على كسر الشين وتخفيف الراء في قوله من الكذاب الأشر. وقرىء «الأشر» بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان بمعنى مثل يقظ ويقظ وحذر وحذر، وقرىء أيضًا «الأشر» بفتح الشين وتشديد الراء وهو أفعل تفضيل من الشر أصله أشر كما أن خيرًا أصله أخير حذفت همزة

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرجوها وباعثوها ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما يصنعون. ﴿وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ على أذاهم ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ يحضره صاحبه في نوبته أو يحضر عنه غيره ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها، أو فتعاطى السيف فقتلها. والتعاطي تناول الشيء بتكلف. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صيحة جبرائيل ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها، أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء. وقرىء بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾

أفعل منهما لكثرة دورانهما في الكلام. ثم إن ثمود لما كذبوه وتعنتوا عليه سألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، وهي الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال كذلك اسمها حتى تضع، فدعا صالح ربه فأوحى الله تعالى إليه فقال تعالى: ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ أي باعثوها ومخرجوها من الصخرة كما اقترحوا وقوله: ﴿فتنة لهم﴾ مفعول له فإن تحقق ما اقترحه القوم يشبه الامتحان أي محنة لهم واختبارًا فإن المعجزة فتنة لأن بها يتميز المثاب من المعذب حيث يظهر بها للخلق ويتميز من يتبع الهدى والبينة ممن يتبع الهوى، فمن أصر على الضلال بعد ما شاهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فإن سنة الله جرت كذلك كما قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. **قوله: (قسمة بينهم)** أي مقسوم أو ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم في القسمة. **قوله: (لها يوم ولهم يوم)** إشارة إلى أن كون الماء الذي يشربونه مقسومًا بين القوم والناقة ليس معناه أن الماء قسمان: قسم لها وقسم لهم، بل المراد أن يجعل الشرب بينهم على طريق المناوبة بأن يحضره القوم يومًا وتحضره الناقة يومًا. **قوله: (يحضره صاحبه)** إشارة إلى أن حضره واحتضره بمعنى والظاهر أن قوله: «أو يحضر عنه» بمعنى أو يمنع عنه إلا أن استعمال الحضر بالضاد في معنى المنع ليس بمعهود، والذي بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والفاء في قوله تعالى: ﴿فنادوا صاحبهم﴾ فصيحة تفصح أن في الكلام محذوفًا تقديره: فبقوا على ذلك زمانًا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم، فإن الناقة مع فصيلها كانت تمشي في الصيف في مصيف مواشيهم فتهرب المواشي منهما فتبقى في موضعها الذي تمشي فيه، وكانا يمشيان وقت الشتاء في مشتى المواشي فتهرب المواشي منهما فيبقين في الضيق

ريحًا تحصبهم بالحجارة أي ترميهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾﴾ في سحر وهو آخر الليل، أو مسحرين ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ إنعامًا منا وهو علة لنجينا. ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب

فغلب عليهم الشقاوة فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض: نكمن للناقة حيث تمر إذا صدرت عن الماء، فتحاماها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها وصاح به بقية الرهط أي نبهوه على صدورها ومجيئها وقدومها من مكمنه ودعوه إلى قتلها وشجعوه عليه، فتعاطى أي فاجترأ على تعاطي قتلها والإقدام عليه. فإن التعاطي عبارة عن الإقدام على الفعل العظيم وتحقيقه أن الفعل العظيم يتبرأ منه كل أحد ويعطيه صاحبه، أي فتعاطى صاحبهم آلة العقر فعقرها بها. قيل: كمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها. والعرب تسمي الجزار قدارًا تشبيهًا له بقدار بن سالف مشؤوم آل ثمود. والعقر الجرح ثم استعير للقتل. واحيمر تصغير أحمر صغر تحقيرًا له وكان قدار أحمر أشقر. ولما استعظم الله تعالى عذابهم بيّن ذلك العذاب بقوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ صاح فيهم جبريل عليه الصلاة والسلام. والعامة على كسر الظاء من المحتظر على أنه اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره. والهشيم حطام الشجر والنبت اليابس، ومن اتخذ لغنمه حظيرة يقيها عن البرد والريح يتخذها من دقاق الشجر وضعيف النبات، فإذا طال عليها الزمان بليت وتكسرت وصارت هشيمًا. وقرىء «كهشيم المحتظر» بفتح الظاء إما على أنه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة وهو نفس الحظيرة فالمعنى: كهشيم الحظيرة التي تمنع بها المواشي عن البرد والريح، أو على أنه مصدر ميمي بمعنى الاحتظار سمي الشجر المتخذ للحظيرة محتظرًا لكونه مادة للاحتظار، أو اسم مكان أطلق على مادة المحتظر باعتبار توهم المكانية فيها. **قوله**: (ريحًا تحصبهم) إشارة إلى أن الحاصب اسم فاعل بمعنى رامي الحصباء وهي الحجارة خذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندًا إلى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لكونها في تأويل العذاب، وقوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ﴾ [هود: ٨٢؛ الحجر: ٧٤] وكذا قول الملائكة: ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ﴾ [الذاريات: ٣٣] يدلان على أن الذي أرسل عليهم نفس الحجارة لا التي تحصبها إلا أنه قيل ههنا: ﴿أرسلنا عليهم ريحًا حاصبًا﴾ للدلالة على أن أمطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح الحاصبة بالحجارة. والاستثناء في قوله تعالى: ﴿إلا آل لوط﴾ منقطع لأنه مستثنى من الضمير في «عليهم» وهو ضمير القوم المذكور بقوله: ﴿كذبت قوم لوط﴾ ولا يدخل فيهم آل لوط لأن المراد به من تبعه على دينه ونون سحرًا لأن المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الأسحار، ولو أريد سحر يوم بعينه

﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ فكذبوه بالعذاب متشاكين ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ قصدوا الفجور بهم ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسخناها وسويناها كسائر الوجه. روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فأعماهم. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقرىء «بكرة» مصروفة على أن المراد بها أول نهار معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ يستقر بهم حتى يسلمهم إلى النار ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ كرر ذلك في كل قصة إشعارًا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ، واستئنافًا للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣] وأماكن أخرى في نفس السورة. و﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ ونحوهما ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني الآيات التسع ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ لا يعجزه شيء ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا معشر العرب ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين

لقيل: نجيناهم بالسحر. وإسناد التنجية إليه تعالى باعتبار كونه سببًا آمرًا له بأن يخرج بهم بقطع من الليل أي يخرج فيه فجاء العذاب قومه وقت السحر والسحر سحران: الأول قبيل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه، والباء في قوله: ﴿بسحر﴾ يجوز أن تكون بمعنى في وأن تكون للحال أي ملتبسين بسحر أو مسحرين أي داخلين في وقت السحر.

قوله تعالى: (فتماروا) تفاعلوا من المرية أي تشاركوا في الشك فيما أنذرهم به وكذبوه وقالوا: كيف يقدر على إهلاكنا وحده. وعدي «فتماروا» بالباء وأصله أن يتعدى بـ «في» لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل: فكذبوا بالنذر متشاركين. والمراودة الطلب والإرادة أي طلبوا منه وأرادوا أن يسلم إليهم أضيافه ويخلي بينهم وبينهم ﴿فطمسنا أعينهم﴾ وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط: خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه بإذن الله تعالى فتركهم عميًا بحيث صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: طمس الأعين عبارة عن مجرد أنهم لم يروا الرسل وقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا؟ فلم يروهم فرجعوا. **قوله تعالى: (بكرة)** قرأ العامة «بكرة» بالتنوين لكونها نكرة فلا وجه لمنع الصرف. وقرىء «غير منون» عل أن يراد بها بكرة نهار معين لا بكرة من البكر فامتنع صرفه للتأنيث والتعريف.

قوة وعدة أو مكانة ودينًا عند الله تعالى ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣)﴾ أم أنزل لكم في الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب. ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جماعة مرنا مجتمع ﴿مُنْتَصِرٌ (٤٤)﴾ ممتنع لا نرام أو منتصر من الأعداء لا نغلب، أو متناصر ينصر بعضنا بعضًا والتجويد على لفظ الجمع. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)﴾ أي الإدبار وإفراده لإرادة الجنس، أو لأن كل أحد يولي ومرة قد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة من عمر رضي الله عنه أنه لما نزلت قال: لم أعلم ما هو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع﴾ فعلمته. ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشد والداهية أمر فظيع لا يهتدي لدوائه. ﴿وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ مذاقًا من عذاب الدنيا. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ (٤٧)﴾ ونيران في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يجرون عليها ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)﴾ أي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فإن مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك

قوله: (**قوة وعدة**) يعني أن الخيرية مع أنه لا خير في كل واحد من الفريقين إما باعتبار القوة وكثرة أسباب المقاومة، وإما باعتبار الدنيا وكثرة أسباب زينتها. **قوله:** (**أم يقولون**) قرأ العامة «أم يقولون» بياء الغيبة على الالتفات. **قوله:** (**ممتنع لا نرام**) أي لا نزال عن موضعنا يقال: رامه يريمه ريمًا أي برحه وزال عنه وصار إلى البراح وهو المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر. روي أن أبا جهل كان يعلف كل يوم فرسًا له فرقًا من ذرة، وكان يحلف باللات والعزى ليقتلن عليه محمدًا، فركبه يوم بدر وجعل يطارد مطاردة الأقران في الحرب وإذ حمل بعضهم على بعض جعلوا يقولون: نحن جميع منتصر ممن عادانا، فقتل على يد ابن مسعود رضي الله عنه. **قوله:** (**وهو من دلائل النبوة**) لأن الآية نزلت بمكة وأخبر بها أنهم سيهزمون في الحرب فكان كما قال ولا طريق إلى علم الغيب إلا الوحي، فعلم أن الآية وحي إلـهي. **قوله:** (**لم أعلم ما هو**) أي لم أعلم أي جمع يهزم أجمعنا أم جمع الكفار؟ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين. **قوله تعالى:** (**بل الساعة**) إضراب عن ذكر هزيمتهم في الدنيا. **قوله تعالى:** (**يوم يسحبون**) يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: ﴿في ضلال وسعر﴾ وأن يكون ظرفًا للقول المقدر بعده أي يقال لهم في ذلك اليوم: ﴿ذوقوا مس سقر﴾. **قوله:** (**فإن مسها سبب للتألم بها**) علة لتفسير «مس سقر» بحر النار وألمها، يعني أن مس النار لما كان سببًا للتألم بها صح أن يعبر عن المس بالتألم والاحتراق مجازًا مرسلاً. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قاله قوله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال﴾ إلى قوله: ﴿مس سقر﴾ نزل في حق القدرية. وعنه أيضًا

لم يصرف من سقرته النار، وصقرته إذا لوحته. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

أنه قال: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديًا فينادي نداء يسمعه الأولون والآخرون: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار ويقول الله تعالى: ﴿ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾» وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مجوس هذه الأمة القدرية». وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ وكثرت الأحاديث في حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر وينسبون الحوادث كلها إلى الأوضاع الفلكية واتصالات الكواكب ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فأنزل الله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ إلى قوله: ﴿خلقناه بقدر﴾ رواه مسلم في صحيحه. فإن مذهبهم ذلك. واعلم أن المسلمين في مسألة القدر طوائف: فطائفة تقول: كل ما يجري في العالم من الخير والشر والأفعال والأقوال بقضاء الله تعالى وقدره لا اختيار للعبد فيه، وتسمى هذه الطائفة جبرية بسكون الباء وفتحها ومعنى الجبر القهر والإكراه ويقولون: أجبر الله تعالى عباده على أفعالهم وأقوالهم فلا اختيار لهم فيها، وإضافة الفعل إليهم كما يقال: جرى النهر ودارت الرحى. ومن ذهب إلى هذا القول لإسقاط التكليف عن نفسه فقد كفر بهذا القول لأنه يفضي إلى إبطال الكتب والرسل لأنه إذا لم يكن للعباد اختيار لم يكونوا مكلفين، فلم يبق لإنزال الكتب وبعثة الرسل حينئذٍ فائدة. وإن قالوا هذا القول لا عن اعتقاده بل قالوه لتعظيم الله تعالى وتحقير أنفسهم وإظهار عجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لا يكفرون به بل يصيرون مبتدعين فاسقين، لأنهم خالفوا الإجماع في الاعتقاد. والطائفة الثانية القدرية بفتح الدال وسكونها وهم يقولون: كل ما يصدر من العباد عقيب قصدهم على وفق إرادتهم يكون واقعًا بقدرتهم ودواعيهم ولا يتعلق به بخصوصه قدرة الله تعالى وإرادته، وإنما نسبوا إلى القدر لأن بدعتهم نشأت من قولهم في القدر لنفيه لا لإثباته، وهذه الطائفة قد نفوا هذه التسمية عنهم وقالوا: إن مذهب القدر هو مذهب الجبر لأنهم قالوا: أفعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه لأنهم أسندوا الفعل إلى التقدير. وقيل: إن هذا المذهب باطل أيضًا لأنهم إن قالوا هذا القول عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين، وإن قالوه لا عن اعتقاد ذلك بل عن خطأ ظنونهم واجتهادهم ولتنزيه الله تعالى عن أفعالهم القبيحة فليسوا بكافرين بهذا القول ولكن كانوا مبتدعين فاسقين لأنهم خالفوا الإجماع. وفيه مذهب آخر وهو أن المؤثر مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر. وقيل: هو أقرب إلى الحق منهما لكونه مطابقًا للعقل وموافقًا لكتاب الله وكلام رسوله، ولما نقل عن الراسخين في العلم: أنه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، وهذا القول

أي أنّا خلقنا كل شيء مقدرًا مرتبًا على مقتضى الحكمة، أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح قبل وقوعه. و«كل شيء» منصوب بفعل يفسره ما بعده، وقرىء بالرفع على الابتداء. وعلى هذا فالأولى أن يجعل «خلقناه» خبرًا لا نعتًا ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل

منقول عن جعفر الصادق. كذا في شرح المصابيح للإمام الخلخالي. قال الإمام: كل فرقة في خلق الأعمال تذهب إلى أن القدري خصمها، فالجبري يقول: القدري من يقول الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله تعالى وقضائه وقدره فهم قدرية لأنهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول: القدري هو الجبري الذي يقول حين يزني العبد ويسرق الله تعالى قدر ذلك، فهو قدري لإثباته القدر حيث قال كل واحد من الخير والشر بقدر الله تعالى لا اختيار للعبد فيه.

والفريقان متفقان على أن القائل بأن الأفعال بخلق الله وكسب من العبد ليس بقدري. والحق أن القدري هو الذي ينكر القدر رأسًا وينسب الحوادث إلى الأوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب إليه كفار قريش فإنهم ما كانوا يقولون مثل ما يقوله المعتزلة من أن الله تعالى خلق لي سلامة الأعضاء وقوة الإدراك ومكنني من الطاعة والمعصية وهو قادر على أن يخلق فيّ الطاعة إلجاء والمعصية إلجاء، وعلى أن يطعم الفقير الذي أطعمه أنا بفضل الله تعالى وإقداره إياي عليه، بل كانوا يقولون: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، منكرين لقدرة الله تعالى على الإطعام. انتهى. **قوله**: (**أي إنا خلقنا كل شيء مقدرًا**) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿بقدر﴾ حال من ﴿كل شيء﴾ وأنه بمعنى التقدير. ثم إن التقدير إما أن يحمل على تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] بأن جعل جميع ما فيه من الأوضاع والأشكال موافقًا لمقتضى الحكمة. وإما أن يحمل على تقديره في علمه الأزلي وكتبه في اللوح المحفوظ وهو القدر الذي يذكر في جنب القضاء. قال المصنف في شرح المصابيح: القضاء هو الإرادة الأزلية والعناية الإلٰهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء في أوقاتها. انتهى كلامه. فقوله تعالى: ﴿بقدر﴾ أي بتقدير وقضاء سبق من الله تعالى. **قوله**: (**وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبرًا لا نعتًا**) يعني أن الجمهور على نصب «كل» على الاشتغال وحينئذٍ يتعين أن يكون «خلقناه» تأكيدًا وتفسيرًا لخلقنا المضمر الناصب لكل والتقدير: إنّا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر. ولا يجوز أن يكون «خلقناه» صفة لشيء لأن الصفة كما لا تعمل فيما قبل الموصوف لا تكون تفسيرًا لما يعمل فيما قبلها أيضًا، فإذا لم يجز كون «خلقناه» صفة تعين كونه تأكيدًا أو تفسيرًا للمضمر الناصب بخلاف ما إذا رفع «كل

شيء مخلوق بقدر. ولعل اختيار النصب ههنا مع الإضمار لما فيه من النصوصية على المقصود. ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة، أو إلا كلمة واحدة وهو قوله: ﴿كن﴾ ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ في اليسر والسرعة. وقيل: معناه معنى قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر ممن قبلكم. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾ متعظ ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ مكتوب في كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ﴿مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ مسطور في اللوح. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ أنهار

شيء» على الابتداء لأنه حينئذٍ يجوز أن يكون «خلقناه» صفة «لكل شيء» و«بقدر» خبرًا فيكون المعنى: كل شيء موصوف بكونه مخلوقًا لنا فهو بقدر وقضاء سابق من الله تعالى. والمفهوم أن من الموجودات ما هو مخلوق لغير الله تعالى وأنه ليس بقدر كما تقوله المعتزلة. ويجوز أن يكون «خلقناه» خبرًا لا نعتًا وحينئذٍ تكون قراءة الرفع موافقة لقراءة النصب في الدلالة على أن الأشياء كلها مخلوقة لله تعالى بقدر كما هو مذهب أهل السنة.

قوله: (ولعل اختيار النصب ههنا) جواب عن ما يقال: كيف اختار الجمهور قراءة النصب مع أن التركيب من قبيل قولك: زيد ضربته، والمختار فيه الرفع لأن النصب يحتاج إلى حذف العامل أو إضماره والأصل عدمهما، بخلاف الرفع فإنه بعامل معنوي لا يتلفظ به حتى يقال حذف أو أضمر؟ وتقرير الجواب أنه على قراءة النصب يكون «كل شيء» باقيًا على عمومه حيث لم يوصف ولم يخصص بالصفة فيكون الكلام نصًا في الدلالة على المقصود وهو كون الأشياء بأسرها مخلوقة لله تعالى بقدر، بخلاف قراءة الرفع فإن قوله: «خلقناه» حينئذٍ وإن جاز كونه خبرًا فيكون الكلام دليلاً على ما هو المقصود إلا أنه يجوز كونه نعتًا لا خبرًا فلا يفيد الكلام ما هو المقصود فاختير قراءة النصب لما فيها من النصوصية على المقصود. والمشهور أن قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ متعلق بما قبله كأنه قيل: ذوقوا مس سقر فإن كل شيء خلقناه بقدر. ويجوز أن يكون متعلقًا بجميع ما ذكر في السورة من إهلاك الأشرار وإنجاء الأخيار، ووعيد أهل مكة من المشركين ووعد المؤمنين. ثم بيّن أن خلق الكائنات أهون شيء عليه وأيسره فقال: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ واللمح النظر بسرعة واختلاس يعني أن قضائي وخلقي أيسر وأسرع من لمح البصر، والمقصود تهديد المشركين بالإهلاك فلذلك عقبه بقوله: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ ثم بيّن أن عقوبة الأشياع المهلكين لم تتم بهلاك الدنيا بل ينضم إليها عقاب الآخرة فقال: ﴿وكل شيء فعلوه﴾ يعني الأشياع قبلكم ﴿في الزبر﴾ أي مكتوب في دواوين الحفظة على الزبر جمع زبور وهو فعول بمعنى مفعول من زبره إذا كتبه. وتنكير «جنات» للتعظيم أي في جنات لا يوصف نعيمها وما

واكتفى باسم الجنس أو سعة أو ضياء من النهار وقرىء بسكون الهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد. ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضي. وقرىء «مقاعد صدق» ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ مقربين عند من تعالى أمره في الملك والاقتدار بحيث أبهمه ذوو الأفهام. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر».

أعد فيها لأهلها. وقرأ الجمهور و«نهر» بفتحتين على الأصل، وقرىء بسكون الهاء للتخفيف وكلاهما واحد الأنهار اكتفى بواحد لكونه اسم جنس يتناول الأنهار وهو المراد بدليل ذكره بقرب جنات. كأنه قيل: في جنات وأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل. والظاهر أن يقال: في جنات عند أنهار لأن الإنسان إنما يلتذ بالأنهار بأن يكون عندها لا بأن يكون فيها، فالمعنى في خلال الأنهار وما بينها من الأمكنة، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥؛ الذاريات: ١٥] معناه في خلال العيون.

قوله: (أو سعة) عطف على قوله: «أنهار» يعني أن النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل أيضًا بمعنى السعة يقال: أنهرت الطعنة أي وسعتها، واستنهر الشيء إذا اتسع، ويسمى النهار نهارًا لسعة ضيائه. وقال الضحاك: ليس المراد بالنهر هنا نهر الماء، وإنما المراد سعة الأرزاق لأن المادة تساعد هذا المعنى. ويجوز أن يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على أنه من النهار. ومن قرأ «نهر» بضمتين جعله جمع نهر بفتحتين كأسد وأسد، أو جمع نهر بالفتح والسكون كرهن ورهن وسقف وسقف. **قوله:** (في مكان مرضي) إشارة إلى أن «مقعد صدق» من باب رجل صدق في أنه من إضافة الموصوف إلى الصفة، وأن الصدق بمعنى الجودة والخيرية وقوله تعالى: ﴿في مقعد صدق﴾ يجوز أن يكون خبرًا ثانيًا وهو الظاهر، وأن يكون حالاً من المنوي في قوله: ﴿في جنات﴾ لوقوعه خبرًا. وجوّز أبو البقاء أن يكون بدلاً من قوله: ﴿في جنات﴾ بدل بعض لأن المقعد بعضها، أو بدل اشتمال لأنها مشتملة عليه. والأول أظهر والمراد بالعندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان. والمليك من الملك والتنكير فيه. وفي قوله: ﴿مقتدر﴾ للتعظيم أشار إليه المصنف بقوله: «عند من تعالى أمره». انتهى. **قوله:** (في كل غب) أي من اعتاد أن يقرأها يومًا ويتركها يومًا. تم هنا بحمد الله ورحمته ما يتعلق بسورة القمر. وسأبدأ بكشف أسرار سورة الرحمن مستعينًا به ومتوكلاً عليه سبحانه وتعالى.

سورة الرحمن

مكية أو مدنية أو متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية الأخروية صدّرها بالرحمٰن وقدّم ما هو أصل النعم الدينية وأجلها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي وأعز الكتب. إذ هو بإعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصدق لها. ثم اتبعه قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ إيماء بأن خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع. وإخلاء الجمل الثلاث التي هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعداد.

سورة الرحمٰن

مكيـة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وبه الإعانة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قوله: (مكية) أي عند ابن عباس والضحاك. ومدنية عند مقاتل وابن حبان والواقدي. وقيل: مكية إلا آية وهي قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] الآية فإنها مدنية. **قوله تعالى:** (الرحمٰن) مبتدأ والجمل الثلاث بعده أخبار مترادفة. و«علّم»

....

يتعدى إلى مفعولين حذف مفعوله الأول في الآية والتقدير: علم جبريل القرآن. وقيل: علم محمدًا ﷺ. وقيل: علم الإنسان القرآن. وهذا أولى لأن المقصود تعداد ما أنعم به على نوع الإنسان مطلقًا حثًا على شكره وتنبيهًا على تقصيرهم فيه، ولأن قوله عقيبه: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ يدل عليه. **قوله:** (صدّرها بالرحمٰن) جواب لما فوجب أن يكون مسببًا عما قبله، فإن الرحمٰن لما كان أبلغ من الرحيم باعتبار الكيفية أي باعتبار أن الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحمٰن هي جلائل النعم، فلذلك يقال: يا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا، لأن النعم الأخروية كلها جسام-فلا يقال له تعالى باعتبار تلك النعم رحيمًا، بخلاف النعم الدنيوية فإن منها ما هي جليلة ومنها ما دون ذلك فيوصف تعالى باعتبار تلك النعم بالرحمٰن كما يوصف به باعتبار النعم الأخروية، فصح أن يجعل قوله: «صدرها بالرحمٰن» مرتبًا على كون السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية. **قوله:** (وقدّم ما هو أصل النعم) ليس معطوفًا على قوله: «صدرها» بل هو جواب عما يقال: كيف قدم تعليم القرآن للإنسان على خلقه مع أنه متأخر عن خلقه بحسب الوجود؟ فأجاب عنه بأنه قدم تعليم القرآن ثم اتبعه قوله: «﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ إيماء بأن خلق البشر» الخ يعني أن تعليم القرآن وإن كان متأخرًا عن خلق الإنسان إلا أنه قدم عليه إيماء إلى أن خلق الإنسان ليس مقصودًا لذاته بل المقصود الأصلي من خلقه، والحكمة الداعية إليه هو استكماله بحسب قوته النظرية العملية بمعرفة مبدئه ومعاده وأن يتحلى بعبادة ربه، وذلك إنما يكون بتلقي الوحي وتعرف ما يستنبط من علومه. فلما كان تعليم القرآن وتعرف أحكامه هو المقصود الأصلي والحكمة الداعية إلى خلق الإنسان استحق أن يقدم عليه لأن الأهم أقدم، فلذلك قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان وقدم خلقه على تعليم البيان لكون التعليم متفرعًا على الخلق ضرورة أن الكمالات كلها من توابع أصل الوجود. ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون تعليمه في حكم أصل الخلق من حيث إن المقصود منه أيضًا تعليم القرآن وأحكام الشرع، لأنه لولا البيان لما تمكن من تعلم القرآن وتعليمه. وقوله: «مصدق لنفسه» أي بإعجازه وقوله: «ومصداق لها» أي لسائر الكتب السماوية لاشتماله على خلاصتها.

قوله: (لمجيئها على نهج التعداد) إذ مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه على تقصير الإنسان فيه يقتضي إيرادها على نهج التعداد إذ به يظهر أن كل واحدة منها مستقلة في الاعتداد والاعتناء بشأنها منفردة عن النعم الباقية، ولو جيء بالعاطف صارت الكل كالنعمة الواحدة وفاتت هذه الفائدة.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب. ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ النبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له. ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. ﴿يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ ينقادان لله فيما يريد بهما طبعًا انقياد الساجد من المكلفين طوعًا. وكان حق النظم في الجملتين أن يقال: وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر، أو الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له لتطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمٰن، لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال إشعارًا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على أن ما يحس

قوله: (يجريان بحسبان) إشارة إلى أن قوله: «الشمس» مبتدأ و«القمر» عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله: «بحسبان»، وأن الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالشكران والغفران والرجحان. وقيل: الحسبان جمع حساب كشهاب وشهبان وكل واحد منهما يجري بحساب في منازل لا يعدوها: فالشمس تقطع بروج السماء في ثلثمائة وخمسة وستين يومًا، والقمر يقطعها في ثمانية وعشرين يومًا. ثم إنه تعالى لما ذكر نعمة إيجاد نفس الإنسان الذي هو أصل جميع النعم وإنعامه عليه بتعليمه البيان، ذكر نعمتين عظيمتين سماويتين يترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقرر فوائد لا تحصى، ثم ذكر في مقابلتهما نعمتين أرضيتين وهما: النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذي هو أصل الرزق من الحبوب والثمار وحشيش الدواب. والنجم كل نبات ينجم من الأرض ولا يبقى له ساق في الشتاء، والشجر نبات يبقى ساقه. **قوله تعالى: (يسجدان)** من قبيل الاستعارة التبعية شبه انقيادهما طبعًا بانقياد المكلفين طوعًا أي قصدًا واختيارًا، وهو المسمى بالسجود عند أهل اللغة فسمي المشبه باسم المشبه به. **قوله: (وكان حق النظم في الجملتين)** يعني أن هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة في أنهما أخبار مترادفة للرحمٰن مثل تلك الجمل. ومن حق الخبر إذا كان جملة اشتماله على الضمير الراجع إلى المبتدأ كما في تلك الجمل إلا أنهما جردتا عن الضمير الرابط اعتمادًا على وضوح المراد، فإنه من المعلوم أن الحسبان حسبانه الذي قدره لها وأن المسجود له هو الرحمٰن ولا يذهب الوهم إلى احتمال آخر. **قوله: (وإدخال العاطف بينهما)** لما بيّن أن الجمل الثلاث الأول أخليت عن العاطف لكون المقصود منها تبكيت من أنكر الرحمٰن وآلاءه بتعديد نعمه عليه واحدة بعد واحدة، وذلك يقتضي الإخلاء عن العاطف حتى يعلم أن كل واحدة نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية، بيّن أنه أدخل العاطف بين الجملة الرابعة والخامسة جريًا على ما يقتضيه ظاهر الحال. فإنه قد تقرر في علم المعاني أنه إذا أتت جملة بعد جملة أخرى وكان

به من تغيرات أحوال الأجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره. ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة فإنها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته. وقرىء بالرفع على الابتداء. ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفّى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام، كما قال عليه السلام: «بالعدل قامت السمٰوات والأرض» أو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث إنها مصدر القضايا والأقدر أراد وصف الأرض بما فيها مما يطهر به التفات ويعرف به المقدار ويستويه الحقوق والمواجب. ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ

للأولى محل من الإعراب فإن قصد تشريك الثانية للأولى في حكم إعراب الأولى، عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك المذكور. ثم إن كان العطف بالواو وجب أن يكون بين الجملتين جهة جامعة نحو: زيد يكتب ويشعر أو يعطي ويمنع لما بين المنع والإعطاء من التضاد. والجهة الجامعة بين الجملتين في الآية أن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله تعالى فهو مناسب لسجود الشمس والقمر وانقيادهما طبعًا في كون الجميع من قبيل الانقياد لأمر الله تعالى وحاصلاً بتقديره وتدبيره في ملكه. **قوله: (خلقها مرفوعة محلاً)** يعني أن المراد برفع السماء خلقها رفيعة القدر والمرتبة. وقيل: رفعها على الأرض وعطف المرتبة على المحل بالواو دليل على أنه لم يرد بالمحل مكان الحلول بل أراد به القدر والمنزلة المعنوية وإلا لوجب أن يعطف المرتبة عليها بكلمة، أو احترازًا عن الجمع بين الحقيقة والمجاز فإن لفظ الرفع حقيقة في رفع الشيء مكانًا عليًا ومجاز في رفع مرتبته وقدره إلا أن يقال: الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز عند الأئمة الشافعية، فالمصنف بنى العطف بالواو على مذهبه. **قوله: (العدل أو ما يعرف به مقادير الأشياء)** أي يجوز أن يراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة أمور العباد، فإنه إذا وفى كل ذي حق حقه ووفر على كل مستعد ما استحقه استراح الخلق وانتظم أمر العالم، فيكون وضع الميزان عبارة عن الأمر بالعدل. والجملة الخبرية موضوعة موضع الطلبية. وكذا إن أريد بالميزان آلة الوزن أي وأمرنا باستعمال ما يعرف به مقادير الأشياء عند الأخذ والإعطاء لئلا يبخسوا الناس أشياءهم. **قوله: (كأنه لما وصف السماء الخ)** إشارة إلى بيان التناسب بين قوله: ﴿والسماء رفعها﴾ وبين قوله: ﴿ووضع الميزان﴾ والمصنف جعل الخبرية باقية على حالها حيث فسر وضع الميزان بمعنى العدل بقوله: «بأن وفر على كل مستعد» الخ أي كان عادلاً مجانبًا عن الجور والظلم في جميع ما أبدعه من أجزاء العالم ولم يفعل شيئًا من المصنوعات إلا على حسب ما تقتضيه الحكمة، فانظر إلى أجزاء وجودك كيف عدل سبحانه وتعالى ترتيبها فإنه تعالى ركبك من العظم واللحم والجلد وجعل العظم عمادًا مستبطنًا وجعل اللحم مكتنفًا إياه وجعل الجلد

﴿فِي ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ لأن لا تطغوا فيه أي لا تطغوا فيه أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف. وقرىء «لا تطغوا» على إرادة القول.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ ولا تنقصوه فإن من حقه أن

حافظًا له محيطًا به، فلو عكس هذا الترتيب وأظهر ما أبطن لبطل النظام. ووضع كل واحد من أعضائك في موضعه الخاص عدلاً وحكمة حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما، وذلك أن السماء والأرض متناسبتان من جهة التقابل وكذا وضع الميزان في الأرض بأي معنى كان مناسب لخلق السماء الرفيعة القدر والرتبة من حيث إن كل واحد من الوضعين يوجب شرفًا لمحله، ولما وصف السماء بما هو صفة مدح لها وصف الأرض وما فيها بما ينوط به مصالح أهلها.

قوله: (لأن لا تطغوا) يعني أن كلمة «أن» هي الناصبة و«لا» بعدها نافية و«تطغوا» منصوب «بأن» ولام العلة مقدرة قبلها متعلقة بقوله: ﴿ووضع الميزان﴾ والطغيان مجاوزة الحد والتقدير: وضع الميزان لئلا تجاوزوا في الميزان أي في العدل، أو في آلة التسوية. وقرأ عبد الله: «لا تطغوا» بغير «أن» على إضمار القول أي قال لكم لا تطغوا. فمن قال الميزان هو العدل قال الطغيان الجور، ومن قال إنه آلة التسوية قال طغيانه البخس. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: معناه لا تخونوا من وزنتم له. ثم قال تعالى: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ أي قوموا وزنكم واجعلوه مستقيمًا ملتبسين بالعدل، فإن القسط العدل. وقيل: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل. وقيل: هو أمر بالمعاملة بالوزن ملابسًا بالعدل وعدم تركه في المعاوضات. وقوله تعالى: ﴿ولا تخسروا﴾ الجمهور على رفع التاء وكسر السين من أخسرت بمعنى نقص كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] أي لا تنقصوا ما توفون به من الحقوق. وقرىء «ولا تخسروا» بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب يضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل بمعنى يقال: خسر الشيء وأخسرته أي نقصته على أنهما لغتان بمعنى. وقرىء بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى أيضًا. وقرىء بفتح التاء والسين أيضًا من باب علم وهذا البناء لازم لا يتعدى بنفسه فيكون أصله «لا تخسروا في الميزان» فحذف الجار وأوصل الفعل. قيل: لا حاجة إلى ذلك لأن خسر بكسر السين قد جاء متعديًا قال تعالى: ﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢ و٢٠؛ الأعراف: ٩] وآيات أخرى و﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ وأجيب عنه بأن خسر الذي في الآية ليس من ذاك. ألا ترى أن ﴿خسروا أنفسهم وخسر الدنيا والآخرة﴾ معناه أن الخسران واقع لهما وأنهما يعدمان، وهذا المعنى ليس بمراد في الآية قطعًا وإنما المراد لا تخسروا الموزون في الميزان.

يسوي لأنه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله. وقرىء «ولا تخسروا» بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل. ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوة ﴿لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ للخلق. وقيل: الأنام كل ذي روح. ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب مما يتفكه به ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾ أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطى ليف وسعف وكفرى فإنه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والجمار والثمرة. ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به. والعصف ورق النبات اليابس كالتين. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ يعني المشموم، أو الرزق من قولهم: خرجت أطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أي وخلق الحب والريحان أو أخص. ويجوز أن يراد وذا الريحان بحذف المضاف. وقرأ حمزة والكسائي و«الريحان» بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف وقيل: «روحان» فقلب واوه ياء للتخفيف.

قوله: (وتكريره مبالغة) جملة اسمية يعني أن قوله: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ تكرير لقوله: ﴿لا تطغوا في الميزان﴾ من حيث المعنى، فإن من فسر الميزان بآلة التسوية يقول: الطغيان في الوزن نقص الموزون فيكون قوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٩] تكريرًا له. قيل: ذكر الميزان في هذا الموضع ثلاث مرات فالأولى بمعنى الآلة وهو قوله: ﴿ووضع الميزان﴾ والثانية بمعنى المصدر أي لا تطغوا في الوزن، والثالثة بمعنى المفعول أي لا تخسروا الموزون. **قوله:** (خفضها مدحوة) يعني أن المراد بالوضع ههنا ما هو ضد الرفع أي والأرض دحاها فوق الماء مخفوضة أو خفضها مدحوة. وقوله: «للأنام» علة للوضع، والأنام ما على ظهر الأرض من جميع الخلق. وقيل: هم الجن والإنس. وقيل: هم بنو آدم خاصة أي وضعها لأجل ما خلق فيها من الخلق أو من الحيوان. ثم فصل ما ينتفع به الخلق مما فيها من النعم فقال: ﴿فيها فاكهة﴾ ثم خص من بينها النخل بالذكر للإشارة إلى فضل ثمرها على سائر الفواكه لأنه مما يقتات ويتفكه به. **قوله:** (جمع كم) أي بكسر الكاف وتشديد الميم. والكفري بضم الكاف والفاء وتشديد الراء وعاء طلع النخلة، والطلع ما يطلع من النخل قبل أن ينشق. والسعف جمع سعفة وهي غصن النخلة ما دام عليه الخوص وهو ورق النخل وإذا جرد عنه الخوص يسمى جريدًا. والجمار شحمة النخل وبالفارسي ببهء درخت خرما. جعل الكم أولاً مرادفًا للكفرى ثم جعله عامًا لكل ما يغطي من الليف الذي يغطي الجذع، والسعف الذي يغطي الجمار، والكفرى الذي يغطي الثمر. فكلامه من قبيل اللف والنشر المرتب لأن الليف يغطي الجذع والسعف يغطي الجمار والكفرى يغطي الثمر. **قوله:**

....

(والعصف ورق النبات اليابس) وهو تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح أي تقطعه وتذهب به أو هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه، وكل بقلة طيبة الريح سميت ريحانًا لأن الإنسان يراح بها رائحة طيبة أي يشم، وهو الرزق بلغة حمير والعرب تقول: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه. وفي الحديث: «الولد ريحان الله» والريحان في الأصل مصدر ثم أطلق على الرزق وهو على وزن فيعلان في الأصل. وعينه محذوفة، أو على وزن فعلان وهو واوي وأصله روحان قلبت واوه ياء لخفة الياء. **قوله**: (وقرأ ابن عامر والحب) أي قرأ كل واحد من لفظ «الحب» و«ذو العصف» و«الريحان» بالنصب عطفًا على قوله: ﴿والأرض وضعها﴾ على تقدير: وخلق الحب ذا العصف والريحان، أو على الاختصاص أي أخص الحب. وفيه بحث لأنه لم يدخل في مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصصه من بينهما. **قوله**: (فإنه ينتفع به) تعليل لقوله: «أو كل ما يكمّ» ووجه التعليل أن توصيف النخل المعدودة من جملة ما في الأرض من النعم بقوله: ﴿ذات الأكمام﴾ إنما يحسن لكون الأكمام من جملة النعم المنتفع بها فإن المقام مقام تعداد النعم الجليلة فكما أن المكموم وهو الجذع والجمار والثمر نعم جليلة، فكذا ما يكمها فلا وجه لتخصيص الأكمام بالكفرى. وعصف الحب أيضًا من النعم الجليلة لكونه علف الدواب كما أن الحب مطعم الإنسان. ومن قرأ الأسماء الثلاثة منصوبة قدر فعلاً ينصبها أو حمله على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو يصلح أن يكون وجهًا لمن قرأ برفع «الريحان». ومن قرأ و«الريحان» بالجر عطفه على «العصف» أي وفيها الحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو رزق الإنسان. ومن قرأ برفع الثلاثة فوجه الرفع فيها أنها معطوفات على المرفوع قبلها وهو فيها «فاكهة» أي وفيها أيضًا هذه الأشياء. ذكر أولاً ما يتناول للرفاهية ومحض التلذذ وهو الفاكهة، وثانيًا ما يصلح للتلذذ والتغذي أيضًا وهو ثمر النخل، وثالثًا ما يصلح للتغذي فقط وهو الحب.

قوله: (ويجوز أن يراد وذا الريحان) أي يجوز أن يكون انتصاب «الريحان» بناء على أنه في الأصل مجرور بإضافة «ذا» إليه فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه. ويجوز أن يكون ارتفاع الريحان عند من قرأ بالرفع بهذا بأن يكون أصله وذو الريحان وفعل به ما تقدم. وقرأ حمزة والكسائي و «الريحان» بالجر عطفًا على «العصف» وما عدا ذلك بالرفع عطفًا على «الفاكهة» ووجهه ظاهر. **قوله**: (**وهو فيعلان**) أصله ريوحان فقلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق إحداهما بالسكون، ثم أدغمت الياء، ثم خفف فصار ريحان على وزن فيلان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله: «للأنام» وقوله: «أيها الثقلان» ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤)﴾ الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة، والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينًا ثم حمأ مسنونًا صلصالاً فلا يخالف ذلك قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ الجن أو أبا الجن ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ من صاف في الدخان ﴿مِّن نَّارٍ (١٥)﴾ بيان لما رج فإنه في الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦)﴾ مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما

قوله: (وقوله: أيها الثقلان) مجرور بالعطف على القول المذكور قبله وكون الخطاب فيه للثقلين لا يستلزم كونه لهما في قوله: ﴿ربكما تكذبان﴾ لكنه يؤيده بناء على أن السورة بمنزلة كلام واحد، فتوجه الخطاب إليهما في بعض آياتها يدل على توجهه إليهما في البواقي. فلما كان الجن مكلفين كالإنس خوطب الجان بهذه الآيات حثًا لهما على شكر النعم بالإيمان والطاعة وتجديد النشاط من أطاعه ولازم شكر آلائه وتقريعًا للمشركين الذين اتخذوا مع الله تعالى آلهة أخرى. والآلاء جمع آلى كمعى وأمعاء. روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمٰن حتى ختمها ثم قال: «ما لي أراكم سكوتًا للجن كانوا أحسن منكم ردًا ما قرأت عليهم مرة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد». وتكذيب آلاء الرب تعالى عبارة عن الجحود بكونها من آلائه واستنادها إليه تعالى خاصة، ومن أشرك بربه الذي رباه بهذه النعم الجليلة من لا يقدر على شيء منها فكأنه يزعم أن من اتخذه شريكًا تعالى له مدخل في هذه النعم وهو جحود لاستنادها إليه تعالى خاصة وترك شكرها. وكذا التقصير فيه في قوة الجحود لإنعامه تعالى بها. **قوله:** (له صلصلة) أي صوت يسمع إذا مسه أدنى شيء لغاية يبسه. والصلصال اسم لهذا الطين ما لم يطبخ فإذا طبخ بالنار يسمى فخارًا أو خزفًا. شبّه الصلصال الذي خلق منه الإنسان بالفخار في غاية يبسه حتى إذا أصابه أدنى شيء صوت وقيل: لأنه مجوف. **قوله:** (وقد خلق الله تعالى آدم الخ) بيان لوجه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى في مواضع أخر ﴿خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩] فإنه تعالى أخذه من تراب الأرض فعجنه فصار طينًا، ثم انتقل وتغير فصار حمأ مسنونًا أي مثله، ثم يبس فصار صلصالاً كالفخار. قال الجوهري: الحمأ المسنون المتغير المنتن. وقال في موضع آخر: الحمأ الطين الأسود. **قوله:** (الجن أو أبا الجن) يعني أن الجان يحتمل أن يكون اسم جنس كإنسان وأن يكون اسمًا لأبي الجن وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به أباهم، كما أن المراد من الإنسان أبونا آدم عليه السلام فهو تعالى خلقه

أفضل المركبات وخلاصة الكائنات. ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه إلى غير ذلك.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها. والمعنى: أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة

من صلصال وخلق من بعده من صلبه، وكذلك الجان الأول خلقه من نار وخلق ذريته من صلبه. و«من» في قوله: ﴿من مارجٍ﴾ لابتداء الغاية وفي قوله: ﴿من نار﴾ للبيان كما اختاره المصنف ويجوز أن تكون للتبعيض. والمارج اللهب الخالص الذي لا يشوبه شيء من الدخان. وقيل: اللهب المضطرب من مرج إذا اضطرب واختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر، فإن النار المشتعلة تنشأ فيها الألوان الثلاثة مختلطًا بعضها ببعض من قولهم: مرج أمر القوم إذا اختلط. **قوله: (مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما)** وقيل: مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما والأول أشهر. وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما إشارة إلى أن الطرفين يتناولان ما بينهما كما إذا قلت في وصف ملك عظيم: الملك له المشرق والمغرب فإنه يفهم منه أن له ما بينهما أيضًا. وقوله تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو سبحانه رب المشرقين. وقيل: هو مبتدأ خبره «مرج البحرين» واختلاف المشارق والمغارب يترتب عليه منافع لا تحصى كما أشار إليه المصنف بقوله: «مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى». **قوله تعالى: (يلتقيان)** في موضع الحال من «البحرين» أي متلاقيين لا حائل بينهما في رأي العين. وكذا قوله: «لا يبغيان» في موضع الحال من مفعول «مرج» أو من فاعل «يلتقيان» أي غير باغيين. وقوله: ﴿بينهما برزخ﴾ يجوز أن يكون جملة مستأنفة وأن يكون حالاً من «البحرين» أو من فاعل «يلتقيان». والخليج من البحر ما انشق وانفصل منه، والخليج النهر أيضًا. ثم إن كان المراد بالبحرين الملح والعذب يكون التقاؤهما عبارة عن اتصال أحدهما بالآخر وتماس سطوحهما بانتهاء العذب إلى الملح بجريانه إليه، فإنه حينئذٍ يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية مع أن شأنهما الممازجة واتصال كل واحد منهما بالآخر. وإن كان المراد بهما بحري فارس والروم يكون المراد بالتقائهما التقاءهما في البحر المحيط وبالحاجز بينهما الأرض وبالبغي مجاوزة الحد، فإن كل واحد منهما لا يجاوز ما حد له ولا ينبسط على وجه الأرض الحاجزة بينهما ولا يغرقاها لكون الأرض بارزة يتخذها أهلها مسكنًا ومهادًا.

الله أو من الأرض. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر بالممارجة وإبطال الخاصية، أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ كبار الدر وصغاره. وقيل: المرجان الخرز الأحمر وإن صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الأول إنما قال: «منهما» لأنه يخرج من مجتمع الملح والعذب، أو لأنهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من أحدهما كالمخرج منهما. وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب «يخرج» وقرىء «نخرج» و«يخرج» بنصب

قوله: (وإن صح أن الدر يخرج من الملح) جواب عما يقال: اللؤلؤ لا يخرج إلا من المالح فكيف قيل «منهما». وقوله: «وإن صح» إشارة إلى أن خروج الدر من الملح فقط ليس بقطعي. وظاهر كلام الله تعالى أولى بالاعتبار مما يزعم بعض الناس، فإنه من المعلوم أن في البر أشياء تخفى على التجار المترددين فيه فكيف بما في قعر البحر؟ وعلى تقدير تسليم أنه يخرج من الملح فقوله: «فعلى الأول» أي على أن يراد بالبحرين الملح والبحر العذب. وأما إذا أريد بهما بحرا فارس والروم فلا سؤال ولا توجيه لأن كلاً منهما ملح. ومعنى قوله تعالى: ﴿يخرج منهما﴾ أنه يحصل ويتكون بسبب اجتماع الملح والعذب والتقائهما بأن يكون أحدهما بمنزلة اللقاح للآخر فيصدق أن يقال: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان مع خروجهما من الملح دون العذب، كما يقال: يخرج الولد من الذكر والأنثى وإنما تلده الأنثى. فقوله: «لأنه يخرج من مجتمعهما» أي من اجتماعهما على أن يكون المجتمع مصدرًا ميميًا، فإن الغواصين يقولون إنهما إنما يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب. وقيل: ﴿منهما﴾ على حذف المضاف أي من أحدهما كقوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] أي نسي أحدهما وقوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١] أي إحدى القريتين. **قوله:** (وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج) بضم الياء وفتح الراء، والباقون بفتح الياء وضم الراء. وقرىء «نخرج» بضم النون و «يخرج» بضم الياء أي يخرج الله تعالى. واعلم أن أصول المركبات وأركانها أربعة: التراب والماء والهواء والنار، فبيّن الله تعالى بقوله: ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ أن التراب أصل لمخلوق شريف مكرم، وبيّن بقوله: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ أن النار أيضًا أصل لمخلوق آخر عجيب الشأن، وبيّن بقوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أن الماء أيضًا أصل آخر لمخلوق آخر له قدر وقيمة. ثم ذكر أن الهواء له تأثير عظيم في جري السفن المشابهة للأعلام فقال: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر﴾ وخصها بالذكر لأن جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بتلك حيث يقولون: لك الفلك ولك الملك، وإذا خافوا الغرق دعوا الله تعالى خاصة. قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

اللؤلؤ والمرجان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن جمع جارية. وقرىء بحذف الياء ورفع الراء كقول الشاعر:

لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان

﴿ٱلْمُنشَآتُ﴾ المرفوعات الشرع أو المصنوعات. وحمزة وأبو بكر رحمهما الله تعالى بكسر الشين أي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج أو السير ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٢٤)﴾ كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ من على الأرض من الحيوانات أو المركبات. و«من» للتغليب أو من الثقلين. ﴿فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته

[العنكبوت: ٦٥] وسميت السفينة جارية لأن شأنها ذلك وإن كانت واقفة في السواحل والمراسي، كما تسمى المرأة المملوكة أيضًا جارية لكون شأنها الجري والسعي في مصالح سيدها. والجمهور على كسر الراء في قوله تعالى: ﴿وله الجوار﴾ لما تقرر في النحو أن كل جمع من المنقوص على وزن فواعل يائيًا كان كجوار أو واويًا كدواع فهو في حالتي الرفع والجر كقاض في إسكان لام الفعل لثقل الضمة والكسر على حرف العلة وحذفه لالتقاء الساكنين، وهما التنوين وحرف العلة، ونقل التنوين إلى عين الكلمة. وأما في حالة النصب فهو كضوارب لخفة الفتحة عليها. ثم إذا اتصلت الكلمة بالساكن بعدها كما في هذه الآية يحذف التنوين أيضًا وتبقى عين الكلمة مكسورة على حالها. وقرىء برفع الراء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة اسمًا برأسه وجعل المحذوف في حكم المنسي كثمانٍ في قوله:

(لها ثنايا أربع حسان وأربع فكلها ثمان)

وقد تقدم هذا البحث في قوله تعالى: ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] في صورة الأعراف. **قوله:** **(المرفوعات الشرع)** وهو بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها فسر المنشآت أولاً بالمرفوعات الشرع على أنها اسم مفعول من أنشأه الله تعالى إذا رفعه يقال: نشأت السحابة إذا ارتفعت. وثانيًا بقوله: «أو المصنوعات» أي المخلوقات على أن الكلمة من أنشأه الله تعالى أي خلقه. ويؤيد الأول ما روي عن مجاهد أنه قال: المنشآت هي السفن التي رفع قلعها فأما التي لم يرفع قلعها فليست من المنشآت. **قوله:** **(أي الرافعات الشرع)** أسند رفع الشرع إلى السفن إسنادًا مجازيًا على طريق إسناد الفعل إلى مكانه. و«في البحر» متعلق «بالمنشآت» و«كالأعلام» حال إما من المستكن في المنشآت وإما من الجواري. **قوله:** **(ذاته)** والتعبير عن الذات الموجودة بالوجه شائع خصوصًا إذا كان المعبر عنه معروفًا

ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله تعالى أي الوجه الذي يلي جهته.

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ذو الاستغناء المطلق والفضل العام ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ أي مما ذكرنا قبل وإبقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلاً، أو مما يترتب على إفناء الكل من الإعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنهم مفتقرون إليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء نطقًا كان أو غيره. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ كل وقت يحدث أشخاصًا ويجدّد أحوالاً على ما سبق به قضاؤه. وفي الحديث: من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين» وهو رد لقول اليهود: إن الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئًا.

مشهورًا. والعرب يخاطبون الكرام والرؤساء بقولهم: يا وجه العرب تشبيهًا لهم بالوجه الظاهر الذي هو أشرف الأجزاء والأعضاء التي يتوجه إليها في الشرف والظهور، وكونهم متوجهًا إليهم فإنه تعالى ظاهر بأوليته ظهور الإنسان بوجهه. ثم أشار إلى أنه لا حاجة إلى جعل الوجه مستعارًا من العضو المخصوص بل هو في الأصل بمعنى الجهة وأصل لها كالوعد والعدة. فمعنى الآية: كل من عليها من الثقلين وغيرهما فانٍ ويبقى وجه الله تعالى.
قوله: (ولو استقربت الخ) إشارة إلى أن الوجه يجوز أن يكون كناية عن الجهة بناء على أن كل جهة لا تخلو عن وجه يتوجه إليه كما ذكر في قوله: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] أي كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الأعمال هالك ضائع إلا ما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته فإنه باقٍ. قال الإمام النسفي: قيل: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي كل عمل يتقرب به إليه ويبتغي به وجهه أي رضاه أي يهلك الجن والإنس ولا يبقى لهم إلا ما توجهوا به إليه.

قوله: (ذو الاستغناء المطلق) تفسير لكونه تعالى ذا الجلال، فإن الجلال عبارة عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والأفعال نهاية العظمة، وكونه تعالى ذا الإكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام. وقيل في تفسيره: الذي يجل ويكرم على كل ما يتصور، أو الذي يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم: ما أجلك وما أكرمك، أو الذي يجل عن إحاطة العقول والأفهام به في العزة والعلو ويكرم عباده المؤمنين بالتقرب والدنو، وهذه الصفة من عظائم صفات الله تعالى. روي عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام». وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: «قد استجيب لك» وأشار المصنف إلى النعمة المدلول عليها بهذه الآية

....

بقوله: أي مما ذكرنا وإبقاء ما لا يحصى، فإن الآية تدل على الامتنان بإبقاء ما هو بصدد الفناء. وفيها أيضًا حث على العمل المنجي وتحذير عن المهلك، وأيضًا يترتب على إفناء الكل الإعادة والحياة الدائمة.

قوله: (والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة إلى تحصيل الشيء) أي لا يستغني عنه أحد من أهلها وإن لم ينطق البعض منهم بحاجته. **قوله تعالى:** (يسأله من في السمٰوات والأرض) يحتمل أن يكون كلامًا مستأنفًا وأن يكون حالاً من وجه والعامل فيه يبقى أي يبقى مسؤولاً من أهل السمٰوات والأرض. وفيه إشكال وهو أن قوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ إشارة إلى بقائه تعالى بعد فناء من في الأرض فكيف يكون في ذلك الوقت مسؤولاً لمن في الأرض؟ فقول المصنف: والمراد بالسؤال جواب عن هذا الإشكال مبني على كونه حالاً من فاعل «يبقى». وأجيب عنه بوجوه: الأول أنهم فانون في حد أنفسهم وإنما يبقون بإبقاء الله تعالى إياهم، فيصح كونه تعالى مسؤولاً من قبلهم وإن كانوا في معرض الفناء بإفناء الله تعالى إياهم. والثاني أنه تعالى يكون مسؤولاً لهم معنى لا حقيقة لأنهم إذا فنوا فهم يسألونه بلسان الحال وإن تعذر عليهم أن يسألوه نطقًا. والثالث أن قوله تعالى: ﴿ويبقى﴾ يدل على الاستمرار فيبقى ويعيد من كان على الأرض فيكون مسؤولاً. والرابع أن السائلين هم الملائكة الذين يكونون في الأرض، فإنهم فيها وإن لم يكونوا عليها ولا يضرهم زلزالها. فعندما يفنى من عليها يبقى الله تعالى ولا تفنى الملائكة في تلك الحال فيسألونه ماذا يفعل فيأمرهم بما يريد. **قوله:** (كل وقت يحدث أشخاصًا ويجدد أحوالاً على ما سبق به قضاؤه) إشارة إلى جواب ما يقال: كيف قال: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة؟ وتقريره أنه لا منافاة بينهما لأنه تعالى قضى وقدر في الأزل، وجف القلم بما يكون في كل يوم فإذا جاء ذلك الوقت تعلقت إرادته بتكوينه فيه فيوجد أشخاصًا ويجدد أحوالاً على ما سبق به قضاؤه، فهي شؤون يبديها لا شؤون يبتدىء بها. ذكر أن الحجاج بن يوسف أرسل إلى محمد بن الحنفية يتوعده وقال: لأفعلن بك كذا وكذا. فأرسل إليه محمد بن الحنفية يقول: إن الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى اللوح المحفوظ، وهو في كل ذلك يعز ويذل ويعطي ويمنع، فأرجو أن يرزقني الله تعالى ببعض نظراته أن لا يجعل لك عليّ سلطانًا. فكتب به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك بهذه الكلمات ووضعها في خزانته. فكتب إليه ملك الروم يتوعده في شيء فكتب عبد الملك بتلك الكلمات إلى صاحب الروم، فكتب إليه صاحب الروم أنه والله ما هذا من كنزك ولا من كنز أهل بيتك لكنه من كنز أهل بيت النبوة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾ أي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينًا فحينًا ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة، فإنه تعالى لا يفعل فيه غيره وفيه تهديد مستعار من قولك: لمن تهدده سأفرغ لك فإن التجرد للشيء كان أقوى عليه وأجد فيه. وقرأ حمزة والكسائي بالياء.

قال: إن مما خلق الله تعالى لوحًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم. الخ.

قوله: (أي سنتجرد لحسابكم) لما ورد أن يقال: **ما وجه قوله تعالى:** ﴿سنفرغ لكم﴾ مع أن عدم الفراغ عبارة عن أن يكون الفاعل في شغل لا يمكن معه فعل آخر؟ وهذا إنما يكون في حق من يشغله شأن عن شأن والله تعالى منزه عن ذلك. أشار إلى جوابه بوجهين: الأول أنه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبّه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والمنع والإعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك. وبقاء شأن واحد وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شأن عن شأن من أشغاله وتجرد لهم واحد، فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهي الفراغ في الهيئة الأولى وهي انتهاء الشؤون إلى شأن واحد. ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص بمهمه على فراغه من سائر أشغاله وإمكان بين الترتبين فرق فاحش من حيث إن الترتب في الثاني مبني على ارتفاع المانع حيث كان سائر أشغاله مانعًا عن تعلقه بذلك المهم ولا مانع في حقه تعالى، ومع ذلك أخر أمر المجازاة إلى قيام الساعة لحكمة اقتضته. قال ابن عيينة: الدهر عند الله يومان: أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه تعالى فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والمنع والإعطاء، والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الحساب والجزاء. والوجه الثاني من الجواب أنه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والإنس بالمحاسبة والجزاء على الأعمال من غير أن يشغله شأن عن شأن مستعار من قول الرجل لمن يهدده: سأفرغ لك أي سأتجرد للإيقاع بك عن كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه يريد به التوفر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء في مجازاته. فهذه العبارة إذا صدرت عمن يشغله شأن عن شأن تكون كناية عن التوفر في النكاية، فإن من فرغ من كل شيء يعوقه عن النقمة والتعذيب تكون نكايته أشد وأقوى وإذا صدرت عمن لا يشغله شأن عن شأن تعذر حملها على أصل معناها، لأن المفروغ منه يجب أن يكون مانعًا عن الملابسة للمفروغ له ولا يتصور المانع في حقه تعالى فتعيّن كونها مستعملة في التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ مما يمنع عنه تشبيهًا للتجرد المذكور بالفراغ مما يشغل عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر في النكاية والانتقام، فاستعير اسم

وقرىء «سنفرغ إليكم» أي سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة رأيهما وقدرهما، أو لأنهما مثقلان بالتكليف.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السمٰوات والأرض هاربين من الله فارين من قضائه. ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ أي فاخرجوا ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ إلا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك، أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما في السمٰوات والأرض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة نصبها الله فتعرّجون عليها بأفكاركم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ أي التنبيه والتحذير والمساهلة

الفراغ لمجرد التجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ فهو استعارة تصريحية تبعية. **قوله:** (لثقلهما على الأرض) الثقل ضد الخفة يقال: ثقل ثقلاً مثل صغر صغرًا، والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه. شبّه الأرض بالحمولة التي تحمل الأثقال والجن والإنس جعلاً أثقالاً محمولة عليها ثقلاً حسيًا، وجعل ما سواهما كالعلاوة. ويجوز أن يكون إطلاق الثقلين عليهما من قبيل إطلاق القمرين على الشمس والقمر. **قوله:** (أو لرزانة رأيهما) أي لما لهما من الثقل المعنوي، فإن الثقل ما له وزن وقدر ولهما زيادة قدر على غيرهما لما خصوا بالعقل والتميز وتحمل الأمانة والتكليف. ويجوز أن يكون الثقل بمعنى المثقل فإنهما مثقلان بالتكليف. **قوله:** (إلا بقوة) يعني أن السلطان القوة التي يتسلط بها على الأمر. لما بيّن الله تعالى أنه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بهما، كان مظنة أن يقال: فلم أخّر ذلك مع ما له من كمال الاهتمام به؟ أشار تعالى إلى جوابه بما محصوله أنهم جميعًا في قبضة قدرته وتصرفه لا يفوته منهم أحد، فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لأن ما يبعث المستعجل على الاستعجال إنما هو خوف الفوت وهو لم يخفف ذلك. قسم الدهر كله قسمين: أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر مدة يوم القيامة، وجعل المدة الأولى أيام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء، وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلاً للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما. فقوله: ﴿فانفذوا﴾ أمر تعجيز والمراد بيان أنهم لا مهرب لهم من قضاء الله ولا خروج لهم عن ملكه وأنهم لا يفوتونه ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم. فظهر بهذا التقرير أن قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن﴾ متعلق بقوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء في قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ بعد قوله: ﴿إلا بسلطان﴾ بالتنبيه والإيقاظ والتحذير المستفاد من قوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ وبالمساهلة والعفو المستفاد من قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ بعد قوله: ﴿سنفرغ لكم﴾

والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها إلى ما فوق السمٰوات العلى. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ لهب ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ ودخان قال:

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم. وقرأ ابن كثير «شواظ» بالكسر وهو لغة و«نحاس» بالجر عطفًا على «نار». ووافقه فيه أبو عمرو ويعقوب في رواية. وقرىء و«نحس» وهو جمع كلحف ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ فلا تمتنعان.

فإنه يشعر بأن له في موقف الحساب آلاء متعلقة بالمساهلة في الحساب والعفو عن جرائم كثيرة ونحوها. وقوله: «مع كمال القدرة» مستفاد من قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض﴾ فيكون المذكور ثانيًا من قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ بمنزلة التأكيد للأول. والآلاء المذكورة في الموضعين هي ما بينه بقوله: «من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو» هذا على تقدير أن يكون قوله تعالى: ﴿إن استطعتم أن تنفذوا﴾ بمعنى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانبها فارين من قضائه. وأما إن كان معناه إن قدرتم أن تخرجوا من جوانبها لتعلموا ما فيها من عجائب صنع الله، فحينئذٍ يكون المراد بالسلطان البينة المؤدية إلى العلم وبالآلاء ما نصبه الله من المصاعد العقلية والنقلية، ويكون قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ مسوقًا لبيان علو شأنه وسعة ملكه والامتنان بما نصبه من المصاعد الكفرية والنقلية تقريرًا لكون وجهه ذا الجلال والإكرام. والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فإن العشر هو العدد الكثير الكامل الذي لا تعدد بعده إلا بتركيبه بما فيه من الآحاد تقول: أحد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون أي اثنا عشرات وثلاث عشرات، فإذا قيل: معشر فكأنه قيل: محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة. **قوله:** (**تضيء كضوء سراج السليط الخ**) استشهاد لكون النحاس بمعنى الدخان. والسليط هو الزيت عند عامة العرب وعند أهل اليمن هو دهن السمسم. كذا في الصحاح. وفيه أيضًا النحاس دخان لا لهب فيه، وأنشد البيت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويصبه على رؤوسهم. قرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى.

قوله: (ونحاس بالجر عطفًا على نار) أي وقرأ ابن كثير و«نحاس» بالجر عطفًا على «نار» وهو ضعيف لأنه لا يكون شواظ من نحاس سواء كان النحاس بمعنى الدخان أو الصفر المذاب. وقيل: هو توجيه لقراءة الجر وتقدير الكلام: شواظ من نار وشيء من نحاس،

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٦﴾ فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء. ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي

فيكون «شيء» مرفوعًا بالعطف على «شواظ» ويكون «من نحاس» صفة «الشيء» كما أن من «نار» صفة «الشواظ» فحذف الموصوف وهو «شيء» لدلالة ما قبله عليه، ثم حذف كلمة «من» لتقدم ذكرها في قوله: ﴿من نار﴾ فبقي «النحاس» مجرورًا بـ «من» المحذوفة. وقرأ الباقون برفع «نحاس» عطفًا على «شواظ» أي يرسل هذا مرة وهذا مرة. ويجوز أن يرسلا معًا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر. وقرىء و«نحاس» بكسر النون وهو إما لغة بمعنى نحاس بضم النون، وإما جمع نحس بمعنى العذاب كلحاف ولحف وصحاف وصحف. وقرىء و«نحس» بضم النون والحاء ورفع السين مع التنوين عطفًا على «شواظ» وهو إما جمع نحاس أو جمع نحس. جاء في الخبر أنه يحاط على الخلق بالملائكة وبلهاب من نار ثم ينادون ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا لا تنفذون﴾ الآية فذلك قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسيره: إن الخلائق إذا خرجوا من القبور ساقهم شواظ من نار إلى المحشر فيهربون منه إلى أن يجتمعوا في موضع واحد، فيكون قوله تعالى: ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾ متعلقًا بقوله: ﴿سنفرغ لكم﴾ وتفصيلاً لما يكون يوم القيامة بعض التفصيل تحذيرًا من هوله والتحذير نوع من الآلاء. ثم زاد نوعًا آخر من التفصيل فقال: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ أي بنزول الملائكة أي إذا انفرجت السماء فصارت أبوابًا لنزول الملائكة أو للسقوط والانتقاض، والظاهر أن كلمة إذا» فيه شرطية محذوفة الجزاء ليفرض السامع بعد تحقق انشقاق السماء وخرابها كل هائل أي رأيت هولاً عظيمًا، أو كان ما كان مما لا يخطر بالبال من الثواب والعقاب. ويحتمل أن تكون للظرفية المجردة فإن جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهني يكون المعنى: يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فتصير السماء بسبب ذلك حمراء مثل الورد الأحمر ورقيقة مذابة مثل الدهن بأن تصل حرارة الشواظ إلى السماء فتجعلها كالأسرب الأحمر المذاب. ويحتمل أن يكون الفاء للتعقيب الزماني. بيّن الله تعالى أولاً أنه إذا بعثر ما في القبور وحشر الموتى من الجن والإنس يرسل عليهم شواظ يسوقهم إلى المحشر فيهربون منه إلى أن يجتمعوا في موقف الحساب. ثم بيّن أن هذه الحالة الثابتة في الأرض تؤدي إلى انشقاق السماء ونزول من عليها من الملائكة إلى الأرض. فقد روي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فإذا رأتهم الإنس والجن هربوا فلا يأتون وجهًا إلا وجدوا الملائكة أحاطت به. **قوله تعالى: (فكانت وردة)** من باب التشبيه البليغ وقوله: ﴿كالدهان﴾ يجوز أن يكون خبرًا ثانيًا وأن يكون حالاً من اسم «كانت» أي

حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله:

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

﴿كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن. وقيل: هو الأديم الأحمر. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾ أي مما يكون بعد ذلك ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي فيوم تنشق السماء ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذودًا ذودًا على اختلاف مراتبهم. وأما قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه فحين يحاسبون في المجمع. والهاء للإنس باعتبار اللفظ فإنه وإن تأخر لفظًا تقدم رتبة. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ أي مما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم.

كانت مثل الورد الأحمر من حرارة النار ومثل الدهن في رقة القوام والميعان. وأشار المصنف بقوله: «مذابة كالدهن» إلى أنه صفة لوردة وأن الدهان إما اسم لما يدهن به كالحزام فإنه اسم لما يحزم به أي يشد أو جمع دهن كرمح ورماح. **قوله**: (**من باب التجريد**) وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها لكمالها فيه جرد من السماء سماء أخرى مسماة بالوردة، كما جرد الشاعر من نفسه كريمًا آخر لكمال صفة الكرم فيه. واللام في قوله: «فلئن بقيت» موطئة للقسم و«لأرحلن» جوابه وقوله: «نحو الغنائم» ظرف لقوله: «لأرحلن» ويروى: تحوي الغنائم صفة لغزوة. وقوله: «أو يموت» بمعنى إلا أن يموت و«يموت» منصوب «بأن» مضمرة ويعني بالكريم نفسه لأن فحوى الكلام تدل على أنه لا يريد كريمًا آخر، والظاهر أن يقال: إلا أن أموت كريمًا لأنه بصدد الإخبار عن حاله وبيان أنه الموصوف بالكرم، إلا أنه بنى الكلام على التجريد لكونه أبلغ في وصف نفسه بالكرم. والتنوين في قوله تعالى: ﴿فيومئذٍ﴾ عوض عن الجملة أي فيوم إذا انشقت السماء لا يسأل عن ذنبه هل هو مذنب أولاً إن أراد أحد أن يطلع على حال أهل المحشر، لأن كل أحد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة الأخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤١] ونحشر المتقين إلى الرحمٰن وفدًا ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقًا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا يحتاج حينئذٍ في تمييز المذنب من غيره والاطلاع على حاله لمن أراد ذلك إلى أن يسأل عن ذنبه ويعلم حاله من جهته، وهو لا ينافي أن يسأل سؤال التوبيخ كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وأيضًا يوم القيامة

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ وهي ما يعلوهم من الكآبة والحزن. ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ مجموعًا بينهما. وقيل: يؤخذ بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بين النار يحرقون بها. ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه. وقيل: إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، أو قيامه على أحواله من قام عليه إذا راقبه، أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف إلى الرب تفخيمًا وتهويلاً، أو ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله:

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

لغاية طوله فيه مواطن كثيرة فيجوز أن يسأل في بعض المواطن ولا يسأل في آخر. والجان إن كان اسمًا للجن فالأمر ظاهر، وإن كان اسمًا لأبي الجن فالمراد به ههنا فروعه كما يطلق اسم الجد العالي على القبيلة.

قوله تعالى: (بالنواصي) قائم مقام الفاعل لقوله: ﴿فيؤخذ﴾ والتقدير: بالنواصي منهم أو بنواصيهم وليس في قوله: ﴿فيؤخذ﴾ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لأن العرب تقول: أخذت النصية وأخذت بالناصية، ولا تكاد تقول: أخذت الدابة بالناصية بأن تعدى «أخذ» إلى مفعولين إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بواسطة الباء، ولأنه لو كان فيه ضمير لوجب أن يقال: فيؤخذون لأجل تقدم ذكرهم. والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس أي تأخذ الملائكة بنواصيهم أي بشعور مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار. قال الضحاك: يحتمل أن الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار. وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام. عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام» أجارنا الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه. ثم يقال لهم على وجه التقريع ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ أي التي كنتم تكذبون بها وتقولون إنها لا تكون على أن قوله: «المجرمون» ظاهر وضع موضع الضمير. ويجوز أن يكون هذا الكلام خطابًا من الله لنبيه ﷺ في الدنيا أي قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. ثم إنه تعالى أخبر عن حالهم فيها فقال: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ وهو الذي انتهى حره من أنى الحميم يأني أنيًا فهو آنٍ أي يعاقبون بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم. ومن قوله تعالى: ﴿كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ إلى

﴿جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ جنة للخائف الإنسي والأخرى للخائف الجني، فإن الخطاب للفريقين. والمعنى: لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله، أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها والأخرى يتفضل بها عليه، أو

هنا مواعظ ومزاجر وقد ذكرنا أن كل ذلك نعمة من الله تعالى للانزجار به عن المعاصي، وقد اكتفى المصنف بقوله آنفًا: فإن التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء عن بيان كون كل ما ذكر من عقوبات الكفار من قبيل الآلاء. ثم شرع في بيان ثواب المتقين الخائفين فقال: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ ذكر المصنف أولاً أن المقام اسم لمكان يقوم فيه العباد للحساب وإضافة المقام إليه تعالى مع أن القيام فعل العباد لأجل الملابسة، فإنه تعالى مالك يوم الدين وأنه الذي بعث من في القبور وجمعهم في هذا المقام لأجل الحساب والجزاء، ثم ذكر احتمال أن يكون المقام مصدرًا مضافًا إلى فاعله بمعنى المراقبة والحفظ أي ولمن يعلم أن الله تعالى قائم عليه مراقب لأعماله فيخافه لذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته جنتان. قيل: جنة لخوفه من الله وجنة لتركه شهوته فالمقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لا بالخائف. وعلى الوجهين أي على تقدير كونه اسم مكان أو مصدرًا كما أنه مضاف إلى الرب لفظًا فهو مضاف إليه تعالى من حيث المعنى أيضًا، والمعنى موقوف الرب أو قيام الرب. ثم ذكر احتمال أن يكون المقام مضافًا إلى الخائف من حيث المعنى، ويكون المعنى خاف موقف نفسه عند ربه أو وقوف نفسه عنده لأجل الحساب إلا أنه أضيف إلى الرب تهويلاً وتفخيمًا كما أن الأجل في الحقيقة للعبيد إلا أنه قد أضيف إليه تعالى في قوله: ﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر﴾ فإن الإضافة يكفي فيها أدنى الملابسة. ثم ذكر احتمال أن يكون لفظ «مقام» مقحمًا ويكون تقدير الكلام ولمن خاف ربه كما في قول الشاعر:

وماء قد وردت لوصل أروى ... عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين

اللجين الخبط وهو ما سقط من الورق عند الخبط. والخبط ضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها. وأروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه أي طردت وأبعدت عن ذلك الماء. وخص القطا والذئب بالذكر لأن القطا أهدى الطير إلى الماء والذئب أهدى السباع إليه، فهما السابقان إلى الماء. والرجل اللعين شيء ينصب في وسط الزرع يستطرد به الوحوش. ومعنى البيت: ورب ماء قد وردته لأرى محبوبتي أروى وقد جاءت إليه لتغسل رأسها أو ثيابها. وروي أن رجلاً استفتى سفيان الثوري في رجل قال لزوجته: إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق، فأفتى بأنه لا يحنث إن كان همّ بالمعصية وتركها خوفًا من الله تعالى وحياء منه

روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (٤٨)﴾ أنواع من الأشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهو الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد الظل. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠)﴾ حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل. قيل: إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)﴾ صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ من ديباج ثخين. وإذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر؟ و«متكئين» مدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع.

استنباطًا من هذه الآية. **قوله: (وكذلك ما جاء مثنى بعد)** كقوله تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ وقوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمٰن ٥٢] فإن تثنية النعم المذكورة مبنية على ما ذكر من الاحتمالات وهي أن الخطاب لما كان للثقلين صارت النعم المذكورة بلفظ المثنى لهما على سبيل التوزيع كأنه قيل: لكل خائفين منكما عينان وزوجان، عين وزوج للخائف الإنسي وعين وزوج للخائف الجني، أو تقول عين وزوج بفعل الطاعات وعين وزوج بترك المعاصي لأن مدار التكليف عليهما، أو تقول عين وزوج يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية. ثم إنه تعالى وصف الجنتين بقوله: ﴿ذواتا أفنان﴾ فقوله تعالى: «ذواتا» تثنية ذات تأنيث ذو، والأفنان جمع فن وهو النوع أو جمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولاً. وقال المصنف: الأفنان التي هي جمع فنن هي الغصنة، والغصنة بكسر الغين وفتح الصاد جمع غصن كقرطة في جمع قرط، ولما كانت الغصنة هي التي تورق وتثمر وتمد الظل وصف الجنتين في مقام المدح بقوله: ﴿ذواتا أفنان﴾ تذكيرًا لهذه النعم كأنه قيل: ذواتا أوراق وثمار وظلال.

قوله: (حيث شاؤوا) التعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول تجريان. وقيل: معناه تجريان دائمًا لا تنقطعان أبدًا. والسلسبيل اسم عين في الجنة قال تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨] وكذا التسنيم سمي بذلك لأنه يجري فوق الغرف والقصور من تسنمه إذا علاه قيل فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله.
قوله تعالى: (متكئين) حال من قوله: «من خاف» جمع حملاً على معنى «من» في قوله: ﴿ولمن خاف﴾ بعد الإفراد حملاً على لفظها والعامل فيها الاستقرار أي استقر بهم جنتان في هذه الحالة. وقيل: حال عاملها محذوف أي يتنعمون فيهما متكئين. والبطائن جمع بطانة الثوب وهو خلاف ظهارته. **قوله تعالى: (بطائنها من استبرق)** جملة اسمية في موضع الجر

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ قريب يناله القاعد والمضطجع. و«جنى» اسم بمعنى مجنى. وقرىء بكسر الجيم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ﴾ في الجنان فإن جنتان يدل على جنان هي للخائفين، أو فيما فيهما من الأماكن والقصور، أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش. ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ لم يمس الإنسيات إنس والجنيات جن. وفيه دليل على أن الجن يطمثون. وقرأ الكسائي بضم الميم. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ في حمرة الوجنة وبياض البشرة

على أنها صفة لفرش. والاستبرق ما غلظ من الديباج أي الثخين منه. قيل: هو معرب استوره. والسندس هو الديباج الرقيق الناعم. والجني ما يجتني من الشجر سواء كان مجنيًا بالفعل أو كان بصدد الاجتناء. ودان من الدنو أصله داني مثل غاز. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تدنو الشجر حتى يجتنيها ولي الله تعالى إن شاء قائمًا وإن شاء قاعدًا. وعن قتادة: لا يرد يده بعد ولا شوك. **قوله: (لم يمس الإنسيات إنس)** يعني أن الطمث إنس في كل شيء يمس يقال للمربع: ما طمث ذا المربع قبلنا أحد، وما طمث هذه الناقة حبل قط أي ما مسها عقال. وقيل: أصل الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر بإزالة عذرتها، ثم أطلق على كل جماع طمث وإن لم يكن معه دم. وفي قول المصنف إشارة إلى أن مؤمني الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها بنعسها التي من جملتها الجنيات كما يثاب مؤمنو الإنس بالحور العين التي من جملتها الإنسيات. وتوقف أبو حنيفة رحمه الله تعالى في هذه المسألة بناء على أن الإثابة لا تجب عليه تعالى وإنما هي تفضل إلٰهي يتبع فيها النص، ولم يرد في حق من آمن من الجن إلا سقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم في جهنم، ويجعل من آمن منهم ترابًا قال تعالى حكاية عنهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] ومن قال بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فإنه يقطع بأن مؤمني الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها، ومن لا يقول بهما وذهب إلى إثابتهم بالجنة. والحور العين من الجنيات إنما يذهب إليها استدلالاً بهذه الآية فإنه تعالى لما خاطب مؤمني الجن والإنس بقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف وأخرى بمقصورات في الخيام وبكونهن لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، فهم منه أن كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما أعد لهم من الحور العين. ثم قيل: المراد بالقاصرات الحور العين المخلوقات في الجنة ولم يطمثن أصلاً. وقيل: هن المؤمنات من نساء الدنيا. والمعنى على هذا: أنه لم يطمثهن بعد النشأة الثانية أحد. وقيل: هن نساء

وصفائها. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ في الثواب وهو الجنة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة. وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين الأشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت.

الثقلين أي لم يطمث الجنية ولا الإنسية بعد النشأة أحد. و «قاصرات الطرف» من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله للتخفيف أي قاصرات طرفهن على أزواجهن. وقيل: قاصرات طرف غيرهن عليهن أي إذا رآهن لم تجاوز طرفه إلى غيرهن. والأصل نساء أزواج قاصرات حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه. وقوله: ﴿لم يطمثهن﴾ صفة لقاصرات لأن إضافتها لفظية لا تفيد تعريفًا، أو حال لتخصيص النكرة بالإضافة وقوله: ﴿كأنهن الياقوت﴾ صفة أخرى لقاصرات أو حال منهن لكونهن خصصن بالوصف أي مشبهات الياقوت في خمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان الذي هو صغار اللؤلؤ في بياض البشرة وصفاء لونها وصفاء اللؤلؤ أنصع بياضًا. **قوله: (ومن دون تينك الجنتين)** أي دون الأوليين في الفضل والقدر على أن يكون دون بمعنى الأدنى رتبة ومنزلة لا بمعنى غير. قال ابن جريج: هي أربع: جنتان منهما للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان، وجنتان منهما لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان. وقيل قوله تعالى: ﴿ومن دونهما﴾ معناه وسواهما وغيرهما، فعلى هذا تكون الجنان الأربع لكل أهل الجنة. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن هاتين الجنتين للمقربين وهاتان لأصحاب اليمين. ويدل على أن الأخريين أدنى من الأوليين في الفضل والشرف أنه تعالى وصف الأوليين بكثرة الأشجار والفواكه حيث قال: ﴿ذواتا أفنان﴾ ووصف الأخريين بكثرة النبات والرياحين المنبسطة على الأرض حيث قال: ﴿مدهامتان﴾ أي مائلتان إلى السواد من الدهمة وهي السواد يقال: إدهام الزرع ادهيمامًا فهو مدهام إذا علاه السواد ريًا. وقال في حق الأوليين: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ وفي الآخريين ﴿نضاختان﴾ والنضخ دون الجري لأن النضخ هو الفوران بحيث كلما أخذ منه شيء فار آخر مكانه ولا يكفي هذا القدر في الجريان. وقال في الأوليين: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ وفي الأخريين ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ فإن فاكهة أقل من كل فاكهة زوجان. وقال في الأوليين: ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق﴾ وترك ذكر الظهائر لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والأفهام وقال في الأخريين ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ فوارتان بالماء وهو أيضًا أقل مما وصف به الأوليين وكذا ما بعده. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ عطفهما على «الفاكهة» بيانًا لفضلهما، فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء. واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبًا أو رمانًا لم يحنث. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ أي خيرات فخففت لأن خير الذي بمعنى أخير لا يجمع. وقد قرىء على الأصل ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ حسان الخلق والخلق. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ قصرن في خدورهن. يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي مخدرة، أو مقصورات الطرف على أزواجهن. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾

حسان﴾ وتفاوت ما بينهما يعلم مما ذكره المصنف في تفسير الرفرف والعبقري، وفي هذا كله بيان لتفاوت وما بينهما وأن الأوليين أفضل من الأخريين.

قوله: (عطفهما على الفاكهة) جواب عما يقال: لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها؟ وتقريره أنه من قبيل عطف الخاص على العام بيانًا لفضله وتنبيهًا على شرفه فكأنهما لمزيتهما جنسان آخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] وأيضًا النخل ثمره فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخصا للتفكه بهما؟ فصارا باعتبار ما فيهما من القيد الزائد كأنهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة. ثم إنه تعالى لما ذكر جنتي السابقين المقربين وجنتي أصحاب اليمين قال: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ أي في الجنان الأربع نساء ذوات خير. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه فسره بأن قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه» وقيل: في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن. وقوله: ﴿حور﴾ بدل من ﴿خيرات﴾ وهو جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها. والمقصورات المحبوسات المستورات في الخيام لسن بالطوافات في الطرق. هذا هو المفهوم من المعالم والتيسير إلا أن الظاهر أن ضمير «فيهن» راجع إلى الجنان المدلول عليها بقوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ ويدل عليه قول المصنف: «كحور الأوليين» أي حاجة إلى وصف الجنان الأربع بأن فيهن الحور بعد قوله في حق الأوليين: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ **قوله: (أي مخدرة)** أي مستورة من الخدر وهو الستر. **قوله: (أو مقصورات الطرف على أزواجهن)** لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم. قيل: تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك. والخيام جمع خيمة وهي أعواد تنصب وتظلل بالثياب وهي تكون لأهل البوادي أبرد من الأخبية. وأما خيام الجنة فروى قتادة عن ابن عباس قال: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها أربعة آلاف مصراع

كحور الأوليين. وهم لأصحاب الجنتين فإنهما يدلان عليهم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ وسائر أو نمارق جمع رفرفة. وقيل: الرفرف ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ العبقري منسوب إلى العبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب. والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملاً على المعنى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته. وقيل: الاسم بمعنى

من ذهب. وعن عبد الله بن قيس الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً وفي كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون». **قوله: (وهم لأصحاب الجنتين)** أي الضمير في قوله: «قبلهم» لأصحاب الجنتين المدلول عليهم بقوله: «ومن دونهما جنتان» أي لمن دونهم. وقوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف﴾ حال منهم كأنه قيل: ولمن دون الخائفين المقربين، وهم أصحاب اليمين، جنتان متكئين فيهما على رفرف. والنمارق جمع نمرقة وهي وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة. قيل: الرفرف الخضر فراش إذا استقر عليه الولي طار به من فرحه وشوقه إليه يمينًا وشمالاً حيثما يريده الولي. روي في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى رب العرش فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي» ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضًا ورفعًا يهوي به حتى أداه إلى جبريل عليه السلام. فالرفرف خادم بين يدي الله تعالى من جملة الخدم مختص بخواص الأمور في محل الدنو والقربة كما أن البراق تركبها الأنبياء عليهم السلام هي مخصوصة لركوبهم، فهذا الرفرف الذي سخره لأهل الجنتين هو متكأهم وفراشهم يرفرف بالولي ويطير به على حافات تلك الأنهار حيث يشاء من خيامه وأزواجه وقصوره. وقوله تعالى: ﴿خضر﴾ نعت «لرفرف» ﴿وعبقري﴾ عطف على «رفرف» و«حسان» نعت «لعبقري». **قوله تعالى: (تبارك)** تفاعل من البركة. وقيل: أصل التبارك من البرك وهو الدوام والثبات ومنه: برك البعير وبركة الماء، فإن الماء يكون فيها دائمًا. والمعنى: دام اسمه وثبت أو دام الخير عنده لأن البركة وإن كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير، أو يكون معناه على اسم ربك أي ارتفع شأنه. عن القرطبي أنه قال: لعل المراد بالاسم الاسم الذي افتتح به السورة فإنه تعالى افتتح السورة باسم الرحمٰن ثم ذكر خلق الإنسان والجن وخلق السمٰوات والأرض وصنعه، وذكر أنه كل يوم هو في شأن ثم وصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان، ثم قال في آخر السورة: ﴿تبارك اسم ربك﴾ أي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كأنه تعالى يشير به إلى أن هذا كله

الصفة أو مقحم كما في قوله إلى الحول ثم اسم السلام عليكما. ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة الرحمٰن أدى شكر ما أنعم الله عليه».

خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض، فلذلك أثنى على صفة الرحمة. تمت سورة الرحمٰن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سورة الواقعة

مكية وآيها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ إذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب إذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ أي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله أو تكذب في نفسها كما تكذب الآن. واللام مثلها في قوله

سورة الواقعة

هي مكية غير قوله: ﴿ثلة من الأولين﴾

وقوله: ﴿أفبهذا الحديث﴾ إلى آخر الآيتين فإنهما نزلتا في سفره عليه السلام إلى المدينة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (سماها واقعة) مع أنها أمر سيقع ولم تقع بعد لأنها لتحقق وقوعها كانت كأنها واقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. **قوله: (وانتصاب إذا بمحذوف مثل اذكر)** فيكون «إذا» بمعنى الوقت المجرد منصوبًا على أنه مفعول به. **قوله: (أو كان كيت وكيت)** فيكون «إذا» ظرفًا وحينئذٍ تكون شرطية وجوابها مقدر وهو العامل فيها ولم يجعله منصوبًا بـ «ليس» لوقعتها كاذبة لأن «ليس» مثل «ما» النافية في أنه لا حدث فيها وما ليس فيه معنى الحدث لا يكون عاملاً في الظرف، وتسميتها فعلاً مجاز لعدم صدق حد الفعل عليها. **قوله: (أي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى)** أي تفتري عليه بأن تسند إليه ما لا يصح إسناده إليه كنسبة الشريك والصاحبة والولد وأن تقول إنه تعالى لا يبعث الموتى ولا يجازيهم ونحو

قدمت لحياتي أوَليس لأجل وقعتها كاذبة فإن من أخبر عنها صدق أوَليس لها حينئذٍ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم: كذبت فلانًا نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته عليه وسوّلت له أنه يطيقه. ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ تخفض قومًا

ذلك من الأباطيل. وفيه إشارة إلى أن «كاذبة» اسم فاعل وأنه صفة حذف موصوفها المرفوع على أنه اسم «ليس» واللام في قوله: «لوقعتها» لام التاريخ كما في قوله تعالى: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤] يعني أنها بمعنى الوقت وهي مع عاملها المحذوف في محل نصب على أنها خبر «ليس» أي ليس نفي كاذبة حاصلة حين تقع بإنكار شيء مما أخبر به الله تعالى مطلقًا أو إنكار خصوص القيامة ونفيها، لأن كل نفس فيها حينئذٍ مؤمنة صادقة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤] وقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١] وقال: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الحج: ٥٥]. **قوله:** (**أوَليس لأجل وقعتها كاذبة**) عطف على قوله واللام مثلها في قوله: ﴿قدمت لحياتي﴾ كأنه قيل: واللام بمعنى الوقت، أو على أصل معناه فالمعنى: إذا قامت القيامة بأن نفخت النفخة الثانية يعترف بها كل أحد ولا يتمكن أحد من إنكارها لأجل وقوعها ومشاهدتهم إياها واقعة، فكل من أخبر عنها حينئذٍ يتعين له أن يصدق ولا يمكن له أن يكذب بإنكار وقوعها كما أنكره في الدنيا إما بلسان المقال أو الحال، فإن من انهمك في اتباع الشهوات فقد كذب بالساعة وأنكر وقوعها بلسان الحال. **قوله:** (**أوَليس لها حينئذٍ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها**) عطف على قوله أي لا يكون حين تقع نفس تكذب، فإن الكذب فيه بمعنى الإخبار بما لا يطابق الواقع وهو في هذا الوجه بمعنى التشجيع على مباشرة ما لا يطاق تحمله. فقوله: «لوقعتها حينئذٍ» يجوز أن يكون متعلقًا بقوله: «كاذبة» كأنه قيل: إذا قامت القيامة لا تكون نفس تشجع صاحبها في حق وقعتها بأن تقول له: إنك تطيقها وما هو أشد منها فلا تبال بها أي ولا تكون نفس تطيق زلزلة الساعة فما ظنك بنفس القيامة؟ **قوله:** (**في الخطب العظيم**) متعلق بقوله: «من قولهم» فقوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ في محل النصب على أنه حال من الواقعة أي إذا وقعت الواقعة مصدقة في وقوعها ومؤمنة جميع النفوس بالله وبجميع ما أخبر به. **قوله:** (**تخفض قومًا**) الخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى وإسنادهما إلى «الواقعة» من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه. والجمهور على رفع «خافضة رافعة» على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة قومًا إلى النار ورافعة آخرين إلى مقر الكرامة، وحذف المفعول للعلم به. ويجوز أن ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى: إنها ذات وضع ورفع. وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة أي إذا وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة فهذه ثلاث أحوال متعاقبة: الأولى قوله: ﴿ليس

وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فإن الوقائع العظام كذلك، أو بيان لما يكون حينئذٍ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو إزالة الأجرام عن محازها بنثر الكواكب وتسيير الحال في الجو. وقُرِئتا بالنصب على الحال. ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ حركت تحريكًا شديدًا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل. والظرف متعلق بخافضة رافعة أو بدل من إذا وقعت ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق. إزالته، أو سيقت وسيرت من بس الغنم إذا ساقها ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ منتشرًا ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل، أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم، أو أصحاب اليمن والشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم

لوقعتها كاذبة﴾ والثانية قوله: ﴿خافضة﴾ والثالثة ﴿رافعة﴾ وجاز كثرة الأحوال لأن الحال من الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدأ واحد فكذا جاز تعدد الأحوال. **قوله: (أو بيان لما يكون حينئذٍ)** الفرق بين الوجهين: أن الكلام على الوجه الأول يكون كناية عن العظمة الملزومة لصريح مضمون الكلام، وعلى الثاني يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير أن يقصد الانتقال إلى الملزوم. **قوله: (أو إزالة الأجرام)** بالجر عطف على قوله: «خفض أعداء الله». **قوله: (والظرف متعلق بخافضة رافعة)** يشعر بأنه منصوب بهما معًا، وذلك لا يجوز لأنه لا يتوارد عاملان على معمول واحد إلا أن يقال: المراد أن كل واحد منهما متسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع أي ترفع وتخفض وقت رج الأرض وبس الجبال، أو حال وقد مقدرة وعاملها الفعل السابق. والرج التحريك الشديد ورجت أي زلزلت وحملت على أن تضطرب بحيث لم يبق عليها بناء. **قوله تعالى: (فكانت)** بمعنى فصارت وقوله تعالى: ﴿وكنتم﴾ عطف على ﴿رجت﴾ والخطاب للخلائق بأسرهم قسمهم ثلاثة أصناف: اثنان منها في الجنة وواحد في النار. ثم بيّن من هم فقال: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون.

قوله: (من تيمنهم بالميامن) خبر مبتدأ محذوف يعني أن إطلاق أصحاب الميمنة على أصحاب الرفعة والمنزلة السنية، وكذا إطلاق أصحاب المشأمة على أصحاب الهوان والدناءة ناشئان من تيمنهم بجانب اليمين وتشأمهم بجانب الشمال، حتى أنهم يتفاءلون بالسانح من الصيد لإعطائه جهة يمينه إياهم بأن يطير ويمر من جانب يسارهم إلى جانب يمينهم، ويتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون: فلان مُني باليمين وفلان مُني بالشمال إذا أرادوا

والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ والذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان، أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات أو الأنبياء، فإنهم مقدمو أهل الأديان الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبي النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أن يصفوا أحدًا بكونه ذا الرفعة أو الدناءة عندهم. وفي الصحاح: المشأمة الميسرة وكذلك الشأمة يقال: قعد فلان شأمة، وأخذ بهم شأمة أي ذات الشمال، ونظرت يمنة وشأمة. والشؤم نقيض اليمن واليمنة خلاف اليسرة والأيمن والميمنة خلاف الأيسر والميسرة. إلى هنا كلامه. وقيل: وصف السعداء بأصحاب الميمنة والأشقياء بأصحاب المشأمة لأنه يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين ويؤخذ بأهل النار ذات الشمال. **قوله: (والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما)** يعني أن قوله تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة﴾ مبتدأ و«ما» استفهامية مبتدأ ثانٍ وقوله: «أصحاب الميمنة» خبره والجملة خبر الأول، وكذا قوله: ﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ واكتفى عن الراجع إلى المبتدأ فيهما بصريح اسمه. والمعنى: أصحاب الميمنة أي شيء هم؟ فوضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة في وصفهم بما دل على المدح كأنه قيل: ما تدري ما لهم من الخير والكرامة وما لأصحاب المشأمة من الشر والعذاب، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢] ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢] ولا يكون ذلك إلا في موضع التعظيم والتعجب نحو: زيد ما زيد، وكذا قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون﴾ فإنه جملة اسمية أخبر عن السابقين بأنهم السابقون مبالغة في مدحهم أي والسابقون من عرف حالهم من البسط والشرح كقول أبي النجم:

(أنا أبو النجم وشعري شعري)

كأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وعرفت فصاحته وبراعته. **قوله: (من غير تلعثم)** أي تردد يقال: تلعثم الرجل في الأمر إذا تمكث فيه، وتأنى والتواني من الونى وهو الضعف يقال: ونى في الأمر يني ونيًا ونيًا أي ضعف فهو وانٍ، وتوانى في حاجته أي قصر وفتر. فسر المصنف قوله تعالى: ﴿والسابقون﴾ بثلاثة أوجه: فسره أولاً بقوله: والذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة وثانيًا بقوله: أو سبقوا في حيازة الفضائل وثالثًا بقوله: أو الأنبياء. وفسر قوله: ﴿والسابقون﴾ الذي هو الخبر بقوله: هم الذين عرفت حالهم. ولم يعتبر التغاير بين المبتدأ والخبر بقيد من القيود حيث جعل متعلق السبقين واحدًا. ثم أشار إلى جواز أن يعتبر

أو الذين سبقونا إلى الجنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت مراتبهم ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي هم كثير من الأولين يعني الأمم السالفة من لدن آدم إلى محمد عليهما السلام، و«قليل من الآخرين» يعني أمة محمد عليه السلام. ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام: «إن أمتي يكثرون سائر الأمم» لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو هذه الأمة من تابعيهم ولا يرده قوله في أصحاب اليمين ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] لأن كثرة الفريقين لا تنافي أكثرية أحدهما.

التغاير بينهما بأن يجعل متعلق السبق الأول ما ذكر من الاحتمالات ومتعلق السبق الثاني الجنة حيث قال: أو الذين سبقونا إلى الجنة وهو معطوف على قوله: هم الذين عرفت حالهم. قيل: السابقون أربعة: منهم سابق أمة موسى عليه الصلاة والسلام وهو حزقيل: مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابق أمة محمد ﷺ وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. ويحتمل أن يكون السابقون الثاني تأكيدًا للأول تأكيدًا لفظيًا و﴿أولئك المقربون﴾ جملة اسمية مرفوعة المحل على أنها خبر الأول، والرابط اسم الإشارة، والأقرب أن يوقف على «السابقون» الثاني لأنه تمام الجملة ويجعل قوله: ﴿أولئك المقربون﴾ جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ويجعل قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ خبرًا ثانيًا أو حالاً من المنوي في المقربون أي أولئك الموصوفون بالسبق هم المقربون عند الله تعالى في جنات النعيم أو كائنين فيها. **قوله**: (أي هم كثير من الأولين) إشارة إلى أن قوله: ﴿ثلة﴾ خبر مبتدأ محذوف وأن الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله: ﴿من الأولين﴾ في موضع الصفة لثلة أي السابقون المقربون جماعة كثيرة من الأمم السالفة. ويجوز أن تكون خبر «أولئك» وقوله عليه السلام: «إن أمتي يكثرون سائر الأمم» وقوله عليه السلام: «أهل الجنة مائة وعشرون صفًا هذه الأمة منها ثمانون صفًا» لا ينافي كون سابقي الأمم السالفة أكثر من سابقي هذه الأمة، لأن الأنبياء المتقدمين كثيرة جدًا ومن ضرورته أن يكثر السابقون إلى الإيمان والطاعة من أممهم بالنسبة إلى سابقي هذه الأمة. ومن المعلوم أن تابعي هذه الأمة أكثر من تابعي الأمم السالفة بحيث يكون مجموع هذه الأمة أكثر من مجموع الأمم السالفة مثل أن يكون سابقوهم ألفين وتابعوهم ألفًا فالمجموع ثلاثة آلاف، ويكون سابقو هذه الأمة ألفًا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع أربعة آلاف فرضًا. وهذا المجموع أكثر من المجموع الأول مع أن السابقين من المجموع الأول أكثر من سابقي هذه الأمة وزادوا على عدد من سبق من الآخرين. قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبيين وسبقوا إلى الإيمان بهم أكثر ممن عاين نبينا محمدًا ﷺ وسبقوا إلى الإيمان به. ولما ورد أن يقال: كيف يكون تابعو هذه

وروي مرفوعًا أنهما من هذه الأمة واشتقاقها من الثل وهو القطع. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ خبر آخر للضمير المحذوف. والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت، أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ حالان من الضمير في «على» ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ مبقون أبدًا على هيئة الولدان وطراوتهم ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ حال الشرب وغيره. والكوب إناء بلا عروة ولا خرطوم له، والإبريق إناء له ذلك. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ من خمر ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ بخمار ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

الأمة أكثر من تابعي الأمم السالفة وقد قال تعالى في حق أصحاب اليمين: ﴿ثلة من الأولين﴾ وثلة من الآخرين، **وكثرة أصحاب اليمين من الأولين يستلزم كثرة تابعيهم؟ أجاب عنه بقوله: «ولا يرده» الخ يعني أن اللازم كثرة تابعيهم في أنفسهم وذلك لا يرد قلتهم بالنسبة إلى تابعي هذه الأمة. قوله:** (وروي مرفوعًا) **أي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الثلتان جميعًا من أمتي» فالمعنى** ﴿ثلة من الأولين﴾ **من سابقي هذه الأمة** ﴿وقليل من الآخرين﴾ **من آخر هذه الأمة في آخر الزمان. قوله: (واشتقاقها من الثل وهو القطع) وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة من جملة بني آدم.**

قوله: (والموضونة المنسوجة بالذهب) قاله ابن عباس. وقال عكرمة: الموضونة المشبكة بالدر والياقوت. وقال الراغب: الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم. وقيل: أصله وضنت الشيء أي ركبت بعضه مع بعض. ومنه قيل للدرع: موضونة لتركب حلقها. **قوله:** (حالان من الضمير في على) أي من الضمير المنوي في الفعل الذي تعلق به الجار في ﴿على سرر﴾ كأنه قيل: استقروا على سرر متكئين. **قوله تعالى:** (ولدان) أي غلمان، وهو جمع وليد وهو الذي لم يبلغ بعد. روي عنه عليه السلام: «إن أطفال الدنيا خدم أهل الجنة». وقال سلمان: هم أطفال المشركين. وقال الحسن: لأنه لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها. وأبو حنيفة رحمه الله تعالى توقف فيهم لأن الثواب بفضل الله تعالى ووعده لا بالعمل ولا نص فيهم. وقيل: هم خدم خلقوا في الجنة على صورة الغلمان. **قوله:** (من خمر) يعني أن المعين فعيل بمعنى فاعل من معن الماء إذا جرى، فالمعين بمعنى الجاري من الماء والخمر وقدر موصوفه الخمر بشهادة الكأس وهو القدح الذي فيه خمر. وقوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها﴾ من التصديع وبناء فعل هنا ليس للتعدية لأن الثلاثي منه متعد يقال: صدع فهو مصدوع إذا أصيب رأسه بالوجع بل هو لكثرة الصداع أو المصدوعين ومعنى عنها بسببها. **قوله تعالى:** (لا يصدعون عنها) يجوز أن يكون مستأنفًا. أخبر تعالى عنهم بأنهم لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك بسبب شرب

ولا ينزف عقولهم أو لا ينفد شرابهم. وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرىء «لا يصدعون» بمعنى لا يتصدعون أي لا يتفرقون. ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يختارون ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ يتمنون ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها حورًا ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفًا على «جنات» بتقدير مضاف أي هم في جنات ومصاحبة حور، أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب. وقرئتا بالنصب على «ويؤتون» جوز ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ باطلاً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ ولا

خمر الدنيا، فإنها لذة بلا أذى. وأن يكون حالاً من ضمير «عليهم» و«عن» سببية بمعنى الباء. **قوله: (ولا ينزف عقولهم)** إشارة إلى ما ذكره في سورة الصافات من أن أصله النفاد يقال: نزف المطعون إذا خرج دمه كله، ونزفت الزكوة حين نزفتها إذا لم تترك فيها ماء. والنفاد في الآية إما للعقل أو للشراب، فإن نفاد الشراب مخل بنشاط أهل المجلس. **قوله: (وقرىء لا يصدعون)** أي بفتح الياء وتشديد الصاد. والأصل يتصدعون أي يتفرقون. فالمعنى: حينئذٍ لا يتفرقون كما يتفرق أهل الشرب من مجلس الشراب لمهم من مهمات الدنيا، وذلك التفرق يمنعهم من الاستمرار على صفاء الاجتماع في المجلس. **قوله تعالى: (وفاكهة)** مجرور بالعطف على «أكواب» أي وبفاكهة وتخير الشيء واختياره عده خيرًا. و«من» في قوله: ﴿مما يتخيرون﴾ إما لتبيين الجنس لأن كل جنس من أجناسها في الفضل سواء، أو للتبعيض أي من أي جنس يتخيرونه من أجناس الفاكهة، أو من أجناس ما يستلذونه من نعيم الجنة، وكذا قوله تعالى: ﴿مما يشتهون﴾ عن ابن عباس قال: يخطر ببالهم لحم الطير فيصير ممثلاً بين أيديهم على ما يشتهونه، فإذا أخذوا منه حظهم يطير فيذهب. وخص لحم الطير من بين اللحوم لأن توسع العرب كان بلحمان الإبل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا يشتهونه عند الملوك. واحتيج في توجيه عطف قوله: «حور» على «أكواب» إلى اعتبار المعنى لأنه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى: يطوف عليهم الولدان بأكواب وبحور عين وهو غير صحيح لأن الولدان لا يطوفون عليهم بالحور. **قوله: (باطلاً)** الباطل من الكلام ما يلغي ولا يلتفت إليه لعدم الفائدة في سماعه وخلوه عن معنى يعتد به، وإن لم يكن كذبًا ولا فحشًا. والتأثيم مصدر أثمته أي قلت له: أثمت أي لا يؤثم بعضهم بعضًا. وقوله: ﴿إلا قيلاً﴾ مستثنى منقطع لأنه لا يندرج تحت اللغو والتأثيم ﴿وسلامًا سلامًا﴾ إما بدل من «قيلاً» أي لا يسمعون فيها إلا سلامًا سلامًا، أو صفة «لقيلاً» أي ولكن يسمعون قولاً ذا سلامة مما يكره أي قولاً سالمًا وكلامًا حسنًا، أو مفعول لقوله: «قيلا»

نسبة إلى الإثم أي لا يقال أثمتم ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ إلا قولاً ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ بدل من قيلاً كقوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢] أو صفته أو مفعوله بمعنى إلا أن يقولوا سلامًا أو مصدر التكرير للدلالة على فشو السلام بينهم. وقرىء «سلام» سلام على الحكاية.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ لا شوك له من خضد الشوك إذا قطعه، أو مثنى أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب. ﴿وَطَلْحٍ﴾ وشجر موز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة. وقرىء بالعين ﴿مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ منبسط لا يتقلص

والمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا، أو مصدر مؤكد لفعله المحذوف المحكي بقوله: «قيلا» أي إلا أن يقول بعضهم لبعض أسلم سلامًا أو أسلم مما يكره سلامًا أو سلم الله عليك سلامًا. ومعنى التكرير في «سلامًا» أنهم يفشون السلام بينهم أو يسلمون سلامًا بعد سلام. **قوله تعالى:** (في سدر مخضود) أي هم في خلال نبق خضد شوكه أي قطع والخضد وإن كان قطع الشوك من الشجر ونزعه منه، إلا أن المصنف فسر المخضود بقوله: «لا شوك له» على معنى أنهم في سدر خلق بلا شوك كأنه نزع منه شوكه بعد أن كان فيه. وعن مجاهد: من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب.

قوله: (وشجر موز) وإليه ذهب أكثر المفسرين وهو شجر له أوراق كبار وظل بارد. عن السدي: أنه يشبه طلح الدنيا ولكن ثمرته أحلى من العسل، كما أن أوراق السدر صغار وبينهما من الأشجار ما هو متوسط الأوراق، وذكر الطرفين يدل على اندراج ما بينهما. وقال الزجاج: الطلح شجر أم غيلان لها نور طيب وإن كان لا يؤكل منه شيء، فيقصد منه النزهة والزينة دون الأكل. قال مجاهد: ولكن ثمرتها أحلى من العسل. قيل: كان لأهل الطائف وادي معجب فيه الطلح والسدر، فنظر المسلمون إليه فقالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي. فنزلت هذه الآية. وقد قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] فذكر لكل قوم ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا. وقرىء و «طلع منضود بالعين» استدلالاً بقوله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [قٓ: ١٠] قيل: أشجار الجنة ليس لها ساق بادية بل ثمارها منضودة أي مقطوعة من عروقها إلى أفنانها كلما أخذت منها ثمرة عاد مكانها ما هو أحسن منها. انتهى.

قوله: (لا يتقلص) أي لا ينتقص يقال: ظل قالص إذا نقص طرف منه وهو شأن ظل

ولا يتفاوت ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ يسكب لهم أين شاؤوا أو كيف شاؤوا بلا تعب أو مصبوب سائل، كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأكمل ما يتصور لأهل المدن شبّه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعارًا بالتفاوت بين الحالين ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ كثيرة الأجناس ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطع في وقت ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ ولا تمنع عن متناولها بوجه ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة. وقيل: الفرش النساء وارتفاعها أنها الأرائك ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ أي ابتدأناهن ابتداء جديد من غير ولادة إبداء أو إعادة وفي الحديث: «هن اللواتي قبضن في

الدنيا. **قوله:** (يسكب لهم) أي يصب لهم من مكان وله خرير وصفاء وهو أعجب المياه في مرأى العين. وقيل: ينصب من ساق العرش. وقال سفيان: يجزى من غير أخدود. وقيل: دائم الجري لا ينقطع. وما أشار إليه من التعميم بقوله: «أين شاؤوا وكيف شاؤوا» هو مستفاد من عدم ذكر متعلق مسكوب. **قوله:** (أو مصبوب سائل) أي جار لا ينقطع يعني كون الماء مسكوبًا إما عبارة عن كونه ظاهرًا مكشوفًا كثيرًا، أو عن كونه جاريًا غير منقطع أبدًا. وروي عن الإمام أنه قال: معناه مسكوب من فوق لأن أكثر ماء العرب من الآبار والبرك ولا يسكب. وقيل: جار في غير أخدود بل يجري في الهواء. وكانت العرب أصحاب بادية وبلاد حارة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك. **قوله:** (لما شبه حال السابقين في التنعم بأكمل ما يتصور لأهل المدن) أي من الاستقرار على السرر. شبّه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي من خلال السدر والظل والماء الموصوف بالأوصاف المذكورة. **قوله:** (لا تنقطع في وقت) أي من الأوقات حتى وقت الأخذ بل ينبت مكانها مثلها. **قوله:** (ولا تمنع عن متناولها بوجه) كبعد المتناول وانعدام ثمن يشتري به وشوك في الشجر يؤذي من يقصد تناولها وحائط يمنع التوصل إلى شجرها بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا تعب. قال تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]. **قوله:** (أو منضدة) أي مبسوطة بعضها فوق بعض يقال: نضد متاعه ينضده من باب ضرب إذا وضع بعضه على بعض. قيل: لو طرح فراش من أعلاها إلى أسفلها لم يستقر إلا بعد سبعين خريفًا. **قوله:** (ويدل عليه) أي على أن المراد بالفرش النساء وجه الدلالة ظاهر، ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير «أنشأناهن» راجعًا إلى قوله: و «حور عين» أو إلى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لأنها تبسط لأن يضطجع الرجل عليها مع أهله بناء على أن العرب تسمي المرأة فراشًا ولباسًا وإزارًا. **قوله:** (إبداء أو إعادة) الأول على أن يكون المراد بالمنشآت الحور اللاتي أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاء أي إنشاء عجيبًا من غير ولادة، والإعادة على أن يكون المراد بهن

دار الدنيا عجائز شمطًا رمصًا جعلهن الله بعد الكبر أترابًا على ميلاد واحد كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا» ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا﴾ متحببات إلى أزواجهن. جمع عروب وسكن راءه حمزة، وروي عن نافع وعاصم مثله. ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ متعلق بأنشأنا أو جعلنا أو صفة لأبكارًا أو لأترابًا أو خبر لمحذوف مثل هن، أو لقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وهو على الوجوه الأول خبر محذوف ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ﴾ في حر نار ينفذ في المسام.

نساء الدنيا. ومما يدل على أن المراد بهن نساء الدنيا قوله تعالى: ﴿فجعلناهن أبكارًا﴾ لأن المنشآت في الجنة لا شك في كونهن أبكارًا. والجعل بمعنى التصيير يستدعي أن يكن قبل ذلك ثيبات. ويدل عليه أيضًا أن أم سلمة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ عنها قال: «يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطًا رمصًا». وفي رواية «عمشًا» مكان «شمطًا» جعلن بعد الكبر أترابًا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا. فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت: واوجعاه. فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجمع». وقالت عجوز لرسول الله ﷺ: ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الجنة لا يدخلها العجائز» فولت تبكي فقال عليه الصلاة والسلام: «أخبروها أنها ليست يومئذٍ بعجوز». وقرأ الآية ﴿عربًا أترابًا﴾ والشمط جمع شمطاء يقال: رجل أشمط وامرأة شمطاء وجمعها شمط إذا خالط بياض شعر رأسه سواده. والعمش في العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر الأوقات، والرجل أعمش والمرأة عمشاء. والرمص وسخ يجتمع في الموق والرجل أرمص والمرأة رمصاء. **قوله:** (جمع عروب) كرسل ورسول من أعرب إذا بين، والعروب تبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن الشمائل وطيب النفس والملاعبة بما ينشطه في قربانها. **قوله:** (أو صفة لأبكارًا أو لأترابًا) أي مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين مثل أزواجهن، وقد أشار إليه المصنف بقوله: و «كذا أزواجهن». **قوله:** (أو لقوله: ثلة من الأولين) فاللام سواء جعل لأصحاب اليمين صفة أو خبرًا متعلقة بمحذوف هو الصفة أو الخبر. **قوله:** (في سموم) السموم في الأصل ريح حارة تدخل في مسام البدن. والمراد بها في الآية حر النار تشبيهًا له بالسم في نفوذه في المسام. ومسام البدن منافذه وثقبه. والحممة الفحم وفي الحديث: «لا يستنجي أحدكم بالحممة» أي بالفحم. والمعنى: إن الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم أصحاب الشمال في مقاساة حر نار جهنم فتحترق بها أكبادهم وأجسادهم، فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيزدادون عذابًا فوق عذابهم بحر النار، فيستغيثون بالظل فيغاثون

﴿وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ وماء متناه في الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ من دخان أسود يفعول من الحممة. ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائر الظل ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ ولا نافع. نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ منهمكين في الشهوات ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ الذنب العظيم يعني الشرك. ومنه: بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب، وحنث في يمينه خلاف بر فيها، وتحنث إذا

بظل من يحموم، فإذا أتوه لم يجدوه باردًا ولا كريمًا بل يكون ما لقوا فيه من العذاب أشد مما كانوا فيه قبل ذلك.

قوله: (ولا نافع) فإن الكرم صفة لكل ما يرضي ويحمد في بابه. قال الراغب: وكل شيء أشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم. وعن الفراء: أن العرب تنفي كل شيء غير مستحسن بنفي الكرم فيقولون: الدار لا واسعة ولا كريمة. وقيل: الكريم ما كرم على غيره لانتفاعه به وما لا ينتفع به غيره لا يكون كريمًا. والظل يقصد لفائدتين: إحداهما برودته التي يستروح بها من يأوي إليه من غير أن يقصد به دفع أذى الحر عنه، وثانيهما مجرد دفع أذى الحر عمن يأوي إليه مع قطع النظر عن أن يفيده روح البرد أو من غير أن يفيده البرد أصلاً كالبيوت المسدودة الأطراف بحيث لا يتحرك فيها الهواء، فإن من يأوي إليها يتخلص بها من أذى حر الشمس وإن لم يستروح ببردها وظل اليحموم ليس فيه شيء من هاتين الفائدتين. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠، ٣١]. **قوله: (نفى بذلك)** أي بقوله: ﴿لا بارد ولا كريم﴾ ما أوهم الظل من الاسترواح يعني مقتضى الظاهر أن يقال: ويحموم حار ضار إلا أنه عدل عن ذلك إلى قوله: ﴿وظل﴾ للتهكم بهم من حيث إن الظل يوهم الروح والبرد. ثم لما نفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد والكرم تعيّن أن ذكر الظل إنما هو للسخرية والتهكم بهم والتعريض بأن الذين يستأهلون الظل البارد الكريم غيرهم أي غير هؤلاء ازديادًا لتحسرهم وتأسفهم. ثم إنه تعالى ذكر أعمالهم التي أوجبت لهم هذا العذاب فقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ أي قبل أن يصيروا إلى هذا العذاب في الدنيا ﴿مترفين﴾ يقال: أترفته النعمة إذا أطغته ومن لم يتوسل بما أنعم الله تعالى عليه من النعم إلى رعاية مقتضى العبودية، بَل صرفه إلى ما يشتهيه فقد أترف وطغى فعل هذا المترف صفة ذم كالإصرار على الحنث. وقيل: الترفه النعمة والمترف المنعم فهو في حد نفسه ليس للذم وإنما حصل الذم بقوله: ﴿وكانوا يصرون على الحنث﴾ فإن صدور المعاصي ممن كثرت النعم عليه أقبح القبائح فكأنه قيل: إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا منعمين ولم يشكروا نعم الله تعالى عليهم بل أصروا على الذنب العظيم. والحكمة في ذكر سبب عذابهم مع أنه لم يذكر في أصحاب

تأثم. ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقًا وخصوصًا في هذا الوقت كما دخلت العاطف في قوله: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ للدلالة على أن ذلك أشد إنكارًا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في «لمبعوثون». وقرأ نافع وابن عامر «أو» بالسكون وقد سبق مثله. والعامل في الظرف ما دل عليه «مبعوثون» لا هو للفصل «بأن» والهمزة. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ﴾ وقرىء «لمجمعون» ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ

اليمين سبب ثوابهم فلم يقل: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ شاكرين مطيعين التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل لا يستحقه المطيع بطاعته بخلاف العقاب فإنه منه تعالى عدل يصيب المذنب جزاء المعصية فبيّن سبب عقابهم لئلا يتوهم أن هناك ظلمًا.

قوله: (كررت الهمزة) يعني أن الهمزة الأولى دخلت لإنكار البعث مطلقًا والثانية لإنكاره وقت كون لحومهم ترابًا وعظامهم رفاتا، والتي دخلت العاطف لإنكار بعث آبائهم الذين هم أقدم موتًا وأتم انحلالاً وكل واحد من هذه الأمور أشد إنكارًا مما قبله، فإنهم أشاروا في استبعادهم للبعث وتكذيبهم إياه إلى أمور اعتقدوها مقررة لصحة إنكارهم له: الأول الموت أشاروا إليه بقولهم: ﴿أئذا متنا﴾ ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده: ﴿وكنا ترابًا وعظامًا﴾ أي طال عهد موتنا بعد كوننا حيوانًا حتى صارت اللحوم ترابًا والعظام رفاتًا. والثاني طول مدة موتهم حيث صارت لحومهم ترابًا ولم يبق منهم إلا العظام البالية، ثم زادوا وقالوا في هذه الحال يقال لنا إنكم لمبعوثون بتأكيد الكلام بطرق ثلاثة: أحدها تصدير الكلام «بأن»، وثانيها زيادة اللام في خبرها، وثالثها ترك صيغة الاستقبال والعدول عن صيغة المستقبل إلى صيغة اسم المفعول لأن البعث أمر كائن في الحال، ثم زادوا وقالوا: ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ بإدخال همزة الإنكار على الواو العاطفة للدلالة على أن ذلك أشد إنكارًا من حيث إن الآباء أقدم موتًا وأشد تلاشيًا واضمحلالاً. وقولهم: «أو آباؤنا» معطوف على الضمير المرفوع المتصل في «المبعوثون» وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التأكيد كما قامت كلمة «لا» المؤكدة للنفي مقامه في قوله تعالى: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقرىء بإسكان الواو على أنها أو العاطفة التي هي لأحد الشيئين أو الأشياء أي انبعث نحن أو آباؤنا مبالغة في الإنكار وزيادة في الاستبعاد لأنهم أقدم موتًا فبعثتهم أبعد إنكارًا لأن نبعث كل واحد منهم ومن آبائهم. وقوله: «ما دل عليه مبعوثون» أي انبعث إذا متنا لا هو لما تقرر أن بعد كلمة «إن» وما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما. **قوله: (وقرىء لمجمعون)** بتكثير المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣] قال الحسن: لمجموعون في القبور إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم

﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ إلى ما وقت به الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم. ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ «من» الأولى للابتداء والثانية للبيان.

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من شدة الجوع ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ لغلبة العطش وتأنيث الضمير في «منها» وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ. وقرىء «من

القيامة، فتكون كلمة «إلى» لبيان غاية اجتماعهم فيها وميقات الشيء ما وقت به ذلك الشيء أي حد وعين.

قوله: (من يوم معين) بيان ما في قوله: «ما وقت به» أشار به إلى أن إضافة الميقات إلى اليوم بيانية بمعنى «من» كما في خاتم فضة، أي إلى الميقات الذي هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة، وهو ميقات منتهى الدنيا عند أول جزء منه فإن بقاء الدنيا موقوت محدد بتحقق أول جزء من ذلك اليوم. يقال: وقت الفعل بالتخفيف إذا بيّن له وقتًا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] أي مكتوبًا مبين الوقت. وقيل قوله تعالى: ﴿لمجموعون﴾ معناه لمحشورون فكلمة «إلى» على هذا بمعنى «في». **قوله:** (من الأولى للابتداء) أي لابتداء الغاية أي مبتدئون الأكل من شجر والمراد ثمره، والثانية لبيان جنس ذلك الشجر. قيل: اختلف الناس في الزقوم، وحاصل الأقوال يرجع إلى أن ذلك في الفم مر، وفي اللمس حار، وفي الرائحة منتن، وفي النظر أسود لا يكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصة كريه من جميع الوجوه. أعاذنا الله منه برحمته. والفاء في قوله: ﴿فمالئون﴾ المتوسطة بين الصيغتين المختلفتين لبيان ترتيبهما في الوجود والعجب من جمعهم إياهما، وكذا الفاء في ﴿فشاربون﴾ الأول وكذا في قوله: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ فإن مجرد أكلهم من ذلك الشجر أمر عجيب وأعجب منه أن يغلب عليهم الجوع بحيث يفضي إلى أن يأكل كل واحد منهم إلى أن يملأ منه بطنه مع ما فيه من وجوه العذاب. **قوله:** (لغلبة العطش) أي لأجل حرارة ما أكلوه ومرارته وقوله: «وهو داء يشبه الاستسقاء» أي داء معطش تشرب منه الإبل إلى أن تموت أو تسقم سقمًا شديدًا. وعطف قوله: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ على ما سبق بيان لزيادة العذاب أي لا يكون شربكم أيها الضالون عن الهنيء كشرب من يشرب ماء حارًا منتنًا، فإنه يمسك عنه إذا وجده منتنًا معذبًا بخلاف شربكم فإنكم تلزمون أن تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الأهيم فإنه يشرب ولا يروى. هذا على أن يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد. ويحتمل أن يكون المراد من البطون ما في بطن الإنسان من الأمعاء السبعة ويكون المعنى: فمالئون بطون الأمعاء والأول أظهر والثاني أدخل في التعذيب وأعجب منه أن يحملهم

شجرة» فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة:

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل: الهيم الرمال على أنه جمع هيام بالفتح، وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خففت وفعل به ما فعل بجمع أبيض، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد. وقرأ نافع وحمزة وعاصم «شرب» بضم الشين. ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم. وفيه تهكم كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١؛ التوبة: ٣٤؛ الانشقاق: ٢٤] لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له. وقرىء «نزلهم» بالتخفيف. ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه، أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة.

العطش على أن يشربوا عليه الحميم المتناهي في الحرارة المقطع للأمعاء، وأعجب من ذلك كله كونهم شاربين إياه بالحرص كما تشرب الإبل الهيم الماء الطيب. **قوله: (جمع أهيم وهيماء)** فأصله هيم بضم الهاء كحمر في جمع أحمر وحمراء، فأبدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك في بيض جمع أبيض وبيضاء والصدى العطش وقوله: «ولا يقضى عليها هيامها» أي لا يميتها. **قوله: (وقيل الهيم الرمال)** عطف على قوله: الإبل التي بها الهيام والرمل إذا لم يتماسك لا يروى من الماء أصلاً. وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن سحب في جمع سحاب فأسكنت الياء للتخفيف وقلبت ضمة الهاء كسرة لأجل الياء كما في بيض. **قوله: (وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر)** جواب عما يقال: كيف يصح عطف الشاربين على الشاربين مع أنه ليس من عطف الذوات على الذوات لاتحاد الذوات في الطرفين، ولا من قبيل عطف الصفات لأنهما صفتان متفقتان فكانا من عطف الشيء على نفسه وهو لا يجوز؟ وتقرير الجواب منع اتحاد الصفتين بناء على أن بينهما عمومًا من وجه لأن الشرب من الحميم أعم من أن يكون كشرب الهيم أو غيره، وكذا الشرب كشرب الهيم أعم من شرب الحميم ومادة الاجتماع ظاهرة. **قوله: (وفيه تهكم)** أي قوله تعالى: ﴿هذا نزلهم﴾ من قبيل الاستعارة التهكمية وهي عبارة عن تشبيه أحد الضدين بالآخر من حيث التضاد. ثم إطلاق اسم المشبه به على المشبه بأن شبّه في الآية ما قدم للتعذيب بما أعد للتكرمة وهو النزل ثم أطلق اسم النزل على المشبه. **قوله: (بالخلق أو بالبعث)** يعني لما كان قوله تعالى: ﴿فلو لا تصدقون﴾ تحضيضًا على التصديق بمعنى فهلا تصدقون، وكان التصديق مطلقًا بحسب التعلق حيث لم يبيّن متعلقه، ذكر أنه يحتمل أن

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف. وقرىء بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تجعلونه بشرًا سويًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

يكون المراد فهلا تصدقون بأنا خلقناكم؟ ولما ورد عليه أنه ما معنى التحضيض على التصديق بالخلق وهم مصدقون بأنه تعالى خلقهم وأنشأهم أول مرة والتحضيض إنما يتصور على ما لم يحصل بعد؟ أشار إلى جوابه بقوله: «متيقنين محققين للتصديق» بذلك بأن تعملوا على مقتضى ذلك، فإنهم لما أنكروا البعث والنشأة الثانية وعملوا على حسب ما يقتضيه هذا الإنكار من الإصرار على الكفر والانهماك في الشهوات كأنهم كانوا مكذبين بالنشأة الأولى، فإن المصدق إذا لم يجر على موجب تصديقه يكون بمنزلة المكذب فالتحضيض في الحقيقة تخضيض على الأعمال التي هي نتيجة التصديق بالخلق وثمرته. فقول المصنف: «بالأعمال الدالة عليه» متعلق بقوله: «محققين بالخلق أو بالبعث» يعني أن قوله تعالى: ﴿فلولا تصدقون﴾ تحضيض على التصديق بمعنى: فهلا تصدقون. والتصديق لا بد له من مصدق ولم يذكر ذلك، فيحتمل أن يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الأول فإنهم وإن كانوا مصدقين به كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] إلا أنهم منزلون منزلة المكذب من حيث إنهم لا يجرون على ما يقتضيه ذلك التصديق وهو الإيمان والطاعة، وقد تقرر أن العالم بالشيء ينزل منزلة الجاهل به إذا لم يجر على مقتضى علمه، فهم لما أصروا على الكفر واتباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الأول فصح تحضيضهم على التصديق به. ويحتمل أن يكون المراد تحضيضهم على التصديق بالبعث استدلالاً بقوله: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ بالخلق الأول. ثم إنه تعالى لما قال: ﴿نحن خلقناكم﴾ استدل بقوله: ﴿أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ فإنه إلزام لهم على الاعتراف بأن الخالق في الابتداء هو الله تعالى، فإن المني أمر ممكن والممكن لا بد له من موجد غيره، وأن موجده لا يكون مخلوقًا آخر وإلا لدار أو تسلسل فتعين أن خالقه هو الله الواحد القهار. كأنه لما قال: ﴿نحن خلقناكم﴾ قال المشركون: خلقنا من النطف فرد عليهم بقوله: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ أي إن زعمتم ذلك فأخبروني، ومفعولها الأول «ما تمنون» والثاني الجملة الاستفهامية يقال: مني الرجل النطفة وأمناها بمعنى أي صبها. فقوله تعالى: ﴿ما تمنون﴾ سواء قرىء بفتح التاء أو بضمها معناه ما تصبونه في أرحام النساء. قال القرطبي: يحتمل عندي أن يختلف معناهما فيكون أمنى بمعنى أنزل عن جماع، ومني بمعنى أنزل احتلامًا. وهذه الآية احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، وإذا ثبت عندكم أنا خلقنا صورة الإنسان من النطفة المقذوفة في الأرحام فلتكن أعمالكم موافقة لهذا السلم أو فاعترفوا بالبعث أيضًا، فإن من

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين. وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته، أو لا يغلبنا أحد من سبقته على كذا إذا غلبته عليه. ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ على الأول حال أو علة «لقدرنا» و«على» بمعنى اللام و«ما نحن بمسبوقين» اعتراض. وعلى الثاني صلة. والمعنى: على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم، أو نبدل صفاتكم على أن أمثالكم

قدر على الإبداء قدر على الإعادة وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧] يحتمل أن يكون من الثاني.

قوله: (قسمناه عليكم وأقتنا موت كل) يعني أن تقدير الموت بين القوم يتضمن معنيين: الأول جعله مقسومًا عليهم والثاني جعل ما أصاب كل واحد منهم مخالفًا لما أصاب الباقين منه، فاختلفت أعمارهم بذلك كما اختلفت الأرزاق المقسومة بينهم، فمنهم من يعيش إلى أن يبلغ الهرم ومنهم من يموت شابًا أو صبيًا صغيرًا. ولما كان تقدير الموت متضمنًا لهما كان قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ نفيًا لأن يعجزه أحد عن كل واحد منهما ويفوت عن تنفيذ مشيئته في حقه بأن يتخلص من الموت أو يغير وقته المقدر. ويجوز أن لا يكون السبق بمعنى الفوات بل يكون بمعنى الغلبة كما يقال: سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته ولم تمكنه منه. **قوله: (على الأول حال)** يعني على تقدير أن يفسر قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بقوله: لا يفوتنا أحد بهربه من الموت أو بتغيير وقته يكون قوله تعالى: ﴿على أن نبدل﴾ متصلاً بقوله: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ إما أن يكون حالاً من فاعل قدرنا أي قدرنا بينكم الموت عازمين على أن نبدل منكم أشباهكم بأن نهلككم ونأتي بأشباهكم مكانكم قرنًا بعد قرن إلى وقت انقضاء الدنيا وعلى أن ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لا تعلمون من الصور والصفات، فالسعداء يبعثون على أحسن الصور والأشقياء على أقبحها وهم لا يعلمون ما ننشىء بذلك اليوم منها. وإما بأن يكون علة لقدرنا بأن تكون كلمة «على» بمعنى اللام وعلى هذا أي على تقدير كونه متصلاً به بكونه حالاً أو علة يكون قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ اعتراضًا حسنًا لتقرير قدرته على ما يشاء. **قوله: (وعلى الثاني صلة)** أي إن فسر قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بلا يغلبنا أحد يكون قوله: ﴿على أن نبدل﴾ صلته أي متعلقًا بمسبوقين، فإن السبق بمعنى الغلبة يتعدى بـ «على» كما أشار إليه بقوله: من سبقته على كذا إذا غلبته عليه ولأن نفي المغلوبية في إثبات القدرة، وهي تتعدى بـ «على» فكذا ما بمعناها. **قوله: (والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم)** إشارة إلى أن أحد المفعولين وهو المتعدي إليه بحرف الجر محذوف، فإن الأمثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء.

جمع مثل. ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)﴾ في خلق أو صفات لا تعلمونها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ إن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فإنها أقل صنعًا لحصول المواد. وتخصيص الأجزاء وسبق المثال. وفيه دليل على صحة القياس. ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣)﴾ تبذرون حبه. ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه.

ثم أشار إلى جواز أن يكون الأمثال جمع مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة الشأن أطلق عليها لفظ المثل تشبيهًا لها بالمثل السائر الممثل مضربه بمورده الذي هو المعنى العرفي للفظ المثل، والمعنى على أن نبدل صفاتكم ونغيرها وننشئكم في صفات وخلق وهيئات لا تعلمونها وما عهدتم نظائرها. **قوله تعالى: (وننشئكم)** عطف على «نبدل» أي وعلى أن ننشئكم، ثم إنه تعالى قرر إمكان النشأة الثانية وحرّض على التذكر والاستدلال من العلم بالنشأة الأولى على النشأة الثانية أي هلا تذكرون أن من قدر على النشأة الأولى بلا سبق مثال ومواد أخر فهو على الثانية أقدر فقال: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ أي الخلقة الأولى.

قوله: (وفيه دليل على صحة القياس) حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى بقوله: ﴿فلولا تذكرون﴾ فإن معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسًا على الأولى، وترك القياس إذا كان جهلاً كان القياس علمًا وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح. وفي الخبر: عجبًا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى، وعجبًا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور. واعلم أنه تعالى احتج على المشركين الذين أنكروا البعث بقوله: ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ ثم حملهم على أن يعترفوا بتفرده في خلق النطفة التي هي مادة تكونهم فقال: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ الخ ثم حملهم على أن يعترفوا بتفرده في خلق ما به يعيشون ويكون سببًا لبقائهم في المأكول والمشروب وما هو سبب لإصلاح المأكول غالبًا وهو النار، فذكر من كل نوع ما هو الأصل فيه فذكر من المأكول الحب لأنه الأصل فيه، ومن المشروب الماء كذلك، ومن المصلحات النار لكونها سببًا لإصلاح أكثر الأغذية وأدخل في كل واحد منها ما هو دونه فقال: ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ أي أخبروني ما تحرثونه، أضيف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث الذي هو إلقاء البذر في الأرض فعلهم من حيث إن اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع فإنه خالص فعل الله تعالى، فإن إنبات الحب وإخراج الأوراق والساق والسنبل منه لا مدخل لاختيار العبد فيه أصلاً. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت، فإن الزارع هو الله تعالى وحده». ثم قال أبو هريرة: أما سمعتم قوله تعالى: ﴿ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ قال القرطبي: المستحب لكل من حرث شيئًا

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ المنبتون. ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ هشيمًا. ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تعجبون أو تندمون على اجتهادكم فيه أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه. والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث. وقرىء «فظلتم» بالكسر و«فظللتم» على الأصل. ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام. وقرأ أبو بكر «أئنا» على الاستفهام ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون. ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي العذب الصالح للشرب ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ من السحاب واحدة مزنة. وقيل: المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بقدرتنا والرؤية إن كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام.

أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ الآية ثم يقول: بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، يقال: إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك. ثم قال: سمعناه من ثقة وجربناه فوجدناه كذلك. والهشم كسر الشيء اليابس من النبات، والهشيم من النبات اليابس المنكسر. قيل: هذه الآية تتضمن أمرين: أحدهما الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على ما أنعم الله عليهم، والثاني البرهان الموجب للاعتبار لأنه تعالى لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله إلى أسوء حالة تحت التراب حتى صار زرعًا أخضر، ثم قوي واشتد وأنبت سنابل ذوات حبوب كثيرة، فمن قدر عليه فهو بإعادة الموتى أحق وأقدر. وفي هذا البرهان قناعة للناظرين. والجمهور على فتح الظاء وسكون اللام في قوله: ﴿فظلتم﴾ أصله ظللتم بكسر اللام الأولى فحذفت اللام الأولى هربًا من ثقل التكرار. وقرىء «فظلتم» بكسر الظاء بأن نقلت حركة اللام الأولى إليها بعد سلب حركتها. و «تفكهون» أصله تتفكهون أي فظلتم النهار كله تتعجبون من يبسه بعد خضرته يقال: ظلت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملته بالنهار دون الليل، وتفكه بمعنى تعجب ويقال: بمعنى ندم أي تتندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بالحرمان من أجلها. **قوله: (لملزمون غرامة ما أنفقنا)** أي من البذر والمؤونة على أن المغرم من ذهب ماله بغير عوض. وقيل: المغرم المهلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي هلاكًا والجملة محكية بقوله مقدر في موضع الحال أي قائلين بهذا القول. **قوله: (أو محدودون)** من الحد بمعنى المنع أي ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الربع والزرع. **قوله: (فمعلقة بالاستفهام)** أي الداخل على المفعول الثاني عن العمل فيه ولا تمنع عن العمل في المفعول

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملحًا أو من الأجيج فإنه يحرق الفم، وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه، أو الاكتفاء

الأول. ذكر في شرح الرضي أنه إذا صدر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام فالأولى أن لا يعلق فعل القلب عن المفعول الأول نحو: علمت زيدًا من هو وجوز بعضهم تعلقه عن المفعولين لأن معنى الاستفهام يعم الجملة التي بعد علمت كأنه قيل: علمت من زيد وليس بقوي. **قوله: (ملحًا)** أي شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه إذ الملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال: مالح إلا في لغة رديئة. والأجيج مصدر بمعنى تلهب النار يقال: أجت النار تؤج أجيجًا. **قوله: (وحذف اللام الفاصلة)** جواب عما يقال: قد التزمت البلغاء إدخال اللام في جواب «لو» للفصل بين ما يتمحض للشرط وهو كلمة «أن» وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنًا لمعنى الشرط وشبيهًا بأداة الشرط وهي كلمة «لو» فلذلك دخلت اللام في جواب «لو» في قوله تعالى: ﴿لو نشاء لجعلناه حطامًا﴾ فلم لم تدخل في قوله: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجًا﴾؟ وإنما قلنا إن «لو» ليست متمحضة للشرط لأن الشرط عبارة عن تعليق حصول شيء على حصول غيره وذلك يستدعي أن يكون المعلق أمرًا استقباليًا و«لو» للمضي فلا تكون للشرط حقيقة، لكنها لما دخلت على جملتين تعلقت إحداهما بالأخرى بأن يكون امتناع مضمون الثانية منهما منوطًا بامتناع مضمون الأولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة بأداة الشرط وليس لها عمل في شيء منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق، فاحتيج إلى أن ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام في جوابها لتكون علامة ودليلاً على التعليق المذكور. وتقرير الجواب أنها حذفت في جواب «لو» الثانية اعتمادًا على علم السامع بمكانها، فإن السامع لما علم أنها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالأولى وأنها لا بد منها في جواب «لو» مطلقًا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها، لأن الشيء إذا علم موضعه واشتهر أنه لا بد منه لا يبالي بإسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادًا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية، وهو سبق ذكرها في قوله: ﴿لو نشاء لجعلناه حطامًا﴾ فقوله: «أو الاكتفاء» إشارة إلى تحقق القرينة اللفظية وقوله: «لعلم السامع» إشارة إلى تحقق القرينة المعنوية وقوله: «وتخصيص ما يقصد لذاته» جواب عما يقال: القرينة الحالية قائمة في كل واحد من آيتي المطعوم والمشروب فلم اختصت آية المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادًا على القرينة الحالية ولم يعكس الأمر؟ وتقرير الجواب أن المطعوم مقصود لذاته والمشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم فكان الأول أهم وفقده أصعب وأشد فكان هذا مرجحًا لاختصاصه بمزيد التأكيد للارتباط وعدم الاكتفاء بالقرينة.

بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب لمزيد التأكيد. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أمثال هذه النعم الضرورية.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ تقدحون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ يعني الشجرة التي منها الزناد.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ جعلنا نار الزناد ﴿تَذْكِرَةً﴾ تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يٓس أو في الظلام، أو تذكير، أو أنموذجًا لنار جهنم ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ للذين ينزلون القواء وهي القفرا وللذين خلت بطونهم، أو مزاودهم من الطعام من أقوت

قوله: (تقدحون) أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد وهو جمع زند يقال: ورى الزند وريًا أي خرجت ناره وأوريته أنا، والزند العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى، والزندة السفلى فيها ثقب وهي الأنثى فإذا اجتمعا قيل: زندان والجمع زناد. والقداح الحجر الذي يوري النار والعرب تقدح بعودين يحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى منهما الزند والأسفل الزندة تشبيهًا لهما بالفحل والمطروقة. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما من شجر ولا عود إلا فيه النار سوى العناب فإن عوده لا نار فيه، ولهذا تدق أهل القصارة بخشبه ويدق عليه.

قوله: (كما مر في سورة يٓس) وهو قوله: فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضًا فيبس وبلي. والتبصير والتبصرة التعريف والإيضاح كما أن التبصر التأمل والتعرف، فهو تعالى جعل النار تبصرة لأمر البعث أو تبصرة في ظلمة الليالي وتذكرة وأنموذجًا لنار جهنم حيث علق بها معظم معاش الإنسان لتكون حاضرة عندهم في أكثر الأوقات ليذكروا بها نار جهنم. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام: «ناركم هذه التي توقدونها يا بني آدم جزء من سبعين جزء من حر جهنم».

قوله: (للذين ينزلون القواء) أي من المسافرين وأهل البادية فإنهم أشد احتياجًا إلى النار يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع ويصطلون من البرد ويجففون ثيابهم ويصلحون طعامهم، إذ لا يوجد الطعام الحاضر في البوادي الخالية من السكان، فلذلك خص المقوين بالذكر مع أن المقيمين وأهل المدن يتمتعون بها أيضًا. يقال: أقوى الرجل إذا نزل في الأرض القواء كما يقال: أصحر إذا نزل في الصحراء ويقال أيضًا: أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها. قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

الدار. إذا خلت من ساكنيها. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره فإن إطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب، وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عود من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أو للتعجيب من أمرهم في غمط نعمه، أو للشكر على ما عدها من النعم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم، أو فأقسم و«لا» مزيدة للتأكيد كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩] أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام

قدم كونها تذكرة على كونها متاعًا لأنها أمر ديني قد غفل الناس عنها فكانت أهم وأولى بالتقديم. **قوله**: (فأحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره) كأن قائلاً قال: الظاهر أن يقال: فسبح ربك العظيم أي فنزهه عما لا يليق بشأنه الأعلى من النقائص، فإنه تعالى لما رد على من أنكر البعث بأن قالوا: ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون﴾ بأن ذكر ما يدل على صحة البعث وقدرته عليه وبدأ بذكر خلق الإنسان لكونه أصل النعم كلها، ثم ذكر تفرده بخلق ما به بقاء الإنسان فبدأ بذكر ما هو أصل المطعوم وهو الحب، ثم ذكر ما هو أصل المشروب وهو الماء الذي يعجن به الخمير ويشرب، ثم ذكر النار التي يطبخ بها معظم المطعومات وبيّن بهذا كله أن من أنعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتداء يقدر على أن يعيدكم للحساب والجزاء، فرّع عليه الأمر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكرو البعث في حقه تعالى فإنهم منكرون لقدرته الكاملة وعلمه الشامل لتفاصيل أجزاء الموتى. فثبت بهذا أن الظاهر أن يقال: فسبح ربك العظيم عما يقول الجاهلون فلم قال: ﴿فسبح اسم ربك العظيم﴾؟ وتقرير الجواب أن كون الأمر بالتسبيح متفرعًا على ذكر دلائل صحة البعث لا يستدعي أن يكون تعلق التسبيح بمفعوله مرادًا لأن المقصود حاصل بتنزيله منزلة اللازم وجعل الباء في قوله: ﴿باسم ربك﴾ للآلة إما بتقدير الذكر المضاف إلى الاسم وجعل الاسم بمعنى الذكر مجازًا فيكون المعنى فأحدث التسبيح بواسطة ذكر اسمه تعالى، أو بواسطة ذكره تعالى. وجاز كون الاسم مجازًا عن الذكر لما أشار إليه المصنف بقوله: فإن إطلاق اسم الشيء ذكره فإنه أراد به بيان العلاقة بين الاسم والذكر يعني أن إطلاق اسم الشيء لما كان سببًا لذكره صح إطلاق الاسم وإرادة الذكر مجازًا. قيل: ويجوز أن يجري النظم على ظاهره من غير تقدير المضاف ولا ارتكاب المجاز بكون المعنى: فسبح اسم ربك فإنه كان يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة للدلالة على ذاته عن سوء الأدب، وهذا أبلغ في الدلالة على تسبيح ذاته تعالى لأنه يلزم منه ذلك بالطريق الأولى. غاية ما في الباب أن يعدى فعل التسبيح إلى مفعوله بواسطة الباء مع أنه يتعدى إليه بنفسه كما في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ولا محذور فيه لأنه إذا كان تعلق الفعل بالمفعول ظاهرًا

الابتداء. ويدل عليه قراءة «فلأقسم» أو فلأرد لكلام يخالف المقسم عليه. ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره، أو بمنازلها ومجاريها. وقيل: النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها. وقرأ حمزة والكسائي «بموقع». ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى. وهو اعتراض في اعتراض فإنه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة. ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد، أو حسن مرضي في جنسه.

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾ مصون وهو اللوح. ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة، أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الأحداث، فيكون نفيًا بمعنى نهي، أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر. وقرىء «المتطهرون» و«المطهرون» و«المطهرون» من أطهره بمعنى طهره

لا يعدى إليه بحرف. **قوله**: (ويدل عليه قراءة فلأقسم) أي يدل على أن لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين: أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح، والثاني أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال. **قوله تعالى**: (بمواقع النجوم) قرأ حمزة والكسائي بموقع على التوحيد. قال الحسن: أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة. وقيل: مواقعها عند الرجم. **قوله**: (لما في غروبها من زوال أثرها) أو لعل الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات معروفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم.

قوله تعالى: (في كتاب مكنون) صفة أخرى «لقرآن» أو حال من الضمير في «كريم»، أو خبر مبتدأ محذوف. وقيل: المراد بالكتاب المصحف ومعنى «مكنون مصون» أي محفوظ من التبديل والتحريف. وقوله: «تنزيل» على قراءة الرفع أي هو تنزيل بمعنى منزل، وعلى قراء النصب أي نزل تنزيلاً لأنه نزل نجومًا من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل، ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه. **قوله**: (أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الأحداث) **وهو قول عطاء وطاوس وأكثر أهل العلم، وبه قال الشافعي ومالك. وقال الحكم وحماد**

والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به. وقرىء بالنصب أي نزل تنزيلاً. ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونًا به.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي شكر رزقكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي بمسانحه حيث تنسبونه إلى الأنوار، وقرىء «شكركم» أي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به، أو تكذبون أي بقولكم في صفة القرآن إنه سحر وشعر، أو في المطر أنه من الأنواء ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ أي النفس ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ حالكم. والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بقدرتنا وعلمنا، أو ملائكة الموت أي ونحن أعلم بحال المحتضر. ﴿مِنكُمْ﴾ عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لا تدركون كنه ما يجري عليه. ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي محزبين يوم القيامة، أو مملوكين مقهورين من دانه إذا أذله واستعبده. وأصل التركيب للذل والانقياد. ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ ترجعون النفس إلى مقرها. وهو عامل الظرف والمحضض عليه «بلولا» الأولى والثانية تكرير للتأكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط. والمعنى: إن كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ في أباطيلكم فلولا ترجعون الأرواح إلى الأبدان بعد بلوغها الحلقوم.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ أي إن كان المتوفى من السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة. وقرىء «فروح» بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة. ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق طيب ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ ذات تنعم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحب اليمين ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي من

وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه. **قوله: (صفة ثالثة أو رابعة)** أي إن كان «لا يمسه» خبرًا أي غير نهي «فتنزيل» صفة رابعة وإن كان نفيًا بمعنى نهى «فتنزيل» صفة ثالثة للقرآن، أو إن كان «لا يمسه» صفة «كتاب» «فتنزيل» صفة ثالثة وإن كان صفة «لقرآن» «فتنزيل» صفة رابعة. **قوله تعالى: (فروح)** جواب إما، وأما «أن» فاستغنى بجواب إما عن جوابها لأن «أن» قد يحذف جوابها في مواضع. ويقرأ بفتح الراء وضمها، فالفتح مصدر والضم اسم له. وقيل: هو المروح به. **قوله: (فسلام لك)** أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم بهم، فإنهم سلموا من عذاب الله وأنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. قال مقاتل: هو

إخوانك يسلمون عليك ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ أي من أصحاب الشمال. وإنما وصفهم بأفعالهم زجرًا عنها وإشعارًا بما أوجب لهم ما أوعدهم به. ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إن الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ أي حق الخبر اليقين. ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا».

أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم. وقال الفراء وغيره: فسلام لك أنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلام لك أنك من أصحاب اليمين كالرجل يقول: إني مسافر عن قليل فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل. وقيل: فسلام عليك من أصحاب اليمين. **قوله:** (فنزل) فله نزل وقوله: «وتصلية» قرىء بالرفع عطفًا على نزل وبالجر عطفًا على حميم. **قوله:** (أي حق الخبر اليقين) وقيل: المعنى حقيقة اليقين والعظيم صفة «لربك». وقيل: للاسم وقوله: «فسبح» قيل معناه فصل بذكر ربك وأمره. وقيل: الباء زائدة. تم ما يتعلق بسورة الواقعة والحمد لله رب العالمين.

سورة الحديد

مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ذكر هٰهنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع إشعار بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع

سورة الحديد

مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

روي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية». ويعني بالمسبحات: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن. بدأ الله تعالى سورة بني إسرائيل بلفظ المصدر، والحديد والحشر والصف بلفظ الماضي، والجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وسورة الأعلى بلفظ الأمر استيعابًا لجميع ضروب صيغ التسبيح في كلامه المجيد، وإشارة إلى أن المكونات من لدن إخراجها من العدم إلى الوجود مسبحة في كل الأوقات لا يختص بتسبيحها وقت دون وقت بل هي مسبحة أبدًا في الماضي والمستقبل. ووجه الإشارة أنه تعالى لما أخبر عن تسبيح جميع المكونات السماوية والأرضية من العقلاء وغيرهم تارة بصيغة الماضي وأخرى بصيغة المضارع دل ذلك على أن كل واحدة من الصيغتين جردت عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة، فإذا لم تكن خصوصية

أوقاته لأنه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات. ومجيء المصدر مطلقًا في بني إسرائيل أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال، وإنما عدي باللام وهو معدّى بنفسه مثل: نصحت له في نصحته إشعارًا بأن إيقاع الفعل لأجل الله وخالصًا لوجهه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾ حال يُشعِر بما هو المبدأ للتسبيح.

الزمان مقصودة في كل واحدة من الصيغتين بقيت دلالتهما على مطلق الزمان ولا أولوية لبعض أجزائه على بعض، فكأن كل واحدة منهما لاستمرار الأزمنة مع أن التسبيح لما أسند إلى جميع المكونات كان المراد به ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال، لأنه الذي يمكن تحققه من الجميع وهو الدلالة الجبلية على تنزه الخالق عن جميع النقائص. فإن كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الإمكان وقبول العدم بحسب وجوده الجبلي المستفاد من المؤثر، وعن العجز بحدوثه وتغير أحواله، وعن سائر النقائص بتنزيهه وتبليغه إلى كمالاته الممكنة بالأسباب السماوية والأرضية. وبالجملة كل موجود ممكن مفتقر بإمكانه الذاتي الجبلي إلى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كما أنه معدن كل كمال مبعد عن كل نقصان فثبت أن كل موجود ممكن يسبح ويبعد مؤثره عن كل نقصان بحسب ذاته وجبلته، فإن الإمكان الذاتي لما كان محوجًا إلى مؤثر واجب الوجود لذاته وكان وجوب وجوده مستلزمًا لتنزهه عن كل نقصان كان كل ممكن مسبحًا ومنزهًا لخالقه عن جميع النقائص لأجل إمكانه الذاتي اللازم له في جميع الأزمنة، فكان التسبيح المسبب عنه أيضًا مستمرًا في جميع الأزمنة فوجب أن تجرد كل واحدة من الصيغتين عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة وتحمل كل واحدة منهما على استمرار الأزمنة.

قوله: (ومجيء المصدر مطلقًا) أي عن الدلالة على الزمان والفاعل. **قوله:** (وهو معدّى بنفسه) كما في قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢] و﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] و﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وذلك لأن سبح بالتشديد منقول من سبح الثلاثي وهو لازم بمعنى ذهب وبعد، فعدي بتضعيف العين فالتشديد فيه للتعدية، فمعنى «سبحته» بعدته عن السوء. ولما كان متعديًا بنفسه كانت اللام فيه لام الأجل والاختصاص ويكون الفعل منزلاً منزلة اللازم ويكون معنى ﴿سبح لله﴾ أحدث التسبيح وأوقعه لأجل الله تعالى وخالصًا لوجهه من غير توقع ثواب وعوض كما يقال: نصحت لك للدلالة على إمحاض النصح للمنصوح من غير غرض للناصح فيه.

قوله: (حال يُشعِر بما هو المبدأ للتسبيح) فإن العزيز هو الغالب على كل شيء بحيث لا يتصور منازعته فيكون إشارة إلى كمال القدرة كما أن الحكيم إشارة إلى كمال العلم، لأنه

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنه الموجد لهما والمتصرف فيهما. ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ استئناف، أو خبر لمحذوف، أو حال من المجرور في «له» ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإحياء والإماتة وغيرهما ﴿قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ تام القدرة.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ السابق على سائر الموجودات من حيث إنه موجدها ومحدثها ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الباقي بعد فنائها ولو بالنظر عن غيرها، أو هو الأول الذي تبتدىء منه الأسباب

الذي أفعاله على وفق الحكمة والصواب فيعتبر في مفهوم الحكمة كل واحد من إتقان العلم والعمل. ولا شك أن من جمع بين كمال القدرة وكمال العلم يكون مسبحًا منزهًا عن جميع النقائص. **قوله تعالى:** (**له ملك السمٰوات**) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. والملك عبارة عن استغناء الذات في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه، واحتياج كل ما عداه إليه في ذواتهم وصفاتهم، فالملك والخلق ليس إلا لله الواحد القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وقوله: ﴿يحيي ويميت﴾ جواب عن سؤال كأنه قيل: كيف يتصرف فينا؟ فأجيب بأنه يحيي الأموات للبعث ويميت الأحياء في الدنيا وهو على كل شيء قدير. **قوله:** (**ولو بالنظر إلى ذواتها**) يعني أن المراد بأوليته تعالى كونه سابقًا على كل ما سواه من الموجودات بالذات من حيث إنه موجدها ومحدثها وبآخريته بقاؤه بعد فناء الموجودات ولو بالنظر إلى ذواتها، ولا يلزم أن يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة من مؤثرها بل يكفي في فنائها كونها بحيث إذا نظر إليها في حد ذاتها وقطع النظر عما سواها وجدها العقل فانية عارية عن صفة الوجود، بخلاف الباري تعالى فإنه إذا نظر إليه في حد ذاته وقطع النظر عن جميع ما عداه يجده العقل موجودًا باقيًا ويحكم بأن وجوده وجميع صفات كماله مقتضى ذاته، فهو تعالى باقٍ في ذاته بعد فناء سائر الموجودات مطلقًا سواء كان فناؤها بطريان العدم عليها أو بكونها في حد ذاتها عارية عن الوجود وكون وجوداتها مستفادة من الغير. **قوله:** (**أو هو الأول الذي تبتدىء منه الأسباب**) أي ويجوز أن تكون أوليته تعالى عبارة عن كونه بحيث إذا نظر إلى سلسلة الموجودات المرتبة في الوجود كان تعالى مبدأ سلسلة الأسباب، وتكون آخريته عبارة عن كونه بحيث تنتهي إليه سلسلة المسببات فإن الوجود يبتدأ منه تعالى ولا يزال ينزل فينزل حتى ينتهي إلى الوجود الأخير الذي يكون سببًا لكل ما عداه ولا يكون مسببًا لشيء آخر، فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه أولاً. ثم إذا أخذت تترقى من هذا الوجود الأخير درجة درجة حتى تنتهي في آخر الترقي إليه تعالى فهو تعالى أول في نزول الوجود منه تعالى إلى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات إليه تعالى. قال القرطبي: اختلف في معاني هذه الأسماء وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحًا يغني عن قول كل قائل، فإنه روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم

وتنتهي إليه المسببات أو الأول خارجًا والآخر ذهنًا ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول، أو الغالب على كل شيء والعالم لباطنه والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمنوطة للجمع بين المجموعين. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ ويسوي عنده الظاهر والخفي ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالبذور ﴿وَمَا يَخْرُجُ

أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عنا الدين وأغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم ببواطن الأشياء». قيل: القول بأن الباطن العالم ضعيف لأنه يلزم التكرار في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وآيات أخرى. **قوله**: **(أو الأول خارجًا والآخر ذهنًا)** فإنك إذا نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين إليه تعالى فهو تعالى آخر ما يرتقي إليه درجات العارفين، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته والمنزل الأقصى هو معرفة الله تعالى، فهو آخر بالإضافة إلى السلوك في درجات الارتقاء في باب المعارف، وأول بالإضافة إلى الوجود الخارجي فمنه المبدأ أولاً وإليه المرجع آخرًا. **قوله**: **(والباطن حقيقة ذاته)** لأن حقيقة ذاته غير مدركة لا عقلاً ولا حسًا باتفاق المحققين من أهل السنة والمعتزلة، ولما تعاضدت الأدلة على أنه تعالى يدرك بالحاسة في الآخرة لم يفسر المصنف كونه تعالى باطنًا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده، لأن الموجودات بأسرها ظاهرة بظهوره والباطن بكنه حقيقته وبطونه بهذا المعنى لا ينافي كونه مرئيًا في الآخرة. وفسره صاحب الكشاف بأنه غير مدرك بالحواس وهو تفسير بحسب التشهي تأييدًا لما ذهب إليه من استحالة الرؤية. والحق أنه تعالى ظاهر بوجوده باطن بكنهه وأنه تعالى جامع بين الوصفين أزلاً وأبدًا. والبطون بهذا المعنى لا ينافي الرؤية في الآخرة لأن الرؤية بالحاسة لا تقتضي معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لئلا يتوهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما في الشاهد. **قوله**: **(أو الغالب على كل شيء)** على أن يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه إذا علاه وغلب عليه، فالمعنى هو الغالب الذي يغلب كل شيء ولا يغلب عليه فيتصرف في الكائنات على سبيل الغلبة والاستيلاء إذ ليس فوقه أحد يمنعه، وأنه الباطن الذي يعلم بواطن الأشياء وليس تحته شيء حتى لا يصل إليه علمه.

قوله: **(والواو الأولى والأخيرة)** يعني أن الواو المتوسطة بين الأول والآخر لعطف المفرد على المفرد، وكذا المتوسطة بين الظاهر والباطن، وأما الواو الثانية المتوسطة بين الظاهر والباطن فهي لعطف المجموع الثاني على المجموع الأول، ولو جعلت لعطف الظاهر

منها﴾ كالزروع ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالأمطار ﴿وما يعرج فيها﴾ كالأبخرة ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال ﴿والله بما تعملون بصير ﴿٤﴾﴾ فيجازيكم عليه. ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل عليه.

﴿له ملك السموات والأرض﴾ ذكره مع الإعادة الإعادة مع الإبداء لأنه كالمقدمة لهما ﴿وإلى الله ترجع الأمور ﴿٥﴾ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ﴿٦﴾﴾ بمكنوناتها ﴿ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ من الأموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم، أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس. ﴿فالذين ءامنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴿٧﴾﴾ وعد فيه مبالغات جعل

على أحد الوصفين الأولين لفات التناسب، بخلاف ما إذا عطف أحد الوصفين المتقابلين المذكورين أولاً على الآخر ثم أحد المتقابلين المذكور ثانيًا على الآخر ثم جمعت بين المجموع الأول والمجموع الثاني بالواو المتوسطة، فإن الكلام حينئذٍ يفيد أنه تعالى كما أنه متصف بكل واحد من الوصفين الأخيرين أزلاً وأبدًا فهو أيضًا متصف بكل واحد من المجموعين أزلاً وأبدًا فما من وقت يصح اتصافه تعالى بالأولية والآخرية إلا ويصح فيه اتصافه بالظاهرية والباطنية معًا. فمن فسر باطنيته تعالى بكونه غير مدرك بالحواس يجعل الآية دليلاً على انتفاء الرؤية في الآخرة، فلذلك جعل هذه الآية حجة على من جوّز إدراكه تعالى بالحاسة في الآخرة وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السمٰوات﴾ تحقيق لعزته وكمال قدرته كما أن قوله: ﴿يعلم ما يلج﴾ تحقيق لحكمته وكمال علمه. **قوله:** (**لا ينفك علمه وقدرته عنكم**) إشارة إلى أنه تعالى ليس معنا بالمكان والحيز والجهة بل المعية مجاز عن العلم والقدرة على طريق ذكر السبب وإرادة المسبب. **قوله:** (**ولعل تقديم الخلق**) أي على قوله: ﴿يعلم ما يلج﴾ مع أنه متأخر عن العلم تابع له تأخرًا ذاتيًا لأن خلق العالم على هذا النظام الأنيق مما يستدل به على علمه وقدرته تعالى. **قوله تعالى:** (آمنوا بالله) خطاب لكفار قريش أي قد أوضحت لكم الدلائل الدالة على أنه لا تحق العبادة إلا لي فاعبدوني وآمنوا بي وبرسولي وصدقوه فيما يخبر به عني. **قوله:** (**وفيه حث على الإنفاق وتهوين له**) أما إذا كان معنى كونهم مستخلفين أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله تعالى حقيقة بخلقه إياها وإنشائه لها وليس للعبد إلا أن يتصرف فيها بسبب استخلافه تعالى إياه وجعله بمنزلة الوكيل في التصرف فيها تصرفًا يرضى به مالكها فيثيبه على ذلك بالجنة فلأن الإنفاق من مال الغير سهل هين إذا أذن فيه مالكه ولا سيما إذا أثاب عليه بالجنة. وإما إن كان معناه أن ما في أيديكم من الأموال كان لمن قبلكم، ثم إنه تعالى نقل أموالهم إليكم على سبيل الإرث. ومن

الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الأجر ووصفه بالكبر. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك: ما لك قائمًا ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ حال من ضمير «لا تؤمنون» والمعنى: أي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالحجج والآيات. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان قبل ذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر. والواو للحال من مفعول

المعلوم أن ما انتقل عمن قبلهم إليهم لا بد أن ينتقل منهم إلى غيرهم أيضًا فلأن إنفاق ما هو بصدد التحول والانتقال سهل هين على النفس تغتنم النفس فيه الفرصة فتنفقه اكتسابًا لمرضاة الرحمٰن وثواب الآخرة قبل أن يخرج من يدها. ثم إنه تعالى ذكر ثواب من أنفق في سبيل الله وضمن لمن فعل ذلك أجرًا كبيرًا فقال: ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾ فهو في موضع جواب الأمر والفاء للدلالة على سببية الإيمان والإنفاق لما ذكر من الأجر الكبير وأعيد ذكرهما صريحًا للمبالغة في الدلالة على سببيتهما. **قوله:** (وبناء الحكم على الضمير) أي لا على الاسم الظاهر بأن يقول: فللذين آمنوا وأنفقوا أجر كبير بل جعل الموصول مبتدأ وجعل «الأجر الكبير» مبتدأ ثانيًا و «لهم» خبر الثاني وجعل الجملة خبر المبتدأ الأول للمبالغة المذكورة. **قوله:** (أي وما تصنعون غير مؤمنين به) يعني أن قوله تعالى: ﴿لا تؤمنون بالله﴾ في موضع النصب على أنه حال من الفاعل المعنوي للفعل المستنبط من «ما» الاستفهامية وقد تقرر في النحو أن عام الحال قد يكون معنى الفعل والمراد به ما يستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه وأسماء الإشارة وحروف النداء والتمني والترجي والتشبيه وحرف الاستفهام، فإن فيها معنى الفعل نحو: ذا زيد قائمًا، ويا زيد قائمًا، وليتك عندنا قائمًا، ولعله في الدار قائمًا، وكأنه أسد صائدًا، ومالك قائمًا، فإن كلمة «ما» فيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و «لك» خبرها والاستفهام يطلب الفعل فيستنبط معنى الفعل من أداة الاستفهام. وحرف الجر في «لكم» وإن كان يتعلق بالفعل أو شبهه فلذلك يعمل في الحال في نحو: زيد في الدار قائمًا إلا أن المصنف اختار أن الحال في الآية معمول لما الاستفهامية لا لحرف الجر حيث قال: «أي وما تصنعون غير مؤمنين» ولم يقل: ما حصل لكم غير مؤمنين ولعله مجرد اعتبار. **قوله:** (حال من ضمير لا تؤمنون) أي ما لكم غير مؤمنين بالله مدعوين إلى الإيمان بالحجج والآيات فهما حالان متداخلان حيث كانت الحال الأولى عاملة في الثانية، واختلف ذو الحال فيهما وفي الأحوال المترادفة يتحد العامل وذو الحال. **قوله:** (قبل ذلك) أي قبل دعوة الرسول إياكم إلى الإيمان وكون القبلية بالنسبة إلى الدعوة مستفاد من كون الماضي المصدر بقد حالاً من مفعول «يدعوكم».

قوله: (بنصب الأدلة والتمكين من النظر) لم يحمل الميثاق على الميثاق المأخوذ عليهم

«يدعو». وقرأ أبو عمرو على البناء للمفعول ورفع «ميثاقكم». ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ لموجب ما فإن هذا موجب لا مزيد عليه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾ أي الله أو العبد ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا. ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيما يكون قربة إليه. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال، وإذا كان

حين أخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] لأن الكلام مسوق لبيان أنه لم يبق لهم عذر في ترك الإيمان بعد أن دعاهم الرسول إليه بالدلائل الواضحة وأخذ الله الميثاق، وما أخذ منهم وقت إخراجهم من ظهر آدم غير معلوم لهم إلا بقول الرسول وما لم يعرفوا صدق الرسول لا يكون ذلك سببًا لوجوب إجابتهم الرسول فيما دعاهم إليه، فذكر أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهره لا مدخل له في توبيخهم وتبكيتهم بترك الإيمان بخلاف الميثاق المأخوذ بنصب الأدلة والتمكين من النظر. فقوله تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾ إلى آخر الآية كلام خرج مخرج الاستبطاء وإخبار بارتفاع موانع الإيمان وتحقيق ما يوجبه على أكمل وجه وأتمه أي أي عذر لكم في ترك الإيمان بالله وآياته وقد أقيمت البراهين على حقية ما تؤمرون به سمعًا وعقلاً؟ فإن قوله: ﴿والرسول يدعوكم﴾ في قوة أن يقال: وقد قامت البراهين السمعية وقوله: ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ بمنزلة أن يقال: وقد نصبت الأدلة العقلية المؤدية إلى تصديق الرسول في جميع ما جاء به حتى كنتم بسببها كأنكم اعترفتم بمؤدى تلك الأدلة من أجل قوة دلالتها عليه. وقوله تعالى: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط حذف جوابه وهو ما أشار إليه المصنف بقوله: «فإن هذا موجب» لا مزيد عليه لأنه لا موجب يزيد على تظاهر الأدلة السمعية والعقلية وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بعد قوله: ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾ واندفع ما يتوهم بينهما من المنافاة كأنه قيل: إن كنتم مؤمنين بشيء لأجل دليل فما لكم لا تؤمنون الآن وقد تطابقت الأدلة النقلية والعقلية وبلغت مبلغًا لا يمكن الزيادة عليها. ثم إنه تعالى ذكر بعض تلك الأدلة الدالة على وجوب الإيمان فقال: ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات﴾ وهي المعجزات التي أعظمها القرآن. ثم حرّض على الإنفاق في سبيله من وجه آخر فقال: ﴿وما لكم أن لا تنفقوا﴾ أي في أن لا تنفقوا فحذف الجار. **قوله تعالى: (ولله ميراث السمٰوات)** جملة حالية من فاعل الاستقرار الذي تعلق به قوله: «لكم». والمعنى: كيف تبخلون بإنفاق أموالكم. والحال أنكم تعلمون أنه تعالى مهلككم ووارث أموالكم وهذه حال منافية للبخل

كذلك فإنفاقه بحيث يستخلف عوضًا يبقى وهو الثواب كأن أولى. ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثًا على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق وذكر القتال للاستطراد، وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه، والفتح فتح مكة إذ عزّ الإسلام به وكثر أهله وقلّت الحاجة إلى المقاتلة والإنفاق. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟﴾ أي من بعد الفتح ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة. وقرأ ابن عامر و«كل» بالرفع على الابتداء أي وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ عالم بظاهره وباطنه فمجازيكم على حسبه. والآية نزلت في أبي بكر فإنه أول من آمن وأنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربًا أشرف به على الهلاك.

بها لأن إنفاقها بحيث يستخلف عوضًا يبقى خير من هلاكها بغير شيء. ثم بيّن فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله فقال: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح﴾ وقسيم من أنفق من قبل محذوف أي ومن أنفق من بعد الفتح حذف للعلم به ولدلالة قوله: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد﴾ عليه. قال عليه الصلاة والسلام: «فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». وذلك لأن ما قبل الفتح كان حال مساس الحاجة إلى الجهاد والنفقة، ثم أعز الله الإسلام بعد الفتح وكثر ناصريه ودخل الناس في دين الله أفواجًا. **قوله تعالى:** (وكلا) منصوب على أنه مفعول مقدم. ومن قرأه مرفوعًا جعله مبتدأ وجعل الجملة التي بعده خبره بحذف العائد أي وعده الله. ومثله قول الشاعر:

قد أصبحت أم الخيار تدّعي ... عليّ ذنبًا كله لم أصنع

برفع «كله» أي لم أصنعه إلا أن حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى أن البصريين لا يجوزونه إلا في ضرورة الشعر بخلاف حذفه في الصلات والصفات نحو قوله: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] أي بعثه وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] أي لا تجزى فيه نفس. **قوله: (ليطابق ما عطف عليه)** وهو قوله تعالى: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين﴾ فإنه جملة اسمية. وإذا قرئ «كل» بالرفع يكون المعطوف أيضًا اسمية فيحصل التطابق بينهما. **قوله: (فإنه أول من آمن وأنفق)** روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال قال: «يا جبريل أنفق ماله قبل

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه، وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحري أكرم المال وأفضل الجهات. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي يعطي أجره أضعافًا ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه ينبغي أن يتوخى وإن لم يضاعف، فكيف

الفتح عليّ» قال: فأقرئه من الله عز وجل السلام وقل له: يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: «يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط». قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: أعلى ربي أغضب إني عن ربي لراضٍ. ونزول الآية في شأن أبي بكر لا ينافي دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين أنفقوا وقاتلوا من قبل الفتح على الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا معه عليه السلام. وقيل: هذا التفضيل لجميع الصحابة. ويؤيده ما روى سفيان عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي قوم بعدكم يحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قالوا: يا رسول أنحن أفضل أم هم؟ قال: «لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك فضل أحدكم ولا نصيفه، ففرقت هذه الآية بينكم وبين الناس». وتلا ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة﴾ كذا في تفسير الفقيه أبي الليث. ثم إنه تعالى حرّض على الإنفاق في سبيله بطريق آخر فقال: ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾. **قوله تعالى:** (يقرض) استعارة تبعية حيث شبّه الإنفاق في سبيل الله بإقراضه فأطلق عليه اسم الإقراض. والجامع إعطاء شيء بعوض وإليه أشار المصنف بقوله: «فإنه كمن يقرضه».

قوله: (وحسن الإنفاق) مبتدأ وقوله بالإخلاص خبره ولا يكون الإنفاق حسنًا إلا بأن يبتغي به وجه الله تعالى خاصة لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢٠] وبأن يكون ما أنفقه أحب الأموال إليه وأكرم عنده لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ولقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ولقوله عليه السلام: «أفضل الرقاب أعلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها» ولقوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الصدقة أن تعطيها وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقي قلت: لفلان كذا ولفلان كذا» وبأن يتحرى أفضل الجهات ويصرفه صدقة إلى الأحوج فالأحوج، وإن جمع بين جهتي سد حاجة الفقير وصلة الرحم فهو أفضل. **قوله:** (وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه) أي حسن يرضى في بابه. وهو إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وله أجر كريم﴾ جملة حالية من مفعول «يضاعفه» وإطلاق التضعيف يدل على أن الأضعاف المنضمة إلى الأجر زائدة على ما

وقد يضاعف أضعافًا؟ وقرأ عاصم «فيضاعفه» بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ وقرأ ابن كثير «يضعفه» مرفوعًا، وابن عامر ويعقوب «يضعفه» منصوبًا. ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ظرف لقوله: «وله»، أو فيضاعف، أو مقدر باذكر ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ ما يوجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنة ﴿بَيْنَ

أنفقه من المال كمية وكيفية. **قوله:** (وقرأ عاصم) قال صاحب التيسير في قرض سورة البقرة: قرأ عاصم وابن عامر «فيضاعفه» هنا وفي الحديد بنصب الفاء والباقون برفعها. ووجه النصب إضمار «أن» بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام كما في قولك: هل تزورنا فنحسن إليك. وقوله: «باعتبار المعنى» جواب عما يقال: المنصوب «بأن» المضمرة لا بد أن يكون مترتبًا على الفعل المستفهم عنه كما في المثال المذكور، فإن إحسان المتكلم مترتب على زيارة المخاطب إياه وههنا لم يوقع الاستفهام عن أصل القرض، وإنما وقع عن فاعله حيث قيل: ﴿من ذا الذي يقرض﴾ فكيف ينصب الفعل بعده «بأن» مضمرة؟ وتقرير الجواب ظاهر قيل: هذا السؤال ممنوع. ألا ترى أنه ينصب الفعل بعد الفاء في جواب الاستفهام بالأسماء وإن لم يتقدم فعل نحو: أين بيتك فأزورك، ومن داع فأستجيب له، ومتى سيرك فأرافقك، ومن أبوك فنكرمه؟ ومن قرأ «فيضاعفه» مرفوعًا جعله معطوفًا على «يقرض». **قوله:** (ظرف لقوله وله) أي ظرف للاستقرار الذي تعلق به قوله: «وله» أي استقر له أجر في ذلك اليوم، وإن كان معمولاً لا ذكر يكون مفعولاً به لا ظرفًا. وقوله: «يسعى» حال من «المؤمنين» لأن قوله: «ترى» من رؤية العين و«بين أيديهم» ظرف «ليسعى» ويجوز أن يكون حالاً من «نورهم» وكذا بإيمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين. **قوله:** (ما يوجب نجاتهم وهدايتهم) يعني أن النور مستعار لصحائف الأعمال تشبيهًا لها بالنور في كونها سبب النجاة من النار والاهتداء إلى طريق الجنة، فإن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من قدامهم ومن جهة أيمانهم فتكون دليلاً لهم إلى الجنة ويستضيئون بنورها على الصراط المستقيم، وهم يسعون لأنهم لو مشوا الهوينا لما سعى النور بين أيديهم وبأيمانهم لأنه لو سعى وهم يمشون الهوينا لزم أن يفارقهم ولا يكون بين أيديهم ولا بأيمانهم. ثم اختلف في النور المذكور في هذه الآية؛ فقال قوم: المراد نفس النور على ما روي عنه عليه الصلاة والسلام قال: «كل مثاب يحصل له النور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر، فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء، ومنهم من نوره كالجبل، ومنهم من لا يضيء له نور إلا موضع قدميه. وأدناهم نورًا من يكون نوره على إبهامه ينطفىء مرة ويتقد أخرى». والمنافقون أيضًا يؤتون نورًا خديعة لقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ثم يسلب نورهم لنفاقهم فذلك قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾

﴿أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين. ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ﴾ أي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة «بشراكم» أي المبشر به جنات أو «بشراكم» دخول جنات. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ﴾ بدل من «يوم ترى» ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ انتظرونا فإنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبرق

[التحريم: ٨] أي خشية أن يسلب نورهم كما يسلب نور المنافقين فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ وقد روي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم استضاؤوا في الدنيا بما حصل لهم من النور فكيف يستبعد أن يستضيء أهل السعادة بما ظهر لهم من النور في العقبى؟ فقد ذكر في المصابيح برواية أنس رضي الله عنه أن أسيد بن خضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي ﷺ، ولما أرادا أنهما ينقلبان أي يرجعان إلى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية أضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت لهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله. ذكر الإمام أن النور الحقيقي هو معرفة الله تعالى وأن العلم الذي هو نور البصيرة أولى بكونه نورًا من نور البصر. وإذا كان كذلك ظهر أن معرفة الله تعالى هي النور في القيامة، فمقادير الأنوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف في الدنيا. وقال آخرون: المراد من النور ما يكون سببًا للنجاة وهو ما اختاره المصنف.

قوله تعالى: (بشراكم) مبتدأ و«اليوم» ظرف و«جنات» خبره ولما كان البشرى مصدرًا بمعنى البشارة والجنة عينًا، ومن المعلوم أن العين لا تكون خبرًا عن الحدث والمعنى. ذكر المصنف لصحة الأخبار وجهين: الأول أن تكون البشرى بمعنى المبشر به والثاني تقدير المضاف في الخبر، وعلى التقديرين تكون الجملة الاسمية في محل النصب على أنها مقول قول مقدر والقول المقدر مع مقوله حال أخرى من المؤمنين أي يوم تراهم ساعيًا نورهم مقولاً لهم بشراكم اليوم دخول جنات. وقوله تعالى: ﴿خالدين﴾ نصب على الحال وذو الحال محذوف يدل عليه المصدر المقدر إذ التقدير: بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها، فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب وأضيف المصدر إلى مفعوله فصار دخول جنات، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه. ويجوز أن يجعل تقدير الكلام: بشراكم اليوم دخول جنات تدخلونها خالدين. وإن أوّل المبتدأ بالمبشر به يكون عامل الحال ما دل عليه بشراكم أي تبشرون بها خالدين فيها، ولا يجوز أن يكون العامل فيها بشراكم لأنه مصدر قد أخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله بأجنبي. **قوله:** (انتظرونا

الخاطف، أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم. وقرأ حمزة «انظرونا» على أن اتئادهم ليلحقوا بهم إمهال لهم. ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نصب منه ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ إلى الدنيا ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ بتحصيل المعارف الإلـٰهية والأخلاق الفاضلة فإنه يتولد منها، أو إلى الموقف فإنه من ثم يقتبس، أو إلى حيث شئتم فاطلبوا نورًا آخر فإنه لا سبيل لكم إلى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو الملائكة. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ بحائط ﴿لَّهُ بَابٌ﴾ يدخل فيه المؤمنون ﴿بَاطِنُهُ﴾ باطن السور أو الباب ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأنه يلي الجنة ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ من جهته لأنه يلي النار.

أو انظروا إلينا) معنى «انظرونا» في قراءة العامة أمر من النظر. ثم إن النظر يجوز أن يكون بمعنى الانتظار وبمعنى التوجه، وتقلب الحدقة إلى جانب المرئي. والنظر بالمعنى الثاني لا يتعدى بنفسه في غير الشعر وإنما يتعدى بـ «إلى» فلهذا أخره المصنف عن الاحتمال الأول. عن أبي اليمامة رضي الله عنه قال: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمنون نورًا ويترك الكافر والمنافق ولا يعطيان شيئًا، فيمضي المؤمنون ويقول المنافقون للمؤمنين ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ أي انظرونا نصب منه حظًا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة ركبانًا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم. **قوله: (وقرأ حمزة انظرونا)** أي بقطع الهمزة وكسر الظاء من الإنظار بمعنى الإمهال ضد التضييق والحمل على العجلة، فيكون قولهم: «انظرونا» كناية عن طلب التؤدة في مشيهم يقال: اتأد في مشيه إذا مشى مشيًا هوينًا على التؤدة والوقار، والاتئاد افتعال من التؤدة. ولما ورد أن يقال: الذي يطلبه المنافقون من المؤمنين أن يتئدوا في مشيهم ولا يسرعوا فيه لا أن يمهلوا للمنافقين فما معنى قولهم: ﴿انظرونا﴾ بفتح الهمزة؟ أجاب عنه بأن أمهلونا كناية عما يستلزمه وهو اتئاد المؤمنين في مشيهم، والظاهر أن قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ معطوف على قوله: ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ ومتفرع عليه فإن المؤمنين أو الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بأنوار معارفهم وأعمالهم بقي المنافقون في ظلمة نفاقهم وحرموا من اللحوق بأصحاب الأنوار والاستضاءة بأنوارهم كما يحرم الأعمى من الانتفاع بنور البصر، فصاروا بذلك كأنه ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور حائل باطن ذلك السور وهو الذي يليَ المؤمنين فيه الرحمة التي هي النور الذي يؤديهم إلى الجنة، وظاهره أي الذي يلي المنافقين من قبله العذاب أي عذاب الظلمة التي تؤدي إلى السقوط في حفر النيران. فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ من قبيل الاستعارة التمثيلية. وقيل: يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بما ذكرا وهو حجاب الأعراف. وقرىء «فضرب» على بناء الفاعل وهو

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ وشككتم في الدين. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ كامتداد العمر ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ الشيطان أو الدنيا. ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فداء. وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء. ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ظاهرًا وباطنًا ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ هي أولى بكم كقول لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقته محراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كقولك: هو مئنة الكرم أي مكان قول القائل إنه لكريم، أو مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله: تحية بينهم ضرب وجيع، أو متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ النار.

الباريء تعالى أو الملك إلا أن الجمهور على بنائه للمفعول والقائم مقام الفاعل هو قوله: «بسور» والباء صلة والتقدير: ضرب بينهم سور. وقوله: «له باب» جملة اسمية مجرورة المحل على أنها صفة «سور» وقوله: «باطنه» مبتدأ وقوله: «الرحمة» مبتدأ ثانٍ و«فيه» خبره والجملة خبر المبتدأ الأول والمبتدأ الأول مع خبره مرفوع المحل على أنه صفة «لباب» وقوله: «ينادونهم» مستأنف أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا نصلي مثل ما تصلون ونقرأ مثل ما تقرؤون ونفعل مثل ما تفعلون من الأفعال الظاهرة، فأجابهم المؤمنون بقولهم: ﴿بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ أي أهلكتموها بالنفاق وأصل الفتن الإحراق ﴿وغركم بالله﴾ أي بحلم الله تعالى وتأخيره العذاب عنكم. والغرور بفتح الغين صفة مشبهة على وزن فعول كصبور، وقرىء بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار والفعل مسند إلى مصدره مثل جد جده. والفدية ما يفتدي به مطلقًا فيتناول الإيمان والتوبة والمال. فبسبب ما أنتم عليه في الدنيا أيها المنافقون لا يقبل منكم يوم القيامة فداء لارتفاع وقت التكليف ومجيء يوم الجزاء. وعطف الكافر على المنافق لما أوهم أن لا يكون المنافق كافر الوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه أشار إلى دفعه بأن الكافر مطلقًا وإن كان أعم من المنافق إلا أن المراد بالذين كفروا في هذه الآية الكافر المجاهر أي المظهر لكفره وهو مباين للمنافق الذي يبطن الكفر.

قوله: (كقول لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها)

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ألـم يـأت وقتـه يـقـال: أنـى الأمر يأني أنيًا وأناءَ إذا جاء أناه. وقرىء بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى أنى يأني وألما يأن. روي أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق

يصف بقرة وحشية أكل السبع ولدها فصارت متبوعة. وقيل: بل نفرت من صوت الصائد. وكلامه ولم تقف لتنظر أقاصدها خلفها أم أمامها، فغدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها. والفرجان الجانبان وهما الخلف والقدام سميا فرجين لكون كل واحد منهما مفروجًا مكشوفًا على أن الفرج فعل بمعنى مفعول أي غدت من غلبة الخوف عليها بحيث تحسب أن كلا جانبيها وهما خلفها وقدامها مولى المخافة أي أولى موضع لأن يكون فيه الخوف. وقوله: «فغدت» يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة، وقوله: «كلا الفرجين» مبتدأ و«تحسب» مع ما في حيزه خبره والضمير في «تحسب» عائد إلى اسم «غدت» والجملة خبر «غدت»، والضمير في «أنه» للمبتدأ وهو «كلا» لأنه مفرد اللفظ وإن كان مثنى المعنى و«مولى المخافة» خبر «إن» وقوله: «خلفها وأمامها» إما بدل من «كلا» وإما خبر مبتدأ محذوف أي هما خلفها وأمامها. فالمولى ههنا اسم لمكان يقال فيه: هو أولى لكم وكذا المحرى اسم لمكان يقال فيه إنه أحرى بكم وأجدر فهو مفعل من أولى، كما أن مئنة مفعلة من «أن» التي للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لأن الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة الرجل المسلم. أي إن هذا مما يعرف به فقه الرجل. ومكان يقول القائل فيه إنه عالم وإنه فقيه. ويجوز أن يكون مفعلاً من الولي أي هي مكانكم عن قريب، ويجوز أن يكون المعنى ناصركم لا ناصر لكم غيرها. والمراد نفي الناصر على طريقة قولهم: تحية بينهم ضرب وجيع والمراد نفي التحية فيما بينهم قطعًا ضرورة أن الضرب الوجيع ليس بتحية، فيلزم أن لا تحية بينهم البتة. ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الولاية بتقدير المضاف أي هي ذات ولايتكم بمعنى توليكم من قولهم: ولي الوالي البلد وولي الرجل البيع ولاية فيهما. **قوله**: (وألما يأن) أصلها ألم يأنِ زيدت عليها «ما» وأدغم فصار «ألما» وكلمة «لم» نفي لقوله: فعل «وألما» نفي لقوله: قد فعل. يقال: أنى يأني أنيًا مثل رمى يرمي رميًا، وآن يئين أينًا مثل باع يبيع بيعًا وكلاهما بمعنى حان وجاء أناه أي وقته وحينه. قال الشاعر:

ألمّا يئن لي أن تجلى غوايتي وأقصر عن ليلى بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين. واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية؛ فقال بعضهم: نزلت في المنافقين الذين أظهروا الإيمان وفي قلوبهم النفاق المباين للخشوع. وقال آخرون: نزلت في

والنعمة ففتروا عما كانوا عليه. فنزلت. ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر. ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله. وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف وقرىء «أنزل». ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عطف على «تخشع». وقرأ رويس بالتاء. والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي فطال عليهم الزمان بطول أعمارهم وآمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم. وقرىء «الأمد» وهو الوقت الأطول ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة. ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة، أو لإحياء الأموات ترغيبًا في الخشوع وزجرًا عن القساوة. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي تكمل عقولكم ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ أن

الذين آمنوا على الحقيقة فإن المؤمن قد يكون له خشوع وخشية وقد لا يكون له ذلك. فلعل طائفة من المؤمنين ما كان فيهم مزيد خشوع ولا رقة قلب فحثوا عليه بهذه الآية. ويحتمل أن يكون قوم من المؤمنين كان فيهم مزيد خشوع ثم زال عنهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة إليها. روي عن الأعمش أنه قال: إن الصحابة لما قدموا المدينة أصابوا لينًا في العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية. وعن أبي بكر رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدًا فنظر إليهم فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب. **قوله:** (**عطف أحد الوصفين على الآخر**) فإن القرآن كما أنه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو أيضًا حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] أي الجامع بيّن كونه كتابًا منزلاً وفرقانًا يفرق بين الحق والباطل. ويجوز أن يراد بالأول ذكر الله مطلقًا وبالثاني القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]. **قوله:** (**وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف**) على بناء الفاعل وباقي السبعة كذلك إلا أنهم شددوا الزاي. وقرىء «نزل» مشددًا مبنيًا للمفعول و «نزل» مبنيًا للفاعل وهو الله تعالى. وقرأ الجمهور و «لا يكونوا» بياء الغيبة جريًا على نسق ما قبله. وقرىء بتاء الخطاب على الالتفات على أن تكون كلمة «لا» ناهية ويكون الفعل مجزومًا بها وأن تكون نافية ويكون الفعل منصوبًا عطفًا على «تخشع» كما في قراءة الغيبة. **قوله:** (**أو ما بينهم وبين أنبيائهم**) عطف على أعمارهم وقسوة القلب غلظته ويبسه. وفي الآية إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى قسوة القلب المؤدية إلى الكفر. نعوذ بالله من ذلك. **قوله:** (**تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر**) يعني أن قوله تعالى: ﴿يحيي الأرض بعد موتها﴾ استعارة

المتصدقين والمتصدقات. وقد قرىء بها وقرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد أي الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لأن معناه الذين أصدقوا أو صدقوا، وهو على الأول للدلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ معناه والقراءة في «يضاعف» ما مر غير أنه لم يجزم لأنه خبر «إن» وهو مسند إلى «لهم» أو إلى ضمير المصدر.

تمثيلية والمعنى: تلين القلوب بالذكر بعد قساوتها. شبّه إحياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر وتلاوة القرآن بإحياء الأرض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشيء إلى كماله المتوقع بعد خلوه عنه، ثم أطلق اسم المشبه به على المشبه ترغيبًا في الخشوع المذكور. فإن التمثيل المذكور لتضمنه تشبيه قساوة القلب بموت الأرض وتشبيه طريان خشوعها المتفرع على الذكر والتلاوة بحياة الأرض الميتة ترغيب لا محالة في تحصيل الخشوع وترك القسوة، فالآية تمثيل لأثر الذكر في القلوب بعد قسوتها وبيان أنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. ويحتمل أن يكون تمثيلاً لإحياء الأموات بأن شبه إحياؤها بإحياء الأرض الميتة فمن قدر على الثاني فهو قادر على الأول، فحقه أن تخشع القلوب لذكره وما نزل من آياته. وإنما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها فإن قوله: «ترغيبًا» يحمل الآية على التمثيل دون الحقيقة.

قوله: (عطف على معنى الفعل في المحلى باللام) لا على لفظ المحلى لأن عطف الفعل على الاسم قبيح. **قوله**: (وهو على الأول) أي على القراءة بتشديد الصاد والدال وهو جواب عما يقال: عطف قوله: ﴿وأقرضوا﴾ على ﴿المصدقين﴾ بتشديد الصاد عطف الشيء على نفسه بحسب الظاهر لأن المراد بالإقراض هو التصدق والإنفاق لا غير؟ أجاب عنه بأن المعطوف تصدق خاص مقيد بكونه حسنًا مقرونًا بالإخلاص فتغايرا وحسن العطف. وعلى قراءة تشديد الدال فقط وجه العطف ظاهر لأنه في معنى الذين آمنوا وأنفقوا. **قوله**: (معناه والقراءة في يضاعف ما مر) أي في سورة الفرقان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] قال فيه: «يضاعف» بدل من «يلق» لأنه في معناه. وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو على الحال. وابن كثير ويعقوب «يضعف» بالجزم. وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الألف في «يضاعف». وقرىء «يضعف له العذاب» ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر. **قوله**: (وهو مسند إلى لهم) يعني أن القائم مقام فاعل «يضاعف» إما الجار والمجرور بعده أو ضمير التصدق أو التصديق على حذف المضاف أي يضاعف لهم ثواب التصديق.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أولـئـك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء، أو هم المبالغون في الصدق فإنهم آمنوا وصدقوا جميع أخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم، أو على الأمم يوم القيامة. وقيل: «والشهداء عند ربهم» مبتدأ وخبر والمراد بهم الأنبياء من قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] أو الذين استشهدوا في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ لهم مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت أو الأجر والنور الموعود أن لهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفًا. ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا أعني ما يتوصل به إلى الفوز الآجل بأن بيّن أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدًا أتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم، وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية

قوله: (**أي أولئك عند الله بمنزلة التصديقين**) جواب عما يقال: كيف حكم على كل من آمن بالله ورسله بأنه هو الصديق والشهيد مع أن الظاهر أن كل واحد منهما أخص من المؤمن، لأن الصديق هو السابق إلى التصديق والشهيد من استشهد في سبيل الله؟ أجاب عنه أولاً بأن قوله: ﴿أولئك هم الصديقون والشهداء﴾ أي على سبيل التشبيه، ثم بيّن تعالى وجه التشبيه بقوله: ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ أي لهم أجر مثل أجر الصديقين والشهداء ولهم نور مثل نورهم. ولما ورد أن يقال: كيف يسوي بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت؟ أجاب عنه بقوله: «لكنه من غير تضعيف» يعني أنه تعالى يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي أجرهم مع أضعافه أجر أولئك. وأجاب عنه ثانيًا بأن المراد بالصديق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذي ذكرته بل الصديق صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق، والشهيد من يشهد لله تعالى بالوحدانية وباتصافه بجميع صفات العظمة والكبرياء وللرسل بقيامهم بمقتضى الرسالة من الدعوة والتبليغ أو من يشهد على الأمم كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] والمراد أنهم عدول يوم القيامة تقبل شهادتهم للعباد وعليهم فيما عملوه وكل مؤمن كذلك، ثم نقل جوابًا آخر وهو أن قوله تعالى: ﴿والشهداء عند ربهم﴾ جملة اسمية والمراد بهم الأنبياء أو الذين استشهدوا في سبيل الله فلا يلزم أن يكون كل مؤمن شهيدًا. **قوله**: (**أو الأجر والنور الخ**) أي ويجوز أن تكون الضمائر في قوله: ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ راجعة إلى قوله: ﴿الذين آمنوا بالله ورسله﴾ ويكون

والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحرّاث، أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجبًا انتقل فكره إلى قدرة صانعة فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابًا. ثم هاج أي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطامًا ثم عظم أمور الآخرة بقوله: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ تنفيرًا عن الانهماك في الدنيا وحثًا على ما يوجب كرامة العقبى. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ أي لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها.

المعنى: لهم الأجر والنور الموعودان لهم فلا حاجة حينئذٍ إلى تقدير المثل. ولا يرد أيضًا أن يقال: كيف يسوي بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت حتى يحتاج إلى دفعه؟ **قوله: (ثم قرر ذلك)** فإن محل الكاف في قوله: ﴿كمثل﴾ ـا النصب على أنه حال من الضمير في «لعب» لأنه بمعنى الوصف أو من معنى ما ذكر أي أنها لعب تشبه غيثًا أو تثبت بهذه الصفات مشبهة غيثًا. وإما الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة أو خبر لمبتدأ محذوف أي مثلها وصفتها العجيبة مثل صفة غيث ونبات الغيث ما ينبت بسببه. والمراد بالكفار ههنا إما الحراث لأنهم يكفرون البذر أي يغطونه ويسترونه بتراب الأرض، وإما الكفار بالله تعالى. **قوله: (ثم يهيج)** أي ييبس بعد زمان قريب يقال: هاج النبت هياجًا أي يبس. **قوله: (ثم عظم أمور الآخرة)** معطوف على قوله: «حقر أمور الدنيا». **قوله تعالى: (في الآخرة)** خبر مقدم وما بعده مبتدأ والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ داخلة في حيز قوله: ﴿اعلموا﴾ أخبر الله تعالى بعد بيان أن الحياة العاجلة لا يتوصل بها إلى الفوز أن في الآخرة عذابًا شديدًا ومغفرة منه ورضوانًا. وفيه إشارة إلى سبق رحمة الله تعالى غضبه من حيث إنه قابل العذاب بسبق المغفرة والرضوان الذي هو أعظم السعادات ولن يغلب عسر يسرين. ثم أكد ما ذكره من تحقير أمور الدنيا بقوله: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ وهو المتاع الذي يميل إليه الطبع أول ما رآه اغترارًا بما لاح في ظاهره من جهة الحسن كالأواني المتخذة من الزجاج والحلي المموه بماء الذهب، فإن أخذه أحد اغترارًا بما ظهر على ظاهره وأراد أن ينتفع به يتسارع إليه الهلاك ويتبين أنه زخرف لا قيمة له ولا رواج. فكذلك الدنيا في حق من آثرها لنفس ذاتها وأراد أن يتمتع بها، فإن أفضل ما فيها من النعيم هي الحياة فمن صرفها إلى متابعة الهوى والحظوظ العاجلة صارت بمنزلة اللعب الذي يفعله الصبيان فإنهم يتعبون أنفسهم في ذلك غاية التعب ثم تنقضي تلك المتاعب عن قريب من غير

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا مسارعة السابقين في المضمار ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى موجباتها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي عرضها كعرضهما وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول؟ وقيل: المراد به البسطة كقوله: فذو دعاء عريض ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأن الإيمان وحده كافٍ في استحقاقه. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ذلك الموعود يتفضل به الله على من يشاء من غير إيجاب ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك وإن عظم

فائدة، وبمنزلة اللهو الذي يفعله الشبان فإن من اشتغل به لا يبقى له بعد انقضائه إلا الحسرة والندامة حيث يرى المال ذاهبًا والعمر خائبًا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقًا وتعطشًا إليها مع فقدانها، فيتوالى عليه حسرات متضاعفة ومضار مجتمعة. عن سعيد بن جبير قال: الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، وأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وسعادة الآخرة فنعم المتاع ونعمة الوسيلة. ثم إنه تعالى لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم الآخرة وفخم شأنها، حثّ على المسارعة إلى نيل ما وعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال: ﴿سابقوا﴾ والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لأن موجبات المغفرة لا تسابق إليها حقيقة. والضمار ما يضمر فيه الخيل، وتضمير الفرس بأن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك يكون في أربعين يومًا وهذه المدة تسمى مضمارًا، ويسمى به الموضع الذي يضمر فيه الخيل أيضًا. قوله: (وقيل المراد به البسطة) أي لا العرض الذي هو في مقابلة الطول فيتناول الطول والغرض جميعًا. قوله: (فيه دليل على أن الجنة مخلوقة) لأن ما لم يخلق بعد لا يوصف بأنه أعد وهيىء.

قوله: (وأن الإيمان وحده كافٍ في استحقاقه) إذ ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن ولم يذكر مع الإيمان شيء آخر. وقالت المعتزلة: هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجهين: الأول أن قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] يدل على أن من صفتها بعد وجودها أن لا تفنى لكنها لو كانت موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] والثاني أنها لو كانت موجودة الآن لكانت في إحدى السمٰوات السبع وما كان في واحدة منها كيف يجوز أن يكون عرضه كعرض السمٰوات والأرض؟ فثبت بهذين الوجهين أنه لا بد من التأويل وذلك بأن يقال: إنه تعالى لما كان قادرًا لا يعجز عن شيء وحكيمًا لا يصح الحلف في وعده، وقد وعد بالجنة لكل من آمن وأطاع كانت الجنة كالمعدة المهيئة لهم بناء على أن كل ما سيقع قطعًا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه: أعددت لك كذا إذا عزم عليه وإن لم يحضره بعد. والجواب أن قوله: ﴿كل شيء هالك﴾ عام وقوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] مع قوله:

قدره. ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كجدب وعاهة. ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ كمرض وآفة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ إلا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ نخلقها والضمير للمصيبة أو للأرض أو للأنفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أن ثبته في كتاب

﴿أكلها دائم﴾ خاص وإذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالخاص يخصص العام مطلقًا، أي سواء علم تاريخ نزولهما وأيهما نزل أولاً أو لم يعلم هذا عند الشافعية. وذهبت الحنفية إلى أن المتأخر في النزول عامًا كان أو خاصًا ناسخ للمتقدم إذا علم تاريخ نزولهما، ولا يحملون العام على الخاص مطلقًا كما ذهب إليه الشافعية. وأما قولهم: إن الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت في إحدى السمٰوات وما يكون في واحدة منها لا يكون عرضه كعرض كل السمٰوات والأرض، فالجواب عنه أنها مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال عليه الصلاة والسلام: «سقف الجنة عرش الرحمٰن» ولا بعد في كون المخلوق فوق الشيء أعظم منه. ألا ترى أن العرش أعظم المخلوقات مع أنه فوق السماء السابعة».

قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة الآية) وإن كان حثًا على مكارم الأخلاق من الصبر على الضراء والشكر على السراء وتمهينًا للرذيلتين اللتين هما الفرح بالنعمة بحيث يؤدي إلى الأشر والبطر، والخروج عن حد الشكر والتحزن على ما فات منها حزنًا مطغيًا مخرجًا عن حد الصبر والرضى بالقضاء إلا أن المقصود الأهم منه الحث على الجهاد كما هو المقصود بما سبق من قوله تعالى: ﴿وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله﴾ وقوله: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ إلى آخر الآيات ونقل عن الزجاج أنه قال: إنه تعالى لما قال: ﴿سابقوا إلى مغفرة﴾ بيّن أن المؤدي إلى الجنة أو النار مما صدر من بني آدم لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، فإن جميع الموجودات مثبتة في اللوح المحفوظ إجمالاً. ثم إنه تعالى يفصل قضاءه السابق بإيجادها إلى المواد الخارجية واحدًا بعد واحد فالأول هو المسمى بالقضاء والثاني هو المسمى بالقدر. قال الإمام: إنه تعالى لم يقل إن جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب لأن حركات أهل الجنة والنار غير متناهية وإثباتها في الكتاب محال. وخص من الحوادث ما يتعلق بالأرض وبالإنس ولم يدخل فيها أحوال السمٰوات وما يتعلق بها مما يكون من قبيل المصائب ولم يذكر السعادات الأرضية والإنسية وفي كل ذلك إشارات وأسرار، وهذه الآية دالة على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ. قال المتكلمون: إنما كتب كل ذلك لتستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالمًا بجميع الأشياء قبل وقوعها لأن إثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك أنه حكيم فإنه تعالى لما خلقهم ورزقهم مع علمه بما يقدمون عليه من المعاصي علم منه أنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ لاستغنائه فيه عن العدة والمدة. ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ أي أثبت وكتب لئلا تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ بما أعطاكم الله منها، فإن من علم أن الكل مقدر هان عليه الأمر. وقرأ أبو عمرو «بما أتاكم» من الإتيان ليعادل ما فاتكم. وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت وطباعها، وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها. والمراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال، ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ إذ قل من يثبت نفسه حالي السراء والضراء.

قوله: (أي أثبت وكتب لئلا تحزنوا) يعني أن اللام في قوله: ﴿لكيلا﴾ متعلقة بما يدل عليه قوله: ﴿إلا في كتاب﴾. **قوله:** (ليعادل ما فاتكم) فإن أتاكم ذكر في مقابلة فاتكم. والفعل في قوله: ﴿فاتكم﴾ للفائت فينبغي أن يكون في مقابله أيضًا للآتي لا للمؤتي. ووجه من قرأ «آتاكم» بالمد ما ذكره المصنف من الإشعار بأن حصول نعم الدنيا وبقاءها لا بد له من سبب بخلاف فواتها. وقوله: «وقرأ أبو عمرو «بما آتاكم»» أي مقصورًا من الإتيان أي بما جاءكم. قال أبو علي الفارسي: لأن أتاكم معادل لقوله: فاتكم للفائت فكذا ينبغي أن يكون في مقابله الآتي في قوله: ﴿بما آتاكم﴾. وقرأ باقي السبعة «آتاكم» ممدودًا من الإيتاء أي بما أعطاكم إياه. ووجه هذه القراءة أي القراءة الممدودة التي بمعنى الإعطاء من الإيتاء ما فيها من الإشعار الذي ذكره المصنف حيث قال: «وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها» الخ.

قوله: (والمراد به) أي بقوله: لكي لا تأسوا ولا تفرحوا أي ليس المراد به نفي الأسى والفرح على الإطلاق، فإنه ما من أحد إلا وهو يفرح بنعمة الله تعالى ويحزن على فواتها، وليس مجرد الفرح والحزن بمذموم وإنما المذموم منهما ما يؤدي إلى ما لا يجوز من البطر والاختيال والافتخار بالزخارف الفانية على الناس والنظر إليهم بعين الاحتقار، ومن عدم الرضى بالقضاء والتسليم لأمر الله. واستشهد على أن المراد ذلك بقوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال﴾ أي فرح يخرجه فرحه عن حد الشكر إلى الخيلاء والبطر ﴿فخور﴾ بما أوتي من النعم على الناس. قيل لبرزجمهر: أيها الحكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت؟ قال: لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة. ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب» وكيف لا يهون عليه ذلك وقد علم أن وقوع كل ما وقع واجب وعدم كل ما لم يقع واجب أيضًا من حيث إنه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذي يكون عليه من الوقوع وعدم الوقوع

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ بدل من كل مختال، فإن المختال بالمال يضن به غالبًا، أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته، لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب إليه بشيء من نعمه. وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق. وقرأ نافع وابن عامر «فإن الله الغني» ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزات. ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ليتبين الحق ويتميز صواب العمل ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ ليسوي به الحقوق ويقام به العدل كما قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ وإنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده. وقيل: أنزل الميزان إلى نوح عليه السلام ويجوز أن

وأثبته كذلك في اللوح المحفوظ؟ فلو لم يكن على الوجه الذي تعلق به العلم والقضاء الأزلي لانقلب العلم جهلاً. فمن علم أن الأمر كذلك هانت عليه المحن والمصائب ولا يشتد فرحه بحدوث المآرب حيث علم أن الأمر منوط بمجرد المشيئة الإلهية فإن شاء أبقاها وإن شاء سلبها. **قوله:** (**فإن المختال بالمال يضن به غالبًا**) علة لكونه بدلاً من «كل مختال» على معنى لا يحب الذين يبخلون فإن من فرح بالمال فرحًا مطغيًا واختال وافتخر به على الناس فإنما يفعله لحبه إياه وعزته عنده فالغالب عليه أن يبخل به عن الصرف إلى حقوق الله تعالى. **قوله:** (**خبره محذوف**) وتقدير الكلام: الذين يبخلون فالله غني عنهم. **قوله:** (**وقرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني**) أي بإسقاط لفظ «هو» لسقوطه في مصاحف المدينة والشام. وقرأ الباقون بإثباته لثبوته في مصاحفهم، فاتبع كل فريق إمامه من المصاحف. ثم إنه تعالى لما حثّ على المسارعة إلى ما يوجب المغفرة والجنة ولم يفصل أن موجباتها ما هي قال: ﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ أي ليتم بهما مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله في باب العقائد والأخلاق وأعمال الجوارح، واستعمل الميزان في معامله الخلق فقد سارع إلى ما يوجب المغفرة والجنة. **قوله:** (**أي الملائكة**) قدم هذا الاحتمال لأن قوله: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ يدل على أن الرسل منزلون وأنهم يصحبون الكتاب حال النزول، والأنبياء ليسوا بمنزلين فضلاً عن أن ينزل معهم الكتاب. وإن أريد بالرسل الأنبياء يكون معهم حالاً مقدرة من «الكتاب» أي أنزلناه صائرًا معهم. **قوله تعالى:** (**ليقوم**) متعلق «بأنزلنا» والقسط العدل أي أنزلناهما لتحقق الناس ما أمروا به من العدل باتباع الكتاب واستعمال الميزان فينتظم به أمر دينهم ودنياهم بسلوك الصراط المستقيم الموصل إلى المغفرة والرضوان ودرجات الجنات. **قوله:** (**وإنزاله إنزال أسبابه**) يعني أن الميزان بمعنى ما يوزن به ليس بمنزل من السماء بل هو من مصنوعات البشر. فالمراد بإنزاله

يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الأعداء كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإن آلات الحروب متخذة منه. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار. والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلاً أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله

إنزال أسبابه. وقيل: الإنزال ههنا بمعنى الإنشاء والهيئة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وقيل: هو من باب علفتها تبنًا وماء باردًا، وتقدير الكلام: أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان. ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧] والمراد بوضعه الأمر باستعماله. وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به. وقيل: المراد بالميزان العدل وبإنزاله إنزال الأمر به. **قوله تعالى: (فيه بأس شديد)** جملة حالية من «الحديد» قيل: معناه فيه من خشية القتل خوف شديد. وقال محيي السنة: فيه قوة شديدة في الحرب. وفي الصحاح: البأس العذاب والبأس الشدة في الحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح، والمعنى: إنه متخذ منه آلتان للحرب آلة الدفع وآلة الضرب. قال أهل المعاني: معنى ﴿أنزلنا الحديد﴾ أحدثناه وأنشأناه كما في قوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ وقوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك أن أوامر الله تعالى وأحكامه تنزل من السماء. وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله عز وجل أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل النار والحديد والماء والملح. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد: السندان والكليتان والميقعة والمطرقة والإبرة. السندان يروى بفتح السين وكسرها يقال له بالتركي أورس. والكليتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى. والميقعة المبرد وهو ما يحد به الحديد. والمطرقة آلة يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركي حكوج. فعلى هذا الإنزال على حقيقته. وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ بعد قوله: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ إشارة إلى أن تمشية قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به يتوقفان على والٍ صاحب سيف يقيم به أمر السياسة ويقهر به من تجاوز القسط وتعدى وظلم، فإن الظلم من شيم النفوس الأمارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم. ثم قال: ﴿ومنافع للناس﴾ إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى القائم بالسيف يحتاج أيضًا إلى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع وآلات المحترفة.

قوله: (والعطف على محذوف) يعني أن قوله تعالى: ﴿وليعلم الله﴾ معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى: ﴿فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ فإنه حال فيه معنى التعليل

ليعلم الله ﴿بِٱلْغَيْبِۚ﴾ حال من المستكن في «ينصره» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على إهلاك من أراد إهلاكه ﴿عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ لا يفتقر إلى نصره وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب. وقيل: المراد بالكتاب الخط ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ فمن الذرية أو من المرسل إليهم. وقد دل عليهم «أرسلنا» ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي أرسلنا رسولاً

أي ليقاتلوا وينتفعوا به وليعلم الله حذف ما حذف اعتمادًا على قيام ما يدل عليه وللدلالة على أن المقصود الأصلي من إنزال الحديد هو المذكور. فعلى هذا تكون اللام متعلقة بقوله: ﴿وأنزلنا الحديد﴾ ويحتمل أن تكون متعلقة بمحذوف معطوف على «أنزلنا». **قوله: (بالغيب حال من المستكن في ينصره)** أي ينصر دين الله ورسله وهو لم ير الله تعالى ولا أحكام الآخرة ولا أحدًا من رسله. فإن المعتبر في الطاعة ما وقعت حال الغيبة عن المطاع على أن يكون المراد بالغيب الغيبة عن التصور. ويجوز أن يكون المراد بها الغيبة عن الناس أي ينصر دين الله وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح مجاهدة لإعلاء الدين بالغيب أي ملتبسًا بالغيبة عمن يراه من الناس أي يفعل ما فعله عن إخلاص لا كالمنافق الذي يفعل إذا رآه الناس ولا يفعل إذا غاب عنهم. واحتج من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله: ﴿وليعلم الله﴾ ونحن نقول المعنى: ليعلم الله من ينصر دينه ورسله موجودًا فيستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم في الأزل بأنه سيوجد. ثم إنه تعالى لما أجمل ذكر الرسل الملتبسين بالبينات وبيّن أنه أنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالعدل وأنزل الحديد ذا البأس الشديد يستعين به الخلق في نصرة الدين وتقوية المرسلين، فصل ههنا ما أجمله من إرسال الرسل بالكتب فقال: ﴿ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم﴾ وقدم قوله: ﴿في ذريتهما﴾ وهو ثاني مفعولي «جعلنا» بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص فإنه ما جاء بعدهما أحد بالنبوة إلا كان من أولادهما. **قوله: (بأن استنبأناهم)** أي استنبأنا بعضًا من ذريتهما لأن جعل الذرية ظرفًا للنبوة يدل على كونها في بعض منهم. والكتاب هو الوحي المتلو الذي من شأنه أن يكتب. وقيل: هو مصدر بمعنى الكتابة يقال: كتبت كتابًا وكتابة وهو الخط بالقلم. والفاء في قوله: «فمنهم» للتعقيب في الذكر لأن تفصيل المجمل حقه أن يذكر بعد ذكر الإجمال وعدل عن سنن المقابلة حيث لم يقل: ومنهم فاسق لما ذكره من الأمرين. **قوله تعالى: (ثم قفينا على آثارهم برسلنا)** أي اتبعنا على آثار الذرية. وقيل: على آثار نوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم

بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى. والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم، أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وقرىء بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لأنه أعجمي. ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ وقرىء «رءافة» على فعالة. ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من

المدلول عليه بقوله: ﴿أرسلنا﴾. قوله: (أو من عاصرهما) **معطوف على قوله: «من أرسلا إليهم» احتاج إلى أن يعتبر معهما من أرسلا إليهم أو من عاصرهما لاقتضاء ضمير الجمع في قوله:** ﴿على آثارهم﴾ **ذلك** ﴿برسلنا﴾ **موسى والياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم وعيسى من ذرية إبراهيم من جهة الأم كما أنه من ذرية نوح أيضًا يقال: قفوت أثره أقفو قفوًا أي** اتبعته وقفيت على أثره بفلان أي اتبعته إياه. **قوله:** (وأمره أهون) أي أمر فتح همزة أنجيل أهون من فتح باء برطيل، لأن إنجيل لفظ أعجمي فلا محذور في كونه مخالفًا لأوزان العرب، بخلاف برطيل فإنه لفظ عربي فبفتح الباء فيه صار بحيث لم يوجد له نظير في الأوزان العربية فكان شاذًا بخلاف ما لو كسر الباء فيه فإن له نظائر كثيرة في الألفاظ العربية: كالقنديل والإحليل والإبريق والإكسير. والبرطيل حجر مستطيل يدخل في الحلق لأجل التداوي به شبّهت الرشوة به فسميت برطيلاً على طريق الاستعارة. واللغة الشائعة برطيل بكسر الباء ويستعمل بفتح الباء أيضًا بطريق الشذوذ. والمراد بمن اتبع عيسى على دينه الحواريون واتباعهم. قيل: الرأفة اللين والرحمة الشفقة والمراد بهما في الآية المودة فكان بعضهم يود بعضًا كما وصف الله تعالى هذه الأمة بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. **قوله:** (أي وابتدعوا رهبانية) على أن يكون انتصاب «رهبانية» على أنه من قبيل ما أضمر عامله على شريطة التفسير. **قوله:** (أو رهبانية مبتدعة) على أن تكون معطوفة على قوله: ﴿رأفة ورحمة﴾ مجعولة له تعالى ويكون ابتدعوها صفة «للرهبانية» و «جعل» إما بمعنى خلق أو بمعنى صير. ويرد على هذا أن يقال: كيف تكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله تعالى ومبتدعة لهم حاصلة من جهتهم وهما متنافيان بحسب الظاهر؟ والجواب عنه منع التنافي بناء على أن الرهبانية وهي الفعلات المنسوبة إلى الرهبان كتكثير العبادات وترك العادات ولزوم الخلوات من الأفعال التي يكون لقدرة الإنسان واكتسابه مدخل فيها، بخلاف الرأفة والرحمة فإنهما من الأمور الغريزية فلا مدخل لكسب الإنسان فيهما، فصح توصيف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى، وتوصيف ما يكون بكسب الإنسان واختياره بأنه مبتدع له فإن جميع الأفعال الاختيارية منسوبة إليه تعالى بالخلق والإيجاد وإلى العبد بالكسب والاختيار.

رهب كالخشيان من خشي. وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع الراهب كراكب وركبان. ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما فرضناها عليهم. ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. وقيل: متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله: «ابتدعوها» إلا أن يقال: ابتدعوها ثم ندبوا إليها، أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها أولاً لا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم. ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ فما رعوها جميعًا ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها إليه. ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أتوا بالإيمان الصحيح وحافظوا حقوقه ومن ذلك الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام. ﴿مِنْهُمْ﴾ من المتسمين باتباعه ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)﴾ خارجون عن حال الاتباع.

ويرد على الإعراب الأول أن يقال: كيف يجوز أن تكون «رهبانية» منصوبة «بابتدعوا» المقدر المفسر بالظاهر مع أن جعل الرهبانية مبتدعة منهم في مقابلة كون الرأفة والرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على أن الرهبانية فعل العبد بحيث يستقل العبد بفعلها وهو مذهب أهل الاعتزال؟ والجواب عنه ما مر من أن إسناد ابتداعها إليهم لا يستلزم استقلال قدرتهم بها كما هو مذهب المعتزلة، فلا محذور. و «الرهبان» بفتح الراء صفة مشبهة كالعطشان أبلغ من الراهب بمعنى الخائف يقال: رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة ورهبًا بالضم ورهبانًا بالفتحات الثلاث أي خاف، فهو راهب ورهبان. والرهبانية الفعلة المنسوبة إلى الرهبان للمبالغة في العبادة.

قوله: (كأنها منسوبة إلى الرهبان) بضم الراء لم يجعلها منسوبة حقيقة بل جعلها مصدرًا كالرهبانية لأنه لا ينسب إلى الجمع وهو باق على صيغته بل يرد الجمع إلى واحده فينسب إليه فيقال في النسبة إلى المساجد مثلاً مسجدي ولا يقال: مساجدي. نعم، قد يكون لفظ الجمع لكونه اسمًا لطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها وإن كان جمعًا في نفسه فينسب إليه وهو باقٍ على صيغته فيقال في النسبة إلى الأنصار والأعراب والفرائض: أنصاري وأعرابي وفرائضي. قيل في وجه ابتداع النصارى الرهبانية وأخذها من عند أنفسهم أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: لا نقاتلهم مرة أخرى وإلا أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا حتى نتفرق في الأرض ونتجرد فيها للعبادة. فاختاروا الرهبانية فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة، وحملوا المشاق على أنفسهم بالامتناع عن

....

المطعم والمشرب والنكاح والتعبد في الجبال والغيران والكهوف والديارات والصوامع. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن في أيام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام غير الملوك التوراة والإنجيل وساح قوم في الأرض متعبدين. **قوله**: (وقيل متصل) أي قيل إنه استثناء متصل مما هو مفعول لأجله. والمعنى: ما كلفناهم بها وما طلبنا منهم أن يفعلوها بشيء ما من الأشياء من دفع العقاب عنهم وحصول الثواب والرضوان لهم إلا ابتغاء رضوان الله، فصار المعنى: كتبناها عليهم وأمرناهم بها ابتغاء مرضاة الله. وهذا قول مجاهد. وقوله: «وهو» أي كونها مكتوبة عليهم ندبًا وابتغاء لمرضاة الله يخالف قوله تعالى: ﴿ابتدعوها﴾ لأنه يفهم منه أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم وأنها لم تكتب إلا أن يقال: لا تنافي بين كونها مكتوبة عليهم وبين اختراعهم إياها من تلقاء أنفسهم، لأن التنافي إنما يكون أن لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع وليس بلازم. وقوله: «أو ابتدعوها وأتوا بها أولاً» أي قبل سائر الناس والحديث ضد القديم «واستحدثوها» أي فعلوها حديثًا جديدًا لم يسبقهم سائر الناس فيها، والابتداع بهذا المعنى لا ينافي كونها مكتوبة عليهم وإتيانهم بها بعد الكتبة والابتداع بناء عليها. **قوله**: (استثناء منقطع) لأن المستثنى هو الابتداع المقارن بالابتغاء. ووجه الاتصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد والتذليل المتناول للإيجاب والندب، أو كون الابتغاء مستثنى من أعم العلل. كأنه قيل: ما تعبدناهم بالرهبانية لشيء من الأشياء. واعتبر معه كون الكتبة متناولاً للإيجاب والندب ليصح حصر العلة في الابتغاء فإن «كتبنا» لو كان بمعنى فرضنا لما صح الحصر لأن من فعل الواجب لا يفعله لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعله لدفع العقاب المترتب على تركه أيضًا، وبهذا التوجيه، وإن صح الاتصال والحصر، إلا أنه بقي أن يقال: كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافي ابتداعهم إياها. فأجاب عنه أولاً بجواز أن يكون الندب بعد الابتداع وثانيًا بجواز أن يكونوا ندبوا إليها من أول الأمر وأن يكون معنى الابتداع الانتداب إليها أولاً. **قوله**: (فما رعوها جميعًا) جعل الضمير المرفوع في قوله: ﴿فما رعوها﴾ للذين اتبعوه مقيدين بقيد الجميع لأن بعضهم قد رعاها بدليل قوله: ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ فإن معناه آتينا الذين رعوها حق رعايتها وثبتوا على ما التزموه ولم يضيعوا شيئًا من حقوقه التي من جملتها الإيمان بنبي آخر الزمان ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام: «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون» و﴿حق رعايتها﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق لقوله: ﴿فما رعوها﴾ كقولك: ما عرفناك حق معرفتك، أي كمال معرفتك. وفي الآية دليل على أن من شرع في فعل لم يكتب عليه من وجوه العبادات لزم عليه إتمامه ورعايته، وإن شرع فيما ليس عليه حتى لزمه ثم تركه استحق

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالرسل المتقدمة ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وإيمانكم بمن قبله، ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخًا ببركة الإسلام. وقيل: الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره. ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يريد المذكور في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد: ١٢] أو الهدى الذي يسلك به إلى جناب القدس ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَٱللَّهُ

اسم الفسق والوعيد. روي عن أبي أمامة الباهلي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم قيامه وإنما كتب عليكم صيامه فدوموا على القيام إذا فعلتموه ولا تتركوه، فإن ناسًا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعًا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعاتبهم الله تعالى بتركها فقال: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾» الآية. ثم إنه تعالى لما قال في الآية المتقدمة: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وهو وعد لمن آمن من قوم عيسى عليه الصلاة والسلام إيمانًا صحيحًا بإعطاء الأجر اللائق إلا أنه عبّر عنه بلفظ «آتينا» بناء على تحقق وقوعه ولم يبين مقدار ذلك الأجر، خاطب عقيبها جميع من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود والنصارى فأمرهم بتقوى الله والإيمان بسيد المرسلين وعليهم وعليه الصلاة والسلام ووعدهم إيتاء كفلين من رحمته بمقابلة إيمانهم به وبمن قبله فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الآية بيّن به أن الأجر الموعود لمن آمن به من قوم عيسى غير مختص بهم بل يعم جميع أقوام الرسل المتقدمة بشرط أن آمنوا بسيد المرسلين عليهم وعليه الصلاة والسلام، وبيّن أيضًا أن الأجر الموعود كفلان. ولما ورد أن يقال: هذا معقول في حق من آمن بعيسى وراعى دينه إلى أن بعث نبينا عليهما الصلاة والسلام لأنه قد استمر على الدين الحق إلى أن نسخ وتبيّن عنده حقية الدين الناسخ، وحين تبيّن له ذلك اتبع الحق الثاني فاستحق بذلك لأن يعطي كفلين من الرحمة. بخلاف اليهود فإن اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام فليست اليهود على الدين الحق حتى آمنوا بنبينا ﷺ، فكيف يثابون على دينهم السابق؟ أجاب عنه بقوله: «ولا يبعد» الخ ولم يرض المصنف بقول من قال: الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره عليه الصلاة والسلام لما ثبت أن قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] نزل فيمن آمن بنبينا ﷺ من اليهود كعبد الله بن سلام وأضرابه فإنهم لم يؤمنوا بعيسى إلى أن جاء الإسلام وقد ضوعف أجرهم.

قوله: (يريد المذكور في قوله يسعى نورهم) وهو النور الذي يمشون به في الآخرة على الصراط إلى أن يصلوا إلى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيامة يبرز لهم من

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي ليعلموا. و«لا» مزيدة ويؤيده أنه قرىء «ليعلم» و«لكي يعلم» ولأن يعلم بإدغام النون في الياء. ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ «أن» هي المخففة والمعنى: أنه لا ينالون شيئًا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به،

صحائف أعمالهم. وقيل: المراد به الهدى والبيان الذي يتبعه المؤمن ويسلك به سلوكًا معنويًا إلى جناب القدس وهو سبيل واضح يؤدي سالكه إلى مرضاة الرحمٰن. **قوله**: (ولا مزيدة) فإنها تزاد كثيرًا كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] واللام في قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم﴾ متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير أن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليعلم أهل الكتاب الذين أدركوا عصره عليه الصلاة والسلام ولم يؤمنوا به أن الشأن لا يقدرون أي ليعلموا عدم قدرتهم على شيء مما ذكر من فضله، وهما الكفلان من رحمته والنور والمغفرة، ويعلموا أن الفضل بيد الله يتفضل به على من يشاء من عباده فيؤتي المؤمنين منهم أجرين ونورًا ومغفرة. **قوله**: (وهو مشروط بالإيمان به) لأن قوله تعالى: ﴿يؤتكم كفلين﴾ مجزوم على أنه جواب الأمر وقد تقرر أن المضارع إنما ينجزم بعد الأمر لتضمن الأمر معنى الشرط، وكون المضارع المجزوم في موضع الجزاء له ومتوقفًا على حصوله وذلك لأن الفعل المطلوب بصيغة الأمر قد يكون مطلوبًا لنفسه فلا ينجزم بعده الفعل وقد يكون مطلوبًا لغيره فبذكر ذلك الغير بعده مجزومًا لكونه في معنى الجزاء لما قبله. ومعنى كون الفعل المطلوب بصيغة الأمر مطلوبًا لغيره كون ذلك الغير متوقفًا على حصوله وتوقف غيره عليه هو معنى كونه شرطًا له. روي أن أهل الكتاب وهم بنو إسرائيل كانوا يفضلون أنفسهم على سائر أهل الأديان بسبب كونهم أهل الكتاب ويقولون: الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس إلا لنا، وأنه تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين. فأنزل الله تعالى هذه الآية فخاطب فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال لهم: إنكم إن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم الله تعالى في الآخرة كفلين من رحمته ثم قال: فعلنا ذلك وبيناه لكم ليعلم أهل الكتاب أن الشأن لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وإن كانوا مجتهدين في التدين بدين من بعث قبله لأنه كفر بما فرض الله عليهم في ذلك الوقت فأحبط أعمالهم. والمقصود من إنزالها أن يزول عن قلوب من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب اعتقاد أنهم مفضلون على سائر أهل الأديان من حيث كونهم أصحاب كتاب إلٰهي، فإن مجرد كون الكتاب منزل من عنده تعالى لا يوجب بقاء حكمه أبدًا، وكون من تمسك به مفضلاً على غيره لأن الحكمة الإلٰهية قد تقتضي كون بعض أحكامه موقتًا بوقت متعين فينتهي ذلك الحكم بمجيء ذلك الوقت ويكون منسوخًا فيه ويظهر

أو لا يقدرون على شيء من فضله فضلاً أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن أرادوا. ويؤيده قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ وقيل: «لا» غير مزيدة. والمعنى: لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه، فيكون و«إن الفضل» عطفًا على أن «لا يعلم».

بعد ذلك حكم جديد. ولا فضل للمرء في اتباع الحكم المنسوخ وإنما الفضل بتقوى الله تعالى وطاعته فيما كلف به في كل وقت، فلذلك كان أجر من اتبع الدين القويم ودام على اتباعه إلى زمان بعثة نبينا ﷺ ثم إذا علم ببعثته آمن به واتبع دينه ضعف أجر من مات قبله، وأما من أدرك عصره ولم يؤمن به فليس له شيء من الأجر لكون أعماله محبطة بالكفر به.

قوله: (أو لا يقدرون على شيء من فضله الخ) فإنهم كانوا لا يعدونه عليه الصلاة والسلام أهلاً لأن يبعث رسولاً وينزل عليه الكتاب ويقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فبيّن تعالى بهذه الآية أن من آمن به عليه الصلاة والسلام هو الذي يضاعف أجره ويجعل له النور والمغفرة ثم قال: فعلنا ذلك ليعلموا أن ليس لهم التصرف في أمر النبوة. وقيل: كلمة «لا» ليست بمزيدة وأن الضمير في «لا يقدرون» ليس لأهل الكتاب بل هو للنبي والمؤمنين والمعنى: فعلنا ذلك وبيناه لئلا يعتقد أهل الكتاب أن الشأن لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله. ولما ورد أن يقال: كيف يصح هذا الوجه مع أنه يستلزم أن يكون المعنى ولئلا يعلم أهل الكتاب أن الفضل بيد الله؟ ومن المعلوم أن انتفاء علمهم به ليس مما يصح أن يقصد فضلاً عما ذكر. ووجه الملازمة أن قوله: ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ معطوف على مفعول العلم المنفي البتة فيلزم أن يكون المعنى ما ذكر. أشار إلى دفعه بقوله: «فيكون و «أن الفضل» عطفًا على أن «لا يعلم» أي لا نسلم كونه معطوفًا على مفعول العلم المنفي بل هو علة معطوفة على العلة السابقة أي فعلنا ذلك لئلا يعلم أهل الكتاب أن المؤمنين لا يقدرون على شيء ويعتقدوا ويعلموا أن الفضل بيد الله، وليس في هذا القول إلا زيادة إضمار في قوله: ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ بأن يكون تقدير الكلام: ويعتقدوا أن الفضل بيد الله. وأما القول الأول فقد افتقرنا فيه إلى جعل اللفظ الموجود صلة والإضمار أولى من الحذف. **قوله**: (فيكون وإن الفضل عطفًا على أن لا يعلم) أي بتقدير فعل وتقدير الكلام لئلا يعتقد أهل الكتاب أن الشأن لا يقدر النبي ومن آمن به على شيء من فضل الله، وليعتقدوا أن الفضل بيد الله. قيل: وليس في هذا القول إلا زيادة إضمار وهي قوله: وليعتقدوا أن الفضل. وأما القول الأول فقد افتقرنا فيه إلى حذف شيء موجود ملحوظ، ومن المعلوم أن الإضمار أولى من الحذف لأن الكلام إذا افتقر إلى

وقرىء «ليلاَّ» ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغم النون في اللام ثم أبدلت ياء. وقرىء «ليلاّ» على أن الأصل في الحروف المفردة الفتح. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله».

الإضمار لم يوهم ظاهره باطلاً أصلاً، وأما إذا افتقر إلى الحذف كان ظاهره موهمًا للباطل فعلمنا أن هذا القول أولى. **قوله**: (وقرىء ليلاً) بكسر اللام الأولى وإسكان الياء بعدها. والأصل لأن لا يعلم حذفت همزة «إن» فبقيت «لن لا» فأدغمت النون في اللام فبقي «للا» فاجتمع ثلاث لامات فثقل النطق بها فأبدلت الوسطى منهن ياء تخفيفًا كما قالوا: دينار في دنار وديوان في دوان. **قوله**: (وقرىء ليلاً) بفتح اللام الأولى وإسكان الياء بعدها، أصله لأن لا يعلم على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر كما يفتحها مع المضمر بناء على أن الأصل في الحروف المفردة الفتح فحذفت همزة «إن» فصار «لن لا» فأدغمت النون في اللام فصار «للا» ثم أبدلت اللام الوسطى ياء فصار «ليلا». وقرأ العامة لئلا بكسر لام كي وبعدها همزة مفتوحة مخففة. وورش يبدلها ياء محضة وهو تخفيف قياسي نحو مية وفية في مئة وفئة. تم هنا ما يتعلق بسورة الحديد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة المجادلة

مدنية وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله ﷺ فقال: «حرمت عليه».

سورة المجادلة

مدنية في قول الجميع إلا في رواية عن عطاء أنه قال: العشر الأول مدني وباقيها مكي.

وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى:

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ نزلت بمكة.

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

قوله: (ظاهر منها) أي قال لها زوجها أوس: أنت عليّ كظهر أمي، وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فقال ذلك ثم ندم، وكان الظهار طلاقًا في الجاهلية، فقال لها: ما أراك إلا وقد حرمت عليّ. فقالت: والله ما ذكرت طلاقًا. وكان ذلك أول ظهار وقع في الإسلام ولم يتبين بعد حكمه. فأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه عليه الصلاة والسلام فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إليّ ظاهر مني وما ذكر طلاقًا وقد ندم على فعله، فهل من شيء يجمعني وإياه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه» فهتفت وشكت وذكرت

فقالت: ما طلقني! فقال: «حرمت عليه» فاغتمّت لصغر أولادها وشكت إلى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الأربع. وقد تشعر بأن الرسول عليه السلام أو المجادلة يتوقع أن الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها. وأدغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وهشام

فاقتها ووحدتها حيث كان أهلها منقرضين ولم يبق منهم أحد. وقالت: إن لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليّ جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا. فأعاد النبي ﷺ قوله الأول فقال: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه، ولم أؤمر في شأنك بشيء» فجعلت تراجع رسول الله ﷺ. وإذا قال لها عليه الصلاة والسلام: «حرمت عليه» هتفت وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك ما صنع بي زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي ونقضت له بطني، يعني أني بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيمًا لا ألد بعد. وكانت في كل ذلك ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم أنزل على لسان نبيك. فقامت عائشة رضي الله عنها تغسل الشق الآخر من رأسه ﷺ وهي في مراجعة الكلام معه عليه السلام وبث الشكوى إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أي في قول زوجها أو في شأنه ومجادلتها هي أنه عليه الصلاة والسلام كلما قال لها: «حرمت عليه» قالت: والله ما ذكر طلاقًا. قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع علمه كل شيء إني لأسمع كلام خولة ويخفى عليّ بعضه وهي تحاور رسول الله ﷺ - أي تخاطبه - فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات الأربع. وفي الآية دليل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه أحد سوى ربه كفاه الله ذلك المهم. روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعي عميرًا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن الموت خاف الفوت ومن أيقن الحساب خاف العذاب. وهو رضي الله عنه واقف يسمع كلامها فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف الطويل؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لما زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سمٰوات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟

قوله: (وقد تشعر بأن الرسول أو المجادلة يتوقع) كلمة «قد» لا بد أن تفيد معنى التحقيق ثم إنه قد يضاف إليه في بعض المواضع إذا دخلت على الماضي التقريب من الحال مع التوقع فتدل على أن الكلام المصدر بها المتوقع للمخاطب واقع عن قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الأمير: قد ركب أي حصل عن قريب ما كنت تتوقعه. وكلمة «قد» تدل على ثلاثة معان: التحقيق والتوقع والتقريب. وفي الصحاح: قد حرف لا تدخل إلا على الأفعال

عن ابن عامر دالها في السين. ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ للأقوال والأحوال. ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، مشتق من الظهر. وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم أنثى وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فإنه كان من

وهي جواب لقولك لما يفعل. وزعم الخليل أن هذا لمن ينتظر الخبر تقول: قد مات فلان لمن يتوقع موته ولو أخبرت به وهو لا ينتظره لم تَقل قد مات فلان ولكن تقول مات، وقد تكون «قد» بمعنى «ربما» انتهى. وآثر المصنف «أو» في قوله: «أو المجادلة» إيذانًا بأن التوقع من أحدهما يكفي لمجيء «قد» فحينئذٍ تكون أو لمنع الخلو دون الجمع. **قوله تعالى: (والله يسمع تحاوركما)** أي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام والخطاب فيه لرسول الله ﷺ وتلك المرأة التي ذكرت بلفظ الغيبة تغليبًا للخطاب على الغيبة. روي أنه لما نزلت هذه الآيات أرسل رسول الله ﷺ إلى زوجها وقرأ عليه الأربع آيات فقال: «هل تستطيع العتق»؟ قال: لا والله. قال: «هل تستطيع الصوم»؟ قال: لا والله إني لو لم آكل في اليوم مرة أو مرتين لكلّ بصري ولظننت أني أموت. قال: «فأطعم ستين مسكينًا» قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة. فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعًا، وأخرج أوس من عنده مثلها فتصدق به على ستين مسكينًا. قيل: الظهار ليس بمشتق من الظهر الذي هو عضو من الجسد لأنه ليس الظهر أولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الأعضاء التي هي مواضع المباضعة والتلذذ، بل الظهر ههنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] أي يعلوه وكل من علا شيئًا فقد ظهر وبه سمي المركوب ظهرًا لأن راكبه يعلوه، وكذلك امرأة الرجل ظهره لأنه يعلوها بملك البضع وإن لم يكن علوه عليها من ناحية الظهر، فكأن امرأة الرجل مركب للرجل وظهر له. ويدل على صحة هذا المعنى أن العرب تقول في الطلاق: نزلت عن امرأتي أي طلقتها. وفي قولهم: أنت عليّ كظهر أمي، حذف وإضمار لأن تأويله ظهرك عليّ حرام أي ملكي إياي وعلوي عليك حرام كما أن علوي على أمي وملكي عليها حرام عليّ. فذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والآدمية إنما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لأن ما يركب من غير الآدميات إنما يركب ظهره، فكنى بالظهر عن الركوب والاستعلاء. **قوله: (وفي منكم تهجين لعادتهم فيه)** جواب عما يقال: قوله تعالى: ﴿منكم﴾ لا يخلو إما أن يكون خطابًا للعرب مطلقًا أو للمسلمين منهم، وعلى كل واحد من التقديرين يلزم أن يكون حكم الظهار مختصًا بالعرب أو بالمسلمين منهم كما هو مقتضى مفهوم منكم، ولا اختصاص له بالعرب وهو ظاهر ولا بالمسلم عند الإمام الشافعي فإنه يصح ظهار الذمي عنده كما يصح طلاقه. وتقدير الجواب أن المفهوم إنما يثبت إذا لم يكن للتخصيص فائدة

إيمان أهل الجاهلية وأصل يظهرون يتظهرون. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «يظاهرون» من أظاهر، وعاصم «يظاهرون» من ظاهر. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ أي على الحقيقة ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا تشبه بهن في الحرمة إلا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول. وعن عاصم «أمهاتهم» بالرفع على لغة تميم وقرىء «بأمهاتهم» وهذه أيضًا على لغة من ينصب. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ إذ الشرع أنكره ﴿وَزُورًا﴾

أخرى. وقوله تعالى: ﴿منكم﴾ له فائدة أخرى في هذا الموضع وهو تهجين عادتهم وتوبيخهم بها فليس في الآية دليل على عدم صحة ظهار الذمي ونحن نقول: إنه تعالى خص المظاهر بكونه من المؤمنين وخص المظاهر منهن بكونهن من نساء المؤمنين فلا يصح ظهار الذمي ولا طهار المؤمن من أمته، فإنه قد صرح في كتب الأئمة الحنفية بأن شرط الظهار أن تكون المرأة منكوحة ويكون الرجل من أهل الكفارة حتى لا يصح ظهار الذمي وحكمه حرمة الوطء والدواعي إلى وجود الكفارة. وكان الظهار طلاقًا في الجاهلية، فقرر الشرع أصله ونقل حكمه إلى تحريم موقت بالكفارة. قال صاحب الكشاف في سورة الأحزاب: كان الظهار طلاقًا عند أهل الجاهلية. وقال في هذه السورة: إنه من إيمان أهل جاهليتهم. ووجه التوفيق أنهم كانوا يعدونه طلاقًا مؤكدًا باليمين على الاجتناب. **قوله: (وأصل يظهرون يتظهرون)** من أظهر بمعنى تظهر أدغمت التاء في الظاء وأتى بهمزة الوصل للابتداء فصار «أظهر»، وأدغمت التاء الثانية من يتظهرون في الظاء فصار «يظهرون» فهو من باب التفعل. وأصل أظاهر تظاهر أدغمت التاء في الظاء وأتى بهمزة الوصل للابتداء فصار «أظاهر». وأصل «تظاهرون» تتظاهرون أدغمت التاء الثانية في الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل. **قوله: (وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة تميم)** فإنهم لا يعملون «ما» بمعنى «ليس» بناء على أن أصل العوامل أن تختص بالقبيل الذي تعمل فيه من الاسم أو الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها. وكلمة «ما» تدخل على القبيلين غير مختصة بأحدهما فلا تعمل عندهم، وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها لقوة مشابهتها بليس وهي اللغة الفصيحة التي ورد عليها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] وعليها قراءة الجمهور ههنا حيث قرؤوا «أمهاتهم» بالنصب أي بكسر التاء.

قوله: (بأمهاتهم بزيادة الباء) في خبر «ما» وهذه أيضًا كقراءة أمهاتهم بكسر التاء مبنية على لغة أهل الحجاز فإن الباء لا تزاد في خبر «ما» إلا إذا كانت عاملة فلا تزاد على لغة بني تميم. **قوله: (إذ الشرع أنكره)** أي أنكر قوله: وهو تشبيه زوجته بأمه فإن زوجته ليست بأمه حقيقة ولا ممن ألحقه الله تعالى بأمه فكان تشبيهها بها إلحاقًا لأحد المتباينين بالآخر فكان منكرًا شرعًا والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب والبهتان. فإن قيل

محرفًا عن الحق فإن الزوجة لا تشبه الأم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ لما سلف منه مطلقًا، أو إذا تيب عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي إلى قولهم بالتدارك ومنه المثل: عاد الغيث على ما أفسد وهو ينقض ما يقتضيه، وذلك عند الشافعي بإمساك

المظاهر إنما قال: أنت عليّ كظهر أمي إنشاء لتحريم الاستمتاع بها، فإن حكم الظهار في الشرع أن يحرم على الزوج وطأها بعد الظهار ما لم يكفر، والكلام الإنشائي لا يوصف بالكذب. قلنا: إن قوله إن كان خبرًا فهو كذب لا محالة وإن كان إنشاء فهو متضمن لكلام كاذب وهو الزوجة المحللة ملحقة بالأم المحرمة أبدًا، ولا شك أنه كلام كاذب. **قوله: (مطلقًا أو إذا تيب عنه)** فإن مغفرة ما دون الشرك من الكبائر مشروطة بالتوبة عند المعتزلة خلافًا لأهل السنة، فإنهم يقولون إنها غير مشروطة بالتوبة بل هي موكولة إلى مشيئة الله تعالى إن شاء يغفر له ابتداء وإن شاء يعذبه على حسب ذنبه ثم يدخل الجنة برحمته. **قوله: (أي إلى قولهم)** يعني أن اللام في قوله تعالى: ﴿لما قالوا﴾ بمعنى «إلى» لأنهما يتعاقبان كثيرًا نحو: يهدي للحق وإلى الحق، وأوحى لها وأوحي إليّ، وأن كلمة «ما» فيه مصدرية فكأنه قيل: ثم يعودون إلى قولهم أي يتداركونه بمعنى يدركونه، ويصلون إلى ما أفسده ذلك القول وإلى ما فات عنهم بسببه من وجوه الانتفاع بالزوجات بالمنافع المتوقفة على قيام الزوجية. يقال: تدارك القوم أي تلاحقوا بأن لحق آخرهم أولهم. والذي يلوح من كلام المصنف أنه فسر العود إلى القول وإلى ما فات بسببه بالتدارك والوصول إليه على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب، فإن العود إلى الشيء من أسباب الوصول إليه فإذا عاد الغيث على ما أفسد بهدم شيء من البنيان وإغراق بعض البساتين يراد به أنه تدارك ووصل إلى ما أفسده بأن جبره جبرًا يعادله بل هو أفضل منه وأنفع من صلاح الزرع والثمار وسمن المواشي وحصول الخصب والرخاء ونحو ذلك، فلفظ العود فيه أيضًا مجاز مرسل بمعنى التدارك والوصول والعود يستعمل على معنيين: أحدهما أن يصير إلى شيء قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع إلى ما فارق عنه والآخر أن يصير ويتحول إلى شيء وإن لم يكن على ذلك قبل العود. والعود بهذا المعنى لا يلزم أن يكون رجوعًا إلى ما فارق عنه، والعود الذي قلنا إنه سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو التحول إلى الشيء مطلقًا. والمثل المذكور يضرب لمن شره قليل ونفعه للناس أكثر من ضرره. ومعنى الآية على هذا: والله أعلم والذين يقولون قولاً يقتضي بطلان وجوه انتفاعهم بمنكوحاتهم بالمنافع المتعلقة بالزوجية كالوطء ودواعيه والإمساك على سبيل الزوجية، وذلك القول هو التشبيه المعهود فإنه يحرم عليهم جميع ذلك ويبطله ثم ينقضون مقتضى ذلك التشبيه بأن يفعلوا شيئًا حرموه به وفوتوه

المظاهر منها في النكاح زمانًا يتمكنه مفارقتها فيه، إذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها منه وهو أقل ما ينتقض به. وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة، وعند

على أنفسهم فعليهم تحرير رقبة. الخ وفعل ذلك المحرم عليهم بسبب ذلك القول تدارك له أي لحوق لما فات منهم بسببه ونقض لما يقتضيه وهو الامتناع عنه، ومعنى العود إلى القول تدارك ما فات عنهم بسببه فإن التشبيه المذكور اقتضى أن يحرم عليهم جميع ما يتوقف على قيام النكاح من وجوه الاستمتاع بهن ونفس هذا التشبيه منكر من القول وزور وكبيرة محضة فلا يصلح سببًا لوجوب الكفارة التي هي دائرة بين العبادة والعقوبة فعلق وجوبها بالظهار والعود جميعًا، فإن العود لما فيه من معنى الإمساك بالمعروف وتدارك ما أفسده عليه بالقول المنكر يصلح سببًا لوجوب الكفارة. والتدارك والإدراك معناه اللحوق والوصول يقال: استدرك ما فات وتداركه إذا لحقه ووصل إليه والمصنف فسر تدارك المظاهر ما فات منه بسبب الظهار بقوله: وهو ينقض ما يقتضيه قوله المنكر فإن حكمه ومقتضاه هو التحريم وفوات حل الاستمتاع، فمتى عاد المظاهر إلى قوله وأدرك ما فات عنه بسببه تجب عليه الكفارة. ونظير عود المظاهر إلى القول الذي فات عنه بسببه حل الاستمتاع بالمنكوحة بنقض حكم ذلك القول وإبطاله عود الغيث على ما أفسده بإبطال أثره وتدارك ما فات بسببه، ثم العود بالمعنى المذكور الموجب للكفارة عند الإمام الشافعي هو إمساكها عقيب الظهار وعدم تطليقها بطلاق بائن متصل بالظهار فإن إمساكها على وجه الزوجية زمانًا يمكن تطليقها فيه عود إلى القول ونقض لما يقتضيه، فإن التشبيه المذكور اقتضى أن يحرم عليه جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع بها والإمساك على وجه الزوجية في ذلك القدر من الزمان أقل ما يستمتع به إذ به يحصل دفع الوحشة والاستئناس بها في تلك المدة، فيكون الإمساك المذكور نقضًا لما يقتضيه قوله المنكر وتداركًا لما فات بسببه وهو المراد بالعود فتجب الكفارة به. وكون التدارك المذكور متراخيًا عن التشبيه كما هو مقتضى كلمة «ثم» من حيث الإمساك المذكور لا يكون عودًا ونقضًا لمقتضى التشبيه إلا بعد مضي زمان يمكن أن يطلقها فيه، فلما توقف كونه عودًا على مضي ذلك الزمان كان متراخيًا عن التشبيه بذلك القدر من الزمان. وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: العود المذكور عبارة عن استباحة شيء مما حرم عليه بالظهار من نفس الجماع ودواعيه والعزم عليه. وعند الإمام مالك: هو عبارة عن استباحة نفس الجماع والعزم عليه. وعند الحسن: بنفس الجماع لأنه الأصل المقصود من عقد الزوجية وما عداه من التوابع والمقدمات، فيكون حكم الظهار ومقتضاه بالذات هو تحريم هذه المنفعة والامتناع عنها ونقض هذا الحكم إنما يكون بإتيان ضده الذي هو مباشرة نفس الجماع.

مالك بالعزم على الجماع. وعند الحسن بالجماع أو بالظهار في الإسلام. على أن قوله: «يظاهرون» بمعنى يعتادون الظهار، أو كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري أو بتكراره لفظًا وهو قول الظاهرية، أو معنى بأن يحلف على ما قال وهو قول أبي مسلم، أو إلى المقول فيها بإمساكها أو استباحة استمتاعها أو وطئها. ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

قوله: (أو بالظهار في الإسلام) عطف على قوله: «بالتدارك» يعني أنه قيل العود إلى القول هو التكلم بالتشبيه المنكر في الإسلام بعد ما تكلّم به في الجاهلية والتعبير عما سيق في الجاهلية بلفظ المضارع للدلالة على اعتيادهم له واستمرارهم عليه فيما مضى وقتًا فوقتًا، فإنهم كانوا يعتادونه في الجاهلية. وكلمة «ثم» لاستبعاده في حالة الإسلام وهذا القول يستلزم أن تجب الكفارة بمجرد التكلم بالظهار في الإسلام حتى لو طلقها عقيب الظهار أو مات المظاهر منها لزمته الكفارة بتحقق موجهًا وهو مجموع الظهار. والعود بالمعنى المذكور وهو تكلم لفظ الظهار في الإسلام عود أو هو خلاف ما عليه علماء الأمصار. **قوله**: (أو بتكراره) وهو أيضًا معطوف على قوله: «بالتدارك» يعني أن الظاهرية قالوا: العود إعادة لفظ الظهار وتكراره حتى لو لم يكرر لا كفارة عليه. ثم إن التكرار لا يلزم أن يكون بإعادة لفظ الظهار بل يكفي فيه إعادته معنى بأن يحلف على ما قال حتى لو لم يحلف عليه لم يلزمه الكفارة لفقدان شرط وجوبها وهو العود إلى الظهار لفظًا أو معنى ولو قال: امرأتي عليّ كظهر أمي إن فعلت كذا، فمتى فعل ذلك حنث فتكون مباشرته لذلك الفعل تكرارًا للظهار معنى حيث صار مظاهرًا بمباشرته بالسبب الذي صدر منه سابقًا فيجب عليه الكفارة حيث حنث لأن شرط وجوبها وهو مجموع الظهار والعود تحقق حينئذٍ، وإنما قلنا مجموع الظهار والعود شرط لوجوب الكفارة لما تقرر في النحو أن المبتدأ إذا كان اسمًا موصولاً صلته فعل أو ظرف يتضمن معنى الشرط وقد وقع المبتدأ في الآية اسمًا موصولاً صلته فعل وعطف عليه فعل آخر بكلمة «ثم» فلزم أن يكون مجموع الفعلين شرطًا لوجوب الكفارة. **قوله**: (أو إلى المقول فيها) عطف على قوله أي إلى قولهم. ففي الوجوه السابقة أول الفعل المصدر بـ «ما» المصدرية بالمصدر ثم أبقى المصدر على أصل معناه، فكان المراد بما قالوا القول حقيقة وفي هذا الوجه جعل المصدر المؤول بمعنى المفعول أي المقول فيها وهي النساء المذكورة في قوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ وحذف لفظ فيها ﴿كما قالوا﴾ مشترك بمعنى مشترك فيه ثم العود إلى النساء بتدارك ما فات عنه في حقهن ونقض حكم قوله: «المنكر» يكون على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب. فعلى قول الإمام الشافعي يكون بإمساكهن مدة يمكن للمظاهر أن يطلقهن فيها. وعلى قول أبي حنيفة والإمام مالك بالعزم على الاستمتاع بهن. وعلى قول الحسن بوطئهن. وعن الفراء: أن اللام في قوله تعالى:

أي فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة. والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار، والرقبة مقيدة بالإيمان عندنا قياسًا على كفارة القتل. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه، أو أن يجامعها. وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ذلكم الحكم بالكفارة. ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ لأنه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة فيردع عنه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ لا تخفى عليه خافية.

﴿لما قالوا﴾ بمعنى «عن» والمعنى: ثم يرجعون عما قالوه ويريدون الوطء. **قوله: (فعليهم أو فالواجب إعتاق رقبة)** فعلى الأول يكون قوله: ﴿فتحرير رقبة﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي فعليهم تحرير رقبة ويكون المبتدأ مع خبره في محل رفع على أن الجملة خبر المبتدأ الأول وهو قوله: ﴿والذين يظاهرون﴾ ودخلت الفاء على خبره لتضمنه معنى الشرط وعلى الثاني يكون قوله: ﴿فتحرير رقبة﴾ خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الرقيق حرًا. **قوله: (ومن فوائدها الدلالة)** وجه الدلالة أن الفاء لما دلت على سببية مجموع الظهار والعود لوجوب الكفارة دلت على وجوب تكرار الكفارة بتكرر المجموع ضرورة أن تكرر السبب يوجب تكرر المسبب إلا عند اتحاد المجلس كقراءة آية السجدة في موضعين. **قوله: (قياسًا على كفارة القتل)** فإن الرقبة مقيدة بالإيمان في كفارة القتل قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] فتكون مقيدة به في كفارة الظهار أيضًا. وإن ذكرت فيها من غير تقييد فإن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يحمل المطلق على المقيد وإن ورد كل واحد منهما في حادثة على حدة غير الأخرى، وأبو حنيفة لا يحمله عليه إلا عند اتحاد الحكم والحادثة. **قوله: (لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه)** فإن الآية قد أوجبت الكفارة قبل التماس فلزم أن يحرم التماس قبلها ولفظ التماس عام يتناول مس كل واحد منهما الآخر وكذا مقتضى التشبيه، وحكمه أن يحرم استمتاع كل واحد منهما بالآخر. فتكون الآية دليلاً على حرمة التماس مطلقًا وكذا المس كما يتناول المس بالوطء يتناول سائر ضروب المسيس فيحرم جميع وجوه الاستمتاع. انتهى.

قوله: (أو أن يجامعها) إشارة إلى أن الإمام الشافعي له قولان في أن المحرم بالظهار ما هو. قال الإمام: اختلفوا فيما يحرم بالظهار؛ فللإمام الشافعي فيه قولان: أحدهما أنه يحرم الجماع فقط، والقول الثاني وهو الأظهر أنه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبي حنيفة. **قوله تعالى: (توعظون به)** الوعظ النصح والتذكير بالعواقب ولما كان إيجاب الكفارة التي هي عقوبة السيئة دليلاً على أن المظاهر قد ارتكب سيئة موجبة للعقوبة كان موعظة رادعة عن ارتكابها.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي الرقبة والذي غاب ماله واجد. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ فإن أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف، وإن أفطر بعذر ففيه خلاف. وإن جامع المظاهر منها ليلاً لم ينقطع التتابع عندنا خلافًا لأبي حنيفة ومالك. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي الصوم لهرم أو مرض مزمن أو شبق مفرط، فإنه عليه السلام رخص للأعرابي المفرط أن يعدل لأجله. ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ستين مدًا بمد رسول الله ﷺ وهو رطل وثلث لأنه أقل ما قيل في المخرج في الفطرة. وقال أبو حنيفة: يعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعًا من غيره. وإنما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين، أو لجوازه في خلال الطعام كما قال أبو حنيفة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك البيان أو التعليم للأحكام. ومحله النصب بفعل معلل بقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ لا يجوز تعديها. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي الذين لا يقبلونها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ وهو نظير قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعادونهما فإن كلاً من المتعادين في حد غير حد الآخر، أو يضعون أو يختارون حدودًا غير حدودهما. ﴿كُبِتُوا﴾ أخزوا وأهلكوا. وأصل الكبت الكب. ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني كفار الأمم الماضية. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ تدل على صدق الرسول وما جاء به ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾ يذهب عزهم وتكبرهم ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ منصوب بمهين، أو بإضمار اذكر ﴿جَمِيعًا﴾ كلهم لا يدع أحدًا غير مبعوث أو مجتمعين ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أي على رؤوس الأشهاد تشهيرًا لحالهم، وتقريرًا لعذابهم. ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أحاط به عددًا لم يغب عنه شيء ﴿وَنَسُوهُ﴾ لكثرته أو تهاونهم به. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ لا يغيب عنه شيء.

قوله: (والذي غاب ماله واجد) أي والعاجز هو الذي لا يملك الرقبة ولا قيمتها. **قوله: (وإن جامع المظاهر منها ليلاً لم ينقطع التتابع)** أي لا يلزمه استئناف الشهرين عند الإمام الشافعي لأن التكفير بالصوم مشروط بالتتابع وقد وجد لأن الليل ليس محلاً للإمساك عن المفطرات، خلافًا لأبي حنيفة والإمام مالك فإنه يجب استئناف الشهرين عندهما لأنه وإن لم ينقطع التتابع بالمس ليلاً إلا أنه قد فقد كون الكفارة قبل المسيس وقد شرط ذلك في الكفارة بالصوم أيضًا. ومن لم يوجب الاستئناف يقول: نعم إن تقديم صوم شهرين على التماس شرط إلا أنه على تقدير عدم الاستئناف يتحقق تقديم البعض عليه وعلى تقدير الاستئناف يتأخر الكل فالأولى. **قوله: (ستين مدًا)** المد ربع الصاع بالاتفاق بين أهل الحجاز وأهل العراق، إلا أن أهل الحجاز فسروا المد بأنه مكيال يسع رطلاً وثلث رطل وفسره أهل

....

العراق بما يسع رطلين. فالصاع الحجازي خمسة أرطال وثلث رطل والعراقي ثمانية أرطال والرطل مائة وثلاثون درهمًا. عن أنس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام كان يتوضأ بالمد رطلين ويغتسل بالصاع ثمانية أرطال. **قوله**: (أو مرض مزمن) أي ممتد لا يرجى برؤه فإنه بمنزلة العاجز بسبب كبر السن ويجوز له العدول عن الصيام إلى الإطعام. والشبق شدة اشتهاء الضراب فإنه عليه الصلاة والسلام أمر سلمة بن صخر بأن يعدل عن الصيام إلى الإطعام بسبب عجزه عن التحرير والصيام لأجل شبقه. ويحتمل أن يكون الشبق متناولاً لشدة اشتهاء الطعام وقلة الصبر عنه، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لأوس بن الصامت زوج خويلة: «هل تستطيع الصوم»؟ قال: لا والله إن أخطأني أن آكل في اليوم مرة أو مرتين لكلّ بصري ولظننت أني أموت. فأمره بأن يطعم ستين مسكينًا. **قوله**: (**وهو نظير قوله**) أي في كونه من باب التغليظ. **قوله تعالى**: (**وتلك حدود الله**) أي الأحكام التي بينّاها معالم فاصلة بين الحق والباطل من تخطاها فقد تعدى وظلم نفسه. والحد النهاية الحاجزة بين الشيئين وتحديد الدار تعيين نهاياتها يقال: فلان حديد فلان إذا كان أرضه إلى جنب أرضه. شبّه ما شرعه الله تعالى من الأحكام بالحدود الحاجزة بين الشيئين فأطلق عليه اسم الحد والحد أيضًا المنع ومنه قيل للبواب حداد لأنه يمنع عن الدخول من غير إذن، ويقال للسجان أيضًا حداد لأنه يمنع عن الخروج. فالمحادة مفاعلة من الحد بمعنى النهاية الحاجزة كما نقل عن الزجاج أنه قال: المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك فتكون المحادة كناية عن المعاداة لكونها لازمة للمعاداة. وقوله: ﴿كبتوا﴾ أي خذلوا من قولهم: كبت الله فلانًا أي أذله وخذله. وقيل: أهلكوا. وقيل: أخزوا كما أخزى الله الذين من قبلهم من أعداء الرسل. والكب إلقاء الشخص على الأرض على وجهه يقال: كبه لوجهه أي صرعه فأكب هو على وجهه. ومن النوادر أن يقال: أفعلت أنا وفعلت غيري وهو يصلح لأن يكون دعاء عليهم بذلك وأن يكون إخبارًا عما سيكون بلفظ الماضي لتحقق وقوعه، فيكون وعيدًا لكفار مكة وقد أنجز الله تعالى ذلك يوم بدر. وقيل: يوم الخندق. والظاهر أن قوله تعالى: ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ صفة ثانية «لآيات» فإنها كما أنها واضحات الدلالة فإنها أيضًا عذاب للكافرين تهينهم وتذهب عزهم. **قوله**: (**كلهم أو مجتمعين**) يعني أن قوله: «جميعًا» منصوب إما على أنه تأكيد للضمير المنصوب في يبعثهم، أو على أنه حال منه بمعنى مجتمعين في حال واحدة. وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم﴾ الآية استفهام تقرير والمعنى: إنك قد علمت أنه لا يغيب عن علمه شيء مما فيها فلا يخفى عليه أيضًا نجوى المتناجين، وهو تأكيد لكونه تعالى شهيدًا عليهم وعلى كل شيء مطلعًا عالمًا بكل المعلومات بحيث لا يخفى عليه سر

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كليًا وجزئيًا ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ ما يقع من تناجي ثلاثة. ويجوز أن يقدر فطاف، أو يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها. واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض فإن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلا الله يجعلهم أربعة من حيث إنه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من أعم الأحوال ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾

ولا علانية. **قوله:** (ما يقع من تناجي ثلاثة) إشارة إلى أن «كان» تامة وأن «نجوى» مصدر بمعنى التناجي وهو المكالمة سرًا، وأن «ثلاثة» مجرور بإضافة نجوى إليه من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله. يقال: نجوته نجوى إذا ساررته، والقوم تناجوا أي تساروا، ومن نجوى فاعل كان و«من» زائدة أي ما يحدث وما يقع نجوى ثلاثة نفر إلا وهو تعالى رابعهم. ويجوز أن يقدر مضاف ويكون التقدير ما يقع من ذوي نجوى ثلاثة أو أهل نجوى ثلاثة وأن يؤول المصدر وهو النجوى بالمتناجين على طريق التوصيف بالمصدر مبالغة. وعلى التقديرين: يكون «ثلاثة» مجرورًا إما على الأول فعلى أنه صفة للمضاف المقدر، وإما على الثاني فعلى أنه صفة لنجوى بمعنى متناجين. والنجوة والنجا ما ارتفع من المكان الذي تظن أنه نجاك من حيث إنه لا يعلوه السيل اشتق منه النجوى لما ذكره من أن السر أمر مرفوع إلى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه.

قوله: (إلا الله يجعلهم أربعة) اعلم أن الواحد من المتعدد يعتبر على وجهين: الأول أن يصير ذلك الواحد العدد الناقص عن عدد مأخذ ذلك الواحد باعتبار حاله ومرتبته في التعدد إلى العدد الذي اشتق هو منه، والثاني أن يصير واحدًا من هذا العدد تقول فيه الثاني والثالث بمعنى واحد من الاثنين وواحد من الثلاثة، أي إن أضفته إلى عدد هو مأخذ هذا الواحد لا إلى عدد ناقص منه بواحد فتقول: ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة، وإن أضفته إلى العدد الذي هو أنقص من العدد الذي اشتق منه هذا المصير بدرجة تضيف الواحد باعتبار التصيير إلى العدد الناقص من مأخذه فتقول: ثالث اثنين ورابع ثلاثة وتريد مصير اثنين ثلاثة ومصير ثلاثة أربعة. فالمصنف جعل قوله تعالى: ﴿إلا هو رابعهم﴾ و﴿إلا هو سادسهم﴾ من قبيل الواحد من المتعدد باعتبار تصييره لإضافته إلى العدد الذي هو أنقص من العدد الذي اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو الثلاثة والخمسة، فمعنى رابع ثلاثة مصير ثلاثة أربعة ومعنى سادس خمسة مصير خمسة ستة والمفرد من المتعدد باعتبار حاله ومرتبته في التعدد لا يضاف إلا إلى عدد يساوي العدد الذي اشتق منه ما يدل على هذا المفرد فيقال: رابع أربعة وثالث ثلاثة وثاني اثنين أي أحدها. **قوله:** (والاستثناء من أعم الأحوال) يعني أن قوله: ﴿إلا هو رابعهم﴾ و﴿إلا هو سادسهم﴾ و﴿إلا هو معهم﴾ كل واحد من هذه الجمل بعد «إلا» في

ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي المنافقين، أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار، أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما. وقرىء «ثلاثة» و«خمسة» بالنصب على الحال بإضمار «يتناجون» أو تأويل نجوى بمتناجين. ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ كالستة وما فوقها. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يجري بينهم. وقرأ يعقوب «ولا أكثر» بالرفع عطفًا على محل «من نجوى» أو محل «لا أدنى» إن جعلت لا لنفي الجنس. ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ فإن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تفضيحًا لهم وتقريرًا لما يستحقونه من الجزاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل على سواء.

موضع النصب على الحال، لما تقرر أن المستثنى المفرغ يعرب على حسب العوامل فالمستثنى منه المقدر هو الأحوال العامة أي ما يوجد شيء من هذه الأشياء في حال من الأحوال إلا في حال من هذه الأحوال. **قوله: (وتخصيص العددين)** جواب عما يقال: إنه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة وأهمل أمر الأربعة في البين فما الحكمة؟ فأجاب عنه أولاً بأن الآية نزلت في قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين ثلاثة وخمسة، فلما كان أصحاب التناجي معدودين بهذين العددين المخصوصين قال تعالى: ما يتناجى ثلاثة ولا خمسة كما يرونهم يتناجون كذلك ولا أدنى من ذينك العددين ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ويعلم ما يقولون. وثانيًا بأنه تعالى لم يذكر الاثنين والأربعة لأنه تعالى وتر يحب الوتر فخص بالذكر أول الأعداد المفردة وثانيها واكتفى بذكرهما عن ذكر الباقي تنبيهًا على فردانيته تعالى وإيثارًا لما هو أحب الأعداد عنده. وثالثًا بأن أقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان منهم كالمتنازعين في النفي والإثبات ويكون الثالث كالمتوسط الحاكم بينهما، فحينئذٍ تكمل المشورة ويتم المقصود منها، وهكذا في كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكمًا مقبول القول فلهذا السبب لا بد أن يكون عدد أرباب المشاورة فردًا فذكر تعالى الفردين الأولين واكتفى بذكرهما عن الباقي. **قوله: (وقرىء ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال)** وذو الحال مع رافعه محذوفان والتقدير: ما يكون من أهل نجوى يتناجون ثلاثة وحذف لدلالة نجوى عليه وأن أول نجوى بمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه. وقرىء «ما تكون» بتاء التأنيث لتأنيث «النجوى» والعامة على التذكير لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة «من» ولأن تأنيث النجوى غير حقيقي. **قوله: (ولا أقل مما ذكر)** أي من

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم. ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ أي بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواصي بمعصية الرسول. وقرأ حمزة و«ينتجون» وروي عن يعقوب و«هو يفتعلون» من النجوى. ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ فيقولون: السام عليك أو أنعم صباحًا، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩] ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ فيما بينهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيًا. ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابها ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾

العددين كالواحد أدخل الواحد في الأدنى لأن الواحد قد يحدث نفسه بشيء فهو تناجيه نفسه وتساره. وقراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿والأدنى﴾ في موضع الجر بالعطف على ثلاثة على طريق الجوار لخمسة وكذا قوله: ﴿ولا أكثر﴾ أي وما يكون من متناجين أدنى ولا أكثر ﴿إلا هو معهم﴾ فتكون كلمة «لا» في الموضعين زائدة لتأكيد النفي المعتبر في المعطوف عليه. وقرىء «ولا أكثر» بالرفع إما على كونه معطوفًا على محل من «نجوى» فإنه فاعل «كان» التامة و «من» زائدة كأنه قيل: وما يكون أدنى ولا أكثر فكلمة «ما» فيهما أيضًا للتأكيد وإما على كونه معطوفًا على محل لا أدنى إن جعلت كلمة «لا» فيه لنفي الجنس، وقد تقرر أن اسم «لا» إذا كان نكرة مفردة يبنى على ما يرفع به، وتقرر أيضًا أنه يجوز في المعطوف على المنفي بلا الرفع عطفًا على محل المبني والنصب عطفًا على لفظه فيقال: فلا أب وابن وابنًا برفع الابن ونصبه فلهذا جاز في «لا حول ولا قوة» رفع قوة ونصبها مع التنوين فيهما وبناء حول على الفتح أما الرفع فعلى أن تكون «لا» الثانية زائدة لتأكيد نفي الأولى ويعطف قوة على محل «لا حول» وأما النصب فبالعطف على لفظه وكون «لا» زائدة أيضًا.

قوله: (ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين) ويوهمونهم بذلك أنهم يتناجون فيما يسوؤهم فيحزنون لذلك، فلما كثر ذلك شكا المسلمون إلى رسول الله ﷺ فأمرهم بأن لا يتناجوا عند المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية. **قوله: (فيقولون السام عليك)** السام الموت، وهم يوهمونه عليه السلام أنهم يقولون: السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم بقوله: «عليكم» بدون الواو. وروي أن عائشة رضي الله عنها لما سمعت قولهم: السام عليك قالت لهم: عليكم السام، واللعنة والغضب أي لعنة الله وغضبه، فقال عليه الصلاة والسلام: «مه يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» قالت: أوَلم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما رددت عليهم يستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في». فقالت

يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٨﴾ جهنم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كما يفعله المنافقون. وعن يعقوب «فلا تنتجوا». ﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩﴾ فيما تأتون وتذرون فإنه مجازيكم عليه.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي النجوى بالإثم والعدوان ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فإنه المزين لها والحامل عليها. ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بتوهمهم لأنها في نكبة إصابتهم ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان أو التناجي ﴿بِضَآرِّهِمْ﴾ بضار المؤمنين ﴿شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ ولا يبال بنجواهم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم: افسح عني أي تنح. وقرىء «تفاسحوا» والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أو مجلس رسول الله عليه السلام فإنهم كانوا يتضامون به تنافسًا على القرب منه وحرصًا على استماع كلامه. ﴿فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق

اليهود فيما بينهم: إذا كان رسولاً كما يقول فلم لا يستجاب دعاؤه علينا. فنزل قوله تعالى: ﴿وإذا جاؤك﴾ الآية وقولهم: أنعم صباحًا من النعومة أي ليصر صباحك ناعمًا لينًا لا بؤس فيه ولا شدة. **قوله:** (وعن يعقوب فلا تنتجوا) بمعنى فلا تتناجوا. في الصحاح: النجو السر بين اثنين يقال: نجوته نجوًا أي ساررته وكذلك ناجيته، وانتجى القوم وتناجوا أي تساروا، والنجي على فعيل هو الذي تساره.

قوله: (أي النجوى بالإثم) يعني أن تعريف النجوى للعهد الخارجي من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك. **قوله:** (توسعوا فيه) الفسحة الوسعة والفسيح الواسع، وفسح له في المجلس يفسح أي وسع له، وهو من باب منع يمنع وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم أي صار واسعًا. قال القرطبي: لما بيّن أن اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك، وصل به الأمر بتحسين الأدب في مجالسة رسول الله ﷺ حتى لا يضيقوا عليه المجلس، وأمر المسلمين بالتعاطف والتألف بأن يفسح بعضهم لبعض وتطيب نفسه بذلك ولا يتحرج بالمزاحمة حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله ﷺ. ثم قال: والصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة، ولا يختص بمجلس رسول الله ﷺ، وأن كل أحد أحق بمكانه الذي سبق إليه لقوله عليه الصلاة والسلام: «من سبق إلى من لم يسبق إليه فهو أحق به، ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرج لضيق موضعه». وعنه عليه الصلاة والسلام: «لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخلفه في مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا».

والصدر وغيرها. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ انهضوا للتوسعة أولم أمرتم به كصلاة، أو جهاد، أو ارتفعوا في المجلس ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة. ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك تقتدي بالعالم في أفعاله ولا تقتدي بغيره. وفي الحديث: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ تهديد لمن لم يمتثل الأمر أو استكرهه.

قوله تعالى: (انشزوا) أي ارتفعوا وقوموا. قال مجاهد والضحاك: إذا نودي للصلاة فقوموا إليها، وذلك أن رجالاً تثاقلوا عن الصلاة فنزلت. وقال الحسن ومجاهد أيضًا: انهضوا إلى الحرب. وقال ابن زيد والزجاج: هذا في بيت النبي ﷺ كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخرهم عهدًا بالنبي ﷺ فقال تعالى: ﴿وإذا قيل انشزوا﴾ عن مجلسه عليه السلام ﴿فانشزوا﴾ فإن له حوائج ولا تمكثوا. وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى كل خير فقوموا لها ولا تقصروا. وقول المصنف «انهضوا للتوسعة أي لمن جاء بعدكم» يحتمل أن يكون المراد أنه إذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحي أحد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة. وقيل لكم: قوموا جميعًا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تتثاقلوا عن القيام. ويحتمل أن يراد به إذا قيل لكم: قوموا من مواضعكم وانتقلوا عنها إلى موضع آخر أطيعوا من أمركم به وقوموا من مجالسكم ووسعوا لإخوانكم بذلك. ويؤيده ما روي عن مقاتل أنه عليه الصلاة والسلام كان جالسًا في الصفة وكان في المجلس ضيق، وكان عليه الصلاة والسلام يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم. فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لمن حوله من غير أهل بدر: «قم يا فلان قم يا فلان» فأقام من المجلس بعدد القائمين من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف رسول الله ﷺ الكراهية في وجوههم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا﴾ الآية. **قوله تعالى:** (يرفع الله الذين آمنوا) مجزوم على أنه جواب الأمر وقوله: ﴿والذين أوتوا العلم﴾ يجوز أن يكون معطوفًا على ﴿الذين آمنوا﴾ على طريق عطف الخاص على العام وقد اختاره المصنف. وقيل: يجوز أن يكون من قبيل عطف الصفات بأن تكون الصفات لذات واحدة كأنه قيل: يرفع الله الذين آمنوا العلماء. وعن ابن

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان. وفي هذا الأمر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهي عن

عباس أنه قال: تم الكلام عند قوله: ﴿منكم﴾ وينتصب قوله: و ﴿الذين أوتوا العلم﴾ بفعل مضمر أي ويخص الذين أوتوا العلم بدرجات أو برفع درجات. وانتصاب «درجات» على أنه مفعول ثانٍ ليرفع، ويحتمل أن يكون حالاً بمعنى ذوي درجات أو ظرفًا أو منصوبًا على إسقاط الخافض أي إلى درجات. بيّن الله تعالى في هذه الآية أنه يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن وأنه يرفع علماء المؤمنين على غير العلماء منهم، فثبت أن الرفعة عند الله إنما تكون بالعلم والعمل لا بالسبق إلى صدور المجالس.

قوله: (مستعار ممن له يدان) يعني أن النجوى ليس لها يدان حتى يضاف إليهما لفظ «بين» ويجعل مدلوله ظرفًا لتقديم الصدقة، فلما تعذرت الحقيقة تعين المصير إلى المجاز. وقد تقرر أن لفظ «يدين» في نحو قولك: جلست بين يدي فلان مجازًا أريد به الجهتان الواقعتان في سمت يديه وما بينهما هو جهة الأمام أطلق لفظ اليدين عليهما على طريق إطلاق اسم الشيء على ما يدانيه ويتصل به، وإنما حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لأن ما بين اليدين حقيقة هو نفس جثة الشخص وهي ليست ظرفًا للجلوس بل ظرفه هو جهة الأمام الواقعة بين الجهتين المسامتتين لليدين وهما جهتا اليمين والشمال، فثبت أن بين اليدين بمعنى بين الجهتين المسامتتين لليدين. فإذا أضيف لفظ «بين يدي» إلى من ليس له يدان فضلاً عن أن يكون ليديه جهتان كما في نحو ﴿بين يدي الله﴾ و﴿بين يدي نجواكم﴾ يكون لفظ «بين يدي» مستعارًا من بين جهتي يدي من له يدان بأن ينزل ما بين تينك الجهتين منزلة المعنى الأصلي للفظ بين اليدين، ثم يطلق لفظ بين اليدين على ما يشبه ما بين تينك الجهتين. فلفظ «بين يدي» في قوله تعالى: ﴿فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ مستعار من بين جهتي يدي من له يدان وهو جهة الأمام شبّه بها ما قبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم في كل واحد منهما فهي استعارة متفرعة على المجاز المرسل. فقول المصنف: «تصدقوا قدامها» فيه مسامحة والظاهر أن يقال: تصدقوا قبلها لأن القدام من ظروف المكان والنجوى لا قدام لها لأن الجهة إنما تكون للمتمكن إلا أنها تقع في زمان فيكون لها قبل وبعد وإن لم يكن لها قدام وخلف. قال صاحب الكشاف: مستعار ممن له يدان والمعنى: قبل نجواكم كقول عمر رضي الله عنه: أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم. يريد قبل حاجته. **قوله: (وفي هذا الأمر)** يعني أن هذا التكليف يشتمل على فوائد أولاها تعظيم الرسول ﷺ وتعظيم مناجاته، فإن الإنسان إذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه وإن وجده مع السهولة استحقره. وثانيتها أن تقديم

الإفراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا. واختلف في أنه للندب أو للوجوب، لكنه منسوخ بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ [المجادلة: ١٣] وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً. وعن علي رضي الله عنه: أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم. وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشرًا. وقيل: إلا ساعة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك التصدق ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي لأنفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية، لكن قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ أي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب. ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أخفتم الفقر من تقديم الصدقة، أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة

الصدقة قبل المناجاة يستلزم انتفاع كثير من الفقراء، وثالثتها ما يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله تعالى أن يخفف عن نبيه فأنزل الله هذه الآية، فلما نزلت شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة فصار إنزال هذه الآية بمنزلة النهي عن الإفراط في السؤال. ومن فوائد إنزالها الميز المذكور. **قوله:** (**وهو وإن اتصل به تلاوة**) جواب عما يقال: كيف يكون قوله تعالى: ﴿ءأشفقتم﴾ ناسخًا لوجوبه وهو متصل به والحكم لا ينسخ بكلام متصل؟ واختلف القائلون بوجوبها في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقال الكلبي: ما بقي ذلك التكليف إلا ساعة من النهار ثم نسخ. وقال مقاتل: بقي ذلك التكليف عشرة أيام. **قوله:** (**وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره**) أي ما روي عن علي رضي الله عنه من قوله: ما عمل بها أحد غيري، لا يوجب القدح في غيره بنسبة ترك الواجب إليهم على القول بوجوبها، لأن ترك الواجب إنما يلزم أن لو تحقق منهم المناجاة في مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم، فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه. عن القرطبي أنه قال: ما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لأنه تعالى قال: ﴿فإذا لم تفعلوا﴾ وهذا يدل على أن أحدًا لم يتصدق بشيء. **قوله:** (**وهو يشعر بالندبية**) لأن نحو قوله تعالى: ﴿ذلكم خير لكم﴾ إنما يستعمل في التطوع لا في الواجب إلا أن قوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم﴾ أدل على الوجوب لأن ما كان مغفورًا بناء على تعذره يكون واجبًا عند فقدان العذر.

قوله: (**أخفتم الفقر من تقديم الصدقة**) على أن يكون مفعول ﴿ءأشفقتم﴾ محذوفًا ويكون قوله: ﴿أن تقدموا﴾ في محل النصب على أنه مفعول ﴿ءأشفقتم﴾ وعلة الخوف

التناجي. ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه. وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم وإذ على بابها. وقيل: يعني إذا أو أن ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فلا تفرطوا في أدائهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾ ظاهرًا وباطنًا. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ والوا.

محذوفة أشار إليها بقوله: «لما يعدكم الشيطان». **قوله:** (بأن رخص لكم أن لا تفعلوه) فإن التوبة إذا أسندت إليه تعالى تكون بمعنى الرجوع عن عقوبة المذنب بناء على رجوعه عن الذنب، فإن إشفاقهم لكونه بمنزلة الاعتذار والاسترحام قام مقام توبتهم إليه تعالى فقام ترخيصه تعالى لهم في عدم التقديم مقام توبته عليهم فلذلك قال: ﴿وتاب الله عليكم﴾

قوله: (وإذ على بابها) يعني أنها للماضي والمعنى: أنكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة. وقيل: بمعنى «إذا» في كونها للاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١] وقيل: إنها بمعنى «إن» الشرطية وهو قريب مما قبله إلا أن «إذا» من الظروف وفيها معنى الشرط و«إن» من حروف الشرط. ومعنى الآية: فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به عجزًا وشحًا وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بأن نسخ ذلك الحكم ورخص لكم في أن لا تفعلوه، فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ءأشفقتم﴾ وقوله: ﴿فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم﴾ يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف فحاشى من الصحابة ذلك. أجيب بمنع دلالته عليه وذلك لأن القوم لم يكلفوا بأن يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل أمروا بأنهم إن أرادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة، فمن ترك المناجاة وما تتوقف هي عليه من تقديم الصدقة لعدم عروض مهم يقتضيها في مدة بقاء التكليف لا يكون مقصرًا لأن هذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة لذاتها بل شأنها أن تقع عند اقتضاء الحاجة إياها، ولا سيما قد ذكر أنهم إنما كلفوا بتقديم الصدقة ليتركوا الإفراط في السؤال ويقتصروا على السؤال عند طريان الحاجة إليه فلا يكون ترك المناجاة مطلقًا تقصيرًا في التكليف، وإنما يكونون مقصرين فيه لو ناجوا في مدة بقاء التكليف به من غير تقديم الصدقة ولا يمكنهم ذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لا يمكنهم من ذلك، فليس في الآية ما يدل على صدور التقصير منهم. والاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿ءأشفقتم﴾ يجوز أن يكون مبنيًا على أنه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من بقاء هذا التكليف أبدًا لكثرة ما يقتضي المناجاة وعدم تيسر تقديم الصدقة في كل مرة فقال هذا القول، وأما قوله تعالى: ﴿وتاب الله عليكم﴾ فليس معه ما يدل على أنه تاب عليهم من هذا التقصير بخصوصه بل يحتمل أن يكون المراد أنكم إذا كنتم تائبين راجعين إلى الله تعالى

﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعني اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك. ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ادعاء الإسلام. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس. وفي هذا التقييد دليل على أن الكذب

وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف. هذا كلام الإمام. ولا حاجة إلى هذا التكلف بما أشار إليه المصنف بقوله: «بأن رخص لكم أن لا تفعلوه» فتأمل. ثم إنه تعالى لما وبخ اليهود والمنافقين وهددهم بقوله: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾ إلى قوله: ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ ثم ساق الكلام إلى هنا عاد إلى ذم المنافقين بموالاتهم اليهود فقال: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قومًا﴾ الآية التولي مرافقة العدو يقال منه تولاه. **قوله**: (**كمن يحلف بالغموس**) فإن المحلوف عليه فيه كذب. والغموس أن يحلف على أمر قد مضى بأنه قد وقع أو لم يقع وهو يعلم أنه كاذب، وإن حلف على أمر قد مضى وهو يظن أن الأمر كما قال وهو ليس كذلك في نفس الأمر فهو لغو. وروي عن عائشة رضي الله عنها: أن اللغو ما يجري على اللسان من غير قصد اليمين سواء كان في أمر قد مضى أو في أمر سيكون مثل أن يقول: لا والله أو بلى والله. ويروى عن أبي حنيفة مثله. وسميت الأولى غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الذنب ثم في النار. قال عليه الصلاة والسلام: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق واليمن الغموس». ولم يجعل حلف المنافقين على الكذب غموسًا بل شبهه به في كون الحالف متعمدًا للكذب، لأن الغموس هو الحلف على الماضي متعمدًا للكذب وحلفهم ليس كذلك بل هو حلف على الحال. **قوله**: (**وفي هذا التقييد دليل الخ**) اعلم أنه لا واسطة بين الصدق والكذب عند الجمهور، فإن صدق الخبر عندهم عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عبارة عن عدم مطابقته له. وقال النظام: صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ غير مطابق للواقع وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ فقول من يقول: السماء تحتنا معتقدًا ذلك صدق، وقوله: السماء فوقنا غير معتقد كذب عنده وعند الجمهور بالعكس. وقال الجاحظ: صدقه مطابقته للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه غير مطابق له، فالخبر إنما يكون كاذبًا لمجموع الأمرين عنده وهما عدم مطابقة حكمه للواقع وعلم المخبر بعدم مطابقته له. فاستدل المصنف على فساد قول الجاحظ بهذه الآية فقال: لو اعتبر في كذب الخبر علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لكان تقييد قوله: ﴿ويحلفون على الكذب﴾ بالجملة الحالية وهي قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ خاليًا عن الفائدة لأن كذب المحلوف عليه إذا استلزم علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لزم أن يكون قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ ضائعًا بلا فائدة بخلاف ما إذا كان كذب

يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم. وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان». فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال عليه السلام: «على م تشتمني أنت وأصحابك» فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا. فنزلت. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾ نوعًا من العذاب متفاقمًا. ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ فتمرنوا على سوء العمل وأصروا عليه. ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ أي التي حلفوا بها. وقرىء بالكسر أي إيمانهم الذي أظهروه. ﴿جُنَّةً﴾ وقاية دون دمائهم وأموالهم. ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فصدوا الناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ وعيد ثانٍ بوصف آخر لعذابهم. وقيل: الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ قد سبق مثله ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي لله على أنهم

المخبر عبارة عن مطابقة حكمه للواقع فقط كقول الدهري: أنبت الربيع البقل معتقدًا ذلك فإنه خبر كاذب مع أن المخبر لا يعلم مطابقته للواقع. **قوله:** (وروي) عطف على قوله: وهو ادعاء الإسلام فإن الكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو قولهم: ما شتمنا وما فعلنا شيئًا يوجب هتك حرمتك، فإنهم قد فعلوا ذلك إلا أنهم لما خافوا من القتل حلفوا أنهم ما فعلوه وهم يعلمون أنهم كاذبون في هذا الإنكار. **قوله:** (متفاقمًا) أي عظيمًا يقال: تفاقم الأمر أي عظم والنوعية مستفادة من تنكير «عذابًا» والعظم من توصيفه بالشدة فقوله: «فتمرنوا» أي تعودوا من قولهم: مرن على الشيء يمرن مرونًا ومرانة أي تعوده واستمر عليه، وتمرنهم على سوء العمل مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضي أي هذا العمل السيىء دأبهم القديم. والتحريش الإغراء بين القوم وهو من لوازم النفاق، وكانوا يثبطون عن الدخول في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم. **قوله:** (وعيد ثانٍ) أي لئلا يلزم التكرار. وقيل: المراد بالكل عذاب الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] ثم إنه تعالى لما بيّن أنهم إنما يحلفون على الكذب لتكون إيمانهم الكاذبة جنة لهم يدفعون بها القتل عن أنفسهم وأولادهم والاستيلاء على أموالهم بيّن أنه لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم التي كانوا يحمونها بالنفاق والإيمان الكاذبة من عذاب الله تعالى في الآخرة شيئًا قليلاً وقوله: ﴿يوم يبعثهم الله﴾ منصوب بقوله: ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم﴾ أو بأصحاب النار أو بالاستقرار المدلول عليه بقوله: ﴿فلهم عذاب مهين﴾ أو بإضمار «اذكر».

مسلمون ويقولون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا أنهم لمنكم. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ في حلفهم الكاذب لأن تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل إليهم في الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ استولى من حذت الإبل وحزتها إذا استوليت وهو مما جاء على الأصل. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ جنوده وأتباعه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ في جملة من هو أذل خلق الله. ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح. ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ أي بالحجة. وقرأ نافع وابن عامر و«رسلي» بفتح الياء. ﴿إِنَّ

قوله: (ويقولون كما يحلفون لكم) الظاهر أن يقال: كما يحلفون لكم في الدنيا ويقولون إنهم لمنكم بيّن أن المحلوف عليه في الدنيا قولهم للمؤمنين إنهم لمنكم، وأن المحلوف عليه في الآخرة قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] والمعنى: إنهم لشدة توغلهم في الكذب والنفاق في الدنيا بقوا في الآخرة على هذا الخلق الرديء مع معاينة ما أوعدوا من الأهوال وانكشاف الأحوال وانقلاب خفايا الأمور ظواهر، فظنوا أنه يمكنهم ترويج كذبهم على علام الغيوب بالأيمان الكاذبة كما تستروا بها واتخذوها جنة في الدنيا. **قوله: (من حذت الإبل وحزنها)** يقال: حاذ الإبل يحوذها ويحوزها أي يسوقها. كذا في الصحاح. وليس المراد أن استحوذ بالذال مشتق من الحوز بالزاي إلا أن يراد بالاشتقاق الاشتقاق الأكبر وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج لا في جوهر الحروف. **قوله: (وهو مما جاء على الأصل)** يعني استحوذ بالذال فصيح لموافقة استعمال الفصحاء كاستصوب واستنوق، وإن شذ قياسًا. إذ القياس أن يقال: استحاذ بقلب الواو ألفًا بعد نقل حركتها إلى الحاء. وكان استيلاء الشيطان وغلبته عليهم وسوقه حيثما أراد سببًا لارتكابهم المعاصي غير ذاكرين الله تعالى ومقامهم بين يديه ومجازاتهم بما صنعوا. **قوله: (في جملة من هو أذل خلق الله تعالى)** لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الآخر فلهذا كانت عزة الله تعالى غير متناهية. **قوله: (أي بالحجة)** لم يذكر الغلبة بالسيف مع أن من بعث بالحزب من الرسل غالبون بالسيف كما أنهم غالبون بالحجة والبرهان، لأن الغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل بخلاف الغلبة بالسيف فإنها إنما تثبت لمن أمر منهم بالحرب. عن الزجاج أنه قال: غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن بعث منهم بغير حرب

﴿ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على نصر أوليائه ﴿عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ لا يغلب عليه في مراده. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي لا ينبغي أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد أنه لا ينبغي أن يوادوهم. ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ولو كان المحادون أقرب الناس إليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي الذين لم يوادوهم. ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان فإن جزء الثابت في القلب يكون ثابتًا فيه وإعمال الجوارح لا تثبت فيه. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي من عند الله وهو نور القلب، أو القرآن، أو النصر على

فهو غالب بالحجة. قيل في سبب نزول هذه الآية: إن المؤمنين لما قالوا: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أي يظهرنا الله تعالى على فارس والروم. فقال عبد الله بن سلول: أتظنون أن الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها؟ والله إنهم أكثر عددًا وأشد بطشًا من أن تظنوا فيهم ذلك. فنزلت ﴿لأغلبنّ أنا ورسلي﴾ ثم إنه تعالى لما ذم المنافقين وعجب من موالاتهم قومًا غضب الله عليهم بيّن أنه لا يجتمع الإيمان بالله واليوم الآخر مع تواد أعداء الله وموالاتهم، لأن شرط الإيمان بالله محبته وطاعته وهما يقتضيان معاداة أعدائه. قال بعض العارفين:

تود عدوّي ثم تزعم أنني صديقك ليس القول عنك بعازب

فقال: ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون﴾ فقوله: «يوادون» صفة «لقوم» بعد صفة أو حال منه. **قوله: (أي لا ينبغي أن تجدهم الخ)** إشارة إلى أن المؤمن لا يصير منافقًا خارجًا عن الإيمان بأن حصل في قلبه وداد أعداء الله تعالى، لكنه يكون عاصيًا صاحب كبيرة، وإن دل ظاهر النظم على أنه لا يجتمع في القلب وداد أعداء الله تعالى والإيمان وأن أي قلب حصل فيه مودة عدو الله تعالى يصير صاحبه منافقًا خارجًا عن الإيمان ولا يخفى أنه نهى وزجر عن موالاتهم بأبلغ الوجوه وحمل على التصلب ومجانبتهم والمباعدة عنهم، ثم زاده توكيدًا بقوله: ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ إلى قوله: ﴿أو عشيرتهم﴾ ثم بقوله: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ ثم بمقابلة قوله: ﴿أولئك حزب الله﴾ بقوله في حق أضدادهم ﴿أولئك حزب الشيطان﴾ وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحيت إليّ» ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية فعلم منه أن الفساق وأهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله أي خالفهما وعاداهما. واستدل الإمام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم. **قوله: (أي من عند الله)** يعني أن ضمير «منه» لله تعالى و «من» لابتداء الغاية و «الروح» مستعار إما لنور القلب فإنه

العدو. وقيل: الضمير من «منه» للإيمان فإنه سبب لحياة القلب. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ بقضائه أو بما وعدهم من الثواب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ جنده وأنصار دينه. ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ الفائزون بخير الدارين. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة».

تعالى لما نور قلوبهم بحيث ميزوا بها ما ينجيهم عما يرديهم ورغبوا بذلك في الارتقاء إلى المدارج الروحانية والتخلص عن دركات عالم الطبيعة الدنية صار نور القلب لهم سببًا للحياة الأبدية كالروح للحياة البدنية، فأطلق عليه اسم الروح على سبيل الاستعارة. وإما للقرآن أو النصر على العدو فإن كل واحد منهما سبب للحياة المعنوية فكان كالروح الذي هو سبب للحياة الحسية. **قوله**: (**وقيل الضمير في منه للإيمان**) أي بروح من الإيمان فإنه في نفسه روح للقلوب من حيث كونه سببًا للحياة كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فتكون كلمة «من» للبيان. وقيل: الروح مستعار لجبريل عليه الصلاة والسلام فإنه تعالى أيدهم وقواهم به على كثير ممن كان يحاربهم. تمت سورة المجادلة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. والآن أشرع بتوضيح ما يتعلق بسورة الحشر مستعينًا بالله سبحانه وتعالى.

سورة الحشر

مدنية وآيها أربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه، فلما ظهر يوم بدر قالوا إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا

سورة الحشر

أربع وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم ربِّ يسِّر

قوله: (صالح بني النضير) بنو النضير رهط من اليهود من ذرية هارون عليه الصلاة والسلام نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظارًا لبعثة رسول الله ﷺ وكان كعب بن الأشرف سيدهم. **قوله: (فلما ظهر)** أي لما غلب عليه السلام على المشركين يوم بدر استحكم ظنهم في حقية أمره، فلما كانت وقعة أحد ارتابوا وأظهروا العداوة له عليه الصلاة والسلام ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب مع أصحابه إلى مكة وأتوا قريشًا وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على رسول الله ﷺ. ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة فنزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الأنصاري وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة فقتل كعبًا غيلة. والقتل بطريق الاغتيال أن يخدع المقتول فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه

ونكثوا، وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا إلى مكة وحالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء. فجلا أكثرهم إلى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله ﴿سبح لله﴾ إلى قوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي في أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك. أو في أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وآخر حشرهم إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إليه أو في أول حشر الناس إلى

قتله. قيل: خرج محمد بن مسلمة وأبو نائلة ورجلان آخران فأتوه بالليل وقالوا: أتيناك نستقرض منك شيئًا من التمر فخرج إليهم فقتلوه. قيل: كان جلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من أحد، وكان فتح بني قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان، وكانت وقعة الأحزاب في شوال سنة خمس فأجلاهم رسول الله ﷺ على أن يحمل كل ثلاثة من أهل الأبيات على بعير واحد ما شاؤوا من غير السلاح وما تركوه فلرسول الله ﷺ ولأصحابه. فجلا أكثرهم إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيف وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة وهي مدينة بقرب الكوفة. والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن أوطانهم، وجلوتهم أنا يتعدى ولا يتعدى ويقال أيضًا: أجلوا عن البلد وأجليتهم أنا كلاهما بالألف. كذا في الصحاح. ومصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الآن وإنما كان كذلك في أول الإسلام ثم نسخ والآن لا بد من قتالهم وسبيهم أو ضرب الجزية عليهم. **قوله: (في أول حشرهم من جزيرة العرب)** إشارة إلى أن اللام في قوله تعالى: ﴿لأول الحشر﴾ متعلقة «باخرج» وأنها اللام المفيدة لمعنى الظرفية كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] و﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] سميت جزيرة العرب بها تشبيهًا لها بالجزيرة الواقعة في خلال البحر، فإن بحر الحبشة وبحر فارس والفرات ودجلة قد أحاطت بها. وقوله: «إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك» إشارة إلى أن أولية الإخراج لا تستدعي إخراجًا ثانيًا يكون هذا الإخراج أولاً بالإضافة إليه بل أوليته عبارة عن كون الشيء غير مسبوق بآخر مثله. وإخراج بني الضير أول إخراج أصابهم من حيث إنه غير مسبوق بحشر وإخراج آخر فهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب بمعنى أن إخراجهم في هذه المرة أول إخراج أصابهم، فإن أهل الكتاب لكونهم أهل عز ومنعة لم يصبهم الإخراج قبل هذه المرة. ثم أشار إلى جواب أن يكون أولية هذا الإخراج بالنسبة إلى الإخراج الثاني الذي أصاب أهل الكتاب وهو إخراج عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إلى الشام فقال: «أو في أول حشرهم

الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك، أو أن نارًا تخرج من المشرق فتحشرهم إلى المغرب. والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي أن حصونهم تمنعهم من بأس الله، وتغيير النظم وتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم

للقتال». **قوله**: (أو أن نارًا تخرج من المشرق) عطف على قوله: «إنهم يحشرون إليه» أي آخر حشرهم أما حشر الناس إلى الشام بأي حاشر كان أو إلى المغرب بأن تحشرهم النار إليه؛ قال قتادة: تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم. وذكر أن تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار.
قوله تعالى: (ما ظننتم وظنوا) الظن الأول فيه على بابه والثاني بمعنى العلم واليقين بشهادة وقوع «أن» المشددة بعده، فإنه قد تقرر في النحو أنه لا يعمل في «أن» المشددة ولا في المخففة إلا فعل العلم واليقين إلا أن يقال: سلط فعل الظن على أن المشددة هنا إجراء له مجرى اليقين لشدته وفوته حتى صار بمنزلة العلم.

قوله: (وتغيير النظم) يعني أن الظاهر أن يقال: وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله، لأن متعلق ظنهم إنما هو أن تمنعهم وثاقة الحصن من أن يظفر عليهم أحد. والعبارة الظاهرة في تأدية هذا المعنى ما ذكر من العبارة والذي عليه النظم مخالف للظاهر من وجهين: الأول تقديم الخبر على المبتدأ والثاني إيراد لفظ لا حاجة إليه وهو الضمير الذي جعل اسم «إن» إلا أنه غيرت العبارة الظاهرة إلى ما عليه نظم التنزيل لما ذكره المصنف من الدلالة وتوضيح المقام أن البلاغة وإن كانت كناية عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلا أن مقتضى الحال ليس منحصرًا فيما يقتضيه الحال بحسب الظاهر، فإن البلغاء كثيرًا ما يخرجون الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال لاقتضاء الحال بحسب غير الظاهر ذلك الإخراج فإن شأنهم النظر إلى جانب المعنى ووضوح الكلام على وجه يؤدي إلى ما قصدوه من الأغراض، وإن أدى ذلك إلى ما بعده النحوي خلاف الظاهر كما في هذه الآية، فإنه قدم فيها الخبر على المبتدأ ليفيد قصر الموصوف على الصفة على معنى أن حصونهم ليس لها صفة غير المانعية فتقديم الخبر مع كونه خلاف الظاهر دل على فرط وثوقهم بكونها حصينة بحيث ظنوا أنه لا يخرجهم منها أحد، وكذا إسناد الجملة إلى ضميرهم فإن أصل المعنى وإن أدى إلى أن يجعل «حصونهم» اسم «أن» و «مانعتهم» خبرها إلا أنه لما جعل اسم «أن» ضميرًا وجعلت الجملة خبرها حصل تقوى الحكم بتكرار الإسناد كما حصل بكلمة «إن» المشددة فدل الكلام على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها. ويجوز أن تكون

لفي عزة ومنعة بسببها. ويجوز أن يكون «حصونهم» فاعلاً لمانعتهم. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء. وقيل: الضمير للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله. وقرىء «فأتاهم» أي العذاب أو النصر. ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ لقوة وثوقهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملأها. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ ضنًا بها على المسلمين وإخراجًا لما استحسنوا من آلاتها. ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم أيضًا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعًا لمجال القتال

«حصونهم» فاعلاً لما نعتهم لأن اسم الفاعل يعمل عمل فعله بشرط الاعتماد وقد اعتمد ههنا على اسم «أن» إلا أن الكلام حينئذٍ يخلو عن الفائدتين المذكورتين. **قوله:** (وهو الرعب) فإنه عليه الصلاة والسلام لما سار إليهم بالكتائب قال لهم: «اخرجوا من المدينة». فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك. فتنادوا بالحرب والقتال فأرسل إليهم المنافقون عبد الله وأصحابه أن لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم. فغلقوا الأبواب على أزقة حصونهم وحصنوها مترصدين فرصة القتال، فحاصرهم رسول الله ﷺ إحدى وعشرين ليلة وقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب وفل شوكتهم بقتل رئيسهم كعب بن الأشرف غيلة ويأسهم من نصر المنافقين إياهم، فاضطروا إلى أن تغلبوا منه عليه الصلاة والسلام أن يصالح معهم فلم يرض إلا بأن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك اضطرارًا، وكانوا أهل سلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شيء منها. **قوله:** (وقرىء فآتاهم) أي بالمد وحذف المفعول وهو «العذاب» إن كان الضمير لبني النضير، و «النصر» إن كان الضمير للمؤمنين. **قوله:** (الذين يرعبها) إشارة إلى أن الرعب عند أهل اللغة هو الخوف الذي يرعب الصدور أي يملأها. الجوهري: رعبت الحوض ملأته، وسيل راعب يملأ الوادي، وسنام رعيب أي سمين ممتلىء. والآية تدل على أن الأمور كلها من الله تعالى لأن الآية دلت على أن وقوع ذلك الرعب صار سببًا في إقدامهم على بعض الأفعال. وبالجملة فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متولدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله تعالى. ولا شك أن نفس الخلق ليس إلا منه تعالى فكانت الأفعال بأسرها مسندة إليه تعالى بهذه الطريق. وقد أشار الشريف الجرجاني المحقق نور الله مرقده إلى هذا ببيت مفرد وهو قوله:

ظفره نظام وحال بهشمي نسبتهم للمحو كسب أشعري

ومن المعلوم أن القول بالجبر المحض لا وجه له إلا أن مناط الأمر هو الطهارة والنجاسة الفطريتين، وأن الخاتمة مبنية على الفاتحة ولا يكتسب إلا ما ساعد عليه استعداده الفطري آه منه ثم آه. **قوله:** (نكاية) أي غيظًا وقهرًا. الجوهري: نكيت في العدو نكاية إذا

وعطفها على أيديهم من حيث إن تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه. والجملة حال أو تفسير للرعب. وقرأ أبو عمرو و«يخربون» بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من الكثير وقيل: الأخراب التعطيل، أو ترك الشيء خرابًا، والتخريب الهدم. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝٢﴾ فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا فلا تعتمدوا على غير الله. واستدل به على أن القياس حجة من حيث إنه أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الأصولية. ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل

فتكت فيه وجرحت. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المجال ويسعوا كيف شاؤوا، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فتخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها. فبيّن بهذا وجه إخرابها بأيدي الفريقين. وذكر المصنف في وجه إخرابها بأيديهم أنهم لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل لئلا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين ونقلوا ما أمكنهم نقله من الخشب الجيدة والساج النفيس. **قوله: (وعطفها)** يعني أن إسناد الإخراب بأيدي المؤمنين إلى أنفسهم إسناد مجازي من قبيل إسناد الفعل إلى السبب الحامل. **قوله: (وقيل الإخراب التعطيل)** عطف على ما يفهم من قوله: «وهو أبلغ لما فيه من التكثير» أي وقيل في الفرق بين الأخراب والتخريب وأو في قوله: «أو ترك الشيء خرابًا» مبني على اختلاف العبارة لأن تركه خرابًا بمعنى تركه بلا ساكن وهو معنى التعطيل. وبنى أبو عمرو قراءة التشديد على هذا الفرق لأن بني النضير لم يتركوا منازلهم بغير ساكن مع بقائها على حالها بل خربوها بالهدم والنقض كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾. **قوله: (فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا)** الغدر ترك الوفاء بالعهد كما غدر كعب بن الأشرف وأصحابه بمعاداتهم الرسول والمؤمنين بعد المصالحة وحالفوا أبا سفيان على المسلمين واعتمدوا على وثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم. والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء إلى شيء ومعناه النظر إلى أمور ليعرف بها شيئًا آخر من جنسها كأنه قيل: تدبروا وانظروا فيما نزل بهم بشؤم غدرهم واعتمادهم على غير الله تعالى وقيسوا عليه جميع ما فيه غدر واعتماد على غيره تعالى وأيقنوا بسوء عاقبته.

قوله تعالى: (ولولا أن كتب الله) أي لولا أن قضى عليهم الخروج و«إن» فيه مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشأن و«إن» مع ما في حيزها في محل الرفع على الابتداء لأن «لولا» إذا كانت بمعنى الامتناع لا يليها إلا المبتدأ ولهذا فتحت «أن» بعدها لكون

والسبي كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ استئناف معناه أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤﴾ الإشارة إلى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم، أو إلى الأخير ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان. وقيل: من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الضمير «لما» وتأنيثه لأنه مفسر باللينة. ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ وقرىء على أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو أو على

ما بعدها في موقع المفرد لوجوب كون المبتدأ مفردًا وخبره محذوف فقولك: لولا أنك منطلق انطلقت تقديره: لولا انطلاقك حاصل انطلقت.

قوله: (استئناف) إذ لو كان معطوفًا على قوله: ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ للزم أن ينجو من عذاب الآخرة أيضًا لأن «لولا» تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط. **قوله: (أو إلى الأخير)** فالمعنى على الأول ذلك الإخراج والخزي وإخراب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة، وعلى الثاني ذلك العذاب المعد لهم في الآخرة بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله أي عادوه وخالفوا أمره. ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل مضمر أي فعلنا بهم ذلك بسبب كذا وكذا.

قوله: (أي شيء قطعتم) إشارة إلى أن «ما» شرطية منصوبة المحل على أنها مفعول «قطعتم» و«من لينة» بيان لها وقوله: «فبإذن الله» خبر مبتدأ محذوف أي قطعها وتركها بإذن الله، والجملة جواب الشرط. والمصنف فسر اللينة بالنخلة مطلقًا من أي نوع كانت كما ذهب إليه مجاهد وعطية. قال الإمام محيي السنة في تفسيره: اختلفوا في اللينة؛ فقال قوم: هي النخلة كلها ما خلا العجوة، وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من الثمر الألوان واحدها لون ولينة أصلها لونة قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها. وقال الأزهري: اللينة هي أنواع النخل كلها إلا العجوة والبرنية. وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء. وقال مقاتل: هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهي شديدة الصفرة يرى نواها من خارج يغيب فيها الغرس. وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم وكانت النخلة الواحدة منها أحب عندهم من وصيف. قال الإمام: فإن قيل: لم خصت اللينة بالقطع؟ قلنا: إن كانت من اللون فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية، وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد. **قوله: (وقرىء على أصلها)** فيه وجهان: الأول أنه جمع أصل كرهن ورهن وسقف وسقف، والثاني أنه تخفيف أصولها حذفت الواو منه

أنه كرهن ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فبأمره ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ علة لمحذوف أي وفعلتم، أو وأذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بفطع نخيلهم قالوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت. واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ وما أدعاه عليه بمعنى صيره له أو رده عليه فإنه كان حقيقًا بأن يكون له لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به إلى

اكتفاء بالضمة كما في قول الشاعر:

فلو أن الأطبا كان حولي

أصله «كانوا» فحذف الواو لما ذكر. **قوله:** (علة لمحذوف) وقيل: إنه معطوف على قوله: ﴿بإذن الله﴾ لأن التعليل والسببية من واد واحد. **قوله:** (فنزلت) أي استصوابًا لرأي كل واحد ممن قطعها إخزاء للكافرين وتحسيرًا لهم وممن أمسك عن قطعها وندم على ما فعله من القطع لتبقى غنيمة للمسلمين لحسن نية كل واحد منهم، أما من قطعها فلزيادة غيظ على الكافرين بسبب كفرهم ونقضهم العهد وتحالفهم مع مشركي مكة على معاداة رسول الله ﷺ ومحاربته، وأما من تركها فلتبقى غنيمة للمسلمين. وقد ندم بعض من قطعها قبل نزول الآية على ما فعل خشية أن يكون ذلك منه إفسادًا في الأرض وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ولم يندم آخرون وقالوا: نغيظهم بقطعها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠] واستدل بعضهم بفعل الفريقين على جواز الاجتهاد بحضرة النبي ﷺ وعلى أن كل مجتهد مصيب لأن كل فريق اتبع اجتهاده، وأنه تعالى استصوب رأي كل واحد منهما. وقيل: لا يجوز الاجتهاد مع وجود النبي ﷺ بين أظهرهم وإنما فعلوا ذلك بأمره عليه الصلاة والسلام إياهم بذلك، وإنما يدل على اجتهاد النبي ﷺ فيما لم ينزل عليه. وعن ابن مسعود أنهم قطعوا منها ما كان في موضع القتال.

قوله: (وما أعاده عليه) يعني أن أفاء أفعل من الفيء بمعنى الرجوع يقال: فاء يفيء فيئًا أي رجع وأفاءه غيره أي رجعه. ويقال للخراج والأموال المغنومة من الكفار فيء لرجوعها إلى المسلمين من الكفرة. وأشار بقوله: «بمعنى صيره له أورده عليه» إلى أن العود له معنيان: أحدهما أن يتحول الشيء إلى ما فارق عنه وثانيهما مجرد أن يتحول إليه من آخر وإن لم يكن ذلك التحول مسبوقًا بأن يحصل له قبل ذلك. فقوله: «بمعنى صيره له» إشارة

طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين. ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير أو من الكفرة ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ ما يركب من الإبل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه، وذلك إن كان المراد فيء النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا إليها رجالاً غير رسول الله ﷺ فإنه ركب جملاً أو حمارًا، ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الأنصار منه شيئًا

إلى هذا المعنى وقوله: «أورده عليه» إشارة إلى المعنى الأول. ثم بيّن وجه كون المال المغنوم معادًا إليه عليه الصلاة والسلام بعد ما فارق عنه مع أنه لم يحصل له قبل ذلك بقوله: «فإنه كان حقيقًا بأن يكون له» فهو بهذا الاعتبار صار كأنه كان في يده ثم فارق عنه ووقع في أيدي الكفرة غصبًا منه، فأعاده الله عز وجل عليه بعد ما ذهب منه. وكلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿وما أفاء الله﴾ شرطية في محل النصب على أنها مفعول أفاء وقوله: ﴿فما أوجفتم﴾ جواب الشرط أو موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وما بعدها خبرها. والإيجاف من الوجف وهو السير السريع يقال: وجف الفرس يجف وجفا ووجيفًا إذا أسرع. وكذا البعير، وأوجفته أنا إذا حركته وحملته على الإسراع. و«من» في قوله: ﴿من خيل﴾ صلة أي خيلاً ولا ركابًا، والركاب الإبل خاصة غلب على الإبل كما أن الراكب غلب على راكب الإبل فإنه يقال لراكب الفرس: فارس، وواحد الركاب راحلة ولا واحد لها من لفظها. قال المفسرون: إن بني النضير لما جلوا عن أوطانهم وتركوا رباعهم وضياعهم وطلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يخمسها كما فعل بغنائم بدر أنزل الله تعالى هذه الآية، وبيّن أنها فيء لم يوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركابًا ولم يقطعوا إليه مسافة لأن ديار بني النضير كانت من المدينة على ميلين فمشوا إليها مشيًا ولم يركبوا خيلاً ولا ركابًا إلا النبي ﷺ فإنه ركب جملاً. وقيل: ركب حمارًا مخطومًا بليف. ثم قال: ولكن الله سلط رسله عليهم وعلى ما في أيديهم بأن ألقى رهبة في قلوبهم فهابوا ورضوا بالجلاء وترك الأموال، فجرى سلطان الرسول عليهم بتسليط الله عز وجل وذلك سنته في رسله الماضين وهو قوله: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ بما يشاء. ولما نزلت هذه الآية لم يقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير كما قسم غنائم بدر وإنما قسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلا ثلاثة كانت بهم حاجة. وعن عمر أنه عليه السلام كان ينفق مما يحصل من غلة أراضي بني النضير على أهله نفقة سنة، ويجعل ما بقي منها في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله. قال الإمام: ومعنى الآية أن الصحابة رضي الله عنهم طلبوا من الرسول ﷺ أن يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة فقال تعالى: الغنيمة ما اتعبتم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب، بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعبًا فكان الأمر فيه مفوضًا إلى

إلا ثلاثة كانت بهم حاجة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بقذف الرعب في قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة

الرسول ﷺ يصرفه كيف شاء. ثم قال: وههنا سؤال وهو أن أموال بني النضير أخذت بعد القتال لأنهم حوصروا أيامًا وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب أن تكون تلك الأموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيء. ولأجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين: الأول أن هذه الآية ما نزلت في قرى بني النضير لأنهم أوجفوا عليهم بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله ﷺ والمسلمون، بل هو في فدك وذلك لأن أهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك الأموال والقرى في يد الرسول ﷺ من غير حرب، فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع. فلما مات عليه الصلاة والسلام ادّعت فاطمة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكها فدك فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنت أعز الناس عليّ فقرًا وأحبهم إليّ غنى لا أعرف صحة قولك ولا يجوز لي أن أحكم بذلك. فشهد لها أم أيمن ومولى رسول الله ﷺ فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم تلق، فأجرى أبو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول وجعل ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى، ورد ذلك في آخر عهد عمر إلى عمر وقال: إن بنا غنى وبالمسلمين إليه حاجة، وكان عثمان يجريه كذلك ثم صار إلى علي فكان يجريه هذا المجرى، فالأئمة الأربعة اتفقوا على ذلك. والقول الثاني أن هذه الآية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذٍ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا إليها مسافة كثيرة، وإنما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيًا ولم يركب إلا رسول الله ﷺ. فلما كانت المقاتلة قليلة وإيجاف الخيل والركاب غير حاصل أجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة أصلاً فخص رسول الله ﷺ بتلك الأموال فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلا ثلاثة نفر. وكذلك الحكم في كل ما فتح على الأمة مما لم يوجف عليه المسلمون خيلاً ولا ركابًا سواء حصل في أيدي المسلمين بأن يجلو أصحابه عن أوطانهم ويخلوه للمسلمين أو يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم، كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله ﷺ على أن لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤوا سوى السلاح وتركوا الباقي. فهذا المال هو الفيء ويصرف إلى ما يصرف إليه الجزية والخراج بخلاف ما يفتح عنوة وقهرًا فإنه غنيمة يقسم بين الفقراء بعد التخميس. والمصنف أشار إلى القولين اللذين نقلهما الإمام عن المفسرين بقوله: «من بني النضير أو من الكفرة» وبقوله: «وذلك إن كان المراد فيء بني

بغيرها. ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ بيان للأول ولذلك لم يعطف عليه ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ اختلف في قسم الفيء فقيل: يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد. وقيل: يخمس لأن ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول إلى الإمام على قول، وإلى العساكر والثغور على قول، وإلى مصالح المسلمين على قول. وقيل: يخمس خمسه كالغنيمة فإنه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كما

النضير» أي عدم الإيجاف على هذا التقدير مبني على قرب منازلهم من المدينة بحيث مشوا إليها رجالاً. وأما إن كان المراد ما خوله الله تعالى رسوله من الكفرة من غير معاونة المسلمين وقهرهم كأموال فدك فالأمر ظاهر. قال الإمام أبو الليث: روي عن الزهري أنه قال: كانت أموال بني النضير للنبي ﷺ خالصة لأنهم لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها صلحًا فقسمها بين المهاجرين.

قوله: (بيان للأول) أي غير أجنبي عنه بل هو متصل به فلذلك كان تخلل العاطف بينهما كتخلل شيء أجنبي بين الشيء وبيانه. بيّن الله تعالى أولاً أن ما خوله الله رسوله ليس من قبيل الغنائم المأخوذة قهرًا فلا يقسم قسمها، ثم بيّن له عليه الصلاة والسلام ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسومًا على الأقسام الخمسة، فإن الأموال المقسومة تقسم على خمسة أسهم: أربعة أخماسها للغانمين ويجعل خمسها خمسة أسهم: سهم منها لرسول الله ﷺ، وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنو هاشم وبنو المطلب فإنهم لما منعوا من الزكاة لكونها غسالة أموال المسلمين جعل لهم حق في الفيء، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل. فكذا الفيء فإنه أيضًا يخمس ويصرف كل خمس إلى مصارف خمس الغنيمة بناء على أن ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فللّه﴾ إنما هو للتبرك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله. وقيل: إنه يسدس ويصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقي وهو خمسة أسداس الستة إلى المصارف الخمسة التي يصرف إليها خمس الغنيمة. والقول الثالث في قسمة الفيء أنه يخمس ويجعل أربعة أخماسه لرسول الله ﷺ خاصة يصرفها كما يشاء، ثم يقسم الخمس الباقي أيضًا على خمسة أسهم: سهم منها له عليه الصلاة والسلام، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل. فعلى هذا القول يكون جميع مال الفيء مقسومًا على خمسة وعشرين سهمًا بأن يخمس كل خمس منها رومًا للتصحيح أحد وعشرون: سهمًا منها للنبي ﷺ وأربعة أسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل. وبعد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى دار الكرامة والبقاء يصرف ما كان له من الفيء إلى الإمام في قول، وإلى

يشاء والآن على الخلاف المذكور. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ أي الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء. وقرأ هشام في رواية بالتاء. ﴿دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ الدولة ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية. وقرىء «دولة» بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم، أو أخذه غلبة تكون بينهم. وقرأ هشام «دولة» بالرفع على كان التامة أي كيلا يقع دولة جاهلية. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وما أعطاكم من الفيء أو من الأمر. ﴿فَخُذُوهُ﴾

المهاجرين المجاهدين والمترصدين للقتال في الثغور لأنهم القائمون مقامه عليه الصلاة والسلام في قول آخر، وإلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم في قول ثالث، وهذا في أربعة أخماس الفيء. وأما القسم الذي كان له عليه الصلاة والسلام من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته عليه الصلاة والسلام بلا خلاف لقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس لي من غنائمكم إلا الخمس مردود فيكم» وكانت الغنائم في شرع من قبلنا لله تعالى خاصة لا يحل شيء منها لأحد وإذا غنمت الأنبياء أشياء جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا ﷺ من بينهم بأن أحلت له الغنائم ثم قال عليه الصلاة والسلام: «أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي». قوله تعالى: (كي لا يكون دولة) علة لقوله: ﴿فللَّه﴾ أي تولى الله تعالى قسمة الفيء وبيّن كيفية قسمته لئلا يغلب الأغنياء الفقراء على الفيء على حسب قوتهم دون الفقراء والضعفاء كما كان في الجاهلية، فإن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع، ثم يصفي منها بعد المرباع ما شاء كما قال شاعرهم:

لك المرباع فيها والصفايا

فبيّن الله تعالى مصارفه وكيفية قسمته ثم قال: ﴿وما أتاكم الرسول﴾ أي ما أعطاكم من الفيء والغنيمة ﴿فخذوه﴾ أو جميع ما أتاكم به من الشرائع والأحكام فاقبلوه، فإن الآية وإن نزلت في أموال الفيء فهي عامة في جميع ما أمر به النبي ونهى عنه. والدولة بالضم اسم لما يتداوله القوم بينهم والمعنى: كيلا يكون الفيء متداولاً بين الأغنياء يكون مرة لهذا ومرة لذاك، وبالفتح مصدر بمعنى التداول والمعنى: كيلا يكون ذا تداول بينهم كالغرفة والغرفة فإنه بالضم اسم لما يؤخذ بالاغتراف، وبالفتح مصدر بمعنى الاغتراف مرة. وقيل: الدولة بالفتح انتقال حال سارة إلى قوم عن قوم ويستعمل في نفس الحالة السارة التي تحدث للإنسان فيقال: هذه دولة فلان. قوله: (أو أخذه غلبة تكون بينهم) عطف على الفيء في قوله: «بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم» فيكون توجيهًا ثانيًا لقراءة «دولة» بالفتح وقد وجهها أولاً بأن جعل اسم «كان» ضمير الفيء وجعل «دولة» بمعنى التداول وقدر قبلها ما يضاف إليها وجعل بينهم ظرفًا للتداول وجعل اسم «كان» في هذا الوجه الأخذ المضاف إلى الفيء

لأنه حلال لكم، أو فتمسكوا به لأنه واجب الطاعة، ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ عن أخذه أو عن إيتائه ﴿فَانتَهُوا۟ۚ﴾ عنه ﴿وَاتَّقُوا۟ اللَّهَۖ﴾ في مخالفة رسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ لمن خالف ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل من «لذي القربى» وما عطف عليه فإن الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرًا.

وجعل «الدولة» بمعنى الاستيلاء والغلبة الجاهلية منصوبًا على أنه خبرها وجعل «بين الأغنياء» ظرفًا لكان التامة في قوله: «كيلا يكون» و «الدولة» مرفوع على أنها فاعل لكان التامة، وذكره متأخرًا تصريحًا بكون «بين» ظرفًا له فالمعنى على هذا الوجه: كيلا يقع بين الأغنياء منكم أخذه دولة أي أخذه بجهة الاستيلاء والغلبة كما كان في الجاهلية، فإن أهلها كانوا يقولون من عزيز أي من غلب سلب ويجعلون استحقاق مال الغنيمة منوطًا بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء كان يستقل به كما في زماننا هذا. وفي كثير من النسخ «أي أخذه غلبة تكون بينهم» أي بين أهل الجاهلية فلا يكون متعلقًا بخصوص إحدى القراءتين بل يكون بيانًا لوجه التعليل بقوله: ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء﴾ على القراءتين كأنه قيل: منع كون الفيء متداولاً بين الأغنياء مأخوذًا بطريق الغلبة والاستيلاء لأن أخذه بهذا الطريق يكون بين أهل الجاهلية فلا ينبغي لأهل الإسلام أن يستنوا بسنتهم ويسلكوا سبيلهم. **قوله:** (لأنه حلال لكم أو فتمسكوا به) من قبيل اللف والنشر المرتب على قوله: «من الفيء أو من الأمر» وكذا قوله: «عن أخذه أو عن إيتائه». **قوله:** (فإن الرسول لا يسمى فقيرًا) جواب عما يقال: لم لا تجعل قوله تعالى: ﴿للفقراء﴾ بدلاً من مجموع المصارف المذكورة بقوله تعالى: ﴿فلله وللرسول﴾ إلى قوله: ﴿وابن السبيل﴾ بل جعلته بدلاً من قوله: ﴿لذي القربى﴾ وما عطف عليه خاصة مع أن الجمل المتعددة إذا عقبها قيد لا يكون ذلك القيد مختصًا ببعضها بل تكون كلها سواء في ذلك القيد إلا أن يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها، فما الدليل عليه فيما نحن بصدده؟ وتقرير الجواب أنه تعالى ليس من المصارف وإنما ذكر اسمه للتبرك به وتعظيم رسوله ﷺ فلا يصح إدخاله في جملة من أبدل منهم المصارف المذكورة من فقراء المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم القيامة والرسول ﷺ وإن كان من المصارف إلا أنه لا يصح إدخاله في جملة المبدل منهم لأن إدخاله فيهم يستلزم تسميته فقيرًا ضرورة أنه يجب أن يتحد مفهوم البدل والمبدل منه صدقًا في بدل الكل من الكل، ولا تجوز تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرًا لأنه يوهم الذم والنقصان من حيث إن أصله كسر فقار الظهر يقال: فقرته إذا كسرت فقار ظهره كما يقال: كبدته إذا ضرب كبده، وسميت الحاجة والداهية فاقرة لأنهما يغلبان الإنسان ويكسران فقار ظهره. وإذا لم تصح تسميته عليه الصلاة

ومن أعطى أغنياء ذوي القربى خصص الإبدال بما بعده، أو الفيء بفيء بني النضير. ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بأنفسهم وأموالهم ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ الذين ظهر صدقهم في إيمانهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ عطف على المهاجرين والمراد بهم الأنصار، فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما. وقيل: المعنى تبوؤوا دار الهجرة ودار الإيمان،

والسلام فقيرًا فعدم صحة تسميته تعالى فقيرًا أولى، ولأنه تعالى أخرج رسوله من الفقراء حيث وصفهم بقوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨] فإنه ينافي دخوله عليه الصلاة والسلام في جملة المبدل منهم وإلا لكان المعنى: أعني بأولئك الخمسة المذكورين الذين هم: الرسول وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هؤلاء الفقراء المهاجرين الذين من جملة صفاتهم أنهم ينصرون الله ورسوله، ووصف المهاجرين بالفقراء دليل على أن الكفار يتملكون أموال المسلمين بالاستيلاء عليها فإنه كانت لهم ديار وأموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليها فلو لم يملكها الكفار بالاستيلاء عليها لما سموا فقراء. **قوله: (ومن أعطى أغنياء ذوي القربى)** بناء على أن ذكرهم بهذا اللفظ يشعر أن علة استحقاقهم للفيء إنما هي القرابة نفسها من غير اعتبار شيء آخر معها، فيكون اشتراط الفقر فيهم زيادة على الكتاب فهم لا يجعلون قوله: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ بدلاً من قوله: ﴿لذي القربى﴾ بل مما بعده من الأصناف الثلاثة، وإن جعلوه بدلاً من الأصناف الأربعة يجعلون اعتبار الفقر في «ذي القربى» مختصًا باستحقاقهم فيء بني النضير، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يعتبر في قسمته غير الفقر والاحتياج حتى لم يعط الأنصار شيئًا منه إلا ثلاثة نفر بهم حاجة، ومن جعل استحقاق «ذي القربى» مشروطًا بالفقر نظرًا إلى أنهم استحقوه عوضًا عن الصدقة التي هي غسالة أموال المسلمين فوجب أن يكون استحقاقهم له مشروطًا بما هو شرط في استحقاق الصدقة فله أن يجعل قوله: «للفقراء» بدلاً من «ذي القربى» وما عطف عليه بدل الكل. **قوله: (حال مقيدة لإخراجهم)** يعني أنه حال من واو أخرجوا توصيفًا لهم بما يفيدهم فخامة الشأن. **قوله: (فإنهم لزموا المدينة والإيمان)** يعني أن المراد بالدار المدينة التي هي دار الهجرة تبوأها الأنصار قبل المهاجرين أي نزلوا فيها واتخذوها مباءة أي منزلاً واستقروا فيها يقال: تبوأت منزلاً أي نزلته وبوأته منزلاً أي هيأت له منزلاً وأنزلته فيه. وأشار أيضًا إلى جواب ما يقال: كيف عطف الإيمان على الدار مع أن الإيمان ليس من قبيل المنازل التي تبوؤوا فيها؟ وتقرير الجواب أن المعنى لزموا الإيمان لزوم الإنسان منزله ومستقره، وشبّه الإيمان في النفس بمنزل

فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول وعوض عنه اللام، أو تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان كقوله:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

وقيل: سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومصيره. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من قبل هجرة المهاجرين. وقيل: تقدير الكلام والذين تبوؤوا الدار من قبلهم والإيمان. ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ

الإنسان ومستقره، وجعل نسبة التبوء إليه تخييلاً للتشبيه المضمر. وأجاب عنه ثانيًا بأن المعنى: تبوؤوا دار الهجرة ودار الإيمان لأن أهلها نصروا الإيمان وأهله، فحذف المضاف من دار الإيمان وأقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه، كما حذف المضاف إليه من الأول وعوض عنه اللام. وثالثًا بأن انتصاب الإيمان ليس بالعطف على الدار حتى يقال: الإيمان ليس من قبيل المنازل حتى يتبوأ فيه، بل هو منصوب بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق حذف المعطوف وأبقى العاطف كما في قوله:

متقلدًا سيفًا ورمحا

أي وحاملاً رمحًا وقوله:

(علفتها تبنًا وماءً باردًا)

أي وسقيتها ماء. ورابعًا بأن المراد بالدار والإيمان شيء واحد وهو المدينة وسميت بالإيمان على طريق تسمية المحل باسم ما حل فيه، أو تسمية المظهر والمصير باسم ما ظهر فيه وصار إليه. **قوله: (من قبل هجرة المهاجرين)** فإنه قد روي أنه قلت دار كانت بالمدينة إلا كان الإسلام قد دخلها قبل هجرة النبي إليها ﷺ، حتى روي أنهم قد صلوا صلاة الجمعة قبل الهجرة. وأشار بهذا التفسير إلى جواب ما يقال: كيف يصح أن يقال: إن الأنصار لزموا الإيمان قبل المهاجرين وليس الأمر كذلك؟ وتقرير الجواب أنه ليس المعنى أنهم لزموا الإيمان قبل المهاجرين ليرد ما ذكر بل المعنى أنهم لزموه قبل هجرتهم فلا محذور. وقيل في جوابه: إن الكلام محمول على التقديم والتأخير والتقدير: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم والإيمان فلا محذور حيث جعلت القبلية قيدًا لتبوئهم الدار فقط. وهذا السؤال والجواب إنما يتجهان على أن يوجه قوله: ﴿والإيمان﴾ بالوجه الأول والثالث، ولا يتجه شيء على الوجه الثاني والرابع لأن المراد بالإيمان فيهما هي المدينة إما بتقدير المضاف أو بتسمية المدينة إيمانًا مجازًا، فكان المعنى على الوجهين: والذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين، والأمر كذلك فلا حاجة إلى تقدير المضاف.

﴿هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يثقل عليهم. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ في أنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ. ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ مما أعطي المهاجرون من الفيء وغيره. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ويقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى أن من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم. ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

قوله: (كالطلب) أي طلب ما أوتي المهاجرون مما يحتاج إليه الأنصار. قال الجوهري: الحزاز أيضًا وجع في القلب من غيظ ونحوه أطلق اسم الحاجة على الحزازة والحسد ونحوهما على طريق إطلاق اسم الملزوم على اللازم لأن جميع ذلك ينشأ عن الحاجة. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما غنم غنيمة بني النضير دعا ثابت بن قيس فقال له: «ادع لي قومك» قال الخزرج: يا رسول الله قال: الأنصار كلها. فدعا له الأوس والخزرج فتكلم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم، ثم قال: «إن رضيتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أبيتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم». فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا: يا رسول الله بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا. فنادت الأنصار جميعًا: رضينا وسلمنا يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار» فأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعطِ الأنصار إلا أبا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم أجمعين. **قوله:** (حتى أن من كان الخ) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ وإن نزل بسبب إيثارهم المهاجرين على أنفسهم بالفيء إلا أنه عام يتناول سائر إيثاراتهم منها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ وقد أصابه الجهد أي شدة الجوع فقال: يا رسول الله إني جائع فأطعمني. فبعث عليه السلام إلى أزواجه «هل عندكن طعام»؟ فأجبنه: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء. فقال عليه الصلاة والسلام: «ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة». ثم قال: «من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله». فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله. فأتى به منزله فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله فأكرميه ولا تدخري عنه شيئًا. فقالت: ما عندي إلا قوت الصبيان. فقال: قومي فعلليهم عن قوتهم ونوميهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئًا ثم أسرجي واثردي، فإذا أخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا ليظن الضيف أنا نأكل معه فيأكل حتى يشبع. ففعلت فباتا تلك الليلة طاويين، فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ فلما نظر إليهما تبسم ثم قال: «لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة» وأنزل الله عز وجل: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وعن

خَصَاصَةٌ﴾ حاجة من خصاص البناء وهي فرجه. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⑨﴾ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم الذين هاجروا بعد حين قوي الإسلام والتابعون

أنس رضي الله عنه أهدى إلى رجل من الأنصار رأس شاة مشوي وكان مجهودًا فقال: لعل جاري أحوج إليه مني. فبعثه إلى جاره فتداوله تسعة نفر ثم عاد إلى الأول فأنزل الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ الآية فإن قيل: كيف استحقوا المدح بإيثار الغير على أنفسهم عند حاجتهم وقد نطقت الأخبار بأن أفضل دينار ما ينفقه الرجل على نفسه وعياله، وبه أمر عليه السلام من سأله عن التصدق؟ قلنا: الأحاديث فيمن لم يثق بالصبر على الفقر لأنه يخشى عليه التعرض للمسألة، والآية وردت في الأنصار فإنهم لم يكونوا بهذه الصفة بل كما وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وإيثار مثلهم أفضل. والإيثار تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الأخروية. حكي عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الري ومعهم أرغفة معدودة لا تكفي إلا قليلاً، فكسروا الرغفان وأطفؤوا السراج وجلسوا للطعام، فلما فرغوا فإذا الطعام بحاله لم يأكل أحد منهم شيئًا منه إيثارًا لصاحبه على نفسه. **قوله:** (وهي فرجه) شبّه حالة الفقر والحاجة بفرج البناء في اشتمال كل واحدة منهما على معنى النقصان والاحتياج إلى المصلح. **قوله:** (حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق) إشارة إلى أن الشح أشد من البخل كما أشار إليه الجوهري بقوله: الشح البخل مع حرص، فإن البخيل يبغض الإنفاق والحريص يحب المال، فمن جمعهما صار شحيحًا. قيل: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله عن مستحقه إنما الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له. وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». وقال كسرى لأصحابه: أي شيء أضر بابن آدم؟ قالوا: الفقر. فقال كسرى: الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع. والشحيح إذا وجد لا يشبع أبدًا. وكل ذلك يدل على أن الحرص معتبر في مفهوم الشح وإنما أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها.

قوله تعالى: (والذين جاؤوا من بعدهم) عطف أيضًا على المهاجرين ولم يصرح بذلك فيه اكتفاء بذكره فيما سبق فيكون «يحبون» حالاً من فاعل «تبوؤوا» و «يقولون» حالاً من فاعل «جاؤوا»، فلما كانت الآيات معطوفًا بعضها على بعض وكان المراد بقوله: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ التابعين لهم بإحسان استوعبت الآية جميع المؤمنين الذين كانوا شركاء في

بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة، فلذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ أي لإخواننا في الدين ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ حقدًا لهم ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فحقيق بأن تجيب دعاءنا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يريد الذين بينهم وبين إخوة الكفر أو الصداقة

الفيء كأنه قيل: هذا المال لرسول الله ﷺ وللأصناف الأربعة الفقراء من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم. قيل: ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿والذين تبوأوا الدار﴾ في محل الرفع على الابتداء والخبر ﴿يحبون﴾ أو محذوف أي أفلحوا وفازوا وكذا قوله: ﴿والذين جاؤوا﴾ يجوز أن يكون مرفوع المحل على الابتداء ﴿ويقولون﴾ خبره. عن مالك بن أوس قال: قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] فقال: هذه لهؤلاء ثم قرأ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١] فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ حتى بلغ ﴿للفقراء المهاجرين﴾ ﴿والذين تبوأوا الدار﴾ ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو يسير وحمير نصيبه لم يعرف منها جنيبه. وهذا يدل على أنه جعل هذه الآيات متعاطفة. وعن عمر رضي الله عنه، ما يدل على أن المراد بهذه الآية الأراضي التي افتتحت عنوة دون أموال أهلها، فإنه روي أنه لما فتح سواد العراق سأله قوم من الصحابة قسمة الأراضي بين الغانمين منهم الزبير وبلال وغيرهما فاحتج عليهم بهذه الآية إلى قوله: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ ثم شاور فيه عليًا وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فأشاروا بترك القسمة وأن يقر أهلها عليها ويضع على رؤوسهم الجزية وعلى أراضيهم الخراج ففعل، فجعل أراضيهم خراجية ليصل نفعها إلى جميع المسلمين قرنًا بعد قرن وهو مذهبنا في الأراضي المأخوذة من الكفار عنوة، إذ للإمام أن يقسمها بين الغانمين إن رأى ذلك أصلح وإلا أقر أهلها عليها ويضع عليهم الجزية وعلى أراضيهم الخراج. وحملوا قوله تعالى: ﴿واعلموا إنما غنمتم من شيء نأن لله خمسه﴾ على غير الأراضي والرقاب من الأموال، ولو كانت هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ منسوخة لذكرت الصحابة ذلك لعمر وأخبروه بنسخها فظهر بذلك أنها محكمة. فإن قيل: لم قالوا: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا﴾ بتقديم الاستغفار لأنفسهم على الاستغفار لإخوانهم في الدين؟ قلنا: رجوا بذلك أن يغفر لهم فيكونوا بذلك أقرب إلى الإجابة في حق غيرهم. **قوله: (إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين)** لأنهم المهاجرون والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم. وقد بيّن الله تعالى أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار أن يذكر السابقين وهم المهاجرون والأنصار بالرحمة والدعاء، فمن لم

والموالاة. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم أو خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي من الرسول والمؤمنين ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ لنعاوننكم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ⑪﴾ لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك كما قال: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وكان كذلك فإن ابن أبي وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك أخلفوهم. وفيه دليل على صحة النبوة وإعجاز القرآن ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾

يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجًا عن جملة أقسام المؤمنين بمقتضى هذه الآيات. روي أن نفرًا من أهل العراق جاؤوا إلى محمد بن علي بن الحسين فسبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم سبوا عثمان رضي الله عنه فأكثروا فقال لهم: أمن المهاجرين أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفمن الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قالوا: لا. فقال: فقد تبرأتم من هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية لأنه تعالى أمر من تبعهم أن يستغفر لهم لا بأن يسبهم، فمن كان يسب هؤلاء كيف يدخل فيمن تبعهم قوموا عني ففعل الله بكم وفعل. قال الشعبي: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا: أصحاب محمد ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة. قال المفسرون في معنى الآية: علم الله تعالى أنه سيقع من الصحابة أشياء ثم يذكر ذلك لمن بعدهم فربما يقع في قلوب بعضهم كراهية بعض ذلك فتتغير قلوبهم، فأمروا بالاستغفار لهم وأن لا يجعل الله في قلوبهم غلاً لمؤمن تنبيهًا على أن ذلك مما يرجى عفو الله عنه، وأنه يجب على من جاء بعدهم محبتهم وحسن الاعتقاد فيهم والدعاء والاستغفار لهم. ثم إنه تعالى عجب السامعين من شأن المنافقين مع يهود بني النضير وذلك أن عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن زيد وغيرهم قالوا لليهود الذين بينهم وبينهم أخوة واشتراك في الكفر بسيد المرسلين ﷺ أو أخوة الصداقة والموالاة، وكانوا يدًا واحدة على المؤمنين في السر ﴿لئن أخرجتم﴾ الخ واللام في ﴿لئن أخرجتم﴾ لام توطئة القسم وفي ﴿لنخرجن﴾ لام جواب القسم فإن القسم مقدر قبل حرف الشرط حذف للعلم بوجودها، وأجيب القسم دون الشرط لسبق المقسم عليه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم﴾ فإن قوله: «لا يخرجون» جواب القسم فلذلك رفع ولم يجزم. أخبر الله تعالى أنهم قالوا لليهود هذه المقالات ثم شهد على أنهم كاذبون فيها فقال: ﴿والله يشهد أنهم لكاذبون﴾ ولما شهد على كذبهم على سبيل الإجمال

على الفرض والتقدير ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ انهزامًا. ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ بعد بل نخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين، أو نفاقهم إذ ضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين.

اتبعه بالتفصيل فقال: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم﴾ **الآية أي لئن أخرج اليهود من المدينة لا يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون كما وعدوهم، وكان الأمر كما ذكره الله تعالى لأن اليهود أخرجوا من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم، فبان بهذا كذبهم فيما قالوه. وفيه دليل على صحة النبوة لأنه عليه الصلاة والسلام أخبر بالغيب وكان كما أخبر. وقيل: وجه دلالته عليها أن المنافقين إنما راسلوا اليهود خفية بحيث لم يطلع عليهم أحد غير اليهود وظاهر أنهم لم يخبروا بذلك النبي ﷺ، فلما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى:** ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون﴾ **الآية علم أنه تعالى أطلع رسوله على ما أخفوه عنه.**

قوله: (على الفرض والتقدير) جواب عما يقال: إنه تعالى نفى أن يتحقق نصرة المنافقين لليهود وما نفى الله تعالى وجوده لا يجوز وجوده، فما وجه قوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ بكلمة «إن» التي من حقها أن تستعمل فيما يحتمل وجوده؟ وتقرير الجواب أن ما نفى الله تعالى وجوده لا يمتنع فرضه وتقديره، فكلمة «إن» ههنا لم تدخل على نصرتهم بل دخلت على فرض نصرتهم وهو مما يحتمل وجوده. **قوله:** (إذ ضمير الفعلين) وهما قوله تعالى: ﴿ليولن﴾ وقوله: ﴿ثم لا ينصرون﴾ فإن كان كلا الضميرين لليهود يكون المعنى: لئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن اليهود ثم لا ينصرون أبدًا بل يخذلهم الله، وإن كان الضمير أن للمنافقين يكون المعنى: لينهزمن المنافقون بهلاكهم ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بمعاداتهم المؤمنين ونصرتهم اليهود. ثم إنه تعالى بيّن أن خوف المنافقين من المؤمنين أشد من خوفهم من الله تعالى فقال: ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ أي أشد مرهوبًا جعله مصدرًا من المبنى للمفعول لأن «أنتم» خطاب للمؤمنين والخوف ليس من حالهم بل هو حال المنافقين، فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين، فالرهبة أمر نسبي قائم بالفاعل متعلق بالمفعول، فباعتبار تعلقه بالفاعل يكون سببًا لأن يحدث فيه هيئة الراهبية وباعتبار تعلقه بالمفعول يكون سببًا لأن يحدث فيه هيئة المرهوبية، فلفظ المصدر قد يستعمل في أصل معناه وهو الأمر النسبي وقد يستعمل في الهيئة الحاصلة للفاعل بسبب تعلق المعنى المصدري به فيقال له حينئذٍ إنه مصدر من المبني للفاعل، وقد يستعمل في الهيئة الحاصلة للمفعول بسبب تعلقه به فيقال إنه مصدر من المبني للمفعول كما في هذه الآية. والمعنى: إنهم يظهرون لكم أنهم يخافون الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله لأنهم

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي أشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول. ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ فإنهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على ما يظهرونه نفاقًا فإن استبطان رهبتكم سبب لإظهار رهبة الله. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون أنه الحقيق بأن يخشى ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ اليهود المنافقون ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالدروب والخنادق ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ لفرط رهبتهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو و«جدار» وأمال أبو عمرو فتحة الدال. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضًا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم، ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله رسوله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين متفقين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ما فيه صلاحهم وإن تشتت القلوب يوهن قواهم.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي مثل اليهود كمثل أهل بدر أو بني قينقاع إن صح أنهم أخرجوا قبل النضير، أو المهلكين من الأمم الماضية ﴿قَرِيبًا﴾ في زمان قريب وانتصابه بمثل «إذ» التقدير وجود مثل ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ في الآخرة.

لا يخافون الله البتة أو لا يظهر فيهم شيء من آثار خوف الله بخلاف ما أضمروه في صدورهم من خوف المؤمنين فإنه أشد وأقوى مما يظهرونه من خوف الله تعالى نفاقًا مع أن قلوبهم خلو من خوفه تعالى. **قوله تعالى:** (ذلك) أي شدة خوفهم منكم بأنهم قوم لا يفقهون عظمة الله وشدة نقمته حتى يخشوه حق خشيته. ثم أخبر عن جبنهم ورخاوة قلوبهم فقال: لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة بالخنادق والدروب وهذا تشجيع من الله للمؤمنين وربط على قلوبهم حيث بيّن أن بأسهم بينهم شديد بالادعاء والقول حيث يوعدونكم بأنهم يفعلون بكم كذا وكذا لو قاتلوكم ولم يبق لكم ذلك البأس. **قوله تعالى:** (ذلك) أي تشتت قلوبهم بأنهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولا يعقلون أيضًا أن تشتت القلوب يوهن القوى الجسدية، فإن صلاح القلب يوجب صلاح الجسد وفساد القلب يؤدي إلى فساد الجسد. **قوله:** (أي مثل اليهود) على أن قوله تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدأ محذوف أي ما أصابهم من الحال العجيبة الشأن كما أصاب من قبلهم من زمان قريب و﴿قريبًا﴾ نعت لظرف محذوف أي وقتًا وزمانًا قريبًا، والمصنف جعله تمثيلاً باعتبار قيامه مقام المضاف المحذوف. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المراد بالذين من قبلهم بنو قينقاع أمكن الله منهم قبل بني النضير. وقيل: هو عام في كل من انتقم الله منهم على كفرهم

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كمثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور. ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ والمراد من الإنسان الجنس. وقيل: أبو جهل قال له إبليس يوم بدر ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] الآية. وقيل: راهب

قبل بني النضير من نوح إلى سيد المرسلين عليهما الصلاة والسلام، مثل حال اليهود بحال أصابت من قبلهم قريبًا في أن كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال أمرهم، ثم مثّل حال المنافقين في إغراء اليهود على القتال بأن قالوا لهم: إنا معكم ولا نخذلكم فاغتر اليهود بقولهم فدربوا الأزقة وتهيؤوا للحرب، فخذلهم المنافقون وتبرؤوا منهم بحال الشيطان حين أغرى الإنسان على الكفر فاغتر الإنسان بإغرائه فكفر ـ والعياذ بالله ـ فلما كفر تبرأ منه. وليس المراد أن الشيطان آمر للإنسان بل هو مسلط عليه بحيث يلجئه إلى المعصية لأن شأنه ليس إلا الإغراء على المعصية بالوسوسة وتزيين المعصية إليه فقوله: ﴿أكفر﴾ استعارة تبعية شبه إغراؤه على الكفر بالوسوسة بإغراء الآمر المأمور، فأطلق إغراء الآمر على إغرائه وقد أغرى إبليس كفار قريش يوم بدر وقد تمثل لهم بصورة سراقة بن مالك الكناني وشجعهم على حرب رسول الله ﷺ بقوله: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] أي مجير لكم من بني كنانة، وكانت قريش تخاف من بني كنانة لما بينهم من الأحنة. فلما تراءت الفئتان ورأى الشيطان جبريل ومن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له: إلى أين أتخذ لنا مثل هذه الحالة؟ فقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا. فلما بلغوا مكة قال إنه الشيطان تمثل بصورة سراقة.

قوله: (وقيل راهب) اسمه برصيصا. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان في بني إسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانًا من الدهر حتى كان مشهورًا بكونه مستجاب الدعوة، فيؤتى بالمجانين فيعوذهم ويداويهم فيبرؤون على يده وأتى بامرأة قد جنت وكان لها إخوة فأتوه بها، فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان له حملها لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها. ثم ذهب الشيطان في صورة رجل إلى إخوتها وأخبر بالذي فعله الراهب وأنه دفنها في مكان كذا فبلغ ذلك ملكهم، فسار الملك في الناس فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهددوه ليصدقهم فأقر لهم بالذي فعله بها، فأمر الملك بصلبه فصلب، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا

حمله على الفجور والارتداد. وقرىء «عاقبتهما» على أن أنهما الخبر لكان و«خالدان» على أنه خبر لأن وفي النار لغو.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم. وأما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدَّمن للآخرة كأنه قال: ولتنظر نفس واحدة في ذلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تكرير للتأكيد أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل، والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ وهو كالوعيد على المعاصي ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ نسوا حقه ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها، أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾ الكاملون في الفسوق. ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوا

الذي زينت هذا كله وألقيتك فيه فهل لك أن تطيعني فيما أقول لك فأخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم. قال: اسجد لي سجدة واحدة فسجد له فقتل كافرًا. ـ والعياذ بالله تعالى ـ فذلك قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ أي اسجد لغير الله ﴿فلما كفر﴾ أي سجد ﴿قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾. **قوله: (وقرىء عاقبتهما)** بالرفع على أنها اسم «كان» وخبرها «أنهما في النار». وقرأ العامة بنصب «عاقبتهما» على أنها خبر «كان» واسمها قوله: «إنهما في النار» لأن «أن» مع ما في حيزها أعرف من «عاقبتهما» فهو أولى بالاسمية. وأيضًا قرأ العامة «خالدين» على أنها حال من المنوي في قوله: «في النار» أي فكان عاقبة الشيطان وذلك الإنسان أنهما ثابتان في النار خالدين فيها. وقرىء «خالدان» بالرفع على أنه خبر «أن» و «في النار» لغو متعلق بالخبر مقدمًا عليه فيكون قوله: «فيها» تأكيدًا لقوله: «في النار». عن المبرد أنه قال: نصب «خالدين» على الحال أولى لئلا يلغي الظرف مرتين أي «في النار» و «فيها». ثم إنه تعالى لما ذم اليهود والمنافقين بأنهم قوم لا يفقهون عظمة الله تعالى حتى يخشوه حق خشيته ولا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ويتمسكوا به مجتمعين عاد إلى موعظة المؤمنين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الآية. **قوله: (نسوا حقه)** وهو طاعته في جميع ما كلفوا به بامتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه، والمراد بنسيان حق الله ما يلزم النسيان من الترك فالمعنى: تركوا ما كلفوا به ترك الناسين له. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يريد بالناسين قريظة والنضير وبني قينقاع. والفاء في قوله تعالى: ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ للسببية وذكر للإنساء وجهين: فالمعنى على الأول بسبب أنهم نسوا حق الله خذلهم في الدنيا وجعلهم ناسين أنفسهم بحيث لم يسعوا في عمل صالح

النار. واحتج به أصحابنا على أن المسلم لا يقتل بالكافر. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بالنعيم المقيم.

ينجيها ولم يجتنبوا عن عمل سيىء يرديها، ولم يخلق فيها داعية الاهتمام لاستكمالها. وعلى الثاني بسبب أنهم نسوا حق الله أراهم يوم القيامة من الأهوال ما نسوا فيه أنفسهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] ثم إنه تعالى لما حرّض المؤمنين على تقديم ما ينفعهم في الآخرة وشنّع على الذين نسوا حق الله وطاعته بيّن تباعد ما بين الفريقين فقال: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ وأشار المصنف إلى أن المراد بأصحاب الجنة من استأهل للجنة بملازمة طاعة الله تعالى والاجتناب عن معصيته، وبأصحاب النار من استحق النار بأن نسي تقوى الله تعالى وطاعته فأنساهم أنفسهم بأن خذلهم ومنع عنهم توفيقه وعونه، وعبّر عن الفريقين بأصحاب الجنة وأصحاب النار زيادة في تصوير عدم استوائهما بحسب الفضائل الأخروية، فإن تباعد ما بين الجنة والنار وعدم استوائهما مما لا يخفى على أحد. فالتعبير عن الفريقين بأصحاب الجنة وأصحاب النار يكون زيادة توضيح لعدم استوائهما يوم الدين وعدم استوائهما وإن كان أمرًا معلومًا بالضرورة إلا أنه تعالى تعرض لبيان التفاوت بينهما تنبيهًا على عظم ذلك الفرق وترغيبًا للمؤمنين في استكمال نفوسهم بملازمة التقوى والطاعة بتنزيلهم منزلة من لا يعرف الفرق بين الجنة والنار، والبون البعيد بين أصحابهما لعدم جريهم على ما يوجب العلم بإيثار العاجلة واتباع الشهوات، فإن العالم بالشيء إذا لم يعمل على مقتضى علمه ينزل منزلة الجاهل فيلقى إليه الكلام الخبري كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك تنزيلاً له منزلة من لا يعرف أنه أبوه وترغيبًا في رعاية حقه.

قوله: (واحتج به أصحابنا) أي احتجت الشافعية بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالذمي إذ لو قتل المسلم به والحال أن الذمي يقتل بالمسلم للزم أن يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار في أن كل واحد منهما يقتل بالآخر، وهو خلاف ما دل عليه ظاهر العموم المستفاد من قوله تعالى: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ فإنه يدل دلالة ظاهرة على أنهما لا يستويان في شيء من الأحكام. والحنفية يقولون: إنه وإن كان عامًا بحسب الظاهر إلا أن سياق الكلام يخصصه بالاستواء في منازل الآخرة ويجوز استواؤهما في الأحكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر، وكذا يملك الكفار أموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون أموال الكفار بالقهر والاستيلاء حتى إذا غلب المسلمون عليهم وقد أخذوا أموال المسلمين قهرًا ووجد أصحاب تلك الأموال أموالهم بأعيانها في جملة مال الغنيمة، فعند الإمام الشافعي يرد مال المسلم إلى المسلم لعدم خروجه

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ تمثيل وتخييل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ فإن الإشارة إليه وإلى أمثاله. والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق. وقرىء «مصدعًا» على الإدغام. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقدم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به، أو المعدوم والموجود،

عن ملك المسلم، وعند الحنفية لا يرد بل يقسم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار إياه بالاستيلاء على مذهبه. ثم إنه تعالى لما بيّن بإنزال القرآن هذه المواعظ المرغبة في اكتساب أسباب الفوز والفلاح والمنفرة عن الانهماك في اتباع الحظوظ العاجلة عظّم شأن القرآن فقال: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ وكلفناه بما فيه لتشقق من خشية الله مع كمال قساوته وصلابته حذرًا من أن لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن، فيا عجبًا من قساوة الكافر حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن وقوة تأثيره، وأعرض عما فيه من العبر واستخف بحقها كأن لم يسمعها وأنه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته للان. **قوله**: (تمثيل وتخييل) الظاهر أنه أراد بالتمثيل التصوير والتبيين. وقوله: «وتخييل» عطف تفسير له والمعنى: إن هذه الآية تصوير لعظمة قدر القرآن وقوة تأثيره. وأنه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته وصلابته لرأيته ذليلاً متصدعًا من خشية الله خوفًا من أن لا يؤدي ـ حق الله تعالى في تعظيم القرآن وإقامة ما فيه من التكاليف والأحكام. والمراد منه توبيخ الإنسان بأنه مع ضعف بنيته ووهن قواه لا يتخشع عند تلاوة القرآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد وعظائم الوعيد، وما جرى على الأمم الماضية بمقابلة معاصيهم كأن لم يسمع شيئًا منها. فهذه الآية مثل أي قول غريب في بيان عظمة القرآن ودناءة حال الإنسان وبيان لصفتها العجيبة فهي من جملة الأمثال الواقعة في مواضع من التنزيل فقوله تعالى: ﴿وتلك الأمثال﴾ إشارة إلى هذا المثل وإلى غيره من الأمثال الواقعة في التنزيل، وقد مر مرارًا أن لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر ثم يستعار منه لكل أمر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيهًا له بالقول السائر في الغرابة لأنه لا يخلو عن غرابة. **قوله تعالى**: (خاشعًا متصدعًا) حالان من الضمير المنصوب في قوله: «لرأيته» لأنه من رؤية البصر، والخاشع الذليل، والمتصدع المتشقق أي ذليلاً بما كلفه من طاعته متشققًا من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه. ثم إنه تعالى لما وصف القرآن بالعظم ومعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم قدر الموصوف، اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾. **قوله**: (وتعلق العلم) مجرور معطوف على الوجود

أو السر والعلانية. ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانًا. وقرىء بالفتح وهو لغة فيه. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة. ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن. وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته هاء. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي جبر خلقه على ما أراده أو جبر حالهم بمعنى أصلحه ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانًا. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ إذ لا يشاركه في شيء من ذلك.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريئًا من التفاوت ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد من أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعلية بكتابي المسمى بمنتهى المنى ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنها دالة على محاسن المعاني ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لتنزهه عن النقائص كلها.

وقوله: «أو المعدوم والموجود مرفوع» معطوف على قوله: «ما غاب وما حضر» وكذا قوله: «أو السر والعلانية». **قوله: (وهو لغة فيه)** يعني أن القدوس بفتح القاف وضمها كلاهما من القدس بمعنى الطهارة، ومعناهما البليغ في النزاهة عن سمات المحدثات وعوارض الممكنات. ونظيرهما السبوح بالضم والفتح في البناء والمعنى، وفعول بالفتح قليل في الصفات وأكثر ما يأتي منه في الأسماء نحو: تنور وسمور وهبود لجبل في اليمامة. **قوله: (ذو السلامة)** يعني أن السلام في الأصل مصدر بمعنى السلامة ونحو: أنت السلام من قبيل رجل عدل. ويدل على كونه مصدرًا في الأصل قولهم: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٧؛ يونس: ٢٥] و﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] ومنك السلام أي أنت الذي تعطي السلامة. وقيل: أنت الذي يسلم على عباده في الجنة لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] وقولهم: (وإليك يرجع السلام) إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧] وقولهم: (وحينا ربنا بالسلام) طلب السلامة منه تعالى ما داموا أحياء. **قوله: (واهب الأمن)** على أن المؤمن بكسر الميم الثانية اسم فاعل من آمنه بمعنى أعطاه الأمن من كل خوف كما في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] ويجوز أن يكون من «آمن» بمعنى صدق فإنه تعالى كما يؤمن الناس من أن يظلمهم ويعاقبهم من غير ذنب فهو أيضًا يصدق عباده المؤمنين في توحيدهم وطاعتهم له. ومن قرأ بفتح الميم الثانية أراد أنه تعالى يؤمن ويصدق به المؤمنون فهو مؤمن به فلا بد من تقدير الحال وإلا لامتنع إطلاقه وهو معنى باطل تعالى الله عن ذلك. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

....

إذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله عز وجل لباقيهم: أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن، فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين. كذا في اللباب. **قوله: (مفيعل من الأمن)** فيكون بمعنى المؤمن أصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء كما يقال في أرقت هرقت، ولما قلبت هاء أبقيت ولم تحذف مع أن همزة الأفعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو: يكرم ومِكرم لأن حذفها إنما كان لاجتماع الهمزتين في المضارع للمتكلم وحمل الباقي عليه وبقلبها هاء انتفت علة حذفها فلم تحذف فبقيت، وهذا مثل قولهم: يهريق بفتح الهاء في مضارع هراق أصلها أراق يريق، فلما قلبت همزة الأفعال هاء في المضارع أبقيت على حالها.

قوله: (الذي جبر خلقه على ما أراده) أي أكرههم عليه وقهرهم قيل: اللغة الشائعة في هذا المعنى أجبره بهمزة الأفعال، وجبره على كذا لغة تميم وكثير من الحجازيين، ومن عدا هذين الفريقين جعلوا الجبار فعالاً من أجبره على كذا أي قهره. واستدلوا به على مجيء صفة المبالغة من المزيد على الثلاثي. قال الفراء: لم أسمع فعالاً من أفعل إلا في جبار ودراك فإنهما من أجبر وأدرك. **قوله: (أو جبر حالهم بمعنى أصلحه)** فإن جبر بمعنى أصلح فهو تعالى يغني الفقير ويجبر الكسير. وعن ابن عباس قال: الجبار بمعنى الملك العظيم، وجبروت الله عظمته، ومنه نخل جبار. والعرب تسمي الملك بالجبار لكونه عظيم الشأن. **قوله: (الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة)** يعني أن صيغة التفعل للتكلف بإظهار ما يحصل بأصله أو بإظهار الزيادة على ما كان منه. ولما كان التكلف مستحيلاً في حقه تعالى جعل صيغة التكلف في حقه للدلالة على أن ما قام به من الفعل على أتم ما يكون وأكمله من غير أن يكون هناك تكلف وأعمال حقيقة. ومنه ما يقال: ترحمت على إبراهيم بمعنى زدت الرحمة في حقه ورحمته بأحق ما يتصور من الرحمة فهو تعالى متكبر بمعنى أنه البالغ في الكبرياء أقصى المراتب. **قوله: (إذ لا يشاركه في شيء من ذلك)** علة لتنزهه عن الشريك والمنوي في «يشرك» راجع إلى «ما» الموصولة في قوله: ﴿ما يشركون﴾ أي كيف يكون له شريك في الألوهية والإله يجب أن يكون موصوفًا بما ذكر من الصفات وشيء مما سواه لا يشاركه في شيء منها؟ ويجوز أن تكون «ما» مصدرية. **قوله: (الموجد لها بريئًا من التفاوت)** أي من العيب والخلل، وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضًا ولا يلائمه. ومفهوم البارىء الجاهل لما يوجده بريئًا من التفاوت فكان الإيجاد معتبرًا في مفهومه، فلذلك فسره كثير من المفسرين بالموجد. قال الإمام: الخلق هو التقدير وهو تعالى

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

خالق بمعنى أنه يقدر أفعاله على وجوه مخصوصة، فالخالقية راجعة إلى صفة الإرادة والبارىء بمنزلة قولنا: صانع وموجد إلا أنه يستعمل في اختراع الأجسام دون الأعراض. وأما المصور فمعناه أنه يخلق صورة الخلق على ما يريده. وقدم ذكر الخالق لأن ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة، وقدم البارىء على المصور لأن إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات. وقال الإمام في المقصد الأقصى: قد يظن أن هذه الأسماء يعني الخالق البارىء المصور مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن تكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى التقدير أولاً، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيًا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا. فالله تعالى خالق من حيث إنه مقدر، وبارىء من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب. تم هنا ما يتعلق بسورة الحشر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

سورة الممتحنة

وهي ثلاث عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله عليه السلام يغزو أهل مكة كتب إليهم أن رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم. وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبرائيل، فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها». فأدركوها ثم فجحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فأخرجته من عقيصتها، فاستحضر رسول الله حاطبًا وقال: «ما حملك عليه»؟ فقال: ما كفرت منذ

سورة الممتحنة
بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (الممتحنة) بكسر الحاء المختبرة، أضيفت السورة إلى الجماعة الممتحنة حيث إنه ذكر فيها أمر جماعة المؤمنين بالامتحان، وإن فتحت الحاء يكون المعنى سورة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان. **قوله:** (فإن بها ظعينة) الظعينة المرأة ما دامت في الهودج، وإذا لم تكن فيه فهي المرأة. والهودج شيء يحمل فيه النساء على ظهر البعير، والعقيصة الضفيرة، وقيل: هي التي تتخذ من شعر المرأة مثل الرمانة. وأصل العقص اللي

أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولكني كنت امرءًا ملصقًا في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يدًا، وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئًا. فصدقه رسول الله وعذره. ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ تفضون إليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة، أو إخبار رسول الله بسبب المودة. والجملة حال من فاعل «لا تتخذوا» أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم

وإدخال أطراف الشعر في أصوله. وسارة اسم تلك المرأة التي هي معتقة بني المطلب. **قوله: (ولا غششتك منذ نصحتك)** النصح الخلوص وصفاء القلب والغش ضده يقال: غشه يغشه إذا أظهر له خلاف ما أضمره في قلبه. ونصح رسول الله ﷺ عبارة عن التصديق والإذعان لنبوته والانقياد لأوامره ونواهيه، ولما اعتذر حاطب بما ذكره من العذر عذره النبي ﷺ أي قبل عذره فقال: «أما أنه قد صدقكم». فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال له: «إنه شهد بدر أو ما يدريك لعل الله تعالى اطلع على من شهد بدرًا فقال: ﴿اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم﴾ ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. فنزلت. أي لعل الله تعالى رضي عنهم بما فعلوا مع قلة عددهم وعددهم فغفر لهم جميع ما وجد منهم وما سيوجد من الذنوب، لأن ذلك قطب أمر الدين وأول نصرة المؤمنين. روي أن حاطبًا لما سمع نداء ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ غشي عليه من الفرح بخطاب الإيمان. **قوله: (أو إخبار)** عطف على قوله: «المودة» فيكون مفعول «تلقون» محذوفًا وتكون الباء سببية لا مزيدة. أما إذا كانت المودة مفعولاً به فإنها قد تزاد في المفعول به لتقوية التعدية. **قوله: (والجملة حال)** أي لا تتخذوا ملقين إليهم المودة أو ملقين إليهم أسراره ﷺ بسبب ما بينكم من المودة، أو صفة لأولياء أي أولياء تلقون إليهم أنتم بالمودة اعترض على كونها حالاً أو صفة بأنهم نهوا عن اتخاذهم أولياء مطلقًا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] والتقييد بالحال أو بالوصف يوهم جواز اتخاذهم أولياء إذا انتفى الحال أو الوصف، بل الظاهر أنها استئناف فلا محل لها من الإعراب. كأنه لما قيل: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ اتجه أن يقال: كيف نتخذهم أولياء؟ فقيل: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ وأجيب بأن قولك: التقييد بالحال أو الوصف يوهم جواز اتخاذهم أولياء إذا انتفى الحال أو الوصف غير لازم لأن عدم جوازه مطلقًا لما علم من القواعد الشرعية تبين أنه لا مفهوم للحال ولا للصفة هنا البتة.

قوله: (جرت على غير من هي له) فإن إلقاء المودة وإن كان صفة لأولياء لفظًا إلا أنه

دون الفعل. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ حال من فاعل أحد الفعلين. ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي من مكة وهو حال من كفروا، أو استئناف لبيانه. ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ لأن تؤمنوا به. وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان. ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ عن أوطانكم. ﴿جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه «لا تتخذوا» ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بدل من «تلقون» أو استئناف معناه أي طائل لكم في إسرار المودة، أو الإخبار بسبب المودة. ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي منكم. وقيل: «اعلم» مضارع والباء مزيدة و«ما» موصولة أو مصدرية. ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي يفعل الاتخاذ ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ أخطأه.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم. ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم. ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بما يسوءكم كالقتل والشتم. ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء، وأن ودادتهم حاصلة وإن لم يثقفوكم.

جار على المخاطبين قائم بهم من حيث المعنى، ومثل هذه الصفة إذا عبّر عنها بلفظ الفعل لا يجب إبراز ضمير الغير الذي جرت هي عليه من حيث المعنى بأن يقال مثلاً: تلقون إليهم أنتم بالمودة، وإنما يجب إبرازه في الأسماء فإنه إذا وقع بدل تلقون ملقين وجب أن يقال: أولياء ملقين إليهم أنتم بالمودة. فإن قيل: كيف قيل: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ والعداوة والصداقة لكونهما متنافيين لا يجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع عن إمكان اجتماعهما؟ قلنا: إنما يتنافيان عند اتحاد النسبة ولا اتحاد لها هنا لأن الكفار أعداء المؤمنين من حيث إنهم حاربوا الله ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما وقد أحبهما المؤمنون وأطاعوهما، وكون الكفار أعداء المؤمنين من هذه الحيثية لا ينافي كونهم أولياء المؤمنين من حيثية أخرى كمظاهرتهم في الأمور الدنيوية والأغراض النفسانية، فنهى الله تعالى عن ذلك. **قوله: (حال من فاعل أحد الفعلين)** أي من ضمير «لا تتخذوا» أو من ضمير «تلقون» أي لا تتخذوهم أولياء وهذه حالهم أو تلقون إليهم مودتكم وهذه حالهم. وقوله تعالى: «يخرجون» حال من فاعل «كفروا» أي كفروا مخرجين الرسول وإياكم من مكة. عن ابن عباس قال: كان حاطب ممن أخرج مع النبي ﷺ. أو استئناف لبيان كفرهم وعتوهم كأن قائلاً يقول: كيف كفروا؟ فقيل: يخرجون الرسول والمؤمنين من ديارهم. فإن قيل: لم لم يذكر ما أخرجوا منه؟ قلنا: لتناول الإخراج إخراجهم من ديارهم وأموالهم وعشائرهم وما أحبوه مما يتمتعون به. **قوله تعالى: (أن تؤمنوا بالله ربكم)** في محل النصب على أنه مفعول له لقوله:

....

«يخرجون» أي يخرجونكم لأجل إيمانكم أو كراهة إيمانكم. وقوله: ﴿إن تؤمنوا﴾ خطاب للرسول والمؤمنين بطريق تغليبهم عليه وقوله: ﴿بالله ربكم﴾ التفات من التكلم في قوله عدوى إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان وهو الألوهية والربوبية. **قوله**: (علة للخروج) يعني انتصاب «جهادًا» و«ابتغاء» على أنهما مفعول لهما «لخرجتم» أي إن كنتم خرجتم لأجلي وطلب مرضاتي لا تتولوا أعدائي، فقد علق النهي عن موالاة الكفار على خروجهم المقيد بكونه للجهاد وابتغاء المرضاة، فيكون هذان الأمران عمدتين للتعليق لما تقرر من أن التقييد هو مدار الفائدة ويعتمد عليه الحكم المقيد، كأنه قيل: لا تتولوا أعدائي إن كنتم مجاهدين في سبيلي وطالبين مرضاتي، وإن كان المعلق عليه صورة هو الخروج. **قوله**: (وجواب الشرط محذوف) لأن نفس «لا تتخذوا» لا يصلح جوابًا لأن جواب الشرط لا يتقدم عليه عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف ويحذف الجواب اعتمادًا عليه، والكوفيون يجيزون تقدمه عليه. **قوله**: (بدل من تلقون) فيكون معربًا بإعرابه. ويشبه أن يكون من قبيل بدل الاشتمال لأن إلقاء المودة وإلقاء أسراره عليه الصلاة والسلام إليهم بسبب المودة يكون سرًا وجهرًا، فأبدل منه «تسرون» لبيان أنه بأي نوع وقع الإلقاء. ويجوز إبدال الفعل من الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] وقول الشاعر:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبًا جزلاً ونارًا تضرما

قوله: (أو استئناف) أي أنتم تسرون، ولم يرد بالاستئناف كونه جوابًا لسؤال مقدر بل أراد به كونه منقطع التعلق عما قبله لفظًا وفسره بقوله: «أي طائل لكم في إسرار المودة» بناء على أن قوله: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ مسوق للإنكار بمعنى أنه كلام منقطع التعلق عما قبله لفظًا يتضمن الاستفهام الإنكاري، كأنه قيل: أي نفع لكم في الإسرار، والحال أنه لا فرق بين الإسرار والإعلان بالنسبة إليّ وهما سيان في علمي، وأنا مطلع رسولي على ما تسرون. **قوله**: (أي منكم) على أن اعلم أفعل تفضيل أي أنا أعلم منكم بما تخفون وما تعلنون. قيل: هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصاحته للرسول ﷺ وصدقه في إيمانه، لأن المعاتبة لا تكون إلا من المحب لحبيبه كما قيل:

إذا ذهب العتاب فليس ودّ ويبقى الودّ ما بقي العتاب

ثم إنه تعالى أخبر المؤمنين بعداوة أهل مكة لهم وشدة شكيمتهم فيها وأنه لا ينفعهم إلقاء المودة إليهم فقال: ﴿إن يثقفوكم﴾ أي إن يظفروا بكم. **قوله**: (ومجيئه) أي مجيء

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم؟ حق الله لمن يفر منكم غدًا. وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو «يفصل» على البناء للمفعول مع التشديد وهو «بينكم» وعاصم «يفصل». ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ فيجازيكم عليه.

«ودوا» وحده يعني أنه معطوف على جواب الشرط وهو قوله: «يكونوا» و «يبسطوا» وهو مضارع، وكذا الشرط وهو «يثقفوكم» ولما كانت هذه الأفعال الثلاثة مضارعة كان الظاهر أن يكون «ودوا» مضارعًا أيضًا ليكون الشرط والجزاء وما عطف عليه على سنن واحد، إلا أنه جاء وحده بلفظ الماضي للإشعار بأن ارتداد المؤمنين أهم الأشياء عندهم حتى كانوا يتمنونه قبل إظهار العداوة وبسط الأيدي والألسن وقبل أن يثقفوكم أيضًا. وذلك لأن العدو أهم شيء عنده أن يضيع أعز شيء عند من يعاديه وهم يعلمون أن الذين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم تبذلون أنفسكم وأموالكم دونه فهو أعز عليكم من الدنيا وما يتعلق بها. فلما كان ارتداد المؤمنين أعز المطالب عندهم وكانوا يتمنونه قبل كل شيء جاء «ودوا» بلفظ الماضي للإشعار بذلك، وبأن ودادتهم حاصلة وإن لم يثقفوهم. ويجوز أن لا يكون «ودوا» معطوفًا على جواب الشرط بل يكون معطوفًا على قوله: ﴿وقد كفروا﴾ أي وقد كفروا وأحبوا كفركم. ثم إنه تعالى أخبر أن القرابات والأولاد التي يوالون الكفار من أجلها ويحامون عنها لا تنفعهم فقال: ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة﴾ على أن يكون الظرف متعلقًا بقوله: ﴿لن تنفعكم﴾ ثم يستأنف بقوله: ﴿يفصل بينكم﴾ أي يقضي الله بينكم بالحق. إلا أن المفهوم من تحرير المصنف أن يكون الظرف متعلقًا بقوله: «يفصل» ويكون الفصل بمعنى التفريق بين الأرحام بإدخال المؤمن منهم الجنة والكافر النار، وبأن تفريقهم من بعض بسبب ما عراهم من الهول أي غشيهم. ولما اعتذر حاطب في إفشائه سر رسول الله ﷺ وإظهاره موالاة الكفار بأن له أرحامًا وأولادًا فيما بينهم وليس لهم من يحميهن من قبلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدًا الخ بيّن الله تعالى خطأه في رأيه بأن أخبره أولاً أن من والاهم وتوقع حماية أرحامه وأولاده منهم أعداء فقال: ﴿أن يثقفوكم﴾ الآية ثم أخبره ثانيًا أن أرحامك وأولادك الذين توالي الكفار لأجلهم سيفرون منك عن قريب فقال: ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ الآية. **قوله:** (وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد) أي يفصل بضم الباء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة على بناء الفاعل من التفصيل. وقرأ ابن عامر «يفصل» بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة على بناء المفعول من التفصيل. وقرأ عاصم «يفصل» بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد على بناء الفاعل من الثلاثي. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «يفصل» بضم

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة اسم لما يؤتسى به. ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ صفة ثانية أو خبر «كان» و«لكم» لغو أو حال من المستكن في «حسنة» أو صلة لها لا لأسوة لأنها وصفت. ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرف لخبر «كان» ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ جمع بريء كظريف وظرفاء. ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي بدينكم أو بمعبودكم

الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو التفريق، وكذا التفصيل إلا أن بناء التفعيل فيه للتكثير والتكرير والفاعل فيما بنى له هو الله تعالى والقائم مقامه فيما بنى للمفعول الظرف بعده وهو «بينكم»، وبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في أحد الأوجه. وهذه أربع قراءات للقراء السبعة، وهناك قراءات أخر من الشواذ. ثم قال تعالى: ﴿والله بما تعملون﴾ من إفشار سره عليه السلام إلى أهل مكة واتخاذهم أولياء ونحو ذلك ﴿بصير﴾ أي عالم ولم يقل خبير مع أنه أبلغ من العليم بناء على أن الخبر بالضم هو العلم بالشيء مع طمأنينة القلب، لأن الخبير وإن كان أبلغ من ذلك الوجه إلا أن البصير فيه مبالغة من وجه آخر لدلالته على كون المعلوم في انكشافه للعالم به بمنزلة المشاهد بحس البصر. ثم إنه تعالى لما نهى عن موالاة الكفار ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام وضربه مثلاً لهم حين تبرأ من قومه ليتأسوا به فقال: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ قرأ عاصم «أسوة» بضم الهمزة في الموضعين من هذه السورة وفي سورة الأحزاب أيضًا، والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى القدوة. نقل عن صاحب الكشاف أنه قال: القدوة والأسوة لكل واحد منهما معنيان: أحدهما الاقتداء والاتباع وهو الأصل، والثاني المقتدى به والمؤتسى به. الجوهري: أتتسي به أي أقتدي به. واختار المصنف أن تكون الأسوة اسمًا لما يؤتسى به من الخصلة الحميدة والمراد به ههنا تبرؤه من أهل الشرك وما يعبدونه من الأصنام.

قوله: (صفة ثانية) أي «لأسوة» فإن أسوة اسم «كان» و«لكم» خبرها و«في إبراهيم» صفة ثانية «لأسوة» أو خبر «كان» و«لكم» لغو متعلق بعامل مقدر من الأفعال الخاصة بناء على أن اللام فيه للبيان، فلما قيل: قد كانت أسوة حسنة في إبراهيم كأنه قيل: لمن تقول هذا الكلام؟ فأجيب: لكم أي أقول لكم. **قوله: (أو حال)** عطف على قوله: «صفة ثانية» وكذا قوله: «أو صلة لها» أي ويجوز أن يكون «في إبراهيم» متعلقًا «بحسنة» تعلق الظرف بعامله، ولا يجوز أن يكون متعلقًا «بأسوة» لأنها مصدر موصوف «بحسنة» ووصف المصدر أجنبي عنه ولا يجوز الفصل بينه وبين معموله بأجنبي، إلا أن يقال: إنه ظرف، وقد تقرر أنه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره فلا يبالي بالفصل بين المصدر ومعموله إذا كان ظرفًا. **قوله: (ظرف لخبر كان)** وهو ما تعلق به «لكم» أو «في إبراهيم» ولا يجوز كونه ظرفًا

أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم. ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ فتنقلب العداوة والبغضاء إلفة ومحبة. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء من قوله: «أسوة حسنة» فإن استغفاره لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن تأتسوا به فإنه كان قبل النهي، أو لموعدة وعدها إياه. ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ من تمام قوله: المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه. ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ متصل بما قبل الاستثناء،

«لأسوة» لما ذكر آنفًا. **قوله تعالى:** (وَحده) مصدر في موضع الحال أي واحدًا منزهًا عن الشريك. **قوله: (استثناء من قوله أسوة حسنة)** فإنه تعالى لما قال: قد كانت في أقوالهم وأفعالهم أسوة تتأسون بهم فيها استثنى قوله: ﴿لأبيه لأستغفرن لك﴾ منها وبيّن أنه لا أسوة لكم فيه كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] وكان استغفار إبراهيم قبل النهي أو كان لموعدة وعدها إياه فظن إبراهيم عليه السلام أنه قد أنجزها، فلما تبيّن أنه مصر على الشرك تبرأ منه فلا يحل لكم أن تستغفروا للمشركين من بعد ما تبين لكم أنهم أصحاب النار فلا يغفر لهم أبدًا. وقوله تعالى: ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ من جملة قول إبراهيم لأبيه الذي استثناه الله تعالى مما يؤتسى به من أقواله وأفعاله. فلما ورد أن يقال: كيف يصح كونه من تمام قوله المستثنى وهو في نفسه كلام حسن يحسن أن يؤتسى به غير حقيق بالاستثناء؟ أشار إلى دفعه بقوله: «ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه» يعني أن ما ذكر إنما يدل على عدم صحة كونه مقصودًا بالاستثناء ومستثنى بانفراده، وأما إذا استثنى مجموع مقالته وكان المقصود بالاستثناء من ذلك المجموع استثناء جميع أجزائه وقرن به ما بعده من كلام إبراهيم تحقيقًا لوعده، فكأنه قال: لأستغفرن لك وما في طاقتي إلا هذا فهو مبذول لا محالة، فلما كان هذا تابعًا لما قبله ومتفرعًا عليه وهو من كلام إبراهيم أدخل في المستثنى. ولا يلزم من عدم صحته عدم صحة كون مجموع مقالته مستثنى لأنه في قوة أن يقال: لأستغفرن لك وليس في وسعي وطاقتي إلا الاستغفار فهو مبذول لك، فحكى الله تعالى هذا المجموع عنه عليه الصلاة والسلام واستثناه مما أثبت فيه من الأسوة. والمقصود من الاستثناء من هذا المجموع هو وعد الاستغفار لأبيه الكافر بقوله: ﴿لأستغفرن لك﴾ ولما كان ما بعده مذكورًا لتحقق الوعد المذكور وبيانًا لوجهه أدخل في المستثنى، ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه مع أن قوله: ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ يدل على أنه لو ملك له ما هو أكثر من الاستغفار لفعل فكان ملحقًا بما قبله وفي معناه فكان حقيقًا بالاستثناء. **قوله: (متصل بما قبل الاستثناء)** أي هو داخل في جملة ما أثبته الله تعالى في إبراهيم ومن معه مما يؤتسى به

أو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميمًا له وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله. ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ ومن كان كذلك كان حقيقًا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكرير لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ من «لكم» فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي بهم وإن تركه مؤذن بسوء العقيدة،

من الأقوال والأفعال الدالة على تخلقه بالأخلاق الحميدة المرضية كقوله: ﴿وما أملك لك﴾ **وفصل بينه وبين ما قبل الاستثناء بالاستثناء. قوله:** (أو أمر من الله) **أي ويجوز أن لا يكون من جملة مقالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بل يكون أمرًا من الله سبحانه للمؤمنين بإضمار «قولوا» أي أظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم كثرة عددهم وعددهم وقولوا:** ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ **الآية أي قولوا عليك اعتمدنا وإليك رجعنا بالاعتراف من ذنوبنا وإليك المرجع في الآخرة.**

قوله: (بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله) فعلى هذا تكون الفتنة مصدرًا بمعنى الفتون. وعن الزجاج أنه قال: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فيفتنونا بذلك. وعن مجاهد قال: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم هذا. قوله: (وأبدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم) ليس من قبيل بدل الكل من الكل لما تقرر في النحو أنه لا يبدل ظاهر من ضمير المتكلم أو المخاطب بدل الكل من الكل، فلا يقال في المسكين كان الأمر ولا عليك الكريم المعول لئلا ينتقص المقصود بالنسبة عن غيره في الدلالة على الذات المرادة مع اتحاد الذات. والظاهر أن ما في الآية من قبيل بدل الاشتمال لأن التابع لكونه أعم من المتبوع يشمله وغيره. قوله تعالى: (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يخافه ويخاف عقابه في الآخرة، أو يرجو ثواب الله تعالى بالائتساء بهم، فإن الرجاء كما يكون بمعنى التوقع والأمل يكون بمعنى الخوف أيضًا قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] **أي لا تخافون عظمة الله تعالى وقال الشاعر:**

إذا لسعت النحل لم يرج لسعها

أي لم يخف ولم يبال. قوله: (فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك التأسي بهم) تعليل انفهام مزيد الحث على التأسي بإبراهيم من البدل.

ولذلك عقبه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لما نزل «لا تتخذوا» عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤوا منهم فوعدهم الله بذلك وأنجز إذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ لما فرط منكم في موالاتكم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم. ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من «الذين» ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ تقضوا إليهم بالقسط أي العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ أي العادلين. روي أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول. فنزلت. ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين. ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل من «الذين» بدل الاشتمال. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ

قوله تعالى: (ومن يتول) أي ومن يعرض عن الائتساء بالأنبياء وسنة المؤمنين ويوالي الكفار فإن الله هو الغني عن خلقه وعن موالاتهم ونصرهم لأهل دينه، إذ لم يخلقهم لحاجة إليهم بل هو ولي دينه وناصر حزبه والحميد المستحق للحمد في ذاته وفي جميع أفعاله. وهو وعيد بليغ لمن يتولى عن التأسي بهم أشار إليه المصنف بقوله: «فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة». **قوله:** (فوعدهم الله تعالى بذلك) فإن «عسى» من الله تعالى وعد ولا يخلف الله وعده وهو معنى قولهم: عسى من الله واجبة. **قوله تعالى:** (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) اختلفوا في المراد من ﴿الذين لم يقاتلوكم﴾ فالأكثرون على أنهم أهل العهد الذين عاهدوا رسول الله ﷺ على ترك القتال والمظاهرة في العداوة، وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالبر والوفاء إلى مدة أجلهم. وقال مجاهد: هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا. وقيل: هم النساء والصبيان. وعن عبد الله بن الزبير أنها نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر تزوج أمها قتيلة ثم طلقها في الجاهلية، ثم قدمت مشركة على بنتها أسماء في المدة التي كانت فيها المصالحة بينه عليه الصلاة والسلام وبين كفار قريش الخ. **قوله:** (بدل من الذين) أي بدل اشتمال لأن بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية، فالمنهي عنه قصدًا هو برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا أنفسهم إذ أنفسهم إنما ذكرت توطئة للمقصود

﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن ألسنتهن في الإيمان ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ فإنه المطلع على ما في قلوبهن. ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الإمارات وإنما سماه علمًا إيذانًا بأنه كالعلم في وجوب العمل به. ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾ أي إلى أزواجهن الكفرة لقوله:

والقسط العدل أي المعاملة بما يعادل معاملتهم معكم، فإنهم إذا لم يخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا بر منهم فالعدل معهم أن تبروهم أيضًا. وبهذا استدل أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله في دفع ما سوى الزكاة من الصدقات إلى أهل الذمة، واستثنى الزكاة من جملتها لحديث معاذ رضي الله عنه «خذها من أغنيائهم وردها إلى فقرائهم». **قوله: (فاختبروهن بما يغلب على ظنكم)** قيل: إنه كان من أرادت منهن إضرار زوجها قالت: سأهاجر إلى محمد ﷺ. فلذلك أمر عليه السلام بامتحان من هاجرت إليه مظهرة للإيمان. واختلفوا في أنه عليه الصلاة والسلام بأي شيء يمتحنهن؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان يمتحنهن بأن يستحلفهن بالله ما خرجت بغضًا لزوجها ولا رغبة من أرض إلى أرض ولا التماسًا لدنيا ولا عشقًا لرجل من المسلمين ولا لحدث أحدثته، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبًا لله ورسوله. فإذا حلفت بالله الذي لا إلٰه إلا هو على ذلك أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولا يرد نفسها لقوله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا شهدن به مع طيب النفس لا يرجعن إلى الكفار. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما كان النبي ﷺ يمتحن إلا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ [الممتحنة: ١٢] الآية أي بقبول هذه الشروط سماهن مؤمنات قبل الامتحان لمشارفتهن الإيمان بالامتحان وقبول الشروط المذكورة، وكانت المهاجرات إذا قدمن قعدن عنده عليه السلام فيقول عليه الصلاة والسلام لهن: «أبايعكم على أن لا تشركن بالله شيئًا» ويتلو عليهن الآية الخ فإذا أقررن بذلك قال: «قد بايعتكن فارتفعن» قالت عائشة رضي الله عنها: والله ما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة في المبايعة إلا بقوله. والآية التي في هذه السورة نزلت عام الحديبية فإنه عليه الصلاة والسلام صالح أهل مكة بالحديبية على أن من لحق بالكفار من المسلمين لم يردوه ومن لحق بالمسلمين مسلمًا منهم رد عليهم وكان المصلحة فيه في ذلك الوقت، فلما ختم كتاب الصلح جاءت سبيعة مسلمة فأقبل زوجها مسافر فقال: اردد عليّ امرأتي كما هو الشرط وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد. فنزلت فنسخ ذلك الحكم في حق النساء حث الله تعالى فيهن أن لا يرددن إليهم وفي الرجال أن يردوا إليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع عن أنفسهن والعجز عن الصبر

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ والتكرير للمطابقة والمبالغة، أو الأول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن. إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالبًا لها فنزلت، فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذانًا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر.

على الفتنة. ثم إنه تعالى نفى حل كل واحد من الزوجين للآخر إذا أسلمت المرأة والزوج كافر. ثم الإيمان قد ذكر في هذه الآية على ثلاثة أوجه: الأول الإيمان المدلول عليه بمجرد الإقرار باللسان والهجرة إلينا وهو قوله: ﴿إذا جاءكم المؤمنات﴾ وصفهن بالإيمان بناء على أنهن أظهرن ذلك. والثاني الإيمان المدلول عليه بالأمارات التي تفيد غلبة الظن بموافقة قلوبهن ألسنتهن وهو قوله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ أي فإن غلب على ظنكم إخلاصهن في الإيمان فإن غلبة الظن حجة في الشرع قائمة مقام العلم. والثالث الإيمان الحقيقي الذي هو طمأنينة القلب على الاعتقاد الحق وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] وفائدة إيراد هذه الجملة مع أن مضمونها معلوم لا شبهة فيه بيان أنه لا سبيل لنا إلى الإحاطة بحقيقة الحال وليس في وسعنا إلا الاكتفاء بالظن الغالب الذي يحصل بالامتحان. **قوله: (والتكرير للمطابقة)** أي بين الزوجين في أن كل واحد منهما لا يحل للآخر، ونفي الحل من جانب وإن كان مستلزمًا لنفيه من الجانبين لكن لم يكتف بالدلالة التزامًا بل صرح بنفي الحل من الجانبين للمبالغة في ثبوت الحرمة إذا أسلمت المرأة والزوج كافر.

قوله: (لزمه رد مهورهن) لئلا يلحق الخسران بأزواجهن من وجهين الزوجة وما دفع إليها من المال، والحكم برد الصداق إنما هو في نساء أهل العهد. وأما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم شيء من المهر. قال الإمام أبو الليث في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ يعني وأعطوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر. ثم نقل عن مقاتل أنه قال: يعني إن تزوجها أحد من المسلمين يدفع المهر إلى الزوج فإن لم يتزوجها أحد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء. واعلم أنه تعالى علق رفع الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات بإيتاء أجورهن فيجب أن يتقدم إيتاء الأجور على عقد النكاح حتى يحل النكاح ويرتفع الجناح. ثم إن فسرت الأجور بالمهور التي تكون من جانب المسلمين يجب

﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة. والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات. وقرأ البصريان «ولا تمسكوا»

على المسلمين أن يسوقوا لهن مهورهن قبل العقد ليدفعنه إلى أزواجهن من الكفار، وإن فسرت بالمهور التي أنفقها أزواجهن الكفار فلا بد أن يدفعها المسلمون إليهن على سبيل القرض ليدفعنه إلى أزواجهن الأول ثم يتزوجهن المسلمون على ما أدوا إليهن من الدين ليكون ما وجب عليهم بالعقد والدخول قصاصًا عما وجب عليهن بالقرض، وإن دفع المسلمون إليهن مهور أزواجهن الأول بطريق الهبة وجب عليهن بعد العقد مهورهن. هذا هو المفهوم من الكشاف. والظاهر أن قوله تعالى: ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ نهي للأمة عن ردهن إلى الكفار بعد أن علمهن مؤمنات. ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال: رجع بنفسه رجوعًا ورجعه غيره، وكذا قوله: ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أمر لهم بأن يعطوا أزواجهن الكفرة ما دفعوا إليهن من المهور من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف إذا طالب الزوج الكافر ردها، فإنه لما امتنع من ردها إلى زوجها الكافر لحرمة الإسلام أمر الإمام برد المال وفاء للعهد بقدر الإمكان، وإذا لم يطالبها زوجها الكافر أو ماتت الزوجة المهاجرة قبل حضور الزوج لا يغرم الإمام شيئًا لعدم تحقق المنع من قبله. وقوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ أي في أن تنكحوهن ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ المراد بالأجور فيه مهورهن الواجبة لهن على من يتزوجهن من المسلمين والمراد بإيتائها الذي هو شرط انتفاء الجناح هو التزام الإيتاء كما في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] فإن استحلال البضع بعقد النكاح لا ينفك عن لزوم إيتاء المال، وأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر في نكاحهن. واحتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى بقوله: ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلمًا أو بذمة وبقي الآخر حربيًا وقعت الفرقة بمجرد تباين الدارين، ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها بدون العدة إلا أن تكون حاملاً. وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله: تجب عليها العدة. ووجه احتجاج أبي حنيفة أنه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهن بعد إيتاء المهور ولم يقيد بمضي العدة، فلولا أن الفرقة تقع بمجرد الوصول إلى دار الإسلام لكان الجناح ثابتًا في نكاحهن. وعند الإمام الشافعي رحمه الله لا تقع الفرقة بمجرد تباين الدارين وإنما تقع بإسلامها أو بالسبي وإن سبيا معًا. أما الأول فلأنه تعالى حرم المسلمة على الكافر وأما الثاني فلأن السبي يقتضي صفاء الملك للسابي، ولا يتحقق صفاؤه مع بقاء النكاح بينها وبين زوجها. فقول المصنف: «فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار» يشعر بأن الحائل هو الإسلام دون الهجرة وتباين الدارين وذلك مبني على مذهبه. **قوله:** (بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب) يعني أن

بالتشديد ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار. ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات. ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني جميع ما ذكر في الآية ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير، أو جعل الحكم حاكمًا على المبالغة. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ يشرع ما تقتضيه حكمته.

العصمة في الأصل وإن كانت مصدرًا بمعنى الحفظ والمنع إلا أن المراد بها في هذه الآية ما يكون سببًا لاعتصامهن كما أن الفتنة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: ٥] بمعنى سبب الافتتان. والإمساك والتمسك والتمسيك كلها بمعنى واحد وهو التعلق والمعنى: ولا تتعلقوا بعقد الكوافر ونكاحهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية بعد ما أسلمتم وهاجرتم من دار الكفر وبقيت أزواجكن فيها كافرات. وهذا معنى قول المصنف: «والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات». عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يفتدي بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه. وقيل: المراد بالكوافر المرتدات أي إذا ارتدت فلا تتعلقوا بما كان بينكما من العقد، فإنه قد زال بارتدادها وانقطعت عصمتها عنكم، ولا وجه للتخصيص فإن الكوافر تعم المشركات والمرتدات. بيّن الله تعالى بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ إلى قوله: ﴿إذا آتيتموهن أجورهن﴾ حكم النساء اللاتي أسلمن وخرجن من دار الكفر، وبيّن بقوله: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ حكم اللاتي بقين في دار الكفر وما أسلمن ولا هاجرن بعد إسلام أزواجهن وهجرتهم، أو حكم اللاتي ارتددن على ما قيل.

قوله تعالى: (واسألوا ما أنفقتم) أي إذا ارتدت امرأة أحدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها منهم، وكذا يسأل كل حربي أسلمت امرأته وهاجرت إلينا مهرها ممن تزوجها منا. وظاهر قوله تعالى: ﴿وليسألوا﴾ يدل على أن الكفار مخاطبون بالأحكام إلا أن المراد أمر المؤمنين بالأداء بطريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

قوله تعالى: (يحكم بينكم) يحتمل أن يكون كلامًا مستأنفًا لا محل له كأنه قيل: بين من يحكم الله تعالى؟ فأجيب بأن قيل: يحكم بينكم، وأن يكون حالاً من حكم الله. والجملة إذا وقعت موقع الحال لا بد أن تكون مشتملة على ضمير ترتبط به الجملة بذي الحال وذلك الضمير إما مستتر في «يحكم» عائد إلى الحكم على جعل الحكم حاكمًا على المبالغة كما في جد جده، أو ضمير بارز محذوف للعلم به منصوب المحل على أنه مفعول مطلق ليحكم والمستتر فيه عائد إلى الحكم على جعل الحاكم الله بينكم. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾ أدى المؤمنين مهور المهاجرات المؤمنات

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ وإن سبقكم وانفلت منكم. ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أحد من أزواجكم وقد قرىء به وإيقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم أو شيء من مهورهن. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر. شبّه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره. ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر. روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر. فنزلت. وقيل: معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى أي غنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئًا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين أي قال المسلمون: رضينا بما حكم الله وكتبوا إلى المشركين قد حكم الله عز وجل بيننا بأنه إن جاءتكم امرأة منا توجهوا إلينا بصداقها وإن جاءتنا امرأة منكم وجهنا إليكم بصداقها. فكتبوا: أما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئًا فإن كان لنا عندكم شيء فوجهوا به. وأبوا الانقياد لحكم الله تعالى من أداء ما أنفق المسلمون على زوجاتهم من المهر فأنزل الله تعالى: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾ وقال ابن زيد: خرجت امرأة من المسلمين إلى المشركين، وأتت امرأة من المشركين إلى المسلمين فقال القوم: هذه عقبتكم أي نوبتكم قد أتتكم. فنزلت. أي إن تفروا حدة من أزواجكم إلى الكفار مرتدة وسألتم منهم أن يؤدوا المهر إليكم فأبوا، فإن هاجرت امرأة منهم إليكم مسلمة فأتوا من فوت امرأته إلى الكفار مرتدة مثل مهرها من مهر مهاجرة جاءتكم ولا تؤتوه زوجها الكافر ليكون قصاصًا. جعل قوله تعالى: ﴿فعاقبتم﴾ من العقبة بمعنى النوبة فإن المعاقبة المناوبة يقال: عاقب الرجل صاحبه في كذا إذا جاء فعل كل واحد منهما عقيب فعل الآخر، وأداء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم أن يعقب أداء الآخر لجواز أن يتوجه الأداء إلى أحد الفريقين مرارًا متعددة من غير أن يلزم الفريق الآخر شيء، وبالعكس فلا يتعاقبون أي لا يتناوبون في الأداء، إلا أنه شبّه ما حكم به على الفريقين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه، فأطلق على الأداء المذكور اسم العقبة بمعنى المتعاقب فيه ثم اشتق منه ﴿فعاقبتم﴾ على طريق الاستعارة التبعية. **قوله: (وقيل معناه)** أي معنى قوله تعالى: ﴿وإن فاتكم شيء﴾ الآية أنه إن انفلتت واحدة من أزواجكم إلى الكفار وامتنعوا أن يغرموا مهرها فانبذوا إليهم عهدهم وقاتلوهم حتى إذا ظفرتم وغلبتم عليهم وغنمتم شيئًا فأعطوا من انفلتت زوجته إليهم من تلك الغنيمة مثل ما أنفق عليها. ولعل وجه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ نزلت يوم الفتح، فإنه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء. ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ يريد وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ

تفسير قوله تعالى: ﴿فعاقبتم﴾ بأن قال: وأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة أي فغنمتم معاقبة الكفار أي عقاب المسلمين إياهم بأنواع العقوبات من الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمي بالسهم ونحو ذلك، إذ المعاقبة سبب للاغتنام فأطلق اسم المعاقبة وأريد المسبب مجازًا مرسلاً. **قوله**: (نزلت يوم الفتح) أي لما فتح رسول الله ﷺ مكة وجاءته النساء يبايعنه نزلت، وشرط الله تعالى في مبايعتهن أن يأخذ عليهن هذه الشروط حتى تقبل بيعتهن. ولما نزلت صعد رسول الله ﷺ الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه وهند بنت عتبة منتقبة متنكرة مع النساء خوفًا من أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «أبايعهن ﴿على أن لا يشركن بالله شيئًا﴾» فقالت هند: إنك لتأخذ علينا عهدًا ما رأيناك أخذته على الرجال. وكان عليه الصلاة والسلام قد بايع الرجال على الجهاد وعلى الإسلام فقط. ثم قالت: عبدنا الأصنام فما أغنت عنا. ثم قال عليه الصلاة والسلام: «﴿ولا يسرقن﴾» فقالت هند: إن أبا سفيان رجل ممسك وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري أتحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: «إنك لهند بنت عتبة» فقالت: نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك. فقال عليه الصلاة والسلام: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» ثم قال: «﴿ولا يزنين﴾» فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فقال عمر: لو كان قلب نساء العرب مثل هند ما زنت امرأة منهن فقال عليه الصلاة والسلام: «﴿ولا يقتلن أولادهن﴾» أي بالوأد فقالت: ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا يوم بدر. وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم النبي ﷺ ثم قال عليه الصلاة والسلام: «﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك». فالمراد بالبهتان الولد المبهوت به وليس المعنى على نهيهن عن أن يأتين بولد من الزنى فينسبنه إلى أزواجهن لأن ذلك قد نهى عنه بقوله: ﴿ولا يزنين﴾ وصف الولد الملتقط الذي تلحقه المرأة بزوجها بكونه مفترى بين يديها ورجليها لأنها تقول: هذا ولدي منك حملته في بطني الذي هو بين يدي، ووضعته من فرجي الذي هو بين رجلي. والبهتان في الأصل مصدر يقال: بهت زيد عمرًا بهتًا وبهتانًا أي قال عليه ما لم يفعله، وزيد باهت وعمرو مبهوت، والذي بهت به مبهوت به. وإذا قالت لزوجها: هذا ولدي منك فقد بهتته به حيث قالت عليه ما لم يفعله وجعله نفس البهتان، ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة في وصفهن بالكذب. فلما سمعت هند هذا

وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق.

قالت: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. ثم قال عليه الصلاة والسلام: «﴿ولا يعصينك في معروف﴾» **فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فبايعهن عليه الصلاة والسلام بهذه الخصال الست فقبلها وما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة قط إلا امرأة تملكها غير أنه بايعهن بالكلام. عن أميمة بنت رقيقة أنها بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقالت: يا رسول الله صافحنا. فقال: «إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة وما أبايعهن إلا بالكلام بهذه الآية». وقيل: بايعهن وعلى يده ثوب قطري أي كتان غليظ. وقيل: أمر عمر رضي الله عنه أن يبايعهن عنه ففعل وعلى يده ثوب. ذكر الله تعالى في صفة بيعتهن خصالاً ستًا هن أركان ما نهى عنه في الدين وكان يكثر تركها في النساء، وكانت حرمتها دائمة في كل زمان وفي كل حال بخلاف أركان ما أمر به من الصلاة والزكاة فإنها منوطة بأوقات مخصوصة وشرائط معينة، فكان التنبيه على اشتراط ما دام واستمر في كل وقت أهم وآكد. ثم إنه قدم من هذه المنهيات ما هو الأقبح على ما هو أدنى منه في القبح ثم وثم إلى آخرها، وكذا قدم ما هو أكثر وقوعًا فيما بينهم. وقوله تعالى: ﴿يبايعنك﴾ في موضع الحال من ﴿المؤمنات﴾ أي مبايعات وقوله: ﴿يفترينه﴾ إما في موضع الجر على أنه صفة بهتان أو في موضع النصب على أنه حال من فاعل ﴿يأتين﴾ وقوله: ﴿بين أيديهن﴾ ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب في ﴿يفترينه﴾ أي يختلقنه مقدرًا وجوده بين أيديهن، على أن يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب إليه جمهور المفسرين.**

قوله: (في حسنة تأمرهن بها) وهي تعم كل أمر فيه رشدهن كالنهي عن النياحة والدعاء بالويل والثبور وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه، وأن تحدث المرأة الرجال إلا ذا رحم محرم، وأن تخلو برجل غير محرم، وأن تسافر إلا مع ذي محرم. **قوله:** (تنبيه على أنه لا تجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق) ووجه التنبيه أنه لم ينبه على معصيته عليه الصلاة والسلام مطلقًا بل قيد النهي عنها بكونها في المعروف، فقيد كونها في المعروف أشعر بأن معصيته عليه الصلاة والسلام في المنكر غير منهي عنها مع العلم بأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمر بالمنكر، ولما لم تجز طاعته في المنكر مع أنه سيد الكائنات علم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سميت المعاهدة مبايعة تشبيهًا لها بها فإن الأمة إذا التزموا قبول ما شرط عليهم من تكاليف الشارع طمعًا في ثواب الرحمٰن وهربًا من أليم عذابه، وضمن عليه السلام ذلك بمقابلة وفائهم بالعهد المذكور صار كل واحد منهم كأنه باع ما عنده

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني عامة الكفار أو اليهود. إذ روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم. ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المبعوث في التوراة المؤيد بالآيات ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم. وعلى الأول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر أيأسهم. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة».

بما عند الآخر. **قوله:** (يعني عامة الكفار أو اليهود) نهى الله المؤمنين في أول السورة عن موالاة المشركين الذين أخرجوا الرسول وإياهم بسبب إيمانهم بالله ثم نهاهم في آخرها عن موالاة الكفرة مطلقًا وعن موالاة اليهود خاصة. وقوله تعالى: ﴿غضب الله عليهم﴾ صفة «القومًا» وكذا قوله: ﴿قد يئسوا﴾ وقوله: «من الآخرة» متعلق «بيئسوا» أي يئسوا من البعث والحساب والجزاء لأن المشركين لا يؤمنون بالآخرة، واليهود وإن كانوا يؤمنون بها إلا أنهم لما كذبوا خاتم النبيين حسدًا وعنادًا مع علمهم بأنه رسول صادق يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة ثواب الجنة ونعيمها. وقوله: ﴿من أصحاب القبور﴾ يحتمل أن يكون متعلقًا «بيئس» الثاني فيكون الكفار من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية يأسهم فيكون المعنى: لا تتولوا عامة الكفار الذين يئسوا من الآخرة يأسًا مثل يأسهم من أصحاب القبور أي من أن يبعثوا. ويحتمل أن يكون من البيان الجنس لا لابتداء الغاية فيكون المعنى: لا تتولوا اليهود الذين يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار الذين هم أصحاب القبور من خير الآخرة وثوابها، وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك مهيب يسأله: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: لا أدري. فيقول الملك: أبعدك الله انظر إلى منزلك من النار، فينظر إليه فيدعو بالويل والثبور فيقول: هذا لك يا عدو الله. فيفتح له باب من الجنة فينظر إليه فيقول: هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك لنزلت الجنة. فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه من خير الآخرة فذلك قوله تعالى للأحياء من الكفار: ﴿يئسوا من الآخرة﴾ أي من خيرها كما يئس الأموات من الكفار من خيرها حين عاينوا منازلهم من النار. تمت سورة الممتحنة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سورة الصّف

مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١﴾ سبق تفسيره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢﴾ روي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا. فأنزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [الصف: ٤] فولوا يوم أحد. فنزلت. ولم مركبة من لام الجر و«ما» الاستفهامية والأكثر حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معًا واعتناقهما في

سورة الصّف

مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قوله: (والأكثر حذف ألفها مع حرف الجر) أي حرف كان نحو: لم وبم وفيم وعم، فلما اعتنقا وصارا كلفظ واحد وضع للدلالة على المستفهم عنه وكثر استعمالهما معًا اقتضى ذلك تخفيف اللفظ، فحذفت لذلك ألف «ما» الاستفهامية. وليس المراد منه حقيقة الاستفهام لأن الاستفهام من الله تعالى محال لأنه تعالى عالم بجميع الأشياء بل المراد الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان من نفسه ما لا يفعله لأنه إن أخبر أنه فعل في الماضي أو في الحال ولم يفعله كان كذبًا، وإن وعد أن يفعل في المستقبل ولا يفعله كان خلفًا وكلاهما مذموم

الدلالة على المستفهم عنه. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ مصطفين مصدر وصف به ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ في تراصهم

منه. وفيه دلالة على أن كل من ألزم نفسه عملاً فيه قربة وطاعة لله تعالى يجب عليه الوفاء به نحو أن ينذر نذرًا مطلقًا كقوله: لله عليّ صوم أو صلاة أو صدقة، أو مقيدًا بشرط كقوله: إن قدم غائبي أو إن كفاني الله تعالى شر كذا فعليّ صدقة. **قوله: (المقت أشد البغض)** إشارة إلى أن هذا النظم فيه مبالغة من وجوه إيثار طريق التمييز وعدم الاقتصار على أن يجعل قولهم هذا بغضًا كبيرًا بل جعل أشد البغض وأفحشه. ولم يقتصر أيضًا على جعله أشد البغض مطلقًا بل جعله أشد البغض عند الله تعالى، فإن ما كبر عنده مع أنه يصغر عنده كل كبير يكون أكبر الكبائر. **قوله: (ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبير عنده تعالى)** يعني أن الكلام من قبيل: طاب زيد نفسًا من حيث إن «﴿كبر﴾» مسند إلى قوله: **﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** و**﴿مقتًا﴾** تمييز لرفع الإبهام المستقر في نسبة المقت إلى قولهم هذا محول من الفاعلية، والأصل كبر مقت قولكم هذا حول الكلام عن هذا الأصل، وأسند «الكبر» إلى «أن تقولوا» وجعل «مقتًا» تمييزًا رافعًا للإبهام عن الذات المقدرة في نسبة الكبر إلى قولهم هذا فإنه لا إبهام في مفهوم الكبر ولا في قولهم هذا بل الإبهام في الذات التي أسند إليها الكبر حقيقة، فإن التقدير: كبر شيء شيئًا من نسبة الكبر إلى قولهم هذا، وقوله: «مقتًا» فسر ذلك الشيء ورفع الإبهام عنه. والحكمة في اختيار هذا الأسلوب الدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبير، ووجه الدلالة أنه لو قيل: كبر مقت أن تقولوا، لم يفهم منه كون قولهم مقتًا محضًا وإنما يفهم كونه ذا مقت يمقته الله تعالى لأن الإضافة إنما تدل على نوع من الملابسة بين المضاف والمضاف إليه لا على اتحادهما بالذات بخلاف ما إذا جعل المقت تمييزًا عن ذات نشأت عن النسبة إلى الفاعل فإنه يدل على أن المنسوب إليه في الأصل هو المقت الذي عبّر عنه بقوله: **﴿أن تقولوا﴾** ثم فسر ذلك القول بالمقت بناء على ادعاء أن ذلك القول هو نفس المقت للمبالغة في تعلق المقت به وفي المنع عنه كما في قولك: رجل عدل. وقوله: مبالغة في المنع عنه مفعول له لقوله: ونصبه على التمييز لكن بعد تقييده بقوله: للدلالة. ثم إنه تعالى لما أنكر على عدم ثبات المجاهدين في موضع القتال يوم أحد بعد ما بيّن لهم أنه أحب الأعمال عند الله تعالى بيّن لهم أن ما يحبه الله تعالى ويرضاه هو ثبات المجاهدين كثبوت البناء المرصوص فقال: **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون﴾** الآية والمحبة لكونها كيفية انفعالية لا تسند إليه تعالى إلا بتأويل وهو أن يراد بها الرضى عن

من غير فرجة حال من المستكن في الحال الأولى، والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ مقدر باذكر أو كان كذا ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالعصيان والرمي بالأدرة. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتكم من المعجزات. والجملة حال مقررة للإنكار، فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه وقد لتحقيق العلم. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ هداية موصلة إلى معرفة الحق أو إلى الجنة.

الخلق أو الثناء عليهم والمعنى: أنه تعالى يرضى عمن ثبت في مكانه عند مجاهدة الكفار كثبوت البناء والتراص التضام والتلاصق. عن سعيد بن جبير قال: هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم، فلا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو لرسالة يرسله الإمام، أو منفعة تظهر في الانتقال عن المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها. وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف؛ فقيل: إنه لا بأس فيه إرهابًا للعدو وطلبًا للشهادة وتحريضًا على القتال. وقيل: لا يبرز أحد طلبًا لذلك لأن فيه رياء إلا أن يطلب الكافر من يبارزه كما كان يوم بدر وفي غزوة خيبر. **قوله**: (حال من المستكن في الحال الأولى) لأن «صفا» بمعنى مصطفين ففيه ضمير وقوله: «كأنهم بنيان» حال منه على التداخل وهو أن تعمل الحال الأولى في الثانية ويكون الحالان لشيئين مختلفين، وترادف الحالين أن يكونا لشيء واحد والبنيان واحد كالبناء، ولذلك وصف بقوله: «مرصوص» ولم يقل: مرصوصة. ثم إنه تعالى لما عيّر من لم يثبت في موضع القتال بعدم الوفاء وحث المؤمنين على الثبات فيه، وعلمهم بلسان الرسول كيف ينبغي أن يكونوا حال القتال ذكر بعده قصة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وأنهما أمرا قومهما باتباع دين الله تعالى وطاعة رسوله فيما دعاهم إليه، وأنهم زاغوا عن الحق واتبعوا أهواءهم فخذلهم الله تعالى ولم يوفقهم للاهتداء وقبول الحق جزاء على اختيارهم الباطل وعدم سعيهم في إصابة الحق بالنظر في الدلائل المنصوبة، فقال: ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ الآية أي واذكر إذ قال أو حين قال لهم ما قال كان كذا وكذا، فيكون منصوبًا بما دل عليه ما بعده كأنه قيل: حين قال لهم زاغوا.

قوله: (وقد لتحقيق العلم) كأنه قيل: تؤذونني عالمين أني رسول الله إليكم علمًا يقينًا لا شبهة فيه. وطريق إيذائهم أنهم نسبوا إليه الأدرة وأن قارون حمل امرأة على أن تدّعي على موسى أنه زنى بها وقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] وقولهم: أنت قتلت هارون

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لأنه لا نسب له فيهم. ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول يأتي من بعدي. والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار لأنه لغو إذ هو صلة للرسول فلا يعمل. ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ يعني محمدًا عليه السلام والمعنى: ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ الإشارة إلى ما جاء به أو

عليه الصلاة والسلام وغير ذلك. والزيغ الميل يقال: أزاغه عن الطريق أي أماله عنه والمعنى: فلما عدلوا عن الحق أمال الله قلوبهم عن قبوله جزاء على ما ارتكبوا من إيذائهم نبيهم. ودل ذلك على أنه تعالى خالق لأفعال عباده كلها حسنها وقبيحها، وأنه تعالى يضل من علم منه اختيار الضلال ويهدي من علم منه اختيار الاهتداء. **قوله:** (لأنه لا نسب له فيهم) لأن النسب المعتبر ما يكون من قبل الأب. **قوله:** (لأنه لغو) يعني أن قوله: «إليكم» متعلق «برسول» لأنه بمعنى مرسل أو أرسلت. والظرف اللغو لا يعمل لأن حروف الجر لا تنصب بنفسها بل بما فيها من معنى الفعل، فإذا كانت متعلقة بالمذكور قبلها لا تتضمن معنى الفعل فلا تعمل. و «أحمد» من جملة أسماء نبينا ﷺ والظاهر أنه منقول من الوصفية بناء على أنه في الأصل اسم تفضيل بمعنى أحمد الحامدين لربه، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم حمادون لربهم ونبينا أحمد أي أكثرهم حمدًا، وكذا محمد فإنه منقول من الوصفية لكونه في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والكثرة فإنه محمود في الدنيا بكونه سيد المرسلين وجامع فضائل الأنبياء أجمعين. كما قال:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

ومحمود في الآخرة بما اختص به فيها من الشفاعة الكبرى والحوض المورود والمقام المحمود، كما قال:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ... لكل هول من الأهوال مقتحم

روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي». رواه البخاري. **قوله تعالى:** (فلما جاءهم) أي لما جاءهم عيسى بالمعجزات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك من المعجزات الدالة على

إليه وتسمية سحرًا للمبالغة. ويؤيده قراءة حمزة والكسائي «هذا ساحر» على أن الإشارة إلى عيسى عليه السلام. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ أي لا أحد أظلم ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع إجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله، وتسمية آياته سحرًا فإنه يعم إثبات المنفي ونفي الثابت. وقرىء «يدعى» يقال «دعاه وادعاه كلمسه والتمسه». ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ أي يريدون أن يطفئوا. واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيدًا كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيدًا لها كما في: لا أبالك، أو يريدون الافتراء ليطفئوا. ﴿نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعني دينه أو كتابه أو حجته بطعنهم فيه. ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ

صدقه في دعوى الرسالة. عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير والقليل من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل. **قوله: (ممن يدعي إلى الإسلام)** أي ممن يدعوه ربه إلى الإسلام على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بتسمية نبيّه ساحرًا، فإن السحر كذب وتمويه. فمن قال في حقه إنه ساحر فقد كذب ووصفه بأنه كذاب وتكذيب من صدقه الله تعالى في دعوى الرسالة بإظهار المعجزات الباهرة على يده وتكذيب حقية رسالته نفي للثابت، فيكون افتراء للكذب على الله، وكذا تسمية المعجزات سحرًا إثبات لما نفى عنه. فقوله: «فإنه يعم» الخ تعليل لتناول الافتراء للتكذيب والتسمية فإن تكذيبه عليه الصلاة والسلام نفي للثابت، وتسمية ما ظهر على يديه من الآيات والمعجزات سحرًا إثبات للمنفي وكلاهما افتراء عليه تعالى. **قوله: (وقرىء يدعي)** أي بفتح الياء والدال المشددة وكسر العين على بناء الفاعل بمعنى يدعو، فإن فعل وافتعل قد يكون بمعنى واحد نحو: لمسه والتمسه فالضميران وهما قوله: «وهو» والمستتر في قوله: «يدعي» يرجعان إلى الجلالة. فهذه القراءة من حيث المعنى كالقراءة المشهورة وهي قراءة «يدعي» بضم التاء وسكون الدال الخفيفة وفتح العين على بناء المفعول والضميران في هذه القراءة يرجعان إلى «من». **قوله: (واللام مزيدة)** أي في مفعول الإرادة فإن أصله أن يطفئوا زيدت اللام مع فعل الإرادة تأكيدًا له، فإن اللام لما فيها من معنى الإرادة تصلح مؤكدة لمضمون فعل الإرادة، فإنك إذا قلت: جئتك لإكرامك يفهم منه معنى الإرادة كما أن اللام لما فيها من الدلالة على الاختصاص زيدت لتأكيد معنى الإضافة المقتضية للاختصاص في نحو: لا أبالك، فإن أصله لا أباك. **قوله: (أو يريدون الافتراء ليطفئوا)** على أن اللام للعلة والمفعول محذوف وهو افتراء الكذب على الله تعالى. والإطفاء

﴿نُورِهِۦ﴾ مبلغ غايته بنشره وإعلائه. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ إرغامًا لهم. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ والملة الحنيفية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليعليه على جميع الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ لما فيه من محض التوحيد وإبطال الشرك. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد ﴿تُؤْمِنُونَ

الإخماد شبهت حالهم في إطفاء نور الإسلام بمجرد القول بالفم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه. **قوله:** (مبلغ غايته بنشره) إشارة إلى جواب ما عسى أن يقال: الإتمام لا يكون إلا عند النقصان فما معنى نقصان نور الله الذي هو دينه أو كتابه أو حجته؟ وتقريره: حاشى نور الله تعالى عن النقصان في ذاته بل المراد نقصان أثره الذي هو ظهوره في الآفاق وعلوه على ظلمة الجهل الشائعة في البلاد، وكذا المراد بالإكمال في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] يريد به إظهاره ونشره بتكثير أهله بحيث يتمكنون من قهر أعداء الدين. وعن أبي هريرة: أن ذلك يكون عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء. قيل: سبب نزول هذه الآية أنه عليه الصلاة والسلام أبطأ عليه الوحي أربعين يومًا فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله تعالى نور محمد، فما كان لينزل عليه وما كان ليتم أمره. فحزن عليه الصلاة والسلام لذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية واتصل الوحي بعده.

قوله: (وقرأ ابن كثير الخ) علم منه أن الباقين قرؤوا بتنوين «متم» ونصب «نوره» فالإضافة تخفيف والتنوين هو الأصل والجملة في محل النصب على الحالية من فاعل «يريدون». و «لو» في قوله تعالى: ﴿ولو كره الكافرون﴾ شرطية بمعنى أن وجوابها محذوف مدلول عليه بما قبلها أي وإن كرهوا ذلك فإن الله تعالى يفعله لا محالة، وهذه الجملة حال من الحال المتقدمة وهي قوله تعالى: ﴿والله متم نوره﴾ على طريق التداخل. ولعل الحكمة في ذكر لفظ «الكافرين» ههنا وذكر لفظ «المشركين» فيما بعده أن هذا المقام مقام إرغام الكافرين بنعمة الله تعالى فإن إتمام النور ونشره في الآفاق من النعم فلا جرم تكون كراهة ذلك غاية في كفران النعمة مقتضية لتجهيلهم وإرغامهم فأوثر لفظ «الكافرين» لكونه أليق بهذا المقام. وأما قوله: ﴿ولو كره المشركون﴾ فإنه قد ورد في مقابلة إظهار الدين الحق الذي أول أركانه التوحيد والتبرؤ من الشرك، وكان كفار مكة إنما يكرهون هذا الدين الحق من أجل توغلهم في الشرك وإصرارهم عليه، فكان المناسب لهذا المقام إذلالهم وإرغامهم بإظهار ما يكرهونه من الحق، وليس المراد من إظهاره أن لا يبقى في العالم من يكفر به بل المراد أن يكون أهله عالين غالبين على أهل سائر الأديان بالحجة والبرهان والسيف واللسان

﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والجهاد المؤدي إلى كمال غيرهم والمراد به الأمر، وإنما جيء بلفظ الخبر إيذانًا

إلى أن لا يبقى دين آخر في آخر الزمان، لما روي أنه إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لم يبق في الأرض دين سوى دين الإسلام. ثم إنه تعالى لما عيّر الصحابة الذين حضروا حرب أحد بعدم الوفاء بعهدهم، ثم علمهم أن العمل المرضي عند الله تعالى أن يقاتلوا في سبيل الله تعالى مصطفين مشبهين بالبنيان المرصوص بيّن أن العمل المذكور هو التجارة الرابحة بين العبد ومولاه فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة﴾ **الآية جعل الإيمان والجهاد المذكورين تجارة تشبيهًا لهما بها فإنها عبارة عن مبادلة المال طمعًا للربح، ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ما عنده وفي وسعه لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه والنجاة من أليم عقابه مع طمع الزيادة عليه بحكم قوله تعالى:** ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾. **قوله: (استئناف مبين للتجارة) فإن الاستفهام في قوله تعالى:** ﴿هل أدلكم﴾ **عرض للدلالة على التجارة حثًا لهم وتشويقًا إلى طلبها واستعلام أنها ما هي، فكأنهم قالوا: يا ربنا دلنا عليها حتى نفعلها وننجو بسببها من العذاب الأليم، فأجيبوا بأن قيل: تؤمنون بالله. وفي التسيير: لما نزل قوله تعالى:** ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ **لم ينزل معه ما بعده، وكانوا في شوق إلى معرفته ليعلموا به فبقوا على ذلك ستة عشر شهرًا، ثم نزل قوله:** ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾ **فهو تفسير للتجارة فلا محل له. ويجوز أن يكون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي تلك التجارة تؤمنون، والخبر لما كان نفس المبتدأ لم يحتج إلى الرابط كخبر ضمير الشأن، وأن يكون في محل النصب بتقدير أعني أي أعني تؤمنون. وعن الأخفش: أن قوله:** ﴿تؤمنون﴾ **عطف بيان للتجارة على أن أصل الكلام أن تؤمنوا فلما حذف «أن» ارتفع الفعل كما في قوله:**

ألا أيـهـا ذا الـزاجـري أحـضـر الـوغـى

أصله أن أحضر فلما حذفت «أن» بطل عملها فارتفع الفعل لتجرده عن العوامل اللفظية. وكذا في الآية فكأنه قيل: هل أدلكم على تجارة منجية إيمان وجهاد؟ وهو معنى حسن لولا احتياجه إلى التأويل. **قوله: (والمراد به الأمر)** يعني أن قوله تعالى: ﴿تؤمنون﴾ في معنى آمنوا ولذلك جاء ﴿يغفر لكم﴾ مجزومًا على أنه جواب الأمر. وقيل: إنه مجزوم على أنه جواب الاستفهام وهو ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ على طريق قولك: هل تأتيني أكرمك. ويرد عليه أنه لو كان جواب الاستفهام لكان المعنى: إن دللتكم على التجارة يغفر لكم، ومن المعلوم أن مجرد دلالتهم لا يوجب مغفرتهم فإنها إنما تترتب على الإجابة والامتثال والوجه في انفهام معنى الأمر من لفظ الخبر أن الاستفهام عن الدلالة المتعلقة

بأن ذلك مما لا يترك. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل لا يعتد بفعله. ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره: إن تؤمنوا وتجاهدوا، أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابًا لهل أدلكم لأن مجرد دلالته لا يوجب المغفرة. ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ الإشارة إلى ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم إلى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة. وفي «تحبونها» تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل. وقيل: «أخرى» منصوبة بإضمار «يعطكم» أو «تحبون» أو مبتدأ خبره. ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو على الأول بدل أو بيان وعلى

بالتجارة إنما هو التشويق والإغراء على طلبها، والإغراء على الشيء يستلزم أن يكون ذلك الشيء مطلوبًا للمغري فيفهم من الاستفهام كون التجارة مطلوبة للمستفهم. ولما فسرت التجارة بالإيمان والجهاد لزم أن يكونا مطلوبين للمستفهم مأمورًا بهما من قبله. فهذا وجه قوله: «والمراد به الأمر» إلا أنه عبّر عن الأمر بلفظ الخبر إيذانًا بأن المأمور به مما لا يترك بل حقه أن يسارع إليه المكلف مع قطع النظر عن الإيجاب والتكليف كما في نحو غفر الله له.

قوله: (إن كنتم من أهل العلم) نزله منزلة اللازم وجعل كونهم من أهل العلم شرطًا لكون الإيمان والجهاد خيرًا لهم لأن عمل الجاهل لا يعتد به ولا يثاب هو عليه لأن الأعمال بالنيات. **قوله:** (أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام) أي على كل واحد منهما، فإن ما قبله يدل على أن تقدير الكلام: أن تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم. ويدل أيضًا على أن تقدير الكلام: هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم؟ على معنى أن تقبلوا وتفعلوا ما دللتكم عليه يغفر لكم. **قوله:** (ولكم إلى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى) إشارة إلى أن «أخرى» صفة لمحذوف وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو «لكم» والموصوف المحذوف نحو قولك: المثوبة أو العدة أو الخصلة أو النعمة أي ولكم إلى هذه المثوبة أو إلى هذه العدة مثوبة أخرى، أو عدة أخرى. وقوله: «تحبونها» صفة ثانية لذلك المحذوف أيضًا. **قوله:** (أو تحبون) أي أو منصوبة بإضمار «تحبون» الذي يفسره قوله: «تحبونها» على أنه من قبيل ما أضمر عامله على شريطة التفسير فلا يكون «تحبونها» حينئذٍ نعتًا لأخرى لأنه مفسر للعامل المضمر قبله. **قوله:** (وهو على الأول) أي قوله: «نصر» على أن يكون قوله: «وأخرى» في موضع الرفع على الابتداء مرفوع على أنه بدل من «أخرى» أو عطف بيان له. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو نصر وتكون الجملة تفسيرًا للنعمة الأخرى. ولم يلتفت إليه المصنف لأن

قول النصب خبر محذوف. وقد قرىء بما عطف عليه بالنصب على البدل أو الاختصاص أو المصدر. ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ عطف على محذوف مثل: قل يا أيها الذين آمنوا وبشر، أو على تؤمنون فإنه في معنى الأمر كأنه قال: آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلاً وآجلاً. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

التقدير لا يصار إليه من غير ضرورة بخلاف ما إذا كانت «أخرى» منصوبة فإنه لا يحتاج إلى تقدير المبتدأ. **قوله:** (وقد قرىء بما عطف عليه بالنصب) أي وقد قرىء «نصرًا من الله وفتحًا قريبًا» بالنصب على البدل من «أخرى» المنصوبة بفعل مضمر كما مر أي يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم نعمة أخرى، ثم أبدل منها نصرًا وفتحًا قريبًا أو على الاختصاص أي بتقدير أعني أو على أنه مصدر فعل محذوف أي تنصرون نصرًا ويفتح لكم فتحًا قريبًا. **قوله:** (عطف على محذوف) هو «قل» مقدر قبل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ كما ذهب إليه صاحب المفتاح. **قوله:** (أو على تؤمنون) فيه بحث، وهو أن المصنف صرح بأن تؤمنون استئناف مبين للتجارة التي أمر بها المؤمنون معنى وهو صحيح لأن إيمان المؤمنين وجهادهم يصلح بيانًا وتفسيرًا لتجارتهم، فلو جعل قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ معطوفًا على ﴿تؤمنون﴾ لكونه في معنى الأمر للزم أن يكون بيانًا لتجارة الذين آمنوا وهو بعيد لأن المخاطب بقوله: ﴿وبشر﴾ هو النبي ﷺ وتبشيره عليه الصلاة والسلام كيف يصلح بيانًا لتجارة المؤمنين؟ إلا أن يقال: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يتناول النبي ﷺ وأمته، لأنه عليه الصلاة والسلام أول المؤمنين إيمانًا وأكملهم فلما خوطب الجميع بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وقيل لهم: ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ الآية بيّن تجارة الأمة بقوله: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾ وبيّن تجارته عليه الصلاة والسلام بتبشير المؤمنين بما وعدهم الله بمقابلة تجارتهم المبينة بما ذكر. ولا شك أن تبليغ الرسالة أربح التجارات وأنفعها لأن ما يترتب عليه من الثواب أجل وأعظم مما يترتب على تجارة الأمة، فلما كان قوله: ﴿وبشر﴾ صالحًا لأن يفسر به التجارة صح عطفه على قوله: ﴿تؤمنون﴾ فإن قيل: كيف يكون قوله: ﴿تؤمنون بالله﴾ في معنى الأمر بالإيمان وهو في معنى الأمر بتحصيل الحاصل؟ لأن المخاطبين بهذا الأمر هم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أجيب عنه بأنه يمكن أن يكون المراد بالذين آمنوا المنافقين من حيث إنهم آمنوا في الظاهر، ويمكن أيضًا أن يكون المراد بهم اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بكتبهم ورسلهم كأنه قيل: يا أيها الذين آمنوا بالأنبياء السابقة والكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد عليه الصلاة والسلام. والظاهر أن يكون المراد من آمن من هذه الأمة ويكون المأمور به في حقهم الثبات على الإيمان كما أن المأمور به في قوله: ﴿كونوا أنصار الله﴾ الثبات على نصرة دين الله تعالى والمداومة عليها. **قوله:**

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ وقرأ الحجازيان وأبو عمرو بالتنوين واللام لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي من جندي متوجهًا إلى نصرة الله ليطابق قوله: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص، والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول

(لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله) وهذا المعنى يستفاد من تنكير «أنصار» إذ القصد الإفراد والبعضية. ولذلك قرأ نافع وابن كثير «أنصار الله» بتنوين «أنصارًا» وباللام الجارة داخلة على لفظة الله. وقرأ الباقون بإضافته إلى لفظ الجلالة والرسم يحتمل القراءتين معًا. واللام يحتمل أن تكون مزيدة في المفعول لتقوية العامل لكون العامل فرعًا في العمل، إذ الأصل: كونوا أنصار الله، وأن تكون غير مزيدة في المفعول ويكون الجار والمجرور نعتًا لأنصار أو الأول أظهر. والقراءة بالإضافة فرع للقراءة بالتنوين مخففة منها. ويؤيد القراءة بالإضافة الإجماع على الإضافة في ﴿نحن أنصار الله﴾ فإنه لا يتصور جريان الخلاف هنا لكونه مرسومًا بالألف. وقيل: في الكلام إضمار أي قل لهم يا محمد كونوا أنصار الله. وقيل: هو ابتداء خطاب من الله تعالى أي كونوا أنصارًا مثل كون الحواريين لدين الله أنصارًا.

قوله: (ليطابق الخ) علة لتفسير الأنصار بالجند وتضمين الكلام معنى التوجه فإنه لو أبقى الأنصار على أصل معناه وكان المعنى من ينصر ديني لما طابق جواب الحواريين سؤال عيسى عليه الصلاة والسلام، لأنه عليه الصلاة والسلام سأل عمن ينصره وهم أجابوا بأنهم ينصرون الله. ولو لم يعتبر معنى التوجه في الكلام للزم أن يعدى فعل النصرة بـ «إلى» وليس كذلك فلما جعل الأنصار بمعنى الجند واعتبر معنى التوجه في الكلام حصلت المطابقة بين السؤال والجواب، لأن الجند يتبع أمير العسكر في تحصيل مقصود السلطان، وظهر وجه تعدية النصرة بـ «إلى» وهو كونها متضمنة لمعنى التوجه فكان المنصور في كل واحد من السؤال والجواب هو الله تعالى. فكأنه قيل: من جندي متوجهًا إلى الله تعالى وإظهار دينه؟ فأجاب الحواريون بقولهم: ﴿نحن أنصار الله﴾ متبعين إياك فتكون إضافة «أنصاري» على خلاف إضافة «أنصار الله» لأن الإضافة في «أنصاري» معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل إلى معموله، لأن فاعل «أنصاري» ضمير يرجع إلى «من» ومفعوله دين الله. والمعنى: من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله تعالى وإظهار دينه؟ فالإضافة لمجرد الدلالة على اختصاص المضاف إليه بخلاف الإضافة في أنصار الله فإنها لفظية من قبيل إضافة الناصر إلى المنصور فتحصل المطابقة بين القولين، لأن محصول قول عيسى عليه الصلاة والسلام من ينصر دين الله مختصًا بي وكائنًا

والتشبيه باعتبار المعنى إذ المراد: قل لهم كما قال عيسى، أو كونوا أنصارًا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلاً. ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ أي بعيسى ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ بالحجة أو بالحرب وذلك

معي فأجابوه: بأنا نلتزم ذلك وننصر دينه ونعين رسوله. **قوله:** (والتشبيه باعتبار المعنى) فإن ظاهر اللفظ يدل على تشبيه كونهم أنصارًا لقول عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿من أنصاري إلى الله﴾ لأن أداة التشبيه دخلت على ما هو بمعنى المصدر وهو القول لأن كلمة «ما» في قوله: ﴿كما قال﴾ مصدرية فلما لم يصح التشبيه باعتبار ظاهر اللفظ وجب المصير إلى جانب المعنى، وذلك إما بأن يجعل الكلام خطابًا من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يقدر «قل» قبل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وتقدير الكلام: قل لهم كما قال عيسى، فالكاف منصوبة المحل على أنها صفة مصدر محذوف أي قل لهم قولاً مثل قول عيسى للحواريين. وإما بأن يجعل الكلام ابتداء خطابًا من الله تعالى للمؤمنين فإن المعنى حينئذٍ انصروا دين الله تعالى نصرًا مثل نصر الحواريين عيسى ابن مريم، أو كونوا أنصار الله كونًا مثل كون الحواريين أنصار عيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ أي وقت قوله لهم من أنصاري إلى الله لأن كما قال في تأويل القول أقيم المصدر مقام الوقت كما في آتيك خفوق النجم وصياح الديك. **قوله:** (والحواريون أصفياؤه) وخواصه. وحواري الرجل صفيه من الحور وهو البياض الخالص، سموا حواريين لخلوصهم عن كل ما ينافي صفاء المحبة والإخلاص من العيوب. روي أنه تعالى قال لعيسى عليه الصلاة والسلام: إذا دخلت القرية فائت النهر الذي عليه القصارون فاسألهم النصر. فأتاهم عيسى عليه الصلاة والسلام وقال: من أنصاري إلى الله فقالوا: نحن ننصرك فصدقوه ونصروه. **قوله:** (وذلك) أي تأييد مؤمنيهم على كفارهم كان بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام، فإنه عليه الصلاة والسلام لما رفع إلى السماء تفرق قومه أربع فرق: فرقة قالوا كان الله فارتفع، وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا كان ثالث ثلاثة، وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون. واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الكافرون على المؤمنين حتى بعث سيد المرسلين ﷺ وعلى جميع الأنبياء، فحينئذٍ ظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة وذلك قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ أي عالين غالبين من قولك: ظهرت على الحائط إذا علوت عليه، وظاهرين خبر «أصبح» بمعنى صار. وقال زيد بن علي: فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان لأنهم قالوا فيما روي: ألستم تعلمون أن عيسى عليه السلام كان

بعد رفع عيسى ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾ فصاروا غالبين. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليًا عليه مستغفرًا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه».

ينام والله تعالى لا ينام، وأنه كان يأكل ويشرب والله تعالى منزه عن ذلك. تمت سورة الصف والحمد لله رب العالمين.

سورة الجمعة

مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ وقد قرىء الصفات الأربع بالرفع على المدح. ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي من جملتهم أميًا مثلهم

سورة الجمعة

مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم ربِّ يسِّر وأعِن

قوله تعالى: (**الملك**) صفة مشبهة دالة على الثبات أي الذي يملك كل شيء ولا يزول عنه ملكه. **قوله:** (**لأن أكثرهم لا يكتبون**) تعليل لتسمية العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب بالأميين، يعني لما كان أكثرهم أميًا لا يكتب ولا يقرأ سمي الجميع أميًا على التغليب، لأن الأمي عبارة عمن لا يقرؤوهم ليسوا بأهل كتاب. وقيل: الأميون هم الذين لا يكتبون وقريش كانت كذلك. قيل: بدت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة، وأهل الحيرة من أهل الأنبار، والحيرة مدينة من بغداد، والأمي منسوب إلى أمة العرب. وقيل: إلى الأم لأن من بقي على ما خلق عليه لم يكتب ولم يقرأ كان منسوبًا إلى أمه لبقائه كما ولدته أمه. واحتج أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ على أنه ﷺ كان رسولاً إلى العرب خاصة لأن الأميين هم العرب من بين الأمم وهو ضعيف، لأن تخصيص الشيء

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ مع كونه أميًا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من خبائث العقائد والأعمال. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآن والشريعة أو معالم الدين من المنقول والمعقول، ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم وإزاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم. وإن هي المخففة واللام تدل عليها. ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على الأميين أو المنصوب في «يعلمهم» وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة إلى يوم الدين فإن دعوته وتعليمه تعم الجميع. ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ لم يلحقوا

بالذكر لا يستلزم نفي ما عداه. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] لأنه لا يلزم منه أن يخطه بشماله ولأن تصديقه في دعوى الرسالة يستلزم تصديقه في جميع ما جاء به ومن جملته قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] **قوله تعالى:** (يتلو عليهم) هو وما بعده صفات لقوله: «رسولاً». ووجه الاستدلال والامتنان بأن بعث فيهم رسولاً أميًا موصوفًا بما ذكر من الصفات كونه دليلاً على كمال قدرته وحكمته، وكونه لطفًا عظيمًا للمكلفين من حيث كون ذلك برهانًا قاطعًا على صحة نبوته بحيث لو لم يكن له سواه عليه السلام معجزة لكفاه. وفسر الحكمة بالشريعة وهي ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام سواء ذكرت في القرآن أو لم تذكر. والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق والمراد بها ههنا الدلائل التي يستدل بها على القواعد الدينية الاعتقادية والعملية ويحكم بها أي بتلك القواعد. **قوله:** (**وإزاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم**) فإن المبعوث فيهم إذا كانوا في ضلال مبين قبل البعثة اضمحل توهم أن يتعلم الرسول ما جاء به من الحكمة النظرية والعملية من أحد منهم. **قوله:** (**وإن هي المخففة**) أي من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر، واللام في قوله: ﴿لفي ضلال﴾ هي الفارقة بين النافية والمخففة. **قوله:** (**عطف على الأميين**) والمعنى بعثه في الأميين الذين كانوا في زمان بعثه عليه الصلاة والسلام، وفي آخرين منهم أي من الأميين وهم العرب. و «ما» في قوله: ﴿لما يلحقوا﴾ زائدة للتأكيد أي لم يلحقوا بهم بعد أن لم يكونوا في زمانهم وهو صفة لآخرين من بعد وصفه بقوله: «منهم» وقوله: «وسيلحقون» مبني على أن في «لما» توقعًا وانتظارًا لأنه نفي لقولك قد لحق. قال الإمام: وصفت العرب بأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث فيهم وفي آخرين منهم مع أنه عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى الناس كافة عربهم وعجمهم، للإشارة إلى شرف العرب كلهم إلى قيام الساعة. و «من» في «منهم» للتبيين إذ لا وجه لجعلها للتبعيض وهو ظاهر. انتهى. **قوله:** (**أو المنصوب في يعلمهم**) أي ويعلم آخرين منهم وعلى التقديرين: المراد بالآخرين العرب لأنهم وصفوا بقوله: «منهم» أي

بهم بعد وسيلحقون ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في تمكينه من هذا الأمر الخارق للعادة ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ في اختياره وتعليمه.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ ذلك الفضل الذي امتاز به عن أقرانه فضله. ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ تفضلاً وعطية ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، أو نعيمهما. ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها. ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ كتبًا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها و«يحمل» حال والعامل فيه معنى المثل أو صفة إذ

من الأميين. وعن ابن عباس وجماعة: أن المراد بالآخرين غير العرب من الطوائف أي طائفة كانت ووصفهم بكونهم من الأميين مبني على أنهم إن أسلموا صاروا منهم لأن المسلمين كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم. وأما من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام ولم يدخل في دينه فإنه بمعزل عن الدخول في قوله: «آخرين» وإن كان عليه الصلاة والسلام مبعوثًا إليهم بالدعوة لقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وغير المؤمنين ليسوا من جملة من يزكيهم ويعلمهم. روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأ قوله تعالى: ﴿وآخرين منهم﴾ وعنده سلمان الفارسي فقيل: يا رسول الله من هؤلاء؟ فوضع يده عليه الصلاة والسلام على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء». **قوله**: (ذلك الفضل الذي امتاز به) أي امتاز به سيد البشر وهو كونه مبعوثًا لأهل عصره ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة حال كونه تاليًا عليهم كتاب الله ومزكيًا ومعلمًا لهم الكتاب والحكمة وهو أمي. ثم إنه تعالى بعد ما بيّن أنه الذي بعث سيد المرسلين في عصره من الأميين وفيمن سيلحق بهم إلى يوم القيامة، شرع في ذم اليهود بأنهم قراء التوراة عالمون بما فيها وفيها آيات دالة على صحة نبوة محمد ﷺ ووجوب الإيمان به ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها بما ينجيهم من شقاوة الدارين، وشبههم بالحمار الذي يحمل أسفار العلم والحكمة ولا ينتفع بها. ووجه التشبيه حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء في الانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه ومزاولته فقال: ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ الآية والأسفار جمع سِفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر وأشبار. قال الفراء: الأسفار الكتب العظام سميت أسفارًا لأنها تكشف ما فيها من المعاني إذا قرئت من قولهم: سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها. والحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل، فكذلك اليهود. وفي هذا التشبيه تنبيه على أنه ينبغي لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعمل بها لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود. **قوله**: (ويحمل حال) أي من الحمار أي كمثله حاملاً أسفارًا. والعامل فيها ما في المثل من معنى الفعل. وجاز أن يكون في محل الجر على أنه صفة

ليس المراد من الحمار معينًا. ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام. ويجوز أن يكون «الذين» صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفًا. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ تهودوا.

﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ إذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه. ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى محل الكرامة. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ في زعمكم ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ فيجازيهم على أعمالهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن

للحمار لأن المعرف تعريف العهد الذهني يعامل معاملة المنكر فيوصف بالجملة كما في قوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

قوله: (أي مثل الذين كذبوا) يعني أن قوله تعالى: ﴿مثل القوم﴾ فاعل ﴿بئس﴾ لكونه مضافًا إلى المعرف بلام الجنس وقوله: ﴿الذين كذبوا﴾ هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف أي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا. واحتيج إلى تقدير المضاف لما تقرر من أنه يجب في باب نعم وبئس اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح أو الذم صدقًا وذاتًا، ولا اتحاد ههنا بين مثل القوم وبين من عبّر عنهم بالذين كذبوا إلا بتقدير المضاف. **قوله**: (**ويجوز أن يكون الذين صفة للقوم**) عطف على قوله: ﴿الذين كذبوا﴾ من حيث المعنى فحينئذٍ يكون المخصوص بالذم محذوفًا والتقدير: بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء. والمراد بذم مثلهم ذم أنفسهم لأنك إذا ذممت الصفة فقد ذممت الموصوف بها.

قوله: (**إذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه**) ذكر أن اليهود كانوا يفتخرون على العرب بقولهم: نحن أهل الكتاب وأنتم أميون لا كتاب لكم، ونحن أبناء الله وأحباؤه وأنتم رعاة البهم، ولنا السبت ولا سبت لكم. فرد الله عليهم طعنهم وافتخارهم على العرب بهذه الأشياء الثلاثة بعد ما نزه نفسه عما لا يليق بشأنه إلا على مثل أن يكون له الشركاء والأبناء كما قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ونحن أبناؤه فقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التغابن: ١؛ الجمعة: ١] وذب عن العرب ما قالوا لهم بقوله: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾ وأمر نبيه ﷺ أن يجيب عن افترائهم وافتخارهم بادعاء أنهم أولياء

يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم ﴿فَإِنَّهُ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لاحق بكم لا تفوتونه. والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد قرىء بغيرها. ويجوز أن يكون الموصول خبرًا والفاء عاطفة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ بأن يجازيكم عليه.

الله وأحباؤه من دون الأميين وغيرهم ممن ليس من بني إسرائيل بأن يقول لهم: إن كنتم تزعمون ذلك فادعوا الله أن يميتكم بأن تقولوا: اللهم أمتنا وخلصنا من دار البلايا والآفات وأوصلنا إلى ما عندك من الكرامات، فإن المراد بتمني الموت طلبه وسؤله من الله تعالى بناء على أن أولياء الله تعالى لهم عنده كرامة ومنزلة رفيعة لا يصلون إليها إلا بالموت فينبغي لهم أن يتمنوا ذلك ليصلوا إليها. ثم إنه تعالى بكتهم بقوله: ﴿ولا يتمنونه أبدًا بما قدمت أيديهم﴾ من تكذيب محمد ﷺ مع أنهم وجدوا نعته وصحة نبوته في التوراة فلو تمنوه لماتوا من ساعتهم خالدين في النار أبدًا. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات». **قوله:** (والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف) أي باعتبار تضمن صفته التي هي الاسم الموصول معنى الشرط. فإن الموصوف بالموصول في حكم الموصول، فكما أن المبتدأ إذا كان اسمًا موصولاً صلته فعل أو ظرف جاز دخول الفاء في خبره، فكذا إذا كان موصوفًا بالموصول المذكور جاز ذلك أيضًا لتضمنه معنى الشرط بواسطة تضمن صفته إياه. كأنه قيل: إن فررتم من الموت فإنه ملاقيكم. ولما ورد أن يقال: إن صح ما ذكرتم من أن الموصوف بالموصول متضمن لمعنى الشرط لزم أن يكون الفرار من الموت شرطًا لملاقاته إياهم وأن يتوقف عليه الملاقاة، وليس كذلك فإن الموت ملاقيهم فروا منه أو لم يفروا. أشار إلى جوابه بقوله: «وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم» وتقريره أنه علق لحوق الموت بهم على فرارهم منه للمبالغة في الدلالة على أنه لا ينفعهم الفرار البتة، ووجه المبالغة فيها أن الفرار عن الشيء سبب للفوات عنه عادة فلما جعل الفرار من الموت سببًا لملاقاته كان ذلك أبلغ دليل على أنه لاينفع الفرار منه ولا يتصور الفوات عنه. **قوله:** (وقد قرىء بغيرها) أي قرىء «أنه ملاقيكم» بغير فاء إما على أنه كلام مستأنف وخبر «إن» هو الموصول كأنه قيل: إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف وقيل: إنه ملاقيكم. وإما على أنه هو الخبر وحينئذٍ يكون الموصول نعتًا للموت. ثم إنه تعالى رد طعنهم الثالث وهو قولهم لنا السبت ولا سبت لكم بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾ الآية فإنه تعالى هدى المسلمين بهذه الآية إلى ما هو سيد الأيام وعيد المؤمنين. والجمهور على ضم ميم الجمعة، وقرىء بإسكانها، والضم هو الأصل والإسكان تخفيف وكلاهما مصدر بمعنى الاجتماع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي أذن لها ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ بيان لإذا وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسمية العروبة. وقيل: سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه وأول جمعة جمعهما رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه لما قدم المدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة

قوله: (أي أذن لها) قالوا المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة لأنه لم يكن إلا ذاك في زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما كثر المسلمون على خلافة عثمان رضي الله عنه احتيج إلى زيادة الإعلام فأمر أن يزاد نداء على سطح الزوراء وهي داره واستحسنه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: (بيان لإذا) يعني أن كلمة «من» في قوله تعالى: ﴿من يوم الجمعة﴾ بيانية جيء بها تفسيراً لـ «إذا» وبيانًا لها قيل عليه: إنه يقتضي أن يكون «إذا» عبارة عن مجموع يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن وقت الأذان منه. وجوابه أن ما لزم من تفسير وقت الأذان بيوم الجمعة أن يكون يوم الجمعة ظرفًا للأذان وهو لا يستلزم إلا وقوع الأذان في جزء منه لا محذور فيه. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «سميت الجمعة جمعة لأن الله تعالى جمع فيها خلق آدم وقال: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد». وقيل: سميت جمعة لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات. وقيل: لاجتماع الناس للصلاة فيه. وقيل: أول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لؤي سماها بها لاجتماع قريش فيها إليه وكان يقال له قبل ذلك يوم العروبة. وقيل: أول من سماها جمعة الأنصار وذلك أنهم قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه في كل أسبوع وللنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يومًا نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي فيه، فاختاروا يوم العروبة لذلك واجتمعوا فيه إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذٍ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه قبل أن يقدم النبي ﷺ وقبل أن تنزل آية الجمعة. ثم أنزل الله تعالى آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام. وأما أول جمعة جمعها النبي ﷺ بأصحابه فقال أهل السير: قدم رسول الله ﷺ مهاجرًا حتى نزل بقباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحاء، ومن تلك السنة يعد التاريخ الإسلامي، فأقام بها إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في دار بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدًا، فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة جعلها بالمدينة. وقال فيها: «الحمد لله وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على

في دار بني سالم بن عوف. ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فامضوا إليه مسرعين قصدًا، فإن السعي دون العدو والذكر الخطبة. وقيل: الصلاة والأمر بالسعي إليها يدل على وجوبها.

الدين كله والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيدًا. أوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فمن يعمل به على وجل ومخافة من ربه كان عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره كان ذخرًا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم. وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. وهو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا، ومن يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا. وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة. فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله تعالى يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» تمت الخطبة الكريمة والموعظة البليغة هنا اللهم ارزقنا بركتها والاتعاظ بها. فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ أي الخطبة وفيه تعريض لليهود بأنهم ما وفقوا لما سعد به المؤمنون من إصابة ما هو سيد الأيام وخير ما طلعت عليه الشمس من الأيام ويوم المزيد الذي يزيد خيره وبركته للعالمين فيه. وقد روي في الحديث: «هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فاليوم لنا وغد لليهود وبعد غد للنصارى». ولما أطلق الذكر على الخطبة ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أن الخطيب لو اقتصر على مقدار يسمي ذكر الله كقوله: الحمد لله سبحان الله جاز. وعن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال: الحمد لله وارتج عليه فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوّال وستأتيكم الخطب. ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه أحد. وأما عند الإمام

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ واتركوا المعاملة ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة فإن نفع الآخرة خير وأبقى. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ الخير والشر الحقيقين أو إن كنتم من أهل العلم ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أديت وفرغ منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة وفي الحديث «وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وإنما هو عيادة وحضور

الشافعي وسائر الأئمة رحمهم الله فلا بد من خطبتين مشتملتين على خمسة أركان: لفظة الحمد لله، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ للمواظبة عليهما، ثم الوصية بتقوى الله، ثم القراءة بشيء من القرآن آية أو بعضها في إحداهما، ثم الدعاء للمؤمنين. في الثاني. وأما الزوائد التي أحدثوها فبدعة. وقوله: «قصد انصب على المصدر» أي مسرعين إسراعًا وسطًا دون العدو والإسراع المفرط منهي عنه لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا خرجت إلى الجمعة فامش على هينتك». وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ: ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ كيلا يظن أن المراد من السعي الإسراع في المشي. وقرأ ابن مسعود كذلك ثم قال: لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي. وليست هذه القراءة منهم قراءة القرآن المنزل بل هي تفسير منهم لمعناه. وجائز قراءة القرآن بالتفسير في موضع التعسير كما قال الفراء وغيره معنى السعي في الآية المضي ثم قال: السعي والمضي والذهاب واحد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا». فلذلك قال الحسن: أما والله ما هي بالسعي على الأقدام ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار، فإنه سعي ومسارعة إلى المغفرة. وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة أي مملوءة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج. وقيل: أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة. **قوله:** (واتركوا المعاملة) يعني أن المراد الأمر بترك كل ما يشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا. وإنما خص البيع من بينها لأن يوم الجمعة يوم يحضر الناس فيه من قراهم وبواديهم فإن حان وقت الصلاة اغتصت الأسواق بهم وتميل طباعهم إلى التجارات فأمروا بالإقبال على الجمعة وترك ما سواها. وعامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع بل كراهته لأن البيع لم يحرم لعينه، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب، فأشبه الصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب. وقال الإمام مالك: هو فاسد.

قوله: (إطلاق لما حظر عليهم) أي إباحة لما حرم عليهم من المعاملة والاشتغال بأمور الدنيا فإن كل واحد من الانتشار في الأرض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلاة

جنازة وزيارة أخ في الله» ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ واذكروه في مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ بخير الدارين.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فـرت عير تحمل الطعام، فخرج الناس إليهم إلا اثني عشر فنزلت وإفراد التجارة بـرد الكناية لأنها المقصودة. فإن المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير.

الجمعة ليس بواجب بل هو أمر مباح. قال ابن عباس رضي الله عنه: إن شئت فاخرج وإن شئت فصل إلى العصر، وإن شئت فاقعد. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] فإنه إباحة لما حرم بقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]. **قوله: (واذكروه في مجامع أحوالكم)** قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله تعالى فمن أطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح. والذكر بهذا المعنى يتحقق في جميع الأحوال قال الله تعالى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] والذكر الذي أمر بالسعي إليه أولاً هو ذكر خاص لا يجامع التجارة إذ المراد منه الخطبة والصلاة أمر الله تعالى به أولاً. ثم قال: إذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعة الله تعالى في جميع ما تأتونه وتذرونه. والذكر بهذا المعنى من قبيل ذكر السبب وإرادة المسبب لأن ذكر الله تعالى سبب لطاعته. **قوله: (فخرج الناس إليهم)** ذكر أبو داود أن السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كان خليقًا لفضلهم أن لا يفعلوا ما روي عن مقاتل بن حبان أنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الجمعة قبل الخطبة مثل ما في العيدين إلى أن اتفق له عليه الصلاة والسلام أنه صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع في الخطبة وهو قائم إذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارته من الشام، وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بر ودقيق وغيرهما، وكان دحية إذا قدم من السفر تلقاه أهله بالطبل والدفوف. فلما علم الناس قدومه خرجوا إليه ولم يظنوا أن من ترك سماع الخطبة شيئًا فأنزل الله تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها﴾** أي تفرقوا عنك خارجين إليها، فقدم النبي ﷺ الخطبة على صلاة الجمعة بعد ذلك. قيل: كانت هذه الواقعة قبل أن يسلم دحية. **قوله: (وإفراد التجارة برد الكناية)** يعني أنه أعيد الضمير على التجارة دون اللهو مع تقدم ذكرهما معًا لكونها أصلاً مقصودًا في نفسها، واللهو كان متفرعًا عليها وليس اللهو مقصودًا كالتجارة فظاهر قوله: «وإفراد التجارة» يشعر كونه جوابًا لما يقال: كيف قال: «إليها» ولم يقل: إليهما وقد ذكر شيئين؟ ولا اتجاه لهذا السؤال لأن العطف بـ «أو» لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لأنها لأحد الشيئين، فلذلك أول قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾

والترديد للدلالة على أن منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته، أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذمومًا كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك. وقيل: تقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها وإذا رأوا لهوًا انفضوا إليه. ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ أي على المنبر ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ فإن ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من يأتي الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين»

[النساء: ١٣٥] ومن أورده مع عدم اتجاهه فحقه أن يجاب بأن العطف بـ «أو» لا يثنى معه الضمير وإن عاد السائل وقال: لم عينت التجارة بإرجاع الضمير إليها وقد ذكر أحد شيئين من غير تعيين؟ فالمناسب أن يذكر ما يرجع إلى أحدهما من غير تعيين. كذلك يجاب بأن تعيين التجارة برد الكناية لأنها المقصودة. **قوله:** (أو للدلالة) عطف على قوله: «لأنها المقصودة». وقيل: الكلام مبني على الحذف والتقدير والمراد: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوًا انفضوا إليه، فحذف الثاني اختصارًا لدلالة الأول عليه. **قوله:** **(فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه)** روي عن بعض السلف أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال: اللهم إني أجبت دعوتك فصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجت إلى الطور فرأيت كعب الأحبار فحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكان فيما حدثته أن قلت له: إنه عليه الصلاة والسلام قال في يوم الجمعة: «ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه» قال كعب: ذلك في كل سنة يوم. فقلت: بل في كل جمعة. قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي هي آخر ساعة في يوم الجمعة. فقلت: كيف تكون هي آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي» وتلك الساعة لا يصلي فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من جلس مجلسًا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها». قال أبو هريرة: بلى. قال: فهو ذاك. تمت سورة الجمعة والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة المنافقين

مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ الشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع، ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ لأنهم لم يعتقدوا

سورة المنافقين

مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم ربِّ يسِّر وأعِن

قوله: (الشهادة إخبار عن علم) أي عن علم يقيني لكون سندها علمًا شهوديًا ضروريًا من جملة المشاهدات فقول من قال: أشهد أن زيدًا قائم في قوة قوله اعلم علمًا يقينيًا أنه قائم، وأخبر بذلك عن علم يقيني. فلما كان صدق الخبر عند الجمهور عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم مطابقته له كان المشهود به وهو مضمون قولهم: إنك لرسول الله صادقًا لمطابقة حكمه للواقع، فلذلك صدقه الله تعالى حيث قال: ﴿والله يعلم أنك لرسوله﴾ وكذبهم في تسميتهم ذلك الإخبار شهادة لأن قولهم: ﴿نشهد أنك لرسول الله﴾ معناه نخبره به عن العلم بمضمونه وهو مواطأة القلب اللسان في الإخبار وليس بما شهدوا به اعتقاد بل يعتقدون خلاف ما أخبروا عنه فكانوا كاذبين في قولهم «نشهد» وفي تسميتهم هذا الإخبار «شهادة» مجاز لأن الشهادة كما تطلق على الحق تطلق على الزور مجازًا كإطلاق البيع

ذلك ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد. وقرىء «إيمانهم» ﴿جُنَّةً﴾ وقاية من القتل والسبي. ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

على الفاسد. ولما كان ظاهر الآية دليلاً على ما ذهب إليه النظّام من أن صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر من حيث إنه تعالى حكم بأن المنافقين كاذبون في قولهم: ﴿إنك لرسول الله﴾ **مع أن حكمه مطابق للواقع لأنه تعالى إنما كذبهم لإخبارهم بما يخالف اعتقادهم، فقد ثبت أن الكذب باعتبار عدم مطابقة الحكم للاعتقاد كما أن الصدق باعتبار مطابقة الحكم للاعتقاد، أشار المصنف إلى الجواب عن استدلاله ببيان أن التكذيب** راجع **إلى قولهم:** ﴿نشهد﴾ **باعتبار** تضمنه خبرًا كاذبًا **وهو أن إخبارهم بأنكَ** رسول الله **شهادة بمعنى كونه إخبارًا عن علم يقيني، ومن المعلوم أن هذا الخبر الضمني كاذب لعدم مطابقة حكمه للواقع لكونه إخبارًا بما ليس في قلوبهم لأن في قلوبهم الخبيثة اعتقاد أنك رسول الله غير مطابق للواقع والله يعلم أنك** لرسوله**، فإن قلت: أي فائدة في أنه جيء بقوله:** ﴿والله يعلم أنك لرسوله﴾ **جملة معترضة بين قوله:** ﴿نشهد أنك لرسول الله﴾ **وبين قوله:** ﴿والله يشهد أن المنافقين لكاذبون﴾ **قلنا: جيء بها لفائدة وهي أنه لو قيل:** ﴿قالوا نشهد أنك لرسول الله﴾ ﴿والله يشهد أنهم لكاذبون﴾ **لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله تعالى:** ﴿والله يعلم أنك لرسوله﴾ **ليزول هذا الوهم. قوله: (اتخذوا إيمانهم حلفهم الكاذب)** مثل حلفهم بالله أنهم لمنكم والحال أنهم ما هم من المسلمين، فإنهم كلما اطلع منهم على شيء من النفاق كانوا يحلفون أنهم براء منه كما قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦] روى البخاري عن زيد بن أرقم أنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أُبي ابن سلول يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون: ٧] ويقول: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ إلى قوله: ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾ وقوله: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ فأرسل إليّ رسول الله ﷺ ثم قال: «إن الله صدقك يا زيد» فالمراد بالأيمان التي اتخذوها جنة هي حلفهم بأنهم ما قالوا ذلك فإنهم اتخذوها جنة يتسترون بها من إراقة الدماء وسبي الذراري والنساء واستغنام الأموال، كما يتوقى بالجنة في الحرب من مضرة الأعداء. ويحتمل أن يكون المراد بأيمانهم قولهم: ﴿نشهد أنك لرسول الله﴾ قال القرطبي: من قال:

صدًا أو صدودًا ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾ من نفاقهم وصدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكلام المتقدم أي ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم، أو إلى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان. ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ بسبب أنهم آمنوا ظاهرًا. ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ سرًا أو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة. ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامتها وصباحتها ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم. وكان ابن أبي جسيمًا فصيحًا يحضر مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام في جمع مثله فتعجبه هياكلهم ويصغي إلى كلامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ حال من الضمير المجرور في «لقولهم» أي تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب

أقسم بالله أو أشهد بالله أو أعزم بالله أو أحلف بالله أو أقسمت أو شهدت أو عزمت أو حلفت وقال في ذلك كله بالله، فلا خلاف في أنها يمين. وكذلك عند الإمام مالك وأصحابه وإن قال: أقسم أو أشهد أو أعزم أو أحلف ولم يقل بالله يكون يمينًا إذا أراد أن يقول بالله، وإن لم يراد بالله فليس بيمين. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو قال: أشهد بالله لقد كان كذا يمين، ولو قال: أشهد لقد كان كذا بدون النية كان يمينًا أيضًا احتجاجًا بهذه الآية. فإنه تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال: ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ وعند الإمام الشافعي لا يكون ذلك يمينًا وإن نوى اليمين لأن قوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ ليس يرجع إلى قوله: ﴿قالوا نشهد﴾ وإنما يرجع إلى ما أخبر الله تعالى عنهم في سورة براءة بقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤] انتهى كلامه. فقول المصنف: «حلفهم الكاذب» مبني على قول الإمام الشافعي وما بعده مبني على قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

قوله: (صدًا وصدودًا) الأول مصدر صد المتعدي والثاني مصدر اللازم يقال: صده عن الأمر أي صرفه عن الأمر وصدّ عنه أي أعرض، فإنهم كما صدوا بأنفسهم عن سبيل الله صرفوا الناس عنه أيضًا.

قوله: (إشارة إلى الكلام المتقدم) كأنه قيل: قلت في حقهم أنهم ساء ما كانوا يعملون بسبب أنهم آمنوا الخ. **قوله تعالى:** (فطبع على قلوبهم) قراءة العامة على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار بعده. وقرىء على بناء الفاعل وإسناده إلى ضمير الباريء تعالى فإن قيل: إذا كان الطبع مسندًا إليه تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى بأن يقولوا: أعرضنا عن الحق لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب أنه تعالى طبع على قلوبنا. أجاب عنه

منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحًا خالية عن العلم والنظر. وقيل: الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر. وقرأ أبو عمرو والكسائي، وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف أو على أنه كبدن في جمع بدنة ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم «فعليهم»

الإمام بأن هذا الطبع من الله بسوء أفعالهم وانهماكهم في اتباع الشهوات فعاقبهم الله تعالى بأن خذلهم وتركهم وأنفسهم الأمّارة بالسوء. **قوله: (في كونهم أشباحًا خالية عن العلم والنظر)** هذا هو الوصف الجامع بينهم وبين ذوات الخشب من حيث إنها خشب مع قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة إلى الحائط ونحوه والجامع بينهم وبين الخشب المسندة هو أنهم مع كونهم أشباحًا خالية عن العلم والعقل لا ينتفع بهم بشيء من منافع الأجسام كالخشب المسندة، فإن الخشب المنتفع بها ما كانت في سقف أو جدار ونحوهما من مواضع الانتفاع بها، وما كان متروكًا فارغًا غير منتفع به مسندًا إلى الحائط هو البطال الخالي عن المنفعة فشبهوا بها من حيث عدم الانتفاع بهم. وقيل: شبهوا بالمسندة منها لأن الخشب المسندة إلى الحائط يكون أحد طرفيها إل جهة والآخر إلى جهة أخرى، فكذا المنافق فإن باطنه إلى جهة الكفرة وظاهره إلى جهة المسلمين. وبناء التفعيل في قوله: «مسندة» للتكثير فإن التسنيد تكثير الإسناد بكثرة المحال أي كأنها أسندت إلى مواضع. **قوله: (وقيل الخشب)** أي بضمتين جمع خشباء، لم يرض به لأن فعلاء الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل على فعل بضمة وسكون كحمراء وحمر. قرأ قنبل وأبو عمرو والكسائي «خشب» بإسكان الشين، والباقون بضمها. وقرىء بفتحتين على أنه جمع خشبة مثل مدرة ومدر. ومن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة أيضًا نحو: ثمرة وثمر. ومن قرأه بضمة وسكون جعله جمع خشب كأسد وأسد أو جمع خشبة كبدنة وبدن، أو خشباء كحمراء وحمر وجعله تخفيف خشب بضمتين. **قوله: (دعر جوفها)** أي فسد. وفي بعض النسخ نخر أي بلي، والمخبر خلاف المنظر والمرئي. وقوله تعالى: **﴿يحسبون كل صيحة﴾** في موضع الحال من الضمير المنصوب في «كأنهم» والعامل فيها معنى التشبيه. ويجوز أن يكون مستأنفًا و«كل صيحة» مفعول أول «ليحسبون» و«عليهم» المفعول الثاني أي يحسبون كل ما سمعوه من الصيحة واقعة عليهم ضارة لهم بناء على قولهم إنها صيحة عدو يريدهم بسوء لفرط جبنهم وغلبة الرعب والوهم على قلوبهم، أو لما في قلوبهم من الرعب يكشف الله أسرارهم بأن ينزل فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم. فعلى هذا يكون قوله تعالى: **﴿هم العدو﴾** أي كاملو العداوة جملة مستأنفة أخبر الله تعالى عنهم بذلك فإن أعدى العدو هو من يداريك ويتبسم في وجهك وصدره مملوء حقدًا وعداوة.

ثاني مفعولي «يحسبون». ويجوز أن يكون صلته والمفعول ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر إلى الخبر لكن ترتب قوله: ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ عليه يدل على أن الضمير للمنافقين. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ كيف يصرفون عن الحق. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها إعراضًا واستكبارًا عن ذلك. ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ عن الاعتذار. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخهم في الكفر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي للأنصار ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ يعنون فقراء المهاجرين. ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاق والقسم. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ ذلك لجهلهم بالله.

قوله: (ويجوز أن يكون صلته) أي ويجوز أن يكون «عليهم» متعلقًا «بيحسبون» أي باعتبار كونه متعلقًا بمفعوله الأول صفة «لصيحة» وتكون جملة «هم العدو» مفعولاً ثانيًا كما إذا طرح لفظة «هم». وقيل: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم العدو، والظاهر أن يقال: هي العدو لأن الضمير للصيحة، أو هو العدو على أن يكون الضمير لكل إلا أنه قيل هم العدو، نظرًا إلى الخبر كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٧] فإن هذا إشارة إلى الشمس فينبغي أن يقال هذه إلا أنه ذكر المبتدأ نظرًا إلى الخبر، أو على تقدير مضاف أي أهل كل صيحة.

قوله: (تعالوا يستغفر لكم رسول الله) من باب تنازع الفعلين وإعمال الثاني لأن تعالوا يطلب رسول الله أن يتعدى إليه بـ «إلى» أي تعالوا إلى رسول الله ويستغفر بطلبه فاعلاً، فأعمل الثاني فرفع وحذف من الأول إذ التقدير: تعالوا إليه. ويجوز أن لا يكون من باب التنازع لأن قوله: ﴿تعالوا﴾ أمر بالإقبال من حيث هو مع قطع النظر عن تعلقه بالمقبل إليه. فإنه روي عن الكلبي لما نزل من القرآن ما بين نفاقهم مشى إليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم: ويلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم، فائتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم. فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار. فنزلت: ﴿لووا رؤوسهم﴾ أي أمالوها وأعرضوا يقال: لوى الرجل رأسه أي أمال وأعرض. قرأ نافع «لووا» بالتخفيف، والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة الرؤوس. قرأ الجمهور «استغفرت» بفتح الهمزة من غير مد وهي همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة. وقرىء «استغفرت لهم» بالمد على أنه أشبع همزة الاستفهام للإظهار والبيان لا على أن همزة الوصل قلبت ألفًا كما يفعل بالتي مع لام

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ روي أن أعرابيًا نازع أنصاريًا في بعض الغزوات على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشكا إلى ابن أبي فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وإذ رجعنا إلى المدينة فيخرج الأعز الأذل. عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله عليه السلام. وقرىء «ليخرجن» بفتح الياء و«ليخرجن» على البناء للمفعول و«لنخرجن» بالنون ونصب الأعز والأذل على هذه القراءات مصدر أو حال على تقدير مضاف كخروج أو إخراج أو مثل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن أعزة من رسوله والمؤمنين. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ من فرط جهلهم وغرورهم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره

التعريف في نحو ﴿ءَآلسِّحْرُ﴾ [يونس: ٧٧] ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩] لأن إثبات همزة الوصل غير التي تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل عند أهل العربية، وذلك لأن حق همزة الوصل أن تسقط في الدرج ولم تسقط ما تصحب منها لام التعريف بل قلبت ألفًا. **قوله:** (روي أن أعرابيًا نازع أنصاريًا) وكان الأعرابي أجير عمر بن الخطاب يقود فرسه وكانت منازعتهما على ماء يقال له المريسيع من مياه بني المصطلق وهو حي من خزاعة بين مكة والمدينة، ويقال لتلك الغزوة غزوة بني المصطلق وغزوة المريسيع أيضًا وكانت قبل غزوة الخندق.

قوله: (حتى ينفضوا) أي يتفرقوا. قرأ العامة «ليخرجن» بضم الياء وكسر الراء مسندًا إلى الأعز والأذل مفعول به وقرىء «ليخرجن» بفتح الياء وضم الراء ورفع «الأعز» فاعلاً للفعل اللازم ونصب «الأذل» على المصدرية بناء على أن الأصل خروج الأذل، فلما حذف المصدر أقيم المضاف إليه مقامه وأعرب بإعرابه، أو على أنه حال من «الأعز» بتقدير المضاف أي مثل الأذل. وقرىء أيضًا «ليخرجن الأعز» بضم الياء وفتح الراء على بناء المفعول ورفع «الأعز» قائمًا مقام الفاعل ونصب «الأذل» مصدرًا أي إخراج الأذل أو حالاً أي مثل الأذل. و «لنخرجن» بضم نون العظمة وكسر الراء ونصب «الأعز» على أنه مفعول به ونصب «الأذل» على المصدرية أي إخراج الأذل أو الحال أي مثل الأذل. واللام في «لئن رجعنا» موطئة للقسم المحذوف قبلها و «ليخرجن» جواب القسم المحذوف وأغنى جواب القسم عن جواب الشرط. روي أن عبد الله بن أبي لما انصرف عن غزوة بني المصطلق مع الغزاة وأراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله وكان مخلصًا وقال: وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله ﷺ بتخليته. وروي أنه قال: لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك. فقال: ويحك أفاعل

كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود. والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي إليها للمبالغة، ولذلك قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي اللهو بها وهو الشغل. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ بعض أموالكم ادخار للآخرة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي يرى دلائله

أنت؟ قال: نعم. فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. فقال رسول الله ﷺ لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا» فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لكم، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أومن فآمنت، فأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد. فنزل قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾ الآية ولم يلبث بعده إلا أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات بعد العود من غزوة تبوك كما ذكره صاحب الكشاف في سورة براءة. وروي أنه لما مات استغفر له رسول الله ﷺ وألبسه قميصه فنزل قوله تعالى: ﴿لن يغفر الله لهم﴾ ثم إنه تعالى لما ذكر شح المنافقين بأموالهم ومنعهم عن صرفها إلى أنصار دين الله من فقراء المهاجرين بأن حكى عنهم قولهم: ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ وذكر أيضًا تعززهم بأولادهم وعشائرهم حيث حكى عنهم قولهم: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ نهى المؤمنين وحذرهم عن أخلاق المنافقين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ لا يشغلنكم التصرف في الأموال والسعي في تدبير أمرها والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها والسرور بالأولاد والشفقة عليهم والقيام بمؤنتهم عن طاعة الله تعالى وأداء فرائضه، ومن يشتغل بما يلهوه عما يعنيه من أمر الآخرة ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ في تجارتهم بإيثار ما يفنى على ما يبقى. **قوله: (والمراد نهيهم عن اللهو بها)** أي عن الاشتغال بها على سبيل اللعب يقال: لهوت بالشيء ألهو لهوًا إذا لعبت من باب غزوت أغزو غزوًا، إلا أنه وجه النهي عن الإلهاء إلى الأموال والأولاد للمبالغة في نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله تعالى وطاعته فإن كونهما ملهيين شاغلين إياهم عن طاعة الله لازم لكونهم لاهين مشتغلين بهما عن الطاعة والنهي عن اللازم أبلغ في الدلالة على النهي عن الملزوم من النهي عن اللازم فيكون كناية، كما في قولك: لا أرينك ههنا أبلغ في الدلالة على نهي المخاطب عن الحضور عندك من أن تقول: لا تحضر عندي. فكذا قوله تعالى: ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم﴾ أبلغ في الدلالة على نهي المؤمنين عن الاشتغال بهما من أن يقال: لا تكونوا لاهين مشتغلين بهما. وهذا وجه قوله: «وتوجيه النهي إليها للمبالغة». **قوله: (ولذلك)** أي ولكون المراد نهيهم عن اللهو لا نهي الأموال والأولاد عن الإلهاء توجهت مضرة ارتكاب المنهي عنه إليهم لا إليهما. **قوله: (يرى دلائله)** يعني أن المراد بالموت دلائله ومقدماته لأن طلب الإمهال وتأخير الموت ممن مات

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ أمهلتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أمد غير بعيد ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدق ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ بالتدارك وجزم «أكن» للعطف على موضع الفاء وما بعده. وقرأ أبو عمرو «وأكون» منصوبًا عطفًا على «أصدق». وقرىء بالرفع على أنا أكون فيكون عدة بالصلاح. ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ ولم يمهلها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ آخر عمرها ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ فمجاز عليه. وقرأ أبو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة المنافقين برىء من النفاق».

غير معقول بخلاف المحتضر المقصر فيما وجب عليه من الحقوق المالية والبدنية، فإنه يتأسف على تقصيره ويستزيد مدة يتدارك فيها تقصيره، فأخبر الله تعالى أنه لا يؤخر من انقضت مدته وحضر أجله فقال: ﴿ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها﴾ ولا ينفعه التحسر بعد فوات الوقت. **قوله تعالى:** (فأصدق) مضارع منصوب «بأن» مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله: ﴿لولا أخرتني﴾. **قوله:** (وجزم أكن للعطف على موضع الفاء وما بعده) فإنه لولا الفاء في ﴿فأصدق﴾ لكان مجزومًا «بأن» مقدرة كما في قولك: ليت لي مالاً أنفقه، لأن المعنى إن يكن لي مال أنفقه ومثله قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] فيمن جزم يذرهم. ونقل سيبويه عن الخليل أنه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع ههنا لأن الشرط ليس بظاهر، وإنما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كما في قوله تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ فمن جزم عطفه على موضع «فلا هادي له» لأنه لو وقع موقعه فعل الجزم لوجود أداة الشرط. **قوله:** (وقرىء بالرفع على أنا أكون) لم يرد أن في الكلام مبتدأ محذوفًا لعدم الباعث على ارتكاب الحذف بل أراد بيان أن الواو في «وأكون» للاستئناف وأنه كلام مبتدأ فتصور الكلام بصورة الاسمية لكونها أظهر في الاستئناف. **قوله:** (ليوافق ما قبله) وهو الإخبار عمن أتاه الموت فيتمنى الإمهال ويقول ﴿لولا أخرتني﴾ ومن قرأ بتاء الخطاب نظر إلى قوله: ﴿لا تلهكم﴾ ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾.

تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

سورة التغابن

مدنية أو مكية إلا قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بدلالتهما على كماله واستغنائه ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة

سورة التغابن

مدنية وقيل مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قوله: (للدلالة على اختصاص الأمرين) أي على تأكيد الاختصاص المدلول عليه باللام في قوله: ﴿له الملك﴾ فإن اللام تشعر بأصل الاختصاص سواء قدمت أو أخرت. واختصاص الملك به تعالى حقيقة ظاهرة، لأنه مبدىء كل شيء ومبدعه ونافذ فيه مشيئته وإرادته يتصرف فيه كيف يشاء، وكذا اختصاص الحمد به تعالى لأن أصول النعم وفروعها إنما هي بخلقه وإيجاده ورشحة من بحر جوده وإحسانه، ولولا أنه تعالى أنعم بها على عباده لما قدر أحد على أن يبذل مقدار جناح بعوضة ولا ما هو أحقر منه. افتتح السورة الكريمة ببيان عظمة الله تعالى في ملكه وملكوته حيث حكم بأن كل شيء ينزهه ويقدسه عما لا يليق بعلو شأنه، ثم خص له صفة المالكية على الإطلاق، ثم خص له كل كمال وجلال وكل نعمة وإفضال، ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شيء، ثم قرر ما ادعاه بما يدل عليه

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل على سواء. ثم شرع فيما ادعاه فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدر كفره وموجه إليه ما يحمله عليه. ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مقدر إيمانه موفق لما يدعوه إليه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ فيعاملكم بما يناسب أعمالكم. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة البالغة. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ فصوركم من جملة ما خلق فيهما بأحسن صورة حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات، وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم. ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم كليًا كان أو جزئيًا لأن نسبة المقتضى لعلمه إلى الكل واحدة. وتقديم تقرير القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولاً وبالذات وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ضرر كفرهم في الدنيا وأصله الثقل، ومنه: الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥﴾ في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي المذكور من الوبال والعذاب ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بسبب أن الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا وتعجبوا أن يكون الرسل بشرًا

من دلائل الأنفس فقال: ﴿هو الذي خلقكم﴾ والفاء في قوله: ﴿فمنكم كافر﴾ تفصيلية فإن ما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿خلقكم﴾ فكأنه قيل: هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم كلها وهو نعمة الخلق والإيجاد على حسب اختلاف استعداداتكم فبسبب ذلك حصل اختلافكم بالكفر والإيمان ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ في علم الله تعالى في الأزل فمن تعلق العلم الأزلي بكفره أو إيمانه فخرج إلى عالم الأعيان فإنما يخرج إليه على حسب ما علمه الله تعالى وقدره وعلم في الأزل به. ثم ذيل الاستدلال المذكور ببيان أنه بصير بالعباد ومجازيهم على حسب ما عملوا كأنه جعل إثبات القدر دليلاً على صحة البعث والجزاء، ثم ذكر ما يدل على ما ادعاه من دلائل الآفاق فقال: ﴿خلق السمٰوات والأرض﴾ والمسخ بالخاء المعجمة تحويل الصورة إلى ما هو أقبح منها، ولما كان الجزاء متوقفًا على شمول علمه وكونه بحيث لا يعزب عن علمه شيء من أحوال الخلائق وصف نفسه بالعلم المحيط ثم شرع في تهديد كفار قريش بقوله ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا﴾ حيث خوفهم بما نزل بمن

إذ البشر يطلق للواحد والجمع. ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّوا﴾ عن التدبر في البينات ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن كل شيء فضلاً عن طاعتهم. ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عبادتهم وغيرها ﴿حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ يدل على حمده كل مخلوق. ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى إلى مفعولين، وقد قام مقامهما أن بما في حيزه ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ أي بلى تبعثون ﴿وَرَبِّي﴾ قسم أكد به الجواب ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمحاسبة والمجازاة. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ لقبول المادة وحصول القدرة التامة.

﴿فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ يعني القرآن فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾

قبلهم من الكفار وجعل ما أصابهم من العقوبة في الدنيا بالإضافة إلى ما أعد لهم في الآخرة ذوقًا من معظم طعام أو شراب. **قوله: (إذ البشر يطلق للواحد والجمع)** لأنه اسم جنس والجنس يتحقق في ضمن كل فرد من جميع الأفراد وهو في الآية بمعنى الجمع ولذلك جمع ضمير «يهدوننا». وقوله: ﴿أبشر﴾ مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] وهو أولى من جعله مبتدأ وما بعده خبره لأن أداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرًا أو مضمرًا، والفاء في قوله: ﴿فكفروا﴾ سببية لا للتعقيب أي فكفروا بسبب هذا القول لأنهم قالوا استصغارًا للرسل ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل بَشرًا وقوله: ﴿واستغنى الله﴾ تقرير لما سبق من التهديد والوعيد أي وكان الله غنيًا عن إيمانهم وطاعتهم فلم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم شيئًا من ملك الله وإنما ضرر ذلك على أنفسهم. ثم إنه تعالى لما بيّن أن سبب الوبال والعذاب المذكورين هو تكذيبهم الرسل وكفرهم بهم بيّن أن لهم معصية أخرى وهو إنكارهم البعث فقال: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا الزعم ادّعاء العلم بالشيء ولا علم و«أن» مع ما في حيزها قائم مقام المفعولين كأنه قيل: زعموا كونهم غير مبعوثين وهي مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر أي زعموا أن الشأن لم يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله و﴿بلى﴾ إيجاب للنفي المذكور قبله أي بلى يبعثون، ثم ابتدأ فقال: ﴿وربي لتبعثن﴾ وليس الأمر مقتصرًا على البعث بل يعقبه الحساب والجزاء فإن قيل: كيف يفيد القسم في إخباره عن البعث وهم قد أنكروا الرسالة؟ أجيب بأنهم أنكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون أنه عليه الصلاة والسلام يعتقد عظمة ربه اعتقادًا جازمًا لا مزيد عليه فيعلمون بذلك أنه لا يقدم على أن يقسم بربه إلا أن يكون صدق هذا الإخبار عنده أظهر من الشمس في اعتقاده، ولما ذكر أن ما نزل بالأمم الماضية من العقوبة كان بسبب كفرهم بالله ورسله أمرهم بالإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزل عليه كيلا يذوقوا وبال أمرهم في الدنيا والعذاب الأليم في العقبى.

فمجاز عليه ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرف لتنبؤن أو مقدّر باذكر، وقرأ يعقوب «نجمعكم» ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء. والجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن فيه بعضهم بعضًا لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار، واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور

قوله: (وقرأ يعقوب نجمعكم) بنون العظمة ليوافق قوله: ﴿والنور الذي أنزلنا﴾ والمراد بيوم الجمع يوم القيامة وهو يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين والجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض. وقيل: يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله. وقيل: يجمع فيه بين الظالم والمظلوم. وقيل: يجمع فيه بين كل نبي وأمته. **قوله: (يغبن فيه بعضهم بعضًا)** أي يخدع والتغابن تفاعل من الغبن وهو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته وهو لا يكون إلا في عقد المعاوضة ولا معاوضة في الآخرة، فإطلاق التغابن على ما يكون فيها إنما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه وهو مستعار من تغابن التجار، فإن حقيقة التغابن متفرعة على تحقيق حقيقة التجارة ومعاملة المبادلة ليغبن أحد التاجرين الآخر بأن يوقعه في الخسران، ولم يتحقق بين أهل الجنة وأهل النار في الدنيا معاملة يتفرع عليها تغابنهما في الآخرة حقيقة. فحمل الكلام على الاستعارة فشبّه ما عليه كل واحد من الفريقين بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوءها بالتغابن، وذلك لأن كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين على اختيار ما يؤدي إلى سعادة الآخرة فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادرًا عليه بدل ما اختاره الآخر وارتضاه فهذا الاختيار منهما شبه بالمبادلة والتجارة وشبه ما يتفرع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن. قيل: أشد الناس غبنًا يوم القيامة ثلاثة نفر: عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله المخالف لعلمه، وعبد أطاع الله تعالى بعدم خيانته في مال سيده وعصى سيده الله فدخل العبد الجنة بعدم خيانة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله تعالى، وولد ورث مالاً من أبيه وأبوه كان بخيلاً وعصى الله فيه بعدم إنفاقه في سبيله فدخل أبوه ببخله النار ودخل هو بإنفاقه في الخير الجنة. قال عليه الصلاة والسلام: «لا يلقى الله أحد إلا نادمًا إن كان مسيئًا إن لم يحسن، وإن كان محسنًا إن لم يزد» أما مشابهة نزول السعداء منازل الأشقياء من الجنة لو كانوا سعداء بالغبن فظاهرة لأن السعداء أخذوا منازل الأشقياء من الجنة من غير رضى الأشقياء ولا شعور لهم به. وأما مشابهة نزول الأشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا أشقياء بالغبن فإنها ليست بظاهرة لأن منازل السعداء من النار لا رغبة لهم فيها حتى يكون نزول الأشقياء فيها شبيهًا بغبن السعداء إياهم إلا أنه شبه ذلك بالغبن أيضًا تهكمًا بالأشقياء واستهزاء بهم. **قوله: (واللام فيه)** يعني أن اللام في

الآخرة لعظمها ودوامها. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي عملاً صالحًا ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ الإشارة إلى مجموع الأمرين، ولذلك جعله الفوز العظيم لأنه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ كأنهما والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له. ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ إلا بتقديره وإرادته ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ للثبات والاسترجاع عند حلولها. وقرئ «يهد قلبه» بالرفع على إقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه، ويهدأ بالهمز أي يسكن ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ حتى القلوب وأحوالها.

التغابن لتعريف الجنس فمثل هذا التركيب يفيد حصر جنس التغابن في ذلك اليوم كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] وزيد الشجاع، ووجه إيثار ما يفيد الحصر مع أن التغابن يكون في دار الدنيا أشار إلى جوابه بأن سعادة الآخرة لكونها أجل كل سعادة وأفضلها كان فقدها نهاية الغبن بحيث لا يعد ما دونه فقدًا بالنسبة إليه وفقدها إنما يتحقق في ذلك اليوم. فصح بهذا الوجه حصر الغبن في ذلك اليوم فللتنبيه على هذا المعنى أوثر ما دل على الحصر. **قوله تعالى:** (خالدين فيها أبدًا) «خالدين حال من الهاء في «يدخله» ووحده أولاً حملاً على معناه و «أبدًا» نصب على الظرف وكذا «خالدين» الثاني نصب على الحال من أصحاب النار والعامل فيها ما في «أولئك» من معنى الفعل. ثم إنه تعالى لما حكم بأن يوم القيامة هو يوم التغابن الواقع بين المؤمنين والكافرين بأن يأخذ كل واحد منهما منزل صاحبه، فصل ذلك بالآيتين اللتين بعد وهما قوله تعالى: ﴿ومن يؤمن﴾ إلى قوله: ﴿وبئس المصير﴾ حيث بيّن فيهما أن السعداء اختاروا مما هو داخل تحت وسعهم ومقدرتهم ما أداهم في الآخرة إلى الفوز بدفع المضار وجلب المنافع، والأشقياء اختاروا منه ما أداهم إلى أشد العذاب والحرمان من وجوه المنافع بأسرها، فغبن المؤمن الكافر باختيار ما تمكن عليه الكافر من الإيمان والطاعة وغبن الكافر المؤمن بأن أخذ منه ما يقدر عليه من الكفر والمعصية، فصار كل واحد منهما مغبونًا. والكافر وإن لم يأخذ ما تكن عليه المؤمن مما يرغب فيه المؤمن حتى يكون مغبونًا بفواته منه إلا أنه جعل مغبونًا تهكمًا بالكافر كما مر. فظهر بهذا أن الدنيا لكونها زمان التجارة ومزرعة الآخرة هي موضع التغابن، وأنه تعالى إنما جعل يوم القيامة يوم التغابن لكونه وقت ظهور الربح والخسران ووقت ظهور تغابن الفريقين في الدنيا وبهذا الاعتبار جعلت الآيتان تفصيلاً للتغابن. ثم إنه تعالى لما بيّن أن الإيمان والطاعة مناط كل خير وسعادة وأن الكفر والمعصية مناط كل شر وبلاء، وكان هذا مظنة أن يتوهم أنه لو

....

كان الأمر كذلك لسلم المؤمنون من المصائب في أموالهم وأبدانهم فقال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ ملتبسة بشيء من الأشياء إلا بإذن الله أي إلا بتقديره وإرادته وقضائه ومشيئته على أن الإذن مستعار للتقدير والإرادة تشبيهًا لهما بالإذن من حيث إن كل واحد منهما مفض إلى الفعل سبب له، فإنه تعالى إذا قدر المصيبة وأراد إصابتها لأحد فكأنه أذن للمصيبة أن تصيبه. بيّن الله تعالى بهذه الآية أن المصيبة إنما تصيبهم بتقديره ومشيئته وفي إصابتها حكم لا يعرفها إلا هو منها حصول اليقين بأن ليس شيء من الأمر في يده فيتبرؤون بذلك من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله تعالى إلى غير ذلك.

قوله تعالى: (ومن يؤمن بالله) أي ومن يصدق بالله ويعلم أنه لا تصيبه مصيبة إلا بإذن الله يهد قلبه للثبات أي لعدم الاضطراب بما أصابه بأن يقول قولاً أو يظهر وصفًا يدل على التضجر من قضاء الله تعالى وعدم الرضى به بل يسترجع ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ومن أيقن بأنه مملوك لله تعالى مسخر في قبضة قدرته وبأن مرجعه إلى موقف حسابه كيف لا يرضى بقضائه ولا يصبر على بلائه وقد اعتقد أنه رب العالمين والتربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون أيضًا بما ينفر عنه الطبع. **قوله:** (وبالنصب) عطف على قوله: «بالرفع» يعني من قرأ «يهد» مبنيًا للمفعول كما قرأ «قلبه» مرفوعًا قرأه أيضًا منصوبًا بنزع الخافض أي يهد في قلبه كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي في نفسه وقوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي على عقدة النكاح، فلما سقط حرف الجر نصب ما بعده أي عدى الفعل بنفسه فنصب ما بعده. **قوله:** (حتى القلوب وأحوالها) يعني أن قوله تعالى: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ تذييل لتقرير قوله: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ وإنما يقرره إذا دخلت أحوال القلوب من الإيمان والكفر في كل شيء دخولاً أوليًا. وقوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ أي في جميع الأوقات ولا تشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته، وليكن جل همتكم في السراء والضراء العمل بما شرع لكم. ولما ورد أن يقال: كيف يستمر المرء على الطاعة حالة الضراء وهي تغلب على المرء؟ دفعه بأن الإيمان بالوحدانية وبأن الكل من عند الله يقتضي التوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع والتبري من الحول والقوة والاعتماد على حول الله تعالى وقوته والاستمرار على طاعته وطاعة رسوله فقال: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ الآية روي عن عطاء أنه قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هذه الآيات ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم﴾ فإنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي فإن توليتم فلا بأس عليه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ إذ وظيفته التبليغ وقد بلغ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ لأن إيمانهم بأن الكل منه يقتضي ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم في أمر الدين أو الدنيا. ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم. ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة ﴿وَتَصْفَحُواْ﴾ بالإعراض وترك التثريب عليها. ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم. ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ اختبار لكم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي فيهم.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ مواعظه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أوامره ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في وجوه الخير خالصًا لوجهه ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ أي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر. ويجوز أن يكون صفة

كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا وقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية إلى آخر السورة بالمدينة. وقيل: كان رجال يسلمون من أهل مكة ويريدون أن يأتوا النبي ﷺ فيتعلق بهم أبناؤهم وزوجاتهم فيقولون: أنت تذهب وتذرنا ضائعين فمنهم من يطيع ويقيم فحذرهم الله تعالى طاعة نسائهم وأولادهم، ومنهم من لا يطيع ويهاجر إليه عليه الصلاة والسلام فيرى الذين سبقوه في الهجرة قد تفقهوا في الدين فيعزم في نفسه على أنه إن جمعه الله تعالى وإياهم في دار الهجرة يعاقبهم ويمنع عنهم بره وأن لا يتفضل عليهم بوجه ما. ثم لما جمع الله تعالى بينه وبين أهله وأولاده ومنعهم ما ينتفعون به وعظ الله من فعل ذلك بقوله: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ فأمرهم بالعفو عنهم. وقد علم من الآية أن العدو لا يكون عدوًا بسيفه وسنانه وإنما يكون عدوًا بسوء أفعاله، فكل من شغل المرء عن طاعة الله من الأزواج والأولاد والأموال وغيرها فهو عدو له، ولا ينبغي له أن يأمن غوائلهم وقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ناسخ لقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. **قوله: (أي افعلوا ما هو خير لها)** يعني أن «خيرًا» منصوب بمضمر يدل عليه الأوامر السابقة فالأمر بالأفعال الخاصة يدل على الأمر بفعل الخير مطلقًا، فلذلك كان هذا الكلام تأكيدًا للحث على الأوامر المذكورة سابقًا وبيانًا لكون كل واحد من الأمور المذكورة قبله خيرًا وبيّن وجه الحث عليها بأنها خير لأنفسكم. وهذا الوجه هو المنقول عن صاحب الكتاب، ولم يجعل «خيرًا» منصوبًا بقوله: ﴿أنفقوا﴾ لأن الإنفاق لا يتعدى إلا إلى ما هو من جنس الأموال إلا أن يفسر الخير بالمال كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾

مصدر محذوف أي إنفاقًا خيرًا أو خيرًا لكان مقدر جوابًا للأوامر. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ سبق تفسيره ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ بصرف المال فيما أمره. ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مقرونًا بإخلاص وطيب قلب. ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يجعل لكم بالواحد عشرة إلى سبعمائة وأكثر. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب «يضعفه لكم». ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيل بالقليل. ﴿حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ لا يعاجل بالعقوبة. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ تام القدرة والعلم. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة».

[البقرة: ١٨٠] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ [العاديات: ٨] فحينئذٍ يكون منصوبًا على أنه مفعول «لأنفقوا». وهو عند الكسائي والفراء صفة مصدر محذوف أي أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم. وعند أبي عبيدة خبر «لكان» المقدر المجزوم على أنه جواب الأمر أي أنفقوا يكن خيرًا لأنفسكم ثم قال: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أي يقه الله عن الشح الذي هو الحرص على المال وبغض الإنفاق ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ ثم بيّن ما يفوز به المنفق فقال: ﴿إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم﴾ سمي صرف المال في وجوه الخير إقراضًا لله تعالى تشبيهًا له به في عود مثل المصروف إليه. والشكور هو الذي يقبل اليسير من العمل ويجازي به الثواب الجزيل، فالشكور المطلق ليس إلا الله لأن زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة. تمت سورة التغابن والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه.

سورة الطلاق

مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ خص النداء وهم الخطاب بالحكم لأنه إمام أمته فنداؤه كندائهم، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم. والمعنى: إذا أردتم تطليقهن على

سورة الطلاق

مكيـة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم ربِّ يسِّر يا كريم

قوله: (**لأنه إمام أمته**) يعني أن النداء عام كالحكم إلا أنه عليه الصلاة والسلام خص بالنداء صورة إظهارًا لتقدمه واعتبارًا لترويه. **قوله**: (**أو لأن الكلام معه**) يعني لا نسلم أن المقام مقام تعميم النداء بل المقام يقتضي تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالنداء لأن الكلام معه وليس المراد إلا تعميم الحكم. **قوله**: (**والمعنى إذا أردتم تطليقهن**) ولو كان المعنى إذا أوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ عليه وجه والتعبير عمن هو بصدد التطليق مطلقًا مجازيًا باعتبار ما يؤول إليه كقوله تعالى حكاية: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦] وقوله عليه الصلاة والسلام: «من قتل قتيلاً فله سلبه» وليس المراد به المقتول حقيقة لأن قتله محال سمي من يريد التطليق ويقبل عليه مطلقًا لكونه مشارفًا له، وجعل المشارف للشيء بمنزلة من شرع في ذلك الشيء فإن تنزيل المشارف للشيء منزلة من شرع فيه كثير. ألا ترى إلى أنه عليه الصلاة والسلام جعل الماشي

تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي وقتها وهو الطهر، فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتوقيت. ومن عد العدة بالحيض، علق اللام بمحذوف مثل

إلى الصلاة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها حيث قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسرعون وائتوها تمشون وعليكم السكينة، فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة». وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال أحدكم في الصلاة ما انتظر الصلاة». **قوله:** (أي وقتها) على أن اللام للتأقيت بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] فمعنى الآية: فطلقوهن في عدتهن أي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر، فإن المطلقة إذا كانت ممن تحيض فإن عدتها لا تنقضي إلا بانقضاء ثلاثة قروء لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] والتربص الانتظار، والقرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض ويجمع على أقراء وقروء. والأئمة الحنفية حملوا القرء على الحيض بناء على أن الغرض من إيجاب العدة العلم ببراءة الرحم وذلك يحصل بالحيض لا بالإطهار ولأن قوله عليه الصلاة والسلام: «دعي الصلاة أيام أقرائك» صريح في أن المراد به الحيض. والإمام الشافعي حمله على الإطهار ودلائل الفريقين مذكورة في موضعها. وثمرة الخلاف تظهر فيما إذا طلق الرجل حال طهرها فإنه لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة عند الحنفية، وعند الشافعية لما شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها. واتفق الفريقان على أن زمان الطلاق المشروع هو زمان الطهر الخالي عن الجماع لما روى نافع أن ابن عمر طلّق امرأته وهي حائض طلقة واحدة، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر من حيضتها فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء. رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى. والطلاق البدعي أن يطلقها في حالة الحيض، أو في طهر قد جومعت فيه، أو يوقع ثلاثًا بكلمة واحدة في أي حال كان وهو واقع وصاحبه آثم. فلما كانت العدة عند الشافعية هي الأطهار الثلاثة كان المناسب أن تكون اللام في قوله تعالى: ﴿لعدتهن﴾ للتأقيت بمعنى في عدتهن أي في الوقت الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر فعلى هذا تتعلق اللام بقوله: ﴿طلقوهن﴾ وأما من حمل القروء على الحيض وعد العدة بها فإنه لا يمكنه جعل اللام للتأقيت للإجماع على أن الطلاق في حالة الحيض منهي عنه بل يجعلها متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام فيجعل تقدير الكلام: فطلقوهن مستقبلات لعدتهن أي متوجهات إليها. وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم على القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها كقولك: أتيته لليلة بقيت من المحرم أي مستقبلاً لها. وفي قراءة رسول الله ﷺ: «من قبل عدتهن» والمراد أن يطلقن في طهر لم

مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالإطهار وإن طلاق المعتدة بالأقراء ينبغي أن يكون في الطهر وأنه يحرم في الحيض من حيث إن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه النهي لا يستلزم الفساد، كيف وقد صح أن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته حائضًا أمره عليه بالرجعة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله. ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدة والإضرار بهن ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن.

يجامعن فيه ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن. وهذا أحسن الطلاق وأجمله في السنة، وهو أبعد عن الندم من تفرقة الثلاثة في ثلاثة أطهار. والإمام مالك رحمه الله لا يرى السني إلا واحدة في طهر خلا عن الجماع ويكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة. وعند الإمام الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث وقال: لا أعرف في الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح كله في وقت السنة. وعندنا يراعى التفريق والوقت ليكون سنيًا. والآية تدل على إيقاع الطلاق في الطهر، ودلت السنة على أن ذلك الطهر يجب أن يكون خاليًا عن الجماع حتى يكون الطلاق سنيًا وهي ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال في حق ابن عمر: «فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها». **قوله:** (**وظاهره يدل على أن العدة بالإطهار**) كما ذهب إليه الإمام الشافعي لأنه تعالى لما قال: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أي في زمان عدتهن وهو الزمان الذي يصح أن تعتد فيه وهو زمان الطهر لأن زمان العدة لو كان زمان الحيض لكان معنى الآية، فطلقوهن في زمان الحيض، والتطليق فيه بدعي حرام بالإجماع، فعلم منه أن طلاق من تحيض ينبغي أن يكون في الطهر وأن عدتها تكون بالإطهار لا بالحيض.

قوله: (**واضبطوها وأكملوها**) أمر الله تعالى الذين طلقوا النساء بأن يضبطوا فصول عدتها وإكمالها سواء كانت عدتها بالأقراء أو بالأشهر ليتمكنوا من تفريق الطلاق على الأقراء إذا أرادوا تطليقها ثلاثًا، وليعلموا بقاء زمان الرجعة ويتمكنوا من الرجعة إن حدثت لهم داعية الرجعة، وليعلموا بقاء زمان وجوب الإنفاق عليهم وانقضائه. ثم أمرهم بأن يتقوا الله ولا يعصوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه بقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] ومن الضرار بها أن يراجعها في عدتها لا لقصد الإمساك بالمعروف والإحسان بل ليطلقها ثانيًا تطويلاً للعدة عليها. **قوله:** (**من مساكنهن**) أي التي يسكنها قبل الطلاق إشارة إلى أن إضافة البيوت إليهن مع أنها بيوت الأزواج لملابستها بهن من حيث السكنى.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ باستبدادهن أما لو اتفقا على الانتقال جاز إذا لحق لا يعدوهما. وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق. وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ مستثنى من الأول. والمعنى: إلا أن تبذو على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط حقها أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها. أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾

قوله: (وفي الجمع بين النهيين) أي بين النهي عن الإخراج والخروج دلالة على أنها تستحق على الزوج أن يسكنها فيما تسكن فيه قبل الطلاق كما تستحق عليه النفقة وعلى أنه يلزمها أن تلازم مسكن الفراق. فإن النص بعبارته لما أثبت حرمة الإخراج عليه أثبت بدلالته أنها تستحق على الزوج السكنى، وكذا لما أثبت حرمة الخروج عليها أثبت بدلالته أن يجب عليها ملازمة مسكن الفراق وقوله: «ملازمة مسكن الفراق» مرفوع على أنه فاعل «لزومها». **قوله: (أما لو اتفقا على الانتقال جاز)** هذا عند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وأما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فلا أثر لإذن الأزواج في إباحة خروجهن لأن وجوب ملازمة مسكن الفرقة عليها حق الشرع بناء على أن خروجها منه حرام بصريح نهي الشارع عنه وحق الشرع لا يسقط بإسقاط العبد. وقال الإمام الشافعي: هو حق العبد فإن المعتدة تستحق على الزوج النفقة والسكنى لكونها محتبسة في منزل الزوج لمنفعة تعود إليه، فإن العدة إنما وجبت عليها صيانة للمياه عن الاشتباه وللأنساب عن الالتباس، فإنه لو لم تجب العدة عليها لربما تزوجت بآخر وأتت ولد لستة أشهر فلا يعلم أن الولد لأيهما، فلما كانت محبوسة لمنفعة ترجع على الزوج وجبت مؤنتها عليه فاستحقت السكنى والنفقة عليه. وكذا الزوج يستحق عليها أن تلازم مسكنه ما دامت في العدة لأن العدة من توابع النكاح ومقتضياته ففي حال بقاء العدة صار النكاح كأنه قائم فيستحق عليها أن تكون في مسكنه حال العدة كما تكون فيه حال قيام النكاح، فلما كان الحق لا يعدوهما جاز لها الانتقال إذا اتفقا عليه. **قوله: (مستثنى من الأول)** وهو النهي عن الإخراج، وحينئذٍ يحتمل أن يراد بالفاحشة بذاؤها على زوجها وأحمائها. والبذاء بالمد الفحش بالقول وإطالة للسان. وأحماء المرأة أم زوجها وكل شيء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم أحماء واحدهم حم. ويحتمل أن يراد بها الزنى فتخرج لقيام عليها الحد فيحل للأزواج إخراجهن من بيوتهن لبذائهن وسوء خلقهن. روي أن فاطمة بنت قيس كانت في نساء فاستطالت على أحمائها في عدتها فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم، وإذا زنت تخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها. **قوله: (أو من الثاني)** وهو النهي عن الخروج فحينئذٍ يكون المراد بالفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة. ويكون المعنى: ولا يخرجن إلا إذا ارتكبن الفاحشة بالخروج. وهذا أبلغ في المنع عن

الإشارة إلى الأحكام المذكورة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بأن عرضها للعقاب ﴿لَا تَدْرِى﴾ أي لا تدري النفس، أو أنت أيها النبي، أو المطلق. ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو استئناف.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ شارفن آخر عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن عشرة وإنفاق مناسب ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً لعدتها. ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعة أو الفرقة

الخروج من حيث دلالته على علة المنع عنه وهي كونه فاحشة. وقوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين﴾ **حال من فاعل** ﴿لا يخرجن﴾ **أو من مفعول** ﴿لا تخرجوهن﴾ **أي لا يخرجن أولاً تخرجوهن في حال من الحالات إلا في حال كونهن آتيات بفاحشة و «أن» مع الفعل في تأويل المصدر أي إلا إتيانًا بمعنى آتيات بفاحشة أو إلا ذوات إتيان بفاحشة. قوله: (الإشارة إلى الأحكام المذكورة) وهي أن يطلق الرجل امرأته إذا شاء تطليقها وقت عدتهن أي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وهو زمان طهر لم يجامعها فيه وما سواه من الأحكام والحدود، وهي الأمور المانعة من المجاوزة شبهت أحكام الله تعالى بها فأطلق عليها اسم الحدود. قوله: (وهو الرغبة في المطلقة) أي بعد الرغبة عنها وتطليقها على الوجه المذكور. فإن المفسرين أجمعوا على أن المراد بالأمر ههنا الرغبة في الرجعة والندامة على عزيمة الطلاق والميل إلى إمساكها بالمعروف. والآية تعليل للمحافظة على الأحكام المذكورة من تطليقهن لعدتهن وإحصاء العدة والتجانب عن الإخراج والخروج، فإن التطليق على الوجه المذكور لما لم يقطع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله:** ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا﴾ **فإن العدة إذا لم تكن مضبوطة أو انتقلت المرأة من منزل زوجها أشكل أمر الرجعة وهذا يدل على أن الأحسن أن يطلقها الرجل واحدة ثم يتركها حتى تنقضي العدة، أو يفرق تطليقها ويطلقها ثلاثًا في ثلاثة أطهار لأنه حينئذٍ يمكن للزوج رجعتها إن ندم على ما فعل، بخلاف ما إذا أوقع الثلاث دفعة واحدة لأنه حينئذٍ لا يمكن له أن يراجعها ولا أن يستأنف نكاحها إلا بعد التحلل بزوج آخر فإنه إذا جمع الثلاث في وقت واحد لم يبق معنى لقوله:** ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا﴾.

قوله: (شارفن آخر عدتهن) فسر بلوغ الأجل الذي هو آخر العدة بمقاربة انقضائه كما فسر قوله: ﴿طلقتم﴾ **النساء بقوله: «أردتم طلاقهن» لأنه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة حتى يقال: إذا بلغن آخر عدتهن فأنتم بالخيار إن شئتم الرجعة والإمساك بالمعروف، وإن شئتم ترك الرجعة وإبقاء الفراق. قوله: (على الرجعة أو الفرقة) لما كان الأمر بالإشهاد للندب عند أبي حنيفة وعند الإمام الشافعي في أحد قوليه كان معنى الآية واشهدوا عند**

تبريًا من الريبة وقطعًا للتنازع وهو ندب كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وعن الشافعي وجوبه في الرجعة. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ أيها الشهود عند الحاجة. ﴿لِلَّهِ﴾ خالصًا لوجهه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يريد الحث على الإشهاد والإقامة، أو على جميع ما في الآية. ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فإنه المنتفع به والمقصود تذكيره. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحًا أو ضمنًا من الطلاق في الحيض، والإضرار بالمعتدة، وإخراجها من المسكن، وتعدي حدود الله، وكتمان الشهادة، وتوقع جعل على إقامتها بأن يجعل الله له مخرجًا مما في شأن الأزواج من المضايق والغموم

الرجعة والفرقة جميعًا إذ لا نزاع في كونه مندوبًا عند كل واحد منهما، فإيراد كلمة «أو» في قوله: «أو الفرقة» بناء على أن الواقع أحدهما، والمعنى: إن اختار الرجعة أشهد عليها وإن اختار الفرقة وتركها حتى انقضت عدتها أشهد عليها. **قوله:** (تبريًا من الريبة) علة الإشهاد على الرجعة. فإنه إذا راجعها ولم يشهد عليها يتهم في إمساكها بإنه إمساك المطلقة. وقوله: «وقطعًا للتنازع» يصح كونه علة لكل واحد من الإشهاد على الرجعة وعلى الفرقة، فإنه إن لم يشهد على الرجعة لربما أنكرت المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها، وإن لم يشهد على الفرقة لربما يموت أحدهما فيدّعي الباقي منهما ثبوت الزوجية. **قوله:** (وعن الشافعي وجوبه في الرجعة) إشارة إلى أن الإمام الشافعي له قولان في قول: يجب الإشهاد على الرجعة وفي قول آخر: لا يجب بل هو مندوب في كل واحد من الرجعة والفرقة، وهو قول أبي حنيفة رحمهما الله. **قوله:** (يريد الحث على الإشهاد والإقامة) يعني أن قوله: ﴿ذلكم﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى ما ذكر عن قريب وهو الإشهاد والإقامة، وأن يكون إشارة إلى جميع ما في الآية من إيقاع الطلاق على وجه السنة، وإحصاء العدة، والامتناع عن الإخراج والخروج والإشهاد، وإقامة الشهادة بأدائها على وجهها من غير تبديل وتغيير خالصًا لوجهه من غير توقع جعل. ويرجح الأول إفراد المشار إليه والثاني كونه أشد ملاءمة لقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا﴾ لا سيما على تقدير كونه معترضًا أي جملة اعتراضية بين قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ إلى قوله: ﴿واليوم الآخر﴾ وبين قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [الطلاق: ٤] الآية فإن القولين مرتبطان فإنه على تقدير كونه معترضًا يكون المقصود منه تأكيد ما ذكر من أول السورة إلى هنا مما يتعلق بطلاق النساء وإمساكهن وإذا كانت الإشارة إلى ذلك المجموع أيضًا يتلاءم الكلامان. **قوله:** (من الطلاق في الحيض) فإنه منهي عنه في ضمن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١] ويكون المعنى: ومن يتق الله وطلق للسنة، ولم يضار المعدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل

ويرزقه فرجًا وخلفًا من وجه لم يخطر بباله، أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون. أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ومن يتق الله﴾» فما زال يقرأها ويعيدها. روي أن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال: «اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها. فنزلت. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد. وقرأ حفص بالإضافة. وقرىء «بالغ أمره» أي نافذ و«بالغًا» على أنه حال والخبر

الله له مخرجًا في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق، ويفرج عنه ويرزقه من وجه لا يخطر بباله إن أعطاها مهرها وافيًا وأدى الحقوق قل ماله أو كثر. وقوله: «بأن يجعل الله له مخرجًا» متعلق بقوله: «بالوعد على الاتقاء» وقوله: «أو بالوعد لعامة المتقين» معطوف على قوله: «بالوعد» فإن وعد عامة المتقين يؤكد ما سبق من قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١] كما أن الوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحًا أو ضمنًا مما ذكر من أول السورة إلى هنا يؤكد ذلك. **قوله:** (**أو كلام جيء به**) عطف على قوله جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه بما سبق عليه لكونه تأكيدًا له أو بيانًا أو نحو ذلك، وإنما ذكر في هذا الموضع من حيث إنه تعالى أمر المؤمنين بإمساكهن أو تطليقهن بالمعروف وذكر أمورًا شتى، ثم أشار إلى جميع ذلك بطريق الفذلكة وحكم عليه بأنه موعظة وتذكير للمتقين الذين يذكرون الله تعالى واليوم الآخر في جميع شؤونهم، فلما أنجز الكلام إلى ذكرهم أردف الكلام بذكر الوعد على إيمانهم واتقائهم بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون استطرادًا أي من غير أن يقصد به تعلقه بما كلف به المؤمنون في حق إمساك النساء وتطليقهن وإن دخل فيهم الذين يتقون عما نهى عنه بالآية المقدمة صريحًا أو ضمنًا مما سبق من الآيات. **قوله:** (**وعنه عليه الصلاة والسلام الخ**) تأييد لكونه استطرادًا. **قوله:** (**تغفل عنها العدو**) أي اغتنم غفلتهم عنها وأخذها منهم على غفلة. وفي الصحاح: تغفلته إذا اهتبلت غفلته، والاهتبال الاغتنام ووجدان الفرصة. **قوله:** (**وقرأ حفص بالإضافة**) أي برفع ﴿بالغ﴾ من غير تنوين وجر ﴿أمره﴾ على إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله للتخفيف. وقرأ الباقون بالتنوين والنصب على الأصل لأن «بالغ» اسم فاعل بمعنى الاستمرار المتناول للحال والاستقبال فيعمل عمل الفعل فينصب مفعوله كما ينصبه «بلغ» في قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٢] وقرىء «بالغ أمره» بتنوين بالغ ورفع أمره أي على أنه فاعل بالغ بمعنى نافذ والمعنى: إن الله أمره نافذ. ويحتمل أن يكون ارتفاع أمره على الابتداء و«بالغ» خبره

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ تقديرًا أو مقدارًا أو أجلاً لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ لكبرهن ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن أي جهلتم ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ قيل: فما عدة اللائي لم يحضن؟ فنزلت ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ أي واللائي لم يحضن بعد كذلك. ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ منتهى عدتهن. ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن. والمحافظة على عمومه أولى من محافظة

والجملة خبر «أن» و«بالغًا» حال من فاعل «قد جعل» فيكون لفظ الجلالة في قوله: ﴿قد جعل الله﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير.

قوله: (وهو بيان لوجوب التوكل) فلذلك لم يعطف على قوله: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ ووجه كونه بيانًا له أن من كان بالغًا أمره ولا يعجزه شيء من المطالب، وجعل لكل شيء من الشدة والرخاء وغيرهما من الحوادث المتجددة تقديرًا أو مقدارًا حدًا معينًا أو أجلاً ونهاية ينتهي إليه البتة ولا يتأتى تغييره، لا جرم يجب على كل عاقل أن يتوكل عليه ولا يبقى له سوى التسليم والاعتماد على تقديره والرضى بقضائه. ووجه كونه تقريرًا لما تقدم وتمهيدًا لما سيأتي ظاهر. **قوله تعالى:** (واللائي) مبتدأ ﴿ويئسن من المحيض﴾ صلته و«من» الأولى لابتداء الغاية متعلقة «بيئسن» والثانية للتبيين متعلقة بمحذوف. وقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ شرط وقوله: ﴿فعدتهن﴾ مبتدأ و﴿ثلاثة أشهر﴾ خبره والجملة الاسمية جواب الشرط والفاء فيها فاء الجواب، والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر «اللائي» ومتعلق الارتياب محذوف والتقدير: إن ارتبتم في عدتهن فعدتهن كذا. وواحد اللائي التي وقوله: ﴿واللائي لم يحضن﴾ مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر المبتدأ الأول فقدره الزمخشري جملة حيث قال: والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر أيضًا. والأولى أن يقدر مفردًا كما فعله المصنف حيث قال: واللائي لم يحضن بعد كذلك أو مثلهن. وقوله: ﴿وأولات الأحمال﴾ مبتدأ و﴿أجلهن﴾ مبتدأ ثان و﴿أن يضعن حملهن﴾ خبر الثاني والجملة خبر الأول. ويجوز أن يكون «أجلهن» بدل اشتمال من «أولات» و«أن يضعن» خبره «وأولات» واحدتها ذات ولا واحد لها من لفظها. روي أنه لما نزلت عدة ذوات الأقراء والمتوفى عنها زوجها في سورة البقرة قال بعضهم: يا رسول الله إن ناسًا يقولون قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: «ما هو» قال: الصغار والكبار وذوات الأحمال. فنزلت الآيات الثلاث لبيان عدتهن. **قوله:** (وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن) يعني أن الحكم بانقضاء العدة بوضع الحمل

عموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لأن عموم أولات الأحمال بالذات وعموم أزواجًا بالعرض، والحكم معلل هنا بخلاف «ثم» ولأنه صح أن

حكم كل من كانت ذات حمل سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لو وضعت ما في بطنها وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد لانقضت عدتها وحلت للأزواج. وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين، إما بوضع الحمل أو بانقضاء أربعة أشهر وعشر فأيهما أبعد من الآخر تعتد به. لأنه لما وقع التعارض بين قوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ وبين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] واقتضت الآية الأولى أن تنقضي عدتها بوضع الحمل وإن وضعت عقيب موت زوجها بيوم أو ساعة، واقتضت الآية الثانية أن لا تنقضي عدتها إلا بمضي أربعة أشهر وعشر فجمع بينهما احتياطًا. وعامة الصحابة على أن عدتها إنما تنقضي بوضع الحمل. واختاره المصنف حيث قال: والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وتفصيل المقام أن كل واحدة من أولات الأحمال والمتوفى عنها زوجها عام من الآخر من وجه وخاص منه من وجه آخر لتصادقهما في الحامل المتوفى عنها زوجها، وصدق الأولى بدون الثانية في الحامل المطلقة وصدق الثانية بدون الأولى في المتوفى عنها زوجها، وقد حكم على كل واحدة منهما بحكم يخالف حكم الأخرى فتعارضت الآيتان بحسب الظاهر. إذ المراد بالتعارض أن يكون اقتضاء أحد الدليلين من الحكم في مادة معينة خلاف ما يقتضيه الدليل الآخر، والآيتان كذلك في مادة تناولهما وهي الحامل المتوفى عنها زوجها. وإنما قلنا: إنهما متعارضتان بحسب الظاهر بناء على ما تقرر من امتناع التعارض الحقيقي بين الأدلة الشرعية لأن التعارض الحقيقي بينها أن يكون بأن ينزل الشارع دليلين متناقضين في زمان واحد وهو تكليف بما لا يطاق وهو وإن كان جائزًا عند الأشاعرة إلا أنه غير واقع بالاتفاق، فلا بد أن يكون نزول أحد المتعارضين سابقًا على نزول الآخر فيكون المتأخر نزول ناسخًا للمتقدم إن علم تاريخ نزولهما، وإن جهل توهم تعارضهما بالنسبة إلينا وإن لم يتعارضا في الواقع. وما نحن فيه من الآيتين من هذا القبيل فإنهما متعارضتان بحسب الظاهر في مادة تناولهما.

قوله: (والحكم معلل هنا) وذلك أن الحكم بأن أجلهن وضع حملهن رتب على الموصوفات بكونهن أولات أحمال. وتعليق الحكم بالوصف الصالح للعلية مشعر بالعلية لذلك الحكم كما إذا قلت: المسكر حرام بخلاف حكم «يتربصن» إذ لا تعرض فيه لعلية الحكم، فاختار المصنف أن يحافظ على عموم آية سورة الطلاق ويعمل بحكمها في جميع

سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «قد حللت فتزوجي»، ولأنه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأول راجح للوفاق عليه. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أحكامه فيراعي حقوقها ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ يسهل عليه أمره ويوفقه للخير. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من

من يصدق عليها أنها ذات حمل حرة كانت أو أمة مطلقة أو متوفى عنها زوجها. ويلزم من ذلك أن يخصص عموم قوله: ﴿أزواجًا﴾ في قوله: ﴿ويذرون أزواجًا﴾ بحملها على غير الحامل المتوفى عنها زوجها. واستدل عليه بوجوه: الأول أن أولات الأحمال عام بذاته أي بالنظر إلى نفس لفظ «أولات الأحمال» مع قطع النظر عن أمر خارج عن نفس مفهوم اللفظ، بخلاف عموم «أزواجًا» فإنه نكرة في سياق الإثبات ولا عموم لها بذاتها عند الجمهور بل هو عام بالعرض، فإن عموم «أزواجًا» إنما يستفاد من وقوعه في حيز صلة الموصول أي بالنظر إلى نفس لفظ «أزواجًا» وقولهم: إن أزواجًا في آية المتوفى عنها تعم لأولات الأحمال وغيرها، لم يريدوا به بنفس لفظها بل المراد عمومها بواسطة كونها في حيز صلة الموصول العام بذاته. ولما كان عموم «أزواجًا» بالعرض لم يصلح معارضًا لعموم العام بذاته فلذلك حملت الأزواج في آية المتوفى عنها زوجها على غير الحوامل. والثاني أن الحكم في آية سورة الطلاق معلل بكون المعتدة ذات حمل لما اشتهر من أن تعليق الحكم على الوصف الصالح للعلية تعليل لذلك الحكم به، ولا شك أن كون الرحم مشغولاً بحق الغير يصلح لأن يكون علة لكون المرأة ممنوعة عن التزوج إلى فراغ رحمها منه، وهذه العلة متحققة في كل واحدة من الحامل المطلقة والحامل المتوفى عنها زوجها، فوضع حملها يكون علة لفراغ رحمها منه وعدم وضعها يكون علة ممنوعيتها عن التزوج إلى فراغ رحمها منه كالحامل المطلقة، وأن يكون الاعتداد بالتربص المذكور في سورة البقرة مختصًا بمن لم تكن ذات حمل لأن الحكم بأن عدة المتوفى عنها زوجها التربص المذكور غير معقول المعنى بل هو أمر تعبدي لا تعرض فيه للعلة والحكم المعلل أقوى فهو بالاعتبار أولى، وعدم تخلفه عما تخلفت العلة فيه أجدر وأحرى. والثالث أنه عليه أفضل الصلاة والسلام حكم بانقضاء عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بمجرد وضع حملها من غير أن يمضي عليها بعد وفاة زوجها أربعة أشهر وعشر. فهذا الحديث صريح في اعتبار عموم «أولات الأحمال» للمطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وتخصيص «أزواجًا» بغير الحامل كما فعله عمر رضي الله عنه فيما روينا عنه آنفًا. والرابع يتوقف بيانه على مقدمة وهي أن الأئمة الحنفية والشافعية رحمهم الله اختلفوا فيما إذا تعارض الخاص والعام؛ فذهب الشافعية إلى أن الخاص يخصص العام مطلقًا أي سواء علم تاريخ نزولهما أولم يعلم، والحنفية ذهبوا إلى أن المتأخر في النزول عامًا كان

الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في أحكامه فيراع حقوقه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ بالمضاعفة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ

أو خاصًا ناسخ للمتقدم إذا علم تاريخ نزولهما، ولا يحملون العام على الخاص مطلقًا كما ذهب إليه الشافعية. إذا عهدت هذه المقدمة فنقول: آية سورة الطلاق نزلت بعد آية سورة البقرة لقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من شاء باهلته عند الحجر الأسود أن سورة النساء القصرى - يعني سورة الطلاق - نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة. ولما تعارض الدليلان وكانت آية الطلاق متأخرة في النزول فلا يخلو إما إن تقدم آية الطلاق ويعمل بها في حق المتوفى عنها زوجها أيضًا أو بالعكس، فاللازم من الأول تخصيص عموم الأزواج المذكورة في سورة البقرة بمن لم تكن ذات حمل، وهو صحيح على كل واحد من المذهبين. أما على مذهب الإمام الشافعي فلأن الخاص الذي هو أولات الأحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الإمام الشافعي، وأما على مذهب أبي حنيفة فلأن آية سورة الطلاق لتأخر نزولها نسخت عموم الأزواج المذكورة في سورة البقرة وخصصتها بمن لم تكن ذات حمل. فثبت أن العمل بآية سورة الطلاق موافق لكل واحد من المذهبين بخلاف العمل بآية سورة البقرة، فإنه لا يوافق مذهب الحنفية لأنهم يجعلون مقدم النزول منسوخًا بالمتأخر فلا يعملون به، وإنما يوافق مذهب الشافعية. وقيل: هو بناء العام على الخاص وحاصله تخصيص العام بالخاص، وهو أن يخصص العام بالخاص لأنه إن حكم بالتربص في حق الحامل المتوفى عنها زوجها فقد لزم أن يخصص عموم أولات الأحمال بحملها على المطلقات مع أنها بحسب مفهومها تعم المتوفى عنها زوجها. قال المصنف في أصوله المسمى بالمنهاج: الخاص إذا عارض العام يخصصه علم تاريخه أم لا. وأبو حنيفة يجعل المتقدم منسوخًا ويوقف حيث جهل لنا إعمال الدليلين أولى. انتهى كلامه. يعني إذا خصص العام بالخاص يعمل الخاص في جميع أفراده والعام في بعض أفراده، ولو جعل العام ناسخًا للخاص كان إبطالاً للخاص بالكلية، مثلاً إذا كان المتوفى عنها زوجها خاصًا بمن لم تكن ذات حمل وجعل حكم أولات الأحمال ناسخًا لحكم المتوفى عنها زوجها، وقد فرضنا كونها خاصًا بمن لم تكن ذات حمل لزم إبطال حكمها في حق جميع أفرادها وإعمال الدليلين بقدر الإمكان أولى من إبطال أحدهما بالكلية. هذا ما تيسر لي في توضيح المقام بعون الله تعالى ولي الإنعام والإطعام، فإن أصبت الحق فبفضل الله وإحسانه، وإن أخطأت فمن قصور فهمي ونقصانه. ثم إنه تعالى لما حث على التقوى في عامة أحكامه التي يدخل فيها حكم المعتدات دخولاً أوليًا بيّن كيفية التقوى في حكمين على طريق الاستئناف فكأنه قيل: كيف يتقي الله تعالى في حق المعتدات؟ فأجيب

﴿حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي مكانًا من مكان سكناكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ من وسعكم أي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله: ﴿من حيث سكنتم﴾ ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ في السكنى ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ فتلجئوهن إلى الخروج ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدة. وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحايث تؤيده. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علقة النكاح ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على

بأن قيل: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ إلى آخر الآيات. **قوله: (أي مكانًا من مكان سكناكم)** إشارة إلى أن «من» في قوله: ﴿من حيث سكنتم﴾ للتبعيض والمبعض محذوف فكأنه قيل: أسكنوهن مكانًا هو بعض من مكان سكناكم، ثم فسر مكان سكناهم بقوله: ﴿من وجدكم﴾ أي ما تطيقونه والوجد بالحركات الثلاث في الواو الوسع والطاقة، وقرىء بهن جميعًا. قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه. **قوله: (وهو عطف بيان)** نوقش فيه بأنه لم يعهد في عطف البيان إعادة العوامل وإنما عهد هذا في البدل، ولذلك أعربه أبو البقاء بدلاً من حيث «سكنتم» كأنه قيل: اسكنوهن من وجدكم أي مكانًا مما تطيقونه.

قوله تعالى: (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن في شأن السكنى بسبب من الأسباب كإنزال من لا يوافقهن فيه أو شغل مكانهن بأسبابكم ونحو ذلك لتضيقوا أمر السكنى عليهن. **قوله: (وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات)** وذلك أنه تعالى لما ذكر السكنى أطلقها لكل معتدة ولما ذكر النفقة قيدها بالحمل، فدل على أن غير الحامل من المعتدات لا نفقة لها وهو مذهب الإمام الشافعي، فإن تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده. وعند أبي حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل معتدة سواء كانت مطلقة ثلاثًا أو واحدة رجعية أو بائنة ما دامت في العدة، أما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وإنما يزول النكاح بمضي المدة وكونه في معرض الزوال بانقضاء العدة لا يسقط النفقة، كما لو آلى أو علق طلاقها بمضي شهر مثلاً فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالإجماع. وأما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى جميعًا، وعند الإمام الشافعي لها السكنى ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً لهذه الآية. **قوله: (بعد انقطاع علقة النكاح)** أي بوضع حملهن فإن حكمهن بعد انقطاعها حكم الإماء فيجوز استئجارهن لإرضاع ولدهن عند الحنفية، خلافًا للإمام الشافعي فإنه لا يجوز استئجارها لإرضاع ولدها بناء على أنه لما لم يجب عليها إرضاع ولدها صارت كالأجنبية. فقول المصنف: «بعد انقطاع علقة النكاح» لا يناسب مذهبه فإن استئجار الأم للإرضاع يجوز عنده حال قيام علقة النكاح وبعد انقطاعها لا يجوز إلا أن يقال إنه ليس للاحتراز بل هو تفسير لمعنى الفاء في قوله: ﴿فإن أرضعن

الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وليأمر بعضكم بعضًا بجميل في الإرضاع والأجر ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾ امرأة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ فإنه تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ أي عاجلاً أو آجلاً. ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أعرضت عنه إعراض العاتي المعاند ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾ منكرًا. والمراد حساب الآخرة وعذابها. والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾ لا ربح فيها أصلاً ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلاً. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ يعني بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر وهو القرآن، أو لأنه مذكور في السموات، أو ذا ذكر أي شرف،

لكم﴾. **قوله:** (وليأمر بعضكم بعضًا) يعني أن الائتمار افتعال من الأمر يقال: ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضًا. والخطاب للأزواج من الرجال والنساء والمراد نهيهم عن أن يحمل بعضهم بعضًا على العسرة والضيق فيما يتعلق بإرضاع الولد بأن يكلف كل واحد منهما الآخر فوق ما ينبغي وما يعتاد. ثم إنه لما ذكر في هذه السورة حدودًا ونهى عن تعديها، ذكر الذين تعدوا حدوده من الأمم الماضية وما حل بهم تأكيدًا لإيجاب المحافظة على ما ذكر من الحدود والأحكام وتخويفًا من التقصير في رعايتها فقال: ﴿وكأين من قرية﴾ أي وكثير من أهل قرية عتت، والعتو بمعنى العناد وهو لا يتعدى بـ «عن» وعدي بها في الآية لتضمنه معنى الإعراض كأنه قيل: أعرضت عنه بسبب عتوها. و «كأين» بمعنى «كم» الخبرية في كونها للتكثير. **قوله:** (لا ربح فيها أصلاً) مبني على أن تنوين «خسر» للتعظيم. **قوله تعالى:** (الذين آمنوا) منصوب بإضمار أعني بيانًا للمنادى في قوله: ﴿يا أولي الألباب﴾ أو عطف بيان للمنادى أو نعت له. **قوله:** (يعني الذكر جبريل عليه الصلاة والسلام) على أن يكون إطلاق الذكر عليه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة في كونه ذكرًا، أو على أنه مجاز مرسل من قبيل تسمية الملك المنزل باسم القرآن المنزل. والقرآن يطلق عليه الذكر لاشتماله على ذكر الله تعالى أو لكونه آمرًا به فيكون إطلاقه على الملَك مجازًا في المرتبة الثانية، أو على أن

أو محمدًا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن، أو تبليغه وعبر عن إرساله بالإنزال ترشيحًا، أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه. وأبدل منه «رسولاً» للبيان أو أراد به القرآن و«رسولاً» منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكرًا مصدر و«رسولاً» مفعوله، أو بدله على أنه بمعنى الرسالة.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ حال من اسم أو صفة رسولاً. والمراد «بالذين» في قوله: ﴿لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الذين آمنوا بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما

يكون الذكر بمعنى المذكور كضرب الأمير فإنه عليه الصلاة والسلام مذكور في السمٰوات، أو على أن الذكر بمعنى ذي الذكر الذي هو الشرف. **قوله:** (**لمواظبته على تلاوة القرآن**) يعني أنه عليه الصلاة والسلام شبّه بالذكر وهو القرآن لشدة ملابسته به تلاوة أو تبليغًا، فاستعير له اسم الذكر وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الإنزال ترشيحًا للاستعارة. ويجوز أن يكون الإنزال مجازًا مرسلاً عن الإرسال بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب، فإن إنزال الوحي إليه ﷺ سبب لإرساله. **قوله:** (**أو أراد به**) أي بالذكر القرآن فيكون «رسولاً» منصوبًا بفعل محذوف دل عليه أنزل أي أنزل الله إليكم القرآن وأرسل إليكم رسولاً، فإن إنزال الذكر يدل على إرسال الرسول.

قوله: (**أو ذكرًا مصدر ورسولاً مفعوله**) فإن المصدر المنون لكونه في تأويل أن مع الفعل يعمل عمل فعله كما في قوله تعالى: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا﴾ فكأنه قيل: ﴿قد أنزل الله إليكم أن ذكر رسولاً﴾ ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ولكن رسول الله ونحوهما. **قوله:** (**أو بدله على أنه بمعنى الرسالة**) والمعنى حينئذٍ: قد أنزل إليكم رسالة أي ما يدل على حقية الرسالة. فعلى هذا يكون قوله: ﴿يتلو عليكم﴾ حالاً من اسم الله. **قوله تعالى:** (**مبينات**) قراءة الجمهور على لفظ اسم المفعول أي بينها الله كما قال: ﴿قد بينّا لكم الآيات﴾ وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء على لفظ اسم الفاعل أي تبين لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام، وعلى التقديرين هو حال من الآيات. واللام في «ليخرج» متعلق «بأنزل» لا بقوله: «يتلو» لأنه مذكور على سبيل التبعية بخلاف «أنزل» وفاعل «أنزل» إما ضمير الباريء تعالى أو ضمير الرسول أو الذكر. ولفظ الماضي في قوله تعالى: ﴿يا أولي الألباب الذين آمنوا﴾ مبني على أنهم كانوا مؤمنين قبل نزول هذه الآية وقبل خطابهم بما فيها من النداء. **قوله:** (**والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا**) يعني أن المراد بالموصول الذي هو تابع المنادى السابق هو الموصول المذكور في قوله: ﴿ليخرج الذين آمنوا﴾ فيكون الموصول الثاني من وضع الظاهر موضع الضمير إشعارًا بأن المراد بالنور الذي أخرجوا إليه هو الإيمان والعمل الصالح. ولما ورد أن يقال: الامتنان على الذين آمنوا

هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم، أو قدر أنه يؤمن. ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ من الضلالة إلى الهدى ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ وقرأ نافع وابن عامر «ندخله» بالنون ﴿قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١﴾ فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ

قبل نزول الآية بأن يقال: يا أيها الذين آمنوا الآن قد أنزلنا إليكم ذكرًا رسولاً ليخرجكم من ظلمة الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعة، بلام الغاية ولفظ المضارع المشعرين بأنهم غير خارجين عنها حال نزول الآية فاسد، لأنه يستلزم أن يكونوا حال نزول الآية خارجين عن الكفر وغير خارجين عنه. أشار إلى جوابه بقوله: «أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن» وتقريره: أن اللازم من جعل الإخراج غاية للإنزال أن لا يكون الإخراج حاصلاً زمان الإنزال وهو لا ينافي كونه حاصلاً زمان الخطاب، فالمعنى: أيها المؤمنون الآن قد أنزلنا إليكم ذكرًا قبل هذا الآن ليحصل لكم ما أنتم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح. **قوله: (أو ليخرج من علم الخ)** عطف على قوله: ﴿ليخرج الذين آمنوا﴾ أي ويحتمل أن يكون المراد بالموصول الثاني ما هو أعم من الأول لأن المراد بالموصول الأول هم الذين اتصفوا بالإيمان وقت النداء وهو وقت نزول الآية، ولا محذور في أن يخاطبهم الله على سبيل الامتنان ويقول: قد أنزل الله إليكم ذكرًا ليخرج من علم أنه يؤمن أو قدر أنه يؤمن، ولا شك أن من علم الله أنه يؤمن أو من قدر إيمانه أعم من الموجودين المؤمنين وقت النداء. **قوله تعالى: (خالدين فيها)** حال من الضمير المنصوب في «يدخله» وأفرد ضمير «يدخله» حملاً على لفظ «من» وجمع «خالدين» حملاً على معناه ووحد ضمير «له» حملاً على اللفظ، والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل. وقوله تعالى: ﴿قد أحسن الله له رزقًا﴾ حال من ضمير «يدخله» على الترادف لأن ذا الحال واحد وقد انتصب عنه حالان، أو من المنوي في خالدين على التداخل. **قوله: (فيه تعجب وتعظيم)** فإن الجملة الخبرية الغير الموضوعة لإنشاء التعجب قد يقصد بها التعجب كما في قول الشاعر:

وجارة جساس أباءت بنابها ... كليبًا غلت ناب كليب بواؤها

جملة خبرية قصد بها التعجب. وكان كل واحد من جساس وكليب رئيسًا لقبيلة على حدة وجارة جساس امرأة اسمها بسوس يقال إنها خالة جساس، وكان لها ناقة مسنة فرآها كليب في حماه فرماها بسهم فقتلها فشكت بسوس صاحبة الناقة إلى ابن اختها جساس، فغضب فقتل كليبًا قصاصًا لناقة بسوس. فهاجت حرب بين بكر وهي قبيلة جساس ووائل وهي قبيلة كليب أربعين طنة حتى ضرب بها المثل في الشؤم. وقيل: اشأم من بسوس وبها سميت حرب بسوس وضرب لكل ما يعتني بشأنه ويبالغ في حفظه: أعز من حمى كليب.

سَمَوَٰتٍ﴾ مبتدأ وخبر ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن. ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ علة لخلق، أو يتنزل أو مضمر يعمهما فإن كلاً منهما يدل على كمال قدرته وعمله. وعن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ».

والإباءة الاقتصاص وأبأت القتيل بالقتيل إذا قتلته من البواء وهو السواء. والناب الناقة المسنة. وجعل قوله تعالى: ﴿قد أحسن الله له رزقًا﴾ من قبيل ما قصد به التعجب لأنه لو جعل خبرًا محضًا لما كان في ذكره كثير فائدة لأن المراد بالرزق ما رزقوه في الجنة، ومعلوم أنه حسن وأن حسنه خارج عما تدركه العقول والأوهام. **قوله:** (**أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض**) إشارة إلى أن «مثلهن» منصوب بفعل مقدر بعد الواو دل عليه الفعل الناصب للسمٰوات ولم يجعله معطوفًا على «سبع سمٰوات» كما ذهب إليه صاحب الكشاف، لأنه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور وهو مكروه في غير موضع الضرورة. وقرىء «مثلهن» بالرفع على الابتداء وخبره «من الأرض» قدم عليه. ذهب الجمهور إلى أن الأرض سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله. وقال الضحاك: إن الأرضين أيضًا سبع لكنها مطبقة بعضها فوق بعض لا فتوق بينها بخلاف السمٰوات. قال القرطبي: والأول أصح لأن الأخبار دالة على ذلك. **قوله:** (**أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن**) وهو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره على أيدي الملائكة والثقلين. تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاّق ومنّه وكرمه.

سورة التحريم

مدنية وهي ثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ روي أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة أو حفصة، فأطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية. فنزلت. وقيل شرب عسلاً عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له: إنّا نشم منك رائحة المغافير

سورة التحريم

مــدنيــة

بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه الإعانة

قوله: (فواطأت) أي فوافقت. روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى ويحب العسل، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن. فدخل على حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منه شربة فقلت: والله لنحتالن له. فاتفقت أنا وسودة وصفية على أن نقول إذا دخل علينا رسول الله ﷺ ودنا منا: يا رسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول: لا، فلنقل عند ذلك: فما هذه الرائحة الكريهة؟ وكان عليه الصلاة والسلام يشتد عليه أن توجد منه الرائحة الكريهة ويعجبه أن يوجد منه الرائحة الطيبة لمناجاته الملك، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فلنقل: جرست نحله العرفط، وهو نبت له رائحة كرائحة الخمر. ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما

فحرم العمل. فنزلت. ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ تفسير لتحرم، أو حال من فاعله، أو استئناف ببيان الداعي إليه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لك هذه الزلة فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله. ﴿رَحِيمٌ ①﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك. ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ لقد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة، أو الاستثناء

خرج من عند حفصة ودخل علينا قالت كل واحدة منا ما اتفقنا عليه فقال عليه الصلاة والسلام: «لن أعود إلى شرب العسل». قوله: (تفسير لتحرم) **أي عطف بيان له. فإن حقيقة الاستفهام لما لم تتصور منه تعالى حمل على المعاتبة في ارتكابه التحريم وعد ذلك منكرًا منه عليه الصلاة والسلام، ولما خفي وجه كون التحريم منكرًا فسره بما أظهر كونه منكرًا. فإن ابتغاء مرضاة الأزواج من مثله عليه الصلاة والسلام بعيد لأنهن أحق بابتغاء مرضاته عليه الصلاة والسلام منه بابتغاء مرضاتهن، فإنه عليه الصلاة والسلام متفضل بذاته وفضيلتهن إنما هي بالانتساب إليه. وعلى تقدير كونه حالاً من فاعل «تحرم» يكون الإنكار راجعًا إلى القيد، وتقدير كونه استئنافًا ببيان الداعي إلى الإنكار أنه تعالى لما أنكر عليه التحريم اتجه له أن يسأل ويقول:** لم تنكر علي يا رب فيما حرمته على نفسي وقد وجد ذلك من الأنبياء قبلي؟ كما قلت في كلامك المجيد ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: ٩٣] فقيل له: لأنك تبتغي مرضاة أزواجك ومثلك لا ينبغي له ذلك. فهو استئناف لبيان الداعي إلى الإنكار ببيان ما دعاه إلى التحريم وأنه لا يصلح داعيًا إليه. **قوله:** (فإنه لا يجوز تحريم ما أحله الله) فإن ما أحله الله تعالى لا يحرم إلا بتحريم الله تعالى إياه بوحي منزل متلو أو غير متلو، فإن من اعتقد من عند نفسه حرمة شيء قد أحله الله فقد كفر، فإن قيل: إذا لم يجز ذلك فما وجه تحريمه عليه الصلاة والسلام ذلك؟ قلنا: المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالاً له لا اعتقاد كونه حرامًا بعد ما أحله الله تعالى، فإن ذلك لا يتصور من عوام المسلمين فكيف من الأنبياء؟ ولكنه يجوز أن يعد ذلك زلة يعاتب عليها لأن الامتناع عن الانتفاع بإحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول إحسانه، ففيه شائبة سوء الأدب فلذلك عاتبه الله على ذلك بالاستفهام الإنكاري. **قوله:** (قد شرع لكم تحليلها) فسر قوله تعالى: «فرض» بذلك لأن الفرض بمعنى الإيجاب لا يعدى باللام، وأشار بقوله: «تحليلها» إلى أن تحلة مصدر حلل بتضعيف العين أصله تحللة نحو: تكرمة من كرم، والتحليل حل ما عقدته فإن الحالف كأنه عقد على نفسه البر ومحافظة اليمين. وتحليل اليمين يكون على وجهين: الأولى أن يستثني بأن يقول: إن شاء الله متصلاً بيمينه فإن الاستثناء لما كان مانعًا عن انعقاد اليمين صار بمنزلة تحليلها، فإن كلمة إن شاء الله إذا اتصلت بالكلام السابق ترفع حكمه من أي جنس كان. فإن موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل إن شاء الله بوعده في قوله:

فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم: حلل في يمينه إذا استثنى فيها. واحتج به من رأى التحريم مطلقًا أو تحريم المرأة يمينًا وهو ضعيف، إذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينًا مع احتمال أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين كما قيل. ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ متولي أموركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ المتقن في أفعاله وأحكامه.

﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩] ثم لم يصبر لم يكن بعدم صبره مخلف وعده، فإن خلف الوعد من أمارة النفاق لقوله عليه الصلاة والسلام: «آية النفاق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان». فحاشا من الأنبياء أن يكون فيهم آية النفاق، فعلم بذلك أن اقتران الاستثناء بالوعد يخرج الوعد عن كونه منعقدًا، فكذا اقترانه باليمين يخرجها عن الانعقاد، فلذلك جعل بمنزلة التحليل. فإن كان المراد بتحلة الإيمان في الآية الاستثناء يكون المعنى: قد شرع الله لكم تعقيب إيمانكم بالاستثناء كيلا تنعقد فيحنث الحالف بإتيان المحلوف عليه. والوجه الثاني من وجهي تحليل اليمين الحنث فمن حنث في يمينه بإتيان المحلوف عليه فقد انحلت يمينه ويجب عليه الكفارة لإزالة عقوبة الحنث، فإن الحسنات يذهبن السيئات فالكفارة تشعر أن يكون انحلال اليمين بها وليس كذلك بل هي موجب انحلالها بالحنث إلا أن التزام الكفارة لما كان طريقًا إلى تحليلها بالحنث صار منزلة السبب للتحليل فقال ذلك.

قوله: (**واحتج به من رأى التحريم مطلقًا**) أي سواء حرم نحو: الثوب والدابة أو هرم امرأته فمن حرم على نفسه شيئًا منها لا يصير محرمًا عليه لأنه قلب المشروع، والعبد لا يقدر عليه إلا أن الحنفية اعتبروه يمينًا في كل شيء واعتبروا الامتناع عن المنفعة المقصودة مما حرمه على نفسه. فمن حرم على نفسه الطعام أو الشراب ثم أكل أو شرب لزمه كفارة يمين، ومن حرم أمته أو امرأته ثم وطئها أو أقدم على شيء من دواعي الوطء لزمته الكفارة. وعند الإمام الشافعي تحريم الحلال ليس بيمين مطلقًا ولا يجب عليه الكفارة بذلك أصلاً إلا في النساء والجواري، فإن حرم عليه زوجته أو أمته لا يكون ذلك يمينًا عنده إلا أنه يجعله سببًا لوجوب الكفارة عليه بمجرد تحريمه إياها سواء قربها أو لم يقربها، لما ذكره المصنف من أنه تعالى أنكر نفس التحريم وأوجب نقضه وتحليله بالكفارة وهو لا يستلزم كونه يمينًا، وإن توقف وجوب الكفارة على الحنث بالقربان كما ذهب إليه الحنفية فإنه عليه الصلاة والسلام كفر عن تحريمه بأن أعتق رقبة إلا أنه لم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام أعتق بعد استباحة ما حرمه عليه أو قبل الاستباحة. **قوله:** (**مع احتمال أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين كما قيل**) ذكر الإمام محيي السنة نقلاً عن المفسرين أنه عليه الصلاة والسلام

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ يعني حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم مارية أو العسل، أو أن الخلافة بعده لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي فلما أخبرت حفصة عائشة بالحديث. ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ واطلع النبي عليه السلام على الحديث أي على إفشائه ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت. ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ عن إعلام بعض تكرمًا أو جازاها على بعضه بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض

كان يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى أم ولده مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها. فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقًا فرجعت فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقًا وحفصة تبكي فقال عليه الصلاة والسلام: «ما يبكيك»؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي، ما رأيت لي حرمة وحقًا، وما كنت تصنع هذا بامرأة منهن. فقال عليه الصلاة والسلام: «أليس هي جاريتي أحلها الله لي. اسكتي فهي حرام عليّ التمس بذاك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن». فلما خرج عليه الصلاة والسلام قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة رضي الله عنها فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها. وأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها. فنزلت. فهذه الرواية صريحة في أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين بعد التحريم، فوجوب الكفارة مبني عليه ولفظ التحريم لا أثر له فيها. وذكر الإمام محيي السنة أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يرضيها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وبعده في أبيها عمر رضي الله عنهما، فأخبرت به حفصة عائشة فأطلع الله تعالى نبيه على إفشاء حفصة إياه، وعرف النبي حفصة بعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة، وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره عليه الصلاة والسلام أن ينتشر ذلك في الناس تكرمًا منه عليه الصلاة والسلام وحلمًا. فإنه قيل: ما استقصى كريم قط. وكلمة «إذ» في قوله تعالى: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه﴾ مفعول به لا «ذكر» المقدر فهو مفعول به لا ظرف والمعنى: اذكر إذ أسر النبي وفاعل «نبأت» مستتر فيه يرجع إلى بعض أزواجه. والأصل في نحو: نبأ وأنبأ أن يتعدى إلى مفعولين: إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر، وقد يحذف الجار تخفيفًا وقد يحذف الأول اعتمادًا على ما يدل عليه. وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة في هذه الآيات: فإن قوله تعالى: ﴿فلما نبأت به﴾ تعدى إلى اثنين وحذف أولهما، والثاني مجرور

ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فإنه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب إطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس. ويؤيد الأول قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ فإنه أوفق للإعلام ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾

بالباء وهو ضمير الحديث أي نبأت حفصة صاحبتها التي هي عائشة بالحديث الذي أسره إليها رسول الله ﷺ، والضمير المنصوب في «أظهره» للنبي ﷺ وضمير «عليه» راجع إلى الحديث بتقدير المضاف أي على إفشائه فعلى هذا يكون «أظهر» متضمنًا معنى اطلع من ظهر فلان السطح إذا علاه، وأظهره السطح أي رفعه عليه، فاستعير للاطّلاع على الشيء أي أطلع الله النبي على إفشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام. والمرفوع المستتر في «عرف» للنبي ومفعوله الأول محذوف أي عرف النبي ﷺ حفصة بعض ما أفشته إلى صاحبتها بأن قال لها على طريق العتاب: ألم أك أمرتك أن تكتمي سري ولا تبديه لأحد. وذكر لها بعض الذي أفشته وقال لها: إنك قد ذكرت كذا. وسكت عن بعض ولم يذكره لها تكرمًا عن الاستقصاء. وقد قيل: إن الكريم لا يبالغ في العتاب. وهذا المعنى على قراءة التشديد في «عرف» وهي قراءة الجمهور. وقرأ الكسائي بتخفيف الراء قال الفراء: معناه غضب فيه وجازى عليه وهو من قول العرب: أنا أعرف الإحسان أي أجازي عليه. وفي التنزيل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي يجازي عليه وإنما احتيج إلى هذا التأويل على قراءة التخفيف لأن تلك القراءة لا تحتمل غيره، لأنه تعالى أعلمه بجميع ما انبأت به حفصة صاحبتها لقوله تعالى: ﴿وأظهره الله عليه﴾ قال المفسرون: إنه عليه الصلاة والسلام جازى حفصة بأن طلقها طلقة واحدة، فلما بلغ ذلك عمر رضي الله عنه قال: لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله ﷺ طلقك. فأمره جبريل بمراجعتها وشفع فيها وقيل: همّ بطلاقها حتى قال له جبريل: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وأنها من نسائك في الجنة. فلم يطلقها.

قوله: (لكن المشدد من باب إطلاق اسم المسبب على السبب) يعني أن كل واحدة من قراءتي التشديد والتخفيف تدل على معنى المجازاة إلا أنه في قراءة التشديد ذكر المسبب وهو التعريف وأريد السبب الذي هو المجازاة، فإن عتاب المسيء ومجازاته سبب لتعريف إساءته كما أن معرفة إساءة المسيء سبب لمجازاته، فإن مجازاة المسيء بها تعرف إساءته كما أن معرفة إساءته سبب لمجازاته. روي أنه عليه الصلاة والسلام اعتزل نساءه وحلف أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة غضبه عليهن حين عاتبه الله تعالى بسببهن وقعد في مشربة مارية أم إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت الناس يقولون: إنه عليه الصلاة والسلام طلق نساءه، فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت لها: أطلقك رسول

خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة. ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عليه

الله ﷺ؟ قالت: لا أدري هو معتزل في هذه المشربة. فأتيته فدخلت فسلمت عليه فقلت: أطلقت نساءك يا رسول الله؟ فقال: «لا» فقلت: الله أكبر. وفيه تفصيل كثير ذكره في المعالم. فقعد رسول الله ﷺ في بيت مارية حتى نزلت آية التخيير. قالت عائشة: فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليّ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا وأنك قد دخلت مع تسع وعشرين أعدهن. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشهر تسع وعشرون» وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال لي: «يا عائشة إني ذاكر لك أمرًا فعليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك». ثم قال: «إن الله عز وجل قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩] فخيَّرني بمقتضى هذه الآية الكريمة فاخترت الله ورسوله، ثم خير سائر نسائه فقلن كلهن مثل ما قلت رضي الله عنهن أجمعين. وكانت تحته يومئذٍ تسع نسوة: خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أمية وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات: زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب المخزومية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وعن سائر الصحابة أجمعين. والمستتر في قوله تعالى: ﴿فلما نبأها به﴾ ضمير النبي ﷺ والبارز في ﴿نبأها به﴾ ضمير حفصة والمجرور في «به» ضمير الحديث الذي أفشته حفصة أي فلما أخبر النبي حفصة بما أظهره الله عليه من أنها أفشت سره عليه الصلاة والسلام قالت حفصة له عليه الصلاة والسلام: من أخبرك هذا؟ بناء على أنها ظنت أن عائشة أخبرته بذلك. ثم إنه تعالى لما ذكر أن بعض أزواج رسول الله أفشت سره ﷺ ونبأت به صاحبتها خاطبهما على سبيل الالتفات وعاتبهما بأن أخبرهما: إن قلوبكما زاغت عن الحق وأوجب عليهما التوبة فقال: ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ أي من التعاون وإيذائه عليه الصلاة والسلام. روي عن ابن عباس أنه قال: لم أزل حريصًا على أن اسأل عمر عن المخاطب بقوله تعالى: ﴿إن تتوبا﴾ من هما؟ حتى حج وحججت معه. فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالأداوة فسكبت الماء على يديه فتوضأ فقلت له: من هما؟ فقال: عجبًا يا ابن عباس. كأنه كره ما سألته عنه قال: هما حفصة وعائشة. **قوله**: (فقد وجد منكما ما يوجب التوبة) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ ليس جزاء للشرط من حيث إن صغو قلوبهما كان سابقًا على الشرط فلا يصح كونه جزاء له، لأن الجزاء يجب أن يكون مرتبًا على الشرط مسببًا عنه، بل جزاء

السلام بحب ما يحبه وكراهية ما يكرهه. ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ وإن تتظاهرا عليه بما يسوءه. وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين، فإن الله ناصره، وجبريل رئيس الكروبيين قرينة، ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه، والملائكة متظاهرون. وتخصيص جبريل لتعظيمه. والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة

الشرط محذوف والمذكور يدل عليه من حيث إنه علته أي إن تتوبا فقد أتيتما بما وجب عليكما إذ وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب حيث أحببتما ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته واجتناب العسل، وكان عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم يحب العسل والنساء أي أن صغو القلب إلى اجتناب جاريته عليه الصلاة والسلام ذنب موجب للتوبة وجمع القلوب مع أن الشخصين لا يكون لهما أكثر من قلبين لبعد الالتباس وللاحتراز عن الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد. **قوله**: (**وقرأ الكوفيون بالتخفيف**) أصله تتظاهرا فحذفوا إحدى التاءين. وقرأ الباقون بتشديد الظاء بإدغام التاء فيها والمعنى: وإن تتعاونا على ما يسوء من الإفراط في التعبير وإفشاء سره عليه الصلاة والسلام. وجوابه أيضًا محذوف، وقد أشار إليه بقوله: «فلن يعدم من يظاهره» وكيف يعدم المظاهرة والله مولاه أي وليه وناصره. ولفظ «هو» في قوله تعالى: ﴿هو مولاه﴾ يجوز أن يكون فصلاً لا محل له و «مولاه» خبر «أن» ويجوز أن يكون مبتدأ و «مولاه» خبره والجملة خبر «إن». وهذا الوجه هو الأولى لأن المقام مقام الدلالة على تقوى الحكم والإيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه تعالى وأنه يتولى ذلك بذاته. وفي جعله فصلاً بحث، لأنه قد تقرر أن توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرفتين يفيد الحصر وإذا انحصرت الولاية له عليه الصلاة والسلام في الله تعالى كيف يصح عطف جبريل وما بعده عليه؟ فإنه لا يقال: زيد هو المنطلق وعمرو بل يقال: لا غير.

قوله: (**رئيس الكروبين**) إشارة إلى وجه تعظيم جبريل بتخصيصه بالذكر وعدم الاكتفاء عن ذكره بذكر الملائكة. والكروبيون بتخفيف الراء بمعنى المقربين من كرب الشيء إذا دنا وقرب. قيل: في هذا اللفظ ثلاث مبالغات: إحداها أن كرب أبلغ من قرب، والثانية أنه على وزن فعول وهو من أوزان المبالغة، والثالثة زيادة الياء فيه وهي تزاد للمبالغة كأحمري. **قوله**: (**متظاهرون**) يعني أن الظهير بمعنى الجمع ليطابق الملائكة، وإفراد لفظه بناء على أن فعيلاً يطلق على الواحد والكثير كفعول. وفي التنزيل: ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [يوسف: ٨٠] ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]. **قوله**: (**ولذلك عم بالإضافة**) أي ولكون المراد بالصالح جنس من آمن وعمل صالحًا عم بإضافته لكل فرد من أفراد الجنس المذكور، فإن إضافة اسم

بقوله: ﴿بعد ذلك﴾ تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل أنه لم يطلق حفصة، وأن في النساء خيرًا منهن لأن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يوجب وقوعه. وقرأ نافع وأبو

الجنس تفيد العموم. **قوله:** (وبقوله بعد ذلك) أي والمراد بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة. **قوله:** (من جملة من ينصره الله به) يعني أن المراد بالبعدية البعدية بحسب الرتبة، والإشارة إلى نصرة الله تعالى بتوسط صلحاء المؤمنين. ولا شك أن مظاهرة الملائكة أعظم من نصرة سائر ما يكون واسطة في نصرة الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام، لأنه تعالى مكّن الملائكة على ما لم يمكن الإنسان عليه وليس المراد البعدية الزمانية لأن تظاهر الملائكة على موالاته عليه الصلاة والسلام ليس بعد موالاة صلحاء المؤمنين زمانًا. ثم إنه تعالى لما عاتبهما بأنه قد صغت قلوبكما وأنه يجب عليكما أن تتوبا شرع في تخويفهما بأن ذكر لهما أنه عليه الصلاة والسلام يحتمل أن يطلقكما، ثم إنه عليه الصلاة والسلام إن طلقكما لا يعود ضرر ذلك إلا عليكما فإنه تعالى يبدله حينئذٍ أزواجًا خيرًا منكما إلا أنه تعالى خاطب جميعهن مع أن الخطاب السابق ليس إلا مع اثنتين منهن على تغليب المخاطب على غيره حيث عبّر عن الجميع بما يعبر به عن الحاضرين. فإن الخطاب السابق إنما كان مع حفصة وعائشة، فكذا هذا الخطاب إلا أنه أدخل الغائبات في الخطاب وخوطبن جميعًا بطريق تغليب الحاضر على الغائب. ويحتمل أن يكون التعبير عن الجميع بقوله: ﴿طلقكن﴾ بناء على قصد تعميم الخطاب للجميع. قيل: كل «عسى» في القرآن واجب إلا هذا. وقيل: هو أيضًا واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقن، فإن المذهب أنه ليس على وجه الأرض نساء خيرًا من أمهات المؤمنين إلا أنه عليه الصلاة والسلام إذا طلقهن لعصيانهن له وإيذائهن إياه كان غيرهن من الموصوفين بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله ﷺ خيرًا منهن، وهذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة في نفسها وكان الله تعالى عالمًا بأنه عليه الصلاة والسلام لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على أنه إن طلقهن أبدله خيرًا منهن تخويفًا لهن كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] وقوله: «وقرأ نافع وأبو عمرو بالتخفيف» هذا مخالف لما ذكر في التيسير في فرش سورة الكهف مع أنه قرأ نافع وأبو عمرو «أن يبدلهما» وفي التحريم «أن يبدله» وفي نون والقلم «أن يبدلنا» في الثلاثة بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف. فينبغي أن يكون ما في الكتاب سهوًا من الناسخين. وقوله تعالى: ﴿إن طلقكن﴾ شرط معترض بين اسم «عسى» وخبرها وجوابه محذوف أو متقدم أي إن طلقكن فعسى ربه أن يبدله. و«أزواجًا» مفعول ثانٍ لقوله: «أن

عمرو «أن يبدله» بالتخفيف ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مصليات أو مواظبات على الطاعة ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عن الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه السلام ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات، سمي الصائم سائحًا لأنه يسيح في النهار بلا زاد، أو مهاجرات. ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب. وقرىء «أهلوكم» عطفًا على «وأوقوا» فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين. ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ نارًا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ تلي أمرها وهم الزبانية ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ غلاظ الأقوال شداد الأفعال،

يبدله» و«خيرًا» صفة للأزواج وكذا ما بعده من قوله: «مسلمات» إلى قوله: «ثيبات» وأخليت هذه الصفات كلها عن العاطف وجيء به بين الثيبات والأبكار وهما صفتان أيضًا لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان في واحد بخلاف سائر الصفات. **قوله:** (مقرات مخلصات) فرق بين الإسلام والإيمان أولاً بأن الإسلام هو الإقرار باللسان والإيمان هو الإخلاص، وثانيًا بأن الإسلام هو الانقياد الظاهر بالجوارح والإيمان هو التصديق القلبي والإسلام بهذا المعنى لا يستلزم الإيمان بالمعنى المذكور فلذلك ذكر كل واحد منهما على حدة. **قوله:** (مصليات) هكذا فسره الحسن. وفي الصحاح: القنوت في الأصل هو الطاعة ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ثم سمى القيام في الصلاة قنوتًا. وفي الحديث: «أفضل الصلاة طول القنوت» ومنه: قنوت الوتر. وفيه أيضًا أصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال: طريق معبد أي مذلل والعبادة الطاعة والتعبد التنسك. ثم إنه تعالى لما عاتب نساء النبي ﷺ ودلهن على رشدهن أمر الناس جميعًا بطاعة الله تعالى والانتهاء عما نهاهم عنه وبأن يأمروا أزواجهم وأولادهم بذلك ويعلموهم الخير فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ قوله: «قوا» أمر لجماعة الحاضرين من وقاه يقيه أي حفظه. قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ قال عليه الصلاة والسلام: «تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتأمرونهم بما أمركم الله به» وقوله تعالى: ﴿نارًا﴾ مفعول ثان لقوله: ﴿قوا﴾ لأن «وقى» يتعدى إلى مفعولين كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿وقودها الناس﴾ صفة لنار أو الوقود بفتح الواو الحطب وبالضم مصدر بمعنى التوقد، وقرىء به، فلا بد من تقدير مضاف أي ذو وقودها.

قوله: (تلي أمرها) أي ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسي الحقيقي بل المراد الاستعلاء المعنوي، وهو الاستيلاء والغلبة على ما فيها من

أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر لهم، أو العذر لا ينفعهم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي بالغة في النصح وهو صفة التائب

الأمور. **قوله: (أو غلاظ الخلق شداد الخلق) لا يرحمون إذا استرحموا خلقوا من الغضب مقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما أن مقتضى الحيوان الأكل والشرب ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة لو ضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفًا لهووا في النار. وقال عليه الصلاة والسلام في حق خزنة جهنم: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب».**
قوله: (فيما مضى وفيما يستقبل) لما توهم اتحاد الجملتين من حيث المعنى لأن العصيان عبارة عن مخالفة الأمر وترك المأمور به فيكون انتفاء العصيان بإتيان المأمور به فيكون عطف قوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ على ما قبله كعطف الشيء على نفسه. أشار بما ذكره إلى الفرق بين الجملتين بأن إتيان المأمور به علق أولاً بقوله: ﴿ما أمرهم﴾ وثانيًا بقوله: ﴿ما يؤمرون﴾ فاختلفت الجملتان باختلاف المتعلق. وتقرير الوجه الثاني أن المراد بعدم العصيان تقبل ما أمروا به والالتزام بإتيانه من غير استثقال وتردد وبفعل ما أمروا به إتيانه حسبما التزموه. ثم إنه تعالى لما أمر المؤمنين بترك المعاصي وفعل الطاعات بيّن لهم أن العذر لا يقبل يوم القيامة فقال: ﴿يا أيها الذين كفروا﴾ الآية ثم نبّه المؤمنين على أن طريق وقاية الأنفس من النار هو التوبة النصوح فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾
قوله: (أي بالغة في النصح) إشارة إلى أن «نصوحًا» من أبنية المبالغة مثل: صبور وشكور، والنصح والنصاحة خلوص الود وصفاء المحبة. قال الأصمعي: الناصح الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص فقد نصح. وقيل: النصح الصدق من قولهم: نصحت الإبل الشرب تنصح نصوحًا أي صدقته، وأنصحتها أنا أي أرويتها، ومنه التوبة النصوح وهي الصادقة التي يقلع بها صاحبها عن المعصية قلبًا وقالبًا ويندم على ما صدر منه كمال الندامة، ونصح التوبة بمعنى صدقها يستلزم كون صاحبها ناصحًا نفسه خالصًا في إرادة الخير لها. فإن التائب إذا صدق الله تعالى في توبته بأن توجه إليه بكليته راجعًا عن المعصية بأتم وجوهه فقد نصح وخلص نفسه بتوبته على الوجه المذكور، فلذلك لم يتعرض المصنف لتفسير النصح بالصدق وقال: وهو صفة التائب وجعل إسناد النصح إلى التوبة إسنادًا مجازيًا كما في جد جده.

فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة. أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب. وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور، أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح، أو تنصح نصوحًا، أو توبوا نصوحًا لأنفسكم. وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ ذكر بصيغة الأطماع جريًا على عادة الملوك، وإشعارًا بأنه تفضل والتوبة غير موجب، وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ ظرف «ليدخلكم» ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ عطف على النبي عليه الصلاة والسلام إحمادًا لهم

قوله: (أو في النصاحة) عطف على قوله: «في النصح» أي وقيل: كون التوبة نصوحًا عبارة عن كونها بالغة في خياطة ما خرقه الذنب وإصلاحه. الجوهري: النصح بالفتح مصدر قولك: نصحت الثوب خطته، ومنه رفأت الثوب أرفؤه رفئًا إذا أصلحت ما وهى منه وربما لم يهمز. **قوله:** (تقديره ذات نصوح) ذكر لانتصاب «نصوحًا» على تقدير كونه مصدرًا ثلاثة أوجه: الأول أنه صفة «توبة» بتقدير المضاف ويجوز أن يكون من باب التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل: رجل عدل. والثاني أنه مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة «توبة» أي تنصحهم نصوحًا. والثالث أنه مفعول له أي لأجل النصوح لأنفسكم. **قوله:** (**يجمعها ستة أشياء**) زاد الكشاف سابعًا وهو قوله: وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. فالمذكور على نقله سبعة أشياء لكن رد المظالم واستحلال الخصوم في حكم شيء واحد من حيث اشتراكهما في كون الذنب الذي تاب عنه من حقوق العباد، كما أن قوله: «وللفرائض الإعادة» على تقدير أن يكون الذنب حقًا لله تعالى كترك صلاة أو صوم أو تفريط في زكاة، فإن التوبة عن أمثالها لا تصح حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها. كأنه قيل: إن كان الذنب من حقوق الله تعالى فالتوبة عنه تكون بالإعادة والقضاء، وإن كان من حقوق العباد فلا يخلو إما أن يكون ماليًا أو متعلقًا بالعرض، فإذا كان ماليًا فالواجب رده إن كان باقيًا ورد عوضه إن كان تالفًا، وإن كان متعلقًا بالعرض كالسفاهة والغيبة فالواجب استحلال الخصم.
قوله: (عطف على النبي) أي ولا يخزي الذين آمنوا. فعلى هذا يكون «نورهم يسعى» مستأنفًا أو حالاً وإن جعل الموصول مبتدأ و «نورهم يسعى» خبره يكون قوله: «يقولون» خبرًا بعد خبر. ثم إنه تعالى لما عاتب أزواج النبي ﷺ ودعاهن إلى ما هو أصلح لهن، ثم خوف المؤمنين بعذاب الآخرة ودعاهم إلى التوبة النصوح دعا النبي ﷺ إلى الجهاد ودعا كل طائفة

وتعريضًا لمن ناوأهم. وقيل: مبتدأ خبره ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي على الصراط ﴿يَقُولُونَ﴾ إذا طفىء نور المنافقين ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ وقيل: تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم إذ بلغ الرفق مداه. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ جهنم أو مأواهم ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ مثل الله حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما. ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنفاق. ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ فلم يغن التبيان عنهما بحق الزواج إغناء ما. ﴿وَقِيلَ﴾ أي لهما عند موتهما أو يوم القيامة. ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا

إلى ما هو الأصلح لها فقال: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ ثم إنه تعالى لما حكم بأن مأوى الكفار والمنافقين جهنم زعم الذين بينهم وبين النبي ﷺ أو بينهم وبين المؤمنين نسبة أو وصلة بنسب أن ينتفعوا بها، فأبطل الله تعالى زعمهم بأن مثل حالهم بحال امرأتين كافرتين كانتا تحت نبيين فإنهما لم ينتفعا بالانتساب إلى ذينك العبدين المكرمين عند الله تعالى لتحقق المخالفة بينهما وبين زوجيهما في الطريقة والسيرة، فكذلك الكفار والمنافقون لا ينتفعون بالانتساب إلى المقربين عند الله تعالى. وفي ضرب هذا المثل نوع تعريض بأمي المؤمنين حفصة وعائشة رضي الله عنهما بأن وصلتهما بالنبي ﷺ لا تغني عنهما من الله شيئًا إذا عصتا وتظاهرتا على ما يسوءه ولذلك ذكر امرأتين تحت نبيين.

قوله تعالى: (كانتا تحت عبدين) جملة مستأنفة لبيان حال الامرأتين حتى يتضح التمثيل. **قوله: (يريد به)** أي بنظم الكلام على هذا الأسلوب حيث وضع الظاهر موضع الضمير فإن الظاهر أن يقال: كانتا تحتهما لتقدم ذكر نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام. **قوله: (بالنفاق)** وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن خيانتهما لم تكن بالبغي لأنه ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانتا بسبب أنهما على غير دين زوجيهما بالشرك والنفاق. قطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ثم طمع أن ينفعه صلاح غيره. ثم إنه تعالى لما مثّل حال الكفار بحال امرأة نوح وامرأة لوط في أنهما لم ينتفعا بصلاح زوجيهما، مثّل أيضًا حال المؤمنين بحال امرأة فرعون في أنها لم تضرها وصلة الكافر وجوزيت على حسب إخلاصها

وصلة بينهم وبين الأنبياء. ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ شبّه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله. ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ ظرف للمثل المحذوف. ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قريبًا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين. ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ من نفسه الخبيثة وعمله السيىء. ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ من القبط التابعين له في الظلم. ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل. ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في فرجها. وقرىء

وصبرها على أذية الكفار لثباتها على دينها، وبحال مريم أم عيسى عليه الصلاة والسلام في أنه تعالى أكرمها بمجرد صلاحها في نفسها مع كونها أرملة لا زوج لها صالح ولا طالح فقال: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا﴾ الآية وضرب بمعنى جعل وصير و «مثلاً» مفعوله الأول و «امرأة فرعون» مفعوله الثاني بتقدير المضاف أي جعل الله مثلاً للذين آمنوا مثل امرأة فرعون. والمثل المقدر بمعنى الحال أو القصة الغريبة وهذا تصريح بأن المثل أريد به معناه المجازي وهو الحال أو القصة الغريبة، فلذلك تعلق به الظرف وهو قوله: ﴿إذ قالت﴾ أي شبه ومثل حالهم بحالها وقت قولها: ﴿رب ابن لي عندك بيتًا﴾ وليس المراد بالعندية فيه عندية المكان وهو ظاهر بل إنها طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب أعدائه، ثم بينت مكان القرب فقالت: ﴿في الجنة﴾ ويحتمل أن يكون قولها: ﴿عندك﴾ كناية عن ارتفاع درجتها في الجنة كأنها قالت: رب ابن لي عندك بيتًا رفيعًا في جنة المأوى التي هي أقرب الجنان إلى العرش. روي أنه لما غلب موسى عليه الصلاة والسلام السحرة آمنت آسية امرأة فرعون وقيل: هي عمة موسى آمنت به. فلما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد. وألقاها في الشمس قيل: أمر فرعون بأن يلقي عليها صخرة وهي في الأوتاد، فدعت الله تعالى بقولها: ﴿رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة﴾ فرفع روحها إلى الجنة، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه. وقيل: استأنفت وملت صحبة فرعون فسألت ذلك فكشف الله تعالى عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها. **قوله:** (في فرجها) قال المفسرون: المراد بالفرج ههنا الجيب، فإن جبريل عليه الصلاة والسلام قد جيب درعها بأصبعيه ثم نفخ في جيبها فحبلت بعيسى. فعلى هذا يكون قوله تعالى: «فيه» من باب الاستخدام لأن الظاهر أن المراد بلفظ الفرج في قوله تعالى: ﴿أحصنت فرجها﴾ هو العضو وأريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص، فإن كل خرق في الثوب يطلق عليه لفظ الفرج، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦] قال صاحب الكشاف: ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع. واختار أن يحمل على أصل معناه العرفي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿أحصنت

«فيها» أي في مريم أو الحمل ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصل ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بصحفه المنزلة، أو بما أوحي إلى أنبيائه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ وما كتب في اللوح أو جنس الكتب المنزلة، ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع. وقرىء «بكلمة الله وكتابه» أي بعيسى والإنجيل. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم فتكون «من» ابتدائية. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة التحريم أتاه الله بتوبة نصوحًا».

فرجها﴾ إبطالاً لقول من قذفها بالزنى. والعياذ بالله تعالى. وقوله: ﴿فنفخنا﴾ من باب إسناد الفعل إلى السبب الآمر والأصل نفخ جبريل بأمرنا من روحنا أي روحًا من أرواحنا وهو روح عيسى عليه الصلاة والسلام. قوله: (أي في مريم) قيل: فعلى هذا يدل الكلام على إحياء مريم لأن نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وليس المراد إحياء مريم بل المراد إحياء عيسى عليه الصلاة والسلام في بطن مريم، فينبغي أن يكون تقدير الكلام حينئذٍ: نفخنا الروح في عيسى فيها بمعنى أحييناه فيها. قوله: (كفضل الثريد على سائر الطعام) فإن العرب لا يؤثرون على الثريد شيئًا من الطعام وذلك لأن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول ونحو ذلك. تمت سورة التحريم والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين آمين آمين.

سورة الملك

مكية ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ على كل ما يشاء قدير. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قدرهما،

سورة الملك

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى: (تبارك) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي تعالى وتعاظم عن صفة المخلوقين الذي بيده الملك أي على كل موجود لا متصرف في العالم غيره لأن تقديم الظرف يفيد الاختصاص. وقيل: إنه تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة أي كثرت بركات أسمائه وصفاته ووصلت صنوف إحسانه إلى جميع خلقه. وقيل: من البروك وهو الثبات والقرار يقال: برك البعير يبرك بروكًا أي استناخ وكل شيء ثبت. وأقام فقد برك أي دام بره ودام خيرت. **قوله: (بقبضة قدرته التصرف)** يعني أن اليد مجاز بمعنى القدرة وهي الصفة المؤثرة على وفق الإرادة شبهت هذه الصفة في الغالب بالجارحة التي هي معظم مبادىء التأثير في الشاهد فعبّر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلاء على التصرف في الموجودات كلها. ويدل عليه إطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق ولأن الكلام مسوق لمدح ذاته وتعظيم شأنه ومقام المدح والتعظيم يستدعي الحمل على العموم. **قوله: (على كل ما يشاء)**

أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره. وقدم الموت لقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾

إشارة إلى أن الشيء مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الأمير، ومعنى مشيء الوجود ما يشاء الله وجوده وإن كان موجودًا في الجملة إلا أن مشيئة الوجود تستدعي سبق العدم فيكون معدومًا ممكنًا ولا يتناول الواجب والممتنع بيّن الله تعالى بقوله: ﴿بيده الملك﴾ أنه مستولي على التصرف في الموجودات كلها وبقوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ قدرته على المعدومات الممكنة بأسرها وأنه لا يخرج شيء من المعدومات والموجودات عن ملكه وقدرته فيكون قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ تكميلاً لقوله: ﴿بيده﴾ فإن قلت: ما ذكرته يدل على أن الشيء أعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لا نقول به بل هو مذهب المعتزلة، وأيضًا قولك: الشيء لا يتناول الواجب والممتنع ينافي قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩] فإنا نسمي الله شيئًا لا كالأشياء. قلنا: كون المعدوم الممكن شيئًا بمعنى مشيء الوجود لا ينافي كون الشيء مختصًا بالموجود لأن ما شاء الله وجوده موجود في الجملة لأن مراد الله تعالى لا يتخلف عن إرادته. وقولنا: الشيء لا يتناول الواجب هو الشيء بمعنى مشيء الوجود لا الشيء بمعنى الشائي، فإن الشيء إذا أطلق على الباريء تعالى يكون بمعنى الشائي. وأما في قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] فإن الشيء فيهما بمعنى مشيء الوجود فلا حاجة إلى أن يقال إنه من قبيل المخصص بدليل العقل. واحتج بعضهم بهذه الآية على أنه تعالى ليس بشيء فقال: لو كان شيئًا لكان قادرًا على نفسه وخالقًا لنفسه وهو محال، ونحن نقول: إنه تعالى ليس بشيء بمعنى مشيء الوجود ولا يلزم منه أن لا يكون شيئًا أصلاً لأنه تعالى شيء بمعنى أنه شائي. **قوله: (أو أوجد الحياة وأزالها)** جواب عما يقال: الحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وبالإحساس والحركة الإرادية فكونها متعلقًا للخلق ظاهر. وأما الموت فهو صفة عدمية لكونه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل يقبلها فكيف يكون متعلقًا للخلق وهو عبارة عن الإيجاد والتكوين فلا يتعلق إلا بما يقبل الإيجاد؟ فأجاب عنه أولاً بأن الخلق وإن كان يستعمل في الإيجاد إلا أنه في الأصل بمعنى التقدير يقال: خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع. قال الحجاج: ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلا وفيت. والخلق ههنا بمعنى التقدير. وثانيًا بأن لا نسلم أن الموت صفة عدمية بل هو صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة يقبل كل منهما الإيجاد والتكوين، إلا أن إيجاد أحد الضدين لما كان مستلزمًا لإزالة الآخر عن محله عبّر عن إيجاد الموت بإزالة الحياة. واحتج أهل السنة بهذه الآية على أن الموت صفة وجودية وقالوا: إنه لو كان أمرًا عدميًا لما تعلق به الخلق والتكوين. **قوله: (وقدم الموت)** مع أن الحياة متقدمة على الموت

[البقرة: ٢٨] ولأنه أدعى إلى حسن العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف

إما لأن المراد بالموت الحالة القائمة بالنطفة والعلقة والمضغة وبالحياة الحالة المرتبة على نفخ الروح في الجنين، وإما لأن المقصود من سوق الآية تحريض المكلفين على حسن العمل والموت أدعى إلى هذا المقصود بالنسبة إلى الحياة. فإن نصب الموت بين الفئتين أقوى الزواجر عن المعاصي، وأقوى الدواعي إلى أحسن العمل ولا شك أن ما هو أبلغ في التأدية إلى الغرض المسوق إليه الكلام أهم فقدم على الثاني.

قوله: (ليعاملكم معاملة المختبر) يعني أن البلوى وهو الاختبار والامتحان ليس على حقيقته لأنه إنما يتصور ممن يخفى عليه عاقبة الأمر، بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهي أن يشبه صورة منتزعة من عدة أمور بصورة أخرى مثلها ويدعي دخول الأولى في جنس الثانية للمبالغة، فيطلق على الأولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز في مجموع ذلك اللفظ المركب لا في مفرداته بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازًا كما في قولك: إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فكذا في هذه الآية الكريمة شبّهت حاله تعالى مع المخاطبين الذين كلفهم بالأوامر والنواهي بعد ما مكنهم من فعل الطاعة والمعصية وبيّن لهم عاقبة كل واحدة منهما حتى يظهر منهم ما ثبت في علمه الأزلي من طاعة المطيع ومعصية العاصي ليجازيهم على حسب علمهم لا على حسب علمه بما يصدر عنهم، فإنهم لا يستحقون الثواب والعقاب بما في علمه تعالى بل بما كسبوه باختيارهم بحال المختبر مع المختبر فاستعيرت العبارة الموضوعة للدلالة على حال المختبر مع المختبر لحاله تعالى مع المخاطبين وما يظهر من خلق المكلفين وتكليفهم من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غير ما تعلق به العلم الأزلي منهما، فإن العلم الأزلي يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار أنهما سيقعان أو لا يقعان لأن ذلك لا يكون علمًا، وما يظهر من خلقهم وتكليفهم هو تحققهما ووقوعهما بالفعل. فمعنى قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ليعلم هذا المعنى واقعًا بعد ما علم أنه سيحصل، ولا يلزم منه تجدد علمه تعالى وحدوثه بل التجدد إنما هو في جانب المعلوم. وزعمت الفلاسفة أنه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلي هربًا من تجدد علمه تعالى. وذهب المسلمون إلى أنه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئي فيعلم عند وجودها أنها وجدت وعند عدمها أنها عدمت، كما أنه تعالى يعلم في الأزل أنها ستوجد في وقت وتعدم في آخر فلا يعتبر علمه الأزلي بل المعتبر تعلقاته على حسب تغير المعلوم. واللام في قوله تعالى: ﴿ليبلوكم﴾ تدل على أن أفعاله تعالى معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة. وعند أهل السنة ليس الكلام محمولاً على ظاهره لقيام الدليل على أنه تعالى لا يفعل لغرض بل المقصود بيان الحكمة المترتبة على فعله تشبيهًا لها بالعلة الغائية في أن كل

أيها المكلفون. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أصوبه وأخلصه. وجاء مرفوعًا «أحسن عقلاً» وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيًا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبرًا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿الْغَفُورُ ۝٢﴾ لمن تاب منهم. ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ مطابقة

واحدة منهما مترتبة على وجود الفعل، فإن قيل: الابتلاء إنما يكون بالإحياء والتكليف فما معنى خلق الموت للابتلاء؟ والجواب عنه يعلم من قوله آنفًا ولأنه أدعى إلى حسن العمل، فإن معنى الآية أنه تعالى أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتتمكنون بها منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح من حيث إن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه لبقاء حكمه وملكه ليعاملكم معاملة المختبر ويظهر ما في علمه الأزلي ويتميز المطيع من العاصي فيجازي كل أحد بما يستحقه. **قوله**: (أصوبه وأخلصه) فإن أحسن الأعمال ما كان أصوب بأن يكون موافقًا للسنة وأخلص بأن لا يشوبه شيء سوى ابتغاء وجه الله، والعمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لوجه الله تعالى لم يقبل أيضًا. وفسر حسن العمل بحسن العقل لأن حسن العمل يترتب على العقل فمن كان أتم عقلاً كان أحسن عملاً فإن من تم عقله يكون أشد خوفًا من الله تعالى وأكثر للموت ذكرًا وأحسن له استعدادًا. **قوله**: (جملة واقعة) يعني أن قوله تعالى: ﴿أيكم﴾ مبتدأ ﴿وأحسن﴾ خبره ﴿وعملاً﴾ تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى وقوله: «المتضمن» الخ دفع لما يقال من أن فعل البلوى يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإنما يتعدى إلى الثاني بواسطة الباء، وقد أخذ ههنا مفعوله وهو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح أن يقال: إنه يستدعي مفعولاً ثانيًا يتعدى إليه بنفسه وأن الجملة الاسمية واقعة موقعه؟ وتقرير الدفع: نعم إن الأمر كذلك إلا أنه متضمن لمعنى العلم فكأنه قيل: ليعلم أيكم أحسن عملاً. وبذلك الاعتبار استدعى مفعولاً ثانيًا سدت الجملة الاسمية التي بعده مسده. ثم إن فعل البلوى لما كان في قوة أفعال القلوب التي من خصائصها أن تعلق بحرف الاستفهام نحو: علمت أزيد أفضل أم عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢] احتمل أن يكون معلقًا عن مفعوله الثاني بـ «أي» لكونه متضمنًا لمعنى الاستفهام فإنك إذا قلت: إني أعلم أيكم أفضل كان المعنى: أعلم أزيد أفضل أم عمرو، وأعلم لا يعمل فيما بعد ألف الاستفهام فكذا لا يعمل في أي لاتحاد المعنى. فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله: «وليس هذا من باب التعليق» وتقرير دليله: أنه إذا سبق أحد المفعولين والمفعول الثاني جملة مصدرة بكلمة

بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقًا على طبق وصف به، أو طوبقت

الاستفهام لا يكون الفعل معلقًا عن الجملة الاستفهامية، إذ يلزم منه وقوعها خبرًا والإنشاء لا يقع خبرًا كما هو المشهور عند النحويين. وبيان الملازمة أنه على تقدير التعليق يكون إعراب الجملة المعلق عنها كإعرابها إذا لم يتقدم عليها فعل القلب فيلزم ما ذكر من كون الإنشاء خبرًا بخلاف ما إذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين، فإن التعليق حينئذٍ لا يستلزم وقوع الإنشاء خبرًا وهو ظاهر. واستدل الزمخشري على أن الفعل لا يعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثاني بأن الفعل لا أثر له في لفظ الجملة بل في محلها، فإذا سبق أحد المفعولين والمفعول الثاني جملة وجب أن لا يفرق بين كونها مصدرة بأداة التعليق وغير مصدرة بها صورة أو لفظًا كما في قولك: علمت زيدًا أبوه قائم، وعلمت زيدًا لأبوه قائم، فإن عمل «علمت» ليس إلا في محل أبوه قائم سواء صدرت الجملة بأداة التعليق أم لا، فلا وجه لجعل الأول من باب الإعمال والثاني من باب التعليق، بل يجب أن يكون كلاهما من باب الإعمال. نقل عن الزمخشري أنه قال: إذا قلت: علمت لزيد منطلق فهذا تعليق للفعل عن العمل في اللفظ والصورة، فكذا يمنع الفعل عن العمل في الصورة إذا وقع بعده ما يستوجب صدر الكلام فلا يعمل الفعل المعلق فيما بعده لفظًا محافظة على صدارته ويعمل تقديرًا لأن معنى قولك: علمت لزيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزأين. ومن شرط التعليق عند النحويين أن لا يذكر شيء من المفعولين كما في قولك: علمت أيهم أخوك، وعلمت لزيد منطلق. أما إذا قلت: علمت القوم أيهم أفضل فهذا الكلام صحيح في نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم، وإذا كان كذلك فليس مما نحن فيه، وقوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ليس من باب التعليق في شيء لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب. وذكر في شرح الرضي أنه إذا صدر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام فالأولى أن لا يعلق فعل القلب عن المفعول الأول نحو: علمت زيدًا من هو وعلمت بكرًا أبو من هو، وجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعًا لأن معنى الاستفهام يعم جميع ما وقع بعد علمت كأنه قيل: علمت من زيد وعلمت أبو من بكر وليس بقوي لاتفاقهم على النصب في علمت زيدًا ما هو قائمًا مع أن المعنى علمت ما زيد قائمًا.

قوله: (إذا خصفتها طبقًا على طبق) أي إذا خرزتها واضعًا طبقاتها بعضًا على بعض. قال تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] أي يلصقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما وقوله تعالى: ﴿طباقًا﴾ إما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع السمٰوات للمبالغة في مطابقة بعضها بعضًا أو مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة

طباقًا، أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال، أو طبقة كرحبة ورحاب. ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ﴾ وقرأ حمزة والكسائي من «تفوت» ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد، وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر. والجملة صفة ثانية لـلام وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلاً، وأن في إبداعها نعمًا جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول ولكل مخاطب. وقوله: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ متعلق به على معنى التسبب أي قد نظرت إليها مرارًا فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها. والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل. والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في: لبيك وسعديك ولذلك أجاب الأمر بقوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ

سبع. **قوله: (أو ذات طباق)** عطف على قوله: «مطابقة» أي يجوز أن يكون طباقًا جمع طبق كجبل وجبال، أو جمع طبقة كرحبة ورحاب فلا بد من تقدير المضاف أي ذات طباق فهو أيضًا صفة لسبع. ورحبة المسجد بالتحريك ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات. **قوله: (صفة ثانية)** إشارة إلى أن «طباقًا» صفة على التقادير كلها كما قررناه ولما جعله صفة ثانية. وقد تقرر أن الجملة الواقعة صفة لا بد من كونها مشتملة على ما يعود إلى الموصوف بها جعل خلق الرحمٰن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لأن موضوع العظيم عظيم والأصل ما ترى فيهن. وقوله: «من تفاوت» مفعول «ترى» و«من» مزيدة فيه. **قوله: (والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك)** وجه الإشعار أن إضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمٰن يعم كل مخلوق فيشعر ذلك بعمومه. **قوله: (وإن في إبداعها نعماً)** ووجه الإشعار به أن إضافة خلقها للرحمن يدل على أن خلقها رحمة بالغة ونعمة جليلة. **قوله: (متعلق به)** أي بقوله ما ترى على وجه التسبب أخبر أنه لا تفاوت في خلقهن. ثم قال: ﴿فارجع البصر﴾ أي ارفع نظرك إلى السماء مرة بعد أخرى حتى يصح عندك ما أخبرت به بطريق المعاينة إذ ليس الخبر كالمعاينة فالفاء للسببية تدل على أن الإخبار بعدم التفاوت سبب لأن يؤمر المخاطب برجع البصر ليتحقق عنده حقيقة الحال. ورجع يجيء لازمًا ومتعديًا يقال: رجع بنفسه رجوعًا ورجعه غيره. **قوله: (في ارتياد الخلل)** أي في طلبه يقال: راده يروده رودًا وريادًا وارتاده ارتيادًا بمعنى طلبه. **قوله: (كما في لبيك وسعديك)** فإن أصلهما ألب لك ألبابين أي أقيم بخدمتك إقامة بعد إقامة ولا أبرح عن مكان الخدمة أبدًا. وأسعدك أي أعينك إسعادين فإن أسعد يتعدى بنفسه بخلاف ألب فإنه يتعدى باللام، وتثنية المصدر فيهما للتكثير

﴿خَاسِئًا﴾ بعيدًا عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردًا بالصغار. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة. ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أقرب السمٰوات إلى الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكب مضيئة بالليل إضاءة المسرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزًا في السمٰوات فوقها إذ التزيين بإظهارها عليها والتكبر للتعظيم. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا

كما في نحو: كرتين ومرتين وقوله: ﴿كرتين﴾ منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فإن المعنى: ثم ارجع البصر رجعتين آخرتين. وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد أن تكرر النظر إليها مرارًا كثيرة بشهادة قوله: ﴿وهو حسير﴾ فإن فعيلاً بمعنى الفاعل من الحسور وهو الإعياء فقوله: ﴿وهو حسير﴾ معناه أنه بالغ غاية الإعياء والكلال. ومن المعلوم أن البصر لا يبلغ غاية الكلال برجعه كرتين اثنتين فقط. **قوله:** (طردًا بالصغار) تنبيه على أن قوله: ﴿خاسئًا﴾ اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة. فإذا قيل: خسأ الكلب بنفسه فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه بالذلة. وخسأ يستعمل لازمًا ومتعديًا. يقال: خسأت الكلب أي طردته، وخسأ الكلب بنفسه. ولا يجوز أن يكون «خاسئًا» في الآية مشتقًا من المتعدي إلا أن يكون بمعنى المفعول أي مبعدًا مطرودًا. روي عن ابن عباس أنه قال: الخاسىء الذي لم ير ما يهواه. وقوله تعالى: ﴿ينقلب﴾ جواب الأمر و ﴿خاسئًا﴾ حال من البصر وقوله: ﴿وهو حسير﴾ جملة حالية من البصر أو من الضمير المستتر في «خاسئًا» فتكون حالاً متداخلة. واعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وهو العزيز الغفور﴾ ومن المعلوم أن كونه عزيزًا غفورًا لا يتم إلا بعد كونه قادرًا على كل المقدورات عالمًا بكل المعلومات، استدل أولاً على كمال قدرته بقوله: ﴿الذي خلق سبع سمٰوات طباقًا﴾ ثم استدل على شمول علمه بقوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت﴾ ثم ذكر ما يدل على كونه قادرًا عالمًا فقال: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ فإن الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لا تحصى تدل على كون صاحبها عالمًا حكيمًا. **قوله:** (أقرب السمٰوات إلى الأرض) إشارة إلى أن الدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب، وأن كون السماء قربى إنما هو بالنسبة إلى ما تحتها من الأرض، لأن القربى بالنسبة إلى العرش هي السماء السابعة. والمصابيح السرج استعير منها للكواكب تشبيهًا لها بها في الإضاءة والتنوير.

قوله: (ولا يمنع ذلك) جواب عما يقال: قد اتفق أهل الهيئة على أن الكواكب الثابتة مركوزة في الفلك الثامن، فعلى تقدير صحة ما ذهبوا إليه كيف يوجه قوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾؟ وتقرير الجواب أن كون الثوابت زينة السماء الدنيا لا يقتضي كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السمٰوات وتكون ظاهرة فيها، وزينة لكون السمٰوات

﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها. وقيل: معناه وجعلناها رجومًا وظنونًا لشياطين الإنس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

شفافة لا يحجب بعضها ما كان مركوزًا فيما فوقها. **قوله:** (رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها) أي بسقوطها. يقال: انقض الحائط إذا سقط، وكذا انقض الطائر. والشهب جمع شهاب وهي شعلة نار ساقطة تنفصل من نار الكواكب وليس ما يرجم به الشياطين نفس الكواكب بل هي قارة ثابتة في مواضعها لم ينقض شيء منها بالرجم مع أن هذه الشهب يرمي بها من قديم الزمان. وهذا معنى قوله: «بانقضاض الشهب المسببة عنها» فإن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب التي هي قارة في الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار والنار ثابتة بكمالها في موضعها. روي أن السبب في جعلها رجومًا أن الجن كانت تستمع خبر السماء، فلما بعث رسول الله ﷺ حرست السماء ومنعت من تقرب الشياطين إليها فمن جاء منهم مسترقًا للسمع رمى بشهاب فأحرقه لئلا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيلتبس على الناس أمر النبوة بأمر الكهانة. وهذا لا يستلزم أن لا تكون هذه الشهب موجودة قبل بعثته ﷺ البتة بل يجوز أن توجد قبلها لأسباب أخر حتى أن قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها وأسبابه في كتبهم، وإنما يدل على أن الذي جعل بعد البعثة ما ترجم به الشياطين. عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ جالس في نفر من الصحابة إذ رموا بنجم فأنار الجو منه فقال: «ما كنتم تقولون إذا حدث في الجاهلية مثل هذا» قالوا: كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. قال ﷺ: «فإنها لا ترمي لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبحت حملة العرش، ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم. ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي إلى هذه السماء وتخطفه الجن فيرمون فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه». **قوله:** (وقيل معناه وجعلناها رجومًا وظنونًا) أي قيل: إنه ليس من الرجم بمعنى الرمي بل هو من الرجم الذي هو أن يتكلم الرجل بالظن كما في قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] عن قتادة قال: خلق الله تعالى النجوم لثلاث: كونها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ومعرفة الأوقات. فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم. ولما ذكر أن الكواكب من جملة منافعها أن يرجم بها الشياطين في الدنيا بيّن أن لهم في العقبى عذابًا فوق ذلك وهو ما أعده الله لهم من عذاب السعير. قال المبرد:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ وقرىء بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتًا كصوت الحمير ﴿وَهِيَ تَفُورُ (٧)﴾ أن تغلي بهم غليًا المرجل بما فيه ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ تتفرق غضبًا عليهم وهو تمثيل شدة اشتعالها بهم. ويجوز أن يراد غيظ الزبانية ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفرة ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)﴾ يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت. ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)﴾ أي فكذبنا الرسل وأفرطنا

سعرت النار فهي مسعورة وسعير كقولك: مقتولة وقتيل. واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن النار مخلوقة الآن لأن قوله تعالى: ﴿اعتدنا﴾ إخبار عن الماضي. ثم إن الله تبارك وتعالى لما أثبت كمال قدرته وعلمه بما ذكره من الدلائل وبيّن بذلك صحة إثابة من أحسن عملاً وعقاب من أساء ساق الكلام إلى أن ذكر أنه أعد لهم أي للمرجومين بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها أن عذابها لا يختص بهم بل يعم الكفرة فقال: ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ الخ و «عذاب جهنم» في قراءة الجمهور مرفوع على الابتداء وقوله: «وللذين كفروا» خبره قدم عليه وقرىء بنصب «عذاب» على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور. شبّه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فأطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير أوله. وقيل: الشهيق في الصدر والزفير في الحلق. قال مقاتل: إذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقًا. وقال عطاء: سمعوا لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقًا فهو على حذف المضاف. **قوله: (وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم)** جواب عما يقال: ليست النار من الأحياء التي من شأنها الغيظ فكيف وصفت به؟ فأجاب عنه أولاً بحمل الكلام على التمثيل حيث شبّه اشتعالها بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليهم بامتياز المغتاظ على غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال والتمثيل بمعنى التشبيه. ويحتمل أن يكون بمعنى التخييل بأن شبهت جهنم في النفس لشدة غليانها بأهلها وقوة صوت أهلها بالإنسان المغتاظ على غيره، وأثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلاً على التشبيه المضمر في النفس. والغيظ أشد الغضب، والغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام، والتغيظ إضمار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع. قال تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] فقد ورد في بعض الأخبار: اتقوا الغضب فإنه جمرة في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه؟ **قوله: (قالوا بلى قد جاءنا نذير)** جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المخاطب بها مع أنهم لو اقتصروا على قولهم: «بلى» لفهم مرادهم لزيادة التحسر والاغتمام على تفريطهم في قبول قول النذير.

في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأسًا وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال والنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل، أو مصدر مقدر مضاف أي أهل إنذار، أو منعوت به للمبالغة، أو الواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب، أو إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل، أو على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم. ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية لكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه.

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادًا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين

قوله: (وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال) إشارة إلى قوله: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ من مقالة الكفار أي وقلنا لهم: ما أنزل الله من شيء على ألسنتكم إن أنتم يا معشر الرسل إلا في ضلال كبير، اعترفوا بعدل الله تعالى وأقروا بأنه تعالى أزاح عنهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه بتكذيبهم الرسل، ثم اعترفوا بجهنم حيث قالوا وهم في النار: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا اليوم في أصحاب السعير﴾ روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه». وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله». وقال عليه الصلاة والسلام: «الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدًا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم». **قوله:** (والنذير إما بمعنى الجمع) أي على تقدير أن يكون قوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ من جملة كلام الكفار وخطابهم للمنذرين لا بد أن يكون النذير بمعنى الجمع ليصح خطاب النذير بقوله: ﴿إن أنتم﴾ أو يكون مصدرًا بمعنى الإنذار كالرجيف والأنين على حذف المضاف، أو على أنه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كأنهم لكثرة إنذارهم وغلوهم في ذلك واتفاقهم فيه كانوا إنذارًا واحدًا. **قوله:** (أو الواحد) عطف على قوله: «الرسل» في قوله: «أي فكذبنا الرسل» أي ويجوز أن يكون «نذير» بمعنى منذر واحد ويكون قوله: «إن أنتم» خطابًا له ولأمثاله. **قوله:** (أو إقامة تكذيب الواحد) عطف على التغليب. **قوله:** (ويجوز أن يكون الخطاب) عطف على ما يفهم من قوله: «وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال» فإنه يدل على أن قوله: «إن أنتم» من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل. وإن كان الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ما كانوا عليه في الدنيا من ضلالهم في باب الاعتقاد والعمل، أو ما كانوا عليه في جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالاً، أو على أن يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال: ضل الشيء

﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ في عدادهم ومن جملتهم ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر والمراد الكفر. ﴿فَسُحۡقًا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ فأسحقهم الله سحقًا أبعدهم من رحمته. والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل. وقرأ الكسائي بالتثقيل. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم

إذا ضاع وهلك. **قوله**: (فأسحقهم الله سحقًا) يعني أن «سحقًا» منصوب على أنه مصدر مؤكد لفعله المحذوف ناب المصدر مناب عامله في موضع الدعاء كما في رعيا وسقيا وجدعا، وهذا من المواضع التي يجب فيها حذف المفعول المطلق سماعًا. واختلف النحاة في أنه مصدر لفعل ثلاثي أو لفعل رباعي جاء على حذف الزوائد؟ فذهب أكثر النحاة إلى أنه مصدر أسحقه الله أي أبعده والسحق البعد، وكان القياس أن يقال: إسحاقًا إلا أنه جاء المصدر على الحذف كما في قوله: فإن أهلك فذلك كان قدري، أي تقديري. ومن جعله مصدرًا لفعل ثلاثي بنى كلامه على أنه سمع سحقه الله ثلاثيًا. ولم يلتفت المصنف إليه لأن استعمال الثلاثي متعديًا في غاية الندرة وإنما يستعمل لازمًا فيقال: سحق الشيء بضم العين فهو سحيق أي بعيد، وأسحقه الله أي أبعده. وقرأ العامة «سحقًا» بسكون الحاء. وقرىء بضمتين وهما لغتان والأحسن أن يكون المثقل أصلاً للمخفف واللام في قوله: ﴿لأصحاب السعير﴾ للبيان كما في: رعيًا لك وسقيًا لك. **قوله**: **(والتغليب للإيجاز والمبالغة)** هكذا في أكثر النسخ. ووجد في بعضها والتغيير بدل التغليب. وليس في نظم الآية تغليب بالمعنى المتعارف لأن جميع أبواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجمع في كون اللفظ مستعملاً في غير ما وضع له، وليس في قوله تعالى: ﴿فسحقًا لأصحاب السعير﴾ لفظ مستعمل في غير ما وضع له. غاية ما في الباب أن يطلق أصحاب السعير على الكفرة الذين كذبوا الرسل واستعمال العام في الخاص، وإن سلم كونه مجازًا فليس من باب التغليب مع أنه ليس بمستعمل في الخاص بل هو مستعمل في أصل معناه وهو من يلابس السعير ويدخلها سواء كان خالدًا فيها أو لا، كما في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف: ٣٩] فإطلاق أصحاب السعير وأهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالاً للفظ فيما وضع له فلا يكون من باب التغليب العرفي فإذا كانت عبارة التغليب بعيدة كل البعد. وبعض السلف من المحققين اعتمد على النسخة التي وقع فيها عبارة التغيير بدل التغليب حيث قال: قوله في سورة الملك والتغيير للإيجاز والمبالغة والتعليل، يريد أن الأصل ذكر الفعل والإتيان بالضمير لكن غير الأسلوب فحذف الفعل للإيجاز وهو ظاهر وللمبالغة بأن ذكر السحق أولاً مبهمًا من غير بيان من يستحقه وأنه لمن هو، ثم جاء بقوله: ﴿لأصحاب السعير﴾ بيانًا للمعنى بالدعاء ولو ذكر الفعل لفات هذا

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ يخافون عذابه غائبًا عنهم لم يعاينوه بعد، أو غائبين عنه، أو عن أعين الناس، أو بالمخفي عنهم وهو قلوبهم. ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ يصغر دونه لذائذ الدنيا ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ بالضمائر قبل أن يعبر عنها سرًا أو جهرًا.

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته.

المعنى وكثيرًا ما يترك البيان للعلم كما يقال: حمدًا وشكرًا، وعدل عن ذكر الضمير للتعليل، فإن علة اللعن ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من أصحاب السعير باختيار الكفر والتكذيب. ووقع في بعض النسخ و«التغليب» بدل قوله: و«التغيير» وهو سهو من قلم الناسخ إذ لا وجه له أصلاً. هذا كلامه بعبارته. وذكر قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين الشيخ عبد الرحيم المعروف بحاجي چلبي سلمه الله أنه سمع من لفظ المولى خواجه زاده رحمه الله أنه استصوب عبارة التغيير وقطع بأن عبارة التغليب خطأ. والله أعلم.

قوله: (غائبًا عنهم) على أن يكون ﴿بالغيب﴾ حالاً من المضاف المقدر وعلى الثاني يكون حالاً من فاعل ﴿يخشون﴾ وعلى قوله: «أو بالمخفي عنهم» تكون الباء للآلة وتكون متعلقة «بيخشون» وتكون الألف واللام في قوله: «بالغيب» بمعنى الذي وقوله تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم﴾ إما جملة استئنافية أوردت جوابًا للسؤال الناشىء عن بيان حال الكفرة فكأنه قيل: فماذا حال من أحسن عملاً؟ فأجيب به. ثم إنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك إلى خطاب الكفار فقال: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ قيل: إنهم كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل ﷺ فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع آلـه محمد، فنزلت آية ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ وظاهره الأمر بأحد الأمرين: الإسرار والجهر ومعناه الإخبار بأنه لا فرق بين إسرار ما تخوضون فيه من الأقوال والأفعال وإعلانه في علم الله بذلك، واحذروا من ارتكاب ما يكون معصية سرًا كما تحذرون منه جهرًا. ثم علّل استواء الأمرين في علمه تعالى بذلك فقال: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ قبل أن يعبر بها أصلاً لا سرًا ولا جهرًا فعلمه تعالى بها بعد التعبير عنها أولى، ثم أنكر أن يعزب عن علمه شيء من مضمرات الصدور مما عبّر عنه سرًا وجهرًا فقال: «ألا يعلم من خرق»، والحال أنه هو اللطيف الخبير وقوله: ﴿من خلق﴾ يجوز أن يكون مرفوع المحل على أنه فاعل «يعلم» ومفعوله محذوف وأن يكون منصوب المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه. أشار إلى الأول بقوله: «ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء» وإلى الثاني بقوله: «أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة».

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن، أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة. والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون «ليعلم» مفعول ليفيد. روي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون:

قوله: (المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن) الظاهر أن ليس مراده أن كونه تعالى عالمًا بما ظهر من خلقه منفهم من عبارة اللطيف بل المراد أنه منفهم منه بطريق الدلالة لأن مدلوله هو العالم بالخفيات كما صرح به في شرح المواقف. ومن يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا بطريق الأولوية، فلذلك اعتبر في مفهوم اللطيف وصول علمه إلى ما ظهر أيضًا. قال الإمام حجة الإسلام الغزالي نور الله مرقده المنير: إنما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى. والخبير هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرًا. انتهى. فاللطيف أخص من الخبير الذي هو أخص من العليم. وقال الإمام الرازي: واعلم أنهم اختلفوا في اللطيف فقال بعضهم: المراد العالم وقال آخرون: بل المراد من يكون فاعلاً للأشياء اللطيفة التي تخفى كيفية علمها على أكثر الفاعلين ولهذا يقال: إن لطف الله بعباده عجيب ويراد به خلق تدبيره لهم وفيهم. وهذا الوجه أقرب وإلا لكان ذكر الخبير بعده تكرارًا. انتهى. وإذا فسرا بما ذكره الغزالي اندفع التكرار. **قوله: (والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون ليعلم مفعول ليفيد)** جواب عما يقال من أنه لم يذكر في نظم الآية لفظان: يكون أحدهما فاعلاً «ليعلم» والآخر مفعوله، فما الذي دعاك إلى اعتبار تعلقه بالمفعول ولم لا تجعله من باب يعطي ويمنع بأن ينزل منزلة اللازم ويعرب النظم بوجه ثالث، وهو أن تجعل من خلق فاعل «يعلم» ولا يقدر له مفعول ويكون المعنى: ألا يكون عالمًا من هو خالق والخلق إنما يكون بالعلم؟ وتقرير الجواب: أنه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يعتد بها لأنه في قوة تقييد الشيء بنفسه، وذلك لأن قوله: ﴿ألا يعلم﴾ لإنكار عدم العلم فيكون في معنى دعوى العلم فعلى تقدير أن لا يقدر ليعلم مفعول مع أن قوله: ﴿وهو اللطيف﴾ حال من فاعل «يعلم» يكون حاصل المعنى: يعلم وهو عالم أي يعلم في حال علمه. ولا فائدة في هذا التقييد لأنه تقييد لمطلق العلم بنفسه. فإن قيل: لا نسلم ذلك بل هو في معنى ألا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه وما بطن؟ وقد فسره المصنف بذلك، فالعلم المدلول عليه بالعامل هو مطلق العلم والمدلول عليه

أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنبه الله على جهلهم. ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ لينة يسهل لكم السلوك فيها ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له، فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل. ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ والتمسوا من نعم الله. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم.

بالحال مستغرق فيفيد التقييد لأنه ليس من قبيل ألا يعلم وهو عالم بل من قبيل ألا يعلم وهو عالم بكل شيء. قلنا: إذا نزل قوله: «ألا يعلم» منزلة اللازم بأن يجعل من قبيل فلان يعطي ويمنع يكون الحدث الذي هو مدلول الفعل عامًا شاملاً لجميع أفراده بحسب تفاهم العرف في المقام الخطابي، كما صرح به صاحب المفتاح، كما أن العلم المدلول عليه بقوله: ﴿اللطيف الخبير﴾ كذلك على تفسير المصنف فهما متساويان في العموم فيلزم تقييد الشيء بنفسه بمنزلة أن يقال ألا يعلم كل شيء من هو عالم بكل شيء. ثم إنه تعالى لما بيّن استواء الإسرار والإعلان بالنسبة إليه واستدل عليه ببيان تفرده في خلق الكائنات كلها من الجواهر والأعراض، وأن الخلق متفرع على العلم فكيف يتصور أن لا يعلم ما خلقه؟ قال بعده: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ فلا تغتروا بذلها وانقيادها لكم ولا تتجرؤوا على معصيته سرًا بناء على زعم أنه تعالى لا يعلم ما تسرون، ولا تأمنوا أن يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون، فإن الأرض التي هي مأمنكم وموضع استقراركم أنا الذي ذللتها لكم وجعلتها مسكنًا لكم وسببًا لمعاشكم إذ لو شئت لحولت ذلها صعوبة وما فيها من الأمن خوفًا بأن نخسف بكم الأرض كما خسف بقارون وبداره الأرض، أو ننزل عليها من السماء أنواع المحن والآفات كما أنزل على أصحاب الفيل وقوله لوط ﴿وأطيعوا الله سرًا وعلانية لعلكم تفلحون﴾. والذلول من كل شيء المنقاد الذي يذل أي ينقاد ومصدره الذل وهو الانقياد واللين، ومنه دابة ذلول إذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها. ووجه كونها ذلولاً أنه يمكن المشي عليها والحفر للآبار وشق العيون والأنهار فيها، وبناء الأبنية، وزرع الحبوب وغرس الأشجار فيها، ولو كانت صخرة صلبة لما تيسر شيء منها، ولو كانت مثل الذهب أو الحديد لكانت تسخن جدًا في الصيف وتبرد في الشتاء. وأيضًا ثبتها الله تعالى بالجبال الراسيات كيلا تتمايل وتنقلب بأهلها ولو كانت مضطربة متمائلة لتعذر الاستقرار عليها ولكانت صعبة غير ذلول ومنقادة لنا.

قوله: (في جوانبها أو جبالها) شبّهت جوانب الأرض أو جبالها بمناكب الإنسان من حيث إن مناكب الإنسان أطرافه وجوانبه، ومن حيث إنها أرفع المواضع منه فأطلق عليها اسم المناكب على طريق الاستعارة. وعلى التقديرين يكون قوله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها﴾

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الملائكة المتوكلين على تدبير هذا العالم، أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه، أو على زعم العرب فإنهم زعموا أنه تعالى في السماء. وقرأ ابن كثير «وأمنتم» بقلب الهمزة الأولى واوًا لانضمام ما قبلها وبرواية البزي «ءأمنتم» بتسهيل الثانية بلا فصل. وقرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل، وورش بإبدالها ألفًا أو بتسهيلها بلا فصل، والباقون بتحقيق الهمزتين. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال. ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ تضطرب. والمور التردد في المجيء والذهاب. ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أن يمطر عليكم حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذٍ. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ إنكاري عليهم بإنزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه

مثلاً لفرط التذليل أي بيانًا عجيبًا وتصويرًا غريبًا لفرط التذليل، على أن المثل مستعار من معناه العرفي الذي هو القول السائر للبيان العجيب تشبيهًا له به في الغرابة. والوجه في كونه بيانًا غريبًا لفرط التذليل ما ذكره من أنه إذا أمكن المشي في جوانب الأرض أو جبالها التي بمنزلة المناكب من البعير كان إمكانه في أواسطها وسهولها أتم وأولى. **قوله:** (وهو بدل من من) يعني أن قوله تعالى: ﴿من في السماء﴾ في موضع النصب على أنه مفعول ﴿ءأمنتم﴾ و ﴿أن يخسف﴾ بدل اشتمال منه أي ءأمنتم من في السماء خسفه، وكذا قوله: ﴿أن يرسل﴾ بدل من من أي ءأمنتم من في السماء إرساله. **قوله:** (أو على زعم العرب) عطف على قوله: «على تأويل من في السماء أمره» يعني أن قوله: ﴿من في السماء﴾ لا يجوز أن يكون المراد به الباريء عز شأنه لاستحالة كونه تعالى في مكان وجهة فلا يجوز أن يراد به الباريء تعالى إلا على تأويل من في السماء سلطانه وأمره، أو على أن يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه فخوطبوا على حسب اعتقادهم كقوله لأمثالهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: ٢٧] وآيات أخرى كأنه تعالى قال لهم: أتأمنون من اعتقدتم أنه إله متمكن في السماء، وأنه قادر على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض. الجوهري: خسف المكان يخسف خسوفًا غاب وذهب في الأرض وخسف الله به الأرض خسفًا أي غيبه فيها. **قوله:** (**والمور التردد في المجيء والذهاب**) وقد قالوا: إن الله يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون والأرض فوقهم تمور فتلقيهم إلى أسفل السافلين. **قوله:** (**إن يمطر عليكم حصباء**) أي حصى. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل. وفي الصحاح يقال: حصبت الرجل أحصبه بالكسر أي رميته بالحصباء، وحصب في الأرض ذهب فيها، أو الحاصب الريح

الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتًا بعد وقت للاستظهار به على التحرك، ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الأصل في الطيران والطارىء عليه. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجو على خلاف الطبع. ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الشامل رحمته كل شيء بأن خلقهن على أشكال

الشديدة التي تثير الحصباء وهي الحصى. ومعنى الآية: هل حصل لكم أمان من هذين وإذ لا أمان لكم منهما فما معنى تماديكم في الشرك والتكذيب؟ وهذا عناد شديد والعياذ بالله.

قوله: (وتهديد لقومه) أي تأكيد للتهديد السابق بإيراد مثال ومصداق له كأنه قيل: أولم تروا أني كيف أنكرت على المكذبين قبلكم بتغير حالهم بالتدمير والاستئصال، فكيف تأمنون مما أصابهم بسبب إصرارهم على الكفر والتكذيب؟ ثم أورد برهانًا يدل على قدرته على إيقاع ما هددهم وخوفهم به فقال أولاً: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات﴾ وثانيًا: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الملك: ٢٣] وثالثًا: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الملك: ٢٤] ومتى ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرًا على الانتقام منهم بما يشاء. والطير جمع طائر. وقوله: «فوقهم» ظرف «ليروا» أو حال من الطير أي كائنات فوقهم و «صافات» حال إما من الطير أو من المنوي في الظرف إن جعلته حالاً.

قوله تعالى: (ويقبضن) عطف على «صافات» عطف الفعل على الاسم لكونه بمعنى قابضات إلا أنه عدل به إلى صيغة الفعل للدلالة على أن الهواء للطائر بمنزلة الماء للسابح، فكما أن الأصل في السباحة هو مد الأطراف ببسطها وقبضها وقتًا بعد وقت لا يقصد لذاته وإنما يفعل ليتوصل به إلى ما هو الأصل في السباحة وهو البسط، فكذا الطيران فإن الأصل فيه هو صف الأجنحة والقبض يطرأ على الأصل للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارىء غير أصل بلفظ الفعل لأن الفعل يدل على التجدد وقتًا بعد وقت. والمعنى: إنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة. ومفعول كل واحد من قوله: «صافات» و«يقبضن» محذوف أي صافات وقابضات أجنحتهن كما أشار إليه بقوله: «أي باسطات أجنحتهن». ثم أشار إلى أن الصف الواقع حال البسط إنما هو للقوادم حيث قال: فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها وقوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح. والحصر المدلول عليه بقوله: ﴿ما يمسكهن إلا الرحمٰن﴾ لا ينافي توصيفهن بقوله: «صافات» و«قابضات» لأن إمساكهن مع ثقلهن وضخامة أجسامهن مسند إليه تعالى بلا واسطة، وكذا جريهن في الهواء مسند إليه تعالى إلا أنه بواسطة خلقهنَّ على أشكال وخصائص هيأتهن له أو إلهامهن كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة، فإن رحمة الرحمٰن وسعت كل شيء ويصل بعضها إلى

وخصائص هيأتهن للجري في الهواء. ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عديل لقوله: ﴿أولم يروا﴾ على معنى أوَلم ينظروا في أمثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وإرسال حاصب أم لكم جند لكم ينصركم من دون الله أن أرسل عليكم عذابه فهو كقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣] إلا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعارًا بأنهم اعتقدوا هذا القسم. و«من» مبتدأ و«هذا» خبره و«الذي» بصلته صفته و«ينصركم» وصف لجند محمول على لفظه. ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ لا معتمد لهم ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ أم من يشار إليه ويقال: هذا الذي يرزقكم. ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ بإمساك المطر وسائر الأسباب المحصلة والموصلة له إليكم. ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ تمادوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ في عناد ﴿وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ وشراد عن الحق لتنفر طباعهم

المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة. **قوله: (يعلم كيف يخلق الغرائب)** إشارة إلى أن البصير بمعنى العالم بالأشياء الدقيقة الغريبة عن حذاقة واتقان كأنه يبصرها ويشاهدها. **قوله: (عديل لقوله أوَلم يروا)** يعني أن كلمة «أم» الداخلة على «من» الاستفهامية متصلة معادلة لهمزة «أولم يروا» والمعنى: أولم ينظروا إلى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم أم نظروا وعلموا، لكنهم اعتمدوا على ما لهم من الجند الذي يمنعهم من عذاب الله تعالى: إلا أنه أخرج الكلام مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم إشعارًا بأنهم كانوا يعتقدون أنهم يحفظون من النوائب ببركة آلتهم فكأنهم الجند لهم. قيل: كان الكفار الممتنعون عن الإيمان معتمدين على شيئين: أحدهما اعتمادهم على ما لهم من الأنصار والأعوان، والثاني اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات. فأبطل الله تعالى ما زعموه أولاً بقوله: ﴿أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمٰن﴾ وأبطل الثاني بقوله: ﴿أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ فاستبان الحق وحصل الإلزام فقال أولاً: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ وقال ثانيًا: ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ واللجاج التمادي في العناد. ولما وصفهم بالعتو والنفور نبّه على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ [الملك: ٢٢] الآية فقوله تعالى: «مكبًا» حال من فاعل «يمشي» وكذا «سويا» حال منه أيضًا و«على وجهه» تأكيد لأن الكب لا يكون إلا على الوجه والمشي مكبًا يكون بصعوبة المسلك وعدم استوائه باشتماله على ارتفاع وانخفاض ومزالق فيعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة فحاله عكس حال من يمشي على صراط مستقيم، فإنه

عنه. ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ يقال: كببته فأكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فأقشع. والتحقيق أنهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا بمطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع. ومعنى مكبًا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه. ولذلك قابله بقوله: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ قائمًا سالمًا من العثور ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ مستوي الأجزاء أو الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين، ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقًا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستوٍ. وقيل: المراد بالمكب الأعمى فإنه يعتسف فينكب

يمشي سويًا أي مستويًا سالمًا من العثور والخرور. **قوله:** (**يقال كببته فأكب**) أي يقال: اكب مطاوع كبه على وجهه كما أن اقشع مطاوع قشع، يقال: قشعت الريح السحاب فأقشع أي كشفته فانكشف. ولم يرض المصنف بكون بناء أفعل مطاوعًا لفعل حيث قال: والتحقيق أن أكب وأقشع من باب انفض في أن الهمزة فيه للصيرورة، وليس من هذه الأبنية المطاوعة، فإن مطاوع أكب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيهما للصيرورة كما في قولهم: اجرب الرجل أي صار ذا جرب وأراب أي صار ذا ريبة، وألام أي فعل ما يلام عليه كأنه صار ذا ملامة، وكذا أكب معناه وقع في الكب أي صار ذا كب. الجوهري: يقال: انفض القوم أي هلكت أموالهم وفني زادهم. **قوله:** (**والمراد تمثيل المشرك والموحد**) أي تشبيههما بالسالكين أي تمثيل المشرك فيه بمن سلك طريقًا يعثر سالكه في كل ساعة، ويخر على وجهه في كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقًا مستوي الأجزاء مستقيمًا عديم الانحراف سالمًا من المزالق والمهالك يمشي سالكه سويًا قائمًا سالمًا من العثور والخرور وتشيه دينه بالطريق المذكور. فكل واحد من قوله: ﴿أفمن يمشي مكبًا وأم من يمشي سويًا﴾ استعارة تبعية شبّه كل واحد من التدين بدين الشرك والتوحيد بالمشي على الصراط الموعر المنحرف والمشي على الصراط السهل المستقيم، وأطلق اسم المشي على التدين المذكور واشتق منه يمشي فصار استعارة تبعية. وقوله: «على صراط مستقيم» استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك المشرك وأحواله واكتفى بدلالة الكب على أحواله لما ذكره من الأشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقًا. **قوله:** (**في مكان متعاد**) أي غير مستوي الأجزاء كان بعضه يعادي بعضًا. الجوهري: تمت على مكان متعاد إذا كان متفاوتًا ليس بمستو وهذه أرض متعادية ذات حجر وهي المكامن ذوات الأخاقيق، وهي شقوق في الأرض واحدها أخقوق وهو الشق فيها.

قوله: (**وقيل المراد بالمكب الأعمى**) عطف على قوله: ومعنى مكبًا أنه يعثر كل ساعة

وبالسوي البصير. وقيل: من يمشي مكبًا هو الذي يحشر على وجهه إلى النار. ومن يمشي سويًا هو الذي يحشر على قدميه إلى الجنة. ﴿قُلْ هُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿وَالْأَبْصَـٰرَ﴾ لتنظروا صنائعه. ﴿وَالْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتتفكروا وتعتبروا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ باستعمالها فيما خلقت لأجله.

ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه أي وقيل: إنه يكب على وجهه لا لوعورة طريقه بل لخلل في بصره، فيكون المكب كناية عن الأعمى والماشي سويًا كناية عن البصير المهتدي. والمراد من جعلهما كنايتين عن الأعمى والبصير تمثيل الكافر بالأعمى وتمثيل المؤمن بالبصير تقبيحًا لحال الأول وتحسينًا لحال الثاني. وكذا إذا كان المراد بالمكب من يحشر على وجهه إلى النار وبالماشي سويًا من يحشر على قدميه إلى الجنة، فإن الأول إنما يحشر مكبًا على وجهه لانكبابه في الدنيا على المعاصي والثاني يحشر على قدميه لكونه على الصراط السوي في الدنيا ثم إنه تعالى لمّا مثّل المشرك بالماشي مكبًا أو بالأعمى أو بمن يحشر على وجهه إلى النار، أمر رسوله ﷺ بأن يقبح حالهم ويعيبهم بكفران نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من إصابة الحق وسلوك سبيله بأن أعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا مانحها ولم يستعملوها فيما خلقت لأجله ولم يقبلوا ما سمعوه ولم يعتبروا بما أبصروه ولم يتفكروا فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمه، فإن القلة قد تستعمل بمعنى العدم فيقال: فلما أفعل هذا أي لا أفعله. ولما كان المقصود من ذكر ما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه إثبات صحة البعث والجزاء ختم الآية بقوله: ﴿وإليه تحشرون﴾ أشار به إلى أن جميع ما تقدم ذكره من الدلائل لإثبات هذا المطلوب، ولما أثبته حكى عن الكفار أنهم ﴿يقولون متى هذا الوعد﴾ استهزاء وسخرية وأيها ما للضعفة أنه لا أصل له كيلا يستعجلوا في القبول، ولعل قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ من قبيل يستهزىء بهم في أن لفظ المضارع للاستمرار التجددي فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يجيبهم بأن العلم بالوقوع أمر مغاير للعلم وقت الوقوع، فالعلم الأول حاصل عندي وهو كافٍ في الإنذار به وأما العلم الثاني فهو مختص بالله تعالى لم يعلمني به لأخبركم. ثم إنه تعالى بيّن حالهم عند نزول العذاب الموعود لهم إن لم يؤمنوا فقال: ﴿فلما رأوه زلفة﴾ والزلفة مصدر بمعنى القربة منصوب على الحالية من مفعول «رأوه» فإنه من رؤية العين أي ذا زلفة أي قريبًا منهم، أو جعل نفس الزلفة للمبالغة. وأصل ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ ساء الموعود برؤيته وجوههم ثم بني للمفعول. عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سيئت أي اسودت وعلتها الكآبة والغيرة. يقال: ساء الشيء أي قبح وسيء يساء أي قبح، فهو يستعمل لازمًا ومتعديًا. خص الوجوه بالحزن لأن أثر السرور والكآبة يظهر فيها.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للجزاء. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي الحشر أو ما وعدوا من الخسف والحاصب. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ يعنون النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين. ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ أي علم وقته ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يطلع عليه غيره ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ والإنذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي الوعد فإنه بمعنى الموعود. ﴿زُلْفَةً﴾ أي ذا زلفة أي قرب منهم. ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب. ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء، أو بسببه فتدعون أن لا بعث فهو من الدعوى. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ أماتني ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي لا ينجيهم أحد من العذاب متنا أو بقينا. وهو جواب لقومهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي أدعوكم إليه مولى النعم كلها ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ للعلم بذلك ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ للوثوق عليه وللعلم بأن غيره بالذات لا يضر ولا ينفع. وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار به. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ منا ومنكم. وقرأ الكسائي بالياء. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ جار أو ظاهر سهل المأخذ. عن النبي عليه الصلاة والسلام: من قرأ سورة الملك فكأنما أحيى ليلة القدر.

قوله: (تطلبون) أي تتمنون وتسألون مستعجلين وقوعه بكم. قال الفراء: تدعون وتدعون بمعنى واحد فكذا تطلبون وتطلبون. **قوله:** (**وقرأ الكسائي بالياء**) أي فسيعلمون بياء الغيبة على وفق قوله تعالى: ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨] أي يعطيهم الجوار وهو الأمان من العذاب. والباقون بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة. **قوله:** (**غائرًا في الأرض**) أي ذاهبًا ناضبًا فيها بحيث لا يرى ولا يستنبط يقال: غار الماء يغور غورًا أي نضب وغورًا خبر أصبح وكان لأهل مكة بئران: بئر زمزم وبئر عجول. **قوله:** (**جار أو ظاهر**) فالمعين على الأول فعيل بمعنى فاعل من معن الماء معونًا إذا جرى والميم أصلية، وعلى الثاني اسم مفعول من العين كمبيع من البيع يقال: عنت الشيء أعينه أي أصبته بعيني فأنا عائن وهو معين والميم على هذا مزيدة. تمت سورة الملك والحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه.

سورة القلم

وهي ثنتان وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ﴾ من أسماء الحروف. وقيل: اسم الحوت والمراد به الجنس، أو اليهموت وهو الحوت الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادًا

سورة القلم

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (**وقيل اسم الحوت**) قال يحيىٰ بمعنى السمكة كما في قوله تعالى في حق يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فالمراد بالحوت الذي يسمى بالنون إما جنس الحوت أو فرد معين منه وهو اليهموت الذي بسطت الأرض على ظهره فتحرك فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، أو الدواة فإنه يطلق عليها اسم النون على سبيل الاستعارة تشبيهًا لها بالحوت في أنها يستخرج منها ما يكتب به كما يستخرج ذلك من جنس الحوت. فقوله: «أو الدواة» مرفوع بالعطف على الجنس أي أو المراد بالحوت ما يشبه الحوت وهو الدواه. وقوله: «فإن بعض الحيتان» بيان لوجه إطلاق النون على الدواة وهو أنه من قبيل إطلاق اسم المشبه به على المشبه وكأنه جواب عن قول الزمخشري: وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي؟ أي لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعًا فتصدى لتوجيه إطلاق النون على الدواة لأن تفسيره بها مروي عن الأكابر. وقال الإمام: روي عن ابن عباس وهو

من النفس يكتب به. ويؤيد الأول سكونه وكتبته بصورة الحرف. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ هو الذي خط اللوح أو الذي يخط به. أقسم به لكثرة فوائده. وأخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل، فإن النون الساكنة تخفى مع حروف الفم إذا

اختيار الضحاك والحسن وقتادة: أن النون هو الدواة. فيكون هذا قسمًا بالدواة والقلم فإن المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة. ومن فضل القلم وجلالته أنه لم يكتب الله تعالى كتابًا إلا به ولذلك أقسم الله تعالى به. قيل: البيان اثنان بيان اللسان وبيان البنان، ومن فضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باقٍ على الأيام وبيان اللسان تدرسه الأعوام، ولولا القلم والدواة ما قام دين ولما صلح عيش. **قوله:** (**ويؤيد الأول**) وهو كون ن من أسماء الحروف أنه جيء به على سبيل التعداد للتحدي، فإنه لو كان اسمًا لغير حرف الهجاء لكان حقه أن يلي العامل ويعرب على حسب ما اقتضاه العامل كما أعرب القلم، وأن يكون مكتوبًا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الأمرين يدل على أنه من أسماء حروف الهجاء وقف عليه لأن الأصل فيما سبق على سبيل التعداد أن يوقف عليه.

قوله: (**هو الذي خط اللوح**) أي يحتمل أن يكون المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ما جاء في الخبر: خلق الله تعالى القلم ونظر إليه فانشق نصفين ثم قال له: أجر بما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من الآجال والأعمال والأرزاق. ثم جف القلم فلم ينطق إلى يوم القيامة. وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض. ويحتمل أن يراد به جنس القلم المقول على كل قلم يكتب به في السماء والأرض من القلم الأعلى وقلم الملائكة من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الإنسان. **قوله:** (**وأخفى ابن عامر**) فإنه أدغم النون في الواو في ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [يس: ١، ٢] وفي «نٓ والقلم» وقرىء بإظهارها على الأصل. فإن الأصل في أسماء حروف التهجي أن يوقف على كل واحد منها وينفصل عما بعده، فإن وقف عليه حقيقة فقد انفصل عما بعده فيقدر الإدغام فإنه لا يتصور مع الانفصال وإنما يتصور مع الاتصال، وإن لم يوقف عليه فهو في حكم الموقوف عليه نظرًا إلى الأصل فوجب التبيين والإظهار على التقديرين. ومن أدغم نظر إلى أن هذه الحروف متصلة بما بعدها صورة وحكمًا. أما صورة فظاهر لأنه لم يوقف عليها حقيقة، وأما حكمًا فلأن همزة الوصل لا تقطع مع هذه الحروف نحو ﴿الٓمٓ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١، ٢] وقولهم في العدد: واحد اثنان، ولما لم تقطع همزة الوصل معها علمنا أنها في تقدير الوصل ولما اتصلت صورة وحكمًا أدغمت في الواو. وقال الفراء: وإظهارها أعجب إليّ لأنها حروف هجاء وهي كالموقوف عليها وإن اتصلت صورة، لأن الأصل في المسوق على سبيل التعداد أن يوقف على كل واحد منه.

اتصلت بها. وقد روي ذلك عن نافع وعاصم. وقرئت بالفتح والكسر كصاد. ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ وما يكتبون. والضمير للقلم بالمعنى الأول على التعظيم وبالمعنى الثاني على إرادة الجنس. وإسناد الفعل إلى الآلة وإجراؤه مجرى أولي العلم لإقامته مقامه أو لأصحابه أو للحفظة. و«ما» مصدرية أو موصولة. ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ جواب للقسم. والمعنى: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي. وقيل: مجنون، والباء لا تمنع عمله قبله لأنها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى.

قوله: (وقرئت بالفتح) وهي إما فتحة بناء كما في أين وكيف، وإما حركة إعراب بأن تكون منصوبة بفعل محذوف مثل: اقرأ نون ثم يبتدأ بالقسم بقوله: ﴿والقلم﴾ أو تكون منصوبة بنزع الخافض وهو حرف القسم وإيصال فعل القسم إليه ومنع الصرف للعلمية والتأنيث لأنها علم للسورة. وقرىء بالكسر أيضًا لالتقاء الساكنين أو لأنها مقسم بها أضمر قبلها حرف القسم نحو: الله لأفعلن. وهذا الوجه ضعيف لأن حذف حرف الجر وإبقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة ونادر فيما عداها. **قوله: (على التعظيم)** لأن القلم الذي خط اللوح قلم واحد مشخص لا يصح إرجاع ضمير الجمع إليه إلا بذلك التأويل، وإن أريد به جنس القلم يكون في معنى الجمع فيجمع الضمير العائد إليه لذلك. إلا أنه بقي الكلام في وجه إسناد الفعل إلى الآلة وفي التعبير عنها بلفظ العقلاء. وأجاب عنه بأن ذلك مبني على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين من حيث إنها تظهر المراد وتبين المقصود مثلهم. **قوله: (أو لأصحابه أو للحفظة)** الظاهر أن الأول مبني على أن يراد بالقلم الجنس، والثاني على أن يراد به قلم الحفظة. وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح إرجاع الضمير إليه. **قوله: (وما مصدرية)** فيكون المقسم به نفس الكتابة وإن كانت موصولة يكون المقسم به المسطور المكتوب. **قوله: (والمعنى ما أنت بمجنون منعمًا عليك بالنبوة وحصافة الرأي)** إشارة إلى أن قوله: «أنت» اسم «ما» و «بمجنون» خبره والباء مزيدة لتأكيد النفي والباء في قوله: «بنعمة» متعلقة بمحذوف هو في موضع النصب على أنه حال من المنوي في مجنون، أي ما أنت بمجنون ملتبسًا بنعمة ربك. والحصافة بالمهملتين صحة الرأي واستقامته، والحصيف الرجل المحكم العقل، وإحصاف الأمر إحكامه.

قوله: (والباء لا تمنع عمله فيما قبله) جواب عما يقال: كيف يعمل مجنون منفيًا فيما قبل الجار مع أن المعمول لا يقع إلا حيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار؟ وإن جاز أن يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة إلا أن فيه خللاً معنويًا هو أن المنفي حينئذٍ هو الجنون المقيد بتلك الحال، ونفي المقيد من حيث إنه مقيد لا يلزم أن

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ على الاحتمال أو الإبلاغ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ مقطوع أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ إذ

يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء القيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع القيد والمقيد أو بانتفاء نفس القيد فقط، كما قيل من أن نفي المقيد يرجع إلى نفي قيده. فكون الحال قيد المجنون يستلزم ثبوت أصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير أن يكون العامل معنى النفي للفرق بين قولنا: الجنة المقيدة بكونها في حال كذا منفية وبين قولنا: الجنة منتفية في حال كذا، فإن القيد فيه للنفي لا للمنفي. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: غاب رسول الله ﷺ عن خديجة رضي الله عنها إلى حرا فلم تجده، فإذا به ووجهه متغير فقالت له: ما لك؟ فذكر نزول جبريل عليه ﷺ وأنه قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فهو أول ما نزل من القرآن. قال: ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال: هكذا الصلاة يا محمد. فذكر ﷺ ذلك لخديجة فذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسألته فقال لها: ارسلي إليّ محمدًا. فأرسلته فأتاه فقال: هل أمرك جبريل أن تدعو أحدًا؟ فقال: «لا» فقال: والله لئن بقيت إلى دعوتك لأنصرنك نصرًا عزيزًا. فمات قبل دعاء رسول الله ﷺ فوقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش فقالوا: إنه مجنون فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون في خمس آيات منها أول هذه السورة. ثم قال ابن عباس: إن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١] وهذه الآية هي الثانية. رواه الإمام في الكبير. **قوله**: (على الاحتمال أو الإبلاغ) أي على احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر أقوالهم القبيحة، أو على تبليغ أحكام رسالتك إليهم ودعائهم إلى التوحيد والطاعة. والممنون إما من منّ الشيء إذا قطعه فتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أو من منّ عليه منة أي امتن عليه أي وإن لك لأجرًا غير مكدر عليك بسبب المنة عليك من الناس. وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسره بقوله: غير ممنون به عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال. ووجه الرد أنه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين: إما على مذهب أهل السنة فلأن الثواب عندهم محض تفضل وإنما سمي أجرًا تشبيهًا له بالأجر من حيث كونه موعودًا بمقابلة العمل، وأما عند المعتزلة فلأن الثواب وإن كان أجرًا عندهم إلا أن الإقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فيصح أن يمن به على العبد، فإذا صح أن يمن على العبد بنفس العمل يصح أن يمن عليه بالأجر المترتب عليه. وكلمة «على» في قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ للاستعلاء المجازي فدلت على أنه عليه الصلاة والسلام

تحتمل من قومك ما لا يحتمله أمثالك. وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن ألست تقرأ في القرآن ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة، أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أو بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهم المجانين على الحقيقة. ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ

مشتمل على الأخلاق الجميلة المرضية ومجبول عليها حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية. والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة فنفس الإتيان شيء وسهولة إتيانها شيء آخر، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق. وسمي خلقًا لرسوخه وثباته وصيرورته بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الإنسان وإن توقف حصولها على اعتمال وطول رياضة ومجاهدة. **قوله: (فقالت كان خلقه القرآن)** يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان متحليًا بما في القرآن من مكارم الأخلاق، ومتخليًا عما يزجر عنه القرآن من سيئاتها. **قوله: (أيكم الذي فتن بالجنون)** إشارة إلى أن «أيكم» مبتدأ و«المفتون» بمعنى المجنون خبره وسمي المجنون مفتونًا لأنه فتن أي محن بالجنون، وأن الباء مزيدة في المبتدأ كما في قولك: بحسبك زيد قيل: هذا الوجه ضعيف لأن الباء لا تزاد في المبتدأ إلا في لفظ حسب فقط. **قوله: (أو بأيكم الجنون)** على أن تكون الباء للإلصاق كما في قولك: به داء، ويكون «المفتون» مصدرًا بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجيء المصدر على وزن المفعول نحو: معقول وميسور ومجلود يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود أي ما له عقل ولا جلادة. وعلى قوله: «أو بأي الفريقين منكم الجنون» تكون الباء بمعنى «في». وفسر ضمير الخطاب في قوله: «بأيكم بالفريقين» مع أن الخطاب لرسول الله ﷺ ولجماعة قريش وإلا لعبّر عن الفرد بالفريق. ويدل على كون الخطاب له ﷺ ولفريق قريش ما سبق من قوله تعالى: ﴿فستبصر ويبصرون﴾ فإن خطاب تبصر له عليه الصلاة والسلام خاصة ولا تدخل فيه الأمة فينبغي أن لا تدخل الأمة في خطاب أيكم أيضًا، إلا أنه أدخلت الأمة فيه وجعل عليه الصلاة والسلام مع أمته فريقًا وجماعة قريش فريقًا آخر لئلا يرد أن يقال: كيف يصح أن يقال لجماعة وفرد آخر يقابلهم في أيكم زيد؟ وهذا الوجه أوجه من الوجهين الأولين لإفادته التعريض وسلامته من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة الباء في المبتدأ وجعل صيغة المفعول بمعنى المصدر. **قوله: (وهم المجانين على الحقيقة)** يعني أن الظاهر أن يقال: وهو أعلم بالمجانين والعقلاء لأنه هو المناسب لقوله: ﴿فستبصر ويبصرون﴾ إلا أنه وضع الضال والمهتدي موضع المجانين والعقلاء إشعارًا بأن المجنون في الحقيقة هو من

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ الفائزين بكمال العقل ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ تهييج للتصميم على معاصاتهم. ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه أحيانًا ﴿فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ فيلاينونك بترك الطعن والموافقة. والفاء للعطف أي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن، أو للسببية أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذٍ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون طمعًا فيه. وفي بعض المصاحف «فيدهنوا» على أنه جواب التمني.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل ﴿مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ يقال للحديث على وجه

عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من أطاع ربه واتبع سبيله. **قوله:** (تهييج للتصميم على معاصاتهم) أي على عصيان رؤسائهم فإن عاصاه بمعنى عصاه، فإنهم كانوا يدعونه عليه الصلاة والسلام إلى أن يكف عنهم ويكفوا عنه، فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره بالتشديد مع قومه وقوى قلبه عليهم مع قلة العدد وكثرة الكفار، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل. **قوله:** (تلاينهم) لأن الأدهان عبارة عن اللين والمصانعة وهي المداراة.

قوله: (والفاء للعطف) جواب عما يقال: لم رفع «فيدهنون» ولم ينصب بإضمار «أن» لأنه جواب التمني كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ﴾ [الزمر: ٥٨] وتقرير الجواب: أنه معطوف على «تدهن» فيكون داخلاً في التمني وليس جوابًا للتمني حتى ينصب وتسقط نونه أي تمنوا لو فعلت فيفعلون عقيبه، فعلى هذا الظاهر أن تكون كلمة «لو» مصدرية فإن بعض النحاة نصوا على جواز كونها مصدرية. **قوله:** (أو للسببية) أي لسببية إدهانه عليه الصلاة والسلام لإدهانهم. وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب التمني بإضمار أن يحصل أيضًا بأن يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون بسبب إدهانه عليه الصلاة والسلام؛ فعلى هذا يتعين الرفع. وإذا كان لمعنى واحد طريقان فللبليغ أن يختار أيهما شاء ونظيره قوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] أي فهو لا يخاف لا سيما أن الاسمية تدل على العدة بثباتهم على الملاينة والموافقة وقوله: أي ودوا لو تدهن فهم يدهنون يحتمل أن يكون للاستقبال بمعنى فيدهنون حينئذٍ وأن يكون بمعنى الحال بمعنى فهم يدهنون الآن طمعًا في إدهانك معهم. **قوله:** (حقير الرأي) وكفى دليلاً على حقارة رأيه كونه حلافًا، فإنه يدل على أنه لا يعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى في أدنى شيء. وكفى بهذه الآية زاجرًا عن الاعتياد بالحلف. **قوله:** (عياب) أي على سبيل الاغتياب فإن الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنًا باليد أو العصا أو نحوهما، واستعير للمبالغ الذي يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم تشبيهًا للطعن

السعاية. ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح. ﴿مُعْتَدٍ﴾ متجاوز في الظلم ﴿أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ كثير الإثم ﴿عُتُلٍّ﴾ جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما عد من مثالبه. ﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ دعي. مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها. قيل: هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده. وقيل: الأخنس بن شريق من ثقيف وعداده في زهرة. ﴿أَن كَانَ

باللسان بالطعن بنحو اليد أو العصا. وقيل: الهماز هو الذي يضرب الناس ويطعنهم بيده، واللماز الذي يطعنهم بلسانه. وقيل: الهماز من يسب الناس في وجوههم، واللماز الذي يسبهم في غيبتهم. وقيل بالعكس. قوله: (يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح) بعض المفسرين فسروا الخير بالمال وقالوا: أي مناع للمال أي أن ينفق لأجل دفع حاجة الفقراء، وفسر بالإيمان أيضًا. وقيل: كان للوليد بن المغيرة عشرة أبناء وأهل وعشيرة وأبناء عم، وكان يمنعهم عن الإسلام ويقول لهم: من اتبع منكم دين محمد ﷺ لا أنفق عليه شيئًا أبدًا. والمصنف عم الخير إذ لا دليل يخصه ببعض وجوه الخير. قوله: (جاف غليظ) وقيل: العتل الشديد الخصومة. وقيل: الفاحش اللئيم. وقيل: هو الأكول الشروب القوي الذي يوضع في الميزان فلا يزن شعرة يدفع الملك من أولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين ألفًا. قوله: (من مثالبه) أي معايبه جمع مثلبه وهي العيب وقوله: «بعد ما عد من مثالبه» يدل على أن كونه عتلاً زنيمًا أقبح معايبه لأنه إذا كان عتلاً أي جافيًا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل معصية. والزنيم يتولد من النطفة الخبيثة والغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده». وفي الحديث: «حرام على النطفة الخبيثة أن تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها». وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أولاد الزنى يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير». وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى، فإذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب». وقال عكرمة: إذا كثر أولاد الزنى قل المطر. وقوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] من حيث إنها للتراخي الرتبي. والدعي من كان ملصقًا بالقوم وليس منهم. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأنتم زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف لراكب القدح الفرد

وقيل: الزنيم من لا يعرف من أبوه كما قيل:

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغيّ الأم ذو حسب لئيم

ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي قال ذلك حينئذٍ لأنه كان متمولاً مستظهرًا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله. ويجوز أن يكون علة للا تطع أي لا تطع من هذه مثالبه لأن كان ذا مال. وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر «أإن كان» على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أي ألأن كان ذا مال كذب، أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرىء إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد، أو أن شرطه للمخاطب أي لا تطع شارطًا يساره لأنه إذا أطاع

وكان الوليد دعيًا في قريش ليس من سنخهم أي أصلهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده. وقيل: بغت أمه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية. روي أنه دخل على أمه شاهرًا لسيفه وقال: إن محمدًا ذمني بعشر صفات وجدت منها تسعة في نفسي، فأما الزنيم فلا علم لي به فإن أخبرتني بحقيقة الحال وإلا ضربت عنقك. فقالت: اسكت وأنا أصدقك وتأمل إن نفعتك بما فعلت وإلا فعاقبني. اعلم أن أباك كان غنيًا وخفت أن يموت فينقطع ذكره ويتفرق في غير ولده ماله، فدعوت راعيًا إلى نفسي فأنت من ذلك الراعي. والزنمة من كل شيء الزيادة، وزنمة الشاة شيء يقطع من أذنها فيسترخي ويصير لذلك كالشيء المعلق من خارج، وهي في الأصل الهنة النابتة في عنق الماعز. قوله: (قال ذلك حينئذٍ لأنه كان متمولاً) إشارة إلى أن قوله: ﴿إن كان﴾ مفعول له و «إن» المصدرية مع ما **في حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنها غير متعلقة بقوله:** ﴿قال أساطير الأولين﴾ **لما ذكره بل هي متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها. والتقدير: يكفر ويكذب لأن كان ذا مال. ووجه دلالتها على هذا المحذوف أن قوله في حق الآيات أنها أساطير الأولين كفر وتجحيد وتكذيب. قوله: (ويجوز أن يكون علة للا تطع)** أي للإطاعة المنهي عنها أي لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وكثرة أبنائه.

قوله: (أإن كان) أي بهمزتين مفتوحتين وعدم إدخال ألف بينهما. **قوله: (على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل)** لما ورد على قراءة «أن» الشرطية أنه كيف يصح منه تعالى أن يعلق النهي عن الإطاعة على كونه ذا مال وأعوان مع أنه يدل على جواز الإطاعة عند انتفاء الأمرين؟ أشار إلى دفعه أولاً بأنه ليس المراد تعليق النهي عن الإطاعة على يسار المطاع حقيقة إلا أنه أورد صورة التعليق يكون شرط اليسار قريبًا من التعليل به، فكما جاز التعليل في النهي عن الشيء جاز فيه التعليق أيضًا. فقوله: لا تطعه إن كان ذا مال وبنين في قوة أن يقال: لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين من حيث إن الشرط مسبب للحكم فكأنه قيل: لا تجعل يساره سببًا لإطاعته. وثانيًا بأن الشرط ليس من قبل الناهي بل من قبل

للغنى فكأنه شرطه في الطاعة ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ بالكي ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ على الأنف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثرها، وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم: جدع أنفه ورغم أنفه لأن السمة على الوجه سيما على الأنف شيء ظاهر، أو نسود وجهه يوم القيامة.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ بلونا أهل مكة بالقحط ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يريد بستانًا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل، أو ألقته الريح، أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير. فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فخلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ ليقطعنها داخلين الصباح. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يقولون إن شاء الله. وإنما سماه استثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء

المخاطب كأنه قيل: لا تجعل الغنى شرطًا للإطاعة مع ما فيه من المثالب التي تقتضي هجره بالكلية، ونظير حرف الشرط إلى المخاطب هنا حرف الترجي إليه في نحو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وآيات أخرى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وآيات أخرى ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. **قوله سبحانه وتعالى:** (سنسمه) أي سنجعل له سمة أي علامة يعرف بها. وعبّر عن أنفه بالخرطوم استهانة له وتحقيرًا لأن الخرطوم لا يستعمل إلا في الفيل والخنزير. **قوله: (وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر)** قال صاحب الكشف: هذا ضعيف لأن أبا جهل قتل يوم بدر والثلاثة الأخر وهم الوليد والأسود والأخنس ماتوا قبله فلم يسم أحد بذلك الوسم الذي بقي أثره مدة حياته. **قوله: (وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال)** وذلك لأن الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أبين عضو منه، والوسم على الأنف فيه غاية الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين فكيف إذا كانت على أظهر موضع منه؟ **قوله: (أو نسود وجهه يوم القيامة)** فعلى هذا يكون الخرطوم مجازًا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وإرادة الكل، أي سنجعل له في الآخرة علامة يعرف بها أهل القيامة أنه كان بالغًا في عداوة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام أقبح العداوة. **قوله: (بلونا أهل مكة)** لما وصفهم الله تعالى بالجنون والضلال حيث قال: ﴿فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ وهو أعلم بمن ضل عن سبيله بيّن أنه أذاقهم بعض وبال أمرهم في الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة لتمردهم وكفرهم نعم الله تعالى، فقال: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ إلى قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣] والكاف في «كما» في موضع النصب على أنها نعت

عينه، أو لأن معنى لا أخرج إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحدًا، ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ على الجنة ﴿طَآئِفٌ﴾ بلاء طائف ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدأ منه. ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول، أو كالليل باحتراقها واسودادها،

لمصدر محذوف و«ما» مصدرية أي بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء أصحاب الجنة و«إذ» ظرف «لبلونا» و«ليصرمنها» جواب للقسم وجاء على خلاف قولهم ومنطوقهم، ولو جاء عليه لقيل: لنصرمنها بنون المتكلم و«مصبحين» حال من فاعل «ليصرمنها». والصرم والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه إذا قطعه. و«لا يستثنون» جملة مستأنفة، أو حال ثانية من ضمير «ليصرمنها» أو من المنوي في «مصبحين» قيل: كونه حالاً من أحدهما ضعيف لأن المضارع المنفي بـ «لا» كالمثبت في عدم دخول الواو عليه وإضمار مبتدأ قبله كما في قولهم: قمت واصك وجهه ولا حاجة إليه. وسمى قوله إن شاء الله استثناء وهو شرط ليس فيه أداة الاستثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج بأن شاء الله خلاف المذكور بأن شاء الله بخلاف المخرج بالاستثناء، فإنه عين المذكور بالاستثناء مثلاً إذا قيل: جاءني القوم إلا زيدًا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد، وأما إذا قيل: يجيء زيد إن شاء الله تعالى فالمراد به إخراج ما لا تتعلق به المشيئة من المجيء وهو خلاف المذكور بأن شاء الله لأن المذكور ما يتعلق به مشيئة الله تعالى لأن التقدير إن شاء الله مجيئه، أو لأن قول إن شاء الله يؤدي معنى الاستثناء فسمي ما يؤدي معناه باسمه. والفرق بين الوجهين ما أشار إليه بقوله: «غير أن المخرج به خلاف المذكور» ومحصول الوجه الأول سمي استثناء تشبيهًا له بالاستثناء من حيث كونه مؤديًا لمعنى الإخراج وإن كان هذا الإخراج مغايرًا للإخراج المعتبر في الاستثناء. ومحصول الثاني سمي استثناء على طريق تسمية ما يؤدي معنى الشيء باسم ذلك الشيء فإن قولك: لا أخرج إن شاء الله يؤدي معنى قولك: لا أخرج في حال ما إلا حال إن شاء الله خروجي، فإنه استثناء متعارف أخرج فيه عين المذكور على أعم الأحوال. **قوله: (أو لا يستثنون حصة المساكين)** عطف على قوله: «ولا يقولون إن شاء الله» فالاستثناء على هذا المعنى الإخراج مطلقًا.

قوله: (كالبستان الذي صرم ثماره) شبهت به من حيث هلاك ثماره وعدم بقاء شيء منها فيه، كما روي عن مقاتل أنه قال: بعث الله نارًا بالليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت سوداء إلا أن تشبيهها بالجنة المصرومة تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه أن يشبه الناقص ويكون وجه الشبه في المشبه به بالنسبة إلى المشبه كما قيل:

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس. سميا بالصريم لأن كلاً منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ أي اخرجوا، أو بأن أخرجوا إليه غدوة. وتعدية الفعل بـ «على» إما لتضمنه معنى الإقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء. ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢)﴾ قاطعين له.

ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار أيضًا لانصرام كل واحد منهما عن الآخر فهما من الأضداد ويقال لهما الصريمان، فيحتمل أن يكون المراد بالصريم في الآية الليل المظلم لأن الجنة لما احترقت واسودت صارت كالليل. ويحتمل أن يراد به النهار لأنها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق فيها شيء من قولهم: ابيضّ الإناء إذا فرغ، أو كالرمال فإن الصريم يطلق أيضًا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل، وقيل: الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئًا. وعلى التقديرين شبّهت الجنة وهي محرقة بالرملة التي لا تنبت شيئًا ولا يتوقع منها نفع ولا صلاح. نقل عن القرطبي أنه قال: في الآية دليل على أن العزم على المعصية مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل أخيه». وعن الراغب قال: أول ما يعرض من حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الإرادة ثم الهم ثم العزم، والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وأنه متى صارا همًا أو إرادة أو عزمًا فذلك عمل مأخوذ به، وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] وقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] فهذا وجه التوفيق بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفسها». وقوله عليه الصلاة والسلام: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه». هكذا وجدت. والإشكال بعد باقٍ لأنه لم يظهر التوفيق بين الآيات وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه». والله أعلم. **قوله:** (أي اخرجوا) على أن تكون «أن» مفسرة حيث تقدمها ما هو بمعنى القول وقوله: «أو بأن أخرجوا إليه غدوة» على أن تكون «أن» مصدرية أي تنادوا بهذا الكلام. **قوله:** (وتعدية الفعل بعلى) مع أن أصل «غدا» أن يتعدى بـ «إلى» ما لتضمنه معنى الإقبال أو معنى الاستيلاء حيث إنهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه وغفلوا عما أراد الله تعالى بهم. وجواب قوله: ﴿إن كنتم صارمين﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه.

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتسارون فيما بينهم. وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم، ومنه الخفدود للخفاش. ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ «أن» مفسرة وقرىء بطرحها على إضمار القول. والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله: لا أرينك ههنا. ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الإبل إذا منعت ردها. والمعنى: أنهم عزموا على أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها إلا على النكد، أو وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع. وقيل: الحرد بمعنى الحرد وقد قرىء به أي لم يقدروا إلا على حنق

قوله: (وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم) يقال: أخفيت الشيء أخفيه كتمته، وخفيته أيضًا أظهرته وهو من الأضداد، ويقال: خفت الصوت خفوتًا أي سكن. والخفت والمخافتة والتخافت إسرار النطق، وأخفدت الناقة فهي مخفد إذا أظهرت أنها حملت ولم يكن بها حمل. **قوله:** (أن مفسرة) لأن التخافت في معنى القول. ويحتمل أن تكون مصدرية أي يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الإخفاء والمسارة ﴿لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ وهو في صورة نهي المسكين عن الدخول، والمراد نهي أنفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقولك: لا أرينك ههنا فإن دخول المساكين عليهم لازم لتمكينهم إياهم من الدخول، كما أن رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم على سبيل الكناية التي هي أبلغ من التصريح لأن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم. ولا يخفى أن ذكر الشيء بدليله أبلغ من مجرد ذكره. وقرر ابن مسعود وجهًا آخر في كلمة «أن» على إضمار القول أي وهم يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم. **قوله:** (وغدوا قادرين على نكد لا غير) على أن يكون «قادرين» حالاً من فاعل «غدوا» أو يكون خبر «غدوا» على تضمنه معنى أصبحوا، و«على حرد» متعلق «بقادرين» قدم عليه للحصر والتخصيص. والحرد مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد وانتفى خيره. **قوله:** (أو وغدوا حاصلين على النكد والحرمان) فعلى هذا ألا يكون قوله: «على حرد» متعلقًا «بقادرين» بل بمحذوف هو حال من فاعل «غدوا» أو خبره لكونه بمعنى أصبحوا وقوله: «قادرين» حال ثانية أو حال من المنوي في قوله: «على حرد» أي وغدوا واقعين في النكد وقد كانوا عند أنفسهم في ظنهم أنهم قادرون على غلة جنتهم والانتفاع بها، فالمقدور عليه في الوجه الأول هو الحرد والنكد. **قوله:** (وقيل الحرد بمعنى الحرد) بفتحتين وهو الغيظ والحنق عطف على ما يفهم مما قبله وهو كون الحرد بمعنى النكد والحرمان، فيكون «على حرد» متعلقًا «بقادرين» مقدمًا عليه للحصر أو بمحذوف كما في

بعضهم لبعض كقوله: يتلاومون. وقيل: الحرد القصد والسرعة. قال الشاعر:

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة

أي غدوا إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها. وقيل: الحرد علم للجنة. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أول ما رأوها ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ طريق جنتنا وما هي بها ﴿بَلْ﴾ أي بعد ما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا: بل ﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ رأيا أو سنا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم. وقد قاله حيثما عزموا على ذلك. ويدل على هذا المعنى ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أو لولا تستثنون، فسمي الاستثناء تسبيحًا

الوجه الأول. **قوله: (وقيل الحرد القصد والسرعة)** يقال: حرد يحرد من باب ضرب إذا قصد وأقبل فيكون على حرد في محل النصب على أنه حال من فاعل «غدوا» أي غدوا كائنين على قصد، و«قادرين» حال ثانية أو حال من المنوي في قوله: «على حرد». **قوله: (وقيل الحرد علم للجنة)** أي لجنتهم أي أقبلوا على جنتهم وقت الغداة قادرين عند أنفسهم على صرامها. **قوله: (بجنايتنا على أنفسنا)** بسوء نيتنا وظلمنا على أنفسنا بمنع حق المساكين.

قوله: (ويدل على هذا المعنى) أي على أن المراد بتسبيح الله أن يذكروه ويتوبوا إليه ما حكى عنهم من قولهم: ﴿سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ فإنهم نزهوا الله تعالى وقدسوه عن كل سوء ونقصان لا سيما عن أن يكون ظالمًا فيما فعل بهم واعرفوا على أنفسهم بكونهم ظالمين في قصدهم حرمان المساكين اتباعًا لشح أنفسهم، فكأنهم قالوا: نستغفر الله من سوء صنعنا ونتوب إليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم إخراج حق المساكين من غلة بستاننا، واعترفوا بذنبهم حيث قالوا: ﴿إنا كنا ظالمين﴾ وإن كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الأوسط: هلا تنزهون الله عن أن يجري في ملكه ما لا يريده بأن تقولوا لنصرمنّها مصبحين إن شاء الله؟ ومعنى قولهم: ﴿سبحان ربنا﴾ تنزه ربنا عن أن يجري في ملكه شيء إلا بإرادته ومشيئته وهو في معنى الاستثناء. واختلف أهل التفسير في أن ما قاله أهل تلك الجنة إلى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] هل هو توبة منهم؟ فمنهم من توقف في ذلك وقال: يحتمل أن يكون هذا الكلام منهم من قبيل ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة. وذهب الأكثرون إلى أنهم قالوا ذلك بطريق التوبة والإخلاص. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البعير منه عنقودًا. كذا في معالم التنزيل وفي التيسير والكشاف. وقال أبو خالد اليماني: دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل القائم. **قوله: (أو لولا تستثنون)**

لتشاركهما في التعظيم، أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يلوم بعضهم بعضًا فإن منهم من أشار بذلك، ومنهم من استصوبه، ومنهم من سكت راضيًا، ومنهم من أنكره. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾ متجاوزين حدود الله. ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة. وقد روي أنهم بدلوا خيرًا منها. وقرىء «يبدلنا» بالتخفيف. ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة، أو لتضمنها معنى الرجوع ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم منه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لاحترزوا عما يؤديهم إلى العذاب. ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الآخرة، أو في جوار القدس ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ جنات

عطف على قوله: «لولا تذكرونه» أي بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان. يعني أن المفسرين قد اختلفوا في أن المراد بالتسبيح ما هو؟ فقال بعضهم: المراد به الاستثناء فإن لفظ القرآن يدل على أن القوم حين أقسموا ليصرمنها مصبحين، وتركوا الاستثناء بأن يقولوا إن شاء الله أنكر عليهم أوسطهم في تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى على تركهم إياه. ثم لما عاينوا وقوع ما حذرهم الأوسط به قال لهم الأوسط: ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ أي هلا تستثنون فتقولون إن شاء الله. وقال آخرون: إن القوم حين عزموا على منع زكاة ما خرج من جنتهم قال لهم أوسطهم: توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب واعزموا على استثناء حصة المساكين كما كان يخرجها أبوكم. فلم يغيروا عزمهم، فلما رأوا العذاب ذكرهم ما قال لهم سابقًا فقال لهم: ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ الله وتتوبون إليه، فلا جرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح فقالوا: ﴿سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ قيل: إنهم لو تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة. **قوله: (وإلى لانتهاء الرغبة)** لما كان المشهور أن تتعدى الرغبة بكلمة «في» أو بكلمة «عن» ولم يشتهر تعديها بـ «إلى» ذكر المصنف لها وجهين: أحدهما أن تضمن الرغبة معنى الرجوع والآخران معنى الرغبة الرجاء والطلب وأن كلمة «إلى» لبيان أنه تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم. **قوله: (مثل ذلك العذاب)** يعني أن قوله تعالى: ﴿كذلك العذاب﴾ جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ. ثم إنه تعالى لما خوّف الكفار بعذاب الدنيا وبما هو أكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده أحوال أهل السعادة فقال: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ و«عند» يجوز أن يكون ظرفًا معمولاً للاستقرار الذي تعلق به «للمتقين»، وأن يكون متعلقًا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوي في قوله: «للمتقين» ولا يجوز أن يكون حالاً من «جنات» لعدم العامل. **قوله: (أي في الآخرة)** لما استجاز كون

ليس فيها إلا التنعم الخالص. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ إنكار لقول الكفرة، فإنهم كانوا يقولون: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له، وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ تقرؤون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أن لكم ما تختارونه وتشتهونه. وأصله «أن لكم» بالفتح لأنه المدروس، فلما جيء باللام كسرت. ويجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافًا وتخير الشيء واختاره

عندية الجنة بالنسبة إلى الله تعالى مكانية جعل المصنف عنديتها عبارة عن عندية الدار الآخرة بمعنى أنها لا ملك ولا حاكم فيها إلا الله عز وجل، أو عندية قدسه تعالى وطهارته فإن الجنة يقال لها دار القدس وحضرة القدس لكونها مظهر قدس الله تعالى ودليلاً عليه، فالمجاورة بمعنى الملابسة المثبتة له. قال النحويون: الفرق بين عند ولدي أنه إذا قيل: المال عند زيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرًا عنده أو غائبًا كائنًا في شيء يلابسه كبيته وصندوقه وأمينه ونحو ذلك، بخلاف ما إذا قيل: المال لدى زيد فإنه لا يصدق إلا إذا كان المال حاضرًا عنده. **قوله:** (ليس فيها إلا التنعم الخالص) أي لا يشوبها شيء مما يكدر ما فيها من وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من إضافة جنات إلى النعيم، فإنها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه وذلك لا يكون إلا بأن لا يكون فيها إلا النعيم الخالص، ففيه تعريض بأن جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش وينغص التنعم والاستراحة. عن مقاتل قال: لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين: إن الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يكن التفضيل فلا أقل من المساواة. فأجاب الله تعالى فيه على وجه الإنكار بقوله: ﴿أفتجعل المسلمين كالمجرمين﴾ ثم وبخهم بقوله: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ و «كيف» في موضع الحال من المنوي في «لكم» الراجع إلى «ما».

قوله: (وأصله أن لكم بالفتح) جواب عما يقال: إن الجمهور قرؤوا بكسر همزة «إن» والحال أن كلمة «إن» مع ما في حيزها واقعة موقع مفعول «تدرسون» والمعنى: تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لأنفسكم وأن يكون العاصي كالمطيع بل يكون أرفع حالاً منه فائتوا بكتابكم إن كنتم صادقين. وتقرير الجواب: نعم إن الأصل الفتح إلا أنها كسرت لدخول لام الابتداء في اسمها فإن لام الابتداء لا تدخل على ما في حيز «أن» المفتوحة تقول: علمت أنك عاقل بالفتح وتقول: علمت أنك لعاقل بالكسر، وكسر «أن» بعد تدرسون لأنه علق عنه لما فيه من معنى العلم. **قوله:** (ويجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافًا)

أخذ خيره. ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ عهود مؤكدة بالإيمان. ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ متناهية في التوكيد. وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلق بالمقدر في «لكم» أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم، أو ببالغة أي إيمان تبلغ ذلك اليوم. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ جواب القسم لأن معنى ﴿أم لكم أيمان علينا﴾ أم أقسمنا لكم. ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ يشاركونهم في هذا القول. ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ في دعواهم إذ لا أقل من التقليد. وقد نبّه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه لا استحقاق، أو وعد أو محض تقليل على الترتيب تنبيهًا على مراتب النظر وتزييفًا لما لا

وجهان آخران لكسر «إن» تقرير الأول: أن جملة «إن لكم فيه لما تخيرون» يجوز أن يكون كسر «أن» فيها لعدم وقوعها موقع المفرد فحكاها الله تعالى في القرآن بصورتها، وإن كانت في تأويل المفرد في هذا النظم لكونها مفعول «تدرسون». وهذا الوجه لا يخلو عن بعد لأن كلمة «فيه» في قوله تعالى: «إن لكم فيه لما تخيرون» تأبى أن يكون هذا النظم بصورة هذا المدروس الواقع في الكتاب المفروض إلا أن يقال: إنها مقحمة فيه تأكيدًا لما ذكر أولاً وليست واقعة في النظم المحكي. وتقرير الثاني أنه يجوز أن يتم الكلام عند قوله: «فيه تدرسون» بأن ينزل «تدرسون» منزلة اللازم ويكون المعنى: توقعون القراءة فيه كما في قوله:

يجرح في عراقيبها نصلي

ثم يبتدأ ويقال: ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ أي ليس لكم ذلك. **قوله:** (عهود مؤكدة بالإيمان) يقال لفلان على يمين بكذا إذا ضمنت وكلفت له به وحلفت له على الوفاء به أي بل ضمنًا لكم وأقسمنا بأيمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالأيمان. **قوله:** (متناهية في التوكيد) يعني كون الأيمان بالغة عبارة عن كونها في غاية القوة والصحة وكل شيء يكون في نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بأنه بالغ. **قوله:** (حتى تحكمهم في ذلك اليوم) أي حتى نجعلكم حكامًا في ذلك اليوم ونطيعكم فيما تحكمون، أو هو متعلق «ببالغة» أي تبلغ إلى يوم القيامة بمعنى أنها في لزومها وتأكدها بحيث تنتهي إلى ذلك اليوم تامة ولا يبطل منها شيء إلى أن يحصل المقسم عليه الذي هو التحكيم واتباعنا لحكمهم. **قوله:** (بذلك الحكم قائم) إشارة إلى أن قوله: «بذلك» متعلق «بزعيم» وأن الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى وإقامة الحجة عليها أي سل الذين يدعون أن لهم علينا عهودًا مؤكدة بالأيمان على أن نحكمهم يوم القيامة ونطيعهم فيما يحكمون به من أن نجعلهم كالمسلمين، أو نفضلهم عليهم أيهم قائم بهذه الدعوى وبالاحتجاج على صحتها كما يقوم زعيم القوم بإصلاح أمورهم وأيهم

سند له. وقيل: المعنى: أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة؟ كأنه لما نفى أن يكون التسوية من الله نفى بهذا أن يكون مما يشركون الله به.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب. وكشف الساق مثل في ذلك، وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب. قال حاتم:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها   وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

معلق بسلهم لأن السؤال في معنى العلم لكونه سببًا له. ثم إنه تعالى لما أنكر عليهم أن يكون حكمهم بالتسوية بين المسلمين والمجرمين مستندًا إلى دليل عقلي حيث قال: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أو إلى دليل نقلي حيث قال: ﴿أم لكم كتاب﴾ أنكر عليهم أيضًا أن يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا إليه من التسوية بين المحسن والمسيء حتى يقلدوهم لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال: ﴿أم لهم شركاء﴾ فثبت أن ما زعموه باطل من كل الوجوه. **قوله**: (وقيل المعنى) قال الإمام: قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء﴾ في تفسيره وجهان: الأول أن المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله تعالى ويعتقدون أن أولئك الشركاء يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب، وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم جعلوها شركاء لله تعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿هَل مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠] الوجه الثاني أن المعنى أم لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلم والمجرم، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم. والمراد بيان أنه كما ليس لهم دليل عقلي في إثبات هذا المذهب ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول، وذلك يدل على أنه باطل من كل الوجوه. ثم إنه تعالى لما أبطل قولهم وبيّن أنه لا وجه لصحته أصلاً شرع بعد ذلك في بيان عظمة يوم القيامة فقال: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ و«يوم» ظرف منصوب بقوله: «فليأتوا» فكأنه تعالى قال: إن كانوا صادقين في أنها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب لتنفعهم أو تشفع لهم، أو منصوب «باذكر» المقدر ويجوز أن يكون العامل المحذوف غير «اذكر» ويكون تقدير الكلام: يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت، فحذف للتهوين البليغ وإشعارًا بأن «ثم» من الكوائن ما لا يوصف لعظمته.

قوله: (**وكشف الساق مثل في ذلك**) يعني أنه استعارة تمثيلية في اشتداد الأمر وصعوبته. فمعنى الآية: يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وإنما هو مثل في البخل بأن شبهت حال الشدة عليهم من الأمر في الموقف بحال المخدرات اللاتي اشتد عليهن الأمر فاحتجن إلى تشمير

أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير عيانًا، مستعار من ساق الشجر وساق الإنسان. وتنكيره للتهويل أو للتعظيم. وقرىء «تكشف» بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة أو الحال. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ توبيخًا على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة، أو يدعون إلى الصلوات لأوقاتها إن كان وقت النزع. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)﴾ لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه. ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يلحقهم ذل. ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا أو زمان الصحة. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ (٤٣)﴾

ساقهن في الهرب، فاستعمل في حق أهل الموقف من الأشقياء ما يستعمل في حقهن من غير تصرف في مفردات التركيب بل التصرف إنما هو في الهيئة التركيبية. روي أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

سنّ لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال هو يوم كرب وشدة. **قوله:** **(أو يوم يكشف عن أصل الأمر)** معطوف على قوله: «يشتد الأمر» أي ويجوز أن يكون من باب التمثيل بأن يشبه أصل الأمر وحقيقته بساق الشجر ويطلق عليه اسم المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. وتنكير «ساق» للتهويل والدلالة على أنها شدة خارجة عما يتخيله الإنسان كأنه قيل: يوم يكشف عن شدة وأي شدة لا يمكن وصفها. **قوله:** **(أو للتعظيم)** على أن يكون الساق مستعارًا لأصل الأمر وحقيقته. وقرأ الجمهور «يكشف» بياء تحتية على بناء المفعول و«عن ساق» قائم مقام الفاعل. وقرىء بالتاء الفوقية على بناء الفاعل وإسناد الفعل إلى ضمير الساعة وعلى بناء المفعول أيضًا وإسناده إلى ضمير الحال. **قوله:** **(إن كان اليوم يوم القيامة)** شرط لقوله: «توبيخًا» يعني أنهم اختلفوا في هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق أهو يوم القيامة، أو آخر أيام الرجل في دنياه، أو يوم مرضه أو هرمه وعجزه عن أداء الصلاة؟ فذهب الجمهور إلى أنه يوم القيامة فإن الكفار والمنافقين يدعون إلى السجود فيه لكن لا على سبيل التكليف لأن يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف، بل على سبيل التوبيخ والتخجيل على تركهم السجود في الدنيا. ثم إنه تعالى حال ما يدعوهم إلى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة ويجعل ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، كأن ظهورهم أدخلت فيها السفافيد فلا تنحني فيبقون قيامًا كما كانوا على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالمو الأعضاء والمفاصل. وذهب آخرون إلى أنه ليس المراد منه يوم القيامة لأنه تعالى وصف ذلك اليوم بأنهم يدعون فيه إلى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف، بل المراد به يومه الذي عجز فيه عن

متمكنون فيه مزاحو العلل فيه. ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ كله إليّ فإني أكفيكه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم حسبوه تفضيلاً لهم على المؤمنين ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ لا يدفع بشيء وإنما سُمّي إنعامه استدراجًا بالكيد لأنه في صورته ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ الإرشاد ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ من غرامة

أداء الصلاة من أيام الدنيا إما من القسوة النازلة بهم من هول ما عاينوه عند النزع وإما بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض أو الهرم، وقد كانوا يدعون إلى السجود زمان الصحة بقول المؤذن حي على الصلاة فلا يجيبون وهم أصحاء معافون قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات. وقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم﴾ حال من مرفوع «يدعون» و«أبصارهم» مرفوع على أنه فاعل «خاشعة» ونسب الخشوع للأبصار وإن كانت الأعضاء خاشعة ذليلة متواضعة لظهور أمر خشوع الجميع فيها، وقوله: ﴿وهم سالمون﴾ حال من مرفوع «يدعون» الثانية. ثم إنه تعالى لما خوّف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في تخويفهم بذكر وعيده وما في قدرته من القهر فقال: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ وهو القرآن وقيل: القيامة والمعنى كل أمره إليّ فإني أكفيكه أي إذا علمت يوم القيامة واشتداد الأهوال الآتية فيه فكل أمر المكذبين إليّ. وهذه تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديد لمن كذبه. **قوله:** (ومن) منصوب بالعطف على ضمير المتكلم، أو أنه مفعول معه وهو مرجوح لإمكان العطف من غير ضعف. **قوله:** (سندنيهم من العذاب درجة درجة) أي حتى نوقعهم فيه. **قوله:** (وهو الإنعام عليهم) أي أدناؤهم من العذاب من حيث لا يعلمون أنه استدراج هو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه تفضيلاً لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لإهلاكهم، فإن العبد إذا كان بحيث كلما ازداد ذنبًا جدد الله له نعمة وأنساه التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجًا بحيث لا يشعر العبد أنه استدراج. روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك وأنت لا تعاقبني. فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن قل له: كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر كونها عقوبة، إن جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت. وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج». وتلا هذه الآية. **قوله:** (لأنه في صورته) أي في صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لأن ظاهره إحسان وإنعام وحقيقته إهلاك وعذاب، ولا خفاء أن الإهلاك بما في صورة الإحسان في صورة الكيد والاحتيال. **قوله تعالى:** (أم تسألهم أجرًا) معطوف على قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ أي لا تلتمس منهم أجرًا على ما تدعوهم إليه من الإيمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات

﴿مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ بحملها فيعرضون عنك ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح أو المغيبات ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مملوء غيظ من الضجرة فتبتلى ببلائه. ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل. وقرىء «تداركته» و«تداركه» أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه. ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الخالية عن الأشجار

في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الإيمان والطاعة، والمعنى: ليس عليهم كلفة في متابعتك بل هي سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة والمغرم الغرامة. ثم إنه تعالى لما بالغ في تزييف طريق الكفار وفي زجرهم عما هم عليه قال له عليه الصلاة والسلام: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي لقضائه أو لما حكم به من إمهالهم وتأخر نصرتك عليهم.

قوله تعالى: (إذ نادى) منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله أو قصتك كقصته في وقت ندائه ربه وتوبته وهو في بطن الحوت وهو في ذلك الوقت كان مكظومًا أي مملوءًا غمًا وغيظًا وحزنًا، من كظم السقاء إذا ملأه، والمعنى: لا يوجد منك ما يوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلي ببلائه. فإن يونس عليه الصلاة والسلام لم يصبر على أذى قومه وخرج مغاضبًا فضيق الله تعالى عليه فالتقمه الحوت، ونداؤه ما أخبر الله تعالى به عنه وهو قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته تصريحًا بل ذكرها تعريضًا حيث ذكر نداءه وتوبته، فلا يرد أن يقال: كيف يصح أن ينهى أحد عن أن يكون حاله كحال يونس إذ نادى في بطن الحوت مع أن حاله وقت ندائه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف بالذنب والتوبة عنه، وكل ذلك طاعة والطاعة لا ينهى عنها وذلك لأن المراد بحاله وقت ندائه الحالة التي اقتضت الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضًا بذكر هذه الطاعة تصريحًا، وقد ذكرت تلك الحال صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨] نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل أنه قال: «إذ نادى» لا يتعلق بـ «لا تكن» إذ النداء طاعة فلا ينهى عنها فالأوجه أن يكون مفعولاً به «لاذكر» مقدرًا. **قوله:** (وحسن تذكير الفعل) مع كونه مسندًا إلى النعمة للفصل بينه وبين فاعله بالضمير المنصوب مع أن تأنيث النعمة غير حقيقي وفيما أسند إلى ظاهر غير حقيقي يجوز الأمران، ولأن النعمة والإنعام بمعنى واحد. وتدارك فعل ماضٍ بمعنى أدركه ويدل عليه قراءة من قرأ «تداركته» بزيادة تاء

﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النبذ. ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بأن رد الوحي إليه أو استنبأه إن صح أنه لم يكن

التأنيث في آخره. وقرىء أيضًا «لولا أن تداركه» بتشديد الدال وهو مضارع أصله تتداركه أدغمت التاء الثانية في الدال بعد قلبها دالاً وجعل هذه القراءة مبنية على حكاية الحال الماضية، ومعنى حكاية الحال الماضية أن تقدر أن تلك الحال واقعة في حال التكلم فيعبّر عنها بلفظ يدل على وقوعها في حال التكلم ولا يفعل هذا فيما وقع سابقًا إلا إذا كان أمرًا غريبًا، فتقصد بسلوك هذه الطريق أن تحضره للمخاطب وتصوره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابته مثل أن يقول: رأيت الأسد فآخذ السيف فأقتله. فظهر بهذا التقرير أن ما يكون على حكاية الحال الماضية لا يدخله علم الاستقبال لأن دخوله عليه ينافي الغرض المذكور فكان دخول «أن» الاستقبالية على قوله: «تداركه» مانعًا من حمله على حكاية الحال الماضية، فلذلك قال المصنف في تصوير المعنى: حينئذٍ لولا أن كان يقال فيه «تتداركه» فأدخل علامة الاستقبال على القول المقدر فصح بذلك أن يحمل قوله: «تتداركه» على حكاية الحال، وليس مراده بتقدير القول بيان أن حكاية الحال تقتضي تقديره لما عرفت من أن حكايتها لا تقتضي تقدير القول بل يكفي فيها أن يقدر وقوعها في حال التكلم ويعبّر عنها بما يدل على وقوعها فيه. **قوله**: (مليم) اسم فاعل من ألام الرجل بمعنى أتى بما يلام عليه. **قوله**: (وهو حال) أي من مرفوع قوله: ﴿لنبذ﴾ يعتمد عليها الجواب يعني أن جواب «لولا» في الحقيقة مفهوم قوله: ﴿وهو مذموم﴾ وإن كان في الظاهر هو قوله ﴿لنبذ﴾ وذلك لأن «لولا» الامتناعية تقتضي أن يكون جوابها منتفيًا والمنتفي ههنا ليس نفس النبذ بالعراء لأن ذلك قد وقع بقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ [الصافات: ١٤٥] بأن سخرنا الحوت لأن يلقيه فيها بل المنتفي هو نبذه فيها مذمومًا فإنه تعالى نبذه بالعراء محمودًا وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون من حيث إنه أدركته نعمة التوفيق للتوبة عن زلته وقبول تلك التوبة، ولولا أن أدركته تلك النعمة لنبذ مذمومًا مليمًا. وقيل: معنى الآية لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثم نبذ بعراء عرصة القيامة مذمومًا حين يحشر الناس ولكن منّ الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذه بعراء الدنيا. ويدل على هذا القول قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

قوله: (**بأن رد الوحي إليه أو استنبأه**) يؤيد الأول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: رد الله تعالى إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه. أي قبل شفاعته في نفسه وقومه وقبل توبته. ومن أنكر الكرامات والإرهاص لا بد له أن يختار هذا القول لأن احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن إرهاصًا ولا كرامة لا بد أن يكون معجزة،

نبيًا قبل هذه الواقعة. ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أولى. وفيه دليل على خلق الأفعال. والآية نزلت حين هم رسول الله ﷺ أن يدعو على ثقيف وقيل: بأحد حين حل به ما حل فأراد أن يدعو على المنهزمين.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ «إن» هي المخففة واللام دليلها. والمعنى: إنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزرًا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم: نظر إلي نظرًا يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين، إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ فنزلت. وفي الحديث: أن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» ولعله يكون من خصائص بعض النفوس. وقرأ نافع «ليزلقونك» من زلقته فزلق كحزنته فحزن. وقرىء «ليزهقونك» أي ليهلكونك. ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن أي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ حيرة في أمره وتنفيرًا عنه ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

وذلك يقتضي أن يكون رسولاً قبل هذه الواقعة. وقال قوم: لعل صاحب الحوت ما كان رسولاً قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولاً بعد هذه الواقعة، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿فاجتباه ربه﴾. **قوله: (وفيه دليل على خلق الأفعال)** فإن أفعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل: ﴿فجعله من الصالحين﴾ فإنه صريح في أن ذلك الصلاح إنما حصل بجعل الله تعالى وخلقه. **قوله: (ينظرون إليك شزرًا)** الشزر نظر الغضبان بمؤخر عينه، أو على وجه يؤذن بالغضب والعداوة. **قوله: (إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون)** وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء من الإبل أو الغنم أو غيرهما فيقول: لم أر كاليوم إبلاً وغنمًا أحسن من هذه أو مثلها إلا عانه فلا تذهب إلا قليلاً حتى تسقط طائفة منها هالكة، فسأل الكفار بعض من كان له هذه الصفة أن يقول في رسول الله ﷺ ذلك فعصمه الله تعالى من شرهم. ومن الناس من أنكر إصابة العين وقال: إنها لا حقيقة لها لأن تأثير الجسم في الجسم لا يعقل إلا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير. والمصنف أشار إلى جوابه بقوله: يكون من خصائص بعض النفوس فإن النفوس مختلفة في جواهرها وهيئاتها، وإذا كان كذلك لا يمتنع أيضًا اختلافها في لوازمها وآثارها فلا يستبعد أن يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور. **قوله: (وقرأ نافع ليزلقونك)** بفتح الياء على أن زلق بفتح اللام متعد وبالكسر لازم يقال: زلقته فزلق أي أسقطته فسقط مثل حزنته فحزن، والباقون بضم الياء من أزلقه أي أزل رجله. **قوله: (وقرىء ليزهقونك)** من زهقت نفسه أي هلكت وأزهقها غيره أي أهلكها. **قوله: (ينبعث عند سماعه بغضهم)** يعني أن «لما» ظرفية

لما جننوه لأجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من كان أكمل الناس عقلاً وأمتنهم رأيًا. عن النبي ﷺ: «مَن قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى أخلاقهم».

منصوبة «بيزلقونك». **قوله**: (بين أنه ذكر عام) أي للجن والإنس يتعظون به ويستنبطون منه صلاح أحوالهم المتعلقة بالدين والدنيا. وفيه من الآداب والحكم ومن سائر العلوم ما لا حد له ولا حصر فمن يظهر مثل هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس إلى العمل بما فيه كيف يقال في حقه إنه مجنون، والحال أنه من أدل الأمور على كمال عقله وعلو شأنه فمن نسب إليه القصور فإنما هو من جهله وخيبته، فإن ذا الفضل لا يعرفه إلا ذووه:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

تمت سورة نون والحمد لله رب العالمين

سورة الحاقة

مكية وآيها إحدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١﴾ أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها والتي تحق فيها الأمور أي يعرف حقيقتها. أو يقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي وهي مبتدأ خبرها. ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢﴾ وأصله ما هي أي أي شيء هي على التعظيم لشأنها

سورة الحاقّة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها) أي يجب. والحاقة اسم فاعل من حق الشيء يحق بكسر الحاء أي وجب، حذف موصوفها وهو الساعة أو الحالة، وكذا على قوله: أو التي تحق فيها الأمور إلا أنه من حققته أحقه بالضم إذا عرفت حقيقته وصرت منه على يقين. فعلى هذا الحاقة بمعنى الفارقة للأمور بحقيتها سميت الساعة بها مع أن الفعل لأهلها على الإسناد المجازي على طريق: ليله قائم ونهاره صائم فإن الخلائق هم الذين يعرفون الأمور على حقيقتها يوم القيامة فأسند العرفان إلى الوقت مجازًا. **قوله:** (أو يقع فيها حواق الأمور) أي ثوابتها على أن الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشيء يحق بالكسر أي ثبت، والثبوت وصف لما يقع في الساعة من الحساب والجزاء وصف به نفس الساعة على الإسناد المجازي أيضًا فقوله: «على الإسناد المجازي» متعلق بكل واحد من الوجهين الأخيرين. **قوله:** (خبرها ما الحاقة) يعني أن «ما» مبتدأ ثان و «الحاقة» خبره والجملة خبر الأول. ولما

والتهويل لها، فوضع الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ وأي شيء أعلمك ما هي أي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد. و«ما» مبتدأ و«أدراك» خبره ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ بالحالة التي تقرع الناس بالإفزاع والإجرام بالانفطار والانتثار، وإنما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي

ورد أن يقال: الجملة الواقعة خبر المبتدأ لا بد فيها من العائد ولا عائد في هذه الجملة؟ أجيب بأنه صح ذلك لاشتمالها على الظاهر الذي أقيم مقام الضمير العائد، فإن أصلها الحاقة ما هي أي أي شيء هي؟ وضع الظاهر موضع الضمير تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها فإن معنى التفخيم وإن كان مستفادًا من الجملة الاستفهامية إلا أنه إذا وضع الظاهر موضع الضمير يكون ذلك أدل عليه وآكد، فإن البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير في نظمهم ونثرهم لقصد التعظيم والتفخيم فيقولون: زيد ما زيد بدل أن يقال: ما هو؟ لتعظيم شأنه وتفخيم أمره، فإن دلالة الظاهر على ما هو منشأ التعظيم والتهويل أكثر من دلالة الضمير عليه. فقول المصنف: «على التعظيم لشأنها» بيان لمعنى الاستفهام وقوله: «لأنه أهول لها» إشارة إلى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير.

قوله: (وأي شيء أعلمك ما هي) إشارة إلى أن «ما» الأولى استفهامية ومعناها التفخيم والتعظيم وكذا «ما» الثانية، وكل واحدة منهما مبتدأ وما بعدها خبر والجملة الثانية في محل النصب على أنها مفعول ثانٍ «لأدري» بل هي سادة مسد المفعول الثاني والثالث له لأنه بمعنى أعلم وهو يتعدى إلى ثلاثة، وإدراك غير عامل فيها لما فيها من معنى الاستفهام. **قوله:** (تقرع الناس بالإفزاع) أي تصيبهم بها كأنها تقرعهم بها. شبهت الإصابة بالقرع فسميت باسمه، ثم اشتق منه فهي استعارة تبعية. وكان مقتضى الظاهر أن يقال: كذبت ثمود وعاد بها أي بالحاقة من حيث إنه تعالى لما ذكر الحاقة وفخم شأنها شرع في ذكر من كذب بها وما خلق لهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم، إلا أنه وضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما في القارعة من الدلالة على الشدة والهول ما ليس في ضمير الحاقة. وثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز، وعاد قوم هود عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالأحقاف والأحقاف رمل بين عمان إلى حضرموت أو اليمن كله. **قوله:** (بالواقعة المجاوزة للحد) يعني أن الطاغية صفة لمحذوف هي الواقعة، وأن الطغيان مجاوزة الحد في أي شيء كان، وأن الباء فيها للاستعانة كما في: كتبت بالقلم. وتلك الواقعة هي الصيحة المجاوزة في قوتها وشدتها

الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على أنها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي شديدة الصوت أو البرد من الصر أو الصر ﴿عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ شديدة العصف كأنها عتت على خزائن فلم يستطيعوا ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي ما يتوهم من أنها كانت من اتصالات فلكية إذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب. ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ متتابعات

عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب أحد منهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] أو الرجفة أي الزلزلة العظيمة لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: ٣٧؛ الأعراف: ٧٨ و٩١] انتهى. **قوله: (أو بسبب طغيانهم)** على أن تكون الطاغية مصدرًا بمعنى الطغيان كالكاذبة والعافية، وتكون الباء سببية فإن طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فأهلكوا بسببه كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] إلى قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤]. **قوله: (وهو لا يطابق قوله وأما عاد فأهلكوا)** أي جعل الطاغية بمعنى الطغيان وجعل الباء سببية لا يلائم قوله: ﴿فأهلكوا بريح﴾ لأن الباء فيه للاستعانة لا للسببية فجعلها في الجملة الأولى للسببية لا يلائم ما بعدها. **قوله: (من الصر أو الصر)** الأول بفتح الصاد وهو الصوت يقال: صر الجندب صريرًا وصر القلم، والصر بكسر الصاد برد يضر بالنبات والحرث. **قوله: (كأنها عتت)** أي عصت وتمردت وغلبت على خزانها فجعل قوله تعالى: ﴿عاتية﴾ استعارة تبعية بأن شبهت شدة عصف الريح بعتوها على خزانها فسميت باسمه، ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لأن حقيقة العصيان من صفات العقلاء. وقال الكلبي: عتت الريح على خزانها فلم تطعهم ولم يستطيعوا ضبطها من شدة هبوبها غضبًا لله تعالى ولم يخرج قبل ذلك ولا بعد شيء منها إلا بقدر معلوم. وقال عليه الصلاة والسلام: «طغى الماء على خزانه يوم نوح وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليهما سبيل». وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: المراد بعتوها غلبتها عليهم. فإنهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار ببناء أو الاستناد إلى جبل لأنها كانت تنزعهم عن أماكنهم وتهلكهم. **قوله: (إذ لو كانت)** علة لوجه كون قوله تعالى: ﴿سخرها عليهم﴾ نافيًا للوهم المذكور. وتقريرها أن تلك الريح الصرصر العاتية لو كانت مقتضى الاتصال النجومي الفلكي لكان اقتضاؤه إياها بتقدير الفاعل المختار وجعله سببًا لها لا أن الاتصال المذكور يقتضي إياها لذاته، إذ لو كان كذلك لما حصل منه تخويف قريش وتحذيرهم عن التكذيب بسبب كونه مؤديًا إلى عداوته تعالى. **قوله: (متتابعات)** بيّن الله تعالى أولاً زمان

جمع حاسم من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيها، أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته، أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرًا منتصبًا على العلة بمعنى قطعا أو المصدر لفعله المقدر حالاً أي تحسمهم حسومًا ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر. وإنما سميت عجوزًا لأنها عجز

تعذيبهم بتسخير الريح عليهم فقال: ﴿سبع ليال وثمانية أيام﴾ **ثم بيّن أن ذلك التعذيب لم يكن متفرقًا في تلك المدة بل كان على التتابع والتوالي بحيث لم يخل يومًا من تلك الأيام ولا ليلة من لياليها عن ذلك فقال:** ﴿حسومًا﴾ **أي متتابعة من غير فتور ولا انقطاع في تلك المدة.** وقوله تعالى: «سبع ليال» منصوب على الظرفية و «حسومًا» حال من مفعول «سخرها» أي أرسلها عليهم بقدرته في حال كونها متتابعة الهبوب في تلك المدة من غير فتور ولا انقطاع إلى أن تستأصل القوم وتقطع دابرهم، وهو جمع حاسم كشهود وعهود جمع شاهد وعاهد، فقوله: «حسومًا» بمعنى حاسمات. عبّر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والأيام، ومعنى الحسم في اللغة القطع بالاستئصال وسمي السيف حسامًا لأنه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته، وسمي كي الدابة ذات الداء إلى أن يزول عنها الداء بأصله وتنقطع مادة الداء بالكلية حسمًا لأن الفاعل يعيد الكي على الدابة كرة بعد أخرى إلى أن يستأصل المادة ويقطعها بالكلية. ولما كانت الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى أهلكتهم جميعًا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم في إعادته الكي على الدابة مرة بعد أخرى حتى ينحسم ما بها، فسمي ذلك التتابع حسمًا وسميت الرياح من حيث تتابع هبوبها إلى أن تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة. والحاصل: أن تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات: الأولى تتابع هبوبها، والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة أتت عليها، والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسومًا بمعنى حاسمات إما تشبيهًا لها بمن يحسم داء الدابة في تتابع الفعل وإما لأن الحسم في اللغة القطع والاستئصال. **قوله:** (**ويجوز أن يكون مصدرًا**) عطف على قوله: «جمع حاسم» أي ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوبًا على أنه مفعول له أي سخرها عليهم لأجل حسمهم واستئصالهم، أو على أنه مصدر مؤكد لفعله المقدر أي تحسمهم حسمًا وتستأصلهم استئصالاً، وتكون الجملة في محل النصب على أنها حال من الضمير المنصوب في «سخرها». ويؤيده القراءة بفتح الحاء فإن «حسومًا» في هذه القراءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعًا مستأصلاً. **قوله:** (**وهي كانت أيام العجوز**) وهي أيام في آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة تسميها العرب أيام العجوز إما لأنها في عجز الشتاء، أو لأن عجوزًا من قوم عاد دخلت سربًا، وهو بفتحتين بيت في الأرض، فانتزعتها الريح فأهلكتها.

للشتاء أو لأن عجوزًا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فأهلكتها. ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ إن كنت حاضرهم ﴿فِيهَا﴾ في مهابها أو في الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ موتى جمع صريع. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول نخل ﴿خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ متأكلة لا جواف ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ من بقية أو نفس باقية أو بقاء. ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ومن تقدمه. وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله «أي» ومن عنده من اتباعه. ويدل عليه أنه قرىء ومن معه. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط عليه السلام والمراد أهلها ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي فعصى كل أمة رسولها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ جاوز حده المعتاد أو طغى على

قوله تعالى: (صرعى) حال من القوم لأن الرؤية بصرية أي لو كنت عندهم في ذلك الوقت لرأيتهم في مهابها مصروعين. والكاف في «كأنهم» في موضع الحال أيضًا إما من «القوم» على قول من جوز حالين من ذي حال واحد أو من المنوي في «صرعى» عند من لم يجوز ذلك أي مصروعين مشبهين بأعجاز نخل خاوية الأجواف لا شيء فيها. شبّهوا بها من حيث إن أبدانهم خوت أي خلت من أرواحهم كالنخل الخاوية. وفيه إشارة إلى عظم خلقهم وضخامة أجسامهم وإلى أن الريح أبلتهم فصاروا كالنخل البالية. قيل: كانت الريح تدخل في أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية. **قوله:** (من بقية الخ) يعني يجوز أن تكون «الباقية» اسمًا بمعنى البقية وأن تكون صفة فيقدر لها موصوف، وأن تكون مصدرًا بمعنى البقاء كالعافية. وعلى التقادير كلها قوله: «من باقية» مفعول «ترى» و «من» زائدة. ثم إنه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفًا لأهل مكة شرع في ذكر قصص سائر المكذبين فقال: ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ بفتح القاف وسكون الباء بمعنى ومن تقدمه وكان قبله من الكفرة. وقرىء بكسر القاف وفتح الباء بمعنى عنده من اتباعه. **قوله:** (قرى قوم لوط) سميت مؤتفكات لأنه تعالى قلبها على قوم لوط عليه الصلاة والسلام من أفكه على الشيء إذا قلبه، وأتفكت البلدة بأهلها أي انقلبت. **قوله:** (بالخطأ) على أن تكون الخاطئة مصدرًا كالعافية وما بعده على أن تكون صفة لمحذوف هو الفعلة، أو الأفعال والبناء للنسب كتامر ولابن أي بالفعلة ذات الخطأ أو الأفعال ذات الخطأ. **قوله:** (زائدة في الشدة) أي على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم القبيحة كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفرة يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد، ومنه الربا الشرعي وهو الفضل الذي يأكله آكل الربا زائدًا على ما أعطاه. **قوله:** (جاوز حده المعتاد) يعني أن الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل: إنه ارتفع على كل شيء خمسمائة ذراع.

خزانه وذلك في الطوفان. وهو يؤيد من قبله. ﴿حَمَلْنَكُمْ﴾ أي آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ في سفينة نوح عليه السلام ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ لنجعل الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين. ﴿تَذْكِرَةً﴾ عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته. ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ وتحفظها. وعن ابن كثير و«تعيها» بسكون العين تشبيهًا بكتف. والوعي أن تحفظ الشيء في نفسك، والإيعاء أن تحفظه في غيرك. ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه لتذكره وإشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه. والتنكير للدلالة على قلتها، وإن من هذا شأنه مع قلته سبب لإنجاء الجم الغفير وإدامة نسلهم. وقرأ نافع «إذن» بالتخفيف. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيمًا لشأنها وتنبيهًا على إمكانها. عاد إلى شرحها وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل.

ويجوز أن يكون المراد مجاوزة حده في المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل: إن الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه. **قوله: (وهو يؤيد من قبله)** بفتح القاف وسكون الباء لأن الآية امتنان على المؤمنين بإنجائهم مما أخذ به الجائين بالخاطئة من إغراقهم بالطوفان. **قوله: (تشبيهًا بكتف)** يعني أن تعي تشبه كتف وفخذ والعرب تخفف مثلهما بإسكان الوسط، فلذلك أسكن في «تعيها». **قوله: (والوعي أن تحفظ الشيء)** فيقال: وعيت العلم ووعيت ما قلته، ويقال: أوعيت المتاع في الوعاء. **قوله: (وإن من هذا شأنه)** أي أن معنى التنكير فيه للتقليل مع التعظيم، وأن من وعى هذه الفعلة إنما يعيها ويحفظها لأجل أن يذكرها للناس ويرغبهم عن الأعمال الباطلة بما ينجي ويحذرهم عن الكفر المردي فيكون سببًا لنجاة جم غفير ودوام نسلهم، فتكون الأذن التي هذا شأنها أذنًا معظمة. **قوله: (وقرأ نافع إذن بالتخفيف)** أي بسكون الذال، والباقون بضمتين وهي مؤنثة وتصغيرها أذينة. **قوله: (وتنبيهًا على إمكانها)** فإن ما ذكره في شرح حال المكذبين بعد ما بالغ في تهويل الحاقة يدل على القدرة الكاملة والحكمة البالغة، فكان ذلك تنبيهًا على إمكان القيامة لأن القدرة على هذه الأمور العظام تدل على القدرة على البعث والنشور كما أن حكمة القادر تدل على وقوعها. وشرع بعد ذلك في تفاصيل أحوال القيامة فذكر أولاً مقدماتها فقال: ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ الآية. **قوله: (وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر الخ)** يعني أن المصدر المبهم وهو الذي يكون لمجرد التأكيد نحو: ضربت ضربًا لا تجوز إقامته مقام الفاعل فلا يقال: ضرب ضرب وإنما يقال: ضرب ضربة أو الضرب الفلاني، لأن ما يقوم مقام الفاعل يجب أن يكون مثله في إفادة ما يفيده والمصدر المبهم لا يفيد أمرًا زائدًا على مدلول الفعل فلا يقام مقام الفاعل. و«نفخة» في هذه الآية ليست من قبيل المصادر المبهمة لأنها لا تطلق على

وقرىء «نفخة» بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التي عندها خراب العالم. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة. ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء، أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا عوج فيها ولا امتًا لأن الدك سبب للتسوية. ولذلك قيل: ناقة دكاء للتي لا سنام لها، وأرض دكاء للمتسعة المستوية.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ فحينئذٍ ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لنزول

مجرد النفخ بل تطلق على النفخ المقيد بقيد المرة وحسن تذكير الفعل المسند إلى نفخة للفصل بينهما، أو جواز التذكير مبني على كون تأنيث النفخة غير حقيقي. **قوله:** (**وقرىء نفخة بالنصب**) أي على المصدرية وإسناد الفعل إلى الجار والمجرور لأنه إذا لم يوجد المفعول به فجميع المفاعيل سواء في جواز إقامتها مقام الفاعل. وحمل المصنف «النفخة» على النفخة الأولى وهي التي لا يبقى عندها حيوان إلا مات ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله عقيبه: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ وهذه الحالة تكون عند النفخة الأولى وقوله بعد ذلك: ﴿فيومئذٍ وقعت الواقعة﴾ هي صيحة القيامة. قال الإمام: المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة الأولى لأن عندها خراب العالم. ثم قال: فإن قيل: أما قال بعد ذلك: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة: ١٨] والعرض إنما يكون عند النفخة الثانية؟ فأجاب عنه بقوله: جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب، فلذلك قال: ﴿يومئذ تعرضون﴾ كما تقول: جئته يوم كذا وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته.

قوله: (**فضربت الجملتان**) إشارة إلى وجه تثنية ضمير «دكتا» والظاهر أن يقال: دككن لإسناد الفعل إلى الأرض والجبال وهي أمور متعددة إلا أنه جعل الجبال كلها جملة واحدة والأرض جملة أخرى فعبّر عنهما بضمير التثنية، ونظيره قوله تعالى في خلق السمٰوات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] حيث لم يقل: كن.

قوله: (**فيومئذٍ وقعت الواقعة**) جواب لقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ و«يومئذٍ» بدل من «إذا» وتكرير لمعناه كرره لما طال الكلام والبدل مع متبوعه منصوبان «بوقعت»، و«يومئذٍ» في قوله: ﴿فهي يومئذٍ واهية﴾ ظرف «لواهية» أي فالسماء يوم إذا نفخ في الصور وقامت القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد أن كانت محكمة شديدة يقال: وهي البناء يهي وهيًا فهو واهٍ إذا ضعف جدًا.

الملائكة. ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ضعيفة مسترخية. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ والجنس المتعارف بالملك. ﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ جوانبها. جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة أثر ذلك. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية لأنها في نية التقديم. ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ ثمانية أملاك لما روي مرفوعًا: «إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى». وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. ولعله أيضًا تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم

قوله تعالى: (والملك على أرجائها) قال الضحاك: إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على أرجائها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن عليها. وقيل: إن الناس إذا رأوا جهنم يفزعون فيندون كما تند الإبل فلا يأتون قطرًا من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون إلى حيث جاؤوا. قوله: (ولعله تمثيل لخراب الدنيا) الظاهر أنه إشارة إلى ما أورده الإمام الرازي بقوله: فإن قيل: الملائكة يموتون في الصعقة الأولى لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] فكيف يقال: إنهم يقفون للحفظ على أرجاء السماء يومئذٍ؟ وأجاب عنه بقوله: قلنا: الجواب من وجهين: الأول أنهم يقفون على أرجاء السماء ثم يموتون، والثاني أن المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وأشار المصنف إلى جوابه الأول بقوله: وإن كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة أثر ذلك بعد ما أجاب عنه من قبل نفسه بأن الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ما ذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بأن شبه خراب السماء بتشققها واسترخائها والتجاء أهلها إلى أطرافها الباقية على حالها بخراب البنيان، فعبّر عن الهيئة المشبهة بما يعبّر به عن الهيئة المشبه بها من غير أن يكون في جانب الهيئة المشبهة أهل وأطراف، والتجاء الأهل إليها حتى يرد أن يقال: إن أهل السماء يموتون عند النفخة الأولى فكيف يقفون على أرجائها؟ **قوله: (أو فوق الثمانية)** يعني أن ضمير «فوقهم» راجع إلى الجملة الثمانية والمعنى: أنهم يحملون العرش فوق أنفسهم يومئذٍ فكل واحد من قوله: «فوقهم» و«يومئذٍ» ظرف لقوله: «يحملون حينئذٍ» وأما على تقدير أن يكون ضمير «فوقهم» للملائكة الذين هم على الأرجاء فالظاهر حينئذٍ أن يكون «فوقهم» حالاً من «ثمانية» قدمت عليها لكونها نكرة. **قوله: (ولعله أيضًا تمثيل)** جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على أنه تعالى حاضر في العرش متمكن فيه. وجه الاستدلال أنه تعالى لو لم يكن متمكنًا مستقرًا في العرش لكان حمله عبثًا عديم الفائدة لا سيما وقد أكد ذلك

خروجهم على الناس للقضاء العام. وعلى هذا قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ تشبيهًا للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف أحوالهم هذا وإن كان بعد النفخة الثانية، لكن لما كان ذلك اليوم اسمًا لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفًا للكل. ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها. وإنما المراد إفشاء الحال والمبالغة في العدل أو على الناس كما قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل.

بقوله: ﴿يومئذٍ تعرضون﴾ والعرض إنما يكون أن لو كان الإله حاضرًا في العرش. قال الإمام: أجاب أهل التوحيد عن هذا الاستدلال بأنه لا يمكن أن يكون المراد منه أنه تعالى جالس في العرش وذلك لأن كل من كان حاملاً للعرش كان حاملاً لكل ما كان في العرش، فلو كان الإله في العرش للزم أن تكون الملائكة حاملين له تعالى وذلك محال، لأنه يقتضي احتياج الله تعالى إليهم وأن يكونوا أعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح، فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل. فذكر في تأويله ما ذكره المصنف من أنه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فكما أن الملك إذا أراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير ووقف الأعوان حوله، كذلك أخبر الله تعالى أنه يحضر يوم القيامة عرشًا محفوفًا بالملائكة تصويرًا لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه في التعبير عن عظيم العظماء لا أن له عرشًا يقعد عليه ويحتاج إلى حمله في وقت محاسبة الخلق. والله أعلم.

قوله: (تشبيهًا للمحاسبة بعرض السلطان العسكر) أي بإمراره إياهم عليه ليعرف حالهم، يعني قوله: «تعرضون» استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيهًا للمحاسبة بالعرض المذكور. قال الجوهري: عرضت الخيل على عيني إذا أمررتهم عليك ونظرت حالهم. **قوله:** (هذا وإن كان بعد النفخة الثانية) جواب عما يقال: كيف قلت إن المراد بهذه النفخة هي النفخة الأولى التي عندها خراب العالم مع أن قوله تعالى: ﴿يومئذٍ تعرضون﴾ يفهم منه أن المراد بالنفخة النفخة الثانية لأن العرض والحساب إنما يكون عندها؟ ومحصول جوابه أن تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم لما دل على أن المراد بها النفخة الأولى قلنا بذلك، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿يومئذٍ تعرضون﴾ لا ينافي ذلك لأن اليوم قد يطلق على الزمان الممتد.

قوله: (سريرة) والمعنى لا يخفى عليه تعالى فعلة خفية حال كونها واقعة منكم وتسرونها من أعمالكم، فإن السر والسريرة الذي يكتم ويخفى، والجملة مستأنفة لبيان أن العرض المذكور ليس لخفاء شيء من أفعالكم عليه كما قال: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦] بل المراد به إفشاء الحال وتحقيق أنه تعالى ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢؛ الأنفال: ٥١؛ الحج: ١٠]. **قوله:** (أو على الناس) عطف على قوله:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تفصيل للعرض ﴿فَيَقُولُ﴾ تبجحًا ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ ها اسم لخذ وفيه لغات أجودها: هاء يا رجل وهاء يا امرأة، وهاؤما يا رجلان أو امرأتان، وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة. ومفعوله محذوف و«كتابيه» مفعول «اقرؤوا» لأنه أقرب العاملين، ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقيل: اقرؤوه إذ الأولى إضماره حيث أمكن. والهاء فيه وفي «حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه» للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل

«على الله» فعلى هذا يتعلق قوله: «منكم» بقوله: «لا يخفى» أي لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان يخفيه الإنسان من الطاعة والمعصية في الدنيا، فإنه يظهر فيه أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك خزيهم وفضيحتهم، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩ ـ ١٠] فقوله تعالى: ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ زجر عظيم عن المعصية لتأديتها إلى الافتضاح على رؤوس الأشهاد.
قوله: (تبجحًا) بالجيم ثم الحاء ومعناه الفرح يقال: بجحته فبجح أي فرحته ففرح، فإنه لما أوتي كتابه بيمينه علم أنه من الناجين والفائزين بالنعيم المؤبد فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله. وقيل: ذلك لأهل بيته وقرابته. **قوله:** (وفيه لغات أجودها هاء يا رجل) بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسر الهمزة وتصريفها هاء هاؤما هاؤم وهاء هاؤما هاؤن. **قوله:** (ومفعوله محذوف) يعني أن قوله تعالى: ﴿هاؤم﴾ لكونه بمعنى خذوا وتناولوا يقتضي مفعولاً يتعدى إليه بنفسه، وكذا قوله: ﴿اقرأوا﴾ يقتضي ذلك فتنازعا في قوله: ﴿كتابيه﴾ وأعمل الثاني لكونه أقرب العاملين وإعمال الأقرب في مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين، إلا أن الكوفيين يجوزون إعمال الأبعد أيضًا لكونه متقدمًا في الوجود على العامل الثاني، والبصريون لا يجوزون إعمال الأبعد لأن بعده عن الاسم الظاهر الذي بعده يجعله مرجوحًا ضعيفًا ولا أثر للضعيف عند وجود ما هو أقوى منه. وأيضًا لو كان العامل هو الأبعد لكان التقدير: هاؤم كتابي فكان يجب أن يقول: اقرؤوه لما تقرر في النحو أنه إن أعمل الفعل الأول والحال أن الثاني يطلب مفعولاً فالمختار أن لا يحذف مفعول الثاني بل يجعل ضميرًا بارزًا، وذلك لأن الثاني مع كونه أقرب الطالبين إذا لم يحظ بمطلوبه مع الإمكان فحقه أن يشتغل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول «اقرؤوا» علمنا أنه هو العامل في «كتابيه» ومفعول «هاؤم» محذوف والتقدير: هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. **قوله:** (تثبت في الوقف وتسقط في الوصل) بيان لما هو الأصل في هاء السكت لأن هاء السكت إنما جيء بها تحصينًا لحركة الحرف الموقوف عليها وبيانًا لها، فإنه لو لم يجأ بها ووقف على الياء لسكنت فجيء بالهاء حفظًا لحركتها، فثبت أنه لا حاجة إليها حال الوصل فلذلك كان حقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل. إلا أن

واستحب الوقف لثباتها في الإمام. ولذلك قرىء بإثباتها في الوصل. ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠﴾ أي علمت. ولعله عبّر عنه بالظن إشعارًا بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبًا. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١﴾ ذات رضى على النسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازًا، وذلك لكونها

القراء السبعة اتفقوا في كتابيه وحسابيه على إثبات هاء السكت فيهما في الوصل أيضًا إجراء للوصل مجرى الوقف واتباعًا لرسم الإمام، فإنها ثابتة في المصحف في هذه المواضع وما كان ثابتًا فيه لا بد أن يكون ثابتًا في اللفظ إلا أن إثباته في اللفظ إنما يحسن عند الوقف، فعلم منه أن المستحب أن يوقف عليها وأن من وصلها يثبتها حال الوصل أيضًا اتباعًا للرسم لأن ما ثبت في الرسم لا بد أن يثبت في اللفظ، ولذلك اتفقوا في «ماليه» و «سلطانيه» و «ماهيه» في القارعة على إثباتها في الحالتين، إلا حمزة فإنه أسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلاً وأثبتها وقفًا على الأصل ولم يعمل بالأصل في «كتابيه» و «حسابيه» وأثبتها في الحالين جمعًا بين اللغتين. والهاء التي في «قاضية» وفي «هاوية» وفي «خاوية» و «ثمانية» و «عالية» و «دانية» و «الخالية» فإنها فيهن للتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء. وقيل: لا بأس بإسقاط هاء السكت حال الوصل في جميع هذه المواضع مع إجماع السبعة على خلافه بناء على أن الوقف والابتداء وما هو من قبيل الآراء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر. **قوله: (أي علمت)** فسر الظن بالعلم لأنه لو أبقى على أصله لكان بمعنى أني ظننت أني أحاسب في الآخرة. والاعتقاد بالبعث والحساب من جملة العقائد الدينية التي يجب الإيمان بها والإيمان لا يحصل بالشك والظن بل لا بد للمؤمن أن يتيقن بحقية البعث والحساب وما يتفرع عليهما، فلذلك فسره به. فالمعنى: أني علمت وتيقنت في الدنيا أن الله تعالى يبعثني ويحاسبني فاجتهدت في الطاعات وجانبت السيئات ما استطعت، فنجاني الله تعالى برحمته وفضله من أهوال هذا اليوم وجعلني من الآمنين فيه، كما وفقني في الدنيا للإيمان به والخوف من أهواله والعمل له. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر رضي الله عنه؟ فقال: هيهات زفته الملائكة إلى الجنة. **قوله: (ذات رضى)** أي رضي بها صاحبها. والنسبة قد تكون بالحرف نحو رومي وبصري، وقد تكون بصيغة تامر ولابن، و «راضية» من هذا القبيل. ويجوز أن تكون من قبيل الإسناد المجازي حيث أسند الرضى إلى ضمير العيشة وهو لصاحبها.

قوله: (وذلك) أي كون العيشة راضية بأحد الوجهين: لاشتمالها على ثلاثة أمور فإن مآل الوجهين كون العيشة مرضية والشيء إنما يكون مرضيًا من جميع الوجوه إذا اجتمع فيه

صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)﴾ مرتفعة المكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الأبنية والأشجار. ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يجتني بسرعة. والقطف بالفتح المصدر. ﴿دَانِيَةٌ (٢٣)﴾ يتناولها القاعد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ بإضمار القول وجمع الضمير للمعنى. ﴿هَنِيئًا﴾ أكلاً وشربًا هنيئًا، أو هنئتم هنيئًا. ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ الماضية من أيام الدنيا ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾ يقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة. ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا﴾ يا ليت الموتة التي متّها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾ القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها،

ثلاثة أمور: الأول كونه منفعة صافية من الشوائب، والثاني كونه دائمًا لا يرقب زواله وانقطاعه، والثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم من رضي به وإكرامه وإلا كان استهزاء واستدراجًا. وعيشة من أعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الأمور فتكون مرضيًا بها كمال الرضى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم يعيشون فلا يموتون أبدًا، ويصحون فلا يمرضون أبدًا، وينعمون فلا يرون بأسًا أبدًا، ويشبون فلا يهرمون أبدًا. **قوله:** (في جنة عالية) بدل من «عيشة» بإعادة الجار. ويجوز كونه متعلقًا «بعيشة راضية» أي يعيش عيشًا مرضيًا في جنة عالية. والعلو إن أريد به العلو في المكان فهو حاصل لأن الجنة فوق السمٰوات، وإن أريد به العلو في الدرجة والشرف فالأمر كذلك، وإن أريد علو أبنيتها وما فيها من الأشجار فالأمر كذلك فهي عالية من جميع الجهات. **قوله:** (جمع قطف) بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود، والقطف بالفتح مصدر يقال: قطفت العنب قطفًا، والقطاف وقت القطف. والمصنف غلب القطف في جميع ما يجتني من الثمر عنبًا كان أو غيره ومعنى السرعة أنه إذا أراد أن يأخذها بيده قائمًا أو جالسًا أو مضطجعًا انقادت له، وكذا إن أراد أن تدنو إلى فيه دنت. **قوله:** (بإضمار القول) أي يقال لهم: كلوا وهذا أمر امتثال وإباحة، لا أمر تكليف ضرورة أن الآخرة ليست بدار تكليف. **قوله:** (وجمع الضمير) أي بعد قوله: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ للمعنى فإنه راجع إلى «من» في قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه﴾ وهو في معنى الجمع. **قوله:** (أكلاً وشربًا هنيئًا) على أن يكون قوله: ﴿هنيئًا﴾ صفة مصدر محذوف وقوله: «أو هنئتم هنيئًا» على أن يكون مصدرًا مؤكدًا للفعل المحذوف، وكل شيء يأتيك من غير تعب فهو هنيء أي لا تكدير فيه ولا تنغيص. ومعنى الإسلاف في اللغة تقديم ما ترجو أن يعود عليك بخير فهو كالإقراض ومنه يقال: أسلف في كذا إذا قدم فيه ماله، والمعنى: بما عملتم في الدنيا. والباء إما سببية أو للمقابلة أي بدل ما أسلفتم. **قوله:** (يا ليت الموتة التي متّها) الموتة وإن لم تكن مذكورة إلا أنها في حكم المذكور بدلالة المقام

أو يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي كأنه صادفها أمر من الموت فتمناه عندها، أو يا ليت حياة الدنيا كانت الموت ولم أخلق حيًا. ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨﴾ ما لي من المال والتبع و«ما» نفي والمفعول محذوف أو استفهام إنكار مفعول «لأغنى». ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ ملكي وتسلطي على الناس، أو حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا. ﴿خُذُوهُ﴾ يقول الله تعالى لخزنة النار ﴿فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾ ثم لا تصلوه إلا إلى الجحيم، وهي النار العظمى لأنه كان يتعظم على الناس. ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ أي طويلة. ﴿فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾

والقاضية القاطعة للحياة أي يا ليت الموتة التي متها لم أحي بعدها يتمنى عند مطالعة كتابه أن تدوم عليه الموتة الأولى، وأن لا يبعث للحساب ولا يلقى ما أصابه من الخجالة وسوء العاقبة. **قوله:** (أو يا ليت هذه الحالة) أي أو يكون ضمير «ليتها» للحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت عليّ. يتمنى أن يكون بدل تلك الحالة الموتة القاضية لأنه رأى تلك الحالة أشنع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها. والوجه الثالث أن يكون ضمير «ليتها» لحياة الدنيا وهو ظاهر. **قوله:** (وما نفي) أي يجوز أن تكون «ما» في ﴿ما أغنى﴾ نافية و«ما» في «مالي» موصولة «ولي» صلتها فحينئذٍ يكون مفعول أغنى محذوفًا والتقدير: لم يدفع عني الذي كان لي في الدنيا من الأموال والأتباع شيئًا من عذاب الآخرة. ويحتمل أن يكون «مالا» مضافًا إلى ياء المتكلم والمعنى: لم يغن عني المال الذي كان لي في الدنيا شيئًا من العذاب بل ألهاني عن أمر الآخرة وضرني فضلاً عن أن ينفعني. ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة المحل على أنها مفعول «أغنى» والاستفهام للإنكار والمعنى: أي شيء أغنى عني ما جمعته من الأموال والأتباع أي لم ينفعني ولم يدفع عني شيئًا من العذاب. /والسلطان من السلاطة وهي القهر والغلبة يطلق على الوالي لاتصافه بها، وعلى الحجة والبرهان أيضًا لكونه سببًا لها. وفسر في الآية بكل واحد من المعنيين كأنه يتحسر ويقول: كان لي في الدنيا ملك وتسلط على الناس أو حجة أحتج بها عليهم فالآن بطل ذلك وبقيت ذليلاً مبهوتًا، فحينئذٍ يقول الله تعالى لخزنة النار ﴿خذوه فغلوه﴾ أي اجعلوا يده إلى عنقه وشدوه بالغل وهو جمع اليدين إلى العنق بالقيد. **قوله:** (ثم لا تصلوه) أي لا تدخلوه إلا إلى الجحيم أي لا تحرقوه إلا فيها، يقال: صليت الرجل نارًا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاءً كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته النار إصلاء وصليته تصلية. والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة فيها حلقة. **قوله تعالى:** (سبعون ذراعًا) في محل الجر على أنه صفة سلسلة و«ذراعًا» تمييز وقوله: «في سلسلة» متعلق بقوله: «فاسلكوه» أي ثم اسلكوه في سلسلة من صفتها كيت وكيت أي ادخلوه فيها. والسلك هو

فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به. و«ثم» لتفاوت ما بينهما في الشدة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للإشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك. ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ ولا يحث على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يبذل من ماله.

الإدخال في الطريق والخيط والقيد وغيرها، وتقديم «في سلسلة» على عامله كتقديم «الجحيم» على قوله: «صلوه» في الدلالة على قصر الفعل عليه. **قوله:** (بأن تلفوها على جسده) يعني أن المراد بإدخال العاصي في السلسلة جعله محاطًا بها على طريق إدخال الخيط في اللؤلؤة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الجبة. والثعلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان وهي الزج، وذلك إنما يكون بلفها على جسده بحيث يكون فيما بينها مرهقًا محاطًا مضيقًا عليه. الجوهري: رهقه بالكسر يرهقه رهقًا أي غشيه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] والمرهق الذي أدرك ليقتل.

قوله: (وثم لتفاوت ما بينهما في الشدة) يعني أن قوله: ﴿فغلوه﴾ عطف على ما قبله بفاء التعقيب وعطفت الجملتان اللتان بعدها بكلمة «ثم» للدلالة على التراخي، وظاهر أن التراخي الزماني غير مراد لأن المقام مقام التهديد والتهويل ولا شك أن التهديد بتوالي العذاب أشد وأفظع من التهديد بتفريقه في الأزمنة، فتعيّن أن المراد التراخي الرتبي. ثم إن كلمة «ثم» والفاء الواقعتين في الجملة الأخيرة إن كانتا لعطف جملة «فاسلكوه» لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغي أن تكون كلمة «ثم» لعطف قول مضمر على قول أضمر قبل قوله: «خذوه» أي قيل لخزنة النار ﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾ ثم قيل لهم: ﴿في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه﴾ وتكون الفاء لعطف المقول على المقول مع إفادة معنى التعقيب، وكلمة «ثم» لعطف القول على القول مع الدلالة على أن الأمر الأخير أشد وأهول مما قبله من الأوامر مع تفاوت المأمور بها من الأخذ وجعل يده مغلولة إلى عنقه وتصليته الجحيم وسلكهم إياه في السلسلة الموصوفة. وأشير بكلمة «ثم» إلى أن أمرهم بالأخير أشد من أمرهم بما أمروا به قبله. **قوله:** (تعليل على طريقة الاستئناف) أي بيان لسبب استحقاقه لهذا العذاب الشديد للمبالغة في عظم جريمته كأنه قيل: ما باله يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك لإزالة استعظام الجزاء. فإن السائل لما استفظع الجزاء واستهوله فسأله عن السبب الذي يوجب هذه العقوبة الهائلة كان الواجب أن يبالغ في

ويجوز أن يكون ذكر الحض للإشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل؟ وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن أقبح العقائد الكفر بالله وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب. ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ قريب يحميه. ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل.

عظم الجريمة وقبحها ويقال: كيف لا يشتد عذابه وأنه قد ارتكب هذه الجريمة التي هي أقبح الجرائم وأشنعها؟ كيف لا، وقد تقدم مرارًا أن مدار التكليف أمران: أحدهما تعظيم أمر الله والثاني الشفقة على خلق الله؟ فمن لا يصدق بوحدانية الله تعالى ولم يؤمن بوحدانيته فقد ترك تعظيم أمره، ومن لم يحض غيره على طعام المسكين فقد ترك الشفقة على خلق الله، فمن أخل بهما فقد خلع ربقة العبودية من عنقه. وفي قوله: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ دليلان قويان على عظم هذه الجريمة أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينًا له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض إذا كان بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل؟ والحض الحث على الفعل وإظهار الرغبة في اتباعه وإيقاعه وهو لا يتعلق بما هو من قبيل الأعيان وإنما يتعلق بما هو من قبيل الأفعال، والطعام عين لأنه اسم لما يطعم ويؤكل وليس بفعل حتى يحث عليه، فأشار المصنف إلى توجيه نظم الآية بقوله: «ولا يحث على بذل طعامه أو على إطعامه» بمعنى أن نظم الآية مبني على تقدير المضاف أي لا يحث على بذل طعامه. أو على أن الطعام فيه اسم أقيم مقام الإطعام واستعمل بمعناه كما يقام العطاء مقام الإعطاء في كلامهم. **قوله:** (ويجوز أن يكون ذكر الحض) كأنه جواب عما يقال: الظاهر أن يقال: ولا يبذل طعام المسكين أي ولا يطعم المسكين فلم عدل عنه إلى قوله: ولا يحض على بذل طعامه أو إطعامه؟ وإنما قلنا: الظاهر أن يقال ذلك لأن الكلام مسوق لبيان عظم جريمته، ولا شك أن ترك الفعل أعظم جريمة من ترك الحث عليه. **قوله:** (**وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع**) على معنى أنهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات، لا على معنى أنهم يطالبون بها حال كفرهم فإنهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام أهلية الأداء ولا ثواب لأعمال الكفار، وأهلية الوجوب لا تستلزم أهلية الأداء كما تقرر في الأصول. **قوله تعالى:** (**فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام**) «حميم» اسم «ليس» وقوله: و«لا طعام» عطف عليه و«له» خبره وقوله: «اليوم» و«ههنا» ظرفان لما تعلق به له والمعنى: فليس له يوم يقال في حقه خذوه فغلوه ههنا أي في الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله ويدفعه عنه أو يخفف عليه لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وليس له طعام يأكله لبخله عن الإطعام إلا من غسلين وهو ما ينفصل من أبدانهم من القيح والدم. روي أنه لو وقعت قطرة منه على

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ أصحاب الخطايا، من خطىء الرجل إذا تعمد الذنب لا من أخطأ المضاد للصواب. وقرىء «الخاطيون» بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم، و«لا» مزيدة أو فلا رد لإنكارهم البعث و«أقسم» مستأنف. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها. ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ يبلغه عن الله فإن الرسول لا يقول عن نفسه ﴿كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ على الله وهو محمد أو جبرائيل عليهما السلام ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون تارة. ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقًا قليلاً لفرط عنادكم.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما تزعمون تارة أخرى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ تذكرًا قليلاً، فلذلك يلتبس الأمر عليكم. وذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بيّن لا ينكره إلا معاند بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على

الأرض لأفسدت معايشهم. فالياء والنون زائدتان في «غسلين». **قوله:** (من خطىء الرجل الخ) يقال: خطىء الرجل يخطأ خطئًا فهو خاطىء على وزن علم يعلم علمًا فهو عالم، إذا تعمد الخطيء بمعنى الذنب فإن الخطأ المضاد للصواب لا يقال في الفعل منه خطىء فهو خاطىء بل يقال: أخطأ فهو مخطىء، أو تخطأ فهو متخطىء أي أراد الصواب فصار إلى غيره من غير أن يتعمده ويقصده. ثم إنه تعالى لما ذكر ما يدل على إمكان القيامة، ثم على وقوعها، ثم ذكر أحوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال: ﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾ وكلمة «لا» فيه يجوز أن تكون نافية للقسم على أن هذا القول قول رسول كريم أي لا أقسم عليه لأنه لوضوحه يستغني عن تأكيده بالقسم. ويجوز أن تكون صلة ويكون المعنى: فأقسم بالأشياء كلها مما في الدنيا والآخرة فإن منها ما يبصر ومنها ما لا يبصر، وأن يكون لرد إنكارهم البعث واستئناف قسم على حقية القرآن.

قوله: (وهو محمد أو جبريل عليهما الصلاة والسلام) فإن قيل: لا شك أن القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح أن يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام؟ أجيب بأن الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة، فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة أظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه، وهو أيضًا كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث إنه أنزله من السمٰوات إلى الأرض وتلاه على خاتم النبيين، وهو أيضًا كلام سيد المرسلين ﷺ من حيث إنه أظهره للخلق ودعا الناس إلى الإيمان به وجعله حجة النبوة.
قوله: (لما ظهر لكم صدقه) مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعدم الإيمان وقوله: «تصديقًا قليلاً» إشارة إلى انتصاب «قليلاً» هنا وفيما بعده على أنه صفة مصدر

تذكر أحوال الرسول ﷺ ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما ﴿تَنزِيلٌ﴾ هو تنزيل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ نزله على لسان جبريل ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ سمي الافتراء تقولاً لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيرًا بها كأنها جمع أفعولة من القول كالأضاحيك. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ يمينًا. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي نياط قلبه بضرب عنقه. وتصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه

محذوف للفعل الذي بعده وأن «ما» مزيدة للتأكيد. **قوله:** (المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم) من قبيل اللف والنشر المرتب، فإن الكاهن من تأتيه الشياطين ويلقون إليه ما سمعوه من أخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم، وطريقه عليه الصلاة والسلام منافية لطريق الكاهن من حيث إن ما يلقيه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن أن يكون ذلك بإلقاء الشياطين إليه؟ فإنهم لا يلقون فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم. وكذا معاني ما بلغه عليه الصلاة والسلام منافية لمعاني أقوال الكهنة فإنهم لا يدعون إلى تهذيب الأخلاق وتصحيح العقائد والأعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني أقواله عليه الصلاة والسلام، فلو تذكر أهل مكة معاني القرآن ومعاني أقوال الكهنة لما قالوا بأنه قول كاهن. **قوله:** (وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء) أي بياء الغيبة فيهما أي في قوله: «يؤمنون» و «يذكرون» على الالتفات. وقرأ الجمهور بتاء الخطاب على وفق قوله: «بما تبصرون وما لا تبصرون». **قوله:** (كأنها جمع أفعولة) إشارة إلى وجه كون هذه التسمية تحقيرًا للأقوال المفتراة، فإن صيغة أفعولة إنما تطلق على محقرات الأمور غير أنها كالأعجوبة لما يتعجب منه والأضحوكة لما يضحك منه، وأقوولة ليس بمستعمل فلذلك لم يقطع بكون الأقاويل جمعًا له بل قال كأنها جمع أفعولة للإشعار بأن كونه على صورة جمع أفعولة كاف في التحقير. والظاهر أن الأقاويل جمع أقوال وأقوال جمع قول كأناعيم جمع إنعام وأنعام جمع نعم. **قوله:** (نياط قلبه) الجوهري: النياط عرق أبيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه. وقال أيضًا: الوتين عرق في القلب متصل بالرأس إذا انقطع مات صاحبه. **قوله:** (وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما الخ) يعني أنه تعالى لم يكتف بأن يقول: لو نسب إلينا قولاً لم نقله لأهلكناه أو لضربنا عنقه، بل عدل إلى ما يدل على سخط الله تعالى عن من افترى عليه للدلالة على أن الافتراء عليه موجب لذلك، والوجه في كون الإهلاك بأن يأخذ الجلاد بيمين الجاني فيضرب عنقه أفظع وجوه الإهلاك أن الجلاد حينئذٍ يضرب بالسيف في جيده مواجهة من جهة أمامه وهو أشد على المقتول من أن يضرب عنقه من جهة قفاه، لأنه ينظر إلى السيف حينئذٍ فإن الجلاد إذا أراد أن يضرب قفا المقتول،

ويكفحه بالسيف ويضرب جيده. وقيل: اليمين بمعنى القوة. ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ عن القتل أو المقتول ﴿حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ دافعين وصف لأحد فإنه عام والخطاب للناس. ﴿وَإِنَّهُ﴾ وأن القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ لأنهم المنتفعون به ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم

أخذ بيساره فيضرب عنقه من خلفه، وإذا أراد أن يوقع الضرب في جيده موجهة يأخذ بيمين المقتول ويضرب بالسيف في جيده من جهة أمامه ولا شك أنه أشد على المقتول وأفظع.

قوله: (وقيل اليمين بمعنى القوة) فالمعنى: لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا كما في قوله:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة. وقيل: المعنى حينئذٍ: لأخذنا منه اليمين وسلبنا عنه القوة والقدرة على التكلم بذلك القول، على أن الباء صلة، وعبّر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال، أو ذكر الملزوم وإرادة اللازم. **قوله:** (وصف لأحد) مبني على أصل بني تميم. فإن كلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿فما منكم﴾ هي المشبهة «بليس» وبنو تميم لا يعملونها لدخولها على القبيلين، فإعراب الآية على أصلهم أن «من أحد» في موضع الرفع بالابتداء و«من» زائدة لتأكيد النفي و«منكم» خبره و«حاجزين» صفة لأحد مجرور حملاً على لفظ أحد ولكنه جمع حملاً على معناه، فإنه يعم كل أحد لكونه نكرة واقعة في سياق النفي، كأنه قيل: فما منكم قوم يحجزون أي يمنعون عن المقتول أو عن قتله أو إهلاكه المدلول عليه بقوله: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وقوله: «من أحد» على أصل الحجازيين اسم «ما» وخبرها «حاجزين» وجمع الخبر لما تقدم و«منكم» حال لأنه في الأصل كان صفة لأحد ولما تقدم عليه امتنع كونه صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف، فتعيّن كونه حالاً مثل «موحشًا» في قوله:

لمـيّـة مـوحـشًـا طـلـل

وقوله: «عنه» يتعلق بقوله: «حاجزين» على القولين وضميره للمقتول أو لقتله أو إهلاكه المدلول عليه بقوله: «لأخذنا» ثم «لقطعنا». ثم إنه تعالى لما بيّن حقية القرآن وأنه لتنزيل رب العالمين بيّن الحكمة في تنزيله فقال: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ أي عظة لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فإنه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به، بخلاف من مال إليها وغلبه حبها فإنه يكذب به لكون الإيمان به يستدعي إيثار الآخرة على الدنيا وهو عكس ما يحبه ويهواه، فيكون نفس القرآن أو تكذيبه حسرة وندامة عليه يوم القيامة إذا رأى ثواب من آمن به وعمل بمقتضاه وفي الدنيا أيضًا إذا رأى دولة المؤمنين. والضمير في قوله تعالى: ﴿وإنه لحسرة﴾ إما للقرآن أو للتكذيب المدلول عليه بقوله: ﴿مكذبين﴾.

﴿مُّكَذِّبِينَ (٤٩)﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠)﴾ إذا رأوا ثواب المؤمنين به ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (٥١)﴾ اليقين الذي لا ريب فيه ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٥٢)﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيهًا له على الرضى بالتقول عليه وشكرًا على ما أوحي إليك. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابًا يسيرًا».

قوله: (اليقين الذي لا ريب فيه) إشارة إلى أن الحق واليقين لفظان بمعنى واحد أضيف أحدهما إلى الآخر للتأكيد، فإن الحق هو الثابت الذي لا يتطرق إليه الريب وكذا اليقين. قال الإمام: ﴿وإنه لحق اليقين﴾ معناه أنه حق يقين أي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه، ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد. وقال صاحب الكشاف في الفصل: يقال: هذا العالم حد العالم وحق العلم ويراد به البليغ الكامل في شأنه. وفي تفسير القاشاني: لحق اليقين أي محض اليقين وصرف اليقين كقولك: هو العالم حق العالم وحد العالم أي خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب بشيء آخر. انتهى. واليقين اسم للعلم الذي زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنما هو كقولك: علم اليقين ومحض اليقين وقيل: إنه من قبيل إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان:

فقلت أنجو عنها نجا الجلد إنه سيرخيكما منها سنام وغارب

والنجا هو الجلد من قولك: نجوت جلد البعير عنه وأنجيته إذا سلخته، والشاعر يخاطب ضيفين طرقاه أي أتياه ليلاً. **قوله:** (**فسبح الله بذكر اسمه العظيم**) على أن مفعول سبح محذوف والباء في ﴿باسم ربك﴾ للاستعانة كما في ضربته بالسوط فهو مفعول ثانٍ بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى: نزه ذات الله تعالى عن الرضى بالتقول عنه بأن تقول سبحان الله. تمت سورة الحاقة والحمد لله رب العالمين.

سورة المعارج

مكية وآيها أربع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾ أي دعا داع به بمعنى استدعاه، ولذلك عدي الفعل بالباء. والسائل نضر بن الحارث فإنه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢] أو أبو جهل فإنه قال: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] وذلك استهزاء. أو

سورة المعارج

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (ولذلك) أي ولكون سأل بمعنى دعا عدي بالباء مثل دعا يقال: دعوت الله تعالى بكذا أي استدعيته وطلبته قال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ [الدخان: ٥٥] أي يطلبون في الجنة كل فاكهة. و«سأل» يتعدى بنفسه إذا كان بمعنى الدعاء والطلب يقال: سألته الشيء. ونقل الطيبي عن الإمام الواحدي: إن الباء في «بعذاب» زائدة للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] والمعنى: سال سائل عذابًا واقعًا. وفي الصحاح: سألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة، وقوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ أي عن عذاب. قال الأخفش: يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان وقد تخفف

الرسول ﷺ استعجل بعذابهم. وقرأ نافع وابن عامر «سال» وهو إما من السؤال على لغة قريش قال:

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

أو من السيلان ويؤيده أنه قرىء «سال سيل» على أن السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى: سال وادٍ بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه إما في الدنيا وهو قتل بدر أو في الآخرة وهو عذاب النار. ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ صفة أخرى لعذاب أو صلة لواقع وإن صح «أن» السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابًا والبناء على هذا التضمن سأل معنى

همزته، فيقال: سأل سائل والأمر منه سل ومن الأول أسأل. **قوله:** (وقرأ نافع وابن عامر سال) أي بغير همز، والباقون بالهمز. وذكر المصنف لقراءة الألف الساكنة وجهين: الأول أن يكون من السؤال إلا أنه ثقلت همزته فقلبت ألفًا للتخفيف على غير القياس كما قالوا في هنأه هناه ولا هناك المرتع، والقياس في مثله أن تسهل الهمزة بجعلها بين بين أي بين الهمزة والألف وهي لغة قريش. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

(سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلّت هذيل بما سالت ولم تصب)

فعلى هذا يكون سال اللينة من سأل مهموز العين، وتكون همزة سائل أصلية. وقيل: قوله وهو إما من السؤال معناه أنه منه من جهة المعنى لا من جهة اللفظ والبناء فإن السؤال مهموز العين وسال أجوف وإن ترادفا من حيث المعنى، لما روي أن لغة قريش أن يقولوا: سال يسأل كخاف يخاف وأن ألف سال منقلبة عن الواو، وأنهم يقولون هما يتساولان، فهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف. والوجه الثاني ما ذكره بقوله: «أو من السيلان» فعلى هذا تكون ألف سال وهمزة سائل منقلبة عن الياء كما في باع فهو بائع والمعنى: جرى واد في جهنم بعذاب يقع بالكافرين يوم القيامة أو يوم بدر. فقد روي أن نضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط قتلا يوم بدر صبرًا ولم يقتل صبرًا غيرهما. **قوله:** (**للكافرين صفة أخرى لعذاب**) وصف العذاب أولاً بأنه واقع أي نازل لا محالة سواء طلبه أو لم يطلبه، وثانيًا بأنه معد للكافرين لا يتخطاهم وإن كان متعلقًا بقوله: «واقع» تكون اللام فيه بمعنى على أو على بابها أي بعذاب نازل عليهم أو لأجلهم. **قوله:** (**وإن صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابًا**) روي أنه تعالى لما بعث رسول الله ﷺ فدعا الناس إلى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض: سلوا محمدًا لمن هذا العذاب وبمن يقع؟ فأخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ فالسؤال على هذا لا يكون من سألته الشيء وطلبته منه حتى يعدى بالباء لتضمنه معنى الدعاء، بل يكون

اهتم. ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ يرده ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من جهته لتعلق إرادته ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح، أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم، أو مراتب الملائكة، أو السماوات فإن الملائكة يعرجون فيها. ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل، والمعنى أنها بحيث لو قدّر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين ألف سنة من

من سألته عن الشيء ما هو وبمن يقع فحقه أن يعدى بـ «عن» إلا أنه عدي بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدى تعديته. فعلى هذه الرواية يكون قوله تعالى: ﴿للكافرين﴾ جوابًا عنه يقال: لمن سأل أن ذلك العذاب لمن هو وعلى من يقع؟ أي هو للكافرين على أنه خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (ذي المصاعد) إشارة إلى أن العروج بمعنى الصعود، والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لأنه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام. ثم إن المراد بالمعارج إما معارج الأعمال الصالحة فإنها تتفاوت على حسب تفاوت أنفس الأعمال في استجماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب ونحوها، وإما معارج المؤمنين في سلوكهم في مراتب المعارف الإلهية والمكاشفات والتجليات، ولا شك في تفاوت طبقات أولياء الله تعالى في ذلك أو معارجهم في دار ثوابهم وهي الجنة، ولا شك أيضًا في تفاوتها. وأما معارج الملائكة ومنازل ارتقائهم بحسب الأمكنة وهي السموات فإنهم يعرجون فيها ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها، أو بحسب الفضائل الروحانية والمعارف الإلهية وبحسب تفاوت قوتهم في تدبير هذا العالم فإن الظاهر أن درجاتهم وأحوالهم متفاوتة في جميع ذلك، فتلك المعارج سواء كانت للأعمال أو للمؤمنين أو للملائكة بيد الله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك وصف نفسه بقوله: ﴿ذي المعارج﴾. **قوله: (استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها)** فيه إشارة إلى أن ضمير «إليه» للمعارج بتأويل المكان أو المصدر بناء على أن الجمع المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس، وقوله: «إليه» و«في يوم» متعلقان «بتعرج» و«خمسين» خبر «كان» و«ألف سنة» تمييز «لخمسين» و«كان» مع ما في حيزها في موضع الجر على أنه صفة «ليوم». **قوله: (على التمثيل والتخييل)** متعلق بقوله: «لبيان» يعني أن القول بأن عروج الملائكة والروح إلى تلك المعارج في مبدأ الصعود يكون في المدة المذكورة ليس على التحقيق بل هو جملة مستأنفة جيء بها تمثيلاً وتصويرًا لارتفاع تلك المعارج، والمعنى: أنها في ارتفاعها وبعد مداها بحيث لو كان حركة الملائكة والروح مثل حركة الإنسان لما عرجوا إليها في خمسين ألف

سني الدنيا. وقيل معناه: تعرج الملائكة والروح إلى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطعه الإنسان فيها لو فرض لا أن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة، لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السمٰوات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

سنة، وإن كانوا يعرجون إليها في أثناء يوم واحد من أيام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران في ملك الله تعالى. **قوله:** (وقيل تعرج الملائكة والروح إلى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة) أي على أن يكون ضمير «إليه» راجعًا إليه تعالى. فمعنى الآية: تعرج الملائكة والروح إلى موضع لا يجري لأحد سواه تعالى فيه حكم وتدبير، فجعل عروجهم إلى ذلك الموضع عروجًا إليه تعالى كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] أي إلى حيث أمرني بالذهاب إليه وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾ [السجدة: ٥] كذا من باب التشبيه البليغ أي كان مقداره بالنسبة إلى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة إلى الإنسان. ووجه الشبه ما ذكر بقوله: من حيث إنهم يقطعون فيه ما يقطعه الإنسان فيها لو فرض. وقوله: «لا» إن عطف على قوله: «والمعنى» أي أن المعنى على تشبيه مقدار اليوم بمقدار خمسين ألف سنة. والظاهر أن المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق في موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فإن مقداره كمقداره خمسين ألف سنة. ثم إنه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا فالمعنى: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة لو ولي الحساب غير الله تعالى. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] واتفقوا على أن ذلك هو الجنة والقيلولة هي النوم في الظهيرة. وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم. فقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفس محمد بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». ولا يلزم من وجود هذا اليوم ومن عروج الملائكة في أثنائه إلى العرش أن يكون ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة. **قوله:** (وحيث قال في يوم كان مقداره ألف سنة) بيان لوجه التوفيق بين الآيتين. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في آية هذه السورة وفي قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه أكره أن أقول في كتاب الله تعالى بما لا أعلم. أي لا أعلم وجه التوفيق بينهما. توضح ما ذكره المصنف في

[السجدة: ٥] يريد به زمان عروجهم من الأرض إلى محدب السماء الدنيا. وقيل: في يوم متعلق بواقع أو بسال إذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة، واستطالته إما لردته على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات، أو لأنه على الحقيقة كذلك. والروح جبرائيل وإفراده لفضله أو خلق أعظم من الملائكة. ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء أو تعنت وذلك مما يضجره، أو عن تضجر واستبطاء بينصر أو بسأل لأن المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام. ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ الضمير للعذاب أو ليوم القيامة ﴿بَعِيدٗا ۝٦﴾ من الإمكان ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ فيه أو من الوقوع.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ ظرف لقريب أي يمكن يوم تكون السماء،

وجه التوفيق أن المراد بألف سنة هو زمان عروجهم من الأرض إلى محدب السماء خمسمائة سنة منها زمان عروجهم من الأرض إلى مقعر السماء، وخمسمائة أخرى زمان عروجهم من مقعرها إلى محدبها. والأظهر أن يقال: المراد بألف سنة زمان نزولهم من السماء إلى الأرض وعروجهم منها إلى السماء خمسمائة للنزول وخمسمائة أخرى للصعود، لأنه تعالى قال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥] قدر بها مدة الصعود والنزول جميعًا.

قوله: (وقيل في يوم متعلق بواقع) عطف على ما يفهم مما تقدم من كونه متعلقًا بقوله: «تعرج» وهو الأظهر، وعلى تقدير كونه متعلقًا «بواقع» يكون جملة قوله: «تعرج الملائكة» معترضة بين الظرف وعامله أي سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. **قوله: (لأن السؤال كان عن استهزاء أو تعنت)** الأول مبني على أن يكون السؤال بمعنى الطلب والدعاء، فإن النضر وأبا جهل إنما سألا ما سألاه عن استهزاء برسول الله ﷺ وتكذيب بالوحي، والثاني على أن يكون السؤال بمعنى السؤال عن الشيء ما هو وبمن يقع ومتى يقع؟ فإن كفار مكة إنما سألوه عن العذاب على طريق التعنت وطلب الزلة وكل ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه. **قوله: (عن تضجر)** مبني على أن يكون السائل هو النبي ﷺ. **قوله: (أو بسأل)** عطف على قوله: «يسأل» يعني إن قرىء «سأل سائل» أو «سال سائل» بالألف الساكنة يكون قوله: «فاصبر» متفرعًا عليه والضمير في قوله تعالى: «**أنهم**» لأهل مكة فإنهم كانوا يستبعدون العذاب أو البعث والقيامة عن الإمكان فرد الله تعالى عليهم: بأنّا نراه قريبًا من الإمكان أو من الوقوع لأن كل ما هو آت قريب. **قوله: (أي يمكن يوم تكون)** فيه أن تقييد الإمكان بالزمان المعين لا وجه له، لأن الممكن ممكن في جميع الأزمنة إلا أن يقال له: الظرف ليس لتقييد الإمكان بل لمجرد بيان الأمور الواقعة قبل وقوع

أو لمضمر دل عليه، واقع أو بدل من في يوم إن علق به. والمهل المذاب في مهل كالفلزات أو دردي الزيت. ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا لأن الجبال مختلفة الألوان فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح. ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ ولا يسأل قريب قريبًا عن حاله. وقرأ ابن كثير «ولا يسأل» على بناء المفعول أي لا يطلب من حميم حميم، أو لا يسأل منه حاله. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئناف أو حال يدل على أن المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء، أو ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده. وجمع الضميرين لعموم الحميم. ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢﴾

هذا الممكن كأنه قيل: ونراه قريبًا من الإمكان يوم يكون كذا وكذا. انتهى. **قوله:** (أو لمضمر دل عليه واقع) أي يقع في ذلك اليوم. ويحتمل أن يكون ظرفًا لمحذوف أي يوم تكون السماء كالمهل كان ما لا يدخل تحت الوصف وإن علق في يوم بقوله: «واقع» يكون هذا اليوم بدلاً منه بخلاف ما إذا كان متعلقًا بقوله: «تعرج» فإنه حينئذٍ لا يكون بدلاً منه لأن يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيامة بخلاف يوم عروج الملائكة، لما مر أن قوله: ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ الآية استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بأنها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الإنسان لما عرجوا إليها إلا في مدة خمسين ألف سنة وذلك لا يتوقف على كون المراد به يوم القيامة، وإذا لم يكن المراد به يوم القيامة لا يصح إبدال هذا اليوم منه إلا بأن يكون بدل غلط وهو لا يقع في القرآن. **قوله:** (كالفلزات) جمع فلز بالكسر وتشديد الزاي وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض. قيل: هذا يدل على صحة ما يروى من أن السماء الدنيا من حديد. **قوله:** (ولا يسأل قريب قريبًا عن حاله) أي لا يكلمه لأن لكل أحد ما يشغله عن السؤال، فالسؤال من سألته عن الشيء ومفعوله بالواسطة محذوف أي لا يسأله عن حاله. **قوله:** (أو لا يسأل منه حاله) إشارة إلى جواز أن يكون «حميمًا» منصوبًا بإسقاط «عن» أي لا يسأل حميم عن حميم ليعرف حاله من جهته كما يعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل أحد يسأل عن عمل نفسه. **قوله:** (استئناف) في جواب من قال: لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله؟ فقال: ﴿يبصرونهم﴾ أي يعرفونهم أي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه ولا يمنعه عن المسألة خفاء مكانه ومع ذلك لا يسأل عن حاله لشغله بنفسه، أو لاستغنائه عن السؤال بسبب أنه تعالى ميّز أهل الجنة من أهل النار وبالعكس بالعلامات الدالة على حاله من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السؤال. وفي الصحاح: البصر العلم وبصرت بالشيء أي علمته وعرفته، قال تعالى: ﴿يبصرونهم﴾ عدي بالتضعيف إلى ثانٍ وقام الأول مقام الفاعل، والشائع المتعارف تعديته إلى الثاني بحرف الجر

حال من أحد الضميرين أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس وأعلقهم بقلبه فضلاً أن يهتم بحاله ويسأل عنها. وقرىء بتنوين «عذاب» ونصب «يومئذٍ» به لأنه بمعنى تعذيب. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته الذين فصل عنهم. ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ تضمه في النسب وعند الشدائد.

﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثقلين أو الخلائق ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ عطف على «يفتدي» أي ثم لو ينجيه الافتداء و«ثم» للاستبعاد. ﴿كَلَّا﴾ ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه. ﴿إِنَّهَا﴾ الضمير للنار أو مبهم يفسره. ﴿لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ وهو خبر أو بدل أو للشأن أو للقصة و«لظى» مبتدأ خبره. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ وهو اللهب الخالص. وقيل: علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب. وقرأ حفص عن عاصم «نزاعة» بالنصب على الاختصاص، أو الحال المؤكدة أو المنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية. والشوى الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس. ﴿تَدْعُوا﴾ تجذب

فيقال: بصرته به وقد يحذف الجار فيقال: بصرته إياه. وما في الآية من هذا القبيل. ويجوز أن يكون «يبصرونهم» حالاً من «حميم» الأول أي لا يسأل حميم عن حال حميمه في حال كونه معرفًا إياه وأن يكون صفة «حميمًا» أي حميمًا مبصرين لأن معناه العموم لا التثنية لأن كل واحد من الحميمين نكرة في سياق النفي. **قوله: (أو استئناف)** كأن السائل عاد فقال: كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال؟ فقيل: ﴿يود المجرم﴾. **قوله: (لأنه بمعنى تعذيب)** والمصدر المنون ينصب المفعول وكلمة «لو» قد تكون مصدرية ومنه ما في الآية.

قوله: (وعشيرته) وهي القبيلة وهم بنو أب واحد، والفصيلة في الأصل القطعة المفصولة ويطلق على الآباء الأقربين وعلى الأم لأن الولد يكون مفصولاً من الأبوين، فلما كان الولد مفصولاً منهما كانا مفصولين منه أيضًا فسميا فصيلة لهذا السبب. والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الأقربون لتقدم قوله وبنيه. **قوله: (الضمير للنار)** ولم يجر لها ذكر إلا أن ذكر العذاب يدل عليها. و«لظى» يجوز أن يكون خبر «إن» أي أن النار لظى، و«نزاعة» خبر ثانٍ أو خبر مبتدأ مضمر أي هي نزاعة. ويجوز أن يكون «لظى» بدلاً من الضمير المنصوب و«نزاعة» خبر «إن» وإن كان ضمير «إنها» للقصة يكون قوله: ﴿لظى نزاعة﴾ جملة اسمية خبر «إن». **قوله: (أو الحال المؤكدة)** أي من لظى لأن لظى بمعنى جهنم لا تكون إلا نزاعة فلا معنى للحال إلا على وجه التأكيد كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٢٦] **قوله: (أو المنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية)** أي متلهبة وهو معناه في أصل اللغة، والنار المتلهبة لا يلزمها أن تكون نزاعة فيجوز أن تكون حالاً منتقلة. **قوله: (والشوى الأطراف)** أي الأعضاء التي ليست بمقتل كالأيدي والأرجل، ومنه يقال للرامي إذا رمى الصيد ولم يصب

وتحضر كقول ذي الرمة:

........تدعو أنفه الريب

مجاز عن جذبها وإحضارها لمن فر عنها. وقيل: تدعو زبانيتها وقيل: تدعو تهلك من قولهم: دعاه الله إذا أهلكه. ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصًا وتأميلاً. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ شديد الحرص قليل الصبر ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الضر ﴿جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ يكثر الجزع ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ السعة ﴿مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ يبالغ في الإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال

مقتله: رماه فأشواه، أي أصاب الشوى. فقوله: ﴿نزاعة للشوى﴾ أي قلاعة للأعضاء الواقعة في أطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا أبدًا. **قوله:** (كقول ذي الرمة) استشهاد لكون الدعوة مجازًا عن الجذب والإحضار. وصف الثور الوحشي بقوله:

أمسى بوهبين مجتاز المزنقة **(من ذي الفوارس تدعو أنفه الربب)**

و«هبين» اسم موضع وكذا «ذو الفوارس» و«مجتازًا» عدي باللام لتضمنه معنى الطلب أي طالبًا المزنقة، ويروى «محتازًا» بالحاء المهملة. ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهي أول ما ينبت من الأرض، وفي مجمل اللغة: الربة نبات يبقى في آخر الصيف. و«تدعو أنفه» أي تجذبه ليأكل. وكذا دعوة لظى من فر عنها مجاز عن جذبها وإحضارها إياه. وقيل: إنها تدعوهم بلسان الحال. وقيل: إنه تعالى يخلق النطق في جرم النار فتدعو كل كافر ومنافق بأسمائهم بلسان فصيح فتقول: إليّ يا كافر إليّ يا منافق فإن مستقرك فيّ، ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب. وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى. وقيل: تدعو زبانية النار على حذف المضاف أو على إسناد المجازي حيث أسند فعل الداعي إلى المدعو إليه وقوله: «تدعو» يجوز أن يكون مستأنفًا، وأن يكون صفة لقوله: «نزاعة»، وأن يكون حالاً من المنوي فيها، وأن يكون خبرًا بعد خبر «لأن» أو خبر المبتدأ محذوف. **قوله:** (حرصًا وتأميلاً) الأول علة لجمع المال والثاني لإبقائه على طريق اللف والنشر المرتب، فإن جمع المال مبني على الحرص وحب الدنيا وإبقاءه مبني على طول الأمل. فقوله: ﴿أدبر وتولى﴾ إشارة إلى الإعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله: ﴿وجمع فأوعى﴾ إشارة إلى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى. ولا شك أن مجامع آفات الدين ليست إلا هذه وقد مر أن الوعي أن تحفظ الشيء في نفسك والإيعاء أن تحفظه في غيرك. ثم إنه تعالى لما ذكر أن من الناس من أدبر عن طاعة الحق والإشفاق على الخلق بيّن أن الغالب على أحوال نوع الإنسان الهلع وأنه مجبول عليه بحيث صارت هذه الرذيلة كأنها

مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها. و«إذا» الأولى ظرف «لجزوعًا» والأخرى «لمنوعًا».

غرزت فيه كسائر الغرائز الطبيعية التي خلق الإنسان عليها فقال: ﴿إن الإنسان خلق هلوعًا﴾ والهلع صفة مركبة من صفتين ذميمتين وهما: الجزع البالغ عند إصابة المكروه، والبخل والإمساك البالغ عند إصابة الخير. قيل: أصل الهلع في اللغة أشد الحرص وأسوأ الجزع وفعله هلع يهلع مثل علم يعلم هلعًا فهو هالع وهلوع، والجزع ضد الصبر. وانتصاب «هلوعًا» على أنه حال من المنوي في خلق وهي حال مقدرة فإن الهلع ليس خصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى الإنسان عليها وإلا لما قدر الإنسان على إزالتها بالرياضة والمجاهدة. غاية ما في الباب أن الإنسان إذا خلى وطبعه لا يظهر عليه إلا مقتضى نفسه الأمارة بالسوء من إيثار العاجل على الآجل لكونها في عالم الظلمات فلا يميل الإنسان إلا إلى ما يلائمها من لذات عالم الطبيعة والأجسام الظلمانية، ولا يلزم من ذلك أن تكون تلك الرذائل مما خلق الإنسان عليها وأن لا تكون من العوارض المكتسبة بالقصد والاختيار، فظهر بهذا أنه يجوز أن يكون قوله تعالى: «هلوعًا» و«جزوعًا» و«منوعًا» من الأحوال المقدرة إلا أن المصنف جوّز كونها من الأحوال المحققة فقال: «أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها». ورد به على صاحب الكشاف فإنه زعم أن خلق الإنسان هلوعًا قبيح لا يصح إسناده إليه تعالى فليس بكلام على حقيقته بل المعنى أن الإنسان لإتيان الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما وكأنه أمر خلقي ضروري غير اختياري كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] أي عجولاً في أكثر أموره وأغلب أحواله، ولو كان المعنى أنه تعالى خلقه كذلك لكانت الأوصاف المذكورة لازمة له غير منفكة عنه لكنها تنفك عنه، فإنه حين كان جنينًا في البطن وصبيًا في المهد لم يكن به هلع. ولأن قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعًا﴾ ذم والله تعالى لا يذم فعله ويدل على كونه ذمًا استثناء المؤمنين الموصوفين بثمانية أوصاف وهو ما ذكره إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] وأشار المصنف إلى جواز أن تكون الأوصاف المذكورة صفات غريزية جبل عليها الإنسان وأنه إذا خلى وطبعه لا يظهر منه إلا آثار تلك الصفات ومقتضياتها من الأفعال والأقوال إلا أنه لما أعطى العقل وميزان الشرع وبيّن له غوائل الأخلاق الذميمة ومحاسن الأخلاق الحميدة تخلق بمخالفة طبعه وموافقته لشرعه ومجاهدة نفسه الأمارة حتى تحلى بالصفات المضادة لتلك الأحوال والأمور الجبلية يجوز تبديلها بالرياضة والمجاهدة، فإن لكل داء دواء متى أصاب الداء أزاله. وارتكاب القبيح إنما يتصور ممن يكلف باتباع المأمور به واجتناب المنهي عنه لا ممن يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته ولا يسأل عما يفعل فلا يكون شيء من

﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على الاستغراق في طاعة الحق، والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة، وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل، وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه. ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ لا يشغلهم عنها شاغل. ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾﴾ كالزكوات والصدقات الموظفة. ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾

أفعاله تعالى قبيحًا فلا يصح أن يقال: خلق الإنسان هلوعًا قبيح. فإن قيل: حاصل معنى الهلع أن يكون الشخص نفورًا عن المضار طالبًا للراحة وهذا وصف ملائم لمقتضى العقل فلم ذمه الله تعالى؟ فالجواب أن المذموم هو كون الشخص بحيث يقصر نظره على الأحوال الجسمانية منهمكًا في حب الحظوظ العاجلة راغبًا فيها نافرًا عما يكون شرفًا بالنسبة إليها، وكان الواجب عليه ما ذكره المصنف من الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والرضى بجميع ما أصابه من الفقر والمرض ونحوهما، وصرف ما رزقه الله تعالى من النعم كالمال والصحة ونحوهما إلى ما يؤدي إلى سعادة الآخرة ولا يطلب شيئًا منها لكونها منفعة عاجلة.

قوله: (لمضادة تلك الصفات لها) علة لاستثناء هؤلاء الموصوفين من المطبوعين على الأحوال المذكورة سابقًا، فإن الصفات المذكورة بعد لما كانت مضادة لأحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها في موضع واحد وجب أن يكون الموصوفون بتلك الصفات مستثنيات من المطبوعين على الأحوال المذكورة سابقًا وإلا لزم اجتماع الأمور المضادة. قوله: (لا يشغلهم عنها شاغل) أي عن أدائها في أوقاتها. قال الإمام: فإن قيل: كيف قال: ﴿على صلواتهم دائمون﴾ ثم قال: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]؟ وأجاب عنه بقوله معنى: داومهم عليها أن لا ينسوها في وقت من الأوقات ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة لها وتارة بأمور متراخية عنهما. أما الأمور السابقة فهي: أن يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول أوقاتها، وبالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين، والإتيان بالصلاة في الجماعة وفي المساجد المباركة، وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى، وأن يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة. وأما الأمور المقارنة فهي أن لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً وأن يكون حاضر القلب عند القراءة فاهمًا للأذكار مطلقًا على حكم الصلاة. وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللهو

الذي لا يسأل فيحسب غنيًا فيحرم ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦)﴾ تصديقًا بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعًا في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين. ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧)﴾ خائفون على أنفسهم. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾ اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ في طاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)﴾ سبق تفسيره في سورة المؤمنين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢)﴾ حافظون. وقرأ ابن كثير «لأمانتهم» ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)﴾ لا ينكرون ولا يخنون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد. وقرأ يعقوب وحفص «بشهاداتهم» لاختلاف الأنواع. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها. وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخرًا

واللعب وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بشيء من المعاصي والمنكرات. **قوله: (تصديقًا بأعمالهم)** فإن مجرد التصديق بالجنان واللسان وإن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين على الأحوال المذكورة. **قوله: (خائفون على أنفسهم)** فلا يتركون واجبًا ولا يرتكبون محظورًا، وتكون جميع شؤونهم طاعة ربهم ومع ذلك لا يأمنون عذابه. **قوله تعالى: (فمن ابتغى وراء ذلك)** وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي المتعدون عما حد لهم. ودخل في هذا حرمة وطء الذكران والبهائم والزنى. وقيل: يدخل فيه الاستمناء أيضًا. روي أن العرب كانوا يستمنون في الأسفار. فنزلت الآية.

قوله: (وقرأ ابن كثير لأمانتهم) أي بالإفراد لأن الأمانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الإنسان سواء كان من جهة الباري تعالى أو من جهة الخلق فيتناول ما ائتمن الله تعالى عليه عبارة من الشرائع وأمانات الدين كما يتناول ما حملوه من أمانات الناس فلا حاجة إلى لفظ الجمع. ومن قرأه بلفظ الجمع نظرًا إلى اختلاف الأنواع، وكذا الكلام في إفراد الشهادة وجمعها. وأكثر المفسرين على أن القيام بالشهادة أداؤها عند الحكام على من كانت هي عليه من قريب أو بعيد شريف أو وضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام، وإن كان من جملة الأمانات، إلا أنه تعالى عطفها على ما قبلها عطف الخاص على العام إظهارًا لفضلها، وأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وتضييعها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المراد بالشهادة شهادة أن الله واحد لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله. **قوله: (لا يخنون)** أي لا يضيعون الأمانة فإن عدم رعايتها يكون بالإهلاك وبالإنكار يقال: أخنى عليه

باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها. وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى.

الدهر أي أتى عليه وأهلكه. قوله: (وإنافتها) أي إعلاء قدرها يقال: أناف على كذا إذا أشرف عليه.

قوله: (وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى) مثلاً في قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ مبالغات من حيث تعريف المسند إليه بالموصول، فإنه يقتضي أن يكون ذات المسند إليه معلومًا للمخاطب حاضرًا في ذهنه بكونه متصفًا بما نسب إليه من مضمون الصلة. ولا يخفى أن اشتهار المصلين بالمحافظة على صلاتهم مبالغة في المحافظة عليها ومن تكرير المسند إليه لتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع، كما في قولك: زيد هو يعطي الجزيل قصدًا إلى تحقيق أنه يفعل إعطاء الجزيل، ومن تقديم قوله: «على صلواتهم» المفيد للاختصاص الدال على أن محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز إلى أمور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فإنها إن كانت بمعنى الثلاثي تكون للمبالغة في ملابسة أصل الفعل وإن كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو أبلغ من مجرد حفظ الصلاة ورعاية ما يناسبها. وإذا تقرر أن الموصول مع صلته أفاد هذه المبالغات تقرر أن توصيف المصلين به يفيد مدحًا عظيمًا لهم كل ذلك يعرف بالتأمل وقس عليه البواقي. والظاهر أن قوله تعالى: «مكرمون» خبر «أولئك» و«في جنات» متعلق به قدم عليه للحصر، ويجوز أن يتعلق بمحذوف ويكون خبرًا آخر «لأولئك». ولما ذكر أن المستغرقين في طاعة الحق والمشفقين على الخلق مكرمون في جنات بثواب الله تعالى ذكر بعده قبائح الكفار فقال: ﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ روي أن المشركين كانوا يحتفون حول النبي ﷺ حلقًا حلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون كلامه ويستهزئون به عليه الصلاة والسلام وبالقرآن ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم. فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿يطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ وكلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿فما للذين كفروا﴾ استفهامية بمعنى الإنكار في موضع الرفع على الابتداء و«للذين كفروا» خبرها و«قبلك» ظرف مكان للاستقرار الذي تعلق به «للذين» أو ظرف «المهطعين» وهو حال من المنوي في «الذين» أي أي شيء ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين؟ أو أي شيء ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك؟ وقوله: «عن اليمين» يجوز أن يتعلق «بعزين» لأنه بمعنى متفرقين وأن يتعلق «بمهطعين» أي مسرعين عن هاتين الجهتين. و«عزين» حال بعد حال من المنوي في «للذين» أو حال من المنوي في «مهطعين» فتكون حالاً متداخلة. والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الواو والياء الساقطة. قال الأصمعي: يقال: في الدار عزون من الناس أي أصناف

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بثواب الله ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾ حولك ﴿مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ مسرعين ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ فرقًا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو، كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزى إليه الأخرى. كان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقًا حلقًا ويستهزئون بكلامه. ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾﴾ بلا إيمان وهو إنكار لقولهم: لو صح ما يقوله لنكون فيها أفضل حظًا منهم كما في الدنيا. ﴿كَلَّآۖ﴾ ردع لهم عن هذا الطمع. ﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ تعليل له. والمعنى: إنكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد دخولها، أو أنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ في منازل الكاملين، أو استدلال بالنشأة الأولى على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضًا مستحيلاً عندهم بعد دعهم عنه. ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم، أو نعطي محمدًا ﷺ بدلكم من هو خير منكم وهم الأنصار. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ بمغلوبين إن أردنا ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ مر في آخر الطور. ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾ مسرعين جمع سريع. ﴿كَأَنَّهُمۡ

منهم، سميت كل فرقة عزة لاعتزائها إلى غير من تعزى إليه الأخرى من قولهم: عزوته إلى أبيه وعزيته لغة فيه إذا نسبته إليه فاعتزى هو وتعزى أي انتمى وانتسب. **قوله**: (أو أنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون) أي ويحتمل أن يكون المعنى على تقدير كونه تعليلاً للردع هكذا أن تكون كلمة «مِن» بمعنى الأجل كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: ٢٥]. **قوله**: (أو استدلال) عطف على قوله تعليل وقوله: «بعد ردعهم» ظرف لقوله: «استدلال» لمّا كان قولهم لو صح ما يقول لنكون فيها أفضل حظًا مشتملاً على أمرين دعوى استحالة النشأة الثانية والطمع الفاسد المبني على فرض وقوعها منعهم الله تعالى عن ذلك الطمع أولاً بقوله: ﴿كلا﴾ ثم استدل على إمكانها بقوله: ﴿خلقناهم مما يعلمون﴾ كأنه قال: من قدر على خلق البشر السوي من النطفة المستقذرة ألا يكون قادرًا على بعثه؟ ثم إنه تعالى هددهم بقوله: ﴿فلا أقسم﴾ وكلمة «لا» صلة أورد لقولهم المذكور وما بعدها قسم مستأنف. ويحتمل أن يكون أصله فلأقسم فأشبعت الفتحة فحصل ألف وقوله: ﴿على أن نبدل خيرًا منهم﴾ أصله على أن نبدلهم بدلاً خيرًا منهم فحذف المفعول الأول وموصوف «خيرًا» وجمع المشارق والمغارب إما لأن المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه أو مشرق كل كوكب ومغربه، أو المراد بالمشرق ظهور حياة كل شيء وبالمغرب موته. **قوله تعالى**: (فذرهم)

إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ منصوب للعبادة أو علم ﴿يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يسرعون. وقرأ ابن عامر وحفص «نصب» بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع. ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ مر تفسيره. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ في الدنيا. عن النبي ﷺ من قرأ: «سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون».

متفرع على قوله: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي إذا تبيّن أنه لا يفوتنا ما نريد منهم وبهم من خير وشر وأنه ليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية إليه، فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل واشتغل أنت بما أمرت به فإنهم ملاقون عن قريب اليوم الذي وعدوا به وهو يوم يكون الناس كالمهل وكذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿يوم يخرجون﴾ يجوز أن يكون بدلاً من «يومهم» وأن يكون منصوبًا بإضمار أعني. والأجداث جمع جدث وهو القبر. و«سراعًا» حال من الضمير في «يخرجون» وكأنهم حال ثانية منه أو من المنوي في «سراعًا» فتكون حالاً متداخلة. **قوله:** (منصوب للعبادة أو علم) يعني أن «نصب» بفتح النون وسكون الصاد كما هو قراءة غير ابن عامر وحفص من السبعة بمعنى المنصوب سواء نصب لأن يعبد من دون الله، أو نصب علامة لموضع الملك في نزوله ومسيره وهو المراد بالعلم. والمعنى: أنهم يسرعون إلى الموقف كإسراعهم إلى صنمهم الذي يعبدونه ويسرعون إليه أيهم يستلمه أولاً. قيل: كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي أولهم على آخرهم، أو كأنهم قد نصب لهم علم فهم يسعون إليه ليبلغوه فهم يتبادرون في السبق إليه. والنصب بضمتين واحد الأنصاب. وقيل: هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب. وقيل: جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف، والنصب بالضم والسكون إما تخفيف نصب بضمتين مثل عسر وعسر أو جمع نصب بالفتح والسكون. **قوله تعالى:** (خاشعة) حال من فاعل «يوفضون» والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب. وكذا قوله: ﴿ترهقهم ذلة﴾ في موضع الحال منه أيضًا أي يغشاهم هوان المذنبين، ويجوز أن يكون استئنافًا يقال: رهقه أي غشيه وهو من باب علم. **قوله تعالى:** (كانوا يوعدون) أي يوعدونه في الدنيا وأن لهم فيه العذاب، فحذف العائد من الصلة إلى الموصول. تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

سورة نوح

مكية وآيها تسع وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ بأن أنذر أي بالإنذار أو بأن قلنا له أنذر.

سورة نوح عليه الصلاة والسلام

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (بأن أنذر أي بالإنذار) يجعل «أن» مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الإرسال لا يتعدى إلى مفعول ثانٍ بدون توسط حرف الجر قدر الباء الجارة فحذف الجار وأوصل الفعل فمحل «أن أنذر» النصب على نزع الخافض أو الجر على إرادته. وقوله: «أو بأن قلنا له أنذر» إشارة إلى أن النحاة اختلفوا في أن صلة «أن» المصدرية هل يجوز أن يكون شيئًا مما فيه معنى الطلب كالأمر والنهي ونحوهما أو لا؟ فجوّزه سيبويه وأبو علي ومنعه غيرهما. قال أبو علي في قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ١١٧] كلمة «أن» فيه يجوز أن تكون مصدرية فتكون بدلاً من «ما» أو من الهاء في «به» أو خبر مبتدأ محذوف أي هو أن اعبدوا الله، وأن تكون مفسرة كذا في شرح الرضي. وفيه أيضًا أن صلة «أن» المخففة لا تكون أمرًا ولا نهيًا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب إجماعًا، فكذا صلة «أن» المصدرية على الأصح. فقول المصنف «بأن أنذر أي بالإنذار» مبني على مذهب سيبويه وأبي علي. وقوله: «أو بأن قلنا له أنذر» مبني على مذهب غيرهما، فإن

ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول. وقرىء «بغيرها» على إرادة القول. ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ عذاب الآخرة أو الطوفان.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ مـر نظيره في الشعراء وفي أن يحتمل الوجهان. ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعض ذنوبكم وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أقصى ما قدّر لكم بشرط الإيمان والطاعة. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ إن الأجل الذي قدره ﴿إِذَا

غيرهما يقولون: إن «أن» المصدرية مع صلتها تكون في تأويل المصدر فيكون قوله تعالى: ﴿أن أنذر﴾ في تأويل أرسلناه بالإنذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب، فيكون تصدير صيغة الأمر «بأن» المصدرية مستلزمًا لإبطال معنى الصيغة وإخلائها عن مدلولها الوضعي فحيثما صدرت صيغة الطلب «بأن» المصدرية للإيذان يقدر بعدها القول ليبقى معنى الصيغة على حال، فيكون تقدير الآية: أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه إرسالاً ملقيًا بهذا القول الموضوع لطلب الإنذار. **قوله: (وقرىء بغيرها)** أي بغير «أن» فلا بد من إضمار القول أي قائلاً أنذر، و«أن» في قوله: ﴿أن اعبدوا الله﴾ كالتي في قوله: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١] في جواز كونها مصدرية ومفسرة. ثم عليه الصلاة والسلام أمر قومه بثلاثة أشياء: بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه. فالأمر بالعبادة يتناول الأمر بجميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب والجوارح، والأمر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات، وقوله: ﴿وأطيعون﴾ يتناول الأمر بطاعته في جميع المأمورات والمنهيات. وهذا وإن كان داخلاً في الأمر بعبادة الله تعالى وتقواه إلا أنه خصه بالذكر بعد ذكر الأمر بهما تأكيدًا لذلك الأمر ومبالغة في تقريره وإيجابًا عليهم أن يؤمنوا به ويصدقوه في دعواه الرسالة. **قوله: (بعض ذنوبكم وهو ما سبق)** أي على الإيمان إشارة إلى أن فائدة ذكر من التبعيض فإنه لو قال: يغفر لكم ذنوبكم، لكان قد وعد قومه بمقابلة امتثالهم لما أمرهم به من الأشياء الثلاثة مغفرة جميع ذنوبهم تقدمت على الإيمان أو تأخرت عنه، لأن إضافة الجمع تفيد الاستغراق، وليس كذلك فإن الذنوب المتأخرة عن الإيمان لا تكون مغفورة بمجرد الإيمان فلذلك أورد حرف التبعيض. وقيل: المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الإيمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد. **قوله: (وهو أقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة)** جواب عما يقال: إنه عليه الصلاة والسلام وعد لهم بمقابلة امتثالهم لما أمروا به أن يؤخرهم الله تعالى إلى أجل مسمى مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهما متناقضان بحسب الظاهر. وتقرير الجواب أن الله تعالى جعل في الأجل حكمين محتومًا ومعلقًا كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢] فالمحتوم هو المسمى وهو الذي لا يمكن تأخيره، والمعلق هو الحكم بأن قوم

﴿جَآءَ﴾ على الوجه المقدر به أجلاً وقيل إذا جاء الأجل الأطول. ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير. ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك. وفيه أنهم لانهماكهم في حب العاجل كأنهم شاكون في الموت. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ﴾ إلى الإيمان ﴿قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ أي دائمًا ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله تعالى: ﴿فزادتهم إيمانًا﴾.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان والطاعة. ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بسببه. ﴿جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ تغطوا بها لئلا

نوح مثلاً إن لم يؤمنوا أهلكهم الله تعالى قتل ذلك بما شاء من أسباب الإهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام: «إن استقامت أمتي فلهم يوم، وإن لم يستقيموا فلهم نصف يوم». فاليوم هو الذي لا يمكن التجاوز عنه بوجه، والنصب وهو الموقوف على عدم الاستقامة، وأي الأجلين قضى به وحكم فلا يمكن تأخيره وذلك هو الذي عبّر عنه بالمجيء في قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] أي لا يؤخر إذا حكم به وتعلقت به الإرادة فبادروا مجيئه بالإيمان. وأشار المصنف إليه بقوله: إذا جاء على الوجه المقدر به أجلاً وأضيف هذا الأجل إليه تعالى لكونه تعالى هو الذي قدره وتعلقت به إرادته وإن صح إضافته إلى العبد لكونه نهاية عمره، فالأجل المعلق إذا تحقق شرط كونه أجلاً وتعلقت به إرادته تعالى لا يؤخر إلا أنه يؤخر إذا فقد شرط كونه أجلاً، بخلاف الأجل المقطوع به فإنه لا يؤخر بوجه.

قوله: (وقيل إذا جاء الأجل الأطول) عطف على قوله: «إن الأجل الذي قدره» أي وقيل: المراد بأجل الله هو المسمى الذي لا يمكن تأخيره بوجه من الوجوه أي الوقت الذي سماه الله تعالى أجلاً إذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير، فإن المسمى ضروري الوقوع لا يمكن تأخيره. **قوله:** (لعلمتم ذلك الخ) إشارة إلى أن جواب «لو» محذوف وكلمة «لو» دلت على أنهم لا يعلمون ذلك مع أنه تعالى خلقهم مشتملين على أسباب العلم وآلات تحصيله إلا أنهم ضيعوها بتوغلهم في حب الدنيا وانهماكهم في الالتذاذ بها. **قوله:** (وإسناد الزيادة إلى الدعاء) من قبيل إسناد الفعل إلى السبب. والمعنى: دعوتهم دائمًا من غير فتور فازدادوا فرارًا عند دعوتي. ويجوز إسناد الزيادة إلى السورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥] فإن ضمير «زادتهم» يعود إلى السورة والمعنى: أن الله تعالى يزيدهم ذلك عند نزول السورة.

يروني كراهة النظر إلى من فرط كراهية دعوتي، أو لئلا أعرفهم فأدعوهم. والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة. ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ وأكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها. ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن اتباعي ﴿ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ عظيمًا ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني و«ثم» لتفاوت الوجوه، فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد، أو لتراخي بعضها عن بعض «وجهارًا» نصب على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارًا أي مجاهرًا به، أو الحال فيكون بمعنى مجاهرًا ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ بالتوبة عن الكفر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه، وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم

قوله. (والتعبير بصيغة الطلب) مع أن معنى الطلب ليس بمقصود ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطي والستر كما فسر به للمبالغة في الاهتمام بالتغطي كأنهم طلبوا من الثياب أن تغشاهم لئلا يروا الداعي بغضًا له ولما جاء به. **قوله:** (مستعار من أصر الحمار على العانة) وهي القطيع من حمر الوحش. يقال: صر الفرس أذنيه إذا سواهما وضمهما، وإذا نقل إلى باب الأفعال وقيل: أصر الفرس يكون لازمًا وهو من النوادر. شبّه الإقبال على الكفر والمعاصي بإصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها فسمى الإقبال عليه إصرارًا واشتق منه أصر، ولو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه في أسوأ الأحوال وهو حال الكدم والطرد للسفاد؟

قوله: (أي دعوتهم مرة بعد أخرى) يعني أنه عليه الصلاة والسلام عطف بكلمة «ثم» أولاً دعوته إياهم مجاهرة وهي الدعوة على رؤوس الأشهاد في المحافل، ثم عطف بها دعوته إياهم على وجه الإعلان والإسرار بأن يخلو بالواحد، فالواحد منهم فيعلن ويسر إليه في الدعوة. وما عطف عليه هذان المعطوفان ليس إلا قوله: «كلما دعوتهم» من غير تقييد تلك الدعوة بشيء. فهذا الأسلوب يدل على أن مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدأ أولاً بالمناصحة في السر فعاملوه بالأمور الأربعة، ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار. فكان حاصل الكلام ما ذكره المصنف بقوله: أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني. و«ثم» إما للدلالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان. **قوله:** (وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا) إشارة إلى وجه قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿استغفروا ربكم﴾ وبيان فائدته بعد ما أمرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما بلغ من قبله إليهم.

ويجلب إليهم المنح. ولذلك وعد لهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم. وقيل: لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمطر. والمدرار كثير الدرور يستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث. والمراد بالجنات والبساتين. ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ لا تأملون له توقيرًا أي تعظيمًا لمن عبده وأطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار، أو لا

قوله: (ولذلك) أي ولكون الاستغفار من الذنوب والمعاصي كما يمحو الذنوب والمعاصي يجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنى، وعد عليه الصلاة والسلام لهم على ما هو أوقع في قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال: ﴿يرسل السماء عليكم مدرارًا﴾ فإنه مجزوم على أنه جواب الأمر فإنهم لما قالوا: إن كنا على باطل فكيف يقبلنا من عصيناه؟ قال نوح عليه السلام: إنكم وإن كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصي، فإن شأنه تعالى الغفارية وبيّن لهم أن الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصي يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة منافع الدنيا وخيراتها. **قوله:** (وقيل لما طالت الخ) عطف على قوله: «كأنهم لما أمرهم» الخ فيكون وجهًا آخر لارتباط هذه الآية بما قبلها. **قوله:** (فوعدهم بذلك) أي بما هو أوقع في قلوبهم. والمدرار من أوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب و «مدرارًا» حال من السماء. **قوله:** (والسماء يحتمل المظلة) على ما قيل من أن المطر ينزل منها إلى السحاب. ويطلق السماء أيضًا على كل ما علاك كالسحاب وسقف البيت. فعلى التقديرين يكون المعنى: يرسل ماء السماء فحذف المضاف ويطلق على نفس المطر أيضًا كما في قوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فحينئذٍ لا حاجة إلى تقدير المضاف. **قوله:** (لا تأملون له توقيرًا) على أن الرجاء على أصله وهو الأمل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم. **قوله:** (ولله بيان للموقر) أي للذي يفعل التوقير والتعظيم فكأنهم لما سمعوا قوله: ﴿ما لكم لا ترجون﴾ أن توقروا وتعظموا على بناء المفعول قالوا: لمن التوقير والتعظيم؟ أي من الذي يعظمنا ويوقرنا فقيل: ﴿الله﴾ أي التوقير لله. وأصل لله أن يكون مؤخرًا عن «وقارًا» على أنه صفة له، فلما قدم امتنع أن يكون صفة له و «لا» متعلقًا به لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه فتعيّن كونه للبيان.

تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه. وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ حال مقررة للإنكار من حيث إنها موجبة للرجاء بأن خلقهم أطوارًا أي تارات إذ خلقهم أولاً عناصر ثم مركبات تغذي الإنسان، ثم أخلاطًا ثم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحومًا، ثم أنشأهم خلقًا آخر. فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة. ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ أي في السمٰوات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب إليهن

قوله: (مبالغة) أي في عدم اعتقادهم له عظمة، فإن من لا يكون له الرجاء التابع لأدنى ظن ذاتي يكون له الاعتقاد الجازم. والمعنى على هذا: ما لكم لا تعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة البالغة والعلم والحكمة، وهو أنه خلقكم أطوارًا وخلق السمٰوات طباقاً وغير ذلك؟ فعلى هذا قوله تعالى: ﴿لله﴾ بيان للموقر كما أنه على الأول بيان للموقر. **قوله تعالى:** (طباقًا) إما جمع طبق كجمل وجمال أو جمع طبقة كرحبة ورحاب، أو مصدر طابق يقال: طابق مطابقة وطباقًا. وعلى التقادير فهو صفة سبع سمٰوات إما على كونه جمعًا فظاهر، وإما على تقدير كونه مصدرًا فعلى طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة أو على حذف المضاف أي ذات طباق. ويجوز أن ينتصب على أنه مصدر لفعل مقدر أي طوبقت طباقًا بمعنى أنها جعلت طبقة فوق أخرى. قال الإمام: قوله تعالى: ﴿خلق سبع سمٰوات طباقًا﴾ يقتضي كون بعضها مطبقًا على الآخر وهذا يقتضي أن لا يكون بينها فرج، فالملائكة كيف يسكنون فيها؟ فأجاب بأن الملائكة أرواح. ثم قال: وأيضًا فلعل المراد من كونها طباقًا كونها متوازية لا مماسة وهو المروي عن المبرد. ثم قال: كيف قال: ﴿وجعل القمر فيهن نورًا﴾ والقمر ليس فيها بأسرها بل في السماء الدنيا؟ فأجاب بأن هذا كما يقال: السلطان في العراق ولا يراد أن ذاته حاصلة في جميع أحياز العراق بل يراد أن ذاته حاصلة في حيز من جملة أحياز العراق فكذا هنا، وهذا هو المراد بقول المصنف: لما بينهن من الملابسة كالبلدان المتباينة حيث جاز أن يقال في حق ما في واحدة منها أنه فيهن. وأشار صاحب الكشاف إلى الجواب بوجه آخر حيث قال: وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم: أن الشمس وجهها مما يلي السماء وظهرها مما يلي الأرض، فإذا كان وجه كل واحد منهما متوجهًا إلى جهة السمٰوات وقفاه إلى جهة الأرض ظهر وجه قوله فيهن من حيث إن كل واحدة منها منورة بنور القمر ونوره ثابت فيها بأسرها، فعلى هذا ينبغي أن يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجًا لأهل السمٰوات

لما بينهن من الملابسة. ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله. ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكوّن من الأرض، وأصله أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية. ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ بالحشر وأكده بالمصدر أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالبدء وأنها تكون لا محالة ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ تتقلبون عليها ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ واسعة جمع فج. و«من» لتضمن الفعل معنى الاتخاذ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ فيما أمرتهم به ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببًا لزيادة خسارهم في

والأرض. وقيل: إنه نور لأهل الأرض. **قوله:** (مثلها به) **يعني أن قوله تعالى:** ﴿وجعل الشمس سراجًا﴾ **من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث إن كل واحد منهما يزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض، فإن الليل عبارة عن ظل الأرض الحاصل في الجو بسبب حيلولة الأرض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس تزول الحيلولة وما يستند إليها من الظل كما يزول ذلك بضوء السراج والتشبيه لا يقتضي المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال: ضوء السراج عرضي كضوء القمر بخلاف ضوء الشمس فإنه ذاتي، فتشبيه القمر بالسراج أولى من تشبيه الشمس به. قوله: (فاستعير الإنبات للإنشاء) استعارة أصلية، ثم اشتق من الإنبات المستعار لفظ «أنبتكم» فصار استعارة تبعية. حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لأن الإنبات إخراج فروع ما رسخ عروقه في الأرض، ولا شك أن إيجاد الإنسان ليس على هذا الوجه. وإنشاء بني آدم من الأرض إما بواسطة إنشاء أبيهم آدم عليه السلام منها، أو من حيث إنه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من النبات المتولد من الأرض. والنكتة في العدول إلى المجاز كون الإنبات أدل على الحدوث لأنهم إذا كانوا أنباتًا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات. قوله: (وأصله أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا) يعني أن «نباتًا» منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة «أنبتكم» عليه التزامًا، فإن النبات لازم للإنبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه. وقد شكا نوح عليه السلام إلى ربه سبب عصيان قومه إياه فقوله بعد ذلك:** ﴿رب إنهم عصوني﴾ **تمهيد لما ذكره بعد بيان سبب عصيانهم إياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالأموال والأولاد. قوله: (بحيث صار ذلك سببًا) إشارة إلى أن إسناد الزيادة إلى المال والولد من قبيل إسناد الفعل إلى سببه، فإن الأموال والأولاد وإن كانت من الأسباب التي يكتسب بها سعادة الآخرة بصرفها فيما خلقت لأجله إلا أنها إذا جعلت ذريعة لقضاء الشهوات النفسانية واستيفاء اللذات العاجلة**

الآخرة. وفيه أنهم إنما تبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال وأولاد أدت بهم إلى الخسار. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد.

﴿وَمَكَرُواْ﴾ عطف على لم يرده والضمير لمن وجمعه للمعنى. ﴿مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ كبيرًا في الغاية فإنه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح. ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي عبادتها. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ ولا تذرن هؤلاء خصوصًا قيل: هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوّروا تبركًا بهم، فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت إلى العرب. وكان ود لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث

صارت أسبابًا لزيادة خسارة الآخرة. **قوله:** (وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم الخ) وذلك يستفاد من توصيف مفعول «اتبعوا» بقوله: ﴿لم يزده ماله وولده إلا خسارًا﴾ فإن توصيف متعلق اتباعهم بكونهم أصحاب أموال وأولاد أدت بهم إلى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور للأتباع.

قوله: (أبلغ من كبارًا) يعني أن «كبارًا» بالضم والتشديد من أوزان المبالغة أبلغ من «كبارًا» بالضم والتخفيف كما أن المخفف أبلغ من كبير، ونظيره الطويل ثم الطوال. والمكر الكبار هو احتيالهم بصد السفلة عن قبول دعوة نوح والإيمان به وتحريش الناس على أذاه وعلى الثبات على دين أسلافهم الأقدمين. ويجوز أن يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لأتباعهم: ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا﴾ عبادتها لا سيما هذه الآلهة الخمسة التي هي: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فإن إضافة الآلهة إليهم من جملة الحيلة الموجبة لاستمرارهم على عبادتها كأنهم قالوا: هذه الأجسام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على أنفسكم وعلى آبائكم بأنكم كنتم جاهلين ضالين، واعتراف الإنسان على نفسه وعلى جميع أسلافه بالجهل والضلال سفاهة شديدة لا يجترىء عليها عاقل، فلما كان في لفظ آلهتكم إشارة إلى هذه المعاني كان صارفًا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم هذا مكر أو حيلة خفية. **قوله:** (خصوصًا) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿ولا تذرن ودًا ولا سواعًا﴾ من قبيل عطف الخاص على العام تعظيمًا لهذه الأصنام الخاصة بناء على أنها أكبر أصنامهم. **قوله:** (فلما ماتوا صوروا) قيل لما مات هؤلاء الصلحاء اختار خلص أصحابهم أن يسلكوا سبيلهم في باب العبادة فقال لهم إبليس: لو صورتموهم ونظرتم إليهم أحيانًا كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة. ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم

لمذحج، ويعوق لمراد، ونسر لحمير، وقرأ نافع «ودًا» بالضم، وقــرأ «يغوثًا» و«يعوقًا» للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة. ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء أو للأصنام كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ [إبراهيم: ٣٦] ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ عطف على ﴿رب إنهم عصوني﴾ ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]

فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا قبلكم قد كانوا يعبدونها، فعبدوها. فابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت. فلما كانت أيام الطوفان والغرق دفنت تلك الأوثان فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب فكان ود لكلب، وسواع لهمدان، ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم معجمة على وزن مسجد وهو أبو قبيلة من اليمن، ويعوق لمراد وهو أيضًا أبو قبيلة من اليمن، ونسر لحمير وهو أيضًا أبو قبيلة من اليمن. قال الإمام: قولهم: انتقلت هذه الأصنام الخمسة إلى العرب فيه إشكال لأن الدنيا قد تحريت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الأصنام؟ وكيف انتقلت إلى العرب؟ ولا يمكن أن يقال: إن نوحًا عليه السلام وضعها في السفينة وأمسكها لأنه عليه السلام إنما جاء لنقبها وكسرها فكيف يمكن أن يقال إنه وضعها في السفينة سعيًا وغيرة في حفظها؟ هذا كلامه. ويزول إشكاله بما ذكر في التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من أن تكون تلك الأصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب والماء أيام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكان للعرب أصنام أخر اللات لثقيف وهو أبو قبيلة من هو إذن مضر ويقال له مضر الحمر ولأخيه ربيعة الفرس لأنهما اقتسما الميراث أعطي مضر الذهب وأعطي ربيعة الخيل، والعزى لسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر، ومنات لهذيل، وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة وكان إساف حيال الحجر الأسود، ونائلة حيال الركن اليماني، وهبل في جوف الكعبة. **قوله:** (للتناسب) لأن ما قبلها اسمان منصرفان منونان وهما ﴿ودًا وسواعًا﴾ وكذا ما بعدهما وهو «نسرًا» فنونا أيضًا للتناسب كما نون ﴿سَلَاسِلَا﴾ [الإنسان: ٤] كذلك. **قوله:** (**عطف على رب إنهم عصوني**) يعني أن قوله: ﴿لا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ مقول ثانٍ لنوح عطف الله تعالى أحد مقوليه على الآخر، وأن الواو فيه من كلامه تعالى لا من كلام نوح لاستلزامه عطف الإنشاء على الإخبار، فهو عليه السلام قال كل واحد من القولين من غير عطف أحدهما على الآخر فأحدهما قوله: ﴿رب إنهم عصوني﴾ وثانيهما قوله: ﴿لا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ فحكى الله تعالى أحد قوليه بتصديره بلفظ «قال» وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول بكلمة الواو النائبة عن لفظ قال. **قوله:** (ولعل المطلوب) جواب عما يقال: لا يليق بالنبي المبعوث للهداية أن يدعو على أمته بالضلال في أمر دينهم

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ من أجل خطيئاتهم. و«ما» مزيدة للتأكيد والتفخيم. وقرأ أبو عمرو «مما خطاياهم» ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال، أو لأن المسبب كالمعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع. وتنكير النار للتعظيم أو لأن المراد نوع من النيران أعد لهم. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم.

وزيادتهم فيه مع أنه عليه السلام قد بعث إليهم ليصرفهم عنه. قوله: (وما مزيدة) **يعني أنها زيدت بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله:** ﴿مما خطيئاتهم﴾ **فإنه يدل على أن إغراقهم بالطوفان لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم تكذيبًا لقول المنجمين من أن ذلك كان لاقتضاء الأوضاع الفلكية إياه فإنه كفر لكونه مخالفًا لصريح هذه الآية. ولزيادتها فائدة أخرى وهي تفخيم قبح خطاياهم لأنها إبهامية وإبهام الشيء يدل على أنه مما لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره. قوله:** (وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم) كل واحد من لفظي الخطايا والخطيئات جمع خطيئة إلا أن الأول جمع تكسير والثاني جمع سلامة، وقد تقرر أن الجمع المكسر غير الأوزان الأربعة التي هي أفعل وأفعال وأفعلة وفعلة جمع كثرة لا يطلق على ما دون العشرة إلا بالقرينة والمقام مقام تكثير خطاياهم، فلعل أبا عمرو إنما قرأ «خطاياهم» بلفظ جمع الكثرة لذلك. ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر إلى أن جمع السلامة سواء كان بالواو والنون أو بالألف والتاء لمطلق الجمع كما ذكر في شرح الرضي وهو قوله: والظاهر أن كل واحد من جمعي السلامة لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة فيصلحان لهما، فلذلك قيل: إنهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قوله: (المراد عذاب القبر) تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى: ﴿أغرقوا فادخلوا نارًا﴾ وذلك من وجهين: الأول أن الفاء في قوله تعالى: ﴿أغرقوا فأدخلوا نارًا﴾ تدل على أن الإدخال حصل عقيب الإغراق فلا يمكن حمل الإدخال على عذاب الآخرة لئلا يلزم إخلاء اللفظ عن مدلوله الوضعي من غير دليل. والوجه الثاني أن قوله تعالى: ﴿فادخلوا﴾ إخبار عن الماضي وهو إنما يصدق بوقوع المخبر به قبل نزول الآية. وقال مقاتل والكلبي: معنى الآية أنهم سيدخلون في الآخرة نارًا، وعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠] و﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] **ولأنه لما تحقق سبب الإدخال ومن حق المسبب أن يتحقق عقيب السبب جعل كالمتحقق وعبّر عنه بلفظ الماضي. ولا يخفى أن**

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ أي أحدًا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار أو الدور، وأصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال وإلا لكان دوارًا. ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ قال ذلك لما جربهم واستقرى أموالهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فعرف

ما ذكر إنما يصحح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ولا يكون دليلاً على ترك الظاهر. ومن المعلوم أن العدول عن الظاهر من غير دليل لا وجه له فالوجه أن يراد به عذاب القبر، ومن مات في ماء أو نار وأكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب كقوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] وعن الضحاك: أنهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب. وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر. **قوله: (فيعال من الدار أو الدور)** يعني أن «ديارًا» على الأول أحد ينزل الدار ويسكنها، وعلى الثاني أحد يدور في الأرض بأن يذهب ويجيء. وأنكر بعضهم كونه من الدوران وقال: لو كان من الدوران لم يبق على الأرض جني ولا شيطان وليس كذلك فينبغي أن يكون من الدار ويكون المعنى: أهلك كل نازل دارًا وساكنها من الكفار أي كل إنسي منهم. **قوله:** (لا فعال وإلا لكان دوارًا) أي لكان ينبغي أن تفتح واوه ولا تقلب ياء، لأن أصل دار دور فقلبت واوه ألفًا، فلما ضعفت عينه كان دوارًا بواو صحيحة مشددة إذ لا وجه لقلبها ياء وكذا الحال إذا كان فعالاً من الدور. **قوله:** (قال ذلك لما جربهم) جواب عما يقال: كيف عرف أنهم لا يلدون إلا فاجرًا كفارًا حتى دعا في حقهم بأن يهلكهم الله تعالى جميعًا؟ وأخبر عنهم بأنهم لا يلدون إلا فاجرًا كفارًا أي إلا ما سيكون فاجرًا كفارًا إذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشيء بما سيؤول إليه. وتقرير الجواب: أنه عليه السلام عرف ذلك بالتجربة والاستقراء فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فعرف طباعهم واستقرى أحوالهم وأخلاقهم حتى قيل: كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول: احذر هذا فإنه كذاب وأن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية، فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير في العتو والعناد، وكما أنه عليه السلام عرف ذلك بالاستقراء عرفه بالنص أيضًا. قال قتادة: إنه عليه السلام دعا عليهم بعد أن أوحى الله تعالى إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فحينئذٍ دعا عليهم بذلك لما أيس من إيمانهم وتيقن بإطراد النجاسة في جميعهم، وأنه يجب تطهير وجه الأرض منهم، فأجاب الله تعالى دعاءه وأهلكهم جميعًا. فإن قيل: ما بال صبيانهم أغرقوا؟ قلنا: أغرقوا لا على وجه التعذيب كما يموتون بسائر الأسباب، فكم من صبي يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة في تعذيب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام

شيمهم وطباعهم. ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ هلاكًا. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام».

في مثله: «يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتى». وقيل: لم يكن فيهم صبي وقت العذاب لأنه تعالى أخرج كل من يؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، ثم أعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل الطوفان بأربعين سنة. وقيل: بسبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧] ولم يوجد التكذيب من الأطفال. **قوله:** (لمك بن متوشلخ) فإنه عليه السلام هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام ابن يزد بن فهلائيل بن يونس بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. قال وهب: وكلهم مؤمنون أرسل عليه السلام إلى قومه وهو ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس: ابن أربعين سنة. وقيل: بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة. روي عنه عليه السلام أنه قال: «أول نبي أرسل نوح وأرسل إلى جميع أهل الأرض» ولذلك لما كفروا أغرق الله تعالى أهل الأرض جميعًا. ثم إنه عليه السلام لما دعا بإهلاك من علم أنه لا يرجى منه الإيمان على وجه العموم والاستغراق دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين والمؤمنات إلا أنه خص نفسه أولاً بالدعاء، ثم ذكر من هو أشد اتصالاً به، ثم ذكر من هو دونه في الاتصال به لكونهم أولى وأحق بدعائه لهم، ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة، ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرة أخرى فقال: ﴿ولا تزد الظالمين إلا تبارًا﴾ أي هلاكًا. فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه من المؤمنين بسبب السفينة. قال مقاتل: حمل نوح في السفينة ثمانين نفسًا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وفيهم أولاده الثلاثة. وروى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الداعي للمؤمنين والمؤمنات يغفر له بعدد كل مؤمن في الأرض حي أو ميت ويرد عليه مثل الذي دعا لهم من كل مؤمن في الأرض». وعن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الداعي للمؤمنين والمؤمنات يقام يوم القيامة فيثني الله تعالى عليه في الأولين والآخرين خيرًا بدعائه لهم، فيؤجره مثل أجورهم أجمعين ولا ينقص من أجورهم شيء». كذا في التيسير.

تمت سورة نوح عليه أفضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.

سورة الجن

مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وقرىء «أحي» وأصله وحي من وحى إليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الأصل وفاعله. ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة. والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية. وقيل: نوع من الأرواح

سورة الجن

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (وقرىء أحي) يعني أن القراءة المشهورة «أوحي» على لفظ الماضي المبني للمفعول من باب الأفعال. وقرىء «وحي» بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى، يقال: وحى إليه وأوحي إليه إذا كلّمه كلامًا بخفية. والإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفاء كالإلهام وإنزال الملك. وقرىء «أحي» بضم الهمزة من غير واو وأصله «وحي» قلبت الواو همزة كما في اقتت وأخرت. وهذا القلب جائز في كل واو مضمومة. وجوّزه المازني في المكسورة أيضًا كأشاح وأعاء أخيه. **قوله تعالى**: **(أنه استمع)** لا خلاف في فتح همزة «أنه» فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث إنه قائم مقام الفاعل «لأوحي» وضمير «أنه» للشأن أي أوحي إليّ أن الشأن استمع القرآن نفر من الجن حذف مفعول استمع لدلالة ما بعده عليه وهو قوله: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا﴾ [الجن: ١]. **قوله**: **(والجن أجسام عاقلة خفية)** كثير من

المجردة. وقيل: نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها. وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها

الفلاسفة ينكرون وجود الجن في الخارج. روي أن أبا علي بن سينا حد الجن بأنه حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة. ثم قال: وهذا شرح للاسم أي بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدومًا في الخارج أو موجودًا ولم يعلم وجوده فيه، فإن التعريف الاسمي لا يكون إلا كذلك بخلاف التعريف الحقيقي فإنه عبارة عن تصوير ماله حقيقة خارجية في الذهن. وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة أيضًا. واختلف المثبتون على قولين: الأول أن الجن أجسام عاقلة خفية والقول الثاني أنهم ليسوا أجسامًا، واللاجسمانية لا يقتضي مشاركتها لذاته تعالى في ذاتي مشترك ليلزم امتيازها عنه بفصل مميز ويلزم ترك الواجب. ثم إن تلك الجواهر المجردة مختلفة بالماهية وإن كانت متشاركة في بعض الأوصاف العرضية فبعضها خيرة كريمة مائلة إلى الخيرات وبعضها دنيئة خسيسة مائلة إلى الشرور والآفات. والخيرة قد تكون منزهة عالية عن تدبر الأجسام بالكلية وهي الملائكة المقربون، وقد تكون متعلقة بتدبير الأجسام وأشرفها حملة العرش، ثم الحافون حول العرش، ثم ملائكة الكرسي، ثم ملائكة السمٰوات طبقة طبقة، ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية، ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية، ثم صلحاء الجن فإنها حسنة مشرقة خيرة. والكدرة الشريرة السيئة هي المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الأنواع المختلفة بالماهية يقدر على أفعال شاقة عظيمة تعجز عنها قوة البشر. وقيل: الجن نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها فإنها حال تعلقها بأبدانها إن استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانية وإن تخلت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت في قضاء الشهوات النفسانية وسلكت سبيل الغواية في كل باب من بابي الأعمال والعقائد تكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها، فإذا اتفق أن حدث بدن آخر مشابه للبدن الذي فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها في ذلك البدن، فإن الجنسية علة الضم، فإن التقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكًا وتلك الإعانة إلهامًا، وإن التقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانًا وتلك الإعانة وسوسة.

قوله: (وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما رآهم) كما ذهب إليه ابن عباس حيث قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وأدركهم

فأخبر الله به رسوله. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لما رجعوا إلى قومهم ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا﴾ كتابًا ﴿عَجَبٗا ۝١﴾ بديعًا مباينًا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه. وهو مصدر وصف به

وقت صلاة الفجر وهم بنخلة، فأخذ هو عليه السلام يصلي بأصحابه صلاة الفجر. فمر عليهم نفر من الجن وهم في الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له ثم رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا﴾ **فأنزل الله تعالى على نبيه** ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ **أي استمع القرآن نفر منهم. ووجه دلالة الآية على أنه عليه الصلاة والسلام لم يرهم أنه عليه السلام لو رآهم لما استندت معرفة هذه الواقعة إلى الوحي، فإن ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يستند إثباته إلى الوحي. وذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أنه عليه الصلاة والسلام أمر بالمسير إلى الجن ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام حيث قال عليه السلام: «أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي»؟ فسكتوا، ثم قال الثانية فسكتوا، ثم قال الثالثة فقلت: أنا أذهب معك يا رسول الله. قال: فانطلق حتى إذا جاء الحجون عند شعب ابن أبي دب خط علي خطا فقال: «لا تجاوزه فإنك إن فعلت لم ترني ولم أرك أبدًا» ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصري، فقمت فأومى إليّ بيده أن اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالأرض حتى صرت لا أراهم. قال الإمام: واعلم أنه لا سبيل إلى تكذيب الروايات، وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضي الله عنهم من وجوه: أحدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولاً فأوحى الله تعالى إليه بهذه السورة ثم أمره بالخروج إليهم بعد ذلك، كما روى ابن مسعود. وثانيها بتقدير أن تكون واقعة الجن مرة واحدة ويجوز أن يؤمر عليه السلام بالذهاب إليهم ويقرأ القرآن عليهم ويدعوهم إلى الإسلام إلا أنه ﷺ ما رآهم وما عرف أنهم ماذا قالوا وأي شيء فعلوا، فالله سبحانه وتعالى أوحى إليه أنه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا. وثالثها أن تكون الواقعة مرة واحدة وهو عليه الصلاة والسلام رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به، ثم لما رجعوا إلى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية** ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبًا﴾ **وكان كذا وكذا فأوحى الله تعالى إلى رسوله ما قالوه لأقوامهم. وقيل: إن الجن أتوا رسول الله ﷺ دفعتين إحداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس. ثم قيل: إن الجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين وهي قرية باليمن غير التي بالعراق، والذين أتوه بنخلة جن غيرهم. قوله: (بديعًا مباينًا) إشارة إلى أن العجب وإن كان مصدرًا في الأصل. إلا أنه ههنا بمعنى العجيب للمبالغة وهو الذي يتعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث إنه يدعو إلى الرشد وهو التوحيد والطاعة، وأنه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ما**

للمبالغة. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن. ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده إلا قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الجن: ١٦] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] فإنه من جملة الموحى به. ووافقهم نافع وأبو بكر، إلا في قوله: ﴿وأنه لما قام﴾ على أنه استئناف أو مقول. وفتح الباقون الكل إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في «به» كأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدر بنا أي عظمته من جد فلان في عيني

خرج عن حد إشكاله ونظائره. **قوله:** (وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر) لكونه معطوفًا على قوله: ﴿إنا سمعنا﴾ وهي مكسورة اتفاقًا لكونها محكية بعد القول. وقد اتفق القراء على كسر الهمزة إذا وقعت بعد القول أو بعد فاء الجزاء، وقد اتفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى: ﴿قل أوحي إلى أنه استمع﴾ وعلى كسرها في قوله تعالى: ﴿إنا سمعنا﴾ والبواقي محمول عليهما، فما كان من الموحى مفتوح وما كان من قول الجن مكسورًا. فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول الجن فكسروا الهمزة فيها إلا أربعة مواضع وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ [الجن: ١] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الجن: ١٦] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] فإنهم فتحوا الهمزة فيها بناء على أنها من جملة الموحى به و «إن» في قوله: ﴿وإن لو استقاموا﴾ مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول أوحي كأنه قيل: أوحي إليه أنه استمع وأن لو استقاموا والضمير للشأن فيها وكذا قوله: ﴿وإن المساجد لله﴾ معطوفة عليه ففتحت الهمزة لذلك. وقيل: لأن التقدير ولأن المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار في مثله شائع كثير. **قوله:** (ووافقهم نافع) أي في القراءة بالكسر في غير المواضع المستثناة من تلك الموضع، وكذا في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ [الجن: ١٩] إما على الاستئناف أو على كونها من قول الجن. **قوله:** (وفتح الباقون الكل) لفظ الكل على ظاهره لأنه لا خلاف في كسر ما كان محكيًا بعد القول فينبغي أن يكون مراده بالكل كل ما كان مقترنًا بالواو العاطفة، وقرينة التخصيص قوله: «على أن ما كان من قولهم» فمعطوف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفًا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار في المعطوف، ولا على لفظ المجرور لأن البصريين لا يجوّزون العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار في المعطوف وإن أجازه الكوفيون. ولما كان محل الجار والمجرور النصب على أنه مفعول به غير صريح «لآمنا» كان ما عطف عليه أيضًا كذلك، فكان في موضع المفرد ففتح فكأنه قيل: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدر بنا.

أي عظم ملكه وسلطانه، أو غناه مستعار من الجد الذي هو البخت. والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه. وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ بيان لذلك. وقرىء «جدًا» بالتمييز وجد بالكسر أي صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد. ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إبليس أو مردة الجن. ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد، أو هو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى.

قوله: (مستعار من الجد الذي هو البخت الخ) يعني أن الجد في اللغة يكون بمعنى العظمة، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا. وفي رواية: جد في أعيننا أي جل قدره وعظم، ويكون بمعنى الدولة والغنى والبخت أيضًا. ومنه حديث: «لا ينفع ذا الجد منك الجد» أي لا ينفع ذا الغنى غناه «وإنما تنفعه الطاعة منك». وكذلك الحديث الآخر: «قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء وإذا أصحاب الجد محبوسون». يعني أصحاب الغنى في الدنيا. فالجد في الآية يجوز أن يراد به العظمة وهو ظاهر وأن يراد به ملك الله تعالى وسلطانه، أو استغناؤه المطلق الذاتي تشبيهًا لكل واحد منهما ببخت الملوك والأغنياء وغناهم لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون، فسمي المشبه باسم الجد والبخت على سبيل الاستعارة. **قوله: (والمعنى)** أي المراد الإخبار بتعالي جده سواء كان الجد بمعنى العظمة أو السلطان أو استغنائه تعالى عن الصاحبة والولد، اكتفى بذكر الملزوم عن ذكر اللازم ثم بيّن كون المراد ذلك بقوله: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا﴾ فهو استئناف لبيان أن المعنى ذلك كأنه قيل: وما أمارة فردانيته بتعالي الجد؟ فقيل: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا﴾ وقرىء «تعالى جدا ربنا» بنصب «جدا» على التمييز من النسبة ورفع «ربنا» على الفاعلية والمعنى: تعالى ربنا جدًا، ثم قدم المميز كما في قولك: حسن وجهًا زيد. وقرىء «جد ربنا» أيضًا بكسر الجيم وهو ضد الهزل وضد التواني في الأمور أيضًا فالمعنى: تعالى صدق ربوبيته وحق ألوهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد، والإلٰهية لا يشوبها شيء من سمات الاحتياج والحدوث فإن الصاحبة والولد إنما يتخذان للحاجة إليهما في الاستئناس والذكر وبقاء النسل بعد فوت الولد، وكل ذلك من توابع الإمكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. تبرأ أولاً من الشرك وثانيًا من دين النصارى واليهود. **قوله تعالى: (وإنه كان يقول سفيهنا)** ضمير «إنه» للشأن واسم «كان» مضمر فيها وهو ضمير الشأن أيضًا، والجملة التي بعد «كان» مفسرة لاسم «كان» لأنه مضمر لم يتقدمه ظاهر يعود هو إليه فلا بد من جملة تفسره فهي في موضع خبر «كان». **قوله: (قولاً ذا شطط)** يعني أن الشطط

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم أن أحدًا لا يكذب على الله. و«كذبا» نصب على المصدر لأنه نوع من القول أو الوصف لمحذوف أي قولاً مكذوبًا فيه. ومن قرأ «لن تقول» كيعقوب جعله مصدرًا لأن التقول لا يكون إلا كذبًا. ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فإن الرجل كان إذا أمسى بقفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه.

في نظم الآية صفة مصدر محذوف، ولما كان الشطط عبارة عن مجاوزة الحد والقدر في أي شيء كان احتيج إلى تقدير المضاف، لأن القول لا يوصف بأنه في نفسه بعد عن الحق ومجاوزة الحد إلا على طريق المبالغة كما في: رجل عدل، وإنما يقال: قول شاط أو ذو شطط، فقدر المضاف لذلك ثم أشار إلى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة لفرط ما أشط أي أبعد ذلك السفيه في ذلك القول الدال على نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى. **قوله:** (**اعتذار**) كأنهم قالوا: ظننا أن الشأن لن تقول الإنس والجن على الله كذبًا فلذلك صدقنا سفهاءنا في أن لله شريكًا وصاحبة وولدًا، فلما سمعنا القرآن وتبين لنا أنه الحق علمنا أنهم قد كذبوا عليه تعالى. وهذا منهم إقرار بأنهم إنما وقعوا في تلك الجهالة بسبب التقليد وأنهم إنما تخلصوا من تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر في آيات الله تعالى.
قوله: (**جعله مصدرًا**) أي مصدرًا مؤكدًا لفعله لأن «كذبًا» بمعنى تقولاً كأنه قيل: لن تقول تقولاً. ولا يجوز أن يكون صفة «لتقولا» المحذوف المؤكد لفعله لأن التقول لا يكون إلا كذبًا فلا فائدة في توصيفه بالكذب. و«إن» فيه مخففة من الثقيلة أي ظننا أنه، والضمير للشأن وكذا ضمير «إنه» في قوله: ﴿وإنه كان رجال﴾ أي وأن الشأن كان رجال من الإنس. و«رجال» اسم «كان» و«من الإنس» صفة لرجال وكذا «من الجن»، و«يعوذون» خبر «كان» و«رهقًا» مفعول ثانٍ «لزاد». واختلفوا في فاعله؛ فقيل: الإنس أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم كفرًا وعتوًا حتى قالوا سدنا الجن والإنس وقطعوا بذلك من كفرهم، وقيل: بل فاعله هو الجن أي فزاد الجن الإنس بذلك طغيانًا في الكفر، فإن الإنس إذا عاذوا بهم وأمنوا في منزلهم ظنوا أن ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم. والمصنف أشار إلى جواز الوجهين وتقديم الوجه الأول. قال مقاتل: أول من تعوّذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم قوم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب. فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم. روي عن رجل أنه قال: خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر مبعث رسول الله ﷺ فأتاني المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملاً من الغنم فقال الراعي: يا عامر الوادي جارك الله، فنادى منادٍ: يا سرحان أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم يصبه كدمه فأنزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿وأنه كان رجال

﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فزادوا الجن باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا ۝٦﴾ كبرًا وعتوًا، أو فزاد الجن الإنس غيًا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم. والرهق في الأصل غشيان الشيء. ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وإن الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجن أو بالعكس. والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض، أو استئناف كلام من الله. ومن فتح «أن» فيهما جعلهما من الموحى به. ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ ساد مسد مفعولي «ظنوا».

من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا﴾ أي زاد الإنس الجن خطيئة. والرهق الإثم في كلام العرب، وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببًا لها، أو زاد الإنس الجن كفرًا وغيًا فإن الإنس باستعاذتهم بالجن كانوا سببًا لزيادة غيهم. **قوله:** (والرهق في الأصل غشيان الشيء) أي إتيانه على وجه استيلاء والإحاطة بالمأتي قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] استعمل فيما يأتي من نحو الإثم والشر والكبر والغي. نقل عن الإمام الواحدي أنه قال: الرهق غشيان الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ ورجل مرهق أي يغشاه السائلون. والمعنى: أن رجال الإنس إنما استعاذوا بالجن خوفًا من أن يغشاهم الجن، ثم إنهم زادوا في ذلك الغشيان فإنهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله تعالى استذلوهم واجترؤوا عليهم فزادوهم ظلمًا. وعلى هذا القول «زادوا» من فعل الإنس والقول الأول هو اللائق بمساق الآية والموافق لنظمها. **قوله:** (والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أو استئناف كلام من الله) الآية الأولى هي قوله تعالى: ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم﴾ فمعناها على أن تكون من كلام الجن ما قال مقاتل: إن مؤمني الجن لما رجعوا إلى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنو الجن لكفارهم وأنهم يعنون كفار الإنس: ظنوا ظنًا مثل ظنكم يا معشر الجن، إن الشأن لن يبعث الله أحدًا بالرسالة بعد عيسى أو بعد موسى، أو لن يبعث الله أحدًا بعد الموت للحساب والجزاء. ثم إنهم لما بعث الله إليهم سيد المرسلين محمدًا ﷺ بالقرآن المعجز آمنوا به وصدقوه في جميع ما أخبر به، فافعلوا أنتم يا معشر الجن مثل ما فعله الإنس. ومعناها على أن تكون من جملة الوحي أي وأن الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش أن لن يبعث الله رسولاً إلى خلقه يقيم به الحجة عليهم، أو لن يبعث الله الخلق بعد موتهم. فالمقصود تأكيد الحجة على قريش بأنه إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد النبي الأمي وبما أخبر به فأنتم أحق بذلك، وكونهما من كلام الجن أظهر وأولى لأن ما قبلهما وما بعدهما من كلام الجن وإدخال كلام أجنبي بين كلامهم غير مناسب. وأشار بقوله: «ومن فتح «أن» فيهما جعلهما من الموحى به» إلى أن جريان الاحتمالين إنما هو على تقدير القراءة بكسر «إن» فيهما، وأما على تقدير القراءة بالفتح فالاحتمال الثاني هو المتعين.

قوله: (ساد مسد مفعولي ظنوا) أعمل الفعل الأول وهو «ظنوا» مع أن «ظننتم» أيضًا

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء أو خبرها. واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال: لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه. ﴿فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ حراسًا اسم جمع كالخدم ﴿شَدِيدًا﴾ قويًا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها. ﴿وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار. ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب، أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد أو صفة لمقاعد. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ أي شهابًا راصدًا له

يقتضي مفعولين، والمختار في مثله عند البصريين إعمال الثاني. ولعل الوجه في اختياره إعمال الأول أن «ما» في قوله: ﴿كما ظننتم﴾ مصدرية فكأن الفعل بعدها في تأويل المصدر والفعل أقوى من المصدر في العمل فلا ينازعه المصدر فيه فتعيّن إعمال الفعل الأول. **قوله:** (طلبنا بلوغ السماء) بأن يكون اللمس مستعارًا للطلب بتقدير المضاف أي بلوغ السماء وخبرها. شبّه الطلب باللمس من حيث إن كل واحد منهما يؤدي إلى غاية مطلوبه، فإن اللمس يؤدي إلى إدراك ما يدرك باللمس كما أن الطلب يؤدي إلى إدراك المطلوب فسمي الطلب باسم اللمس، ثم اشتق منه «لمسنا» بمعنى طلبنا فهو استعارة تبعية. **قوله:** (اسم جمع) يعني أن الحرس بفتحتين اسم مفرد في معنى الجمع وهو الحراس فإنه جمع حارس وهو الحافظ، كما أن الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم، ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديد. وقوله: ﴿فوجدناها﴾ بمعنى أصبناها وصادفناها فيتعدى إلى مفعول واحد وهو «ها». وجملة «ملئت» حال ولا بد في مثلها من كلمة «قد» ظاهرة أو مقدرة وإن لم تكن ظاهرة ههنا فهي مقدرة. ويحتمل أن تكون من أفعال القلوب المتعدية إلى اثنين فيكون جملة «ملئت» في موضع المفعول الثاني أي فعلمناها مملوءة و «حرسًا» تمييز نحو: امتلأ الإناء ماء، و «شهبًا» عطف على «حرسًا» وهو في الإعراب حكمه، وهي جمع شهاب وهو الشيء المضيء الذي يتولد من نار الكواكب التي هي زينة للسماء يرى كأن كوكبًا انقض وترجم به الشياطين لا بأنفس الواكب. ومردة الجن كانوا يقعدون في مواضع القعود من السماء لاستماع الأخبار من أهل السماء وإلقائها إلى الكهنة، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله ﷺ بأن رمي المسترقة منهم بالشهب المحرقة فلذلك قالوا: ﴿فمن يستمع الآن يجد لها شهابًا رصدًا﴾ أي كنا قبل هذا الوقت نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب. **قوله:** (**مقاعد خالية عن الحرس**) على أن يكون «للسمع» صلة «لنقعد» وقوله: «أو صالحة» للترصد على أن يكون صفة «لمقاعد». **قوله:** (**أي شهابًا راصدًا له**) على أن يكون الشهاب بمعنى المضيء المتولد من نار الكواكب، ويكون «رصدا» مصدرًا بمعنى فاعل ومنصوبًا على أنه صفة «شهابًا» أي شهابًا راصدًا له ولأجله، فإن الشهاب لما كان معدًا له صار كأنه راصد له مراقب إياه

ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم، أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات.

ليهلكه. **قوله:** (أو ذوي شهاب راصدين) على أن يكون رصدًا اسم جمع لراصد كالحرس، وسكون «شهابًا» بمعنى ملائكة ذوي شهاب بتقدير المضاف ويكون «رصدًا» صفة له. والمعنى: يجد له ملائكة ذوي شهاب راصدين إياه ليرجموه بما معهم من الشهب. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فمن يستمع الآن﴾ يدل على أن الرجم لم يكن قبل بعثته ﷺ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥] يدل على أنه كان قبل ذلك، لأنه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين: التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة، وجب أن تكون الفائدة الأخرى حاصلة قبلها أيضًا. أجيب عنه بأن ذكر تينك الفائدتين لا يقتضي اقترانهما بحسب الزمان، ويجوز أن يكون المعنى: وجعلناها بحيث تصلح لأن يرجم بها. فإن الرجم مصدر سمي به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ما روي عن جماعة من المفسرين أن السماء لم تكن تحرس في الفترة بين عيسى وبين خاتم النبيين عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب. قال أبي بن كعب: كان ذلك موجودًا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام وبعده إلى أن رفع إلى السماء ولم يرم بنجم بعد ما رفع حتى بعث رسول الله ﷺ، فلما بعث رمى بها فرأت قريش أمرًا ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون رقابهم يظنون أنه فناء العالم. فبلغ ذلك بعض أولي رأيهم فقال: لم فعلتم ما أرى؟ قالوا: رمى بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء. فقال: اصبروا فإن تكن نجومًا معروفة فهو وقت فناء العالم وإن كانت نجومًا لا تعرف فهو أمر حدث. فنظروا فإذا هي نجوم لا تعرف فأخبروه فقال: في الأمر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبي. فما مكثوا إلا يسيرًا حتى ظهر وانتشر بعثة رسول الله ﷺ. والأقرب إلى الصواب أن هذه الشهب كانت موجودة قبل البعثة إلا أنها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة، ومنعت الجن عن استراق خبر السماء رأسًا لئلا تلتبس على الناس أحوال الرسول المستندة إلى الوحي بأقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من أقوال أهل السماء. وهذا القول يؤيده نظم القرآن وهو قوله: ﴿فوجدناها ملئت حرسًا﴾ فإنه يدل على أن الحادث الآن هو المليء والكثرة وقوله تعالى: ﴿نقعد منها مقاعد﴾ أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، ولكنه عليه الصلاة والسلام انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسل علينا

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بحراسة السماء. ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ١٠﴾ خيرًا. ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ المؤمنون الأبرار ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي قوم دون ذلك، فحذف الموصوف وهم المقتصدون. ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾ ذوي طرائق أي مذاهب، أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال، أو كانت طرائقنا طرائق ﴿قِدَدًا ١١﴾ متفرقة

الشهب، قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا في مشارق الأرض ومغاربها. فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخل يصلي بأصحابه صلاة الصبح، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم وقالوا: ﴿إنّا سمعنا قرآنًا عجبًا﴾ الآية فأوحى الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ رواه الشيخان في صحيحيهما.

قوله تعالى: (أشر) يجوز أن يكون مبتدأ و«أريد بمن في الأرض» خبره وأن يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه ما بعده أي أريد شر. وهذا أحسن لتقدم طلب الفعل وهو أداة الاستفهام. **قوله:** (**المؤمنون الأبرار**) فسر الصالحين بهم أي بالأبرار الكاملين في الصلاح لأنه جعل دون ذلك مرفوع المحل على أنه صفة مبتدأ محذوف أي ومنا قوم دون ذلك في الصلاح وهم المقتصدون وما يكون أرفع من المقتصدين الأبرار. ويجوز أن لا يكون ظرفًا بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن أي ومنا غير الصالحين وهذا قول الجن، أي قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بسيد المرسلين: إنّا كنا قبل استماع القرآن دون الصالحين أي مؤمنين دون الطبقة الأولى في أعمال الخير، إذ المؤمنون بالأنبياء المتقدمين متقدمون في أعمال الخير، وما أحدثنا بإيماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام ما لم يكن في جنسنا. ويدل عليه أنه كان في زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام منهم المؤمنون حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] فهذا ترغيب منهم في الإيمان لمن رجعوا إليهم منذرين. **قوله:** (**ذوي طرائق**) لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون أنفس الذوات طرائق ومذاهب أوله بثلاثة أوجه: الأول تقدير ما أضيف إلى طرائق، والثاني حمل الكلام على التشبيه البليغ، والثالث تقديره ما أضيف اسم «كان» وتقدير موصوف «قددًا» أي كانت طرائقنا طرائق قددًا. وقيل: تقدير الكلام كنا في طرائق مختلفة كقوله:

كما عسل الطريق الثعلب

فحذف الجار وأوصل الفعل. قال سعيد بن المسيب: معنى الآية كنا مسلمين ويهودًا ونصارى ومجوسًا. وقال الحسن: الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة. **قوله:**

مختلفة جمع قدة من قد إذا قطع. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ علمنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كائنين في الأرض أينما كنا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ هاربين منها إلى السماء، أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرًا ولن نعجزه هربًا إن طلبنا. ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف. وقرىء «فلا يخف» والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به. ﴿بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ نقصًا

(علمنا) يعني أن الظن هنا بمعنى اليقين، لأن الاعتقاد بأن العبد لا يفوت الله تعالى ولن يسبقه سواء كان مستقرًا في الأرض أو هاربًا منها إلى السماء من العقائد الدينية التي يجب الإيمان بها، والإيمان لا يحصل بالظن فلذلك فسره باليقين. وقوله: «في الأرض» و«هربًا» حالان من فاعل «نعجز» أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها وهاربين منها إلى السماء، ولن نعجزه عن إمضاء ما أراد بنا سواء كنا ساكنين مستقرين في الأرض أو هاربين فيها من موضع إلى آخر. ومحصول المعنى على الوجه الثاني أن الفرار وعدمه سيان في أن شيئًا منهما لا يفيد فواتنا عن نفاذ إرادته فينا، وفائدة ذكر الأرض حينئذٍ الإشارة إلى أن الأرض مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربًا. ويحتمل أن تكون اللام على للوجه الثاني للعهد أي لن نعجزه سواء ثبتنا في أرضنا التي نسكن فيها أم هربنا منها إلى موضع آخر. واللام على الأول لاستغراق أجزاء الأرض والمهروب إليه العالم العلوي المباين للأرض. **قوله:** (فهو لا يخاف) قدر المبتدأ وجعل قوله: «لا يخاف» خبرًا عنه، وجعل الجملة الاسمية المصدرة بالفاء جزاء الشرط والجزاء إذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها، لأن حرف الشرط لما لم يؤثر في الجزاء من حيث الإعراب لكون الجملة لا يظهر فيها الإعراب وجب دخول الفاء لتدل على أنها جزاء الشرط. **قوله:** (وقرىء فلا يخف) على أن «لا» ناهية وصحبت الفاء الدالة على الجزائية لما تقدر أن الجزاء إذا كان جملة طلبية كالأمر والنهي يجب مقارنتها لعلامة الجزاء، ولا يجوز كونها نافية وإلا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزاء ودلالته على الجزائية. **قوله:** (والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به) جواب عن قول صاحب الكشاف فإن قلت: أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرًا له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال: لا يخف كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] وتقرير الجواب: نعم إنه كذلك إلا أنه التزم ذلك لأنه يفيد تقوي الحكم وتقريره في ذهن السامع بسبب تكرار الإسناد الحاصل بسبب تقديم المسند إليه وتخصيص الخبر الفعلي بالمسند إليه المتقدم بحيث لا يشاركه فيه غيره، وليس المراد بقوله واختصاصها به أن تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوي والتخصيص لأن اجتماعهما في مثل: هو هو عرف وأنت أنت عرفت خلاف ما ذهب إليه

في الجزاء ولا أن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس حقًا ولم يرهق ظلمًا لأن من حق الإيمان بالقرآن أن تجتنب ذلك، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون عن طريق الحق وهو الإيمان والطاعة. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ توخوا رشدًا عظيمًا يبلغهم إلى دار الثواب.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الإنس ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا﴾ أي أن الشأن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما. ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ المثلى ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب. ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه. وقيل: معناه أن لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليه الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه. ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو موعظته أو وحيه

الشيخ عبد القاهر والسكاكي، وإنما يفيد التخصيص إذا اعتبر أن المقدم كان مؤخرًا على أنه فاعل معنى ثم قدم ليفيد التخصيص وإنما لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضًا فلا يفيد إلا التقوي.

قوله: (أو جزاء بخس) بتقدير المضاف أي لا يخاف جزاء بخس ولا جزاء رهق على أن البخس والرهق من أفعال المكلف لا من أفعال الباري تعالى كما في الأول. **قوله:** (وإنا منا المسلمون الآية) من كلام الجن لأصحابهم تحريضًا لهم على الإسلام ببيان أحوال الفريقين أي منا بعد استماع القرآن من أسلم ومنا من كفر. والقاسط الجائر لأنه عادل عن الحق والمقسط العادل لأنه عادل عن الجور، يقال: قسط إذا جار وأقسط إذا عدل. روي أن الحجاج قال لسعيد بن جبير: ما تقول في قال: إنك قاسط عادل؟ فقال الحاضرون: ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل. فقال الحجاج: يا جهلة جعلني جائرًا كافرًا وتلا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وههنا تم أقوال الجن. وقوله تعالى: ﴿وإن لو استقاموا﴾ على الطريقة من جملة الموحى به أي أوحي إلي أن الشأن استمع نفر من الجن وأن الشأن لو استقاموا على طريقة الإسلام لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وكلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون. والغدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع إذا غزر، وصف به الماء للمبالغة في غزارته كرجل عدل.

﴿يَسْلُكْهُ﴾ يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ شاقًا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصفه به. ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ مختصة به ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ فلا تعبدوا فيها غيره. ومن جعل «أن» مقدرة باللام علة للنهي ألغى فائدة الفاء. وقيل: المراد بالمساجد الأرض كلها لأنها جعلت للنبي ﷺ مسجدًا. وقيل: المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على أنه جمع مسجد.

قوله تعالى: (يسلكه عذابًا) أصله يسلكه في عذاب لقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] وقولهم: سلكت الخط في الإبرة، فحذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] والصعد مصدر صعد يصعد صعدًا وصعودًا، وصف به العذاب لأنه يصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه فقوله: ﴿عذابًا صعدًا﴾ بمعنى ذا صعد ومشقة أو عذابًا صاعدًا شاقًا. قد مر أن القراء السبعة اتفقوا على فتح «أن» في قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ على أنه من جملة الموحى به والفاء في قوله: ﴿فلا تدعوا﴾ سببية أي إذا كان الأمر كذلك فلا تعبدوا فيها غيره. وذهب الخليل إلى أن تقدير الآية: ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلا «تدعوا» أي فلا تدعوا مع الله أحدًا في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته. فالمصنف أشار إلى ضعفه بأنه حينئذٍ يلزم إلغاء فائدة الفاء السببية لأن معنى السببية يستفاد حينئذٍ من لام التعليل. عن قتادة قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا فأمر الله تعالى أن يخلص المسلمون له الدعوة إذا دخلوا مساجدهم. **قوله: (لأنه قبلة المساجد)** تعليل لإطلاق لفظ المساجد وهو جمع على المسجد الحرام، والمساجد في قوله: ﴿قبلة المساجد﴾ جمع مسجد بفتح الجيم وهو مصدر ميمي بمعنى السجود أو اسم مكان بمعنى موضع السجود يعني أن المسجد الحرام وإن كان مكانًا معينًا إلا أن له تعدادًا اعتباريًا من حيث إن كل جزء منه قبلة لسجدة الساجدين يتوجه كل ساجد في سجدته إلى جزء من أجزائه، فكأن المسجد الحرام مساجد باعتبار كون أجزائه جهات للسجود. **قوله: (ومواضع السجود)** على أن المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى مرفوع بالعطف على قوله المسجد الحرام، وكذا قوله: «وآرابه السبعة» وقوله: «والسجدات» ووجد في بعض النسخ بدل هذا النظم بعد قوله: «لأنه قبلة المساجد» هكذا وفسرت بمواضع السجود على أن المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى وبآرابه السبعة وبالسجدات. وقوله: «على أنه جمع مسجد» أي بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الأربعة المذكورة بقوله. وقيل: المسجد الحرام إلى آخره فإن المسجد بالفتح يصح أن يكون مصدرًا بمعنى السجود واسمًا لمكان السجود أي ما يسجد عليه من الآراب السبعة، فإنها مواضع

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ أي النبي وإنما ذكر لفظ العبد للتواضع فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه والإشعار بما هو المقتضي لقيامه. ﴿يَدۡعُوهُ﴾ يعبده ﴿كَادُواْ﴾ كاد الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبًا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته، أو كاد الجن والإنس يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره. وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الأسد. وعن ابن عامر «لبدًا» بضم اللام جمع لبدة وهي لغة. وقرىء «لبدا» كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود. ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم أو

السجود من الجسد. قال عطاء: مساجد أعضائك التي أمرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها. قال عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهي: الوجه واليدان والركبتان والقدمان». والآراب الأعضاء جمع أرب وهو العضو وأصله ءاراب بهمزتين كجمل وأجمال، والمساجد على تقدير كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع أن الأصل في المصدر أن لا يثنى ولا يجمع لقصد الأنواع، فإن أنواع السجود مختلفة باختلاف أوقات الصلوات الخمس وتلاوة آيات السجود. **قوله: (وإنما ذكر لفظ العبد)** يعني أن الظاهر أن يقال: وإن الشأن لما قمت أدعوه أي أعيده كادوا يكونون علي لبدًا، لأن هذا الكلام من جملة الموحى به إلا أنه عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر لفائدتين: التواضع والإشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبدًا له.

قوله: (أو كاد الجن والإنس) عطف على قوله: «كاد الجن» الأول على أن يقرأ و «أنه» بفتح الهمزة ويكون الكلام من جملة الموحى به، والثاني على أن يقرأ بكسر الهمزة وهي قراءة نافع وأبي بكر على أنه ابتداء كلام من الله تعالى، أو على أنه من قول الجن لقومهم بأن قالوا حين رجعوا إليهم لما قام رسول الله ﷺ يصلي: كاد كفار الإنس والجن يتلبدون ويتظاهرون عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله، **فأبى** الله إلا أن ينصره ويظهره على من عاداه. يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم في اجتماعهم على الناصح الأمين وطلب منعه عن إظهار ما جاء به من الحق المبين مع كونه موافقًا لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدًا بالشواهد والمعجزات الباهرة. وأصل المقصود ترغيب قومهم في قوله: «والانقياد له». **قوله: (وهو جمع لبدة)** يعني أن الجمهور قرؤوا «لبدًا» بكسر اللام وفتح الباء المخففة وهو جمع لبدة كقربة وقرب، واللبدة الشيء المتلبد أي المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض، والمعنى: كادوا يكونون عليه جماعة متراكبة مزدحمة. وقرىء «لبدًا» بضم اللام وفتح الباء مشددة وهو جمع لابد كسجدًا في جمع ساجد. وقرىء «لبدًا» بضم اللام والباء خفيفة وهو جمع لبود كصبر في جمع صبور. **قوله: (يوجب تعجبكم أو**

إطباقكم على مقتي. وقرأ عاصم وحمزة قل على الأمر للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده. ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ ولا نفعًا أو غيًا ولا رشدًا. عبّر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسببه إشعارًا بالمعنيين. ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني بسوء. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ منحرفًا وملتجأً. ﴿إِلَّا

إطباقكم على مقتي) لف ونشر مرتب فإذا كان معنى الآية المتقدمة: وأوحى إليّ لما قمت أعبد الله كاد الجن تتلبد عليّ وتعجب مما رأوا من عبادتي لله تعالى وحده متبرئًا من الشرك والأوثان كما هو دأبهم لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره فلا جرم ازدحموا عليه متعجبين، يكون معنى قوله: ﴿قال إنما أدعو ربي﴾ أنه عليه السلام قال للجن عند ازدحامهم عليه متعجبين مما رأوا وسمعوا: ليس ما ترون من عبادتي لله تعالى ورفضي الإشراك به يتعجب منه، وإنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكًا. وإن كانت الآية المتقدمة ابتداء كلام من الله تعالى أو من قول الجن وكان معناها كاد الإنس والجن يزدحمون عليه ويتظاهرون لإبطال أمره، يكون معنى الثانية أنه عليه السلام قال للمتظاهرين عليه: إنما أدعو ربي أي ما أتيتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده ولا أشرك به أحدًا وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي، وقيل: سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك. فأنزل الله تعالى: ﴿قل إنما أدعو ربي﴾ على قراءة حمزة وعاصم. ومن قرأ ﴿قال﴾ حمل ذلك على أن القوم لما قالوا للنبي ﷺ ذلك أجابهم بقوله: ﴿أدعو ربي﴾ فحكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿قال﴾. **قوله**: (ولا نفعًا) أي يجوز أن يفسر الرشد بالنفع على طريق إطلاق اسم السبب وإرادة المسبب. ويجوز أن يكون الرشد بمعناه ويكون الضر بمعنى الكفر والغي على طريق إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب، فإن الرشد سبب النفع والضر مسبب عن الغي. وعبّر به حتى يكون في تقرير الكلام إشعار بالمعنيين: الأول: لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا والثاني: لا أملك لكم غيًا ولا رشدًا، وكلا المعنيين مناسب للمقام. فإن النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله تعالى، وأن أحدًا من الخلق لا قدرة له عليه، فإني وإن أردت منكم الاهتداء والرشد بالإيمان والطاعة ونهيتكم عن الغي بالكفر والعصيان، فإنكم قابلتموني بالمخالفة والتظاهر على عداوتي وبغضي فليس في يدي إدخالكم في الرشد ولا إبقاؤكم في الكفر والغي، وليس في يدي أيضًا إضراركم بالعقوبة على الكفر والغي ولا نفعكم بالإثابة على الرشد والإيمان. **قوله**: (منحرفًا وملتجأً) يقال: ألحد في دين الله والتحد فيه أي مال عنه وعدل، ويقال للملجأ: ملتحد لأن اللاجىء يميل إليه، أي لن ينقذني مما قدر الله تعالى علي من السوء أحد إن استحفظته ولن أجد من دونه ملتحدًا لأعدل إليه إلا هو.

بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من قوله: ﴿لا أملك﴾ فإن التبليغ إرشاد وإنفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة، أو من ملتحدًا أو معناه أن لا أبلغ بلاغًا. وما قبله دليل الجواب ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف على «بلاغًا» و«من الله» صفته فإن صلته عن كقوله: «بلغوا عني ولو آية» ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقرىء «فأن» على فجزاؤه أن ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ جمعه للمعنى.

قوله: (فإن التبليغ إرشاد وإنفاع) يعني أنه استثناء متصل من قوله: ﴿لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا﴾ بناء على أن تبليغ الرسالة من جنس الرشد. وفائدة الاعتراض تأكيد نفي الاستطاعة المدلول عليه بقوله: ﴿لا أملك﴾. **قوله:** (أو من ملتحدًا) أي لن أجد موضعًا أميل إليه في الالتجاء إلا بلاغًا أي لا ينجيني ولا يجيرني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به. **قوله:** (أو معناه أن لا أبلغ بلاغًا) على أن لا يكون الكلام استثناء بل شرطًا والأصل «أن لا» فأدغم، «فإن» شرطية فعلها محذوف وهو أبلغ حذف لدلالة مصدره عليه و «لا» نافية والمعنى: أن لا أبلغ بلاغًا من الله فلن يجيرني منه أحد. وهذا الوجه ضعيف لأن حذف فعل الشرط وإبقاء أداته قليل جدًا، وقد انضم إليه في الآية حذف الجزائية لأن نفس الجزاء لا يتقدم على الأداة عند البصريين.

قوله: (عطف على بلاغًا) كأنه قيل: لا أملك إلا التبليغ والرسالة و «من الله» صفة «بلاغًا» أي بلاغًا كائنًا من الله تعالى. وليست كلمة «من» متعلقة بقوله: «بلاغًا» لأن صلة التبليغ في المشهور إنما هي كلمة «عن» دون «من». **قوله:** (في الأمر بالتوحيد) إشارة إلى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على أن عصاة المؤمنين مخلدون في النار. ووجه الاستدلال أن العصيان المذكور فيها عام يتناول كل ما يصدق عليه أنه عصيان ومخالفة للأمر سواء كان عصيان الكفر أو عصيان الفسق، وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام بأنه مخلد في النار أبدًا فثبت مدّعي جمهور المعتزلة. وتقرير الجواب عن استدلالهم أن العصيان وإن كان يتناول كل ما يصدق عليه أنه عصيان إلا أنه قد تقرر أن العام يجوز تخصيصه بأمور منها: تخصيصه بالقرائن المتعاقبة، والعصيان المذكور في الآية من هذا القبيل فإن المقصود من أمره عليه الصلاة والسلام بأن يقول لمشركي قريش: أيها المصرون على الشرك قد أوحي إليّ أن الشأن استمع هذا القرآن نفر من الجن فآمنوا به وبوحدانيته تعالى وتنزهه عن الشريك والصاحبة والولد، ثم دعوا قومهم إلى أن يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة بإصرارهم على الشرك، كأنه قيل: ما لكم تصرون على الشرك والعناد مع طول ما دعوتكم إلى التوحيد، وتلوت عليكم من القرآن ما يدل على بطلان الشرك والجن قد آمنوا بالقرآن وتبرؤوا من الشرك أول استماعهم إياه ثم ولوا إلى قومهم منذرين عن الشرك وسوء عاقبته؟ فظهر أن

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا كوقعة بدر، أو في الآخرة والغاية لقوله: ﴿يكونون عليه لبدًا﴾ بالمعنى الثاني أو محذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له. ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾﴾ هو أم هم. ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ ما أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى إذا رأوا ما يوعدون قالوا: متى يكون إنكارًا؟ فقيل: قل إنه

المقصود المهم في هذه السورة الدعوة إلى التوحيد والأمر به والنهي عن الشرك والإصرار عليه، فهذا قرينة واضحة على أن المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الأمر بالتوحيد فكأنه قيل: ومن يعص الله ورسوله فيما أمر به من التوحيد وأصر على الشرك والضلال فإنه مخلد في النار أبدًا، فليس في الآية دليل على ما ادّعاه جمهور المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين. **قوله: (والغاية لقوله يكونون عليه لبدًا بالمعنى الثاني)** أي المشار إليه بقوله: أو كاد الجن والإنس يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره، والمعنى: كاد المشركون من الجن والإنس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون في الدنيا من وقعة بدر وإظهار دين الله تعالى عليهم أو من يوم القيامة، فسيعلمون حينئذٍ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا. وإن فسر قوله: «يكونون عليه لبدًا» بالمعنى الأول وقيل: أي يزدحمون عليه تعجبًا مما رأوا وسمعوا تعين كون ما بعد حتى غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم بعددهم، والمعنى: لا يزالون على هذه الحال حتى إذا رأوا ما يوعدون يتبين حينئذٍ أن المستضعف من هو. و«من» في قوله تعالى: ﴿من أضعف﴾ يجوز أن تكون موصولة في موضع النصب بقوله: «فستعلمون» ويكون «أضعف» خبر مبتدأ محذوف أي فستعلمون الذي هو أضعف، وأن تكون استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و«أضعف» خبرها والجملة في موضع النصب سادة مسد مفعولي العلم لأنها معلقة للعلم قبلها، و«ناصرًا» و«عددًا» منصوبان على التمييز. قال مقاتل: لما سمعوا قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا﴾ قال النضر بن الحارث: متى يكون هذا الذي توعدنا به؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون﴾ الآية والمعنى: إن وقوعه متعين متيقن به وأما وقت وقوعه فغير معلوم لنا. **قوله تعالى: (أقريب)** خبر مقدم و«ما توعدون» مبتدأ ويجوز أن يكون «أقريب» مبتدأ وإن لم يكن مسندًا إليه لوقوعه بعد ألف الاستفهام و«ما توعدون» فاعل له سد مسد الخبر و«ما» موصولة والعائد محذوف أي أقريب الذي توعدونه نحو: أقائم الزيدان؟ فإن قيل: أليس قال عليه السلام: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فكان عالمًا بقرب وقوع القيامة، فكيف قال ههنا: ﴿لا أدري أقريب هو أم بعيد﴾؟ والجواب أن المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا

كائن لا محالة ولكن لا أدري وقته. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ هو عالم الغيب ﴿فَلَا يُظۡهِرُ﴾ فلا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ أي على الغيب المخصوص به علمه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ بعلم بعضه حتى يكون له معجزة ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ بيان لـ «من» ويستدل به على إبطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير واسطة، وكرامات الأولياء على المغيبات إنما تكون تلقيًا من الملائكة كإطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ من بين يدي المرتضى. ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ حراسًا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم.

أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم، وأما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع وقوعه في أي ساعة فغير معلوم. **قوله: (على الغيب المخصوص به علمه)** أخذه من إضافة الغيب إلى ذاته المقدس، فإن الإضافة تفيد اختصاص المضاف إليه. بيّن أولاً أنه تعالى عالم بجميع ما غاب عن حس الخلق بناء على أن اللام في الغيب للاستغراق، ثم بيّن أنه لا يطلع على الغيب الذي يختص به علمه إلا المرتضى الذي يكون رسولاً للإشارة إلى أن ما لا يختص به علمه تعالى يطلع عليه غير الرسول إما بواسطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو بنصب الدلائل وترتيب المقدمات، أو بأن يلهم الله تعالى بعض الأولياء وقوع بعض المغيبات في المستقبل بواسطة الملك، والحمل على هذا المعنى متعيّن للقطع بأن ليس مراد الله تعالى بهذه الآية أنه تعالى لا يطلع أحدًا على شيء من المغيبات إلا الرسل لظهور أنه تعالى قد يطلع على شيء من الغيب غير الرسل كما اشتهر أن كهنة فرعون أخبروا بظهور موسى عليه الصلاة والسلام وبزوال ملك فرعون على يده، وأن بعض الكهنة أخبر بظهور نبينا ﷺ قبل ظهور زمانه وبنحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين، وأرباب الملل والأديان مطبقون على علم التعبير، والمعبّر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقًا به.

قوله: (ويستدل به على إبطال الكرامات) وجه الاستدلال أنه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالإطلاع على الغيب، وأصحاب الكرامات من الأولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم بالإطلاع على ما سيقع في المستقبل من المغيبات. وتقرير الجواب أن المراد بالرسول الملك وبالإظهار ما يكون بغير واسطة، فاللازم من الاستثناء أن يختص الإظهار بغير واسطة بالملك وذلك لا ينافي إطلاع الأولياء على بعض من الغيوب تلقيًا من الملائكة إلهاماتهم الصادقة، وفيه بحث لأن تخصيص الرسول بالملك يستلزم أن يكون اطلاع كل واحد من الأولياء والرسل على الغيب بواسطة الملك فلا يكون إخبار الأنبياء عن المغيبات معجزة لهم، وقد اشتهر بين العلماء أنه تعالى يطلع رسله على ما يشاء من الغيب ليستدل على نبوتهم بالآية المعجزة وهي الإخبار عن الغيب على ما هو به. والأظهر في

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي ليعلم النبي الموحى إليه أن قد أبلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحي. أو ليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الأنبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودًا. ﴿رِسَٰلَٰتِ

الجواب أن يقال: الرسول من البشر يتلقى من الملك بالذات والولي لا يتلقى بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبي، فلا حاجة إلى تخصيص الرسول بالملك لأن معنى الآية لا يطلع على الغيب المخصوص به علمه إلا الرسول من البشر فإنه تعالى يطلعه عليه بواسطة أن يتلقاه من الملك وبالذات، ولا يطلع الولي عليه بأن يتلقاه من الملك بالذات وذلك لا ينافي أن يتلقاه من الملك بواسطة تصديقه بالنبي ﷺ مع أنه يجوز أن يتلقى النبي الغيب من غير واسطة الملك كما صرح به المصنف في قوله تعالى آخر ﴿حمعسق﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] **حيث قال: إن المراد بالوحي ما يعم المشافه به، كما روي في حديث المعراج والإسراء، فإنه يدل على أنه تعالى قد أظهر النبي على بعض المغيبات بلا واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك؟ وقوله: «على الغيب المخصوص به علمه»** قسيم ما نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ثم إنه تعالى ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿فإنه يسلك﴾ أي يدخل ﴿من بين يديه﴾ أي يدي الرسول ﴿ومن خلفه رصدًا﴾ أي حرسًا من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشيطان فيلقيه إلى الكهنة فيخبرون به قبل إخبار الرسول. **قوله**: (أي ليعلم النبي الموحى إليه) فقوله: «ليعلم» متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل: أخبرناه بحفظ الوحي عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشر أن رسل الملائكة أبلغوا رسالات ربهم كما هي. **قوله**: (أو ليعلم الله) أي ليعلم أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم كما هي أي يعلم تبليغهم الرسالات كما هي موجودة. وأصل المعنى: ليبلغ الأنبياء رسالات ربهم كما هي محروسة عن الزيادة والنقصان. وعبّر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم إياها كما هي لكونه أبلغ في الدلالة على تحقق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازمًا له ومتفرعًا عليه، وقد تقرر أن ذكر الشيء كناية أبلغ من التصريح به وقوله: ليتعلق علمه به موجودًا مبني على أن نفس علم الله تعالى ليس مما يتفرع على وجود شيء من الحوادث بل المتفرع عليه هو تعلقه بالأحوال الحادثة على حسب ما هي عليه، والتبدل والتغير إنما هو في المعلوم لا في العلم، فإنه تعالى يعلم جميع الجزئيات على وجه جزئي فعند وجودها يعلم أنها وجدت وعند عدمها يعلم أنها عدمت وقبل ذلك يعلم أنها ستوجد وتعدم. ولما كان المراد من العلم بالتبليغ العلم الذي يتعلق به الجزاء وذلك هو العلم بكونه موجودًا قيد التبليغ بقوله: «موجوداً» فقال: ليتعلق علمه به موجودًا، والعلم إنما يتعلق بالتبليغ موجودًا حال وجود التبليغ، وأما قبل

﴿رَبِّهِمْ﴾ كما هي محروسة من التغيير ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل. ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ حتى القطر والرمل. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدًا أو كذب به عتق رقبة.

سورة المزمّل

مكية وآيها تسع عشرة آية أو عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾ أصله المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاي. وقد قرىء به و«بالمزمل» مفتوحة الميم ومكسورتها أي الذي زمله غيره، أو زمل نفسه. سمي به النبي ﷺ تهجينًا لما كان عليه لأنه كان نائمًا أو مرتعدًا مما دهشه بدأ

وجوده فإنما يعلم بأنه سيوجد لا بأنه موجود فإن ذلك لا يكون علمًا بل هو جهل والعلم بأنه سيقع لا يتعلق به الجزاء. تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

سورة المزمّل

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (وبالمزمل) أي بتخفيف الزاي وفتح الميم على لفظ اسم المفعول وهو الذي زمله غيره، وبكسر الميم وتخفيف الزاي أيضًا أي المزمل نفسه فحذف المفعول من زمله في ثوبه أي لفه فيه وتزمل في ثيابه أي تدثر وتلفف فيها، وازدمله أي احتمله والزمل الحمل.
قوله: (لأنه كان نائمًا أو مرتعدًا) قيل: كان عليه الصلاة والسلام نائمًا بالليل متزملاً في قطيفة

الوحي متزملاً في قطيفة أو تحسينًا له. إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلففًا ببقية مرط مفروش على عائشة فنزل، أو تشبيهًا له في تثاقله بالمتزمل لأنه لم يتمرن بعد في قيام الليل، أو من تزمل الزمل إذا تحمل الحمل أي الذي تحمل أعباء النبوة. ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ أي قم إلى الصلاة أو داوم عليها فيه. وقرىء بضم الميم وفتحها للاتباع أو التخفيف. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ۝٤﴾ الاستثناء

فنبه ونودي بما يهجن إليه تلك الحالة التي كان عليها من التزمل للنوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن، وقيل: يا أيها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية، أمره عليه الصلاة والسلام أن يختار التهجد على التزمل. ويؤيد هذا المعنى أمره عليه الصلاة والسلام بالقيام إلى الصلاة بعده وهو قوله تعالى: ﴿قم الليل﴾ أي قم للصلاة. وقيل: كان في أول ما أوحي إليه كلما سمع صوت الملك ونظر إليه أخذته الرعدة والحمى، فأتى أهله وقال: زملوني دثروني. فبينما هو كذلك إذ جاء جبريل عليه السلام وناداه وقال: ﴿يا أيها المزمل﴾ تهجينًا لما كان عليه وقيل: ليس بتهجين لحاله بل كان تهوينًا عليه وتحسينًا لحاله، إذ روي أنه عليه الصلاة والسلام كان متزملاً في مرط لعائشة رضيَ الله عنها وهو يصلي. قيل عليه: إن هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل على أنها مدنية لأنه عليه الصلاة والسلام لم يبن بها إلا بالمدينة. وأجيب بأنه يجوز أن يكون عليه الصلاة والسلام قد بات في بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهي طفلة والباقي على النبي ﷺ، وليس في هذه الرواية ما يدل على أن هذه الواقعة كانت بعد البناء بها. روي أنه تزوجها في شوال سنة عشرين من النبوة قبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين وأعرس بها بالمدينة وهي بنت سبع سنين. فنداؤه ﷺ بالمزمل تحسين لحاله التي كان عليها وجعل هذا النداء ذريعة إلى الأمر بالمداومة على تلك الحال الحسنة. **قوله: (أي قم إلى الصلاة أو داوم عليها)** الأول على أن يكون إشارة على أن تسميته بالمزمل للتهجين والثاني على أن يكون للتحسين. **قوله: (وقرىء بضم الميم)** يعني قرأ العامة «قم الليل» بكسر الميم لالتقاء الساكنين. وقرىء بضمها اتباعًا لحركة القاف وبفتحها لخفة الفتحة و«الليل» ظرف للقيام إن استغرقه الحدث الواقع فيه. وحد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. وضمير «نصفه» على تقدير كونه بدلاً من «قليلاً» راجع إلى «الليل» وضمير «منه» و«عليه» راجعان إلى النصف والمعنى: قم إلى الصلاة في الزمان المحدود المسمى بالليل لا في الجزء القليل منه وهو نصفه، أو انقص القيام من نصفه، أو زد عليه كأنه قيل: قم نصف الليل أو أنقص من النصف أو زد عليه، وهو تخيير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص منه.

من الليل ونصفه بدل من «قليلاً» وقلته بالنسبة إلى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث أو نصفه بدل من الليل، والاستثناء منه والضمير في «منه» و«عليه» للأقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الأقل منه كالربع والأكثر منه كالنصف، أو للنصف. والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر، أو الاستثناء من إعداد الليل فإنه عام والتخيير بين قيام النصف

قوله: (وقلته بالنسبة إلى الكل) أي لا بالنسبة إلى النصف الآخر لأن كل واحد من النصفين يجب أن يكون مساويًا للنصف الآخر ولا يتصور أن يكون أقل منه. **قوله: (أو نصفه بدل من الليل)** بدل البعض من الكل وقوله: «إلا قليلاً» مستثنى من قوله: «نصفه» مقدم عليه، كأنه قيل: قم أقل من نصف الليل كالثلث. ثم إن كان ضمير «منه» و«عليه» لما هو أقل من النصف يكون المعنى حينئذٍ: النقص من ذلك الأقل والزيادة عليه، ويكون التخيير بين أن يقوم فيما هو أقل من النصف كالثلث، وبين أن يقوم فيما هو أنقص من ذلك الأقل كالربع، وبين أن يقوم فيما هو أزيد منه كالنصف. **قوله: (أو للنصف)** عطف على قوله: «للأقل من النصف» أي على تقدير أن يكون نصفه بدلاً من «الليل» ويكون «إلا قليلاً» مستثنى من نصفه يجوز أن يكون ضمير «منه» و«عليه» للنصف، ويكون المعنى حينئذٍ: قم أقل من نصف الليل كالثلث، أو أنقص من النصف قليلاً بأن تقوم الثلث مثلاً. أو زد على النصف. ويفهم من ظاهر النظم أن يكون التخيير بين ثلاثة أمور لأن فيه حرفي عطف وليس كذلك، إذ ليس ههنا إلا أمران فقط وهما القيام في أقل من النصف أو في أزيد منه لأن مدلول قولنا: قم نصف الليل إلا قليلاً وقولنا: أو انقص من نصفه واحد فلم يبق إلا الأمران فقط، فلذلك جعل أحد شقي التخيير أن يقوم فيما هو أقل من نصف الليل على البت وجعل شقه الآخر أن يختار أحد الأمرين وهما القيام فيما هو أقل من النصف والقيام فيما هو أكثر منه. **قوله: (أو الاستثناء من إعداد الليل)** عطف على قوله: «والاستثناء من الليل». جوّز أولاً أن يكون الاستثناء من ساعات الليل وأجزائه بأن يكون تعريف الليل لاستغراق أجزائه، ثم جوّز أن يكون من إفراده وإعداده كأنه قيل: قم في جميع الليالي إلا قليلاً من إفرادها يقع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها، ثم بيّن ما يقوم به من أجزاء الليل بأن خيره بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه. قيل: هذا التخيير على حسب طول الليالي وقصرها، فالنصف إذا استوى الليل والنهار، والنقص منه إذا قصر الليل، والزيادة عليه إذا طال الليل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿قم الليل﴾ فظاهر الأمر أنه للوجوب، ثم نسخ واختلفوا في سبب النسخ؛ فقيل: إنه كان فرضًا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها. وقيل: إن قيام الليل كان فريضة عليه وعلى

والناقص منه والزائد عليه. ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم: ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجًا.

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ يعني القرآن فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول ﷺ إذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته. والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف

المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة، فكان الرجل لا يدري في أي مقدار من الليل صلى وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، وشق عليهم ذلك حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم فنسخ فريضته بقوله في آخر هذه السورة ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠] وكان بين إيجاب قيام الليل وبين نسخه سنة كاملة. وقيل: سنتان.

قوله: (ثغر رتل ورتل) هو بفتح التاء وكسرها، وثنايا مفلجة متباعد ما بينها. يقال: ثغر رتل إذا كان بين الثنايا افتراق قليل. و «ترتيلاً» مصدر مؤكد لفعله الدال على إيجاب الترتيل أكد إيجابه بالمصدر ليعلم أنه لا بد للقارىء منه ليتمكن هو ومن حضره من التأمل في حقائق الآيات ويستشعر عظمة الله تعالى وجلاله عند الوصول إلى ذكر الله ويقع في الخوف والرجاء عند الوصول إلى آية الوعد والوعيد، فحينئذٍ يستنير القلب بنور معرفة الله تعالى وينفتح عليه أسرار الكلام الإلٰهي.

قوله: (والجملة اعتراض) أي بين قوله: ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ وبين قوله: ﴿إن ناشئة الليل﴾ فإنه متعلق بالأول مناسب له فوسطت هذه الجملة بينهما ليسهل عليه تكليفه بالتهجد، فكأنه تعالى قال: أمرتك بقيام الليل لأنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً فلا بد لك أن تسعى في صيرورة نفسك مستعدة لتلقي ذلك القول العظيم وذلك الاستعداد لا يحصل إلا بصلاة الليل، فإن النفس تستعد بها القبول الفيض الإلٰهي من حيث إن الشواغل الحسية والعوائق الجسمانية تكون ساكنة في الليلة الظلماء فإذا اشتغل الإنسان فيها بعبادة ربه وترتيل كلامه يتنور قلبه ويتقوى روحه فيزداد مناسبة واتصالاً بعالم الغيب، فيستعد لتلقي المعارف الإلٰهية والإلهامات الربانية. **قوله**: (ويدل على أنه) أي التهجد عطف على قوله: «يسهل» يعني أن الفائدة الثانية للاعتراض الدلالة على أن التكليف بقيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة التي يشتمل عليها القرآن، فعليك بملازمة هذا التكليف والاستئناس به لئلا يثقل عليك أمثاله. **قوله**: (مشق) بالميم الظاهر أنه تحريف من الناسخين. والأصل شق بكسر الشين وهي الشقة قال تعالى: ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧] يقال: شق على

للنفس، أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه، أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية السر وتجريد النظر، أو ثقيل في الميزان أو على الكفار والفجار، أو ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها: رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقًا. وعلى هذا يجوز أن يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الأوجه للتعليل مستأنف فإن التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ إن النفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة من نشأ من مكانه إذا نهض قال:

نشأنا إلى خوص برى نيها السرى وألصق منها مشرفات القماحد

أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث به، أو ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى، أو ساعاتها الأول من نشأت إذا ابتدأت.

الشيء يشق شقًا ومشقة، والاسم الشق بالكسر ولم يسمع أشق علي فهو مشق. **قوله**: (أو رصين) أي محكم ثابت وهو عطف على قوله: «ثقيل على المكلفين والرزانة الوقار والثقل» يعني أو أن ثقله عبارة عن بلاغته وإعجازه بحسب النظم ودقة المعاني، فالثقل على الأول راجع إلى ثقل العمل به وعلى هذا إلى أن جهات حسنة وكماله ثابتة مستقرة لا تزول أبدًا كثبوت الشيء الثقيل في محله. **قوله**: (فيفصم) أي يقلع يقال: أفصم المطر أي أقلع وانجلى. **قوله**: (ليرفض) أي يرشح عرقًا. **قوله**: (وعلى هذا) أي على أن يكون «قولاً ثقيلاً» صفة للمصدر لا للمفعول به أي سنلقي إلقاء ثقيلاً. وقول الشاعر:

(نشأنا إلى خوص برى نيها السرى وألصق منها مشرفات القماحد)

نشأنا أي قمنا. والخوصاء الناقة الغائرة العينين، والذكر أخوص وجمعهما خوص. والني بفتح النون الشح واللحم يقال: ناقة ناوية أي سمينة، ونوى أي سمين. وبرى أي اذهب وأذاب من برى القلم بريًا، وبريت البعير إذا حسرته وأذهبت لحمه. والسرى سير الليل. وألصق أي طأطأ ونكس، وفاعله ضمير السرى. والقماحد جمع قمحدودة وهي القفا الذي هو مؤخر الرأس ومعقد الإزار. والمعنى: قمنا إلى نوق غائرات الأعين أذاب لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة، وجعل السرى قماحدها المشرفة المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة من الهزال أي قمنا إليها ورحلناها، والناشئة على هذا صفة لمحذوف أي النفس القائمة من مضجعها بالليل للعبادة. **قوله**: (أو قيام الليل) على أن الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ إذا قام. **قوله**: (أو ساعات الليل) على أن تكون الناشئة صفة ساعات الليل الناشئة أي الحادثة شيئًا بعد شيء. الجوهري: ناشئة الليل أول ساعاته يقال: نشأ يفعل كذا إذا ابتدأ، وأقبل شيئًا بعد شيء فهو ناشيء وأنشأه الله فنشأ. قال زين العابدين: ناشئة الليل ما

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي كلفة أو ثبات قدم. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء أي مواطأة القلب اللسان لها أو فيها، أو موافقة لما يراد من الخضوع والإخلاص. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ⦗٦⦘﴾ وأسد مقالاً أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الأصوات ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⦗٧⦘﴾ تقلبًا في مهامك واشتغالاً بها فعليك بالتهجد، فإن مناجاة الحق تستدعي فراغًا. وقرىء «سبخا» أي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره ليلاً ونهارًا. وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم. ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ

بين المغرب إلى العشاء لأن ناشئة الليل هي الساعة التي منها يبتدىء إنشاء الليل. وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة، وخصصتها عائشة بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة. وقيل: الليل كله ناشئة. **قوله: (أي كلفة أو ثبات قدم)** تفسيران «لوطئا» بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الألف وهو مصدر قولك: وطىء الشيء إذا داسه برجله أو جعل عليه ثقله، فإن النفس القائمة بالليل إلى العبادة أشد وطئًا من التي تقوم بالنهار، على أن يكون الوطىء عبارة عن الكلفة والثقلة كما يقال: اشتدت على القول وطأة سلطانهم إذا ثقل عليهم معاملته معهم وفي الحديث: «اللهم اشدد وطأتك على مضر» والمقصود من الحكم بأن النفس التي تنشأ بالليل من مضجعها أشد كلفة بيان أنها أكثر ثوابًا لأن ثواب العبادة على قدر شدة الوطأة وثقلها كما قال عليه الصلاة والسلام: «أفضل العبادات أحمرها» أي أشقها. أو على أن تكون عبارة عن ثبات القدم فإن النهار زمان التقلب للمعاش وتكثر فيه الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القائم بالعبادة فيه ثابت القدم عليها، فيكون المقصود حينئذٍ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالأمر بالقيام به فإنه تعالى جعل الليل لباساً يستر الناس ويمنعهم من الاضطراب والانقلاب إلى اكتساب المعاش، وجعل النهار معاشًا يباشرون فيه أمور معاشهم فلا تثبت فيه أقدامهم للعبادة.

قوله: (أي مواطأة القلب) تفسير لقراءة أبي عمرو وابن عامر «وطاء» بكسر الواو وفتح الطاء ومد الألف لأن المواطأة هي الموافقة يقال: واطأت فلانًا على كذا مواطأة ووطاء إذا وافقته، فإن فسرت ناشئة الليل بالنفس الناشئة بالليل من مضجعها يكون المعنى: أنها أشد من جهة مواطأة القلب اللسان لها. وإن فسرت بقيام الليل أو بالعبادة الناشئة بالليل أو بالساعات الناشئة بالليل بمعنى الحادثة أو المبتدأة يكون المعنى: أن الناشئة بأحد المعاني أشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه في تلك الناشئة. **قوله: (وأسد مقالاً أو أثبت قراءة)** يعني أنه يجوز أن يكون «أقوم» اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وأن يكون من

﴿تَبۡتِيلٗا ٨﴾ وانقطع إليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلاً. ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من «ربك». وقيل: بإضمار حرف القسم وجوابه لا إله إلا هو. ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ مسبب عن التهليلة فإن توحده بالألوهية يقتضي أن يوكل إليه الأمور. ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من الحرافات ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله. كما قال: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ دعني وإياهم وكل إليّ أمرهم فإن في غنية عنك في مجازاتهم. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أرباب التنعم يريد صناديد قريش. ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ زمانًا

القيام بمعنى الثبات والاستمرار وهدوء الأصوات سكونها يقال: هدأ هدأ وهدوءًا سكن، وأهدأه غيره أسكنه. والسبح التصرف في المعاش والتقلب في الأمور، ومنه السباحة في الماء، وسبخ الصوف والقطن جعله منفوشًا لتفتت أجزائه وتيسير غزله. **قوله: (وجرد نفسك عما سواه)** إشارة إلى أن «تبتيلاً» مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالالتزام لأن التبتل لا يكون إلا بالتبتيل، وتقدير الكلام، تبتل إليه وبتل نفسك عما سواه تبتيلاً. **قوله: (ولهذه الرمزة)** يعني أن الظاهر أن يقال: ﴿وتبتل إليه تبتلاً﴾ أو يقال: بتل نفسك عما سواه تبتيلاً. لكن لم يرد النظم هكذا لرمزة خفية وهي أن المقصود بالذات إنما هو التبتل والانقطاع إليه تعالى وذلك لا يحصل إلا بتبتيل النفس وقطعها عن التعلق بما سواه، فذكر أولاً التبتل إشعارًا بأنه المقصود بالذات، وذكر التبتيل ثانيًا إشعارًا بأنه لا بد منه وإن كان مقصودًا بالعرض لا بالذات لأنه نوع تعلق بغير الله فلا يكون مقصودًا لذاته. وفي وضع التبتيل مقام التبتل رعاية الفواصل أيضًا. **قوله: (فإن توحده بالألوهية يقتضي أن يوكل إليه الأمور)** لأن جميع ما سواه يكون ممكنًا محدثًا محتاجًا إلى غيره فكيف يصلح أن يكون موكولاً إليه الأمور؟ ومن عرف أنه لا إله إلا هو لا جرم يفوض جميع الأمور إليه ومن لا يفوض ذلك إليه فهو لا يعلم بحقيقة لا إله إلا هو، ومن اتخذه وكيلاً يسترح من معارضة زيد وعمرو والاغتمام على ما فاته من المقاصد لأنه يتحقق عنده أن قيام الله تعالى بإصلاح أمره أحسن من قيامه بإصلاح أمور نفسه فيقع في دائرة التسليم والرضى فيستريح. ثم إنه تعالى لما أرشد رسوله ﷺ إلى كيفية معاملته مع ربه من أول السورة إلى هنا اتبعه ببيان كيفية معاملته مع الخلق فقال: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً﴾ لأن من يخالط الناس كثيرًا ما يجد منهم الإيذاء والمنافرة فيعتريه بسبب ذلك الغموم فلا بد لأهل الاختلاط من الصبر الجميل وترك المخالطة بأن يخالفهم في أفعالهم السيئة ولا يخاصمهم ولا يسمعهم القبيح، وينصح لمن رجا منهم القبول وذلك هو الهجر الجميل فقد استراح منهم. ثم لما

أو إمهالاً. ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ تعليل للأمر والنكل القيد الثقيل. ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ طعامًا ينشب في الحلق كالضريع والزقوم. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ ونوعًا آخر من العذاب مؤلمًا لا يعرف كنهه إلا الله. ولما كانت العقوبات الأربع مما يشترك فيها الأشباح والأرواح، فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن

خطر بالبال أن من بعث لدعوة الخلق وإرشادهم كيف يهجر المكذبين مع أن تهديدهم بالمجازاة على الكذب أدخل في ظهور آثار الرسالة دفع ذلك الخاطر بقوله: ﴿وذرني والمكذبين﴾ **يعني نعم إن الأمر كذلك إلا أنه ينبغي أن تكل أمر مجازاتهم إليّ وأن لا تهتم بهم وأنا أكفيكهم. وقوله تعالى:** ﴿والمكذبين﴾ **يجوز أن يكون انتصابه على أنه مفعول معه أو على أنه معطوف على ياء المتكلم في «ذرني»، والأول هو الأنسب بالمقام والثاني أوفق بصناعة العربية لأن المتبادر من نحو قولك: ضربت زيدًا وعمرًا إنما هو مجرد مشاركة الواو لما قبلها في ملابسة معنى العامل بكل واحد منهما وهو معنى العطف، ولا يفهم منه كون تلك الملابسة بطريق المعية وإنما يفهم ذلك إذا كان الفعل المذكور قبلها لازمًا، فإنه إذا كان لازمًا يكون ما بعد الواو على تقدير العطف مرفوعًا ويكون العدول إلى النصب نصًا على قصد المعية والمصاحبة في ملابسة الفعل، فإن العطف لا يدل إلا على أن ما بعد الواو مشارك لما قبلها في ملابسة الفعل لكل واحد منهما، والنصب كما يدل على تلك المشاركة يدل أيضًا على كون تلك الملابسة في زمان واحد مثلاً إذا قلت: سرت وزيدًا بالنصب يكون زيد مشاركًا للمتكلم في ملابسة السير لكل واحد منهما وفي وقوعهما معًا بخلاف ما إذا قلت: سرت أنا وزيد بالعطف، فإنه إنما يدل على مشاركتهما في السير فقط ولا يدل على المعية فيه، فظهر أن النصب إنما يكون نصًا على المعية والمصاحبة إذا كان الفعل لازمًا. و «ذرني» في الآية متعدٍ والنعمة بفتح النون التنعم وهو مطاوع نعم يقال: نعمه الله وناعمه فتنعم، والنعمة بالكسر ما أنعم به عليك. قوله: (تعليل للأمر) أي بالإمهال فإن تعداد ما عنده من أسباب التعذيب بيان لاقتداره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة في مهواة وهي ما بين الجبلين والغصة الشجي وما يقف في الحلق ولا ينساغ فيه. والطعام ذو الغصة هو الطعام الذي يقف في الحلق لا ينزل ولا يخرج. وتنكير «عذابًا» وإبهام كيفيته يدل على كونه في نهاية الهول والشدة بالنسبة إلى ما تقدم عليه من الأمور الثلاثة، وكونه للتهويل لا ينافي كونه للنوعية.**

قوله: (فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات) بيان لكون تلك العقوبات مما يصح أن يعاقب بها الأرواح، ولم يتعرض لبيان كونها عقوبات للأشباح لظهوره واستغنائه عن البيان، وكون الأرواح العاصية بعد مفارقتها عن الأبدان باقية على التقييد بحب الشهوات

التخلص إلى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرّعة غصة الهجران معذبة بالحرمان من تجلي أنوار القدس. فسر العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما في «لدينا أنكالاً» من معنى الفعل. ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملاً مجتمعًا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء إذا جمعته ﴿مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ منثورًا من هيل هيلاً إذا نثر. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع. ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ يعني موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لأن المقصود لم يتعلق به. ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ عرفه لسبق ذكره. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ ثقيلاً من قولهم:

والتعلق بها المانع من التخلص إلى عالم المجردات بمنزلة الأنكال والقيود المانعة عن الوصول إلى ما مر من المشتهيات، ثم يتولد عن تلك القيود الروحانية روحانية شبيهة بالجحيم. فإن شدة ميلها إلى ما فارقت عنه من الشهوات الدنيوية وعدم تمكنها من الوصول إليها يوجب حرقة شديدة وروحانية شبيهة بالإحراق بنار الجحيم وهي حرقة فراق المشتهيات، ويصير تألم الروح بألم هذا الفراق على الاستمرار والدوام بمنزلة طعام ذي غصة لا يسوغ ولا يخرج من الحلق، ثم حرمانه من أن يتجلى له نور جمال الله تعالى ويتلذذ بالمعارف الإلٰهية والأسرار الربانية وينخرط في سلك المقربين عذاب أليم أشد عليه من جميع العقوبات الثلاث. قوله: (فسر العذاب) جواب لما أشار به إلى أن اللائق بهذا المفسر أن يفسر العقوبات الثلاث الأول بما يعم العقوبات الروحانية، وأن يكون ما ذكره من تفسير العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى للإشارة إلى كون العذاب متناولاً له كما يتناول العذاب الجسماني. قوله: (منثورًا) إشارة إلى أن «مهيلاً» اسم من هلت الشيء إذا صببته من غير كيل وحساب، أي تكون الجبال بعد ما كانت أوتاد الأرض قطعة مجتمعة كالرمل المهيل لا تتماسك أجزاؤها بل تصير شيئًا منثورًا أي متفرق الأجزاء بأن ينسف الله تعالى أجزاءها أي يقلع بعضها من بعض ويجعلها كالعهن المنفوش، فعند ذلك تصير كالكثيب ثم إنه تعالى يحركها كما قال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧] فعند ذلك تصير مهيلاً أي رملاً سائلاً متناثرًا. ثم إنه تعالى لما خوّف المكذبين أولي النعمة بأهوال القيامة خوفهم بعد ذلك بأهوال الدنيا فقال: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً﴾ الآية فإن المقصود تهديد أهل مكة بالأخذ الوبيل، وأن في إعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيعًا لشأن عصيانه وأن ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى. وفيه أن عصيان المخاطبين أفظع وأدخل في الذم إذ زاد لهذا الرسول وصفًا آخر أعني ﴿شاهدًا عليكم﴾ وأدمج فيه أنهم لو آمنوا لكانت الشهادة لهم لا عليهم.

طعام وبيل لا يستمرىء لثقله. ومنه: الوابل للمطر العظيم. ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ تقون أنفسكم ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ بقيتم على الكفر ﴿يَوْمًا﴾ عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ من شدة هوله وهذا على الفرض أو على التمثيل. وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب. ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول. ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ منشق والتذكير على تأويل السقف أو إضمار شيء. ﴿بِهِۦ﴾ بشدة ذلك اليوم على عظمها وإحكامها فضلاً

قوله تعالى: (فكيف تتقون) مرتب على الإرسال الذي ترتب عليه عصيانهم أي فكيف تتقون أهوال القيامة وما أعد لكم من الإنكال ونحوها إن دمتم على ما أنتم عليه ومتم على الكفر؟ وقوله: «إن كفرتم» الخ أتى بحرف الشرط إشارة إلى أن إرسال هذا الرسول لا يبق لأحد شبهة تقيه من الكفر، كيف وهو النور المبين فكيف بقاؤهم على الكفر بعد إرسال الرسول الذي حقه أن يقرر الأمور المشكوك في وجودها؟ **قوله:** (تقون أنفسكم) فسر «تتقون» يتقون أنفسكم فعداه بذلك إلى مفعولين أولهما «أنفسكم» المقدر وثانيهما «يومًا» فإنه مفعول به لتتقون كما أشار إليه المصنف بقوله: «عذاب يوم» أي بتقدير المضاف، فإن «وقى» يتعدى إلى مفعولين قال تعالى: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦] وفيه بحث لأن «تتقون» مضارع اتقى وهو ليس بمعنى «وقى» فكيف يصح تفسيره به وتعديته مثله؟ بل هو متعد إلى واحد فتقدير قوله: «أنفسكم» لا يظهر له وجه صحة إلا أن يقال ذكره بيانًا لحاصل المعنى، فإن اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس منه. **قوله تعالى:** (يجعل الولدان شيبًا) صفة «ليومًا» والعائد إلى الموصول ضمير يجعل، وإسناد الجعل إلى اليوم من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه للمبالغة. والشيب جمع أشيب بمعنى ذي الشيب وهو بياض الشعر. **قوله:** (وهذا على الفرض) أي لا على الحقيقة لأن يوم القيامة ليس فيه ولدان حتى يصيروا شيبًا حقيقة بل الكلام مبني على الفرض، والمعنى: إن هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي لكان أشيب ويرى أنه شيخ والحال أنه طفل صغير. والأصل فيه أن الهموم إذا تعاقبت على الإنسان أسرع فيه الشيب. روي أن رجلاً نام وهو حالك الشعر ثم أصبح ورأسه كالثغامة، فقيل له في ذلك فقال: رأيت القيامة في المنام والجنة والنار، ورأيت الناس ينقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون. **قوله:** (أو على التمثيل) بأن شبّه يوم القيامة من شدة هوله بزمان يجعل الولدان شيبًا، فوصف بوصف ذلك الزمان وإن لم يكن فيه ولدان. **قوله:** (ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول) لا لكثرة أهواله فيكون المعنى: أنه في طوله بحيث يبلغ الأطفال فيه أوان الشيخوخة والمشيب وهو لا ينقضي بعد. وهذا الوجه وإن كان يشارك الوجه الأول في أن الكلام مبني على الفرض إلا أن المراد من الوجه الأول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله، والمراد من الوجه الأخير وصفه

عن غيرها. والباء للآلة. ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ الضمير لله عز وعلا أو لليوم على إضافة المصدر إلى المفعول. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الموعدة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يتعظ ﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ أي يتقرب إليه بسلوك التقوى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ استعار الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعدًا منه. وقرأ ابن كثير والكوفيون و«نصفه وثلثه» بالنصب عطفًا على أدنى.

بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم. واعترض على الوجه الأخير بأن ذلك اليوم أطول من مدة بلوغ الطفل أوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة. ويمكن أن يجاب عنه بأنه مبني على عادة العرب فإنهم يعبرون بمثل هذه العبارة عن غاية الطول مع قطع النظر عن ملاحظة خصوص المدة المدلول عليها بالعبارة كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم: ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقبت الأيام والشهور، وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧ و١٠٨] ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم أمرين: الأول قوله: ﴿يجعل الولدان شيبًا﴾ والثاني قوله: ﴿السماء منفطر به﴾ فإن السماء على عظمها وشدتها إذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق؟.

قوله: (الضمير لله تعالى) وإن لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافًا إلى فاعله أي وإن وعده تعالى بكون يوم القيامة على ما وصف به من الشدائد كائن لا محالة لأنه تعالى لا يخلف الميعاد، وإن كان من إضافة المصدر إلى مفعوله في المعنى كان وعده تعالى إياه مفعولاً. **قوله: (هذه الآيات الموعدة)** بكسر العين أي الناطقة بالوعيد وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢] إلى هنا وفسر اتخاذ السبيل إليه بالتقرب إليه والتوسل بالطاعة والاتقاء عما يؤثم لكونه طريقًا إلى رضاه ورحمته. **قوله: (استعار الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشيء أقل بعدًا منه)** الظاهر أنه أراد من الاستعارة المجاز المرسل لأنه جعل العلاقة بين الأقرب والأقل كون القرب إلى الشيء مستلزمًا لقلة ما بينهما من البعد، فيكون إطلاق الأدنى على الأقل من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم. ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما يفهم من قول عائشة رضي الله عنها: إن الله تعالى فرض القيام في أول هذه السورة فقام نبي الله وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله تعالى آخر هذه السورة اثني عشر شهرًا في السماء، ثم أنزل الله التخفيف في آخر السورة فصار قيام الليل تطوعًا بعد كونه فرضًا. **قوله: (عطفًا على أدنى)** والمعنى: يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما فرض أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه زيادة مطلقة كالثلثين على أن يكون «إلا قليلاً»

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك. ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله. فإن تقديم اسمه مبتدأ مبنيًا عليه يقدر يشعر بالاختصاص. ويؤيده قوله: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أي لن تحصوا تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات. ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ بالترخيص في ترك القيام المقدر

استثناء من الليل ويكون نصفه بدلاً من «قليلاً». وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بجرهما عطفًا على المجرور قبلهما وهو قوله: «ثلثي الليل» والمعنى: يعلم أنك تقوم أي تصلي أقل من ثلثي الليل وأقل من نصف الليل وأقل من ثلث الليل، والأقل من الثلثين هو النصف، والأقل من النصف هو الثلث، والأقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لأن يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف بأن يكون قوله: «نصفه» بدلاً من «الليل» ويكون «إلا قليلاً» استثناء من النصف، ويكون ضمير «منه» و«عليه» للأقل على معنى: قم أقل من نصف الليل وهو الثلث وأنقص مما هو أقل من النصف بقيام الربع، أو زد على ذلك الأقل من النصف بقيام النصف. **قوله:** (ويقوم ذلك جماعة) يعني أن قوله: «وطائفة» مرفوع بالعطف على المرفوع المتصل في «يقوم» وجاز ذلك للفصل بالظرف وما عطف عليه. **قوله:** (فإن تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيًا عليه يقدر يشعر بالاختصاص) علة لقوله: «لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي إلا الله» فإن بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر عند صاحب الكشاف مطلقًا أي سواء كان المبتدأ معرفًا أو منكرًا، مظهرًا أو مضمرًا، مقدمًا أو على نية التأخير على أنه فاعل معنى. فإنه تعالى لما كان هو الذي يزيد في ساعاتهما وينقص من غير أن يكون لنا مدخل في شيء من ذلك فبالضرورة صار هو العالم بمقاديرهما على الحقيقة، وأما نحن فإنّا نعلم ذلك بالتحري والاجتهاد الذي يؤدي إلى الخطأ أحيانًا. **قوله:** (ولن تستطيعوا ضبط الساعات) فإن الإحصاء قد يكون بمعنى العد وقد يكون بمعنى الاستطاعة. قال عليه الصلاة والسلام: «استقيموا ولن تحصوا» أي ولن تطيقوا ذلك على الوجه الذي أمرتم به. قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل قوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أي لن تطيقوا معرفة القدر الذي يجب قيامه. وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فخفف الله عنهم وقال: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع التكليف بما لا يطاق فإنه تعالى قال: ﴿لن تحصوه﴾ أي لن تقدروا ولن تطيقوا تعيين القدر الذي فرض عليكم القيام به. ثم إنه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام في المقدار الذي فرض عليهم القيام فيه حيث قال: ﴿قم الليل إلا قليلاً نصفه﴾ الخ ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتهما وضبطهما كون ذلك شق عليهم بعض المشقة لا أنهم لا يقدرون عليه أصلاً كما يقال: لا أقدر أن أنظر إلى فلان، إذا استثقل

ورفع التبعة فيه ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل. عبّر عن الصلاة بالقراءة كما عبّر عنها بسائر أركانها. قيل: كان التهجد واجبًا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس. أو فاقرؤوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية

النظر إليه وصعب عليه ذلك. **قوله:** (ورفع التبعة فيه) رفعها عن التائب إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فتاب عليكم﴾ استعارة تبعية شبه الترخيص في ترك ما قدر من قيام الليل بقبول التوبة من المذنب التائب في رفع التبعة في تركه كما رفعت عن التائب، ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة في المشبه الذي هو الترخيص، ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله: ﴿فتاب﴾ بمعنى فرخص.

قوله: (قيل كان التهجد واجبًا على التخيير المذكور) وهو التخيير بين القيام في أحد المقادير المعينة فلما عسر عليهم إصابة تلك المقادير المعينة نسخت فرضيته رعاية للمقدار المنصوص عليه وبقي أصل الوجوب، فإن الأمر في قوله تعالى: ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ يدل على أن ما تيسر من وجوب صلاة الليل غير مقدر بكونه في ثلث الليل أو ربعه أو نحوهما، ثم نسخ أصل وجوبها أيضًا بالصلوات الخمس والتطوع. **قوله:** (أو فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر) عطف على قوله: «فصلوا ما تيسر» بمعنى أن قوله: ﴿فاقرأوا﴾ إما مجاز بمعنى فصلوا على إطلاق اسم الجزء على الكل، وإما حقيقة على أن المعنى إيجاب تلاوة القرآن في غير الصلاة كيفما تيسر ليحصل الأمن من النسيان والفوز برضى الرحمٰن، والوقوف على إعجازه بتلاوته وما فيه من دلائل التوحيد والبعث والجزاء ونحوها من العقائد الدينية. ثم قيل: الأمر بتلاوته خارج الصلاة للوجوب. وقيل: للندب والاستحباب. روي عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ خمسين آية في كل يوم أو في كل ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر». وعن عبد الله بن عمر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر مرة» قال: قلت: إني أجد قوة على أن اقرأه في أقل من ذلك. قال: «فاقرأه في عشرين ليلة» قال: قلت: إني أجد قوة على أني أقرأه في أقل من عشرين. قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك». وقيل: قوله تعالى: ﴿فاقرأوا ما تيسر﴾ إيجاب للقراءة في صلاة الليل لا إيجاب نفس الصلاة في الليل. وقيل: إنه لا يجاب القراءة في كل صلاة. واختلف العلماء في قدر ما يلزمه في الصلاة؛ فقال الإمام مالك والإمام الشافعي: هو فاتحة الكتاب بخصوصها لا يجوز العدول عنها ولا

للترخيص والتخفيف، ولذلك كرر الحكم مرتبًا عليه وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة. ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ﴾ يريد به الأمر بسائر الإنفاقات في سبيل الخير أو بأداء الزكاة على أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما

الاقتصار على بعضها. وقدره أبو حنيفة بآية واحدة من أي آيات القرآن كانت، وعنه: ثلاث آيات لأنها أقل سورة. **قوله:** (المسافرة للتجارة) سوّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان إلى ذوي الحاجات حيث جمعهما في قرن واحد، فدل على أن التجارة بمنزلة الجهاد. قال عليه السلام: «ما من جالب يجلب طعامًا من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله بمنزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾. **قوله:** (وآتوا الزكاة الواجبة) قال الإمام: وقيل: زكاة الفطر لأنه لم يكن بمكة زكاة غيرها وإنما وجبت بعد ذلك. ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيًا على ما روي أنه تعالى افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً مع مشقة عظيمة من حيث إنه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام أكثر الصحابة الليل كله خوفًا من الخطأ في إصابة القدر المفروض وأمسك الله تعالى خاتمة السورة اثني عشر شهرًا في السماء حتى أنزل الله تعالى في آخر السورة التخفيف بنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية أصل التهجد حسبما تيسر، ودام الأمر على ذلك ما دام عليه الصلاة والسلام بمكة حتى نسخت فرضية أصله في المدينة بالصلوات الخمس. **قوله:** **(أو بأداء الزكاة على أحسن وجه)** وهو إخراجها من أطيب الأموال وأكثرها نفعًا للفقراء ومراعاة النية، وهي أن يقصد بإخراجها مجرد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى والصرف إلى أحوج الفقراء الصالحين. ووجه هذا التفسير أن قوله تعالى: ﴿وآتوا الزكاة﴾ أمر بمجرد أدائها على أي وجه كان وقوله: ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ ليس كذلك بل هو أمر بالإعطاء المقيد بكونه حسنًا وتسمية الإنفاق على الوجه المذكور قرضًا حسنًا من قبيل الاستعارة حيث شبّه بالإقراض من جهة أن ما أنفقه يعود إليه على أحسن الوجوه. **قوله:** **(والترغيب)** منصوب بالعطف على الأمر. والمعنى: يريد به الأمر بسائر الإنفاقات، أو الأمر بأداء الزكاة على أحسن وجه، أو الترغيب فيه أي في سائر الإنفاقات، أو في أداء الزكاة على أحسن وجه، والتعبير عن كل واحد منها بالإقراض يتضمن وعد العوض وقد صرح به عقيبه. وقوله تعالى: ﴿تجدوه﴾ مجزوم على أنه جواب الشرط ولفظ «هو» تأكيد للمفعول الأول لتجدوه، أو فصل بينه وبين المفعول الثاني فإن ضمير الفصل كما يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول

صرح به في قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت أو من متاع الدنيا. و«خيرًا» ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيدًا وفصل لأن أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف. وقرىء «هو خير» على الابتداء والخبر. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مجامع أحوالكم فإن الإنسان لا يخلو من تفريط. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة».

العوامل يتوسط بينهما أيضًا بعد دخولها وشرطه أن يكون الخبر معرفة، أو افعل من كذا لأن أفعل من كذا يشبه المعرفة في امتناعه من حرف التعريف وليس معنى كون تعريف الخبر شرطًا لتوسط ضمير الفصل أن الفصل إنما يحتاج إليه عند كون الخبر معرفة، فإنه إنما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف والالتباس إنما يقع إذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة وبتوسطه يندفع الالتباس، لأن الخبر إذا كان صفة كان الموصوف هو الضمير والضمير لا يوصف ولا يوصف به وجاز توسطه فيما لا لبس فيه وذلك عند اختلاف الإعراب وعند كون المبتدأ ضمير أو كون الخبر أفعل من كذا اتساعًا وحملاً لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع أن الفصل له فائدة أخرى وهي أنه يفيد ضربًا من التأكيد لأنّه عبارة عن المبتدأ وتكرير له، والتكرير يفيد التأكيد. ومعنى الآية: وما تقدموا لأنفسكم من المال تجدوه أي تجدوا ثوابه عند الله أي في الآخرة خيرًا من ثواب ما أخرتموه إلى حضور الموت وأسبابه، وما تقدموا لأنفسكم من طاعة من الطاعات كلها تجدوا ثوابه خيرًا مما أخرتم من الطاعة. **قوله: (وقرىء هو خير)** على أن «هو» مبتدأ و«خير» خبره والجملة مفعول ثانٍ «لتجدوه» وهذا على مذهب من يجعل لضمير الفصل موضعًا من الإعراب كما أشار إليه صاحب الكافية بقوله: وبعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبرًا ولا موضع له عند الخليل.

سورة المدّثر

مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أي المتدثر وهو لابس الدثار. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئًا، فنظرت فوقي فإذا هو على العرش بين السماء والأرض. يعني الملك الذي ناداه. فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني. فنزل جبريل وقال: ﴿يا أيها المدثر﴾» ولذلك قيل: هي أول سورة

سورة المدّثر

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (وهو لابس الدثار) الدثار الثوب الذي يلبس فوق الشعار، والشعار ما يلبس مماسًا للجلد سمي به لأنه يلي الجسد وشعر البدن، والمدثر المتغشي بالدثار لينام فيستدفىء. **قوله:** (ولذلك) أي ولأجل ما ذكر من الرواية. قال صاحب الكشف: وهذه الرواية لا تدل على أنها أول سورة نزلت، والظاهر أنها ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١] إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] للأحاديث الصحاح في ذلك ولأنها كانت في حراء وهذه بعد الهبوط، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «لست بقارىء» فإنه لا يتصور إلا إذا نزل ذلك أولاً وإلا لكان الامتناع عنه معصية، والوجه أن يراد بالسورة في قول من قال: إنها أول سورة نزلت السورة الكاملة. انتهى. اعلم أنهم اختلفوا في أن المراد بالدثار المدلول عليه بالمدثر ما هو؟ فقال أكثر المفسرين: المراد به الدثار الحقيقي. ثم اختلفوا في سبب تدثره عليه الصلاة والسلام

نزلت. وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرًا، أو كان نائمًا متدثرًا. فنزلت. وقيل: المراد بالمدثر المدثر بالنبوة والكمالات النفسانية، أو المختفي فإنه كان بحراء كالمختفي

بذلك؛ فمنهم من قال: إنه عليه الصلاة والسلام تدثر به بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبًا من الملك الذي رآه على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألىء من حيث إنه رأى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد، فظن أن به مساس الجن فخاف على نفسه لذلك. ومنهم من قال: إنه عليه الصلاة والسلام تدثر اغتمامًا لما سمع أن قريشًا قد اجتمعوا فقالوا: قد اختلفت كلمتنا في الإخبار عن حال محمد فمن قائل إنه مجنون، ومن قائل هو كاهن، ومن قائل هو شاعر أو ساحر، ووفود العرب يجتمعون في أيام الحج ويسألون عن أمره وإذا سمعوا منكم هذه الأجوبة المختلفة لا يصدقونكم لعلمهم بأن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيحملون تكذيبكم إياه على التعصب والحسد، فسموه باسم واحد تجتمعون عليه يكون أشبه بحاله. فقال الوليد بن المغيرة: إني فكرت فيه واخترت أن اسميه ساحرًا لأن الساحر من شأنه أن يفرق بين الأب وابنه وبين أخ وأخيه وبين المرأة وزوجها وشأنه ذلك. فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه. فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك اشتد عليه ورجع إلى بيته محزونًا فتدثر بثوبه مفكرًا كما يفعله المغموم. وقال بعضهم: إنه عليه الصلاة والسلام إنما تدثر لأنه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع نائمًا، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وأيقظه وقال: إن الدنيا اليوم مملوءة من الكفار وأنت وحدك بانفرادك قد أرسلت لتدعوهم إلى الإسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان، ومن هذا شأنه كيف يليق به التفرغ للاستراحة والتلفف بالدثار؟ فأزل عنك الغفلة وكن على جد وصدق عزيمة في القيام على مقتضى منصبك وأنذر قومك. وقال آخرون: ليس المراد بالدثار ما هو دثار حقيقة بل المراد به خلعة النبوة والكمالات النفسانية تشبيهًا لها بما هو دثار حقيقة من حيث إن كل واحد منهما زينة وشرف لصاحبه كما يقال: ألبسه الله تعالى لباس التقوى وزيّنه برداء العلم فكأنه قيل: يا أيها المبعوث للإنذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثت له. وقيل: المراد بالدثار جبل حراء. ومعنى تدثره عليه الصلاة والسلام اختفاؤه فيه اعتزالاً عن الخلق شبّه اختفاؤه فيه بالدثار، فكأنه قيل: يا أيها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالإنذار. وقيل: في هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهي أن المنذر إذا أنذر عن شدة الأمر وهجوم العدو عن قريب يرتفع لأعلى المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادي قومه: يا صحباه النجاة النجاة، ولما كان عليه الصلاة والسلام متدثرًا خاطبه الله تعالى بيا أيها المدثر فكأنه تعالى يقول: بعثتك نذيرًا فالتدثر لا ينبغي لشأنك وإنما اللائق بك أن تكون عريانًا كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنا المنذر العريان».

فيه على سبيل الاستعارة. وقرىء «المدثر» أي الذي دثر هذا الأمر وعصب به. ﴿قُمْ﴾ من مضجعك أو قم قيام عزم وجد. ﴿فَأَنذِرْ ۝٢﴾ مطلق للتعميم أو مقدر بمفعول دل عليه قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] أو قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ وخصص «ربك» بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدًا وقولاً. روي أنه لما نزل كبّر رسول الله ﷺ وأيقن أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك. والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط وكأنه قال: وما يكن فكبر ربك.

قوله: (وقرىء المدثر) أي بفتح الدال الخفيفة وفتح الثاء المشددة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره أي غطاه به فهو مدثر أي مغطى. والأمر في قوله: «دثر هذا الأمر» منصوب بنزع الخافض أي دثر بهذا الأمر وعصب به أي أحيط به يقال: عصب القوم بفلان أي أحاطوا به.

قوله: (قم من مضجعك) هذا على تقدير أن يكون المراد تدثره عليه الصلاة والسلام بالدثار الحقيقي واضطجاعه في مضجعه بأحد الأسباب المذكورة. وقوله: «أو قم قيام عزم وجد» على أن يراد تدثره عليه الصلاة والسلام بدثار النبوة والاصطفاء أو بدثار الاختفاء بجبل حراء. **قوله:** (فأنذر مطلق) يعني أنه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر لفظًا ولا تقديرًا للتعميم والاختصار كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] أي يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار. **قوله:** (أو مقدر بمفعول) أي عام أو خاص حسبما تعين القرينة عمومه أو خصوصه، فإن وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدر خاصًا فيقال: تقديره: قم فأنذر عشيرتك الأقربين العذاب إن لم يوجدوا ربك، وإن وجد ما يدل على عمومه قدر عامًا فيقال: تقديره: قم فأنذر البشر كافة والمقدر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذي قيد به الفعل صريحًا، فإنه لما اعتبر تعلقه بمن وقع عليه سواء كان عامًا أو خاصًا على حسب تعيين القرينة فقد قيد بتعلقه به، وإنما يصير مطلقًا إذا لم يعتبر تعلقه به أصلاً وكان المعنى: فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد، فكون الإنذار حينئذٍ مطلقًا ظاهر وكذا كونه مفيدًا للتعميم في المفعول. **قوله:** (وخصص ربك) مستفاد من تقديم المفعول. **قوله:** (عقدًا) بأن تعتقد أنه تعالى منزه عن الشركاء والأضداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات. **قوله:** (وقولاً) بأن تقول: الله أكبر. **قوله:** (والفاء فيه وفيما بعده لإفادة معنى الشرط) فإن حق الفاء السببية أن يكون ما بعدها مسببًا لازمًا لما قبلها، فلما لم يذكر قبلها شيء يترتب عليه ما بعدها علم أن ما بعدها جواب شرط محذوف وأن المعنى:

أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه، فإن أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم وجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها. وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة. أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الذميمة فيكون أمرًا باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه، أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الشرك وغيره من القبائح. وقرأ يعقوب

وما يكن فكبر ربك أي أي شيء يكن فلا تدع تكبيره أي وصفه بالكبرياء، وهذا آكد في إفادة الاختصاص بالنسبة إلى مجرد تقديم المفعول في نحو: زيدًا ضربت من جهة التعلق بالشرط العام الذي هو وقوع شيء ما، فإن قلت: كيف يكون ربك مفعول كبّر مع الفاء القاطعة عن العمل فيما قبلها؟ قلنا: الفاء في الحقيقة داخلة على الاسم أي ما يكن فربك كبر. **قوله: (أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه)** عطف على قوله لإفادة معنى الشرط أي أو هي فاء جواب الأمر بالقيام المتعقب للإنذار، فإن الأمر بالقيام لما صح أن يكون سببًا لتكبيره تعالى عن أن يكون له شريك وصاحبة وولد ونحو ذلك مما يزعم المشركون في حقه تعالى، تحقق معنى الفاء من غير تقدير شرط آخر، فكأنه قيل: قم للإنذار والتحذير من عذاب الله فكبّر ربك عما يقول الظالمون في حقه. **قوله: (وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها)** فيكون لفظ الثياب على حقيقتها ويحمل لفظ التطهير على المجاز أو الكناية حيث ذكر اللازم وأريد الملزوم، فإن التقصير مستلزم للطهارة. قال عليه الصلاة والسلام: «إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك ففي النار». **قوله: (أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الذميمة)** أي القبيحة. شبّه النفس بالثوب لكونه يلابس نفس الإنسان ويشتمل عليه فعبّر به عن النفس مجازًا. **قوله: (أو فطهر دثار النبوة)** على أن الثياب مجاز مستعار لحلة النبوة والكمالات النفسانية كالدثار، أمر عليه السلام بتطهيره دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر، فإن الكفار لما لقبوه بالساحر شق ذلك عليه جدًا حتى رجع إلى بيته وتدثر بثيابه فكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام إظهار جزع وقلة صبر، فقيل له عليه الصلاة والسلام: قم فأنذر ولا تحملنك سفاهتهم على ترك إنذارهم بل حسن خلقك ووسع صدرك **قوله تعالى: (والرجز)** قراءة جمهور القراء بكسر الراء وهو العذاب كما في قوله تعالى حكاية عن قوم موسى ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي لئن كشفت عنا

وحفص و«الرجز» بالضم وهو لغة كالذكر. ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ ولا تعط مستكثرًا. نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئًا طامعًا في عوض أكثر نهي تنزيه، أو نهيًا خاصبًا به لقوله عليه السلام: «المستغزر يثاب من هبته» والموجب له ما فيه من الحرص والضنة، أو لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرًا إياها أو على الناس بالتبليغ مستكثرًا به الأجر منهم، أو مستكثرًا إياه. وقرىء «تستكثر» بالسكون للوقف أو الإبدال من تمنن على أنه من منّ بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرًا، وبالنصب على إضمار «أن» وقد قرىء بها،

العذاب. **قوله:** (ولا تعط مستكثرًا) أي لا تعط شيئًا من مالك لتأخذ أكثر منه، فالمن بمعنى الإعطاء. **قوله:** (نهي عن الاستغزار) أي نهي تنزيه في حق جميع المكلفين، فإن الاستغزار ليس بحرام في حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام: «المستغزر يثاب من هبته» أي يعوض منها. والغزارة الكثرة يقال: غزر الشيء يغزر بالضم فيهما غزارة فهو غزير أي كثر يكثر فهو كثير. **قوله:** (أو نهي خاصًا به عليه الصلاة والسلام) أي نهي تحريم فإن حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل، فإن أصل البخل الالتذاذ بإمساك المال وجمعه. **قوله:** (أو لا تمنن على الله بعبادتك) على أنه من باب من عليه منة إذا امتن عليه واعتد بما فعله، وعلى الأول كان من منّ عليه إذا أنعم وأعطى. وقوله: «تستكثر» على الوجهين مرفوع لفظًا لتجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلاً على أنه حال من فاعل «لا تمنن» كقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] أي لاعبين. والسين فيه على الأول للطلب وعلى الثاني للوجدان. وإن قرىء «تستكثر» بالسكون ففيه ثلاثة أوجه: الأول أنه مرفوع لكنه سكن اعتبارًا بحال الوقف وإجراء للوصل مجرى الوقف. والثاني أنه بدل من «تمنن» بدل اشتمال كأنه قيل: ولا تمنن ولا تستكثر فإن شأن أهل الامتنان أن يستكثر ما يعطيه وأن يعتد به، فصح إبداله منه بدل اشتمال. والثالث ما ذكره بقوله: «وتستكثر بمعنى تجده كثيرًا» مع أنه يجوز أن يكون «تستكثر» مجزومًا على أنه جواب النهي على أن يكون المن بمعنى المنة، والمعنى لا تمنن بعطيتك تستكثر وتتزود من الثواب الجزيل سلامة عطيتك من الإبطال بالمن. قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وذكر صاحب الكشاف وجهًا آخر لقراءة السكون وهو قوله: وإن تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفًا.

قوله: (وبالنصب على إضمار أن) ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه و«لا تمنن أن تستكثر» أي لأن تستكثر فيكون المن بمعنى الإعطاء أي لا تعط للاستكثار. ونظير النصب بإضمار «أن» قول الشاعر:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وإبطال عملها كما روي «أحضر الوغى» بالرفع في قول الشاعر:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد الذات هل أنت مخلدي؟

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ ولوجهه أو أمره. ﴿فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ فاستعمل الصبر، أو فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ نفخ ﴿فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت. وأصله القرع الذي هو سبب الصوت. والفاء للسببية. كأنه قال: اصبر على أذاهم فبين أيديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم. و«إذا» ظرف لما دل عليه قوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ خبره «يوم عسير» و«يومئذٍ» بدله أو

بروايته على النصب. **قوله:** (وعلى هذا) أي وعلى تقدير أن يكون أصل الآية: ولا تمنن أن تستكثر جاز أن يكون ارتفاع تستكثر لخلوه عن العوامل اللفظية بسبب حذف «أن» وإبطال عملها لأن «أن» لا تعمل مضمرة إلا في مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية رفع أحضر في قوله:

(ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى)

قوله: (فاستعمل الصبر أو فاصبر على مشاق التكاليف) الأول على أن يجعل «فاصبر» منزلاً منزلة اللازم بأن لا يعتبر تعلقه بما يصبر عليه من الطاعات وما يصبر عنه من المعاصي، والثاني أن يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول لكل مصبور عليه وكل مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادًا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار، كأنه قيل: إذا سمعت هذه التكاليف من الأفعال والتروك فاصبر عليها لأجل أمر ربك أو لوجهه الكريم. ثم إنه تعالى بعد ما أرشد رسوله ﷺ إلى ما هو اللائق بشأنه ومنصبه شرع في شرح وعيد الأشقياء وبيان ما هو المنذر منه في حقهم فقال: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ والنقر في الأصل بمعنى القرع والنكت الذي هو سبب لحدوث الصوت. ومعلوم أن مباشرة ما هو سبب لحدوث الصوت راجع إلى معنى التصويت وجعل الشيء بحيث يظهر منه الصوت، فلذلك فسر المصنف النقر بالتصويت. واتفق المفسرون على أن الناقور الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه الصلاة والسلام مرة للإصعاق ومرة للإحياء وسماه الله تعالى باسمين أحدهما الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ما ينقر فيه. **قوله:** (والفاء للسببية) يعني أنها فاء جواب الأمر كما في قوله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤؛ صٓ: ٧٧] وقولك: أكرم زيدًا فإنه فاضل، فإن الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل

ظرف لخبره إذ التقدير فلذلك الوقت وقوع يوم عسير. ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ تأكيد يمنع أن يكون عسيرًا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين. ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ نزل في الوليد بن المغيرة و«وحيدًا» حال من الياء أي ذرني وحدي معه فإني أكفيكه، أو من التاء أي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحدًا، ومن العائد المحذوف أي ومن خلقته فريد الأمال له ولا ولدًا وذم فإنه كان ملقبًا به فسماه الله تعالى

وذلك إذا كان ما بعدها سببًا لما قبلها كما في الأمثلة المذكورة، وقد يكون ما قبلها سببًا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو: زيد فاضل فأكرمه، فإنها دخلت على ما هو جزاء في المعنى لأن المعنى إذا كان كذا فأكرمه كما أن الأولى داخلة على ما هو شرط في المعنى. وما بعد الفاء في الآية شرط في المعنى أي إذا كان بين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى أنت ثواب صبرك عليه فاصبر والفاء في قوله: «فذلك» فاء الجزاء فإن إذا شرطية وجواب الشرط قوله: ﴿فذلك يومئذٍ يوم عسير﴾ وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل في «إذا» والمعنى: إذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين و«ذلك» مبتدأ و«يوم عسير» خبره و«يومئذٍ» مرفوع المحل على أنه بدل من ذلك وبني على الفتح لإضافته إلى «إذ» وهو غير متمكن كأنه قيل: فيوم إذا نقر في الناقور يوم عسير. **قوله: (إذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير)** جواب عما يرد على قوله: «ويومئذٍ» ظرف لخبر المبتدأ وهو «يوم عسير» من أن يومئذٍ كيف يكون ظرفًا ليوم عسير والزمان لا يكون ظرفًا للزمان وإنما يكون ظرفًا للحدث؟ فأجاب بأن المراد من اليوم العسير وقوعه وأن يومئذٍ ظرف لوقوعه لا لنفس اليوم. ويرد على هذا الجواب أن يومئذٍ كيف يكون ظرفًا للوقوع ومعمول المصدر لا يتقدم عليه، فينبغي أن يكون مراده بكون يومئذٍ ظرفًا لوقوع يوم عسير كونه حالاً من يوم عسير مقدمًا عليه. والمعنى: وقت النقر يوم عسير واقعًا ذلك اليوم العسير يوم النقر. فاليوم الذي عبّر عنه بيومئذٍ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذي حكم عليه بأنه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد واقع في ذلك الزمان الممتد، ولما كان يومئذٍ ظرفًا واقعًا موقع الحال من يوم عسير بمعنى واقعًا فيه عبّر عن هذا المعنى بقوله: إذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير.

قوله: (تأكيد يمنع أن يكون عسيرًا عليهم من وجه دون وجه) جواب عما يقال: ما فائدة قوله: ﴿غير يسير﴾ مع أنه قوله: «عسير» مغن عنه، ووجه كونه تأكيدًا ظاهر ووجه كونه نافيًا لليسر بالكلية أن قوله: «يسير» نكرة في سياق النفي فيعم جميع أفراده. ووجه كونه مشعرًا بيسره على المؤمنين أنه لما أكد كونه عسيرًا على الكافرين كان المعنى: أنه غير يسير بالنسبة إلى الكافرين فكان تعريضًا بأنه يسير على المؤمنين كما أن قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن

به تهكمًا، أو إرادة أنه وحيد ولكن في الشرارة، أو عن أبيه لأنه كان زنيمًا ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ مبسوطًا كثيرًا، أو ممدًا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة. ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ حضورًا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون إلى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته، ولا يحتاج أن يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه، أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم. قيل: كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام.

يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤] تعريض بظل الجنة وهذا أغيظ للكافرين بجمعه بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم. وقوله تعالى: ﴿على الكافرين﴾ متعلق «بعسير» لا «بيسير» لأنه لما لم يجز تقديم المضاف إليه على المضاف كان عدم جواز تقديم معمول المضاف إليه عليه أولى. ثم إنه تعالى لما بيّن أن اليوم الذي ينفخ فيه في الناقور يوم عسير على الكافرين قال له عليه الصلاة والسلام: خل بيني وبين الوليد بن المغيرة الذي نعت في قومه بالوحيد زعمًا منهم أنه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله، وكان ينعت نفسه ويقول: أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي نظير أيضًا، فسماه الله تعالى بذلك تهكمًا واستهزاء كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] هذا على تقدير كون قوله: «وحيدًا» منصوبًا على الذم بتقدير أعني. **قوله:** **(أو إرادة أنه وحيد)** عطف على قوله: «تهكمًا» أي سماه به على إرادة أنه وحيد في الكفر والخبث وأنواع الشرارة، أو على إرادة أنه وحيد عن أبيه أي لا أب له. والزنيم من ألحق بالقوم وليس منهم. **قوله:** **(مبسوطًا كثيرًا)** وصف بأن ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره أيضًا، فإن المال الكثير إذا عد يمتد عدده والمال الذي يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه. قال ابن عباس: كان له مال ممدود ما بين مكة إلى الطائف: الإبل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف، والأشجار والأنهار والنقد الكثير. وقال مقاتل: كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفًا ولا شتاء. فالممدود هنا كما في قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] أي لا ينقطع أو ممدود بالنماء بأن يكون نماء ماله ممدًا لأصله يقال: مددنا القوم أي صرنا مددهم وأمددناهم بغيرنا أو مددناهم بفاكهة. ولما ذكر الله تعالى كثرة أمواله وبنيه بيّن انبساط جاهه ورياسته، فإن الأولين لا يستلزمان الثالث فقال: ﴿ومهدت له تمهيدًا﴾ حذف مفعول مهدت للتفخيم مع الاختصار فأتم الله تعالى فيه نعمة المال والجاه والبنين، واجتماع هذه الثلاث هو الكمال عند أهل الدنيا. وكان الوليد من أكابر قريش ولذلك لقب بالوحيد وريحانة قريش، والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة والراحة وعلى الرزق أيضًا قال عليه الصلاة والسلام: «الولد ريحان الله تعالى» أي رزقه.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد أي باستحقاق الرياسة والتقدم. ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥﴾ على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه أو لأنه لا مزيد على ما أوتي، أو لأنه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم. ولذلك قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦﴾ فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة. قيل: ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان حاله حتى هلك. ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقي من الشدائد. وعنه عليه الصلاة والسلام: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفًا ثم يهوي فيه كذلك أبدًا». ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى: فكر فيما تخيل طعنًا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه. ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩﴾ تعجب من تقديره استهزاء به، أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم: قتله الله ما أشجعه أي بلغ

قوله: (أن أزيد على ما أوتيه) أي أن أزيد عليه في الدنيا لأنه مشرك والمشرك لا يؤمن بالبعث والجزاء حتى يطمع أن يثاب في الآخرة زيادة على ما أوتي في الدنيا. فيكون قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعًا له عن طمعه وطلب الزيادة في الدنيا. ويؤيده ما روي أنه بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا﴾ ما زال في نقصان من ماله وولده ومات فقيرًا. وعن الحسن أنه قال: ثم يطمع أن أزيد فأعطيه مالاً وولدًا كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [مريم: ٧٧] وقال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]. **قوله: (ردع له عن الطمع وتعليل)** بمعنى أن قوله: ﴿كلا﴾ ردع وقوله: ﴿إنه كان لآياتنا عنيدًا﴾ تعليل للردع على سبيل الاستئناف كأنه قيل: لم حرم مما طمع فيه وانعكس حاله؟ فأجيب بأن شأنه أن يعاند آيات الله فكيف يبقى ما أنعم به عليه فضلاً عن أن يزيد عليه. **قوله: (سأغشيه عقبة)** فسر الإرهاق بالإغشاء والتكليف كما في قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٠] وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعد والمعنى: سأكلفه مشقة العذاب. روي عنه عليه الصلاة والسلام: «أن الصعود جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع عليه يده ذابت فإذا رفعها عادت فإذا وضع عليه رجله ذابت فإذا رفعها عادت». **قوله: (أو بيان للعناد)** أي ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿إنه فكر وقدر﴾ بدلاً من قوله: ﴿إنه كان لآياتنا عنيدًا﴾ لبيان كنه عناده فيكون قوله: ﴿سأرهقه صعودًا﴾ جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان أنه مع كونه محرومًا مما طمع فيه من أن يزاد على ما عنده من الأموال والأبناء فهو من أشد أهل النار عذابًا يوم القيامة. **قوله: (استهزاء به أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه)** أي على القرآن يعني أن لفظ «قتل كيف قدر» إنما يذكر عند التعجب والاستفهام وما تخيله طعنًا في

في الشجاعة مبلغًا يحق أن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك. روي أنه مر بالنبي ﷺ وهو يقرأ حمّ السجدة فأتى قومه وقال: لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس والجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى. فقال قريش: صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه. فقعد إليه حزينًا وكلّمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا؟ فقالوا: لا. فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله

القرآن في غاية الركاكة والسقوط. ويحتمل أن يكون تعجبًا من قوة خاطره في نفس الأمر أي أصاب ما لم يبلغ إليه ذهن أمثاله من المعاندين. **قوله**: (**روي أنه مر بالنبي ﷺ**) إشارة إلى كونه معاندًا في إنكار آيات الله تعالى حيث اعترف بأنه يعلو ولا يعلى وبيان لما حمله على التفكير، والتقدير: وهو أنه لما رأى أن القرآن لا يشبه كلام الشعراء ولا كلام الكهنة ولا كلام المجانين ولا شيئًا من كلام الإنس والجن قال: إن له لحلاوة، لاشتماله على المعاني اللطيفة والأحكام الموافقة لمقتضى الحكمة، وإن عليه لطلاوة، وهي بفتح الطاء وضمها يعني الحسن والقبول. والماء الغدق أي الكثير ومكان غدق أي كثير مخصب. وقوله: إن أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق استعارة بالكناية شبّه القرآن العظيم في نفسه بشجرة غضة طرية استحكم أصلها بكثرة الماء في أسفلها وعلا فرعها في السماء، وأثبت له الأعلى والأسفل وأثبت لأعلاه ثمارًا ولأسفله غدقًا على طريق التخييل. ولما رآه كما وصفه وكان مجبولاً على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لا جرم حمله خبث طبعه على أن يتفكر فيما تخيل طعنًا في القرآن وأن يقدر في نفسه ما يقول في حقه.

قوله: (**فقام فأتاهم**) أي فقام الوليد وأتى قريشًا فقال لهم: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقالوا: نقول إنه شاعر. فعبس عندها فقال: قد سمعنا بقول الشعر فما يشبه قوله الشاعر. فقالوا: نحن نقول إنه كاهن. فقال: كيف تقولون ذلك وإنكم لما تجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة. فقالوا: نحن نقول إنه مجنون. فقال: كيف تنسبون إليه الجنون وما رأيتموه يخنق، قال ذلك بناء على زعمهم أن الجن والشياطين تخنق المجنون، فقالوا له: فما تقول في حقه؟ فأخبرهم بما قدر في نفسه أن يقول في حقه عليه الصلاة والسلام فقال: ما هو إلا ساحر وما كلامه إلا سحر يفرق بين الأحبة. فقبلوا منه ذلك ورضوا به فخرجوا من عنده، فجعل ما يلقى أحد منهم النبي ﷺ إلا قال: يا ساحر يا ساحر. واشتد على النبي ﷺ فرجع إلى منزله فتدثر فاضطجع حزينًا متفكرًا في أمره، فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى قوله: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثران هذا إلا قول البشر﴾ يعني أنه كلام الإنس وليس من عند الله. **قوله**:

ولده ومواليه. ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه. ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ تكرير للمبالغة. و«ثم» للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على على أصلها.

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ أي في أمر القرآن مرة بعد أخرى. ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنًا ولم يدر ما يقول، أو نظر إلى رسول الله ﷺ وقطب في وجهه. ﴿وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ اتباع لعبس. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق أو الرسول ﴿وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ عن اتباعه ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ يروي ويتعلم. والفاء للدلالة على أنه لما حضرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ كالتأكيد للجملة الأولى ولذلك لم يعطف عليها. ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ بدل من ﴿سأرهقه صعودًا﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تفخيم لشأنها. وقوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ بيان لذلك أو حال من سقر، والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها

(تكرير للمبالغة) أي للمبالغة في المعنى الذي قصد بإيراده أولاً وهو استعظام حسن تقديره استهزاء واستعظامًا لقوة تخيله في نفس الأمر بعد الدعاء عليه باللعن حتى جيء بكلمة «ثم» للدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ في الاستعظام واللعن من الكرة الأولى، يعني أن كلمة «ثم» في قوله: ﴿ثم قتل﴾ للتراخي بحسب الرتبة وفيما بعده على أصلها أي للتراخي بحسب الزمان أي ثم أعاد النظر والتأمل في طلب ما يدفع به القرآن ويرد ما رجا أن يتضح له ما لم يطلع عليه في المرة الأولى فلم يتهيأ له ذلك، فلذلك عبس أي كلح وقطب ما بين عينيه وقبضه تغيظًا من عدم وجدانه ما يدفع به القرآن، فاضطر إلى أن قال: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أي يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه من قولك: آثرت الحديث آثره أثرًا إذا حدثت به عن قوم في آثارهم أي بعد ما ماتوا. هذا هو الأصل في إطلاقه، ثم صار بمعنى الرواية عن الغير مطلقًا. **قوله: (والفاء للدلالة)** بمعنى أنه تعالى لم يقل: ثم قال إن هذا للدلالة على أن الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد طلب ما يطعن به في القرآن ولم يتمالك أن يتفوه بها من غير تلبث حيث لم يجد غير ذلك قالها عتوًا وعنادًا لا عن اعتقاد، لما روي أنه قال حين سمع حم السجدة: لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس والجن، فكيف يقول بعد ذلك: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ عن اعتقاد. انتهى. **قوله: (بيان لذلك)** أي لما أجمل من فخامة شأنها أي لا تبقي لهم لحمًا إلا أكلته، ولا تذرهم إذا أعيدوا حلقًا جديدًا إلا أكلتهم مرة أخرى وهكذا أبدًا. **قوله: (والعامل فيها معنى التعظيم)** أي المستفاد من «ما» الاستفهامية في قوله: ﴿ما سقر﴾ فإنه يستنبط منها معنى التعظيم والمعنى: استعظم أمرها في كونها لا تبقى ولا تذر. **قوله: (لا تبقي على شيء يلقى فيها)** أي لا تترحم عليه. وفي الصحاح: أبقيت عليه إذا رعيت عليه ورحمته يقال: لا أبقى الله

ولا تدعه حتى تهلكه ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ مسودة لأعالي الجلد، أو لائحة للناس. وقرئت بالنصب على الاختصاص.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ ملكًا أو صنفًا من الملائكة يلون أمرها. والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي

عليك إن أبقيت عليّ. وفيه أيضًا يقال: أرعيت عليه إذا أبقيت عليه ورحمته. **قوله: (ولا تدعه حتى تهلكه)** يعني أنها لا تقنع بمجرد التعذيب بنوع من أنواع العذاب بل تبالغ في تعذيبه إلى أن تهلكه. وقيل: قوله ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتأكيد كقولك: صدعني وأعرض. **قوله: (مسودة لأعالي الجلد)** فسر قوله: ﴿لواحة﴾ بمسوّدة ومغيرة للبشرة وأعالي الجلد أي ظولهره إشارة إلى أن «لواحة» اسم فاعل مبني للمبالغة من لاحه السفر والعطش أي غيّره وسوّده وهي لواحة أي مغيرة ومسودة. قيل: تلفح وجوههم النار لفحة تدعها أشد سوادًا من الليل. والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد البشرة لا ينافي قوله تعالى: ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ لأن ذلك بعد الإلقاء فيها والتسويد قبله. **قوله: (أو لائحة للناس)** على أن «لواحة» اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر. وقيل: لواحة للتهويل والبشر بمعنى الناس. قيل: إنها تلوح للناس من مسيرة خمسمائة عام قال الله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] وقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧]. **قوله: (وقرئت بالنصب)** أي بتقدير أعني. وقيل: منصوبة على أنها حال من سقر والعامل معنى التعظيم، أو من المنوي في لا تبقي ولا تذر. وقرأ الجمهور «لواحة» بالرفع بتقدير هي لواحة. **قوله: (ملكًا أو صنفًا)** يعني أن تمييز «تسعة عشر» يحتمل أن يكون الأشخاص الذين يلون أمر سقر ويسلطون على أهلها من الملائكة وأن يكون أصنافًا منهم ولا يعلم عدد كل صنف منهم إلا الله. وقيل: هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء، وأما جملة أشخاصهم فكما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] روي أن خزنة النار تسعة عشر ملكًا مالك ومعه ثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة والرأفة يرفع الواحد منهم سبعين ألفًا في كفه فيرميهم حيث أراد في جهنم.

قوله: (والمخصص لهذا العدد) قال أرباب الحكمة في وجه اختصاص خزنة النار بهذا العدد: إن سبب فساد النفوس الإنسانية في قواها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية، أما القوى الحيوانية فهي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب

عشرة والطبيعية السبع، أو أن لجهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعًا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعًا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف، أو أن الساعات أربع وعشرون خمس منها مصروفة في الصلاة فتبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بأنواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرىء «تسعة عشر» بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد

مجموعها اثنتا عشرة، وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسع عشرة. فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة لا جرم كان عدد الزبانية هكذا فاستولى على الإنسان ملك أو صنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه القوى التي كل واحدة منها نعمة إلٰهية يتوسل بها إلى الاستكمال بحسب القوى النظرية والعملية، وقد توسل بها إلى معصية من أنعم بها عليه. والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تخص الحيوان من بين المولدات الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان: مدركة وفاعلة فالمدركة عشر وهي التي لها مدخل في الإدراك بالمشاهدة أو الحفظ وهي الحواس الظاهرة والباطنة. والفاعلة اثنتان: الشهوة والغضب والقوى الطبيعية وهي التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات أيضًا سبع ثلاث منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة، وأربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة. **قوله:** (ست منها لأصناف الكفار) وهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس، وأهل كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها لأمور ثلاثة: ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل فيكون في كل دركة ثلاثة أنواع من العذاب كل نوع يناسب أمرًا من تلك الأمور الثلاثة التي هي أسباب تعذيبهم فيها فيكون في ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعًا من العذاب يلي أمر كل نوع من هذه الأنواع شخص من الزبانية، أو صنف منهم فيكون مجموع أشخاص الزبانية أو أصنافها ثمانية عشر. وأما دركة الفساق فإنهم لا يعذبون فيها إلا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة يستولي على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك أو صنف واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر. **قوله:** (أو ان الساعات أربع وعشرون) يعني خصت أعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على أن الساعات التي خصت لتصرف في المعصية كذلك، فكان أعداد من يتولى تعذيب العصاة أيضًا تسعة عشر على عدد ساعات المعصية فيتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة الواقعة في ساعة واحدة من تلك الساعات. **قوله:** (فيما هو كاسم واحد) فإن تسعة عشر ليس اسمًا واحدًا في الأصل وإنما جعل اسمًا واحدًا بالتركيب، فإن أصله

وتسعة عشر جمع عشير كيمين وأيمن أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم أو جمع عشر فيكون تسعين. ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون إليهم، ولأنهم أقوى الخلق بأسًا وأشدهم غضبًا لله تعالى. روي أن أبا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش: أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم. فنزلت. ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسمًا واحدًا ولذلك بني الاسم الأول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبني الاسم الثاني أيضًا لتضمنه معنى حرف العطف. وهذا الاسم المركب في الآية في محل الرفع على الابتداء و«عليها» خبره وكثرة الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة يوجب الثقل فلذلك أسكن أول الاسم الثاني للتخفيف وجعل ذلك أمارة لقوة اتصال أحد الاسمين بالآخر انتهى. **قوله:** (وتسعة أعشر جمع الخ) يعني أن تسعة اسم عدد أضيف إلى مميزه وهو أعشر جمع عشير يعني معاشر ومصاحب، كأنه قيل: عليها تسعة ملائكة كل واحد منهم معاشر جماعة ومدبر أمرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم. **قوله:** (ولا يستروحون) أي لا يميلون ولا يلاينون مع المعذبين. وفي الصحاح: استروح إليه أي استنام. وفيه أيضًا استنام إليه أي سكن إليه واطمأن. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم. قال ابن أبي كبشة: إن خزنة النار تسعة عشر يخوفكم بهم وأنتم الجمع العظيم، وروي وأنتم البهم أي الشجعان الأقوياء، أيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار؟ فقام أبو الأسود بن أسيد بن كلدة وهو رجل من بني جمح وكان من شجعان العرب وأقويائهم وكان يقوم على أديم ويجتمع جماعة على أن يجروه من تحت رجليه ويزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا وينقطع الأديم قطعًا قطعًا ورجله ثابتة على حالها. فقال: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة فأنا أمشي بين أيديكم على الصراط فارفع عشرة بمنكبي الأيمن وعشرة بمنكبي الأيسر عن النار ونمضي حتى ندخل الجنة. وروي أنه قال: أنا أكفيكم سبعة عشر منهم فاكفوني أنتم اثنين منهم. فلما قال أبو جهل وأبو الأسود ذلك قال المسلمون: ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين. فجرى هذا مثلاً في كل شيئين لا تساوي بينهما. والمعنى: لا تقاس الملائكة بالسجانين. والحداد السجان الذي يحبس الناس ويمنعهم من الخروج من السجن فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي لم نجعلهم من جنسكم فتساوونهم فإن قوة واحد منهم أعظم من قوة الإنس والجن جميعًا فلا يطيقهم البشر ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفين للمعذبين فيها بحسب الجنس لئلا يرقوا لهم.

وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر. فعبّر بالأثر عن المؤثر تنبيهًا على أنه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين. ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد ﷺ وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقًا لما في كتابهم.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بالإيمان به أو بتصديق أهل الكتاب له. ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ

قوله: (وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم) جواب عما يقال: إن جعل من نواسخ الابتداء فوجب أن يكون مفعوله الثاني مما يصح أن يحمل على مفعوله الأول، ولا يصح أن يحمل فتنة الكفار على عدد الزبانية. وتقرير الجواب أن المراد بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، إلا أنه وضع قوله: ﴿فتنة للذين كفروا﴾ موضع تسعة عشر لكون افتتان الكفار أثرًا للعدد المذكور فعبّر عن المؤثر بلفظ الدال على الأثر تنبيهًا على أن الأثر من لوازم ذلك المؤثر. ثم بيّن أن الكفار افتتنوا بالعدد المذكور من جهة استقلالهم إياه واستبعادهم أن يكون هذا العدد وافيًا بتعذيب أكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم به قائلين لم لم يكونوا عشرين وكانوا أقل منه بواحد. **قوله:** (ولعل المراد الجعل بالقول) جواب عما يقال: كيف يصح جعلهم في نفس الأمر على هذا القدر معللاً وسببًا لاستيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيمانًا واستبعاد أهل الشك والنفاق، وليس إيجادهم وإحداثهم تسعة عشر سببًا لشيء من ذلك وإنما السبب ما ذكر من الأمور هو الإخبار عن عددهم بأنه تسعة عشر؟ وتقرير الجواب أن الجعل يطلق على معنيين: أحدهما جعل الشيء متصفًا بصفة في نفس الأمر وثانيهما الإخبار باتصافه بها ويقال له الجعل بالقول كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] ولعل المراد بالجعل المذكور في الآية الجعل بالمعنى الثاني والمعنى: وما جعلنا عدتهم بالإخبار عنها إلا عددًا يلزم افتتان الكفار به لاستيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيمانًا واستبعاد أهل الشك والنفاق إياه، فحينئذٍ يظهر وجه السببية. وعبّر عن الإخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة لوقوعه في صحبة قوله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ كقوله: قلت: اطبخوا لي جبة وقميصًا. **قوله:** (لما رأوا ذلك موافقًا لما في كتابهم) فإن العدد المذكور لما كان موجودًا في كتابهم، وأنه عليه الصلاة والسلام أخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم أنه عليه الصلاة والسلام إنما علم ذلك بسبب الوحي الإلٰهي فيستيقنون بنبوته عليه الصلاة والسلام وبكون القرآن كلام إلٰهيًا. **قوله:** (بالإيمان به أو بتصديق أهل الكتاب له) فعلى الأول يكون المراد بالازدياد الازدياد بحسب الكمية لازدياد

﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان، أو نفي لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك أو نفاق. فتكون الآية إخبارًا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجازمون في التكذيب. ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل.

متعلقه، فإن الإيمان قد كان يزداد به يومًا فيومًا في زمان الوحي بحسب ازدياد ما يجب الإيمان به، فإن من آمن بجميع ما جاء من عند الله قبل نزول ما يدل على عدد الزبانية إذا نزل عليهم قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ فآمنوا به أيضًا فلا شك أنه يزداد إيمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه. وعلى الثاني يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم قوة بتصديق أهل الكتاب به وبموافقة كتابهم لكتاب أولئك كما استيقن أولئك لموافقة كتابهم لكتابنا. **قوله: (وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الإيمان)** جواب عما يقال: لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين؟ فما الفائدة في قوله بعد ذلك: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾؟ وتقرير الجواب الأول كونه تأكيدًا، وتقرير الجواب الثاني أن المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن مقدمة من مقدمات دليله أو طريان ما يتوهم كونه واقعًا أو معارضًا لتلك المقدمة فثبوت اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان أن المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل أن يكونا بحيث لا يطرأ عليهما شك وارتياب أصلاً. **قوله: (فتكون الآية إخبارًا بمكة)** جواب عما يقال: كيف يصح أن يفسر المرض بالنفاق؟ والحال أن السورة مكية من أوائل ما نزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لأن أهلها إما مكذب قاطع بالتكذيب، أو شاك غير مصدق ولا مكذب، وإما مؤمن حقًا والنفاق إنما حدث بالمدينة بعد الهجرة إليها. وتقرير الجواب أن قوله تعالى: وليقول المنافقون والكافرون لا يقتضي تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز أن يكون مبنيًا على أنه قد تقرر في علم الله تعالى أنه سيحدث قوم منافقون يقولون ذلك، فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام حيث أخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق إخباره. فإن قيل: كيف يصح أن يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا أراد الله بهذا مثلاً مقصودًا من الإخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور كفر وضلال، فكيف يصح أن يريده الله تعالى؟ فالجواب أنه لا إشكال فيه على أصلنا لأنه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قوله: (المستغرب استغراب المثل) إشارة إلى أن إطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهه بالمثل المضروب الذي هو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقدًا تامًا كعشرين أو ثلاثين وكان ناقصًا عنه بواحد والاستفهام فيه للإنكار والمراد بإنكاره أنه

وقيل: لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين. ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ جموع خلقه على ما هم عليه. ﴿إِلَّا هُوَۚ﴾ إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة. ﴿وَمَا هِيَ﴾ وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ إلا تذكرة لهم. ﴿كَلَّا﴾ ردع لمن أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها. ﴿وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ

من عند الله. وقوله: ﴿مثلاً﴾ تمييز لهذا أو حال منه كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]. **قوله**: (وقيل لما استبعدوه) أي لما كان هذا العدد عددًا عجيبًا ظن القوم أن ليس مراد الله تعالى منه ما اشتهر به ظاهره بل جعله مثلاً لشيء آخر وتنبيهًا على مقصود آخر كسائر الأمثال السائرة فسموه مثلاً بالمعنى العرفي، فإن قيل: القوم كانوا منكرين كون القرآن من عند الله تعالى فكيف قالوا: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾؟ أجيب بأن الذين في قلوبهم مرض إن كان المراد بهم المنافقين فهم كانوا مقرين في الظاهر بأن القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان، وإن كان المراد بهم الكفار فيجوز أن يقولوا ذلك على سبيل التهكم أو على سبيل الفرض والاستدلال بأن القرآن لو كان من عند الله لما كان فيه مثل هذا الكلام. **قوله**: (مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى) إشارة إلى أن محل الكاف في ﴿كذلك﴾ النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي يضل إضلالاً مثل ذلك، وأن ذكره إشارة إلى ما تقدم ذكره من الإضلال والهدى في قوله: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون﴾ وفي قوله: ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر: ٣١] أي كإضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم يضل ويخزي من يشاء ويهدي ويرشد من يشاء كإرشاد الصحابة. ثم إن أبا جهل لما استقل خزنة جهنم وقال: ليس لتعذيب العصاة من الجنود إلا تسعة عشر قال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ والمراد من بيان كثرتها التنبيه على أنه تعالى لا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين، ولكن له تعالى في اختيار هذا العدد حكمة لا يعلمها إلا هو. ويحتمل أن يكون المعنى: وما يعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله تعالى لتعذيب أهل النار إلا هو، وكون خزنة النار تسعة عشر لا ينافي أن يكون لهم من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلا الله. **قوله**: (وما سقرًا وعدة الخزنة أو السورة إلا ذكرى) فإن سقر بما ذكر من صفاتها من كونها لا تبقي ولا تذر الخ تذكرة للبشر أي إنذار لهم بسوء عاقبة الكفر والعناد وكذا ذكره عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى، وأن لا يحتاج في تعذيب الكفر والعصاة إلى أعوان وأنصار. وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الإنذار وغيره.

أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ أي أدبر كقبل بمعنى أقبل. وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص «إذ أدبر» على المضي. ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أضاء ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ لأحدى البلايا الكبر أي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وإنما جمع كبرى على كبر إلحاقًا لها بفعله تنزيلاً للألف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع. والجملة جواب

قوله: (وحفص إذ أدبر) أي بسكون الذال وأدبر على وزن أفعل. والباقون «إذا أدبر» بفتح الذال وألف بعدها و «دبر» على وزن فعل ودبر وأدبر بمعنى ذهب ومضى كأقبل وقبل من اختار إذا قال لأن ما بعده إذا أسفر وأيضًا هي في مصحف عبد الله مكتوبة بألفين بعد الذال أحدهما ألف إذا والأخرى همزة أدبر، وأيضًا ليس في القرآن قسم يعقبه إذ بسكون وإنما يعقبه «إذا». واختار ابن عباس «إذ» بالسكون ويحكى عنه أنه لما سمع دبر قال: إنما يدبر ظهر البعير. واختلف أهل اللغة في أن دبر وأدبر هل هما بمعنى واحد أو لا؟ فقال الفراء والزجاج: إنهما بمعنى واحد والإدبار نقيض الإقبال، وكذا الدبور والقبور، يقال: مضى أمس الدابر وأمس المدبر. وقيل: قول العرب دبر فلان معناه جاء من خلف، وقولهم: أدبر الليل النهار بمعنى خلفه وجاء بعده، فعلى هذا معنى إذا أدبر إذا أقبل بعد مضي النهار.

قوله: (أي البلايا الكبر كثيرة) تعريف البلايا الكبر للعهد والمعهود دركات جهنم. ويجوز أن يكون للجنس ويكون المعنى: إن جنس البلايا الكبيرة كثيرة وسقر واحدة منها، ومعنى كونها واحدة منها أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول: هو أحد الرجال وهي إحدى النساء. ويؤيد الأول ما روي عن مقاتل والكلبي أنهما قالا: أراد بالكبر دركات جهنم وأبوابها وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهن. **قوله:** (وإنما جمع كبرى على كبر) يعني أن فعلى يجمع على فعال كحبلى وحبالى ولا يجمع على فعل بل هو جمع فعله نحو: ركبة وركب، فينبغي أن لا يجمع كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلاً لكبرى منزلة كبرة بتنزيل ألف فعلى منزلة تاء فعلة، كما جمع قاصعاء على قواصع تنزيلاً لها منزلة قاصعة مع أن فاعلاء لا يجمع على فواعل إذ هو جمع فاعلة لا جمع فاعلاء. وفي الصحاح: شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا ألف التأنيث بمنزلة الهاء. **قوله:** (والجملة) أي جملة قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ جواب القسم فإن القسم في قوله: ﴿والقمر﴾ مقسم به مجرور بواو القسم و«الليل» و«الصبح» معطوفان عليه كأنه قيل: بحق هذه الأمور أن سقر لإحدى الكبر، فيكون القسم مع جوابه جوابًا لمن أنكر سقر وكونها إحدى الكبر بعد ردعه عن إنكاره بقوله: ﴿كلا﴾ فإن القسم «وإن» واللام إنما يصدر بها الكلام مع المنكر.

القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد. ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ تمييز أي لإحدى الكبر إنذارًا أو حال مما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة. وقرىء بالرفع خبرًا ثانيًا أو خبر المحذوف.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ بدل من للبشر أي نذيرًا للمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء خبر لأن يتقدم فيكون في معنى قوله: ﴿فَمَن شَآءَ

قوله: (**أو تعليل لكلا**) أي للأمر بالارتداع كأنه قيل: ارتدع عن إنكار سقر لأنها إحدى الكبر وتأكيد الجملة «بأن» واللام لوقوعها جوابًا للمنكر لا لوقوعها جوابًا للقسم، وجواب القسم محذوف كأنه قيل: والقمر إن الأمر كذلك. والقسم وجوابه جملة وقعت معترضة بين الأمر بالارتداع وعلته. وهذا على تقدير كون قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعًا لمن أنكر سقر وكونها من إحدى الكبر فإنه حينئذٍ يجوز أن يكون قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ جوابًا وتعليلاً كما قررنا. وأما إن كان قوله: ﴿كلا﴾ إنكارًا من الله تعالى لأن يتذكروا بها فلا وجه حينئذٍ لأن يكون قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ تعليلاً لـ ﴿كلا﴾ بالمعنى المذكور ويتعين كونه جوابًا للقسم ويكون تصدير الجملة بالمؤكدات مبنيًا على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر. **قوله:** (**تمييز**) أي من نسبة إحدى الكبر إلى اسم «إن» فيصح أن ينتصب على التمييز كأنه قال: إنها من معظمات الدواهي من جهة كونها نذيرًا كما تقول: هي إحدى النساء زمانًا على قوله من يقول النار هي المنذرة، وحذفت التاء من نذيرًا كما في قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي شيء قريب أو ذات قرب منهم على معنى النسب كقولهم: امرأة طالق وطاهر أو لتأويل النار بالعذاب. **قوله:** (**أو حال مما دلت عليه الجملة**) لم يجعله حالاً من ضمير «إنها» لأن الحروف المشبهة لا تنصب الحال. **قوله:** (**بدل من للبشر**) بإعادة الجار كقوله تعالى: ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ﴾ [الأعراف: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿أن يتقدم﴾ مفعول «شاء» والمعنى: إن العبد متمكن من السبق إلى الخيرات بالإيمان والطاعات ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان أي نذيرًا لمن شاء التقدم إلى الخير والجنة بالطاعة أو التأخر عنه بالمعصية، فمن أراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن أراد الشر فهو متمكن منه أيضًا فليفعل. وفيه نوع تهديد كما في الوجه الثاني فإن قلت: قد تقرر أن مفعول «شاء» وأراد لا يذكر في الكلام الفصيح إلا أن يكون فيه غرابة فأي غرابة فيه حتى ذكره في هذا الوجه دون الوجه الثاني؟ والجواب أن اختيار التأخر والحرمان عن الخير مع التمكن من التقدم والفوز بالخير أمر غريب، وأن المعنى أنها لإحدى الكبر نذيرًا للكافرين المتمكنين من فعل الخير مع التمكن من فعل الطاعة والمعصية فعبّر عنه بقوله: ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾. **قوله:** (**أو لمن شاء خبر لأن يتقدم**)

فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة أطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل: رهين. ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم. وقيل: هم الملائكة أو الأطفال. ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ لا يكتنه وصفها وهي حال من أصحاب اليمين أو من ضميرهم في قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ أي يسأل بعضهم بعضًا أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك: تداعيناه أي دعوناه. وقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين أجابوا بها. ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ الصلاة الواجبة. ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ما يجب إعطاؤهم. وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع. ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ نشرع في الباطل مع الشارعين فيه. ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ آخره لتعظيمه أي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة.

فلا يكون «أن يتقدم» مفعول «شاء» بل يكون في محل الرفع على الابتداء و «لمن شاء» خبر قدم عليه، ومحصول المعنى أنه لا قسر ولا إلجاء بل المكلف مختار في كل ما أتاه أو تركه فليفعل ما أراده. وفيه نوع تهديد كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. **قوله: (ولو كانت صفة لقيل رهين)** لأن فعيلاً إذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، فعلم أن التاء فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول أي اسم لما يرهن، والتاء التي فيه للدلالة على كونه منقولاً من الوصفية إلى الاسمية، فإن الصفة إذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا تحتاج إلى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلاً على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح، فيصح أن يقال: كل امرىء رهينة كما يقال: كل نفس رهينة أي محبوسة من قولهم: رهن الشيء أي دام وثبت وأرهنته كذا أي تركته ثابتًا مقيمًا عنده، والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون، ونفس المكلف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما أوجبه عليه من التكاليف التي هي خالص حقه فإن أداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والأتقى نفسه محبوسة عنده تعالى. **قوله: (وقيل هم الملائكة أو الأطفال)** فإنهم ليسوا بمكلفين بالأعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق الله تعالى. فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا لأن النفوس المرهونة هي نفوس المكلفين والملائكة، وأطفال المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يدخلون في المستثنى منه إلا أن تعم النفس الكل. **قوله: (أو من ضميرهم)** عطف على أصحاب اليمين. **قوله تعالى: (يتساءلون)** يجوز أن يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى أن أصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضًا عن أحوال المجرمين، ويجوز أن يكون بمعنى يسألون أي يسألون غيرهم عن أحوال المجرمين، فإن تفاعل قد

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموت ومقدماته. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ لو شفعوا لهم جميعًا. ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي معرضين عن التذكير يعني القرآن، أو ما يعمه و«معرضين» حال.

﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾﴾ شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة أي أسد فعولة من القسر وهو القهر. وقرأ نافع وابن عامر «مستنفرة» بفتح الفاء. ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾﴾ قراطيس تنشر وتقرأ، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كلامنا

يجيء بمعنى فعل كما يقال: تداعينا أي دعونا. وعلى التقديرين ليس المجرمون مسؤولاً عنهم بل هم المسؤول منهم فلا بد من توجيه مجيء «عن» فإن قوله: ﴿ما سلككم في سقر﴾ سؤال للمجرمين وقوله: ﴿يتساءلون عن المجرمين﴾ سؤال عنهم فلا يتطابقان، وإنما يتطابقان لو قيل: يسألون المجرمين ما سلككم في سقر؟ وتوجيه الكلام أن قوله: ﴿ما سلككم في سقر﴾ مع جوابه حكاية من قبل المسؤولين لما جرى بينهم وبين المجرمين من السؤال والجواب، والمعنى: أن أصحاب اليمين لما تساءلوا بأن سأل بعضهم بعضًا أو بأن سألوا غيرهم عن المجرمين قال المسؤولون في جواب من سألهم قلنا لهم: ﴿ما سلككم في سقر﴾ فأجابوا بأن قالوا: ﴿لم نك من المصلين﴾ الخ إلا أن الكلام جيء على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه.

قوله تعالى: (فما تنفعهم) الفاء فيه سببية دخلت على المسبب أي إذا ثبت أنهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت أنه لو فرض اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لما نفعتهم شفاعتهم. ثم إنه تعالى لما بيّن أن من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لا محالة بحيث لا ينفعه شفاعة الشافعين بأسرهم عجب من إصرار كفار مكة على الكفر والعناد وإعراضهم عن التذكير بالقرآن فقال: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ وكلمة «ما» في محل الرفع بالابتداء و«لهم» خبره و«معرضين» حال من الضمير المجرور في «لهم» و«عن التذكرة» متعلق «بمعرضين» والعامل في الحال معنى الاستقرار المدلول عليه باللام الجارة في «لهم» و﴿كأنهم حمر﴾ حال بعد حال والاستفهام في «ما لهم» للإنكار أي أي شيء ثبت لهم معرضين عن وعظه مشابهين «حمر» أو «مستنفرة» بكسر الفاء بمعنى نافرة، فإن استنفر ونفر بمعنى كعجب واستعجب وسخر واستسخر واستنفر أبلغ من نفر كأنه يطلب من نفسه النفار. وقرىء بفتح الفاء أيضًا أي مذعورة منفرة نفرها الصائد كأنه طلب منها النفار. **قوله:** (أي أسد) عن ابن عباس رضي الله عنه: أن القسورة هو الأسد بلسان الحبشة سمي بالقسورة لأنه يغلب السباع ويقهرها، والحمر الوحشية إذا عاينت الأسد تهرب فكذا المشركون إذا سمعوا القرآن ورأوا

بكتاب من السماء فيه من الله إلى فلان أن اتبع محمدًا. ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن اقتراحهم الآيات. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف. ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن إعراضهم. ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ وأي تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ أن يذكره ﴿ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذكرهم أو مشيئتهم كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله. وقرأ نافع «تذكرون» بالتاء وقرىء بهما مشددًا. ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ حقيق بأن يتقى عقابه. ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ حقيق بأن يغفر عباده سيما المتقين منهم. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة».

من يذكرهم به. وقوله تعالى: ﴿بل يريد﴾ إضراب عن إعراضهم إلى ما هو أقبح من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزاء. قوله: (فيه من الله تعالى إلى فلان) أي لن نتبعك حتى يصبح عند رأس كل واحد منا كتاب عنوانه: هذا كتاب من عند الله رب العالمين إلى فلان ابن فلان أن اتبع محمدًا فإنه رسول من قبلي إليكم. ثم أضرب وأبطل أن يكون اتباعهم إياه عليه الصلاة والسلام لعدم إيتاء الصحف وبيّن أن ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال: ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ ثم قال: ﴿كلا﴾ ردعًا لهم عن الإعراض عن التذكرة، ثم أثبت كونه تذكرة بليغة فقال: ﴿إنه تذكرة﴾. قوله: (فمن شاء أن يذكره) أي أن يجعله على ذكر منه ويتعظ به ذكره أي جعله نصب عينه لأن نفع ذلك راجع إليه وأنه ممكن من ذلك. قرأ الجمهور و«ما يذكرون» بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ما تقدم في قوله: ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ وقرأ نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وقرىء بتشديد الذال والكاف بالتاء والياء أيضًا بمعنى يتذكرون وتتذكرون. قوله: (وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة الله تعالى) كما هو مذهب أهل السنة. وقالت المعتزلة: المعنى إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه. ونحن نقول: تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر بلا دليل. تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين.

سورة القيامة

مكية وآيها تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ إدخال «لا» النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم. قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدّعي القوم أني أفرّ

سورة القيامة

أربعون آية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد) أي لتأكيد القسم شائع أراد بـ «لا» النافية ما هو في صورة النافية بشهادة قوله: «للتأكيد» فإن ما تكون للتأكيد لا تكون نافية كما أن النافية لا تكون مؤكدة. وكلمة «ما» و«لا» كثيرًا ما تكون صلة زائدة كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] وقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقول امرىء القيس:

(لا وأبيك ابنة العامري لا يدّعي القوم أني أفرّ)

والمعنى: وأبيك لا يدّعي القوم، فكذا معنى الآية: أقسم بيوم القيامة. **قوله: (ابنة العامري)** منادى حذف منه حرف النداء أي يا ابنة العامري أنا لا أفر من الحرب وأنا مشهور

وقد مر الكلام فيه في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] وقرأ قنبل «لأقسم» بغير ألف بعد اللام، وكذا روي عن البزي. ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها، أو التي تلوم نفسها أبدًا وإن اجتهدت في الطاعة، أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة، أو بالجنس لما روى عليه الصلاة والسلام قال: «ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيرًا قالت: كيف لم ازدد؟ وإن عملت شرًا قالت: ليتني ما كنت قصرت». أو نفس آدم فإنها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها إلى يوم القيامة لأن المقصود من إقامتها مجازاتها.

متميز بذلك حتى لا يدّعي ذلك أحد. ويجوز أن يكون مراده أن كلمة «لا» في الآية لنفي ما ينافي المقسم عليه ورد من قال بذلك، فكأنه قيل: ليس الأمر كما يزعم منكرو البعث. ثم استأنف القسم فقال: أقسم بيوم القيامة إنكم لتبعثن، ومعنى قوله: «للتأكيد» أي لنفي ما ينافي المقسم عليه تأكيدًا للقسم. وجواب القسم في الآية محذوف يدل عليه قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ إذ هو لا يصلح جوابًا لكونه جملة إنشائية، كأنه قيل: أقسم بيوم القيامة إنكم لتبعثن، ثم أكد هذا المعنى بالإنكار على حسبان أنه تعالى لا يقدر على إحياء من في القبور بجمع عظامهم النخرة وأجسادهم البالية المتلاشية. ويحتمل أن يكون مراده أن كلمة «لا» ههنا لنفي القسم والمعنى: لا أقسم بيوم القيامة على حقية البعث والقيامة لأن هذا المطلوب أعظم وأجل من أن يقسم عليه، ويكون المقصود تأكيد المقسم عليه وتفخيم شأنه وبيان استغنائه عن الإقسام عليه. **قوله: (أو بالجنس)** يعني أن قوله تعالى: ﴿اللوامة﴾ إما صفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتي تلوم المقصرين في التقوى، وإما مؤكدة بناء على تعريف الجنس وإن كان للعهد والمعهود النفس المتقية إلا أنها تلوم نفسها أبدًا. ثم ذكر احتمال أن يكون المعهود النفس المطمئنة أي المستقرة الثابتة على الحق المتقية بحيث لا تلتفت عنه إلى ما سواه. فإن القوة العاقلة إذا أخذت في سلسلة الأسباب والمسببات وانتهت في مدارج الارتقاء إلى واجب الوجود لذاته الذي هو مستغن عن جميع ما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وأن جميع ما سواه يحتاج إليه في جميع شؤونه فلا جرم تقف عنده وتطمئن إليه ولا تنتقل عنه إلى غيره، فتثبت في مقام العبودية فلا يزعجها عنه شيء من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية، فهذه النفس المعهودة لوامة للنفس الأمارة والمطمئنة إلى الحق المستغرقة في بحار معرفته وملاحظة جلاله وجماله أخص من المتقية عما يؤثم. ثم ذكر احتمال أن يكون تعريف النفس للاستغراق وتكون اللوامة صفة مؤكدة.

قوله: (وضمها إلى يوم القيامة) جواب عما يقال: ما المناسبة بين القيامة وبين النفس

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني الجنس، وإسناد الفعل إليهم لأن منهم من يحسب أو الذي نزل فيه وهو عدي بن أبي ربيعة سأل رسول الله ﷺ عن أمر القيامة فأخبره به فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك. أو يجمع الله هذه العظام ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ بعد تفرقها. وقرىء «أن لن نجمع» على البناء للمفعول. ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام، أو على أن نسوي بنانه التي هي أطرافه فكيف بغيرها؟ وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى. وقرىء بالرفع أي نحن قادرون. ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهامًا وأن يكون إيجابًا لجواز أن يكون الإضراب عن

اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما في القسم؟ وتقرير الجواب أنه تعالى أقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين أي لأمره وحكمه بذلك إظهارًا لعظمته، فإنه أمر عظيم الشأن تظهر فيه الأشياء بحقائقها فصح لذلك أن يجعل مقسمًا به. وجعلت النفس اللوامة أيضًا مقسمًا بها لما بينهما من المناسبة من حيث إن المقصود من البعث وإقامة القيامة مجازاة النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منها وهو من بدائع القسم من حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث أقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء كقول أبي تمام:

وثـنـايـاك أنـهـا أغـريـض

كما مر في سورة الزخرف. **قوله**: (**أو يجمع الله**) بفتح الواو العاطفة بعد همزة الاستفهام أي أيبعث ويجمع. و«أن» في قوله تعالى: ﴿أن لن نجمع عظامه﴾ مخففة من الثقيلة أي أيحسب الإنسان أنه لن نجمع عظامه؟ وبلى إيجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع كأنه قيل: بلى نجمعها. و«قادرين» حال مؤكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر بعد «بلى» أي بلى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها وإعادتها إلى التركيب الأول. والسلاميات عظام الأصابع واحدتها سلامى، والبنانة واحدة البنان وهي أطراف الأصابع. ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار أقدر، أو ومن قدر على جمع الحواشي والأطراف فهو على جمع الأصول والأساس أقدر. **قوله**: (**فيجوز أن يكون استفهامًا وأن يكون إيجابًا**) يعني على تقدير أن يكون قوله: ﴿بل يريد﴾ معطوفًا على ﴿أيحسب﴾ يجوز أمران: الأول أن يكون المعطوف استفهامًا إنكاريًا كالمعطوف عليه، وتقدير الكلام: بل أيريد استفهم عن شيء أو لا؟ ثم أضرب عن الاستفهام عنه إلى الاستفهام عن أمر آخر كأنه قيل: منشأ إنكار البعث هل هو حسبان عجزنا عن البعث وجمع الأجزاء أو إرادة أن يدوم على ما اعتاده من المعاصي وأنواع الفجور أمامه أي فيما يستقبله من الزمان؟ وهو قول المصنف

المستفهم أو عن الاستفهام. ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان. ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ متى يكون استبعادًا واستهزاء. ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾

لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم أي مع بقاء أصل الاستفهام على حاله. والأمر الثاني أن يكون المعطوف إيجابًا استفهم أولاً على سبيل الإنكار على حسبانه. ثم أضرب عن أصل الاستفهام إلى الإخبار عن حاله بما هو أدخل في اللوم عليه من الأول كأنه قيل: دع الإنكار على حسبانه أمرًا باطلاً في حقنا فإن فيه ما هو أقبح من ذلك وهو أنه يحب اللذات العاجلة والحياة الفانية وانهماكه في قضاء شهواته النفسانية يصرفه عن النظر في الدلائل المؤدية إلى تعيين الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ، فإن إنكار البعث قد ينشأ من الشبهة وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الهوى. فالله تعالى أشار إلى الأول بقوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾ **أي أن لن نقدر على جمع ما تفرق من أجزائه غربًا وشرقًا بتفريق الرياح وأكل السباع إياها وما اختلط من أجزاء كل شخص بأجزاء غيره حتى يبعث كل أحد بعينه بجميع أجزائه ويحاسب ويجازى بما عمل في الدنيا. ثم إنه تعالى رد هذه الشبهة بقوله:** ﴿بلى قادرين﴾ **أي نجمع عظامه ونركبها كما كانت بناء على أنه تعالى عالم بالجزئيات بأسرها فيكون عالمًا بأجزاء كل شخص متميزة عن أجزاء غيره وقادر على كل الممكنات، فيلزم أن يكون قادرًا على تركيبها ثانيًا. وأشار إلى المنشأ الثاني لإنكار البعث بقوله:** ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ **يعني أن الإنسان الذي هو عبد بطنه وفرجه وأسير ماله وجاهه، فإن فكرة البعث تكدر عليه انهماكه في استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضي حبس نفسه الأمارة بالسوء عن إطلاقها في قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد أمر البعث ثقيلاً مخالفًا لمقتضى طبعه فينكره لذلك فلا ينتهي عن المعاصي ولا يخطر بباله أن يتوب عنها وإن خطر يقول: سوف أتوب حتى يأتيه الموت وهو على شر أحواله وأسوأ أفعاله. وقوله تعالى:** ﴿أمامه﴾ **ظرف «ليفجر»، والفجور التكذيب وما يتفرع عليه، ومفعول «يريد» محذوف والمعنى: بل يريد الإنسان الثبات على ما هو عليه من عدم التقييد بقيود الإيمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقي من عمره. وفسر قوله تعالى:** ﴿ليفجر﴾ **بقوله: «ليدوم على فجوره» لأنه في هذه الحالة ملتبس بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز في حقه تعالى وإرادة الفجور كأنه قيل: ليس إنكاره للبعث لاشتباه الأمر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد أن يستمر على فجوره في حال كونه سائلاً على طريق الاستهزاء والسخرية** ﴿أيان يوم القيامة﴾ **«فيوم القيامة» مبتدأ و«أيان» خبره. ثم إنه تعالى ذكر من علامات القيامة ههنا أمورًا ثلاثة: أولها قوله:** ﴿فإذا برق البصر﴾ **وثانيها قوله:** ﴿وخسف القمر﴾ **وثالثها قوله:** ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ **وقرأ نافع «برق» بفتح الراء من باب نصر والباقون بكسرها.**

تحير فزعًا من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. وقرأ نافع بالفتح وهو لغة، أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه. وقرىء «بلق» من بلق الباب إذا انفتح. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ وذهب ضوءه. وقرىء على بناء المفعول. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق.

فقيل: هما لغتان في التحير والدهشة. وقيل: برق بالكسر بمعنى تحير فزعًا فتراه لا يطرف وبرق بالفتح من البرق أي لمع وتلألأ من شدة شخوصه أي ارتفاعه يقال: شخص شخوصًا أي ارتفع.

قوله: (من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره) يعني أن الأصل فيه أن الرجل إذا أكثر من النظر إلى لمعان البرق فدهش بصره لذلك وتحير يقال: برق الرجل ثم يستعمل ذلك في كل حيرة سواء نشأت من النظر إلى البرق أم لا، كما يقال: قمر الرجل يقمر قمرًا إذا تحيّر بصره من كثرة النظر إلى القمر، ثم استعير في كل حيرة عرضت له من كثرة النظر من كل ما يفرق البصر كالبلج ونحوه. ثم اختلفوا في أن هذه الحالة التي هي برق البصر متى تكون وتحصل؟ فقيل: عند الموت. وقيل: عند البعث. وقيل: عند رؤية جهنم. والقولان الأخيران ظاهران لارتباط السؤال عن يوم القيامة بقولهم: ﴿أيان﴾ أي متى يوم القيامة كأنه قيل: يوم القيامة إذا تحير البصر. وأما إذا أريد به الحالة الحادثة عند الموت فحينئذٍ لا بد من بيان وجه ارتباط الآية بالسؤال عن يوم القيامة لأنه لما سئل بأن يقال: ﴿أيان يوم القيامة﴾ كان المناسب أن يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لا يطابقه ظاهرًا، ولعل وجه الارتباط حينئذٍ أن من قال: ﴿أيان يوم القيامة﴾ إنما يقوله على سبيل الاستهزاء والسخرية فقيل في جوابه: إن من استهزأ إذا قرب موته وبرق بصره يتيقن حينئذٍ أن ما كان عليه من الإنكار والاستهزاء خطأ عظيم مستوجب للعذاب الأليم الدائم فيقول حينئذٍ: أين المفر؟ **قوله: (ولا ينافيه الخسوف)** ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما في الطلوع من المغرب أن يقال: الجمع بينهما بهذا الطريق ينافي خسوف القمر لأن خسوفه يقتضي المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الأرض بينهما فلا يتأتى للقمر أن يستفيد النور من الشمس فيبقى أسود عديم النور الذي هو معنى خسوف القمر. ولما كان اجتماعهما في الطلوع من المغرب منافيًا للمقابلة بينهما كان منافيًا لخسوفه أيضًا لأن ما ينافي الملزوم ينافي اللازم أيضًا. أجاب عنه بأنه ليس المراد بالخسوف إلا المحاق وذهاب النور مطلقًا سواء كان ذهابه بحيلولة الأرض بينهما أو بغير ذلك، فالله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على إزالة الضوء من القمر بأي طريق شاء. وقرأ العامة و«خسف القمر» على بناء الفاعل وقرىء و«خسف» على بناء المفعول لأن «خسف» يستعمل لازمًا ومتعديًا

ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف.

يقال: خسف القمر وخسفه الله، والخسوف يكون بمعنى غيبة الشيء وذهابه بنفسه ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]. **قوله: (ولمن حمل ذلك على أمارات الموت)** الإشارة بذلك إلى برق البصر فمن حمله على ما يلحق البصر عند البعث أو عند رؤية جهنم تيسر له ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله. ووجه عطف قوله: ﴿وخسف القمر وجمع الشمس والقمر﴾ بالواو الجامعة على قوله: ﴿فإذا برق البصر﴾ كون كل واحد منهما مما يتحقق يوم البعث والجزاء. وأما من حمل برق البصر على ما هو من أمارات الموت فيعسر عليه ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله وملاحظة، وجه العطف بالواو الجامعة لأن ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس في ذلك لا يكون في زمان البروق الذي هو من أمارات الموت فلا يصح عطفهما عليه بالواو الجامعة. وتقرير الجواب نعم إن الأمر كذلك ولا بدع أن يفسر خسف القمر والجمع بينهما بما يكون من أمارات الموت أيضًا بأن يجعل القمر استعارة لحاسة البصر تشبيهًا لها بالقمر في أن نورها مستفاد من الروح بواسطة تصرفه واستخدامه قواه الطبيعية السبع التي هي: الجاذبة والماسكة والهاضمة ونحوها فيما هيئت كل واحدة منها له، وبأن تجعل الشمس استعارة للروح تشبيهًا للروح بالشمس في أن كمالات عالم الأرض تحتاج إلى تأثير الشمس وحركاتها، ويفسر قوله: ﴿خسف القمر﴾ بأن يقال: ذهب ضوء البصر عند الموت وقوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ بأن يقال: اجتمعا في حكم الذهاب وإن اختلف طريق الذهابين وأن ذهاب ضوء القمر بمعنى بطلانه واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله إلى عالم المجردات. **قوله: (أو بوصوله)** إشارة إلى تفسير آخر للجمع بأن تجعل الشمس مستعارة للأرواح العالية والعقول المجردة التي يستفاد منها أنوار العقول الإنسانية وإدراكاتها، وأن يجعل القمر مستعارًا للروح الإنساني فحينئذٍ يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الإنساني إلى الأرواح العالية. **قوله: (وتذكير الفعل)** حيث لم يقل: وجمعت الشمس لتقدمه أي لكونه مسندًا إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وهي الشمس، وفي مثله يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع أن فعل الجمع لم يسند إلى الشمس وحدها بل هو مسند إلى القمر أيضًا بواسطة الواو العاطفة والقمر مذكر فغلب جانب التذكير على التأنيث. وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلاً على التذكير فإنك إذا قلت: قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور إلا أنه يصلح مؤيدًا للوجه الأول، فكأنه قيل: ذكر الفعل لإسناده إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي مع أنه قد عطف عليه مذكر فغلب على المؤنث الغير الحقيقي.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠)﴾ أي الفرار يقوله قول الآيس من وجد أنه المتمني. وقرىء بالكسر وهو المكان.

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن طلب المفر. ﴿لَا وَزَرَ (١١)﴾ لا ملجأ مستعار من الجبل. واشتقاقه من الوزر وهو الثقل. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢)﴾ إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار. ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)﴾ بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله أو بما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده، أو بما قدمه من مال تصدق به وبما أخر فخلفه أو بأول عمله وآخره.

قوله تعالى: (يقول الإنسان) جواب «إذا» في قوله: ﴿فإذا برق﴾ و«إذا» ظرف معمول له و«أين المفر» منصوب المحل بالقول أي يقول هذا الإنسان المنكر للقيامة إذا عاين هذه الأحوال وأيقن سوء عاقبة إنكاره أين الفرار من حيث إنه لا يرى شيئًا من أمارات تمكنه من الفرار. والمفر بفتح الميم وكسر الفاء اسم للمكان المفر إليه. **قوله:** (مستعار من الجبل) فإن الوزر في الأصل الجبل المنيع، ثم أطلق لكل ما يلجأ إليه ويتحصن به تشبيهًا له بالجبل المنيع. والمعنى: لا شيء يعتصم به من أمر الله وخبر «لا» محذوف أي لا ملجأ ثمة أو في الوجود. **قوله:** (إليه وحده استقرار العباد) على أن تقديم قوله: ﴿إلى ربك﴾ يفيد الاختصاص واللام في «المستقر» عوض عن المضاف إليه وأنه بمعنى الاستقرار. والمراد إما استقرار نفس العباد أي لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره تعالى ولا يتوجهون إلا إليه، وإما استقرار أمورهم على معنى لا ترجع أمور العباد إلا إلى حكمه لا يحكم فيها غيره. ويجوز أن يكون المستقر بمعنى مكان الاستقرار فيكون المعنى: موضع قرار العباد من الجنة والنار يومئذٍ مفوض إلى مشيئة ربك وحده من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار. و«المستقر» مرفوع على الابتداء و«إلى ربك» خبره و«يومئذٍ» ظرف معمول لما تعلق به إلى ربك ولا يجوز أن يكون معمولاً للمستقر لأنه إن كان مصدرًا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم عليه معموله وإن كان اسم مكان فلا يعمل أصلاً وكذا الكلام في نحو قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠]. **قوله:** (أي بما قدم من عمل عمله أو بما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده) فما قدمه هو ما عمله بنفسه من الأعمال خيرًا كان أو شرًا ولم تتعد نسبته إلى من بعده وما أخره سواء عمله هو بنفسه من ذلك أو أبقاه سنة حسنة أو سيئة لمن بعده. وعلى الأول ما قدمه وأخره ما عمله من عمل طاعة كان أو معصية وما لم يعمله من طاعة. وعلى الثالث ما قدم وأنفق من أمواله أيام حياته وما خلفه للورثة. وعلى الرابع ما عمله في حياته مقدمًا ومؤخرًا أي أول عمله وآخره. ثم إنه تعالى لما قال ﴿ينبأ الإنسان يومئذٍ﴾ بأعماله

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ حجة بينة على أعمالها. لأنه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أو على عين بصيرة بها فلا يحتاج إلى الإنباء. ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير القياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى.

قال: بل لا يحتاج إلى أن يخبر بذلك بناء على أن نفسه شاهدة عليه تخبر بجميع ما فعله من الأفعال وتشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] قيل: هذا في حق الكفار فإنهم ينكرون ما عملوه فيختم على أفواههم وتنطق جوارحهم. **قوله:** (حجة بينة على أعمالها) إشارة إلى أن «الإنسان» مبتدأ و«بصيرة» خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة أي على إعمال نفسه، وأن تأنيث «البصيرة» مع كونها خبرًا عن «الإنسان» وهو مذكر مبني على أنها صفة موصوف محذوف أي الإنسان حجة بصيرة أو مثل بصيرة على التشبيه البليغ. شبّه الإنسان بالحجة من حيث كونه شاهدًا بالأعمال على نفسه لأن جوارحه تنطق بها فيكون شاهدًا على نفسه بشهادة جوارحه كما أن الحجة شاهدة للدعوى، فالإنسان لما شابه الحجة من حيث كون كل واحد منهما شاهدًا. قيل: إنه حجة بينة على أعماله على التشبيه البليغ فقوله: «لأنه شاهد بها» أي شاهد بالأعمال على نفسه علة لحمل المشبه به على المشبه وإشارة إلى وجه الشبه. **قوله:** (وصفها بالبصارة على المجاز) أراد بالمجاز المجاز العقلي. كأنه قيل: سلمنا أن تقدير الكلام: بل الإنسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ، فما معنى توصيف الحجة بكونها بصيرة والبصير إنما هو صاحبها؟ أجاب عنه بأنه من قبيل الإسناد المجازي، وصف الحجة بوصف صاحبها للدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتداء بها، فإن الهادي إلى الطريق إذا كان بصيرًا غير أعمى سهل عليه أمر الدلالة وسهل على غيره الاهتداء به، فوصف الحجة بكونها بصيرة للإشارة إلى كونها سهلة الدلالة وسهلة الاهتداء بها. فالمصنف أشار إلى هذا المعنى بقوله: «حجة بينة بدل حجة بصيرة» وإن جعل تقدير الكلام: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة بها يكون «الإنسان» مبتدأ و«بصيرة» مبتدأ ثانيًا و«على نفسه» خبر الثاني والجملة خبر الأول كقولك: زيد على رأسه عمامة. والعائد من الجملة إلى المبتدأ الأول ضمير نفسه، والمراد بالبصيرة على هذا هو الملك الموكل أو الجوارح، فإن الحافظ والرقيب يطلق عليه العين البصيرة. وجواب «لو» في قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ محذوف أي لم يقبل منه المعذرة ولو جاء بكل ما يعتذر به، فإن العذر لا رواج له يومئذٍ لأنه يوم تبلى السرائر وتظهر حقائق الأشياء كما هي.

قوله: (وذلك أولى) أي كون المعاذير جمع معذار أولى من كونه جمع معذرة لأن بناء

وفيه نظر. ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ يا محمد ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل أن يتم وحيه ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ بلسان جبريل عليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ قراءته وكرر فيه حتى يرسخ

الجمع حينئذٍ يكون على وفق القياس كمفتاح ومفاتيح ومثقال ومثاقيل، بخلاف ما إذا كان جمع معذرة فإنه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد ولا يجمع على معاذير إلا على وجه الشذوذ كمنكر ومناكير. **قوله:** (وفيه نظر) أي في كون هذا الوجه أولى لعل وجه النظر أن كون البناء على وفق القياس إنما يكون وجهًا لأولوية كون معاذير جمع معذار أن لو كان معذار بمعنى العذر لفظًا مستعملاً مسموعًا وليس كذلك، وكونه جمع معذرة وإن كان على خلاف القياس إلا أنه على وفق الأصل فإن الأصل أن يكون بناء الجمع بناء مغيرًا عن مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ «معذرة» كذلك، فالوجهان متعارضان متساويان لا أولوية لأحدهما على الآخر. وإلى كل واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فإن منهم من ذهب إلى أن مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف القياس وقالوا: المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر. ومنهم من ذهب إلى أن مثله اسم جمع لغير الملفوظ به بل لمقدر فقال: إن نحو مذاكير جمع مذكار وإن لم يسمع. **قوله:** (**قبل أن يتم وحيه**) أخذه من قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة أن لا يحفظ، فأنزل الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ أي بالقرآن وجاز هذا الإضمار وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما أضمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. **قوله تعالى:** (**لتعجل به**) أي بأخذه دلت الآية على أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ مع قراءة جبريل عليه السلام وكان يسأله في أثناء قراءته عن مشكلات معانيه لغاية حرصه على العلم، فنهى عن الأول بقوله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ إلى قوله: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ وعن الثاني بقوله: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه كما ضمن له الحفظ وإثبات قراءته في لسانه عليه الصلاة والسلام بحيث يقرأه متى شاء على أن القرآن مصدر بمعنى القراءة مضاف إلى مفعوله وأن ثمة مضافًا مقدرًا. **قوله:** (**بلسان جبريل**) إشارة إلى أن قوله: ﴿قرأناه﴾ من قبيل إسناد فعل المأمور إلى الآمر والمعنى: إذا قرأ جبريل عليك بأمرنا وفرغ من قراءته فاقرأه حينئذٍ وكرر كيلا يتفلت منك وكن تابعًا له في القراءة ولا تقرأ معه.

في ذهنك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ بيان ما أشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره، أو

قوله: (وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب) وجه الدلالة أنه تعالى ذكر البيان بكلمة «ثم» وهي للتراخي، وإنما قال عن وقت الخطاب لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إلى العمل لأنه تكليف بما لا يطاق. والاعتراض عليه بما روي من أن قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] نزل ولم ينزل معه قوله: «من الفجر» فكان بعض الصحابة إذا أراد الصوم وضع عقالين أبيض وأسود وكان يأكل ويشرب حتى يتبين له أحدهما من الآخر. فقد تأخر البيان عن وقت حاجتهم إلى الصوم مدفوع بأن ما فعله الصحابة كان في صوم التطوع ووقت الحاجة إنما هو وقت الفرض من الصوم. كذا في التلويح. ويجوز تأخيره عن وقت الخطاب مطلقًا أي سواء كان البيان تفصيليًا أو إجماليًا بأن يقترن باللفظ ما يشعر بأنه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره بل أن يقترن بما يشعر أن المراد بهذه النكرة فرد متعين، وبهذا العام خاص، وبهذا المطلق مقيد، وبهذا اللفظ المعنى المجازي ونحو ذلك. **قوله**: (وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة) يعني أن قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ اعتراض وقع بين قوله تعالى: ﴿يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ وبين قوله تعالى: ﴿بل تحبون العاجلة﴾ قال الإمام: زعم قوم من قدماء الروافض أن هذا القرآن قد غيّر وبُدّل وزيد فيه ونقص، واحتجوا عليه بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وما قبلها. والجواب عن ذلك من وجهين: أحدهما أن الاستعجال المنهي عنه إنما اتفق للرسول ﷺ عند إنزال هذه الآيات عليه فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت فقيل له: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ وهذا كما أن المدرس إذا كان يلقي على تلميذه شيئًا فأخذ التلميذ يلتفت يمينًا وشمالاً فيقول المدرس في أثناء ذلك الدرس: لا تلتفت يمينًا وشمالاً ثم يعود إلى الدرس. فإذا نقل ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام في أثنائه فمن لم يعرف السبب يقول: إن وقوع تلك الكلمة في أثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم أنه حسن الترتيب. وثانيهما أنه تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون العاجلة حيث قال: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ ثم بيّن أن التعجيل مذموم مطلقًا حتى التعجيل في أمور الدين فقال: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ وقال في آخر الآية: ﴿كلا بل تحبون العاجلة﴾ فإن كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما وبيّن به أن العجلة مذمومة حتى في أمر الدين تأكيدًا لما تضمناه من التوبيخ على حب العاجلة وتضمن الكلام الأخير إياه ظاهر، وأما تضمن الأول له فلما مر من

بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات. وقيل: الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفًا فيقال له: لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته فإذا قرأناه فاتبع قرآنه بالإقرار أو التأمل فيه، ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه. ﴿كَلَّا﴾ ردع للرسول ﷺ عن عادة العجلة، أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل. وقوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْأَخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ تعميم للخطاب إشعارًا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال، وإن كان الخطاب للإنسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى. ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما.

أن المعنى أن إنكار الكفرة للبعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لأن شدة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفتهم عن النظر في ذلك الدليل فأنكروا البعث لذلك، فظهر به أن مؤداه التوبيخ على الاهتمام بعاجل الأمر مع فنائه وتأديته إلى خسران الأبد كأنه قيل: لا تقتف آثارهم بأن تهتم بعاجل الحال وتستعجل في أخذ القرآن خوفًا من فوات حفظه وقراءته متى شئت.

قوله: (وقيل الخطاب الخ) أي وقيل في وجه ارتباطه بما قبله أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ ليس مع الرسول ﷺ حتى يتوهم عدم مناسبته بموقعه بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] كأنه إذا عرض عليه كتابه وقيل له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] فأخذ في القراءة يتلجلج لسانه من شدة الخوف ومن سرعة القراءة فيقال له: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ بالإقرار بأنك قد فعلت تلك الأفعال ثم إن علينا بيان مراده. وشرح مراتب خيراته فالله تعالى يقدر على بيان جميع أعمال الكافر على سبيل التفصيل. وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال: فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به. وقوله تعالى: ﴿بل تحبون العاجلة﴾ إضراب عن الردع المدلول عليه بـ «كلا» للدلالة على أن الاستعجال لكونه بمنزلة الأمر الطبيعي الذي جبل عليه الإنسان ليس مما يستحق الإنسان بسببه كثرة لوم وتوبيخ إلا أن اللائق للإنسان أن يجاهد نفسه ولا يخلي بينهما وبين ما جبلت هي عليه، ولذلك عمم الخطاب لكل من يصلح أن يخاطب بعد تخصيصه المخاطب دون غيره. **قوله:** (وإن كان الخطاب للإنسان) أي بطريق الالتفات عن الإخبار عن الجنس المتقدم والإقبال عليه بالخطاب. فعلى هذا لا يكون الكلام محمولاً على تعميم الخطاب، فإنه إذا حمل على تعميم الخطاب لا يكون فيه التفات بل يكون من قبيل تغليب المخاطب على غيره. **قوله:** (ويؤيده القراءة بالياء فيهما) وجه التأييد أن الفعل في هذه القراءة يتعين كونه

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢)﴾ بهية متهللة. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه، ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره. وقيل: منتظرة إنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند

مسندًا إلى ضمير الإنسان المذكور قبل، فدل ذلك على أنه إذا قرىء بتاء الخطاب يكون الخطاب للإنسان أيضًا بطريق الالتفات. ثم إنه تعالى لما وبّخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر العامل للعاجلة يوم القيامة فقال: ﴿وجوه يومئذٍ﴾ **ذكر الوجوه وأراد بها أربابها، فإن الوجه مما يعبّر به عن الكل كذا قيل، إلا أنه لا مانع من أن يراد بالوجه معناه الحقيقي فلا وجه للعدول عنه مع انعدام ما يصرفه عن إرادته. ثم قيل:** قوله: «وجوه» مبتدأ و«ناضرة» نعت له و«يومئذٍ» منصوب بناضرة و«ناظرة» خبره و«إلى ربها» متعلق بالخبر والمعنى: إن الوجوه البهية أي الحسنة المتلألئة من كثرة التنعم بنعيم الجنة يومئذٍ أي يوم القيامة ناظرة إلى الله تعالى. والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من أثر التنعم. والناضر الناعم والنضرة الحسن من كل شيء، والبهاء الحسن يقال: بهى الرجل وبهو أيضًا فهو بهي. وقيل: «وجوه» مبتدأ و«ناضرة» خبره و«يومئذٍ» منصوب بالخير وسوّغ الابتداء بالنكرة لكون تنكير النوعية نازلاً منزلة الوصف في نحو ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾ [البقرة: ٢٢١] وقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ خبر بعد خبر. **قوله: (تراه مستغرقة في مطالعة جماله)** مستفاد من تقديم قوله: ﴿إلى ربها﴾. **قوله: (وليس هذا في كل الأحوال)** جواب عما يقال: كيف تكون مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع أن أهل السعادة ينظرون في الموقف وفي الجنة إلى أمور لا تحصى؟ وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لأن التقييد ببعض الأحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضي لعموم الأحوال وغير مناسب لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ لعمومه في الأحوال، والأولى أن يقال التقديم لا يتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام ورعاية الفاصلة ولو سلم فالمعنى: أن النظر إلى غيره من حيث النظر إليه لا يعد نظرًا كما في قوله: زيد الجواد. **قوله: (وقيل منتظرة)** إذ من المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما في قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] أي فمنتظرة وقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] وقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] وقوله: «إنعامه» إشارة إلى أن من فسره بالانتظار جعل قوله: «إلى اسمًا مفردًا» بمعنى النعمة مضافًا إلى المنعم مقدمًا لقول: «ناظرة بمعنى منتظرة». **قوله: (ورد)** أي ورد هذا القول بوجهين: الأول أن الانتظار لا يسند إلى الوجه، فإن قيل: نعم إنه لا يسند إلى الوجه بمعنى العضو إلا أن القائل به يجوز أن يفسره بالذات وجملة الشخص، ولا يخفى أنه يصح إسناد الانتظار إلى الكل. أجاب عنه المصنف بقوله: «وتفسيره بالجملة

إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر، وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بـ «إلى» وقول الشاعر:

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

بمعنى السؤال فإن الانتظار لا يستعقب العطاء. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحة. ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع

خلاف الظاهر». والوجه الثاني من وجهي الرد أن النظر بمعنى الانتظار لا يعدى بـ «إلى» بل يعدى بنفسه فيقال: نظرته ولا يخفى أن هذا الوجه من الرد إنما يتوجه على تقدير أن تكون كلمة «إلى» حرف جر وأما إذا كانت اسمًا بمعنى النعمة كما أشار إليه بقوله: «منتظرة إنعامه» فلا يتوجه. **قوله:** (**وقول الشاعر**) جواب عما يقال: لا نسلم أن النظر بمعنى الانتظار وقد عدي بـ «إلى». وتقرير الجواب أن النظر فيه ليس بمعنى الانتظار لأنه لا يستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع و«من» في قوله: من ملك تجريدية كما في قولك: رأيت من زيد أسدًا بمعنى أنه أسد.

قوله: (**والبحر دونك**) أي أقل منك في الجود. والمعنى: إن رجوت عطاءك وتوقعت معروفك وأنت ملك، والحال أن البحر دونك في الجود زدتني نعمًا أي تعطيني فوق ما أرجوه. والظاهر أن كون النظر بمعنى السؤال مبني على كونه من نظر العين، والنظر إلى الملك وإن كان لا يوجب الإنعام ظاهرًا إلا أنه مقدمة طلب المعروف وهو الذي يوجب ملوكيته من مقدماته، ويعضد ذلك أنه ينزل منزلته ويعبّر به عنه كما تنزل زيارة الأغنياء من الفقراء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل:

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى خبائه وأزواجه ونعمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ فسر النظر بنظر العين والرؤية. فمن فسره بالانتظار فقد اتبع هواه. وروي عنه عليه الصلاة والسلام أيضًا أنه نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته». وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. **قوله:** (**شديدة العبوس**) كون البسر أبلغ من العبوس لا ينافي ما سبق أن بسر اتباع لعبس، والمعنى: أنها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سوّدها الله تعالى حين ميّز بين أهل الجنة والنار، فأيست من رحمة الله تعالى وأيقنت أن

أربابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ داهية تكسر الفقار. ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾﴾ إذا بلغت النفس أعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر

العذاب نازل بها وهي تظن أن يفعل بها فاقرة، وهي الداهية العظيمة سميت فاقرة لأنها تكسر عظام الظهر أي فقاره يقال: فقرت الرجل إذا ضربت فقار ظهره كما يقال: رأسته وبطنته إذا ضربت رأسه وبطنه، والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمي الفقير لأنه فعيل بمعنى مفعول فإن القل كسر فقار ظهره فجعله مفقورًا. و«تظن» مرفوع المحل على أنه خبر «وجوه» أو خبر بعد خبر و«باسرة» على الأول صفة «وجوه» و«يومئذٍ» منصوب بها. ذهب جمهور المفسرين إلى أن الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على أن اليوم الذي تفوز فيه أهل السعادة بمشاهدة جمال ذي الجلال والإكرام تتيقن فيه الأشقياء ما يفعل بهم من الدواهي الفاقرة إذ يتبدل فيه المظنون بالعيان وتنكشف فيه الأمور بحقائقها، إلا أن القياس النحوي يقتضي أن يكون الظن هنا على معناه لا بمعنى العلم واليقين لأنه قد وقع بعده «أن» الناصبة وهي لا تقع بعد العلم وإنما تقع بعده «أن» المشددة، وذلك أن العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد، و«أن» المشددة تفيد التأكيد و«أن» الناصبة لا تفيده، فلذلك وجب أن تقترن المشددة بما يفيد التحقيق والمخففة الناصبة بما يدل على الشك والتردد، فيقال: علمت أنك قائم وظننت أن تخرج وأطمع أن يغفر لي ربي، ولو قلت: علمت أن يخرج زيد وأظن أن زيدًا يخرج كان قلبًا للعادة المتعارفة من حيث إنه اقترن ما هو علم التأكيد بما لا تقرير فيه وما هو عار من التأكيد بما فيه تقرير. فإذا قيل: أرجو أنك تعطيني فذلك لأجل الدلالة على قوة الرجاء، وإذا قلت: أخشى أنه يفعل فهو لقوة الخشية وتقررها. فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال: «تتوقع أربابها» إشارة إلى أن الظن ليس بمعنى العلم واليقين كما ذهب إليه الجمهور. والمعنى: أن أرباب الوجوه الباسرة مع ما هم فيه وهم يقاسون شدة أشد الدواهي وأفظعها يظنون ويتوقعون بعده ما هو أشد منه وأهول لأنهم حينئذٍ تيقنوا بعظم جرمهم وبكمال سخط الملك الجبار عليهم، وتيقنوا أيضًا بأنه كما لا نهاية للطفه ورحمته لا نهاية أيضًا لقهره وأليم عذابه، فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهي ظنوا أن يفعل بهم ما هو أشد منها وهكذا أبدًا. فكما أن أرباب الوجوه الناضرة في غاية الرحمة والنعمة وهو الاستغراق في مشاهدة جمال ربهم الكريم، فكذلك أرباب الوجوه الباسرة في غاية النقمة والعناء وهو أن يتوقعوا في كل لحظة أن يفعل بهم ما هو أشد مما هم فيه وأفظع. **قوله:** (**ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة**) كأنه قيل: لما عرفتكم صفة سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء في الآخرة وعلمتم أنه لا نسبة لها إلى الدنيا فارتدعوا عن إيثار الدنيا على الآخرة وتهيؤوا لما بين أيديكم من الموت الذي تنقطعون به عن العاجلة وتنتقلون به إلى

لدلالة الكلام عليها. ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧﴾ وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية، أو قال ملائكة الموت: أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب من الرقي. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨﴾ وظن المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها.

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها، أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة.

الآجلة التي تبقون فيها مخلدين. والتراقي جمع ترقوة وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق، والعاتق موضع الرداء من المنكب، وبلوغ النفس التراقي كناية عن الإشراف على الموت. والعامل في «إذا بلغت» معنى قوله: ﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ أي إذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت إلى الله تعالى أي إلى موضع أمر الله تعالى أن ترفع إليه فترفع إليه كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] معناه أني ذاهب إلى حيث أمرني ربي.

قوله تعالى: (وقيل من راق) معطوف على«بلغت» أي وقال من حضر المحتضر عند موته من الأحبة والأقارب: هل من طبيب يرقي ويشفي برقيته؟ فلا يلقون له أطباء يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيئًا. والرقية هي التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال: بسم الله أرقيك، وفعلها من باب ضرب. والاستفهام يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كان الذين كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبًا يعالجه وراقيًا يرقيه. ويحتمل أن يكون استفهامًا بمعنى الإنكار بأن يغلب عليهم اليأس من صحته فيقولون: من الذين يقدر أن يرقى هذا الإنسان المشرف على الموت؟ **قوله:** (أيكم يرقى بروحه) أي يصعد على أنه من الرقي وفعله من باب علم يقال: رقيت السلم أرقاه رقيًا ورقيًا إذا صعدت واسترقيته فرقاني يرقني رقية أي داواني بها. عن ابن عباس قال: إن الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت: من يرقى بروح هذا الكافر؟ وقيل: يحضر العبد عند الموت سبعة أملاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت، فإذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم إلى بعض أيهم يرقى بروحه السماء أمن ملائكة الرحمة أم من ملائكة العذاب؟ **قوله:** (وظن المحتضر) وذلك حين عاين ملائكة الموت. قال المفسرون: المراد أن المحتضر أيقن أنه فارق الدنيا وعبّر عن المعرفة التي حصلت له حينئذٍ بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه ببدنه متعلقة فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه التي أبى الله أن تسوى جناح بعوضة وهي الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة. ويحتمل أن يكون وجه التعبير به التهكم. **قوله:** (أو شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة) على أن يكون التفاف الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة والصعوبة، فإن الساق كثيرًا ما يكنى به عن الشدة ويجعل

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ سوقه إلى الله تعالى وحكمه. ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ما يجب تصديقه أو فلا صدق ماله أي فلا زكاه. ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [القيامة: ٣، ٣٦] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ عن الطاعة. ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ يتبختر افتخارًا بذلك من المط فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط، أو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه. ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ ويل لك من الولي وأصله أولاك الله ما تكرهه. واللام مزيدة كما في ﴿رَدِفَ

مثلاً فيه كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وقولهم: كشفت الحرب عن ساقها أي اشتدت. ووجه المجاز أن الإنسان إذا أدهمته شدة شمر لها عن ساقه فقيل للأمر الشديد: ساق من حيث إن ظهوره لازم لظهور ذلك الأمر. **قوله:** (سوقه إلى الله وحكمه) يعني أن المساق مصدر ميمي بمعنى السوق، وأن الألف واللام فيه عوض عن المضاف إليه، وأن قوله: ﴿إلى ربك﴾ تقديره إلى حكم ربك والمعنى: أن هؤلاء في ذلك اليوم مفوض أمرهم إلى حكمه يساقون إلى حيث أمر الله أن يساقوا، فالسائق هو الله تعالى يسوق كل أحد إلى حيث شاء. ويجوز أن يكون المراد أن المسوق إليه هو الرب تعالى. **قوله:** (والضمير فيهما للإنسان المذكور في أيحسب الإنسان) أي في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] ويدل عليه قوله فيما بعد: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] فكأنه قيل: لم يؤمن بالبعث ولا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى. وقيل: فلا صدق ماله أي فلا زكاة على أن فعل بمعنى تفعل ويأباه قوله: ﴿ولكن كذب وتولى﴾ وجعله صاحب الكشاف معطوفًا على قوله: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦] وهو حال من الإنسان أي أيحسب كذا بل أيريد كذا في حال كونه منكرًا للبعث فلا صدق ولا صلى شرح الله تعالى كيفية أعماله المتفرعة على إنكار البعث مما يتعلق بأصول الدين وبفروعه، أما ما يتعلق بفروع الدين فهو ما صلى ولكنه تولى وأعرض، وأما ما يتعلق بدنياه فهو أنه ذهب إلى أهله يتمطى أي يتبختر ويختال في نفسه. فدلت الآية على أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الإيمان. **قوله:** (من المط) وهو المد يقال: مطه يمطه أي مده وتمطط أي تمدد، وأبدلت الطاء الأخيرة من يتمطط ألفًا لكراهة اجتماع الأمثال كما في: تقضي البازي وإن كان من المطا مقصورًا وهو الظهر كانت ألفه مبدلة من الواو يقال للمتبختر: يتمطى لأنه يلوي مطاه ويحركه في تبختره و «يتمطى» جملة حالية من فاعل ذهب.

قوله: (ويل لك) يريد أن «أولى لك» كلمة مستعملة في موضع ويل لك لقرب معناه من معناه، وأنه مشتق من الولي بمعنى القرب وأصله: أولاك الله ما تكرهه، على أن «أولى»

لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] أو أولى لك الهلاك. وقيل: افعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون، أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار. ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ أي بتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى. ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ مهملاً لا يكلف ولا يجازى. وهو يتضمن تكرير إنكاره للحشر والدلالة عليه من حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح، والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة.

فعل مثل أكرم من وليه يليه أي قربه نقل إلى باب أفعل فعدي به إلى مفعولين: الأول الكاف والثاني محذوف وهو ما تكرهه واللام زائدة في المفعول كما في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] وهو تهديد من الله تعالى لأبي جهل قال له النبي: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ إن لم تؤمن. فقال أبو جهل: بأي شيء تهددني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا، وإني لأعز أهل هذا الوادي. فأنزل الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ ولم يرد به الدعاء بالشدة أربع مرات بل مرة بعد مرة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤]. **قوله: (أو أولى لك الهلاك)** أي ويجوز أن يكون «أولى» اسم تفضيل بمعنى أحق وأحرى، ويكون خبر مبتدأ محذوف أي الهلاك أولى لك من كل شيء. وقيل: إنه أفعل من الويل بعد القلب أصله «أويل» فقدم اللام على الياء فصار أولى. كما في شاكي وهاري أصلهما شائك وهائر، والمعنى: ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكرهه. وقيل: إنه فعلى من آل يؤول لأنه بعد القلب صار علمًا للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن، ومعناه: المصير والمرجع واللام صلة والتقدير أولاك أي مرجعك وعقباك الهلاك والنار. وكرر أولى للتأكيد وحذف لك من الثاني لدلالة الأول عليه. ثم إنه تعالى بعد ما أنكر على عدي بن ربيعة وإضرابه من منكري البعث بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] كرر الإنكار عليه فقال: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ أي مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا، ولا يحاسب بعمله في الآخرة ولا يثاب ولا يعاقب عليه، وتكرير الإنكار بحسبانه يتضمن تكرير إنكاره للحشر ويتضمن أيضًا الاستدلال على صحة البعث وتقريره: أن إعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والأمر بالمحاسن والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضيًا بقبائح الأفعال، وذلك لا يليق بحكمته فإذًا لا بد من التكليف في الدنيا ولا يليق بالحكيم الكريم الرحيم أن يكلف ثم يسوّي بين المطيع والعاصي ولا يميز بينهما بالثواب والعقاب، والمجازاة لا تتأتى في الدنيا فلا بد من البعث والقيامة. ثم استدل على صحة البعث بدليل ثانٍ وهو الاستدلال بالإبداء على الإعادة فقال: ﴿ألم يك نطفة﴾ أي ألم يكن هذا الإنسان نطفة في صلب أبيه ﴿يمنى﴾ بمعنى أنه يصب في الرحم. ويمني بالياء صفة مني وبالتاء صفة

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ وقرأ حفص بالياء ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ فقدره فعدله. ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ وهو استدلال آخر بالإبداء على الإعادة على ما مر تقريره مرارًا. ولذلك رتب عليه قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ وعن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلى». وعنه: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا له وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا به».

نطفة وهي الماء القليل يقال: نطف الماء أي قطر. نبّه الله تعالى بهذا على خسة قدر الإنسان أولاً وعلى كمال قدرة نفسه حيث صير مثل هذا الشيء الدنيء بشرًا سويًا. **قوله: (فعدله)** أي جعل كل عضو من أعضاء الزوج معاد لا لزوجه، وجعل كل واحد من ذوات أعضائه وأوضاعها وهيئاتها معاد لا لما تقتضيه الحكمة.

سورة الإنسان

مكية وآيها إحدى وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بـ «قد» وأصله أهل.

سورة الإنسان

مــكيـة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (استفهام تقرير وتقريب) يعني أن «هل» لا تستعمل إلا في الاستفهام لا بمعنى أنها بنفسها علم الاستفهام، بل لا بد من ملاحظة أداة الاستفهام قبلها إما ملفوظة كما في البيت أو مقدرة كما في الآية. قال صاحب الكشاف في المفصل ناقلاً عن سيبويه: إن «هل» في قولهم: «أهل» بمعنى «قد» إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الاستفهام يعني أنها مختصة بالاستفهام ولا تستعمل إلا في موضع الاستفهام فكأنها بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها أداة الاستفهام. **قوله**: (ولذلك) أي ولكون «هل» موضوعة لتقريب ما مضى وقوعه من الحال فسرت بـ «قد» كما ذكر في المفصل، ولما كانت كلمة «هل» مختصة بالاستفهام التقريري وتقريب الماضي من الحال كان أصل ﴿هل أتى﴾ أهل أتى، وكان معناه قد أتى على الإنسان قبل زمان قريب من خلقه ﴿حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ بالإنسانية على معنى أنه وإن كان شيئًا إلا أنه كان شيئًا لا يعرف ولا يذكر ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، وذلك من حين خلقه من تراب إلى أن نفخ فيه الروح، ونظيره قوله تعالى:

كقـولـه:

أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود. ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢] أي فهلا تذكرون فتعلمون أن من أنشأ الإنسان بعد أن لم يكن قادر على إعادته بعد موته. **قوله:** (كقوله) أي الشاعر: وأصل البيت:

سائل فوارس يربوع بشدتنا **(أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم)**

ويربوع أبوحي من تميم. وقوله: «بشدتنا» بفتح الشين وهي الحملة ويروى بكسرها وهي القوة، وسفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل أي الحضيض والقاع المستوي من الأرض أي الصحراء. والأكم جمع أكمة وهي التل أي الجبل الصغير. يقول: سائل هذه القبيلة عن حال شدتنا أكانت قوية جلبت لنا العز والغلبة أم كانت دونها فجلبت الذل والمغلوبية؟ **قوله:** (طائفة محدودة من الزمان) فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين حدها تنبيهًا على أنها محدودة في نفسها ومبهمة الحد في علمنا، وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الزمن الممتد الوهمي كما هو المشهور. واختلفوا في الإنسان المذكور ههنا؛ فقال جماعة من المفسرين: المراد به آدم عليه السلام، فمن ذهب إلى هذا قال: إن الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الآية ثم عقب بذكر خلق جنس الإنسان من ذريته فقال: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ وقال آخرون: المراد بالإنسان بنو آدم بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] إذ المناسب أن يكون المراد بالإنسان في الموضعين واحدًا، وعلى هذا القول يكون المراد بالحين تسعة أشهر مدة الحمل لأنه ما دام في بطن أمه لم يكن شيئًا مذكورًا لأنه نطفة أو علقة أو مضغة ولا قدر لشيء منها حتى يذكر ويعتني بشأنه. وإذا كان المراد به نفس آدم عليه السلام فقد اختلف في تعيين المراد بالحين حينئذٍ؛ فقيل: إنه أربعون سنة لما روي أنه أتى عليه أربعون سنة وهو جسد ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين، وإن كان شيئًا موجودًا لكن لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم نفخ فيه الروح بعد أربعين سنة. وروي أيضًا أنه خلق من طين فقام عليه أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة. وروي أيضًا أنه خلق من طين فقام عليه أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، ثم تم خلقه بتمام أربع أربعينات أعني مائة وستين سنة، ثم نفخ فيه الروح. فلأجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها.

مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ بل كان شيئًا منسيًا غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الإنسان، أو وصف لحين بحذف الراجع. والمراد بالإنسان الجنس لقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أو آدم عليه السلام. بيّن أولاً خلقه ثم ذكر خلق بنيه. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته ووصف النطفة به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو. وقيل: مفرد كأعشار وأكياش.

قوله: (بل كان شيئًا منسيًا) إشارة إلى أن المنفي ليس أصل كونه شيئًا بل المنفي هو كونه شيئًا شريفًا مذكورًا بالإنسانية، فإنه في ذلك الحين كان شيئًا خاملاً لا يعرف ولا يذكر ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، وذلك من حين خلقه من تراب إلى أن نفخ فيه الروح، وكذا جنس الإنسان من ذرية آدم كان في الرحم شيئًا تافهًا حقيرًا كالنطفة. فإن قيل: إن الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفح الروح فيه ما كان إنسانًا، والآية تقتضي أن يمضي على الإنسان حال كونه إنسانًا حين من الدهر مع أنه في ذلك الوقت ما كان شيئًا مذكورًا بالإنسانية. فالجواب أن الطين أو الصلصال إذا كان مصورًا بصورة الإنسان وكان محكومًا عليه بأنه سينفخ فيه الروح ويصير إنسانًا صح تسميته إنسانًا باعتبار ما يؤول إليه، وإن كان غير مذكور بالإنسانية. ومن قال: إن الإنسان هو النفس الناطقة وأنها موجودة قبل وجود الأبدان، فلا يتوجه عليه الإشكال. **قوله:** (والجملة حال من الإنسان) تقديره: أتى عليه حين من الدهر حالة كونه لم يكن شيئًا مذكورًا، أو وصف لحين يحذف الراجع مع الجار وهو فيه، تقديره: حين لم يكن الإنسان فيه شيئًا مذكورًا. **قوله:** (أخلاط) جمع خلط وهو المادة التي يركب منها الشيء. يقال: أخلاط الطيب أي أجزاؤه ومواده والأمشاج واحدها إما مشج بفتحتين كمثل وأمثال، أو مشج بكسر الميم وسكون الشين كعدل وأعدال، أو مشيج كشريف وأشراف يقال: مشجت الشيئين مشجًا إذا خلطتهما. **قوله:** (ووصف النطفة به) أي جعله وصفًا لها مع كونها مفردًا والأمشاج جمعًا ولا مطابقة بينهما. وتقرير الجواب أن لفظ النطفة وإن كان مفردًا إلا أن المراد به هو المجموع المؤلف من مني الرجل والمرأة وكل واحد منهما مني مغاير للآخر بالذات. وأيضًا لما كانت أجزاء كل واحد منهما مختلفة كأنها نطف منفردة عن بعضها صار المجموع المؤلف منهما كأنه نطف شتى فجمع وصفه لذلك. **قوله:** (وقيل مفرد) عطف على قوله جمع مشج أي وقيل: إن قوله تعالى: ﴿من نطفة أمشاج﴾ مثل قولهم: برمة أعشار وبردة أكياش في أن صيغة أفعال فيها لفظ مفرد، ولذلك وقعت صفة لمفرد ليدل على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل أشراف وأيتام. يقال: برمة أعشار إذا انكسرت قطعًا، وبرد أكياش وهو ما يغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن.

وقيل: ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإن اختلط أخضرًا، أو أطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موقع الحال أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره، أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من

قوله: (وقيل ألوان) عطف على قوله: «أخلاط». قال مجاهد: الأمشاج ألوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء. وقيل: الأمشاج هي الأطوار المختلفة التي ينتقل الجسم من بعضها إلى بعض. وقيل: إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطًا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والتقدير: من نطفة ذات أمشاج فحذف المضاف. **قوله:** (بمعنى مريدين اختباره) أي بالأمر والنهي والمحنة بالرخاء والشدة يعني أنه حال مقدرة لا مقارنة إذ لا اختبار وقت خلقه، أو مقارنة إن كان الابتلاء مستعارًا للنقل بأن شبه النقل من حال إلى حال بفعل من يفعل أفعالاً مختلفة للامتحان من حيث إنه يظهر بعد النقل أمر آخر كما يظهر بعد الأفعال الكائنة للامتحان العلم المتفرع عليها فهو كالمسبب من الابتلاء، فإنه لما خلق الإنسان للابتلاء والتكليف أعطاه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر ما يتوقف عليه الفهم والتمييز، فلذلك دخلت الفاء على إعطائه الذي هو سبب له. والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله: «خلقنا» وقوله: «نبتليه» قيد له لما تقرر من أن الحال قيد لعاملها والمراد بترتيب الهداية على إعطاء الحواس ما ذكره بعد ذكر جعله سميعًا بصيرًا لكون الهداية وبيان سبيل الهدى وتعريفه بنصب الأدلة وبعث الرسل متأخرة عن خلق الحواس وأسباب الفهم والتعقل، فإن المراد بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك، ومعنى هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منها وذلك إنما يكون بعد إعطاء العقل، وإعطاء الحواس متقدم على إعطاء العقل لأن الإنسان في مبدأ الفطرة خال عن جميع العلوم والمعارف إلا أن الحواس الظاهرة والباطنة آلات تعينه على تحصيل العلوم الأولية من المبادىء التصورية والتصديقية. فإنه إذا أحس بها المحسوسات وتنبه لما بينها من المشاركات والمباينات حصل له المبادىء التصورية بالضرورة، ثم إذا تحرك فيها على طريق الحركة في الكيف إلى أن يجد المبادىء المناسبة لمطالبه ويرتبها على الوجه المخصوص يحصل له المطالب التصورية المكتسبة وإذا تصور بها نسبًا حكمية وحكم عليها بالإيقاع والانتزاع يحصل له مبادىء تصديقية بالضرورة، ثم إذا تحرك فيها إلى أن يجد المبادىء المناسبة لمطالبه التصديقية تحصل بالاكتساب الفكري مثل الحكم بأن هذا الاعتقاد وهذا العمل سبيل السعادة والنجاة وذلك سبيل الشقاوة والهلاك، فثبت أن مرتبة التحلي بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق الأشياء والتصديق بأحوالها وتعيين

الابتلاء، ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي بنصب الدلائل وإنزال الآيات. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ حالان من الهاء. و«إما» للتفصيل أو التقسيم أي هديناه في حاليه جميعًا أو مقسومًا إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه، أو من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز. وقرىء إما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرًا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل، وإشعارًا بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالبًا وإنما المؤاخذ به التوغل فيه.

سبيل الخير وتمييزه عن سبيل الشر. ولهذا السر رتب **قوله**: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ على إعطاء الحواس.

قوله تعالى: (إما شاكرًا وإما كفورًا) حالان من الضمير المنصوب في «هديناه» أي بينا له سبيل الهدى شاكرًا أو كفورًا أي في حاليه جميعًا، على أن تكون كلمة «إما» للتفصيل أي لتفصيل ذي الحال فإنه مجمل من حيث الدلالة على الأحوال إذ لا يعلم أن المراد هدايته في حال كفره أو في حال إيمانه وطاعته لله تعالى، فلما دخلت كلمة «إما» على كل واحد من الحالين فصل. وذكر في شرح الرضي: أن كلمتي «أو» و «إما» لهما ثلاثة معان في الخبر: الشك والإبهام والتفصيل، وفي الأمر لهما معنيان: التخيير والإباحة. فالشك إذا أخبرت عن أحد الشيئين ولا تعرفه بعينه، والإبهام إذا عرفته بعينه وقصدت أن تبهم الأمر على المخاطب فإذا قلت: جاءني زيدًا وعمرو، أو جاءني إما زيد وإما عمرو ولم تعرف الجائي منهما بعينه فـ «أو» و «إما» للشك، وإذا عرفته وقصدت الإبهام على السامع فهما للإبهام، وإذا لم تشك ولم تقصد الإبهام على السامع فهما للتفصيل. هذا محصل ما فيه. **قوله**: (أو للتقسيم) بأن يفرد ذو الحال من حيث إنه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي ويجعل كل واحد من مدخول كلمة «إما» قيدًا له فيحصل بتقييده لكل واحد منهما قسم منه. والمعنى: هدينا مطلق الإنسان منقسمًا إلى الإنسان الشاكر وهو الموحد المطيع وإلى الإنسان الكفور المشرك، فالمعنى على التفصيل: هديناه في حاليه جميعًا، وعلى التقسيم هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شكورًا وتارة كفورًا كما هو مذهب أهل السنة. **قوله**: (أو من السبيل) عطف على قوله: «من الهاء» أي أنهما حالان من الهاء أو أنهما حالان من السبيل على معنى: عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا أو سبيلاً كفورًا. ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز من حيث إن السبيل وصف بوصف من سلكه. **قوله**: (وقرىء إما بالفتح) أي بفتح الهمزة على «إما» التفصيلية وجوابها محذوف، والمعنى: إما كونه شاكرًا فبتوفيقنا وإما كونه كفورًا فبخذلان منا بسوء اختياره. ثم إنه تعالى لما ذكر فريقي الشاكر والكفور اتبعه الوعد والوعيد

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ بها يقادون ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ بها يقيدون. ﴿وَسَعِيرًا ۝٤﴾ بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لأن الإنذار أهم وأنفع. وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن. وقرأ نافع وهشام والكسائي وأبو بكر «سلاسلاً» للمناسبة ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر كأرباب أو بار كأشهاد. ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ من خمر

لهما فقال: ﴿إنا اعتدنا للكافرين﴾ **قدم وعيد الكافرين ثم ذكر ما أعد للشاكرين لما ذكره المصنف والاعتاد الإعداد والتهيئة وهي جعل الشيء عتيدًا حاضرًا لزمان الاحتياج إليه. قوله:** (هو جمع بر) وهو من أطاع الله تعالى وامتثل أمره. وقيل: البر الموحد. وقيل: البر الذي لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر. وقيل: الأبرار هم الذين بروا الناس وأشفقوا عليهم. وقيل: هم الذين بروا أنفسهم بترك المعاصي. **قوله:** (من خمر) فسر الكأس بالخمر على طريق ذكر المحل وإرادة الحال لما روي عن قتادة والضحاك وابن عباس أنهم فسروا بذلك، ولعل الباعث عليه قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] والكافور لا يمزج بالكأس بل يمزج بما فيها من الخمر. فالظاهر على هذا أن تكون كلمة «من» صلة، والكأس عند أهل اللغة الإناء الذي فيه الخمر وإن لم يكن فيه خمر فهو قدح. ومزاج الشيء اسم لما يمزج به أي يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشيء، ومنه: مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها. والكافور طيب معروف واشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنه يغطي الأشياء برائحته، ولأنه ماء مكفور في جوف ضيق من الشجرة فيغرزونه بالحديد فيخرج إلى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ المتجمد على الأشجار. قيل: في الآية سؤال هو أن مزج الكافور بالمشروب لا نجده لذيذًا فما السبب في ذكره ههنا؟ والجواب عنه من وجوه: أحدها أن الكافور اسم عين في الجنة ماؤها أبيض مثل الكافور في لونه ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته، فالمعنى: أن ذلك الشراب يكون ممزوجًا بماء هذه العين. وثانيها أن رائحة الكافور عرض لا يكون إلا في جسم فإذا خلق الله تعالى تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب سمي ذلك الجسم كافورًا تشبيهًا له بالكافور في رائحته وإن كان طعمه طيبًا. وثالثها لا بأس في أن يخلق الله الكافور في الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب ما فيه من المضرة، ثم إنه تعالى يمزجه بذلك المشروب. فالمصنف أشار إلى هذا الجواب بقوله: «لبرده وعذوبته وطيب عرفه» يعني أن كافورها وإن شارك كافور الدنيا في البياض والبرودة وطيب الرائحة، لكنه يخالفه في طعمه فإنه حلو لذيذ. وإلى الجواب الأول بقوله: وقيل: الكافور اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في بعض أوصافه فسمي باسمه على سبيل الاستعارة. وإلى الثاني بأن المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورًا بطريق تسمية الحال باسم المحل.

وهي في الأصل القدح تكون فيه. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما يمزج بها ﴿كَافُورًا ۝﴾ لبرده وعذوبته وطيب عرفه. وقيل: اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه. وقيل: يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به. ﴿عَيْنًا﴾ بدل من كافورًا إن جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف أي ماء عين أو خمرها، أو نصب على الاختصاص، أو بفعل يفسره ما بعده. ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ ملتذًا أو ممزوجًا بها. وقيل: الباء مزيدة أو بمعنى «من» لأن الشرب يبتدأ منها كما هو ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾ يجرونها حيث شاؤوا إجراء سهلاً.

قوله: (إن جعل اسم ماء) وأما إن كان المراد بالكافور الطيب المعروف أو كيفيته فلا يصح حينئذٍ إبدال «عينًا» منه إلا غلطًا وبدل الغلط لا يقع في القرآن «فعينا» حينئذٍ بدل من محل من «كاس» على تقدير المضاف والتقدير: يشربون خمرًا خمر عين، أو منصوب بتقدير أعني، أو بإضمار «يشربون» يفسره ما بعده ولم يجعل «عينًا» مفعول «يشربون» و«من» صلة فلا تنصب مفعولاً آخر.

قوله: (على تقدير مضاف) لا بد من تقديره على كل حال من التقديرين: إما على تقدير كونه بدلاً من «كافورًا» فلأن كونه بدلاً منه مبني على أن يجعل الكافور اسم ماء والعين التي هي منبع الماء لا تبدل من نفس الماء إلا بتقدير مضاف أي ماء عين، وإما على تقدير كونه بدلاً من محل من «كاس» فلأنه فسر الكاس بالخمر والعين لا تبدل من الخمر إلا بأن يكون التقدير: خمر عين. فقول المصنف: «أي ماء عين أو خمرها» لف ونشر مرتب. **قوله: (ملتذًا أو ممزوجًا بها)** على أن تكون الباء في «بها» متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول «يشرب» وهو أيضًا محذوف وهو ضمير العين، ثم إن كان العين بدلاً من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير الكلام: عينًا يشرب بها عباد الله في حال كونها ملتذًا بها، وإن كان بدلاً من محل «من كاس» كان تقدير الكلام: عينًا يشرب بها عباد الله في حال كونها ممزوجًا بها. **قوله: (وقيل الباء مزيدة)** فيكون الضمير المجرور مفعولاً به «ليشرب» أي عينًا يشرب بها، والجملة على جميع التقادير صفة لقوله: «عينًا» وقوله: «يفجرونها» صفة ثانية لها، أو حال من عباد الله بمعنى مفجرين. والتفجير الإجراء يقال: فجرت الماء أفجره بالضم فجرًا فانفجر أي سقته وأجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة. وقوله: «حيث شاؤوا» مستفاد من عدم ذكر المفعول وقوله: «إجراء سهلاً» مستفاد من المصدر المؤكد فإنه يدل على أنه لا يمتنع عليهم كإجراء أنهار الدنيا وعيونها. واعلم أن الله تعالى لما وصف ثواب الأبرار في الآخرة شرح أعمالهم التي استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستئناف ﴿يوفون بالنذر﴾ الآية كأنه قيل: ما لهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل؟ فأجيب بأنهم كانوا

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك، وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لله كان أوفى بما أوجبه الله عليه. ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شدائده ﴿مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ فاشيًا منتشرًا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار. وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حب الله أو الطعام أو الإطعام. ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ يعني أسارى الكفار، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين. فيقول: «أحسن إليه» أو الأسير المؤمن ويدخل فيه

يوفون ما أوجبوه على أنفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما أوجب لله على نفسه كان بما أوجبه الله تعالى عليه أوفى. والإيفاء بالشيء هو الإتيان به تامًا وافيًا. **قوله:** (**وفيه إشعار بحسن عقيدتهم**) حيث يؤمنون بالبعث والجزاء، فإن الاعتقاد به أصل يدور عليه مراعاة جميع الوظائف الاعتقادية والعملية. عن مقاتل قال: فشا سره في السمٰوات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض فنسفت الجبال واندكت الأرض وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء. أطلق الشر على أهوال القيامة مع أنها عين حكمة وصواب لكونها مضرة وشدة بالنسبة إلى من تنزل عليه، فلذلك فسره المصنف بقوله: «شدائده» ومن خاف من مثل ذلك اليوم فلا جرم يجتنب المعاصي.
قوله: (**حب الله**) يحتمل وجهين: الأول أن يكون المصدر مضافًا إلى المفعول والفاعل متروك أي على حبهم الله تعالى، والثاني أن يضاف إلى الفاعل والمفعول متروك أي على حب الله تعالى الإطعام. وعلى تقدير أن يكون ضمير حبه للطعام المذكور أو للإطعام المدلول عليه بقوله: «ويطعمون» يكون المصدر مضافًا إلى مفعوله والفاعل متروك أي على حبهم الطعام أو الإطعام أي وهم يحبونه على أن يكون الجار والمجرور في موضع الحال من فاعل «يحبون»، وقوله: «مسكينًا» أو ما عطف عليه مفعول ثانٍ لقوله: «ويطعمون». فإن مجامع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله وإليه الإشارة بقوله: ﴿يوفون بالنذر﴾ والشفقة على خلق الله تعالى وإليه الإشارة بقوله: ﴿ويطعمون الطعام﴾ فإن الإطعام الذي هو جعل الغير طاعمًا كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه أمكن وإن لم يكن ذلك بالطعام بعينه، إلا أن الإحسان بالطعام لما كان أشرف أنواع الإحسان عبّر عن جنس الإحسان باسم هذا النوع. **قوله:** (**فيقول أحسن إليه**) وذلك لأنه يجب الإطعام إلى أن يرى الإمام رأيه فيهم من قتل أو منّ أو فدية أو استرقاق، فإن قيل: إذا كان الأسير الكافر ممن يكون عاقبة أمره القتل كيف يجب إطعامه؟ قلنا: القتل في حال لا ينافي وجوب الإطعام في حال أخرى، ولا يجب إذا عوقب بوجه أن يعاقب بوجه آخر ولذلك لا يحسن

المملوك والمسبحون. وفي الحديث: «غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك». ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادة القول بلسان الحال، أو المقال إزاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للأجر. وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا، فإن ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصًا عند الله. ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ أي شكرًا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ فلذلك نحسن إليكم أو لا نطلب المكافأة منكم. ﴿يَوْمًا﴾ عذاب يوم ﴿عَبُوسًا﴾ تعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس في ضراوته. ﴿قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من أقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر.

فيمن يلزمه القصاص أن يفعل به غير القتل. ثم هذا الإطعام يجب على الإمام فإن لم يطعمه الإمام وجب على المسلمين. ثم إنه تعالى لما ذكر أصناف من تجب مواساتهم وهم ثلاثة: أحدهم المسكين وهو العاجز عن الكسب بنفسه، والثاني اليتيم وهو الذي مات كاسبه وهو صغير، والثالث الأسير وهو الذي أخذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرًا ولا حيلة، بيّن أن لهم فيه غرضين: أحدهما تحصيل رضى الله تعالى وهو المراد بقوله: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ والثاني الاحتراز عن خوف يوم القيامة وهو المراد من قوله: ﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾ والعبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة وصف اليوم به مجازًا كما يقال: صام نهاره.

قوله: (فلذلك نحسن إليكم أو لا نطلب المكافأة منكم) يعني أن قوله تعالى: ﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا﴾ جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل أن يكون علة لقوله: ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا﴾ أي لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة. **قوله:** (أو يشبه الأسد العبوس في ضراوته) عطف على «تعبس» يعني أن إسناد العبوس إلى اليوم إما من قبيل إسناد فعل أهل ذلك اليوم إلى زمان فعلهم مثل صام نهاره، أو من قبيل إثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون دليلاً على التشبيه المضمر في النفس بأن شبه اليوم بالأسد العبوس الكريه المنظر في شدة عبوسه لمن يراه تشبيهًا مضمرًا في النفس وجعل ثبات لازم المشبه به له وهو العبوسة دليلاً على ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية. والضراوة هي السطوة والإقدام على إيصال الضرر بالعنف والحدة لكل من وراءه. والقمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع ما بين عينيه، وهو أيضًا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال: وجه قمطرير أي منقبض من شدة العبوس. **قوله:** (وجمعت قطريها) يقال: جمع فلان بين قطريه إذا تغير مغضبًا كأنه جمع جوانبه لأن يصول على من يغضبه، والقطر هو الجانب والناحية يقال: طعنه فقطره تقطيرًا أي ألقاه على أحد قطريه أي

والميم زائدة ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه. ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ بدل عبوس الفجار وحزنهم.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وإيثار الأموال ﴿جَنَّةً﴾ بستانًا يأكلون منه. ﴿وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ يلبسونه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في أناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك. فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهم موقع ثلاثة أيام إن برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسة أقراص فوضعوا بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صيامًا فلما أمسوا ووضعوا الطعام، وقف عليهم يتيم فآثروه، وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل

على أحد جانبيه فتقطر أي سقط، ويقال: أقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها على أن أقمطر في اللغة بمعنى جمع. فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سببًا لعبوس أهله وجمعهم ما بين أعينهم، وعلى ما ذكره المصنف يكون تشبيهه بالعبوس الذي يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية. **قوله:** (**والميم زائدة**) لم يتعرض لزيادة الراء على أن قاعدة الصرف تقتضي زيادتها أيضًا بناء على أن الراء ليست من حروف الزيادة وهي حروف: هويت السمان بخلاف الميم. قال الأخفش: القمطرير أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء. **قوله:** (**وإيثار الأموال**) إشارة إلى المراد بقوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ ليس هو الإطعام فقط بل جميع طرق المواساة بأهل الحاجات من الطعام والكسوة، ويدل عليه عطف قوله: ﴿وحريرًا﴾ على «جنة» عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع والمجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العرى. **قوله:** (**بستانًا يأكلون منه**) إشارة إلى أنه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار وهي دار الكرامة المشتملة على جميع آثار رحمة الله تعالى وفضله حتى يقال: أي حاجة إلى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع أنها مشتملة عليه في جملة ما أعد فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات فذكرها لا يغني عن ذكر الملبس. **قوله:** (**واختبزت**) فلما وضعوها بين أيديهم وقف عليهم مسكين من المسلمين وقال: أطعموني يطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه على أنفسهم، وآثروا اليتيم في الليلة الثانية، والأسير في الليلة الثالثة. فلما آثروه أصبحوا فأخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم ودخل إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام: «ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم». فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة إلى

ذلك. فنزل جبريل بهذه السورة وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ حال من هم في جزاهم أو صفة الجنة. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ يحتملهما وأن يكون حالاً من المستكن في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذٍ. وقيل: الزمهرير القمر في لغة

آخرها. ولا يلزم من هذا أن يكون المراد من الأبرار أهل بيت رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين. غاية ما في الباب أنها نزلت عند صدور هذه القرية منهم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإنه تعالى ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلق للابتلاء والامتحان، ثم بيّن أنه هدى الكل وأزاح علتهم، ثم بيّن أنهم انقسموا إلى شاكر وإلى كفور، ثم ذكر وعيد الكفور، ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والأبرار. وهذا الأسلوب يأبى أن يخص الأبرار بأهل بيت معين وإن كانوا يدخلون فيهم دخولاً أوليًا كما يدخلون في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين وكذا غيرهم من أتقياء الصحابة والتابعين، فلا وجه لأن يقال: إنها نزلت في حق علي بن أبي طالب خاصة رضي الله عنه وكرم وجهه. **قوله: (أو صفة لجنة)** أي لقاهم وأعطاهم جنة متكئين هم فيها. وفيه بحث لأن متكئين حينئذٍ تكون جارية على غير من هي له فيجب إبراز الضمير عند البصريين فإن اسم الفاعل إذا جرى صفة أو خبرًا أو حالاً أو صلة على غير من هو له لا يستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب إبرازه ولا كذلك الفعل فإنه يجوز استتار الضمير فيه حينئذٍ، فقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمسًا﴾ يجوز أن يكون صفة «لجنة» مع استتار الضمير فيه بخلاف «متكئين» و «دانية» فإنهما لا يكونان صفة له لعدم الإبراز. ومنهم من لا يفرق بين الفعل واسم الفاعل في جواز الإبراز حينئذٍ ولا يجوز أن يكون «متكئين» حالاً من فاعل «صبروا» لأن صبرهم كان في الدنيا واتكاؤهم إنما هو في الآخرة، إلا أن تجعل حالاً مقدرة. والأرائك جمع أريكة وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور، والسرير لا يسمى أريكة إلا إذا كان في الحجلة، كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء وإذا كان فارغًا لا يسمى سجلاً، وكذا الكأس لا تسمى كأسًا إلا إذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير.

قوله: (يمر عليهم فيها هواء معتدل) يعني أن ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وإرادة اللازم، لأن المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوها عن الهواء الحار المؤذي بحره وعن الهواء البارد المؤذي ببرده، فذكر الشمس والزمهرير وأريد ما يلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لا يفيد هذا المعنى، فقوله تعالى: ﴿لا يرون﴾ بمعنى لا يجدون لأن الهواء ليس مما يرى. وفي الحديث: «هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر». والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهواء المعتدل، والقر بالفتح

طي قال الشاعر:

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس وقمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ إما حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها أو عطف على جنة أي وجنة أخرى دانية على أنهم وعدوا جنتين كقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] وقرئت بالرفع على أنه خبر ظلالها والجملة حال أو صفة. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ معطوف على ما قبله أو حال من دانية. وتذليل القطوف أن تجعل

بمعنى البارد، وبالضم بمعنى البرد. **قوله: (قد اعتكر)** يقال: اعتكر الظلام أي اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض من بطيء انجلائه وزهرت النار زهورًا أضاءت. ويروى والزمهرير ما ظهر بدل ما زهر أي وقمرها ما طلع. **قوله: (والمعنى)** يعني أن المعنى على تقدير أن يكون المراد بالزمهرير القمر أن الجنة يكون هواؤها مضيئًا بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا إلى قمر، وأن أهلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار لأنهما إنما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها، وعبّر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج إليهما. **قوله: (أي وجنة أخرى)** على أن «دانية» صفة موصوف محذوف والمعنى: وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرًا وجنة أخرى دانية، فالأبرار المذكورون لما كانوا خائفين بدليل قولهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ [الإنسان: ١٠] وعدوا جنتين كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]. **قوله: (والجملة حال أو صفة)** أي على تقدير أن يكون «ظلالها» مبتدأ و «دانية» خبره مقدمًا عليه تكون الجملة الاسمية إما حالاً من فاعل «لا يرون» فتكون الواو فيها حالية لا عاطفة والمعنى: لا يرون فيها حرًا ولا قرًا والحال أن ظلالها دانية عليهم، وإما صفة لجنة فتكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] فإن قيل: كيف توصف الجنة بأن ظلال ما فيها من الأشجار دانية أي قريبة من الأبرار والحال أن الظل إنما يوجد حيث توجد تلك الشمس، ولا شمس في الجنة حتى يظل أهلها ما فيها من الأشجار؟ فالجواب أن المراد بأن أشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الأشجار مظلة منها. والقطوف جمع قطف بالكسر وهو العنقود، والمراد به في الآية الثمر مطلقًا، والقطف بالفتح مصدر قولك: قطفت العنبة أي قطعتها، وسمي الثمر قطفًا لأنه يقطف كما سمي جنى لأنه يجنى. **قوله: (معطوف على ما قبله)** فيكون تابعًا له في حكم إعرابه، فإن نصبت «دانية» على الحالية تكون جملة ذللت أيضًا حالاً أي ودانية ومذللة قطوفها لهم، وإن نصبتها على الوصف يكون ذللت أيضًا صفة أخرى أي جزاهم جنة ذللت. **قوله: (أو حال من دانية)** بتقدير قد وهذا الوجه مبني

سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا. ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وأباريق لا عروة لها. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها. وقد نون «قوارير» من نون «سلاسلاً» وابن كثير الأولى لأنها رأس الآية والباقون لم ينونوا أصلاً. وقرىء «قوارير من فضة» على هي

على أن يكون «دانية» منصوبًا بالعطف على «جنة» بتقدير الموصوف حتى يكون حالاً من المفعول به أي وجزاهم جنة أخرى دانية وقد ذللت قطوفها لهم إلا أن يكون المراد أو حال من فاعل «دانية»، كأنه قيل: تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم. ثم إنه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الأواني التي يشربون بها فقال: ﴿ويطاف عليهم﴾ أي ويدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشرب ﴿بآنية من فضة﴾ وآنية جمع إناء وأصلها أأنية بهمزتين الأولى همزة أفعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها. وقوله: «من فضة» نعت لآنية. والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ولا خرطوم، وإفرادها بالذكر بعد ذكر الآنية لشرفها بالنسبة إلى غيرها كقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] ويحتمل أن يكون المراد بالآنية ما يشرب فيه كالقدح وبالكوب ما يصب منه في الإناء كالإبريق كما أشار إليه بقوله: «وأباريق». **قوله**: (أي تكونت) إشارة إلى أن «كان» تامة بمعنى حدثت فيكون «قوارير» الأول حالاً من فاعل «كان». ولعل الوجه في اختيار كونها تامة مع جواز كونها ناقصة و «قوارير» الأول خبرها، أنها إذا جعلت بمعنى تكونت وحدثت ينتقل الذهن إلى المكون المحدث وحيث لا يكون إلا الله كان المعنى: تكونت حال كونها قوارير بتكوين الله تعالى، فتكون إشارة إلى تفخيم الآنية بكونها أثر قدرة الله تعالى. ولما ورد أن يقال: كيف تكون الأكواب المذكورة من فضة ومن قوارير زجاجية؟ أشار إلى جوابه بأنه ليس المعنى أنها قوارير زجاجية متخذة من الفضة، بل الحكم عليها بأنها قوارير وأنها من فضة من باب التمثيل للتفهيم فإنها في نفسها ليست فضة ولا زجاجية، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. فثبت به أن آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها، إلا أنها لما كانت جامعة بين صفاء الزجاجة ولطفها وبين بياض الفضة ولبنها وصفت بأنها من فضة تكونت حال كونها قوارير. والأصل في مثل سلاسل وقوارير أن لا ينصرف لأنه على صيغة منتهى الجموع إلا أن من صرفه ونونه شبّهه بالمفرد من حيث إنه جمع جمع السلامة كما تجمع الآحاد المنصرفة، حيث يقال: صواحبات يوسف في جمع صواحب، فلما جمع كما تجمع الألفاظ المفردة جعل في حكمها وصرف مع أن أبا الحسن حكى عن بعض القوم أنهم صرفوا جميع ما لا ينصرف إلا أفعل من بناء على أن الأصل في

قوارير ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ أي قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه، أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها، أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله: يطاف شرابها على قدر اشتهائهم. وقرىء «قدروها» أي جعلوا قادرين بها كما شاؤوا من قدر منقولاً من قدرت الشيء.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ ماء يشبه الزنجبيل في الطعم. وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ لسلاسة انحدارها في

الأسماء أن تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء في الشعر. واعلم أن القرآن في كلمتي «قوارير» على خمس مراتب: الأولى تنوينهما معًا والوقف عليهما بالألف بدل التنوين كنافع والكسائي وأبي بكر. والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالألف كحمزة وحده، والثالثة تنوين الأول دون الثاني والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها وهو لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص. ووجه القول الأخير أن الأول رأس آية فناسب أن يوقف عليه بالألف، والثاني ليس برأس آية فلم يوقف عليه بالألف. ومن لم ينونهما وقف عليهما بالألف نظرًا إلى أن الأول رأس آية، وحمل الثاني على الأول للمناسبة بينهما، ونصف «قوارير» الأول على أنه خبر «كان» إن جعلت ناقصة وعلى الحال إن جعلت تامة والجملة صفة لأكواب، وأما نصب «قوارير» الثاني وهو قراءة الجمهور فعلى أنه بدل من الأول للإيضاح والبيان حيث بيّن أنه من الفضة.

قوله: (**أي قدروها في أنفسهم**) على أن يكون فاعل «قدروها» ضمير أهل الجنة لا ضمير الطائفين «وقدروها» في محل النصب على أنه صفة «قوارير» والمعنى: قدر الشاربون في أنفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير وأشكال على حسب ما يريدون ويشتهون فجاء كما قدروها. فإن منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل، أما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿كانت قوارير﴾ وأما النقاء فقد ذكره بقوله: ﴿من فضة﴾ وأما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله: ﴿قدروها تقديرًا﴾. **قوله**: (**أو قدر الطائفون بها**) على أن ضمير «قدروها» للخدام الطائفين، ولا بد من تقدير المضاف حينئذٍ أي قدر الخدام شراب القوارير على قدر ري الشارب من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته، فإن كل واحد من طرفي الاعتدال مذموم. وقرىء «قدروها» بضم القاف وكسر الدال المشددة على بناء المفعول منقولاً إلى بناء التفعيل من قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرًا له، والمعنى: جعلوا قادرين لها كما شاؤوا. **قوله**: (**ما يشبه الزنجبيل**) كلمة «ما» في قوله: «ما يشبه الزنجبيل» يحتمل أن تكون بألف ممدودة ويشبه صفتها وبألف مقصورة ويشبه صلتها، وعلى التقديرين لا يكون الزنجبيل على حقيقته بل

الحلق وسهولة مساغها يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء. والمراد إن ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه. وقيل: أصله سل سبيلاً فسميت به كتأبط شرًا لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض.

يكون اسم ماء في الجنة يشبه الزنجبيل في بعض أوصافه يمزج به شراب الأبرار، كما قيل: إن الكافور اسم ماء فيها يشبه الكافور فيكون «عينًا» بدلاً من «زنجبيلاً» بتقدير المضاف أي ماء عين. وإن كان الزنجبيل على حقيقته يكون «عينًا» بدلاً من «كأسًا» أي ويسقون فيها خمرًا خمر عين فيها. لما وصف الله تعالى أواني مشروبهم فقال: ﴿ويسقون فيها﴾ الآية وصف مشروبهم بأنه ممزوج بالزنجبيل لأن العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب، ولما توهم من تسمية تلك العين بالزنجبيل أن ليس فيها سلاسة الانحدار في الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع أزال ذلك الوهم بأنها تسمى سلسبيلاً لسلاسة انحدارها أي نزولها في الحلق وانتفاء لذع الزنجبيل عنها، فإن السلاسة هي ضد اللذع وهو الإحراق يقال: لذعته النار أي أحرقته. **قوله:** (ولذلك) أي ولكون السلسبيل بمعنى السلسال والسلسل اللذين هما من صفات الماء بمعنى سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه. قيل: زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة. **قوله:** (**وقيل أصله سل سبيلاً**) على أنه كلام مركب من فعل أمر من سألته الشيء وفاعل مستتر فيه ومفعول بارز والتقدير: سل أنت سبيلاً إليها. ثم جعل هذا الكلام المركب علمًا لعين في الجنة أو لمائها كما سمي الرجل تأبط شرًا. واعلم أنه تعالى مزج شراب الأبرار أولاً كافورًا وثانيًا زنجبيلاً، لأن المقصود الأهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر عرصات القيامة وعبور الصراط وبقدر استيفاء حظوظهم من أنواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم إلى الأشربة التي تهيج الاشتهاء وتعين على تشهيه ثانيًا ألوان المطعومات ويلتذ الطبع بشربها، فلعل الوجه في تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك. والله أعلم. ثم إنه تعالى شرع في ذكر أوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب في تلك الأواني فقال: ﴿ويطوف عليهم ولدان﴾ فإنهم أخف في الخدمة مخلدون دائمون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة في الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون، ويكونون على سن واحد على ممر الأزمنة.

قوله: (وانبثاثهم) أي تفرقهم في محل الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة وطوافهم على الأبرار المخدومين مسارعين في الخدمة، ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، واللؤلؤ إذا كان متفرقًا كان أحسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام معناه أن بصرك أينما وقع. ﴿ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾ واسعًا وفي الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بأنوار قدس الجبروت. ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ. ونصبه على الحال

فيكون مخالفًا للمجتمع منه في اللمعان والبريق. وشبّهت الحور العين باللؤلؤ المكنون أي المحفوظ المخزون لأنهن لا يمهن في الخدمة فلا ينتشرن انتشار الولدان. ثم إنه تعالى لما فصل بعض ما في الجنة من وجوه النعم وصنوف العزة والإكرام اتبعه بما يدل على أن ما فيها من آثار الله تعالى ورحمته ليس مما يحصيه العدو التفصيل فقال: ﴿وإذا رأيت ثم﴾ أي في الجنة فإن «ثم» منصوب على الظرفية و «رأيت» من رؤية البصر فتعدى إلى مفعول واحد، إلا أنه في الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع في جميع ما وقعت الرؤية عليه، كأنه قيل: إذا وجدت الرؤية منك ثم أي في الجنة لا يحصل لك بتلك الرؤية إلا إدراك نعيم كثير لا توصف عظمته وملك كبير لا يعرف كنهه. وقيل: مفعوله «ثم» وهو اسم لا ظرف والمعنى: إذا رأيت ذلك الموضع. وقيل: تقديره: وإذا رأيت ما ثم على أن «ما» موصولة في موضع النصب على أنه مفعول «رأيت» و «ثم» صلته ثم حذف «ما» وأقيم «ثم» مقامه. وهذا خطأ عند البصريين فإنه لا يجوز عندهم حذف الموصول وإقامة الصلة مقامه. ثم قيل: الخطاب في «رأيت» للنبي ﷺ. وقيل: عام لكل ما يصح أن يخاطب. والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير ما ذكر في الحديث الذي أورده المصنف، وزاد المصنف أن العارف له أكثر من ذلك وهو أن تنكشف له صور عالم الغيب والشهادة بحقائقها فتستضيء مرآة قلبه بأنوار العلوم المدنية والمعارف الآلهية بسبب ارتفاع الحجب النفسانية والطبيعية وحصول قوة الاتصال بقدس الجبروت، كما قيل: تجوع تراني تجرّد تصل. انتهى.

قوله: (ونصبه على الحال) اختار قراءة الجمهور، وهم غير نافع وحمزة فإنهم قرؤوا «عاليهم» بفتح الياء وضم الهاء على الأصل فإن الأصل في «هاء» الضمير هو الضم مطلقًا أي سواء كان ضمير المفرد أو المثنى أو المجموع نحو: منه وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن، وفتحت في منها وعنها لأجل الألف، وكسرت إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة نحو: بهم أو فيهم للمجانسة، إلا أن حمزة قرأ الألفاظ الثلاث وهي: عليهم وإليهم ولديهم بضم الهاء في جميع القرآن حيثما وقعت فيه نظرًا إلى أن الياء فيها بدل من الألف، ولو نطق بالألف لم يكن في الهاء إلا الضم، فكذا الحال إذا نطق ببدلها. فمن قرأ «عاليهم» بالنصب جعله حالاً من الضمير المجرور في قوله: «يطوف عليهم» أي يطوف عليهم ولدان عاليًا

من هم في عليهم. أو حسبتهم أو ملكًا على تقدير مضاف أي وأهل ملك كبير عاليهم. وقرأ نافع وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب. وقرأ ابن كثير وأبو بكر «خضر» بالجر حملاً على «سندس» بالمعنى فإنه اسم جنس و«استبرق» بالرفع عطفًا على «ثياب» وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس. وقرأهما نافع وحفص بالرفع. وحمزة والكسائي بالجر. وقرىء و«استبرق» بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علمًا لهذا النوع من

المعطوف عليهم «ثياب سندس» وقوله: «ثياب سندس» مرفوع على أنه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية، فإن «عاليهم» نكرة تكون إضافته لفظية لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال أضيف إلى معموله، فلأجل كونه نكرة جاز نصبه على الحال فإن حق الحال أن يكون نكرة، ويجوز بحسب العربية أن يكون «عاليهم» حالاً من «الولدان» ويكون ضمير الجمع فيه للولدان لا الأبرار، إلا أن المصنف لم يلتفت إليه من حيث إن المقام مقام تعداد نعيم الأبرار وكرامتهم فالمناسب له أن تكون الثياب المذكورة لهم لا للولدان الطائفين. قوله: (أو حسبتهم) أي ويجوز أن يكون انتصاب «عاليهم» مبنيًا على كونه بدلاً من الضمير المنصوب في «حسبتهم» أي حسبت الولدان لؤلؤًا منثورًا في حال كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس، فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لا للمطوف عليهم، أو من الأهل المقدر بعد رأيت أي رأيت أهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس. **قوله: (وقرأ نافع وحمزة بالرفع)** أي بسكون الياء من «عاليهم» لثقل الضمة عليها. وجعل المصنف قراءة الرفع مبنية على أن يكون «ثياب سندس» مبتدأ و«عاليهم» خبره على خلاف ما اختاره الزمخشري من أن يكون «عاليهم» مبتدأ و«ثياب سندس» خبره بمعنى ما يعلوهم من اللباس ثياب سندس، لأنه يرد على ما اختاره الزمخشري أن إضافة «عاليهم» لفظية فيكون نكرة ولا يجوز الابتداء بالنكرة وإن أمكن أن يجاب عنه بأنها مخصصة بإضافتها إلى المعرفة فجاز الابتداء بها. **قوله: (حملاً على سندس بالمعنى)** أي قرىء «خضر» بالجر على أنه صفة «سندس». وقوله: «بالمعنى» جواب عما يقال: كيف يجوز أن يكون خضر وهو جمع أخضر صفة لمفرد؟ وتقرير الجواب أن سندسًا وإن كان مفردًا بحسب اللفظ لكن لما أريد به الجنس كان في معنى الجمع فيصح أن يوصف بالجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] واعلم أن القراء السبعة في «خضر» و«استبرق» على أربع مراتب: الأولى رفعهما لنافع وحفص صفة للثياب كما في قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١] ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الدخان: ٥٣] بالرفع معطوف على «ثياب» لكن على حذف مضاف أي وثياب استبرق كما في قولك: على زيد ثوب خز وكتان أي وثوب كتان. والثانية خفضهما لحمزة والكسائي «خضر» صفة «لسندس» و«استبرق» عطف عليه لأن المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق. والثالثة رفع الأول

الثياب. ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ عطف على و«يطوف عليهم» ولا يخالفه قوله: «أساور من ذهب» لإمكان الجمع والمعاقبة والتبعيض، فإن حلي أهل الجنة يختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليًا وأنوارًا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة، أو حال من الضمير في «عاليهم» بإضمار «قد» وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ يريد به نوعًا آخر

وخفض الثاني لأبي عمرو وابن عامر رفع «خضر» على أنه نعت «الثياب» وجر «استبرق» عطف على «سندس». والرابعة عكس الثالثة أي خفض الأول ورفع الثاني جر «خضر» على أنه نعت «السندس» ورفع «استبرق» عطف على ثياب بحذف مضاف أي وثياب استبرق. والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن، والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق. وقيل: «عاليهم» ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية. ثم منهم من قدر مضافًا أي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى: أن حجالهم من الحرير والديباج لأن كل واحد من الاستبرق والسندس داخل في اسم الحرير في قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]. **قوله:** (عطف على ويطوف عليهم) على طريق عطف فعلية على فعلية و«حلوا» وإن كان ماضيًا لفظًا فإنه مستقبل معنى، وعبّر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه. و«أساور» مفعول ثان «لحلوا» بمعنى ويحلون.

قوله: (ولا يخالفه) جواب عما يقال: إنه تعالى قال في سورة الكهف ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١؛ الحج: ٢٣] وفي سورة الحج: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣] فكيف قيل ههنا: ﴿من فضة﴾؟ وأجاب عنه بثلاثة أوجه: الأول أنه يجوز أن يجمع في أيديهم سواران سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ، .أو يجوز أن يجمع لأيديهم محاسن الجنة كما روي عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أنه قال: ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ. واحتج عليه بهذه الآيات. والثاني يجوز أن يكون ذلك بحسب التعاقب في الأوقات أي يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة. والثالث يجوز أن يكون ذلك بحسب اختلاف أعمالهم. **قوله:** (أو حال من الضمير في عاليهم) عطف على قوله: «عطف على ويطوف عليهم» أي يعلوهم ذلك وقد حلوا. وعلى هذا الوجه يمكن أن تدفع المخالفة بين الآيتين بوجه آخر وهو أن يكون أسورة الذهب للمخدومين وأسورة الفضة للخدم، وإنما قال: «وعلى هذا» لما مر أن ضمير «عاليهم». ويجوز أن يكون مسندًا إلى ضمير «الولدان» بأن يكون حالاً من ضمير «حسبتهم»، فعلى هذا إذا كان قوله تعالى: ﴿وحلوا﴾ حالاً من ضمير «عاليهم» يكون مسندًا إلى ضمير «الولدان» أيضًا بخلاف ما إذا كان حالاً من ضمير «عليهم»

يفوق على النوعين المتقدمين. ولذلك أسند سقيه إلى الله تعالى ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذًا بلقائه باقيًا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين، ولذلك ختم به ثواب الأبرار. ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على إضمار القول والإشارة إلى ما عد من ثوابهم. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ مجازى عليه غير مضيع. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ مفرقًا منجمًا لحكمة اقتضته. وتكرير الضمير مع «أن» مزيد لاختصاص التنزيل.

أو من «ملكًا كبيرًا» على تقدير المضاف فإن قوله: «حلوا» على التقديرين يكون مسندًا إلى ضمير الأبرار فيكون أسورة الفضة لهم لا للولدان. **قوله: (فإنه يطهر شاربه)** يعني أن الطهور بمعنى المطهر كما روي عن مقاتل أنه قال: هو عين ماء أي على باب الجنة يتبع من ساق شجرة منها من شرب منه نزع الله تعالى ما كان في بطنه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من قذر وأذى. وأشير إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فإنه صريح في أن الطهور بمعنى المطهر حيث قال: إن الأشربة تطهر باطنهم من الأخلاق الذميمة والأخلاط المؤذية. وعن علي رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما فترى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث شعورهم أبدًا، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم: سلام عليكم ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وقيل: الطهور مبالغة الطاهر من حيث إنه ليس بنجس كخمر الدنيا لأن كونها رجسًا ثبت شرعًا لا عقلاً وليست الدار دار تكليف. ثم إنه تعالى لما أتم شرح ثواب الأبرار قال: ﴿إن هذا﴾ أي يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لما فيها من أنواع البهجة والنعيم: إن هذا كان لكم جزاء لأعمالكم التي قدمتموها في الدنيا لله تعالى يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم. ويحتمل أن يكون ذلك إخبارًا من الله تعالى لعباده في الدنيا بعد شرح ثواب أهل الجنة لهم بأن يقول: هذا الذي شرحته لكم كان في علمي وحكمي جزاءكم يا معشر عبيدي لكم خلقتها ولأجلكم أعددتها. والشكر إذا أسند إلى العبد يكون عبارة عن قبول طاعة العبد وتوفير ثوابه يقال: شكر الله سعيك أي جزاك الله خيرًا على ما سعيت. وإطلاق الشكر عليه مجاز تشبيهًا له بالشكر من حيث كونه فعلاً واقعًا بمقابلة العمل كالشكر الواقع بمقابلة الإنعام. ثم إنه تعالى لما ذكر في القرآن العظيم أصناف الوعد والوعيد في حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفًا على صدق المبلغ وحقية رسالته، بيّن أن ما بلغه إليهم ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة بل هو

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم. ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ أي كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي إليه، وأو للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه، فإن ترتب النهي على الوصفين مشعر بأنه لهما وذلك يستدعي أن

وحي إلٰهي تفرد الله تعالى بتنزيله مفرقًا منجمًا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال: ﴿إنا نحن نزلنا﴾ ولم يقل: أنزلنا للمبالغة في تأكيد كونه وحيًا إلٰهيًا بتصدير الكلام «بأن» وتكرير الضمير الذي هو اسم «إن» وتأكيده بالضمير المنفصل تأكيدًا على تأكيد، فكأنه تعالى يقول: إن هؤلاء الكفار يقولون إنه سحر أو كهانة أو نحو ذلك، وأنا الله رب العالمين أقول على سبيل التأكيد والتحقيق إن ذلك وحي حق وتنزيل صدق من قبيلي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تكترث بما قالوا في حقه وفي شأنك، فإن ما قالوه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية الأربعة وكون الواحد نصف الاثنين، فأنت لا محالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق وأن المقصود من بعثك أن تظهر الدين الحق على الأديان كلها، فاصبر بتأخير نصرك على أعداء الدين فإنه كائن لا محالة.

قوله: (واو للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان) يعني أن كلمة «أو» سواء وقعت في سياق الإثبات أو النفي فمعناها أحد الأمرين أو الأمور إلا أن ثبوت الشيء لأحد الأمرين أو الأمور لا يستلزم ثبوته للجميع، فهي إذا وقعت في سياق الإثبات تكون للإباحة أو التخيير، فإن كان الجمع بين الأمرين مما فيه فضيلة وشرف غالبًا كما في قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين تكون للإباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على أحدهما وإلا فهي للتخيير نحو: اضرب زيدًا أو عمرًا ولا يجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على أحدهما، بخلاف نفي أحد الأمرين أو الأمور والنهي عن أحدهما فإنه يستلزم نفي الجمع والنهي عنه لأن كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم أحدهما ونفي ما يصدق عليه هذا المفهوم يستلزم نفي الجمع فإذا قلت: لا تضرب زيدًا أو عمرًا، فالتقدير: لا تضرب أحدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيًا عنه لكونه ضرب أحدهما وقد نهي عنه. وكذا لو قيل: لا تطع أحدهما كان المعنى لا تطع كل واحد منهما فيكون كلمة «أو» للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان. فإن قيل: فعلى ما ذكرت يكون معنى «أو» في الآية النهي عن طاعة أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيًا عن طاعتهما جميعًا؟ فالجواب أنه لو قيل: ولا تطعهما أو ولا تطع آثمًا وكفورًا لاحتمل جواز أن تطيع أحدهما بخلاف ما إذا قيل: لا تطع أحدهما فإنه حينئذٍ يعلم أن النهي عن طاعة أحدهما هو نهي عن طاعتهما. **قوله:** (**والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه**) أي من الإثم والكفر لا باعتبار انقسامهم في أنفسهم إلى الآثم والكفور، لأن القوم كلهم

يكون المطاوعة في الإثم والكفر محظورًا فإن مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر غير محظور.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥)﴾ وداوم على ذكره، أو دم على صلاتي الفجر والظهر أو العصر فإن الأصيل يتناول وقتيهما. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ وبعض الليل فصل له. ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)﴾ وتهجد له طائفة طويلة من الليل.

كفرة ومن كان كافرًا يكون آثمًا لا محالة لأن الكفر أخبث أنواع الإثم فكلهم كفرة وأثمة فلا معنى لتقسيمهم في أنفسهم إلى القسمين، وإنما التقسيم باعتبار ما يدعونه إليه من الكفر والإثم. فالمعنى: لا تطع من يدعوك من الكفرة إلى الإثم ولا من يدعوك منهم إلى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار أفاد تعليل النهي بوصفي الكفر والإثم القائمين بهم فدل على أن مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر غير محظور. وفي نهيه عليه الصلاة والسلام عن إطاعة من يدعوه إلى الإثم والكفر مع أنه عليه الصلاة والسلام لا يتصور في حقه أن يطيع أحدًا منهم إشارة إلى أن الناس محتاجون إلى مواصلة التنبيه والإرشاد من حيث إن طبيعتهم التي جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية إلى السهو والغفلة، ولو أن أحدًا استغنى عن توفيق الله تعالى وإمداده وإرشاده لكان أحق الناس به هو الرسول المعصوم ﷺ. فظهر منه أنه لا بد لكل مسلم أن يرغب إليه تعالى ويتضرع إليه في أن يحفظه عن الفتن والآفات في جميع الأمور والحالات. ثم قيل: المراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة، لأن عتبة كان متعاطيًا لأنواع الفسق والوليد كان متوغلاً في الكفر. روي أن عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام: أرجع عن هذا الأمر حتى أزوجك ولدي فإني من أجمل قريش ولدًا. وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى فإني من أكثرهم مالاً. فقرأ عليهم رسول الله ﷺ عشر آيات من أول حم السجدة إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] فانصرفوا عنه وقال أحدهما: ظننت أن الكعبة ستقع عليّ. وقيل: المراد بهما شخص واحد هو أبو جهل. وقيل: المراد بهما الآثم والكفور مطلقًا أي شخص كان وهو الأقرب إلى إطلاق اللفظ. ثم إنه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالأمر فقال: ﴿واذكر اسم ربك﴾ ثم قيل: ليس المراد من الذكر الصلاة بل المراد به التسبيح الذي هو القول والاعتقاد أي وكن ذاكرًا لله تعالى دائمًا ليلاً ونهارًا بقلبك ولسانك كما هو المراد من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] وقيل: المراد به الصلاة الخمس لأن التقييد بالبكرة والأصيل يدل على أن المراد

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أمامهم أو خلف ظهورهم. ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ شديدًا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه. ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة الأسر يعني

به ذلك، فالبكرة هي صلاة الصبح والأصيل صلاة الظهر والعصر لأن الأصيل اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال إلى الغروب. وقيل: لما بعد العصر إلى الغروب. ثم إنه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والأمر عدل إلى شرح أحوال الكفار والمتمردين فقال: ﴿إن هؤلاء﴾ أي الكفرة ﴿يحبون العاجلة﴾ أي يؤثرونها على الآخرة يعني أن الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر والإعراض عن اتباع ما تدعوهم إليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما نزلنا عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقيقة أمر النبوة، فإن فيما بلغته إليهم كفاية في بيان الحق والإرشاد إليه وإنما الذي حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة. **قوله:** (**أمامهم أو خلف ظهورهم**) فإن الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين. وفي الصحاح: وراء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدام، فهي من الأضداد. فهو إن كان بمعنى القدام يكون حالاً من قوله: «يومًا ثقيلاً» وهو مفعول «يذرون» لا ظرف له، وإن كان بمعنى خلف يكون ظرفًا «ليذرون» كأنه قيل: ويذرونه خلف ظهورهم، فحينئذٍ يكون قوله: ﴿ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً﴾ استعارة تمثيلية بأن شبهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة وإعراضهم عنه بجعلهم إياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على الحال المشبه بها في الحال المشبهة.

قوله: (**مستعار من الثقل**) الثقيل من صفات الأجسام الكثيفة ولا يوصف به الزمان حقيقة إلا أنه شبّه يوم القيامة لشدته وهوله بالشيء الثقيل الذي يتعب حامله. **قوله:** (**وهو كالتعليل لما أمر به ونهي عنه**) يعني أن توصيف اليوم بالثقل والشدة وإن وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم إلا أنه يصلح أن يكون تعليلاً لما جرى بينه تعالى وبين رسوله ﷺ من ثقل ذلك اليوم وشدته والظفر فيه بجميع السعادات والكرامات. **قوله:** (**وأحكمنا ربط مفاصلهم**) فسر الأسر بالربط كما ثبت ذلك عند أهل اللغة وقدر بعده مضافًا وهو المفاصل، فكان المعنى: أحكمنا ربط أوصالهم بعضًا ببعض كالعروق والأعصاب. لما ذكر الله تعالى أن الذي دعاهم إلى الاستمرار على ما هم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكأنه قيل لهم: هبوا إن حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة إلا أن ذلك الحب يوجب عليكم الإيمان والطاعة أيضًا من حيث إن جميع ما أنتم عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فإنما هو بخلق الله تعالى وحده لا شريك له في خلق شيء منها، كما يدل عليه تقديم

النشأة الثانية ولذلك جيء «بإذا»، أو بدلنا غيرهم ممن يطيع. وإذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى السورة أو الآيات القريبة. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ تقرب إليه بالطاعة. ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وما تشاؤون ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «يشاؤون»

المسند إليه في قوله: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] وحق هذا المنعم أن يطاع في جميع ما كلف به ولا يعصى بوجه ما، وأنتم أسأتم بكمال العصيان مع كمال رغبتكم في إحسانه وفي أن يزيد عليكم ما تؤملونه ومثل هذه الرغبة تنافي العصيان. ثم أشار بقوله: ﴿وإذا شئنا﴾ الآية إلى أن من قدر على إعطاء هذه النعم قادر على أن يهلكهم ويسلب عنهم جميع ما أنعم به عليهم وأن يلقيهم في كل محنة وبلية وإن لم تطيعوا هذا المنعم القادر على كل شيء شكرًا لإنعامه ورغبة في مزيد إحسانه، فلم لم تطيعوه خوفًا من نقمته وقهره؟ ففيه توبيخ عظيم على كفرهم. **قوله**: (ولذلك جيء بإذا) فإن حقها أن تستعمل فيما هو محقق الوقوع استدل به على أن المراد بالتبديل الإعادة والبعث، فإن المعاد مثل المبدأ من حيث اشتماله على الأجزاء الأصلية المبتدأة وإن خالفه باختلاف العوارض، وأن التبديل بمعنى الإعادة محقق الوقوع لا ريب فيه، فكلمة «إذا» حينئذٍ تكون في موقعها. ويحتمل أن يكون المراد بتبديل أمثالهم إنشاء أمثالهم في الدنيا لا بالبعث بل بإتيان أشباههم بدلاً منهم ممن يطيع كما قال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣] فحينئذٍ لا يكون «إذا» مناسبًا للمقام لأن إهلاكهم وإيجاد أمثالهم في الدنيا ليس معلوم الوقوع، فالمناسب للمقام إيراد كلمة «إن». والجواب أن إيجاد أمثالهم في الدنيا بمنزلة متحقق الوقوع من حيث كونه داخلاً تحت قدرة الله تعالى وقوة ما يدعو إليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب. **قوله**: (**تقرب إليه بالطاعة**) فسر السبيل إلى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب بها إليه أي إذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلاً مقربًا إلى مرضاة ربه وهو الطاعة. **قوله**: (**إلا وقت إن يشاء الله**) إشارة إلى أن «إن» مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام ظرف الزمان وانتصابه بالظرفية في نحو قولك: آتيك خفوق النجم وصياح الديك، فهو استثناء مفرغ أي ما تشاؤون الطاعة والتقرب بها وقتًا من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله تعالى مشيئتكم. فإن جميع ما يجري على الإنسان من الطاعة والمعصية والكفر والإيمان إنما يجري عليه بخلق الله تعالى وما يخلقه إلا بمشيئته فلا يشاء أن يخلق فيكم مشيئة الطاعة إلا إذا علم منكم اختيار ذلك. قرأ نافع والكوفيون «تشاؤون» على الخطاب العام أو على الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿نحن خلقناهم﴾ إلى الخطاب والباقون بياء الغيبة على وفق قوله: ﴿خلقناهم﴾. **قوله**:

بالياء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يستأهل كل أحد. ﴿حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته. ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة. ﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها. وقرىء بالرفع على الابتداء. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرًا».

سورة والمرسلات

مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾﴾

(ليطابق الجملة المعطوف عليها) فإنها معطوفة على جملة ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ و«الظالمين» وقع منصوبًا على أنه من قبيل ما أضمر عامله على شريطة التفسير فتطابقت الجملتان في الفعلتين، بخلاف ما إذا رفع و«الظالمون» على الابتداء فإنه حينئذٍ تفوت المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يضمر ناصب الظالمين بما يوافق لفظ المفسر وهو أعدلهم بل أضمر ما يناسبه في المعنى مثل: أوعد وكافأ لأن لفظ أعد لا يتعدى بنفسه. تمت سورة الإنسان والحمد لله رب العالمين.

سورة والمرسلات

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله تعالى: (والمرسلات) جمع مرسلة بمعنى الطوائف المرسلات بالألف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة لمصلحة. ومن حق جمع المؤنث من العقلاء أن يجمع بالألف والتاء، ولا يكفي في صحة جمع المرسلات بالألف والتاء أن يقدر كونها صفة

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى الأنبياء ذكرًا. ﴿عُذْرًا﴾ للمحقين ﴿أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في

الملائكة لأنه يستلزم أن يكون مفردها مرسلاً بمعنى ملك مرسل، وليس كذلك بل هي جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة فتكون المرسلات بمعنى الطوائف المرسلات من الملائكة. **قوله:** (متتابعة) إشارة إلى أن «عرفا» حال من المنوي في المرسلات وأنه من باب التشبيه البليغ بأن شبهت الملائكة المرسلة في تتابعهم وتلو بعضهم بعضًا بشعر عرف الفرس من قولهم: جاؤوا كعرف الفرس أي متتابعين. وفي الصحاح: العرف عرف الفرس، وقوله تعالى: ﴿والمرسلات عرفًا﴾ يقال: هو مستعار من عرف الفرس أي يتتابعون كعرف الفرس. انتهى. **قوله:** (بأوامره) أي بتنفيذ ما حكم به وأمرهم بإمضائه كتعذيب قوم وإنجاء آخرين، وليس المراد من إرسالهن بالأوامر إيصال أوامر الله إلى الأنبياء لأنه لا يبقى حينئذٍ للتخصيص بالأوامر فائدة، ويكون قوله: «والناشرات» تكرارًا و«عصفًا» مصدر مؤكد وكذلك «نشرًا» و«فرقًا». وعصوف الريح شدة هبوبها شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة في سرعة جريهن في نزولهن وهبوطهن بالرياح الشديدة الهبوب، والفاء للدلالة على اتصال جريهن في نزولهن بالإرسال من غير مهلة وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات، وعطف قوله: «والناشرات» على «المرسلات» بالواو لعدم كون نشر الشرائع متفرعًا على الإرسال ومتعقبًا له، فإن الملائكة أول ما يبلغون الوحي إلى الرسل لا يصير ذلك الدين في الحال مشهورًا منتشرًا بل أكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادًا فلم يعطف الشر على ما قبله بفاء التعقيب بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع في الوجود مع قطع النظر عن إفادة معنى التعقيب والتراخي. ثم إذا حصل النشر رتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وإلقاء الذكر إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى أن يتم مراسم الدين وما يتعلق بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال إلى أن ينزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فلذلك عطف هذين الأمرين بفاء التعقيب. وهذا وجه الترتيب على تقدير أن تكون الصفات الخمس لطوائف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب على أن تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة. **قوله:** (أو بآيات القرآن) عطف على قوله بطوائف من الملائكة. فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرآن الموصوفة بتلك الصفات الخمس. **قوله:** (بكل عرف) إشارة إلى أن انتصاب «عرفًا» حينئذٍ بنزع الخافض. **قوله:** (فعصفن سائر الكتب والأديان)

الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين، أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن إثر ذلك في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكًا إلا وجهه، فألقين ذكرًا بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله، أو برياح عذاب أرسلهن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فألقين ذكرًا أي تسببن له. فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته. و«عرفًا» إما نقيض النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف، أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال و«عذرًا» أو «نذرًا» مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف، أو جمعان بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر

أي غلبنها وقهرنها يقال: عصف الشيء أي أباده وأهلكه، وعصفت الحرب بالقوم أي ذهبت بهم. **قوله: (أو برياح عذاب ورياح رحمة)** فعلى هذا يكون قوله: «والناشرات» قسمًا مستأنفًا برياح الرحمة بعد أن أقسم برياح العذاب التي أرسلت عرفًا أي متتابعة كشعر العرف فعصفن. وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بقرينة توصيفها بالعصف الذي هو شدة الهبوب وهي أمارة كونها مرسلة للعذاب، وحمل ما بعدها على رياح الرحمة أخذًا من توصيفها بنشر السحاب أي بسطه في الجو وتفريق أجزائه بعضها عن بعض غب نشره. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٨] فقوله تعالى: ﴿والناشرات نشرًا فالفارقات فرقًا﴾ على هذا التفسير في معنى قوله: ﴿فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفًا﴾ أي قطعًا فإن الكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشيء. والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببًا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء إلى عفوه ورحمته وبذل الجهد في شكر نعمه صارت تلك الرياح كأنها ألقت الذكر فكان الإسناد إليها مجازيًا. **قوله: (وعرفًا إما نقيض النكر)** يعني أن «عرفًا» إما بمعنى المعروف والإحسان والخير كما في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [لقمان: ١٧] وهو نقيض المنكر، وإما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال: جاؤوا عرفًا واحدًا، وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه أي اجتمعوا. **قوله: (مصدران لعذر وأنذر)** كون «عذرًا» مصدر عذر ظاهر لأن فعلاً نحو شكرًا وكفرًا من مصادر الثلاثي، وأما كون «نذرًا» مصدر أنذر فليس بظاهر فلعل المراد أنه اسم مصدر له. وفي الصحاح: الإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في نحو التخويف والاسم النذر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦] أي إنذاري فإنه صريح في أن النذر اسم لمصدر أنذر. **قوله: (أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الإنذار)** فإن

ونصبهما على الأولين بالعلية أي عذرًا للمحقين ونذرًا للمبطلين، أو البدلية من «ذكرًا» على أن المراد به الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر وعلى الثالث بالحالية. وقرأهما أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ جواب القسم ومعناه أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة.

لفظ فعيل كثيرًا ما يستعمل بمعنى المصدر كالنكير بمعنى الإنكار. قال أبو علي: العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير، ويجوز أن يجمع المصدر لاختلاف أجناسه فإن المعذرة تختلف بحسب اختلاف الإساءة ووجوه محوها وكذا الإنذار، ويجوز تثنية المصدر وجمعه عند اختلاف أجناسه وأنواعه. ثم ذكر احتمال أن يكون العذر والنذر جمعي العذير والنذير بمعنى العاذر والمنذر كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦] أي منذر من قبيل المنذرين الأولين. **قوله**: (ونصبهما على الأولين) أي على أن يكونا مصدرين أو جمعي ما هو بمعنى المصدرين بالعلية أي بأن يكونا مفعولاً لهما أي ﴿فالملقيات ذكرًا﴾ للإعذار والإنذار أي لمحو ذنوب المحقين المعتذرين إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين.

قوله: (أو البدلية) أي ويجوز أن يكون انتصاب «عذرًا» أو «نذرًا» على البدل بأن يكونا مفعولين على البدلية من قوله: «ذكرًا» أي فالملقيات عذرًا أو نذرًا. ثم إن كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحي يكون «عذرًا أو نذرًا» بدل البعض من الكل، فإن ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحي. وإن أريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحي يكون بدل الكل من الكل، فإن ما ألقي إلى الأنبياء من الآيات المتعلقة بمحو الإساءة وتخويف المصر عليها متحد بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك. فقوله: «أو ما يعم الموحد والمشرك» معناه أو ما يتناول أحوال أهل التوحيد والشرك خاصة. **قوله**: (وعلى الثالث) وهو أن يكونا جمعي عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوي في الملقيات أي فالملقيات ذكرًا حال كونهم عاذرين أو منذرين. **قوله**: (بالتخفيف) أي بإسكان الذال فيهما. وقرأ الباقون بتحريكها بالضم. **قوله تعالى**: (إنما توعدون لواقع) أي أن الذي توعدونه من أمر القيامة على أن «ما» موصولة في محل النصب على أنها اسم «أن» و«توعدون» صلتها والعائد محذوف و«لواقع» خبرها وكان من حقها أن تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة. وخص الموعود بمجيء القيامة لأن المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدل ذلك على أن المراد بالموعود هو القيامة فقط. وقال الكلبي: المراد أن كل ما توعدونه من الخير والشر لواقع نظرًا إلى عموم لفظ الموصول.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ محقت أو أذهب نورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ صدعت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ كالحب ينسف بالمنسف ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾ عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله فإنه لا يتعين لهم قبله أو

قوله: (محقت) في الصحاح: الطموس الدروس والانمحاء يقال: طمس الطريق وانطمس أي انمحى ودرس، والطمس محو الأثر الدال على الشيء. فيحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿طمست﴾ محقت ومحيت ذواتها لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] وأن يكون المراد محقت أنوارها، والأول أولى لعدم احتياجه إلى الإضمار. وقوله: «النجوم» مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين من غير الأخفش وبالابتداء عند الكوفيين والأخفش، و«طمست» خبره والأول أولى لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل أولى. ومحل الجملة على المذهبين الجر بـ «إذا» وجواب «إذا» محذوف والتقدير: فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون أو بعثتم أو جوزيتم على أعمالكم وحذف لدلالة قوله: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ عليه. وقيل جوابه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] وقيل: تقدير الكلام وذكر إذا النجوم طمست. **قوله:** (صدعت) أي انشقت. والفرج الشق يقال: فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته فانصدع أي انشق. **قوله:** (كالحب ينسف) أي يطير في الهواء ليتخلص من تبنه قال تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧] يقال: حرقت الشيء حرقًا أي بردته بالمبرد. وشدد للكثرة والمبالغة. **قوله:** (عين لها وقتها) فسر توقيت الرسل بأن يعين لهم وقتهم الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك الوقت ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]. **قوله:** (بحصوله فإنه لا يتعين لهم قبله) جواب عما يقال: كيف يكون تعين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيامة وأماراتها كالثلاثة المتقدمة وهي: الطمس والفرج والنسف مع أن الرسل قد عيّن لهم ذلك الوقت وبيّن أيام حياتهم في الدنيا، فكيف يكون ذلك من مقدمات القيامة وعلاماتها؟ وتقرير الجواب أن ما بين لهم في الدنيا ليس إلا أنهم يجمعون يوم القيامة ويسألون ماذا أجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه ولا يتعين لهم ذلك إلا بحصوله ومجيئه، وفسر توقيت الرسل بتعين وقت حضورهم للشهادة لا تعين وقت أنفسهم وذواتهم لأن توقيت الشيء بمعنى تعين وقته إنما يعتبر بالنسبة إلى الزمانيات المتجددة لا بالنسبة إلى الذوات القارة، فإذا أضيف التوقيت بهذا المعنى إلى الذوات القارة فلا بد من إضمار الحدث فذلك الحدث هو الذي عد من علامات القيامة. وفسر التوقيت ثانيًا بقوله: أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره، فإن التوقيت قد يستعمل بمعنى جعل الشيء بالغًا إلى وقته المحدود بمجيء ذلك الوقت وحصوله، فكما أن تسويد الشيء وتحريقه عبارتان عن تحصيل حقيقة

بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره. وقرأ أبو عمرو «وقتت» على الأصل. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾ أي يقال لأي يوم أخرت؟ وضرب الأجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله. ويجوز أن يكون ثاني مفعولي «اقتت» على أنه بمعنى أعلمت. ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ بيان ليوم التأجيل ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله؟ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي بذلك. وويل في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعل عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه و«يومئذٍ» ظرفه أو صفته. ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ كقوم نوح وعاد وثمود. وقرىء «نهلك» من هلكه بمعنى

السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشيء وتبليغه إليه. والتوقيت بهذا المعنى أيضًا في الحقيقة مضاف إلى حضور الرسل للشهادة على أممهم وسؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الأمم عما أجابوهم كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]. **قوله:** (**أي يقال لأي يوم أخرت**) يعني أن الجملة الاستفهامية في محل النصب بالقول المضمر وهذا القول المضمر يجوز أن يكون جوابًا لـ «إذا» أي إذا كان كذا وكذا يقال: لأي يوم أخرت هذه الأمور التي هي طمس النجوم ونسف الجبال وتأقيت الرسل؟ وأن يكون حالاً من مرفوع اقتت أي اقتت مقولاً فيها لأي يوم أجلت أي أخرت الرسل، والأمور المتعلقة بجمعهم وإحضارهم وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدقهم ونحو ذلك. ومعنى الاستفهام تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله.

قوله: (**ويجوز**) عطف على قوله: «أي يقال» وتقدير الكلام حينئذٍ: وإذا الرسل أعلمت وقت تأجيلها. **قوله:** (**وويل في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعل**) لا من لفظه فإن أصله أهلكه الله إهلاكًا وهلك هو هلاكًا والويل موضوع موضع الإهلاك أو الهلاك أشار به إلى وجه وقوع «ويل» مبتدأ مع أنه نكرة، فإنه لما كان مصدرًا سادًا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء لذلك كما قالوا في سلام عليكم. والمصنف قدر مفعول المكذبين المذكورين أولاً فقال «للمكذبين بذلك» أي بيوم الفصل وبكل ما أخبر به الأنبياء عنه، وثانيًا قدره بأن قال: «للمكذبين بآيات الله وأنبيائه» ليكون كل واحد من التكذيبين مغايرًا للآخر بتغاير متعلقهما هربًا من التكرار. واعلم أن المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر، فخوّفهم أولاً بأن أقسم على أن اليوم الذي يوعدون به وهو يوم القيامة لواقع ثم هوّل فقال: ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ثم زاد في التهويل فقال: ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ فهذا نوع من التخويف. ثم ذكر نوعًا آخر منه فقال: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ وهو يعم الكفار والذين هلكوا قبل بعثة رسول الله ﷺ. خوّف أهل عصره من الكفار بأن أخبرهم بأنه أهلك الكفار المتقدمين بسبب كفرهم فلما كان

أهلكه. ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة. وقرىء بالجزم عطفًا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ بكل من أجرم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرًا، وكذا إن علق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب. ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ نطفة مذرة ذليلة. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ في الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة. ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك أو فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد. ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ كافتة اسم لما يكفت أي يضم

سبب إهلاك الأولين حاصلاً فيهم لزمهم أن يخافوا منه. **قوله: (ثم نحن نتبعهم)** اختار قراءة الجمهور وهي القراءة برفع قوله: «نتبعهم» على القطع عما قبله واستئناف الإخبار بما يفعله في المستقبل بإضمار المبتدأ أي نحن نتبعهم، ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «ثم سنتبعهم» بزيادة سين التسويف. وقراءة الرفع متعينة على أن يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله ﷺ لأنه لو قرىء بالجزم لكان المعنى حينئذٍ: أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الإهلاك لكون الإتباع واقعًا في حيز «لم» التي تقلب معنى المضارع إلى الماضي وتنفيه فيه. والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب أن يكون المراد بالآخرين على قراءة الجزم الذين تأخر هلاكهم عن إهلاك المتقدمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام. ثم إنه تعالى خوفهم بنوع ثالث فقال: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ الآية وهو استفهام تقرير فمن أقرّ بقدرته تعالى على الإبداء لزمه أن يقر بقدرته على الإعادة. ثم إنه لما أنكر الإعادة ناقض نفسه مكابرة وعنادًا فاستحق أن يقال له: ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾. **قوله: (فقدرنا على ذلك أو فقدرناه)** يعني أن «قدرنا» بتخفيف الدال يجوز أن يكون من القدرة ويعضده قوله: ﴿فنعم القادرون﴾ أي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا من مثل تلك المادة الحقيرة ﴿فنعم القادرون﴾ حيث خلقناه في أحسن الصور والهيئات. ويجوز أن يكون من التقدير، فإن قدر المخفف لغة في قدر المشدد فإن قوله تعالى: ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠] قرىء بالتخفيف والتشديد مع أنه بمعنى التقدير. ويدل على كون ما في الآية من التقدير قراءة نافع والكسائي بالتشديد فيكون قوله: ﴿فنعم القادرون﴾ أيضًا بمعنى فنعم المقدرون، والمراد تقدير خلقه وجوارحه وألوانه وأشكاله ومدة

ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع، أو مصدر نعت به، أو جمع كافت كصائم

حمله وحياته. والقرار المكين الموضع المستقر الحصين وهو الرحم فإن الماء الذي يخلق منه الولد لا بد وأن يثبت في الرحم ويتمكن فيه إلى قدر معلوم أي مقدار من الوقت معلوم لله تعالى لا يعلمه غيره، وذلك المقدار تسعة أشهر أو أقل أو أكثر وما لا يخلق منه الولد لا يستقر في الرحم. ثم إنه تعالى لما شرع في النوع الرابع من تخويفهم بأن ذكر ما أنعم به عليهم من نعم الآفاق فقال: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا﴾ الآية وقد ذكر قبل هذه الآية ما أنعم به عليهم من نعم الأنفس وهو أن أوجدهم من المادة الخسيسة بعد ما أثبتها في الزاوية الخسيسة إلى وقت الولادة وصوّرهم بأحسن الصور وأحكم الخلقة وقدم ما ذكر فيه نعم الأنفس على ما ذكر فيه نعم الآفاق لكون ما في الأنفس أصلاً بالنسبة إلى ما في الآفاق، فإنه لولا الوجود وما يتفرع عليه من القوى والآلات لما تيسر الانتفاع بشيء من النعم التي في الآفاق حملهم على أن يقروا بأنه الذي خصهم بهذه النعم التي كل واحدة منها أعجب من البعث وأدل على كمال قدرته وبديع حكمته ليستدلوا به على الإعادة ويستعدوا لذلك اليوم فهذا هو وجه التخويف بهذه الآية. وقوله: «كفاتًا» مفعول ثانٍ لقوله: «نجعل» لأن المعنى: ألم نصيرها كافتة تضم الأحياء إلى ظهرها والأموات إلى بطنها؟ ولهذا كانوا يسمون الأرض أمًا للناس تشبيهًا لها بالأم في ضمها الناس إلى نفسها أحياء وأمواتًا كالأم التي تضم أولادها إليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون إليها جعلت كأنها تضمهم إلى نفسها. وكما أن الأرض كفات لهم بمعنى أنهم ينضمون إليها ويسكنون فيها فهم ينضمون إليها أيضًا من حيث إنها تجمع لهم جميع ما يحتاجون إليه في معاشهم من المأكل والمشرب والملبس والمركب والآنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغير ذلك، وأيضًا أنها تكفت ما ينفصل من الأحياء من الأمور المستقذرة. ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال: كفت الشيء يكفته كفتًا إذا ضمه وجمعه. وفي الحديث: «اكفتوا صبيانكم بالليل فإن للشيطان خطفة». ويقال: جراب كفيت وكفت إذا كان لا يضيع شيئًا مما يجعل فيه. وذكر المصنف في «كفاتًا» أربعة أوجه: الأول أنه اسم لما يكفت كالضمام والجماع اسمان لما يضم ويجمع يقال: هذا الكتاب جماع الأبواب وضمام أصول الكتاب كما يقال للخيط الذي يشد به الشيء شداد، والثاني أنه مصدر كالكتاب والحساب وصفت الأرض به للمبالغة نحو رجل عدل، والثالث أنه جمع كافت كصيام جمع صائم، والرابع أنه جمع اسم غير مشتق وهو كفت بمعنى الوعاء فيكون الكفات بمعنى الأوعية. ويكون على الوجه الثالث بمعنى الأشياء الكافتة. ولما ورد على الوجهين الأخيرين أن الأرض شيء واحد فكيف يطلق عليها لفظ الجمع؟ أجاب عنه بقوله: «أجرى» أي لفظ الجمع عليها باعتبار أقطارها.

وصيام، أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار أقطارها. ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم، أو لأن إحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات، أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الإنس، أو بنجعل على المفعولية و«كفاتًا» حال، أو الحالية فيكون المعنى بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالاً ثوابت طوالاً والتنكير للتفخيم والإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير. ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ يخلق الأنهار والمنابع فيها. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾ بأمثال هذه النعم. ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ أي يقال لهم انطلقوا. ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩﴾ من العذاب.

قوله: (منتصبان على المفعولية) **فإن «كفاتًا» سواء جعل مصدرًا منونًا أو جمع اسم فاعل ينصب المفعول به. والمعنى على التقديرين: ألم نجعلها كافتة أحياء وأمواتًا؟** **قوله:** (وتنكيرهما للتفخيم) **جواب عما يقال: إن النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى: أن الأرض تكفت بعض الأحياء والأموات وليس كذلك بل هي كفات لجميع الأحياء والأموات. وتقرير الجواب أن التنكير فيهما للتفخيم لا للإفراد ولا للنوعية حتى يرد ما ذكر وتنكير اسم الجنس القصد التفخيم لا ينافي كونه عامًا مستغرقًا لجميع الأفراد لأنه في معنى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون. وأجاب ثانيًا بأنا لا نسلم كون الأرض كفاتًا لجميع الأحياء والأموات بل هي كفات للبعض الذي هو أحياء الإنس وأمواتهم، فإن الأحياء والأموات مطلقًا غير منحصرة في أحياء الإنس وأمواتهم لأن بعض الحيوان يكفته الهواء والبعض الآخر يكفته الماء، فجاز أن يكون التنكير فيهما للإفراد أو النوعية.** **قوله:** (أو الحالية من مفعوله) **أي ويجوز أن يكون انتصاب «أحياء وأمواتًا» على أنهما حالان من المفعول المحذوف أي ألم نجعلها كافتة للإنس والجن في حال كونهم أحياء وأمواتًا؟ وعلى التقديرين فهما منصوبان «بكفاتا» على أن يكون مصدرًا وصف به أو جمع «كافتة». وأما على تقدير كونه اسمًا لما يكفت أو جمعًا للكفت بمعنى الوعاء فلا يكون عاملاً لما تقرر في النحو أن الأسماء الجامدة وكذا أسماء الزمان والمكان والآلة مع كونها مشتقة لا تعمل، وفي اسم المصدر خلاف، وأما المصدر واسم الفاعل مفردًا كان أو جمعًا فهما من الأسماء العاملة. انتهى.** **قوله:** (أو بنجعل) أي ويحتمل أن يكونا منصوبين «بنجعل» إما على أنهما مفعولان له و«كفاتًا» حال من «الأرض» بمعنى كافتة، وإما على أنهما حالان من «الأرض» و«كفاتًا» مفعوله وعلى التقديرين يكون المراد بحياة الأرض كونها منبتة وبموتها كونها مواتًا لا تنبت. **قوله:** (جبالاً ثوابت) على أن «رواسي» بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال، فإنها ثوابت على الأرض لا تزول و«شامخات» صفة ثانية لذلك المحذوف. والشامخ العالي المرتفع. **قوله:** (والتنكير)

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ خصوصًا. وعن يعقوب «انطلقوا» على الإخبار عن امتثالهم بالأمر اضطرارًا. ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ﴾ يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ [الواقعة: ٤٣] ﴿ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠﴾ يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم إما لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره، ولذلك قيل: شعبة تقف فوق الكافر

أي وتنكير «رواسي شامخات» للتفخيم إذ من جملتها ما لم يعرف ولم ير فإن ما يرى على ظهر الأرض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها، وكذا في قوله: ﴿مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [المرسلات: ٢٧] للتبعيض، فإن السماء فيها جبال أيضًا لقوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [النور: ٤٣] وفي السماء أيضًا ماء فرات بل هي معدنه ومصبه، والفرات الماء العذب. لما عد الله تعالى أنواع ما أنعم به عليهم واستفهم عن إنعامه عليهم بها استفهام تقرير كأنه قال: قد أنعمنا بها عليهم، ثم هدد بالويل على تكذيبهم وكفرانهم بها تعريضًا بأنهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وتخويفًا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب والجزاء، شرع في تخويفهم والوعيد عليهم ببيان ما يقال للكفرة المكذبين للبعث والجزاء يوم القيامة فقال: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ والظاهر أن القائل هم خزنة النار أو زبانية جهنم. **قوله: (خصوصًا)** يعني أن المأمور به أولاً هو انطلاقهم إلى أنواع عذاب الآخرة عمومًا، والمأمور به ثانيًا هو انطلاقهم إلى نوع مخصوص منه. واختلف في «انطلقوا» الثاني هل هو على لفظ الأمر أو الماضي؟ فقرأ الجمهور «انطلقوا» على لفظ الأمر. وعن يعقوب أنه قرأ «انطلقوا» بفتح اللام على لفظ الماضي إخبارًا عن انقيادهم للأمر لأجل أنهم مضطرون إليه لا يستطيعون الامتناع منه، كأنه قيل: كانوا يؤمرون في الدنيا بالإيمان والطاعة فلا يلتفتون إليه ويكذبون من أمر به، فلما أمروا في العقبى بالانطلاق إلى ما كذبوا به سمعوا وأطاعوا اضطرارًا، فلو أطاعوا في الدنيا لكان خيرًا لهم. قيل: هو بعيد لأنه كان ينبغي أن يقال: فانطلقوا ليرتبط الكلام بأوله على طريق قولك قلت له: قم فقام. ويمكن أن يقال: تركت الفاء بناء على أن الكلام استئناف لبيان امتثالهم كرهًا بعد ما يقال لهم بلفظ الأمر.

قوله: (كقوله: وظل من يحموم) وهو الدخان الغليظ الأسود استشهد به المصنف على أن ظل المكذبين هو دخان نار جهنم. **قوله: (يتشعب لعظمه)** إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿ذي ثلاث شعب﴾ كناية عن كون ذلك الدخان عظيمًا بناء على أن الشعب من لوازم عظمته. واستشهد قتادة على ذلك أي على أن المراد بظل المكذبين هو دخان نار جهنم بقوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩] وقال: سرادق النار هو الدخان تشبيهًا له

وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ تهكم بهم ورد لما أوهم لفظ الظل. ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ غير مغن عنهم من حرّ اللهب شيئًا. ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ أي كل شررة كالقصر في عظمها. ويؤيده أنه قرئ «بشرار».

بالسرادق وهو واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار. ثم قال: إن شعبة من ذلك الدخان على يمينه، وشعبة أخرى على يساره، وشعبة أخرى في جوفه. قال المفسرون: إن الشمس تقرب يوم القيامة من رؤوس الخلائق وليس عليهم يومئذٍ لباس ولا كتان فتلفحهم الشمس وتسفعهم ويأخذ كرب ذلك اليوم أنفاسهم، وعند ذلك اليوم ينجي الله تعالى برحمته من يشاء إلى ظل ظليل من ظله فهناك يقولون: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] ويقال للمكذبين: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ من عذاب الله تعالى وعقابه. وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق يتشعب منه دخانها ثلاث شعب فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، والمؤمنون في ظل العرش تحت شجرة طوبى. ولما كان عظم دخان جهنم مستلزمًا لتشعبه تشعب لا محالة. وكون تلك الشعب ثلاثًا لا أزيد منها ولا أنقص، فلعل الوجه فيه أن حجب النفس عن الاستنارة بأنوار القدس ثلاثة: الحس والخيال والوهم فإن كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة الظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة يخصه، فلا جرم تشعبت شعب العذاب على حسب تعددها فإن جميع ما يصدر من الإنسان من العقائد الفاسدة والأعمال الباطلة لا يصدر منه إلا بواسطة القوة الواهمة والغضبية والشهوية، فلذلك تشعب العذاب ثلاث شعب على عدد القوى المؤدية إليه. **قوله:** (**وغير مغن**) أي وغير مبعد عنهم يعني أن قوله: ﴿ولا يغني﴾ في موضع الجر بالعطف على قوله: ﴿لا ظليل﴾ فإنه مجرور على أنه صفة لظل أي ظل غير ظليل وغير مغن، وأن مفعول ﴿يغني من اللهب﴾ محذوف وهو شيا و«من» في ﴿من اللهب﴾ لبيانه وأن قوله: ﴿ولا يغني من اللهب﴾ من قول العرب: أغن عني وجهك أي أبعده، لأن الغنى عن الشيء يباعده كما أن المحتاج إليه يقاربه، فصح أن يعبر بإغناء شيء عن شيء عن إبعاده عنه فكان المعنى: أن هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار. واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من احمرار واصفرار واخضرار. ثم إنه تعالى وصف النار التي كان هذا الظل دخانها بأنها ترمي بشرر عظيمة شبيهة بشيئين: الأول القصر والثاني الجمالات الصفر، والمقصود بيان أن تلك النار عظيمة جدًا. وقوله: «كل شررة كالقصر» إشارة إلى أن شررًا جمع شررة هي ما تطاير من النار في الجهات متفرقًا كالنجوم. والقصر هو البناء العالي وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده. **قوله:** (**ويؤيده**) أي ويؤيد أن شررًا جمع وإن وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من

وقيل: هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة. وقرى «كالقصر» بمعنى القصور كرهن ورهن، و«كالقصر» جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب. ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جمع جمال أو جمالة جمع جمل. ﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر. وقيل: سود فإن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة. والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة، وقرأ حمزة والكسائي وحفص «جمالة». وعن يعقوب «جمالات» بالضم جمع جمالة. وقد قرىء بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي بما يستحق فإن النطق بما لا ينفع كلا نطق أو بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف. وقرىء بنصب «اليوم» أي هذا الذي ذكر واقع يومئذٍ. ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ عطف «فيعتذرون» على «يؤذن» ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقًا، ولو جعله جوابًا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أن لهم عذرًا لكن لم يؤذن لهم فيه.

آحاده أنه قرىء «بشرار» بفتح الشين وألف بين الراءين وهو جمع شرارة كما أن الشرر جمع شررة. **قوله:** (وقيل هو جمع قصرة) بالفتحات كشجرة وشجر. **قوله:** (وهي) أي القصرة أصل العنق. **قوله:** (والهاء للشعب) أي ضمير «أنها» في قوله: ﴿إنها ترمي بشرر﴾ ضمير الشعب. وقيل: هي ضمير النار المدلول عليها باللهب. **قوله:** (جمع جمل) أي كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الأول مثل جبال في جمع جبل، والثاني مثل حجارة في جمع حجر. ثم يجمع جمال على جمالات كما يجمع رجال على رجالات وبيوت على بيوتات، وكذا يجمع جمالة على جمالات. فجمالات على التقريرين جمع الجمع. قرأ حمزة والكسائي وحفص «جمالة» والباقون «جمالات». **قوله:** (وقيل سود) يعني قيل: إن المشبه به هو الجمالات السود وعبّر عنها بالصفر لكون سواد الإبل يشوبه شيء من الصفرة ضعفه بناء على أن تسمية الأسود بالأصفر باعتبار ما يشوبه شيء قليل من الصفرة لا يخلو عن بعد. **قوله:** (والأول) أي قوله: ﴿كالقصر﴾ تشبيه للشرر بالقصر في عظمته وقوله: ﴿كأنه جمالات﴾ تشبيه له بالجمالات في لونه وكثرته وتتابع بعضه بعضًا واختلاطه وسرعة حركته. **قوله:** (وقد قرىء بها) أي قرىء «جمالة» بضم الجيم كما قرىء «جمالات» بالضم وكلاهما من الشواذ.

قوله: (بما يستحق) أي لأن ينطق به لكونه مما ينتفع قائله. أراد به دفع ما يتوهم من كون هذه الآية مخالفة للآيات الدالة على أنهم ينطقون يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] وقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين المحق والمبطل. ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ تقرير وبيان للفصل. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾

مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] وذلك لأنهم وإن نطقوا وتخاصموا إلا أنهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع ما نطقوا به حجة عليهم موجبًا لخجلهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع وهذا كما يقال لمن جاء بما لا ينتفع به ما جئت بشيء، ثم أشار إلى دفع المخالفة بوجه آخر حيث قال: «أو بشيء». وحاصله أن يوم القيامة يوم طويل ذو مواقيت ومواقف ينطقون في بعضها ولا ينطقون في بعض. فقوله في هذه الآية: ﴿لا ينطقون﴾ بشيء أصلاً حكاية لحالهم في بعض تلك المواقف ولا ينافيه أن يختصموا وينطقوا في موقف آخر من مواقفه. والجمهور على رفع قوله: «يوم» في قوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ على أنه خبر «هذا» والإشارة إلى اليوم. وقرىء «يوم» بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والإشارة إلى غير اليوم أي هذا الذي تقدم من الوعيد واقع يوم لا ينطقون، لأنه إنما يبنى عندهم إذا أضيف إلى مبني نحو: يومئذٍ والفعل هذا معرب. وعند الكوفيين هو مبني والفتحة فتحة بناء وهو خبر لـ «هذا» كما تقدم. وأجمع القراء على رفع قوله: «فيعتذرون» عطفًا على «يؤذن» ولم ينصبوه على أنه جواب النفي لأنه لو كان جوابًا لكان عدم اعتذارهم مسببًا عن عدم الإذن لأن المضارع إنما ينتصب بعد الفاء في جواب النفي إذا كانت الفاء سببية، وذلك يوهم أن لهم عذرًا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الإذن وليس كذلك فرفعوه عطفًا على «يؤذن» وجعلوا الفاء لمجرد العطف من غير ملاحظة السببية لئلا يتوهم ذلك فيكون النفي متوجهًا إلى إذن يعقبه الاعتذار مطلقًا، أي مع قطع النظر عن كون عدم الاعتذار مسببًا عن عدم الإذن فلا يوهم الرفع ما أوهمه النصب فإنه ليس لهم عذر في الحقيقة، ولكن ربما تخيلوا خيالاً فاسدًا أن لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرًا فلا يؤذن لهم في ذكر العذر الباطل، وأي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية إلى سبيل الرشاد؟ وهذه الآية تخويف للكفار وتشديد للأمر عليهم بوجه آخر، وذلك لأنه تعالى بيّن فيها أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عنهم، فيجتمع عليهم في هذا الموقف أنواع من العذاب منها العذاب الروحاني الذي هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤوس الأشهاد وهو أشد من العذاب الجسماني. **قوله**: (تقرير وبيان للفصل) إشارة إلى فائدة قوله: «جمعناكم» و «الأولين» والخطاب فيه لمكذبي خاتم النبيين. والمراد «بالأولين» مكذبو من قبله من الأنبياء المرسلين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام. ووجه كونه تقريرًا للفصل بين المحق والمبطل بالإثابة والعقاب أن الفصل يستلزم الجمع بينهم ليمكن الفصل بينهم،

تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)﴾ إذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من الشرك لأنهم في مقابلة المكذبين. ﴿فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)﴾ مستقرون في أنواع الترفه. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ أي مقولاً لهم ذلك ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤)﴾ في العقيدة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)﴾ نمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤيد. ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦)﴾ حال من «المكذبين» أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرًا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧)﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل.

فلما قيل: ﴿جمعناكم والأولين﴾ **كان ذلك تقريرًا لما يفهم من قوله:** ﴿هذا يوم الفصل﴾.
قوله: (تقريع) أي تخجيل لهم بأنهم كانوا في الدنيا يدفعون الحقوق عن أنفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ **لزيادة التخجيل والتقريع، وهذا من** قبيل العذاب الروحاني ولإظهار عجزهم عن الكيد، فإن مثل هذا الكلام لا يتكلم به إلا من تيقن عجز مخاطبه عن الكيد بالكلية تبكيتًا له. **قوله: (لأنهم في مقابلة المكذبين)** يعني أن المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الأولى من مراتب التقوى وهو التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك، وذلك لأن السورة من أولها إلى آخرها نازلة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم من سوء عاقبته، فيجب أن تكون هذه الآية أيضًا نازلة لهذا المقصود وإلا لتفككت آيات السورة في نظمها وترتيبها. وهذا المقصود إنما يتم بأن تكون الآية مذكورة لوعد المؤمنين بسبب إيمانهم وتوقيهم عن الشرك ليكون هذا نوعًا آخر من تعذيبهم من حيث إنه كان بينهم وبين المؤمنين كمال العداوة والبغضاء. فلما بيّن الله تعالى في هذه السورة اجتماع أنواع العذاب على الكفار بيّن في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المتقين عن الشرك لتضاعف حسرة الكفار وإخزائهم، فإنهم إذا رأوا ذلك ازدادوا غمًا إلى غمهم وعذابًا روحانيًا إلى ما هم فيه من العذاب الجسماني. والظلال جمع ظل وتنوينه للتعظيم وهو في مقابلة ما انطلق إليه الكفار من ظل ذي ثلاث شعب. **قوله: (أي مقولاً لهم ذلك)** أي يعني أن الجملة الأمرية وما في حيزها في موضع النصب على أنها مقول قول مضمر منصوب على أنه حال من المنوي في قوله: ﴿في ظلال﴾ أي هم مستقرون في ظلال مقول لهم ذلك، وكذا قوله: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ في موضع الحال من المنوي في قوله: ﴿للمكذبين﴾ أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم: كلوا وتمتعوا. **قوله: (تذكيرًا لهم بحالهم في الدنيا)** جواب عما يقال: كون قوله: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ حالاً من المنوي في

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ أطيعوا واخضعوا، أو صلوا أو اركعوا في الصلاة، إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله ﷺ ثقيفًا بالصلاة فقالوا: لا نحني فإنها مسته. وقيل: هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. ﴿لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)﴾ لا يمتثلون واستدل به على أن الأمر للإيجاب والكفار مخاطبون بالفروع. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾ إذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة. قال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين».

المكذبين يقتضي أن يقال لهم هذا القول في الآخرة، لأن ثبوت الويل لهم إنما هو في الآخرة فيكون هذا القول مقولاً لهم في الآخرة أيضًا. وهو بعيد لأن الكفار لا نصيب لهم في نعيم الآخرة. وتقرير الجواب أن هذا القول يقال لهم في الآخرة إلا أنه ليس المقصود منه إباحة الأكل والتنعم لهم في الآخرة حقيقة بل إنما يقال لهم ذلك تذكيرًا لهم ما هم عليه في الدنيا من إيثار الفاني على الباقي وانهماكهم في حب اللذة البشرية والإعراض عن السعادة الأبدية، فيكون الأمر أمر توبيخ وتحسير وتحزين. ثم علل المأمور به وهو الأكل والتمتع أيامًا قلائل بقوله: ﴿إنكم مجرمون﴾ للدلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أيامًا قلائل ثم الهلاك والعذاب الأبدي. ويجوز أن يكون قوله: ﴿كلوا واشربوا﴾ كلامًا مستأنفًا خطابًا للمذكورين في الدنيا. ثم خوفهم بأن أخبر أن شأنهم العصيان وترك المأمور به وهو إما الركوع بمعنى الانقياد والخضوع بالإيمان والطاعة وترك الاستكبار والعناد، وإما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء وإرادة الكل.

قوله: (لا نحني) التحنية أن يقوم الإنسان قيام الراكع. وفي حديث ابن مسعود في ذكر القيامة حين ينفخ في الصور: فيقومون فيحنون حنية رجل واحد قيامًا لرب العالمين. وقيل: التحنية تكون في حالين: أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، والآخر أن ينكب على وجهه باركًا وهو السجود. كذا في الصحاح. **قوله: (فإنها مسته)** أي أن هيئة التحنية هيئة تظهر وترتفع فيها السه وهي الإست أي الدبر، أو أنها زمان ظهور السه وارتفاعها. وفي التيسير: فقالوا: لا نحني أي لا ننحني للركوع والسجود فتعلوا أستاهنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود». **قوله: (وقيل هو يوم القيامة)** فإنه يقال لهم: اركعوا يوم القيامة كشفًا لحال الناس في الدنيا، فمن كان يسجد لله تعالى في الدنيا ابتغاء لوجهه تمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقًا واحدًا، فلا يستطيع أن ينحني فضلاً عن أن يسجد. فإن يوم القيامة ليس زمان تكليف حتى يكون اركعوا أمر تكليف وإيجاب بل هو صيغة إيجاب قصد بها كشف حالهم. **قوله: (واستدل به على أن**

....

الأمر للإيجاب) وجه الاستدلال أنه تعالى ذمهم على مجرد ترك المأمور به فلو لم يكن تعلق الأمر به سببًا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على أن مجرد الأمر للإيجاب. فإن قيل: إنما ذمهم على كفرهم. فالجواب أنه تعالى قد ذمهم على كفرهم سابقًا من وجوه كثيرة، وإنما ذمهم في هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل ذلك على أن ترك المأمور به لا يجوز. **قوله:** (وإن الكفار مخاطبون بالفروع) وجه الاستدلال به عليه أنه تعالى ذمهم على حال كفرهم بترك الصلاة، فإنه قد روي عن ابن عباس: أن المراد بالركوع في هذه الآية الصلاة. وقد دل عليه سبب نزولها أيضًا فدل ذلك على أن الكفار مخاطبون بفروع الإيمان بمعنى أنهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الإيمان فكذلك يستحقونه على ترك الصلاة. ثم إنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار ووعيدهم وخوّفهم بأنواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم وبيّن أنهم في أقصى درجات التمرد والعناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن مع إعجازه وحسن نظمه فقال: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ وهو جواب شرط محذوف يعني إذا لم يؤمنوا به فبأي كتاب يؤمنون. وقرىء بالتاء على خطاب الكفار. والله أعلم.

سورة النبأ

مكية وآيها أربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ أصله «عن ما» فحذف الألف لما مر. ومعنى هذا الاستفهام

سورة النبأ العظيم
بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (أصله عن ما) أدغمت النون في الميم لقرب مخرجهما، فإن اجتماع الحرفين المتجانسين والمتقاربين في الكلام يوجب ضربًا من الثقل فيدفع بطريق من الطرق، ومن جملة طرق دفعه الإدغام لأنه يورث ضربًا من الخفة وأحد المتقاربين لا يدغم في الآخر إلا بعد قلبه بالآخر تحقيقًا للمماثلة الموجبة للإدغام. **قوله**: (لما مر) أي من أن حروف الجر إذا دخلت على «ما» الاستفهامية تحذف ألفها تخفيفًا للفظ الكثير التداول وفرقًا بين «ما» الاستفهامية والاسمية نحو: لم وبم وإلى م وعن م وعلى م ونحوها. وقرىء «عن ما» بإثبات الألف على الأصل كما في قول حسان:

على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد

وطرح الألف أكثر استعمالاً من إثباتها. فإن قلت: الميم حرف شفوي ومخرج النون ما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا العليا فلا تقارب بينهما في المخرج، فما سبب الإدغام؟ قلنا: نعم إلا أن فيهما غنة والغنة قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج، والغنة مرة تخرج من الخيشوم ومرة تخرج من الفم. وقيل: الغنة صوت في الخيشوم، والأغن الذي يتكلم من

تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فسئل عنه. والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو يسألون الرسول ﷺ والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم: يتداعونهم ويتراؤونهم أي يدعونهم ويرونهم أو للناس. ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾

قبل خياشيمه. **قوله:** (كأنه لفخامته خفي جنسه فسئل عنه) يعني أن كلمة «ما» سواء كانت لشرح المفهوم أو كشف الشيء المعلوم الموجود أداة للطلب والسؤال يطلب بها شرح المفهوم أو كشف الحقيقة العينية، والمطلوب لا بد أن يكون مجهولاً عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل. هذا أصل تلك الكلمة. ثم إنها قد تطلق على الشيء العظيم الشأن المفخم القدر وإن لم يكن مجهولاً عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيهًا له بالمجهول المسؤول عنه من حيث إنه لفخامته وعظم شأنه صار كأنه عجز العقل عن أن يحيط بكنهه فيسأل عنه، كالأشياء التي جهلت مفهوماتها أو حقائقها فطلبت بـ «ما» ولأجل هذه المشابهة استعمل فيه كلمة «ما» أيضًا مجازًا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢] ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١] ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢] ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١٢] ونحوها فإن كلمة «ما» فيها لمجرد التفخيم.

قوله: (أو يسألون) بمعنى يجوز أن تكون صيغة التفاعل في الآية على أصلها من الدلالة على أن أصل الفعل بين اثنين فصاعدًا بأن يكون كل منهما فاعلاً له من وجه، ومفعولاً من وجه كالتخاصم والتقاتل، وأن يكون بمعنى الفعل الثلاثي بأن يكون المرفوع بها فاعلاً ليس إلا مثل: يتداعونهم بمعنى يدعونهم. قال الإمام: التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضًا كالتقاتل، وقد يستعمل أيضًا في أن يتحدثوا به وإن لم يكن من بعضهم لبعض سؤال. قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥١ ـ ٥٢] فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون. وهذا قول الفراء. انتهى كلامه. ولم يتعرض لكونه بمعنى «يتساءلون». **قوله:** (أو للناس) عطف على قوله لأهل مكة. والظاهر أن المراد بالناس أهل ذلك العصر من الكفار والمؤمنين، أما المؤمنون فيتساءلون ويسألون عنه ليزدادوا يقينًا في إيمانهم بالبعث، وأما الكفار فعلى سبيل السخرية وإيراد الشكوك والشبهات، إلا أن قول المصنف فيما بعد: كلا سيعلمون ردع للتساؤل أو وعيد عليه يستدعي أن يحمل الناس على ما يعم أهل مكة وغيرهم من الكفار فقط. فإن قلت: فما تصنع حينئذٍ بقوله: ﴿فيه مختلفون﴾ مع أن الكفار كانوا متفقين في إنكار الحشر؛ فإن منهم من يقطع بعدم بعثه ويقول: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] ومنهم من يشك فيه ويقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ

بيان لشأن المفخم، أو صلة «يتساءلون» و«عم» متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب «عمه». ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ بجزم النفي والشك فيه أو بالإقرار والإنكار. ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ردع عن التساؤل ووعيد عليه. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ تكرير للمبالغة و«ثم» للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد. وقيل: الأول عند النزع والثاني في القيامة، أو الأول للبعث والثاني للجزاء. وعن ابن عامر «ستعلمون» بالتاء فيهما على تقدير: قل لهم ستعلمون. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة

قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وجمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه المذكور يثبتون المعاد الروحاني والمشركون لا يثبتونه ويختلفون في المعاد الجسماني. **قوله: (بيان لشأن المفخم)** فتكون «عن» الأولى متعلقة «بيتساءلون» المذكورة والثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر، فالمعنى على أي شيء يتساءلون على سبيل تفخيم المسؤول عنه وتعظيمه. ثم بيّن ذلك المفخم فقال: ﴿عن النبأ العظيم﴾ أي يتساءلون عن النبأ العظيم حذف متعلق الثاني لدلالة الأول عليه. **قوله: (أو صلة يتساءلون)** أي ويجوز أن تكون «عن» الثانية متعلقة «بيتساءلون» المذكور فحينئذٍ تكون «عم» متعلقة «بيتساءلون» المضمر الذي يفسره الظاهر، فيتم الكلام بقوله: ﴿عم﴾ مع متعلقه المضمر ويكون ما بعده مفسرًا له ويكون التعرض لفخامة شأن المسؤول عنه مقصودًا بالعرض. ويدل على هذا الوجه قراءة من قرأ «عمه» بهاء السكت فإن هذه القراءة تدل على أنه وقف على «عمه» وابتدأ «بيتساءلون عن النبأ» فهو يقتضي أن يتم الكلام عند قوله: «عم» بأن تكون كلمة «عن» متعلقة بمضمر يفسر بما بعده فيكون ما بعده كلامًا مبتدأ، وإنما وقف بهاء السكت لأن ألف «ما» الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلاً على الألف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظًا لتلك الفتحة عن السقوط حال الوقف. وهذه هي الفائدة المطردة في جميع ما يوقف عليه بهاء السكت. **قوله: (بجزم النفي والشك فيه)** متعلق «بيختلفون». وهذا على تقدير أن يكون ضمير «يتساءلون» لأهل مكة فإنهم كما مر ليسوا بمتفقين على إنكار الحشر بل منهم من ينفيه جزمًا ومنهم من يشك فيه. وقوله: «أو بالإقرار والإنكار» على تقدير أن يكون الضمير للناس كافة فإنهم مختلفون فيه يقرّ به المسلمون وينكره الكافرون. **قوله: (ردع ووعيد)** يعني أن ﴿كلا﴾ ردع عن التساؤل هزءًا وسيعلمون وعيد للمتسائلين بأنهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم. **قوله: (وثم للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد)** يعني أن لفظة «ثم» موضوعة للتراخي الزماني، وقد تستعمل في التراخي الرتبي أي التباعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه في الرتبة تشبيهًا لتباعد الرتبة بالتباعد زمانًا، والمعنى المجازي هو المراد

البعث كما مر تقريره مرارًا. وقرىء «مهدًا» أي أنها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد للنوم عليه. ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ ذكرًا وأنثى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ قطعًا عن الإحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها، أو موتًا لأنه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضًا.

ههنا لأن المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد إنما تكون بالحمل على التراخي الرتبي. ثم إنه تعالى لما هددهم على استهزائهم بأمر البعث والجزاء وبّخهم بقلة الدين وسخافة العقل بأن ذكرهم بعض ما عاينوا مما يدل على كمال قدرته ووفور علمه وحكمته، كأنه قيل: من بلغ علمه وحكمته وقدرته إلى هذه المثابة كيف يصح أن يفعل فعلاً عبثًا؟ وما ينكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثًا في كل فعل. قوله: (مصدر سمي به ما يمهد) أي يبسط يقال: مهدت الفراش مهدًا إذا بسطته ووطأته، وسمي به مهد الصبي تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير والمراد الفراش، وهو في الأصل مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت أطلق على الأرض الممهدة أي ألم تجعل الأرض بساطًا ممهودًا يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه؟ و «مهادًا» مفعول ثانٍ «لجعل» إن كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة إن كان بمعنى الخلق، و «أوتادًا» أيضًا يحتملهما. ومعنى جعل الجبال أوتادًا للأرض إرساؤها بالجبال لتسكن ولا تميل بأهلها كما يرسى البيت بالأوتاد فهو من باب التشبيه البليغ.

قوله: (قطعًا عن الإحساس والحركة) لما طعن بعض الملاحدة في هذه الآية بأن قالوا: السبات هو النوم والمعنى: وجعلنا نومكم نومًا. أجاب عنه بوجهين: الأول أن السبت في اللغة يجيء لمعان منها: الراحة ومنها القطع يقال: سبت شعره سبتًا أي قطعه وحلقه ومنه سمي يوم السبت لانقطاع الأيام عنده، وسمي النوم سباتًا لكونه مقطوعًا عن الإحساس والحركة ولأن النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة، لذلك فحسن ذكره في أثناء تعداد النعم الجليلة. والثاني أنا لا نسلم أن السبات هو النوم بل هو الموت. وفي الصحاح: والمسبوت الميت والمغشي عليه، فالمعنى: وجعلنا النوم موتًا. واستدل على صحة هذا المعنى بقوله: «لأنه أحد التوفيين» لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] قال الإمام: وهذا القول عندي ضعيف، لأن الأشياء المذكورة في هذه الآيات من جلائل النعم فلا يليق ذكر الموت في أثنائها. ولعل المصنف أشار إلى دفعه بقوله: «لأنه أحد التوفيين» فإن الذي لا يليق ذكره في هذا المقام هو التوفي بمعنى الموت حقيقة ولا يمكن أن يكون المراد بالآية على تقدير أن يفسر السبات بالموت ما يفهم من ظاهرها بل هي من قبيل التشبيه البليغ، وذلك لأن الموت إنما يكون بانقطاع الروح عن البدن

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به، أو حياة تنبعثون فيه عن نومكم. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ سبع سمٰوات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ متلألئًا وقادًا من وهجت النار إذا أضاءت، أو بالغًا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك: أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد. ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو الرياح ذوات الأعاصير. وإنما جُعلت مبدأ للإنزال لأنها

والنوم يكون بانقطاع أثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية مع بقاء الروح في البدن فهما متباينان، فكيف يكون أحدهما هو الآخر؟ فلا يذم حملها على التشبيه البليغ. والحال أن التشبيه بالموت نعمة جليلة يليق ذكرها في مقام تعداد النعم وكذا الكلام في قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسًا﴾ فإنه أيضًا من قبيل التشبيه البليغ. **قوله:** (**وقت معاش**) يعني أن قوله تعالى: ﴿معاشًا﴾ اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش في عبارة المصنف مصدر ميمي يقال: عاش يعيش عيشًا ومعاشًا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى، ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل ما يعاش به فقولنا: النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل أسباب التعيش. وهذا التفسير مبني على أن يفسر السبات بالقطع عن الإحساس والحركة فتحصل المقابلة بين السبات والمعاش، فإنه لما فسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش بما يتضمن الحركة لتحصل المقابلة. **قوله:** (**أو حياة تنبعثون فيه عن نومكم**) مبني على أن يفسر السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة إنما تتم أن لو قيل، وجعلنا يقظتكم حياة إلا أنه عبّر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزمًا لها غالبًا. **قوله:** (**السحائب**) إن فسرت المعصرات بالسحائب تكون اسم فاعل من أعصرت السحائب إذا حان لها أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد. وهمزة «أعصر» للحينونة كما في أحصد الزرع أي حان له أن يحصد، وأعصرت الجارية أي حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض، وإلا لكان ينبغي أن يقرأ «المعصرات» بفتح الصاد على أنه اسم مفعول لأن الرياح تعصرها. وإن فسرت المعصرات بالرياح يكون أيضًا اسم فاعل من أعصرت الرياح إذا حان لها أن تعصر السحاب، والهمزة للحينونة أيضًا لا للتعدية لأنه يتعدى بنفسه. وإما إذا كانت بمعنى الرياح ذوات الأعاصير فهمزة أفعل حينئذٍ تكون للصيرورة فيكون اسم فاعل من أعصرت الريح أي صارت ذات أعصار وهي الريح التي تستدير في الأرض ثم ترتفع إلى السماء كالعمود. وقيل: هي ريح تثير سحابًا فيه رعد وبرق. **قوله:** (**وإنما جعلت مبدأ للإنزال**) أي إنزال الماء جواب

تنشيء السحاب وتدر أخلافه. ويؤيده أنه قرىء بالمعصرات. ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ منصبًا بكثرة يقال: ثجه وثج بنفسه. وفي الحديث: «أفضل الحج العج والثج» أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي. وقرىء «ثجاحًا ومثاجح» الماء مصابه. ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش. ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال:

جنة لف وعيش مغدق

عما يقال: كيف جاز أن تفسر المعصرات بالرياح وهي ليست مبدأ لإنزال الماء بل المبدأ لإنزاله هو السحاب؟ وتقرير الجواب أن الرياح وإن لم تكن مبدأ قريبًا لإنزال الماء إلا أنها سبب لتكون مبدئه الذي هو السحاب لأنه إنما يتكون وينشأ وتمتلىء أخلافه بالمطر بهبوب الرياح، فصح أن تجعل مبدأ للإنزال بهذا الاعتبار. **قوله: (ويؤيده)** أي يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وأن كونها مبدأ للإنزال باعتبار كونها سببًا لتكون مبدئه القريب قراءة من قرأ «بالمعصرات» بدل من المعصرات. ووجه التأييد أن الباء للسببية والسببية في المبدأ الآلي الذي هو الريح أظهر منها في المبدأ المادي وهو السحاب. **قوله: (يقال ثجه وثج بنفسه)** يعني أن ثج قد يكون لازمًا بمعنى أنصب بنفسه وقد يكون متعديًا بمعنى صبه غيره كما في الحديث، فإن معناه: أفضل أعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدي. واختار المصنف كون ثجاجًا في الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم حيث قال في تفسيره: منصبًا بكثرة. واختار الزجاج كونه من المتعدي حيث قال: معناه صبابًا كأنه يثج نفسه أي يصبها وأيًا ما كان فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به. **قوله: (وقرىء ثجاحًا)** بالجيم ثم بالحاء قراءة الأعرج. ويفهم من قوله: «ومثاجح الماء مصابه» أن ثجح متعدٍ بمعنى صب لا بمعنى أنصب، ومضارعه يثجح ويقال: أثجح الماء في الوادي أي سال. فقوله: ثجاحًا بالحاء مرادف الثجاج المأخوذ من المتعدي كما اختاره الزجاج. **قوله: (ما يقتات به)** القوت بالضم ما يقوم ببدن الإنسان كالحنطة والشعير ونحوهما أي ﴿لنخرج به حبًا﴾ ليكون قوتًا للإنسان كالحنطة والشعير ونحوهما، ﴿ونباتًا﴾ ليكون علفًا للحيوان كالبقل والحشيش ﴿وجنات ألفافًا﴾ ليتفكه بها الإنسان. والجنات الحدائق الملتفة الأشجار. قدم الحب لأنه هو الأصل في الغذاء، وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات إليه، وأخرت الجنات في الذكر لانعدام الحاجة الضرورية إلى الفواكه.

قوله: (جمع لف) اختلفوا في الألفاف، فذهب صاحب الكشاف إلى أنه لا واحد له كالأوزاع والأخياف. فإن الأوزاع الجماعات المتفرقة وكذا الأحياف للإخوة من آباء شتى وأمهم واحدة. وكثير من أهل اللغة أثبتوا له واحدًا. ثم اختلفوا في واحدة؛ قال الأخفش

أو لفيف كشريف أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وإخضار، أو ملتفة بحذف الزوائد. ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ﴾ في علم الله أو في حكمه. ﴿مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾ حدًا توقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حدًا للخلائق ينتهون إليه. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾

والكسائي: واحدها لف بالكسر كجذع وأجذاع. وقيل: واحده لف بالضم وهو جمع لفاء كحمر في جمع حمراء فيكون ألفًا فأجمع الجمع كخضراء وخضر وأخضار. واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على أن الجموع التي جاءت على وزن فعل لا تجمع على أفعال فلا يقال: في جمع حمرًا حمار ولا في خضر إخضار، فالقول بأن ألفافًا جمع لف مخالف للقياس. وفي هذا الاستبعاد نظر، لأن الجمع لا يجمع بالقياس إلى نظائره من الجموع بل يكون له نظير في المفردات. فلفظ «لف» لما كان نظير كقفل وشغل من حيث الوزن صح أن يجمع على ألفاف ولا يضره عدم استعمال أحمار وأخضار. ثم قال صاحب الكشاف: ولو قيل: هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولاً وجيهًا. وقال صاحب الكشف: وفيه أنه لا نظير له أيضًا لأن تصغير الترخيم ثابت وأما جمعه فلا. انتهى. يعني أن القول بأن ألفافًا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لا نظير له أيضًا وكأنه قاس بناء الجمع على تصغير الترخيم، وهو أن تحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغره على ما بقي نحو أن يقال حميد في أحمد ومحمد ومحمود، ولا يبالي بالالتباس اعتمادًا على دلالة القرينة. ويقال: سويد من أسود وخريج في مخرج. ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة أن تحذف زوائد الاسم ثم يجمع ما بقي منه. **قوله: (كان في علم الله تعالى أو في حكمه)** لما كان الأصل في «كان» الناقصة الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي يدل عليه الفعل بصيغته ماضيًا كان أو حالاً أو استقبالاً، فإن «كان» للماضي و«يكون» للحال أو الاستقبال و«كن» للاستقبال. ومعلوم أن ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لأنه أمر مقدر قبل حدوث الزمان أيضًا، ولما لم يصح أن يكون المعنى كان ميقاتًا في زمان كذا فسره بقوله: كان ميقاتًا في علم الله تعالى أو في حكمه. ولعل المراد بالحكم القضاء الأزلي والتقدير الإلـٰهي فهو غير العلم عند الأشاعرة لأنه عبارة عن الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال. **قوله: (حدًا توقت به الدنيا)** أي نهاية ينتهي عندها بقاء الدنيا ووقتًا يبتدأ فيه أحوال الآخرة. وتوصيف الحد بما ذكر إشارة إلى أن الميقات أخص من الوقت حيث قيده بكونه حدًا ينتهي عند بقاء الدنيا، أو بكونه حدًا ينتهي إليه الخلائق من الجن والإنس كالميعاد والميلاد. فإن كل واحد منهما أخص من مطلق الوقت لتقيد الأول بكونه زمان الوعد، والثاني بكونه زمان الولادة. وقيل: الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من الثواب والعقاب أو

بدل أو بيان ليوم الفصل. ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾ جماعات من القبور إلى المحشر. روي أنه عليه السلام سئل عنه فقال: «تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على سورة الخنازير، وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم، وبعضهم عمي، وبعضهم صمٌّ بكمٌ وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتنًا من الجيف، وبعضهم ملبسون جبابًا سابغة من قطران لازقة بجلودهم». ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا، والجائرين في الحكم، والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم، والمؤذين جيرانهم والداعين بالناس إلى السلطان، والتابعين للشهوات المانعين حق الله، والمتكبرين الخيلاء.

بكونه وقتًا لاجتماع الخلائق في موقف الحساب. لما فصل ما يدل على صحة البعث وإمكانه اتبعه بذكر أن يوم الفصل حد ينتهي عنده هذا النظام المحسوس. **قوله: (أو بيان ليوم الفصل)** يحتمل أن يكون المراد به أنه عطف بيان ليوم الفصل وأنه منصوب بتقدير أعني و «أفواجًا» حال من فاعل «تأتون». وهذا النفخ هي النفخة الأخيرة التي عندها يكون المحشر. والنفخ في الصور إما بمعنى نفخ الأرواح في أجساد الأموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر في جمع بسرة، وإما بمعنى نفخ إسرافيل عليه الصلاة والسلام في القرن والصور حينئذٍ اسم مفرد بمعنى القرن الذي ينفخ فيه للبعث. **قوله: (تحشر عشرة أصناف من أمتي)** فإن قيل: لم يذكر هيئة حشر المتقين من أمته عليه الصلاة والسلام حتى يكون الأصناف المحشورون أحد عشر صنفًا؟ قلت: لعل الوجه فيه أنه لا يخفى على أحد أن المتقين يحشرون على الصور الحسنة، ثم إنهم وإن كانوا أصنافًا كثيرة على حسب اختلاف الأعمال الحسنة والأخلاق المرضية إلا أن اهتمام السائل لا يتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورتهم الحسنة وتفصيل ما أدى إلى أن يحشروا عليها من الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية، بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة المنظر ومعرفة ما كان سببًا لأن يحشروا عليها، فلذلك فصل هيئات أهل المعاصي مع بيان الأسباب المؤدية إليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلاً بل اكتفى بالإشارة الإجمالية بقوله: «من أمتي» بـ «من» التبعيضية. **قوله: (منكوسون)** النكس مقابل هيئة القيام على الرجل بأن تجعل الرجل أعلى والرأس أسفل. **قوله: (ثم فسرهم بالقتات)** جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة القردة والثاني والثالث، وهكذا على ترتيب اللف والنشر. وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يفضي إلى تطويل الكلام فيطلب بيانها من علم

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ وشقت. وقرأ الكوفيون بالتخفيف. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب فصارت ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي في الهواء كالهباء. ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ مثل سراب أن ترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار، أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فإنه الموضع الذي يضمر فيه الخيل أو مجدة في ترصد الكفرة

التفسير. **قوله:** (وشقت) أي تصدعت بعد أن كانت شدادًا لا فطور فيها فيكون قوله: ﴿وفتحت السماء﴾ ههنا بمعنى إذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت بناء على أن الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى.

قوله: (فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب) لما لم يمكن حمل قوله تعالى: ﴿فكانت أبوابًا﴾ على ظاهره لأن نفس السماء إذا كانت بكليتها أبوابًا لم يبق فيها ما يعتمد تلك الأبواب عليها، حمله أولاً على التشبيه البليغ للمبالغة في كثرة أبوابها فإن تلك الأبواب لما كثرت جدًا صارت السماء كأنها ليست إلا أبوابًا مفتوحة كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] أي كثرنا العيون في الأرض بحيث صارت كأنها بكليتها عيون تتفجر وثانيًا حمله على حذف المضاف أي فكانت ذوات أبواب. **قوله:** (مثل سراب) ووجه الشبه ما أشار إليه بقوله: «إذ ترى على صورة الجبال» فإن من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فإذا جاء الموضع الذي رآه فيه لم يجده شيئًا، فكذلك الجبال تصير في عين الرائي كأنها جبال وليست كذلك في نفس الأمر لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها وصيرورتها كالعهن المنفوش، ثم تتقطع وتتبدد فتصير هباء منبثًا مع استقرارها في مواضعها، ثم تنسف وتقلع من مواضعها كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] ثم ترفعها الرياح عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها غباركما قال: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. واعلم أن الأحوال المذكورة إلى هنا هي أحوال عامة القيامة، ومن ههنا شرع في وصف أحوال جهنم وأهوالها فقال: ﴿إن جهنم كانت مرصادًا﴾ والمرصاد يحتمل أن يكون اسمًا للمكان الذي يرصد فيه الراصد العدو أي يرقبه كالمضمار فإنه اسم للمكان الذي تضمر فيه الخيل، ويطلق على المدة التي تضمر فيها الخيل أيضًا وهي أربعون يومًا، والضمر الهزال وخفة اللحم، وتضمير الفرس أن يعلفه حتى يسمن ثم يرده إلى القوت وذلك يتم في أربعين يومًا. وفي الصحاح: الراصد للشيء الراقب له تقول: رصده يرصده رصدًا ورصدًا، والترصد الترقب، والرصد أيضًا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، والمرصاد الطريق. انتهى ما فيه. ويحتمل أن يكون المرصاد من أبنية المبالغة كالمعطار

لئلا يشذ منها واحد كالمطعان. وقرىء «أن» بالفتح على التعليل لقيام الساعة. ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ مرجعًا ومأوى. ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ وقرأ حمزة وروح «لبثين» وهو أبلغ ﴿أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ دهورًا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها. إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الأحقاب لجواز أن يكون

والمطعان والمعمار، فالمعنى: أن جهنم تبالغ وتجد في ترصد أعداء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد. والمصنف أشار إلى هذا الاحتمال بقوله: «أو مجددة في ترصد الكفرة». ويجوز أن تكون العبارة «أو محدة» بالحاء المهملة من أحددت النظر إذا توجهت ونظرت بالحد والإحكام، فيكون المرصاد بمعنى المبالغ في النظر إلى الكفار لئلا يشذ منهم أحد. وقوله: «كانت معناه أنها كانت في حكم الله تعالى مرصادًا» أي موضع ترصد أو مجدة فيه. وقيل: إنها بمعنى صارت مرصدًا. **قوله:** (على التعليل لقيام الساعة) المدلول عليه بقوله: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجًا﴾ كأنه قيل: إن يوم الفصل وقت تنتهي عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه، أو وقت تنتهي إليه الخلائق لأن جهنم مرصاد لتجزى كل نفس بما كسبت، لأن الترقب لا يكون إلا لإقامة الجزاء. وقوله: «مرصادًا» خبر «كانت» و«مآبًا» يجوز أن يكون خبرًا بعد خبر وأن يكون بدلاً من «مرصادًا» أي أنها كانت مرصادًا لهم وحدًا لا يتجاوزونه. ثم إن كان «مرصادًا» بمعنى مجدًا في ترصد الكفرة يكون قوله: «للطاغين» متعلقًا «بمرصادًا» وإن كان اسم مكان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة النار الكفار يجوز أن يكون «للطاغين» صفة «لمرصادًا» وأن يكون حالاً من «مآبًا»، وكان في الأصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالاً، وعلى التقديرين يكون متعلقًا بمحذوف. وإن كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها لا يجوز أن يكون «للطاغين» صفة «لمرصادًا» بل يكون حالاً من «مآبًا» ليكون قوله تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادًا﴾ كلامًا تامًا يصح الوقف عليه ويكون قوله: ﴿للطاغين مآبًا﴾ كلامًا مبتدأ. ولعل المصنف اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى: ﴿للطاغين﴾ بقوله: ﴿مآبًا﴾ ثم إنه تعالى لما بيّن أن جهنم كانت مآبًا للطاغين بيّن كمية استقرارهم هناك فقال: ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ وهو حال من المقدر المنوي في قوله: «للطاغين» أي مقدرين اللبث فيها و«أحقابًا» ظرف زمان لقوله: «لابثين» ومعمول له. والأحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] نقل الإمام عن الفراء أنه قال: أصل الحقب من الترادف والتتابع يقال: أحقب إذا أردف، ومنه الحقيبة، واحتقبه واستحقبه بمعنى أي احتمله، ومنه قيل: احتقب فلان الإثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه. فلذلك فسر المصنف قوله: «أحقابًا» بقوله: «دهورًا متتابعة» أي يتبع بعضها بعضًا. والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة. قال الحسن: لم يجعل الله

المراد أحقابًا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر، وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار. ولو جعل قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ حالاً من المستكن في «لابثين» أو نصب «أحقابًا» «بلا يذوقون» احتمل أن يلبسوا فيها أحقابًا غير ذائقين إلا حميمًا وغساقًا، ثم يبدلون جنسًا آخر من العذاب. ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل إذا أخطأه الرزق وحقب العالم إذا قل مطره وخيره، فيكون حالاً بمعنى لابثين فيها حقبين. وقوله: ﴿لا يذوقون﴾ تفسير له. والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار

تعالى لأهل النار مدة بل قال: ﴿أحقابًا﴾ فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى الأبد. وقال المفسرون: الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلاثمائة وستون يومًا اليوم ألف سنة من أيام الدنيا. **قوله: (وإن كان فمن الخ)** أي وإن كان فيه ما يدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم. **قوله: (ولو جعل قوله تعالى لا يذوقون فيها الخ)** جواب ثانٍ عما يرد على قوله تعالى: ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ وهو دلالته على خروج الكفار منها. وتقرير الجواب سلمنا أن أحقابًا المنكر يدل على التناهي وعدم التتابع إلى ما لا نهاية له، لكن تناهي الأحقاب إنما يستلزم تناهي اللبث المقيد بمضمون الحال وتناهي اللبث المقيد لا يستلزم تناهي مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج.

قوله: (أو نصب أحقابًا بلا يذوقون) جواب رابع تقريره ما ذكرتم من أن تناهي الأحقاب يدل على تناهي اللبث فيها المستلزم لخروجهم منها موقوف على قول من يرى تقديم معمول ما بعد كلمة «لا» عليها فحينئذٍ لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن «أحقابًا» ظرف اللبث. **قوله: (ويجوز أن يكون جمع حقب)** أي بكسر القاف وهو جواب خامس عنه تقريره أن ما ذكرتم مبني على أن يكون «أحقابًا» ظرفًا «للابثين» وليس بلازم لجواز أن لا يكون ظرفًا أصلاً بل يكون حالاً من الضمير المستكن في «لابثين» بمعنى حقبين أي مجدبين يقال: حقب عامنا إذا قل مطره وخيره، وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب، فعلى هذا يكون قوله: ﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا﴾ تفسيرًا لتكذيبهم ولا يتوهم حينئذٍ تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج إلى التوجيه. **قوله: (والمراد بالبرد ما يروحهم)** كأنه أشار إلى جواب ما يقال: إنهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل: إنهم ﴿لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا﴾؟ وتقرير الجواب أن «بردًا» وإن كان نكرة واقعة في سياق النفي المقتضي العمومية في كل برد إلا أنه خص بالبرد النافع المروح لقيام المخصص. وقوله: «ولا شرابًا» أي ولا ماء باردًا تخصيص بعد التعميم لكمال الماء البارد في الترويح. وقوله: «إلا حميمًا وغساقًا» استثناء منقطع لأن الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروح في تسكين

أو النوم، وبالغساق ما يغسق أي يسيل من صديدهم، وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ أي جوّزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقًا لها أو وافقها وفاقًا. وقرىء «وفاقّا» فعال من وفقه كذا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ بيان لما وافقه هذا الجزاء. ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ تكذيباً وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء. وقرىء

العطش في شيء، والحميم الماء الحار الذي انتهى حره والغساق صديد أهل النار. **قوله:** (أو النوم) سمي النوم بردًا لأنه يبرد صاحبه. ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه! ومن أمثال العرب: منع البرد البرد أي أصابني من البرد ما منعني من النوم.

قوله: (أي جوّزوا بذلك جزاء ذا وفاق) على أن «جزاء» مصدر مؤكد لفعله المحذوف وقوله: «وفاقًا» صفة «الجزاء» بتقدير المضاف أي جزاء ذا وفاق، أو بأن يوصف الجزاء بنفس الوفاق للمبالغة في وفاقه لأعمالهم. **قوله:** (أو وافقها وفاقًا) على أن يكون «وفاقًا» مصدرًا مؤكدًا لفعله المحذوف كجزاء فتكون الجملة صفة جزاء، والتقدير: جوزوا بذلك جزاء وافق أعمالهم وفاقًا. وجه الموافقة بينهما أنهم أتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابًا عظيمًا وهو التعذيب بالنار أبدًا.

قوله: (بيان لما وافقه هذا الجزاء) أي بيان للأعمال القبيحة الناشئة عن فساد القوة العملية فإن من لا يخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه فلا يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب في التحلي للطاعات، ولما كان الحساب من أشق الأمور وأصعبها على الإنسان وكان الشيء الصعب الشاق لا يقال فيه إنه يرجى بل يقال إنه يخشى ويخاف قال كثير من المفسرين إن قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابًا﴾ معناه لا يخافون كذا وقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] معناه ما لكم لا تخافون عظمة الله تعالى. ثمّ بين فساد قوتهم النظرية فقال: ﴿وكذبوا بآياتنا كذابًا﴾ ولا شك أن من فسدت كل واحدة من قوتيه النظرية والعملية وتباعد عن كل واحد من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح كان في غاية الرداءة ونهاية الفساد فاستحق أن يعاقب بأهول العقاب جزاء وفاقًا، فإن مدة عمره وإن كانت متناهية إلا أن قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار أبدًا موافقًا لحاله في عدم التناهي، فإن ما جوزي به من العذاب وإن كان متناهيًا من حيث إنه تعالى قادر على ما فوقه من مراتب العذاب إلا أنه غير متناه بحسب المدة لأنه مؤبد، فكل واحد منهما موافق للآخر في مطلق عدم التناهي. **قوله:** (مطرد شائع) مثل كلم كلامًا وفسر فسارًا. قال

بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله:

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وإنما أقيم مقام التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في تكذيبهم أو المكاذبة فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة، أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه. وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالاً بمعنى كاذبين أو مكاذبين، ويؤيده أنه قرىء «كُذابًا» وهو جمع كاذب. ويجوز أن يكون للمبالغة

صاحب الكشاف: وكنت أفسر به فقال بعضهم: لقد فسرتها فسارًا ما سمع بمثله. **قوله: (قال:**

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه)

استدل به على أن الكذاب مصدر كذب الثلاثي وأن معناه الكذب. ووجه الاستدلال أن كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثي فدل ذلك على أنه مصدر لذلك الثلاثي. **قوله: (أو المكاذبة)** عطف على الكذب في قوله: «وهو بمعنى الكذب» ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين: الأول أن يكون بناء المفاعلة للمشاركة كما هي الأصل فيه والثاني أن يكون للمبالغة تنبيهًا على كونهم مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه، فيكون «كذابًا» مصدر كاذب بمعنى بالغ في الكذب فإنه قد يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيهًا على قوة الفعل وكماله. ووجه التنبيه أن الفعل الصادر عن اثنين على طريق مغالبة كل واحد منهما الآخر لا بد أن يكون أتم وأقوى مما يصدر عن واحد لا مغالب له فيه، فإذا خرج الفعل الصادر ممن لا مغالبة له فيه على زنة المفاعلة كان مبناه على تشبيه ذلك الفعل بما صدر عن المغالبين في القوة والكمال. **قوله: (وعلى المعنيين)** وهما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز أن يكون «كذابًا» المخفف حالاً من فاعل «كذبوا» على طريق استعمال المصدر في معنى اسم الفاعل. ويؤيده قراءة من قرأ «كذابًا» بضم الكاف وتشديد الذال، فإنه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال والجملة معطوفة على قوله: «وإنما أقيم مقام التكذيب» يعني أن «كذابًا» المخفف يجوز أن يكون منصوبًا على أنه مفعول مطابق «لكذبوا» المشدد لتضمنه معنى الكذب بناء على أن كل من كذب الحق فهو كاذب، ويجوز أن يكون منصوبًا على الحالية.

قوله: (ويجوز أن يكون للمبالغة) عطف على قوله جمع كاذب أي ويجوز أن يكون «كذابًا» بالضم والتشديد صيغة مبالغة بمعنى الواحد البليغ في الكذب نحو: رجل كبار وشاب حسان، وذلك الواحد البالغ في الكذب هو مصدر كذبوا والمعنى: ﴿وكذبوا بآياتنا كذابًا﴾

فيكون صفة للمصدر أي تكذيباً مفرطاً كذبه. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ وقرىء بالرفع على الابتداء. ﴿كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ مصدر «لأحصيناه» فإن الإحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط، أو لفعله المقدّر، أو حال بمعنى مكتوبًا في اللوح، أو في صحف الحفظة والجملة اعتراضٌ. وقوله:

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئُهُ على طريقة الالتفات للمبالغة. وفي الحديث: «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار». ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ فوزًا أو موضعَ فوز. ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة بدل من مفازًا بدل الاشتمال أو البعض. ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نساء فلكت ثديهن. ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ لدات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ ملأى وأدهق الحوض ملأه.

أي تكذيبًا مفرطًا كذبه. **قوله:** (**وقرىء بالرفع على الابتداء**) وقراءة الجمهور بالنصب على أنه من باب ما أضمر عامله على شريطة التفسير وهو الأولى في هذا المقام بتقديره جملة فعلية. قال ابن الحاجب: ويختار النصب بالعطف على جملة فعلية للتناسب نحو: جاءني زيدٌ وعمرًا أكرمته. ثم إنه تعالى لما بيّن أن ما يوجب الجزاء المذكور وهو فسادهم بحسب قوتهم العملية والنظرية بيّن أن تفاصيل أحوالهم الفاسدة عملاً واعتقادًا معلومة له فقال: ﴿وكل شيء أحصيناه كتابًا﴾ وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه، فإن قوله: «فذوقوا» مسبب عن تكذيبهم والأصل: وكذبوا بآياتنا كذابًا فذوقوا. وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله: ﴿جزاء وفاقًا﴾ كأنه قال: أنا عالم بجميع ما فعلوه على وجه جزئي فأجازيهم جزاء وفاقًا لأعمالهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [قٓ: ٢٩]. **قوله:** (**وفي الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار**) لأنها تدل على أنهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة، وإن كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما أشرنا إليه سابقًا. ثم إنه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه ذكر ما وعد للأبرار فقال: ﴿إن للمتقين مفازًا﴾ وهو يحتمل أن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى الفوز بما ينبغي ويطلب فيكون «حدائق» بدل اشتمال منه، وأن يكون اسمًا لمكان الفوز وهو الجنة فيكون «حدائق» بدل البعض. والحدائق جمع حديقة وهي كل بستان محوط عليه من قولهم: أحدقوا به أي أحاطوا به. وتنكير «أعنابًا» لتعظيم حالها. **قوله:** (**فلكت ثديهن**) أي استدارت فصارت كالكعب في النتوء يقال: فلكت ثدي الجارية تفليكًا أي استدارت كفلكة المغزل. **قوله:** (**لدات**) أي مستويات في السن واحدتها ترب وواحدة لدات لدة، والهاء فيها عوض عن الواو الذاهبة من أوله لأنها من الولادة. **قوله:** (**ملأى**) «**فدهاقًا**» مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق أي ممتلىء. وصف

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝٣٥﴾ وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذبًا أو مكاذبة إذ لا يكذب بعضهم بعضًا. ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ بمقتضى وعده ﴿عَطَآءً﴾ تفضلاً منه إذ لا يجب عليه شيء، وهو بدل من جزاء. وقيل: منتصب به نصب المفعول به ﴿حِسَابٗا ۝٣٦﴾ كافيًا من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال: حسبي، أو على حسب أعمالهم

به الكأس للمبالغة في امتلائها. **قوله تعالى:** (لا يسمعون فيها لغوًا) اللغو هو ما يصدر من الكلام في أثناء الشرب، بخلاف أهل الجنة فإنهم إذا شربوا لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح والعربدة، ولا يكذب بعضهم بعضًا، فإن «كذابًا» بالتشديد بمعنى التكذيب فلا يسمع فيها شيئًا من ذلك. **قوله:** (بمقتضى وعده) جواب عما يقال: إنه تعالى جعل ما وعده للمتقين جزاء وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لأن كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق، وكونه عطاء يستدعي عدم ثبوته. وتقرير الجواب أن ذلك تفضل وعطاء في نفس الأمر وجزاء مبني على الاستحقاق من حيث إنه تعالى وعد به لأهل الطاعة. وقوله: «عطاء» بدل الكل من الكل من قوله: «جزاء» لاتحادهما بالذات واختلافهما بحسب المفهوم، وفي إبداله منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على أن بيان كونه عطاء وتفضلاً منه تعالى هو المقصود، وبيان كونه جزاء وسيلة إليه. وقيل: انتصاب «عطاء» على أن مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء على أن العطاء بمعنى المعطي. قيل: يلزم عليه انتصاب «جزاء» على أنه مصدر مؤكد لفعله المحذوف، كما صرح به المصنف في مثله، والمصدر إنما يعمل إذا كان بمعنى «أن» مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك لأن الفعل لا يؤكد «بأن» مع الفعل وإنما يؤكد بالمصدر الصريح، صرح به سيبويه في كتابه حيث قال: ويعمل عمل فعله ماضيًا كان أو غيره إذا لم يكن مفعولاً مطلقًا. وأجيب عنه بأنه لا يلزم من عدم جواز تأكيد الفعل «بأن» مع الفعل لفظًا عدم كون المفعول المطلق بمعنى «أن» مع الفعل، فإذا جاز أن يكون المفعول المطلق بمعنى أن مع الفعل جاز أن يكون عاملاً. وفيه أن هذا الجواب يدفعه قول سيبويه: ويعمل عمل فعله إذا لم يكن مفعولاً مطلقًا. **قوله:** (كافيًا) يعني أن قوله تعالى: ﴿حسابًا﴾ صفة لقوله: «عطاء» على أنه مصدر أقيم مقام محسبًا بمعنى كافيًا من قولهم: أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني، وأحسبت فلانًا إذا أعطيته ما يكفيه حتى قال: حسبي. ومنه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي أي كفاني من سؤالي. **قوله:** (أو على حسب أعمالهم) فيكون أيضًا صفة لعطاء أي عطاء كائنًا بحسب أعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم، «فحسابًا» على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدرته. وفي الصحاح: حسبه يحسبه بالضم حسبًا وحسبانًا إذا عده وقدره. والظاهر أن يقال: على حسب ما وعد للعاملين من أصل الثواب وأضعافه في مقابلة أعمالهم، فإن الجزاء

وقرىء «حسابًا» أي محسبًا كالدراك بمعنى المدرك.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بالجر بدل «من ربك» وقد رفعه الحجازيان وأبو عمرو على الابتداء. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب، وبالرفع في قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره. ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ والواو لأهل السموات

وقع في القرآن على ثلاثة أوجه: الأول ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] والثاني ما دل عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف، والثالث ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقول المصنف: «أو على حسب أعمالهم» يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك إنما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلاً لأعمالهم البتة، فلا بد أن يكون مراده بقوله على حسب أعمالهم كون الأضعاف الموعودة التي هي المراد بالعطاء على حسب أعمالهم بأن يجازي كل عمل بما وعد له من الأضعاف.

قوله (وقرىء حسابًا) بفتح الحاء وتشديد السين على أنه صيغة مبالغة من أحسبه كذا أي كفاه، وقياس فعال أن يبنى من الثلاثي كصبار وعلام وأن يكون مبالغة فاعل. و«حساب» هنا فعال بني من أفعل في مبالغة مفعل كما يقال: أجبره فهو جبار أي مجبر وأدرك فهو دراك أي مدرك. ثم إنه تعالى لما بالغ في وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام بوصف نفسه بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال: ﴿رب السموٰات والأرض وما بينهما﴾. **قوله**: (بدل من ربك) اختار قراءة من قرأ بجر لفظي «الرب» و«الرحمٰن» على أن الأول بدل من «ربك» والثاني صفة للأول أو لمتبوعه، وهذه القراءة قراءة ابن عامر وعاصم. ثم ذكر أن أبا عمرو وابن كثير المكي ونافعًا المدني قرؤوا برفع الأول، وأن أبا عمرو يرفع الثاني أيضًا، ثم ذكر أن حمزة والكسائي قرآ بجر الأول ورفع الثاني. ولم أعلم مراد المصنف ما هو لاختلاف النسخ في بيان إعراب هذه الآية. وقد ذكر شهاب الدين في معربه: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع «رب السموٰات» و«الرحمٰن»، وابن عامر وعاصم بخفضهما، والإخوان بخفض الأول ورفع الثاني. ويوافقه ما في التفسير للإمام النسفي وهو قوله: قرأ عاصم وابن عامر «رب» بالخفض و«الرحمٰن» كذلك وصفًا لقوله: ﴿جزاء من ربك﴾ والباقون كليهما بالرفع على معنى هو رب السموٰات والأرض وما بينهما الرحمٰن. وقرأ حمزة والكسائي «رب» بالخفض نعتًا للأول و«الرحمٰن» رفعًا لانقطاعه عن الأول فرفع على تقدير هو الرحمٰن. وقال الإمام الرازي: رب السموٰات والرحمٰن فيهما ثلاثة أوجه: أحدها الرفع فيهما وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو، والجر فيهما وهي

والأرض أي لا يملكون خطابه. والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب، لأنهم مملوكون له على الإطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضًا وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ تقرير وتوكيد لقوله: ﴿لا يملكون﴾ فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابًا كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه غيرهم؟ و«يوم» ظرف «للايملكون» أو «ليتكلمون» والروح ملك موكل على الأرواح أو جنسها أو جبرائيل

قراءة عاصم وابن عامر، والجر في الأول مع الرفع في الثاني وهو قراءة حمزة والكسائي. وكذا في شرح الشاطبية. **قوله:** (أي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه) أي لا يملكون من جهته تعالى أن يخاطبوه على سبيل الاعتراض عليه فيما حكم به بين العباد من إثابة بعض وعقاب آخرين، على أن تنكير «خطابًا» للتنويع ولا يلزم من عدم تمليكه تعالى إياهم أن يخاطبوه على سبيل الاعتراض أن لا يأذن لهم في الشفاعة. والاعتراض على الحاكم عبارة عن أن يتكلم فضولي في أثناء حكمه على قصد تغيير ما حكم به، والمتكلم بالإذن ليس فضوليًا قاصدًا لتغيير الحكم. **قوله:** (فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق) إشارة إلى أن هذه الآية فيها دلالة على أن الملائكة أفضل من البشر، وذلك لأن المقصود منها أن الملائكة والروح مع أنهم أفضل المخلوقات لما لم يقدروا أن يتكلموا في موقف القيامة إجلالاً لربهم وخوفًا منه وخضوعًا له فكيف يكون حال غيرهم؟ أي عدم قدرة غيرهم عليه أولى، ومعلوم أن هذا المقصود يستدعي كونهم أفضل الخلائق. **قوله تعالى:** (إلا من أذن) يجوز أن يكون في موضع الرفع على البدلية من واو «لا يتكلمون» وهو المختار لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل، وأن يكون منصوبًا على أصل الاستثناء والمعنى: لا يشفعون إلا من أذِن له الرحمٰن في الشفاعة، وقال ذلك الشفيع المأذون له في الشفاعة صوابًا بأن يشفع لمن ارتضى، أو بأن كان من أهل الإيمان والإقرار بالشهادتين فإن المؤمنين لهم الشفاعة كما للأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقيل: المعنى: لا يتكلمون بالشفاعة لأحد إلا لمن أذِن له أي إلا في حق شخص أذِن له الرحمٰن في شفاعته، وكان ذلك الشخص ممن قال صوابًا أي حقًا بأن يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع ما جاء في الرسول ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنه: يشفعون لمن قال لا إلٰه إلا الله. فعلى هذا يكون ﴿من أذن له الرحمٰن﴾ في موضع الجر بإضمار حرف الجر أي إلا لمن أذن له. وضمير «قال» راجع إلى من الذي أريد به المشفوع له وذلك في قوله تعالى: ﴿ذلك اليوم الحق﴾ مبتدأ و«اليوم الحق» خبره، والإشارة إلى اليوم الذي تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال: إن ذلك اليوم يوم ثابت وكائن لا محالة. والخطاب في قوله تعالى: ﴿إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا﴾

أو خلق أعظم من الملائكة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ إلى ثوابه ﴿مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ بالإيمان والطاعة. ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فإن كل ما هو آت قريب، أو لأن مبدأه الموت. ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يرى ما قدمه من خير أو شر والمرء عام. وقيل: هو الكافر لقوله: ﴿إنا أنذرناكم﴾ فيكون الكافر ظاهرًا وضع موضع الضمير لزيادة الذم. و«ما» موصولة منصوبة بينظر أو استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف، أو في هذا اليوم فلم أبعث. وقيل: يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابًا فيود الكافر حالها. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة».

لمشركي العرب وكفار قريش لأنهم كانوا ينكرون البعث. و«يوم» ظرف لمحذوف أي أنذرناكم عذابًا كائنًا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه، والمرء عام لكل أحد مؤمنًا كان أو كافرًا لأن كل أحد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتًا في صحيفته خيرًا كان أو شرًا. تمت سورة النبأ. والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة والنازعات

مكية وآيها خمس أو ست وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ هذه صفات ملائكة الموت فإنهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقًا أي إغراقًا في النزع، فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان. أو نفوسًا غرقة في الأجساد وينشطون أي يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر إذا

سورة النازعات

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (صفات ملائكة الموت) توصيف الملائكة بالنازعات مثلاً يستدعي أن يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لأن الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالأنوثة، وإنما يصح توصيف الملائكة بنحو «النازعات» و«الناشطات» باعتبار كونهم طائفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة. أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة فإن أعوان ملك الموت طوائف مختلفة وجماعات متكثرة، وصف الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات لأن الواو الأولى للقسم وما بعدها للعطف، فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوائف الملائكة الموكلين بقبض الأرواح والعطف لتغاير الصفات. والنزع جذب الشيء بشدة، والنشط جذبه وإخراجه برفق ولين، والإغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ إلى أقصى درجاته يقال: أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المد حتى انتهى إلى النصل. والغرق اسم مصدر للإغراق كالسلام

أخرجها، ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة، فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات. أو الأوليان لهم والباقيات لطوائف من

للتسليم، فلذلك فسره المصنف بقوله: «أي إغراقًا في النزع» وهو منصوب على أنه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها لاتفاقهما من حيث المعنى، فإن النزع نوع من الغرق. والمصنف خص طائفة النازعات بالتي تنزع أرواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالأبدان وذلك أنه ليس من كافر يحضره الموت إلا عرضت عليه جهنم فيراها قبل أن يخرج روحه ويرى فيها أقوامًا مرة ينغمسون ومرة يرتفعون، فعند ذلك يغرق روحه في جسده فينزعه الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من أقاصي بدنه حتى من أنامله وأظفاره. فقوله: «غرقًا» على هذا مفعول مطلق للنازعات كما أشار إليه بقوله: «أو نفوسًا غرقة في الأجساد» فإنه معطوف على قوله: «أرواح الكفار» والمراد بالنفوس الغرقة نفوس الكفار أيضًا بقرينة النزع والنشط ولأن نفوس المؤمنين ليست غرقة في أجسادهم بل أجسادهم محض سجن لأرواحهم. وخص طائفة الناشطات بالتي تنزع أرواح المؤمنين فإن تلك الطائفة تخرج أرواح المؤمنين برفق ولين لكون أرواحهم راغبة في الطيران إلى عالم القدس، وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا ويرى منزلته في الجنة ويرى فيها أقوامًا من أهل معرفته وهم يدعونه إلى أنفسهم، فعند ذلك ترغب روحه في الخروج من ظلمة البدن وسجنه فيخرج الملك روحه برفق لسهولة تعلقه ببدنه. **قوله**: (يسبحون في إخراجها سبح الغواص) يعني أن قوله تعالى: ﴿والسابحات سبحًا﴾ استعارة تبعية شبّه إخراجهم لأرواح المؤمنين برفق ولطف بإخراج الغواص ما التقطه من قعر البحر، فكما أن من سبح في الماء يتحرك فيه بلطف ورفق بحيث لا يتأذى نفسه ولا يدري بالحركة فكذلك الملك الذي ينشط روح المؤمن يخرجه برفق لئلا يصل إليه ألم وشدة، فأطلق اسم المشبه به على المشبه واستعار منه لفظ «السابحات». **قوله**: (فيسبقون) فإن قيل: السبق لا بد له من المسبوق فما فائدة المسبوق ههنا؟ قلنا: لعل السبق هنا كناية عن الإسراع لكون السبق من لوازم الإسراع. والفاء في قوله: «فالسابقات» «فالمدبرات» للدلالة على أن السبق يعقب الصفات السابقة، وكذا تدبير الثواب والعقاب يعقب إدخال كل طائفة في منزلتها. والظاهر أن تدبير أمور الثواب والعقاب في الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لا من وظائف الملائكة الموكلين بقبض الأرواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة هنا لقول المصنف: «هذه صفات ملائكة الموت»، ولعل قول المصنف: «أن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الثواب والعقاب» إشارة إلى ذلك. **قوله**: (أو الأوليان) وهما النازعات والناشطات لهم أي لملائكة الموت والثلاث

الملائكة يسبحون في مضيها أي يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به فيدبرون أمره، أو صفات النجوم فإنها تنزع من المشرق إلى المغرب غرقًا في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى المغرب وتنشط من برج إلى برج، أي تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك فسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة فتدبر أمرًا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات. ولما كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة سمى الأولى نزعًا

الباقية لطوائف أخرى، فيكون قوله: ﴿والسابحات﴾ قسمًا ثانيًا والواو التي فيها تكون للقسم لا للعطف وتكون الكلمتان اللتان بعدها عطفًا عليها على طريق عطف القصة على القصة، كما أن قوله: «والنازعات» قسم ابتدائي وقوله: «والناشطات» عطف عليه. أقسم الله تعالى أولاً بطوائف ملائكة الموت، وثانيًا بطوائف أخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن سبح في الماء. واستعارة السبح للإسراع شائع كما يقال في الفرس الجواد إنه لسابح. **قوله: (أو صفات النجوم)** عطف على قوله: «صفات ملائكة الموت» وقوله: «تنزع من المشرق إلى المغرب» يدل على أن النازعات على هذا بمعنى السائرات كأنه مشتق من نزع إلى أهله ينزع نزعًا أي اشتاق، فكأن النجوم في مصيرها إلى جانب المغرب اشتاقت إليه وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى المغرب، وإسناد النزع بمعنى السير إلى النجوم يشعر أن النجوم تتحرك حركة ذاتية من المشرق إلى المغرب كما تتحرك كذلك من برج إلى برج، وكذا إسناد السبح إليها يشعر بذلك. والظاهر أن الأمر ليس كذلك بل حركتها إلى مغاربها عرضية تابعة لحركة الفلك الأعظم، فينبغي أن يحمل قوله: «بأن تقطع الفلك» مبنيًا على أنا نراها كذلك وإن كانت هي في أنفسها مركوزة في أفلاكها ومتحركة تبعًا لأفلاكها.

قوله: (وتنشط من برج إلى برج) نقل الإمام هذا الوجه عن صاحب الكشاف، ثم قال: وأقول مرجع حاصل هذا الكلام إلى أن قوله تعالى: ﴿والنازعات غرقًا﴾ إشارة إلى حركتها اليومية وقوله: ﴿والناشطات نشطًا﴾ إشارة إلى انتقالها من برج إلى برج وهو حركتها المخصوصة بها في أفلاكها الخاصة، والعجب أن حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج إلى برج ليست قسرية بل ملائمة لذواتها، فلا جرم عبّر عن الأول بالنزع وعن الثاني بالنشط فتأمل أيها المسكين في هذه الأسرار. **قوله: (فتدبر أمرًا نيط بها)** أسند التدبير إليها مع أن الأمر كله لله من حيث إن الأمور المنوطة بها المترتبة عليها مستندة إليها بحسب الظاهر، وإن كانت في الحقيقة مستندة إليه تعالى من حيث إنه تعالى خلق الأشياء كلها بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها. فإن قيل: لم قال: ﴿فالمدبرات أمرًا﴾ ولم يقل أمورًا مع أن المصالح

والثانية نشطًا، أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنها تنزع عن الأبدان غرقًا أي نزعًا شديدًا من إغراق النازع في القوس فتنشط إلى عالم الملكوت وتسبح فيه، فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات، أو حال سلوكها فإنها تنزع عن الشهوات وتنشط إلى عالم القدس وتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من المكملات، أو صفات أنفس الغزاة أو أيديهم تنزع القسي بإغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها، أو صفات خيلهم فإنها تنزع في أعنتها نزعًا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق إلى العدو فتدبر أمر الظفر. أقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾

المترتبة عليها أمور كثيرة؟ قلنا: المراد بالأمر الجنس فصح أن يعبّر به عن الجمع. **قوله:** (**فإنها تنزع عن الأبدان**) أي تقلع تعلقها عن الأبدان قلعًا شديدًا. شبّه قلع التعلق بالنزع لأنها تعلق من كثرة الاتصال بالشيء، فإن نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو في صدد الموت فلان في النزع أي في قلع تعلق روحه ببدنه. وتلك النفوس الفاضلة كما أنها تنزع أي تقلع تعلقها بالأبدان عنها تنشط أي تخرج منها إلى عالم الملكوت، ثم إنها لاشتياقها إلى الاتصال بالعالم العلوي ترتقي إلى عالم الملائكة ومنازل القدس على أسرع الوجوه في روح وريحان بعد خروجها من ظلمة الأجساد، فعبّر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة. ثم لا شك أن مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة، فكلما كانت أتم في هذه الأحوال كان سيرها إلى ذلك العالم أسبق، وكلما كانت أضعف كان سيرها إليه أبطأ، ولا شك أن الأرواح السابقة أشرف فلا جرم أوقع القسم بها حيث قال: ﴿والسابقات سبقًا﴾ ثم إن هذه النفوس الشريفة لعلو همتها في تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوتها لا يبعد أن يظهر فيها آثار وتدبيرات في هذا العالم فتكون من المدبرات. ألا ترى أن الإنسان قد يرى في المنام أن بعض الأموات يرشده إلى مطلوبه! **قوله:** (**أو حال سلوكها**) عطف على حال المفارقة عن الأبدان أي أو هي صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها. **قوله:** (**أقسم الله بها على قيام الساعة**) يعني أن جواب القسم محذوف وهو إما لتبعثن ويدل عليه ما حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] أي أنبعث إذا صرنا عظامًا نخرة، وإما لننفخن في الصور نفختين ويدل عليه ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان، وإما أن القيامة واقعة لأنه تعالى قال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١] ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥] وقال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧] فكذا ههنا فإن القرآن

وهو منصوب به. والمراد بالراجفة الأجرام الساكنة التي يشتد حركتها حينئذٍ كالأرض والجبال كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤] أو الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولى. ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ⁧(٧)⁩﴾ التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر أو النفخة الثانية والجملة في موقع الحال.

كالسورة الواحدة. وقيل: الجواب مذكور وهو إما قوله تعالى: ﴿قلوب يومئذٍ واجفة أبصارها خاشعة﴾ والتقدير: والنازعات غرقًا أن يوم ترجف الراجفة يحصل قلوب واجفة وأبصارها خاشعة، وأما قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: ٩] فإن «هل» ههنا بمعنى قد كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] فإنه بمعنى قد أتاك، وإما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦]. **قوله: (وهو منصوب به)** أي بالجواب المحذوف الذي هو قيام الساعة والتقدير: والنازعات لتبعثن يوم ترجف الراجفة فإن قيل: كيف يصح هذا مع أن القيامة لا تقع يوم تضطرب الأجرام الساكنة الذي هو يوم النفخة الأولى وإنما تقع عند النفخة الثانية، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تتبعها الرادفة﴾ وبينهما أربعون سنة؟ أجيب عنه بأن المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذي يحصل فيه النفختان ولا شك أنها تقع في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الثانية، ويدل عليه أن قوله تعالى: ﴿تتبعها الرادفة﴾ جعل حالاً من الرادفة فإنه يستلزم كون الرجفان واقعًا في حال كون الرادفة تابعة له، وأن يكونا في زمان واحد لأن الحال يجب أن يكون حصولها مقارنًا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لا يكون إلا بأن يكون المراد باليوم الوقت الواسع. والرجفة والرجيف الحركة والاضطراب ولفظ «ترجف» لكونه فعلاً مضارعًا يقتضي أن يكون قيام مدلوله بفاعله حادثًا بعد نزول الآية، والرجفة إنما تحدث في الأجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالأجرام الساكنة ليتصور عروض الحركة لها. **قوله: (أو الواقعة)** عطف على الأجرام الساكنة والمراد بالواقعة النفخة الأولى سميت راجفة لكونها سببًا لاضطراب الأجرام الساكنة وأسندت الرجفة إليها على طريق إسناد الفعل إلى سببه، والأصل أن يقال: يوم ترجف الأرض والجبال بسبب حدوث الواقعة التي هي النفخة الأولى. وإن فسرت الراجفة بنحو الأرض والجبال من الأجرام الساكنة يكون إسناد الرجفة إليها حقيقة، وحينئذٍ يكون المراد بالرادفة الأجرام المتحركة التي هي السماء والكواكب سميت رادفة لأنها في تغيير أحوالها إلى الانشقاق والانتثار تتبع الأجرام الساكنة في الرجفة والاضطراب.

قوله: (أو النفخة الثانية) هذا على تقدير أن تفسر الراجفة بالنفخة الأولى فإن الرادفة كل ما كان بعد شيء آخر يقال: ردفه أي جاءه بعده، والنفخة الثانية تجيء بعد الأولى، وكذا تغيير أحوال الأجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فإنها أيضًا تكون بعد رجفة

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة لقلوب، والخبر ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ أي أبصار أصحابها ذليلة من الخوف. ولذلك أضافها إلى القلوب. ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾ في الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم: رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها

السواكن وتزلزلها. **قوله:** (وهي صفة لقلوب) إشارة إلى وجه الابتداء «بقلوب» وهي نكرة يعني أنها وإن كانت نكرة لكنها موصوفة بقوله: «واجفة» والنكرة الموصوفة يجوز الابتداء بها «فقلوب» مبتدأ و«يومئذٍ» ظرف «لواجفة» و«أبصارها» مبتدأ ثان و«خاشعة» خبره وهو مع خبره خبر الأول، وأضيفت الأبصار إلى ضمير القلوب مع أن القلوب لا أبصار لها بتقدير المضاف. وأشار المصنف إليه بقوله: «أي أبصار أصحابها» ويدل على تقدير الأصحاب أيضًا قوله: ﴿يقولون﴾ قال الإمام: خصص قوله: «قلوب» بقوله: «واجفة» ولم يعرفها بـ «لام» الاستغراق بأن يقول: القلوب يومئذٍ واجفة لأنه ثبت بالدليل أن أهل الإيمان لا يخافون بل المراد قلوب الكفرة، ومما يؤيد ذلك أنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾ وهذا لا يقوله إلا الكفار. **قوله:** (ولذلك) أي ولكون خشوع الأبصار وذلتها ناشئًا من الخوف بحيث يترقبون أي شيء ينزل عليهم من الأمور العظام. أضاف الأبصار إلى القلوب التي هي محل الخوف وهو من أحوالها وخواصها، وإضافة الأبصار لما كانت في معنى توصيفها بتلك الإضافة أشعرت بكونها علة للحكم بالذلة وبأن سبب ذلتها ما في القلوب من الخوف والوجفة. والوجيف خفقان القلب واضطرابه ومنه: وجيف الفرس والبعير في العدو، والإيجاف هو حمل الدابة على السير السريع. وللمفسرين عبارات كثيرة في تفسير الواجفة ومعناها واحد. قالوا في تفسيرها: خائفة وجلة زائلة عن أماكنها قلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة ونحو ذلك. ثم إنه تعالى حكى عن منكري البعث والقيامة أقوالاً ثلاثة: أولها قولهم: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾ وثانيها قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] وثالثها قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] وهذه الأقوال صدرت عنهم في الدنيا استبعادًا للبعث وتعجبًا منه. والحافرة في الأصل عبارة عن الطريق التي سلكها المرء أولاً وأثر فيها قدمه بمشيه عليها جعل أثر القدم حفرًا، وسميت الطريقة حافرة على التشبيه بمعنى أنها ذو حفر كالبئر، ثم أطلقت الحافرة على الحالة الأولى وأول الأمر حتى قال الواحدي: الحافرة عند العرب اسم لأول الشيء وابتداء الأمر. قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب ... معاذ الله من سفه وعار

يقول: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والتصابي بعد أن شبت وصلعت؟ ثم قال: معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد. فمعنى الآية أنرد إلى أول أحوالنا فنصير أحياء

بمشيه على النسبة كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أو تشبيه القابل بالفاعل. وقرىء «في الحفرة» بمعنى المحفورة يقال: حفرت أسنانه فحفرت حفرًا وهي حفرة ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾ وقرأ نافع وابن عامر والكسائي «إذا كنا» على الخبر. ﴿عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ بالية. وقرأ الحجازيان وأبو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي أبلغ. ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ ذات خسران أو خاسرة أصحابها والمعنى: إنها إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ متعلق بمحذوف أي لا تستصعبوها فما هي إلا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ فإذا هم أحياء على وجه

كما كنا؟ **قوله:** (وقرىء في الحفرة) على وزن الكلمة وهو صفة مشبهة من قولهم: حفرت أسنانه فحفرت حفرًا أي فسدت أصول أسنانه وتقشرت بالأوساخ وركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها مرة بعد أخرى. والمراد بالحفرة على القراءة بها الأرض الميتة المتغيرة بما فيها من الأخباث وأجساد الموتى، والمعنى: ائنا ونحن في الأرض المتغيرة بما انضم إليها من القاذورات لمردودون؟ فقوله: «في الحفرة» في موضع الحال من فاعل «لمردودون». وقيل: يجوز أن تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها. **قوله:** (وقرأ نافع إذا كنا على الخبر) فكلمة «إذا» حينئذٍ معمول لقوله: «لمردودون» بخلاف ما إذا قرىء «أئذا» على الاستفهام فإن عاملها حينئذٍ يكون محذوفًا مدلولاً عليه بقوله: «لمردودون» والتقدير: أنرد إذا كنا عظامًا نخرة؟ وفيه زيادة استبعاد للبعث. وإنما قلنا: إن العامل حينئذٍ يكون محذوفًا لأن حرف الاستفهام يمنع أن يكون ما بعده معمولاً لما قبله. والنخرة والناخرة تنبىء كل واحدة منهما عن البلى والفساد إلا أن النخرة للدلالة على الثبوت والناخرة على الحدث. وقيل: النخرة هي التي تنبىء عن البلى والتفتت، والناخرة هي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت عند هبوب الريح كشخير النائم لا من النخر بمعنى البلى. **قوله:** (ذات خسران أو خاسرة أصحابها) بمعنى أن إسناد الخسران إلى الكرة، والحال أنهم هم الخاسرون والكرة مخسور فيها إما على أن يكون بناء الفاعل للنسبة كتامر ولابن، وإما على طريق إسناد الفعل إلى ظرفه. وقوله: «تلك مبتدأ» أشير بها إلى الردة والرجعة في الحافرة و«كرة» خبرها و«إذا» جواب وجزاء والمعنى: إن كان البعث بعد الموت حقًا فتلك الرجعة رجعة خاسرة. والكر الرجوع يقال: كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال: رجعه ورجع بنفسه. والكره المرة من الرجوع. وقوله: «وهو استهزاء منهم» أي بأمر الحشر حيث أبرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع. ثم إنه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات أجاب بقوله: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾. **قوله:** (متعلق بمحذوف) يعني أن الفاء تعليلية

الأرض بعد ما كانوا أموات في بطنها. والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة، أو لأن سالكها يسهر خوفًا. وقيل: اسم جهنم ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم. ﴿إِذْ نَادَنهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ قد مر بيانه في سورة طه ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

لجملة محذوفة، والتقدير: لا تستبعدوا تلك الكرة ولا تستصعبوها فإنما هي سهلة هينة في قدرة الله تعالى فما هي إلا صيحة واحدة، يقال: زجر البعير إذا صاح عليه، والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي نفخة إسرافيل عليه الصلاة والسلام. قال المفسرون: يحييهم الله تعالى في بطون الأرض فيسمعونها فيقومون.

قوله: (لأن السراب يجري فيها) جعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء عليها. فقيل لها: ساهرة تشبيهًا بالعين الساهرة أي الجارية الماء. واختلفوا في أن الساهرة هل هي أرض الدنيا أم أرض الآخرة؟ فقال بعضهم: هي أرض الدنيا. وقال آخرون: هي أرض الآخرة لأنهم عند الزجرة والصيحة ينقلون أفواجًا إلى أرض الآخرة. فقال أبو سعيد: الساهرة هي صحراء على شفير جهنم. ثم إنه تعالى لما حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء فقالوا: ﴿تلك إذًا كرة خاسرة﴾ وكان ذلك يشق على رسول الله ﷺ، ذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وما تحمله من المشاق العظيمة في دعوة فرعون وبيّن عاقبة من أطاعه ومن عصاه ليكون ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديدًا لمكذبيه كما أشار إليه المصنف بقوله: «فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه». انتهى. **قوله: (أليس قد أتاك حديثه)** إشارة إلى أن «هل» بمعنى «قد» وأن همزة الاستفهام قبلها محذوفة استغناء عنها بلفظة «هل» لكثرة وقوعها في الاستفهام بحيث صارت كأنها علم استفهام بنفسها فاستغنى بها عن الهمزة وأقيمت مقامها، فكانت «هل» متضمنة معنى الاستفهام وتقريب الحكم المستفهم عنه من الحال، فلذلك أتى المصنف في تفسير ﴿هل أتاك﴾ بهمزة الاستفهام وكلمة «قد» أي قد أتاك وبلغك حديثه عن قريب. ومعنى الاستفهام حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه قبل ذلك كما في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] و﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦] و﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] وزاد كلمة «ليس» في قوله: «أليس قد أتاك» لكونها أظهر في الدلالة على أن الاستفهام للتقرير لأن إنكار النفي إثبات، وهذا المعنى مبني على أن يكون قد أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام، وأما إن لم يكن أتاه قبل ذلك فحينئذٍ يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الإخبار إذ لا وجه لحمله على الإقرار حينئذٍ. **قوله: (قد مر بيانه)** ذكر

إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ على إرادة القول. وقرىء أن اذهب لما في النداء من معنى القول ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ هل لك ميل إلى أن تتطهر من الكفر والطغيان. وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد.

فيها أن طوى بالضم اسم للوادي المقدس فيكون عطف بيان له لكون الاسم أوضح. وقيل: إن طوى بالضم مثل طوى بالكسر في أنهما بمعنى ثنى بكسر الثاء مقصورًا وهو الشيء المثنى، أو الأمر يعاد مرتين. يقال: ناديته طوى وثنى أي مرتين. وعلى هذا يحتمل أن يتعلق بنودي أي نودي نداءين وأن يتعلق بالمقدس أي قدس مرتين وثنيت فيه البركة والتقديس. وقال الفراء: طوى وادٍ بين المدينة ومصر، فمن صرفه قال ليس فيه إلا العلمية وهو اسم للمكان وهو مذكر، ومن لم يصرفه جعله معدولاً عن صيغته كعمر وزفر. ثم قال: والصرف أحب إليّ إذا لم أجد له في المعدول نظيرًا أي لم أجد اسمًا من الوادي عدل عن فاعل غير طوى. وقيل: طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية فكأنه قيل: يا رجل اذهب إلى فرعون، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما انتهى. «وإذ» في قوله: ﴿إذ ناداه﴾ ظرف منصوب بحديث أي أتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لا بقوله: «أتاك» لاختلاف وقتي الإتيان والنداء ضرورة أن الإتيان لم يقع في وقت النداء. وقوله: «اذهب» مقول قول مضمر أي إذ ناداه ربه فقال اذهب، والطغيان مجاوزة الحد. ثم إنه تعالى لم يبين في أي شيء تعدى، ولهذا قال بعض المفسرين: معناه أنه تكبر على الله تعالى وكفر به. وقال آخرون: إنه طغى على بني إسرائيل بأن استذلهم غاية الإذلال والتحقير، والأولى أن يحمل على الإطلاق والتعميم ويكون المعنى أنه طغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم، فكما أن كمال العبودية لا يكون إلا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما.

قوله: (هل لك ميل) إشارة إلى أن «لك» خبر مبتدأ محذوف وأن كلمة «إلى» متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع في الكلام يقال: هل لك في الخير، والتقدير: هل لك رغبة في الخير؟ ومن قرأ «تزكى» بتشديد الزاي أدغم إحدى التاءين في الزاي لقرب مخرجهما. ومن قرأ بالتخفيف حذف إحدى التاءين للتخفيف لأن اجتماع المثلين يوجب الثقل والتخفيف كما يحصل بالإدغام يحصل بالحذف أيضًا. والتزكي عن النقائص لما توقف على الهداية والإرشاد عطف عليه قوله: ﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ قدم الهداية إلى معرفة الله تعالى لكونها أول ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد ثم رتب عليها ما هو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى، فإن من خشي الله تعالى يسارع إلى الخيرات ومن أمن تجرأ على المعاصي والمنكرات. قال عليه الصلاة والسلام: «من خاف

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفته. ﴿فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ بأداء الواجبات وترك المحرمات إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٤].

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠﴾ أي فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية

أدلج ومن أدلج بلغ المنزل». يقال: أدلج القوم إذا سار وأمن أول الليل، وإن سار وأمن آخر الليل يقال: إنهم أدلجوا بتشديد الدال.

قوله: (إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة) تعليل لكون المضاف المقدر في قوله: ﴿إلى ربك﴾ هو المعرفة حيث قال: «وأرشدك إلى معرفته». **قوله:** (وهذا كالتفصيل) وذلك لأن المأمور به في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ [طه: ٤٣] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٤] مفهومه مجمل يحتمل صورًا شتى، والمأمور به في هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون بمنزلة التفصيل له. ووجه كونه لينًا أنه عليه الصلاة والسلام ابتدأ في مخاطبة فرعون بالاستفهام عن ميله إلى كونه زاكيًا عما لا يليق به ومتطهرًا عنه، ولم يخرج كلامه على صورة الأمر والإلزام ولم يصرح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران نعمة خالقه ورازقه وكونه متوغلاً في الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظة. ووجه كونه كالتفصيل ظاهر وظهر منه أنه لا بد في الدعوة إلى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. **قوله:** (فذهب وبلغ فأراه) إشارة إلى أن الفاء في قوله: ﴿فأراه﴾ للعطف على محذوف يدل عليه قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون﴾ فقل له كذا وكذا ونظيره قوله تعالى أن: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة: ٦٠] أي فضرب فانفجرت. وأمثال هذا الإيجاز كثير في القرآن. **قوله:** (وهي قلب العصا حية) اعلم أنهم اختلفوا في الآية الكبرى على ثلاثة أقوال: الأول أنها اليد البيضاء لقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾ [النمل: ١٢] ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: ٢٢، ٢٣] قاله مقاتل والكلبي. وقال عطاء: هي قلب العصا حية. وقال مجاهد: هي مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لأن سائر الآيات دلت على أن أول ما أظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب أن تكون مجموعهما. واختار المصنف القول الثاني. ثم استدل على ما اختاره بأنها كانت مقدمة في الإرادة حيث ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام بها وهذه دعت إلى الأخرى، فإن العصا لما انقلبت حية أضمر موسى عليه الصلاة والسلام في نفسه خيفة منها وقصد أن يضرب الحية بيده فقيل له حين رفع يده ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء﴾

فإنه كان المقدم والأصل، أو مجموع معجزاته فإنها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الأمر ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الطاعة ﴿يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ ساعيًا في إبطال أمره، أو أدبر بعد أن رأى الثعبان مرعوبًا مسرعًا في مشيه.

بحيث تبرق كالشمس ﴿من غير سوء آية أخرى لنريك﴾ من ذلك الصنيع آية أخرى من حيث إنه تعالى لم يرض بأن يخاف مما أظهر الله تعالى على يده معجزة له. فلما كانت الآية الأولى هي الداعية إلى الأخرى كانت الأولى أصلاً والثانية تابعة لها فسميت الأولى لذلك كبرى، وذلك لأنه ليس في اليد إلا انقلاب لونها إلى لون آخر. وهذا المعنى كان حاصلاً في العصا ثم جعل فيها أمورًا أخر أزيد من ذلك منها حصول الحياة في الجرم الجامد، ومنها تزايد كميته وكبر جرمه وبطنه، ومنها ابتلاعها أشياء كثيرة بحيث تغيب فيها وغير ذلك. وكل واحدٍ من هذه الوجوه كان معجزًا مستقلاً في نفسه فعلمنا أن الآية الكبرى هي العصا. **قوله:** (أو مجموع معجزاته) وجعلها آية واحدة نظرًا إلى وحدتها الاعتبارية وهي كون الجميع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يده فصار الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة، وجعلها كبرى بالإضافة إلى سائر الآيات التي أعطيها النبيون قبل موسى عليه الصلاة والسلام. **قوله:** (وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الأمر) أي أمر رسالة موسى عليه الصلاة والسلام من قبله تعالى من حيث إنه قد اعتقد بقلبه أن ما أظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة يمتنع أن يعارضه البشر، وأنه ليس إلا فعل الله تعالى خلقه في يد موسى تصديقًا له في دعوى الرسالة. وما روي من أنه جمع السحرة وقال لهم: إنه ساحر فعارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرًا أو كاذبًا في دعوى الرسالة، إنما هو تعلل بالباطل ودفع للمحاسن وتلبيس للأمر على الناس لا لاعتقاده بأنه يمكن معارضته. وأشار المصنف بقوله: «بعد ظهور الآية» إلى فائدة عطف العصيان على التكذيب وهي أن مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق صدقه وإنما يكون معصية إذا كان ناشئًا عن التمرد والعناد لكونه مقرونًا باعتقاد كون من كذبه صادقًا في دعواه مصدقًا من قبله تعالى، فكأنه قيل: فكذب على وجه يستلزم معصية الله تعالى. وقوله تعالى: «يسعى» حال من فاعل «أدبر» سواء كان السعي بمعنى السعي في إبطال أمره عليه الصلاة والسلام أو بمعنى الإسراع في المشي هاربًا بأمن الثعبان، وسواء أريد بالإدبار الإدبار عن الطاعة أو الإدبار عن الثعبان. وكلمة «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثم أدبر﴾ لاستبعاد الإدبار المقيد بحال كونه ساعيًا في إبطال أمره بعد ظهور الآية لا لمجرد الإدبار عن الطاعة لكونه عبارة عن العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة «ثم».

﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة أو جنوده ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ في المجمع بنفسه أو مناد ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ أعلى كل من يلي أمركم. ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ أخذًا منكلاً لمن رآه أو سمعه في الآخرة بالإحراق وفي الدنيا بالإغراق، أو على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾

قوله: (أعلى كل من يلي أمركم) يريد أنه لم يرد بقوله: ﴿أنا ربكم﴾ أنه خالق السمٰوات والأرض وما بينهما وما فيهما فإن العلم بفساد ذلك ضروري، ومن شك فيه وجوّزه كان مجنونًا والمجنون لا يبعث إليه رسول يدعوه إلى الحق بل الرجل كان دهريًا منكرًا للصانع والحشر والجزاء وكان يقول؛ ليس للعالم إلٰه حتى يكون له عليكم أمر ونهي أو يبعث إليكم رسولاً ولا يحتاج الخلق إلا إلى من يلي أمرهم ويحكم بينهم على أمر ينتظم به معاشهم ومعادهم ولا يجري بينهم البغي والاعتساف وذلك الذي يلي أمركم أنا لا غيري.

قوله: (أخذًا منكلاً) يعني أن نكالاً مصدر بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم، وأن التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وأنه منصوب على أنه صفة مصدر محذوف لأخذه الله، وأن إضافته إلى الآخرة والأولى بمعنى «في» كضرب اليوم أي في اليوم. والظرف للأخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى المنكل لأن معنى الأخذ المنكل أن يفعل بالمسيء فعل يمنع غيره عن الإتيان بمثل ذنبه ويمنعه أيضًا عن المعاودة إلى مثل ذلك الذنب. والفعل المذكور لا ينكل في الدار الآخرة بخلاف ما فعل به من العقوبة في الدنيا أو في الآخرة، فإن ما فعل في الدنيا ينكل من رآه ومن سمعه عن إتيان مثل تلك الإساءة وما فعل في الآخرة ينكل من سمعه وصدق به وإن لم يكن منكلاً لمن يراه في الآخرة. فقوله: «لمن رآه» مخصوص بالذات المتنكل الواقع في الدنيا وقوله: «أو سمعه» يتناول للأخذ الواقع في الدنيا وللواقع في الآخرة فإن من سمع في الدنيا بما عوقب به المذنب في الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب. ولفظ النكال والتنكيل ينبىء عن الامتناع عن الشيء وعدم الإقدام عليه، ومنه: نكل عن اليمين إذا امتنع عن أن يحلف، ونكل عن العدو إذا امتنع عن معارضته ومحاربته حسًا ومخافة، ونكل به على ذنبه تنكيلاً أي عاقبه على ذنبه عقابًا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة إلى ذلك الذنب. ويحتمل غيره أيضًا على الامتناع عن إتيان مثل ذنبه لأن المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن إتيان مثل ما أتى به. وقيل: ﴿نكال الآخرة﴾ منصوب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور حملاً على المعنى لأن الأخذ في قوله تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ عبارة عن العقوبة فكأنه قيل: نكل الله به نكال الآخرة أي تنكيلها. **قوله:** (أو على كلمته الآخرة وهي هذه) عطف على قوله: «في الآخرة

[القصص: ٣٨] أو للتنكيل فيهما، أو لهما. يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا مقدرًا بفعله.

بالإحراق وفي دار الدنيا بالإغراق» وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتي فرعون اللتين أولاهما قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وأخراهما قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ قالوا وكان بينهما أربعون سنة فلما ذكر الثانية أخذه بهما، وهذا ينبىء عن أنه تعالى يمهل ولا يهمل وإضافة النكال على هذا من قبيل إضافة المسبب إلى سببه فإن كل واحدة من الكلمتين سبب لما أضيف إليه من النكال. **قوله**: (**أو للتنكيل فيهما أو لهما**) عطف على قوله: «أخذًا منكلاً» أي ويجوز أن يكون انتصاب «نكال الآخرة» على أنه مفعول له لقوله: «فأخذه الله نكال الآخرة» سواء كانت الآخرة والأولى صفتين للدار المحذوفة وكانت إضافة النكال إليهما بمعنى «في» أو كانتا صفتين للكلمتين، وكانت الإضافة من قبيل إضافة المسبب إلى سببه. **قوله**: (**ويجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا مقدرًا بفعله**) نحو ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢] وآيات أخرى و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] كأنه قيل: نكل الله نكال الآخرة والأولى. وقد مر أنه يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لفعله المذكور لأن معنى أخذه الله نكله الله نكال الآخرة، فإن أخذه ونكله متقاربان معنى كما يقال: دعه تركًا شديدًا. ثم إنه تعالى ختم هذه القصة بقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ أي فيما قصصناه عليك من نصرة موسى عليه الصلاة والسلام وخزي فرعون لعبرة ﴿لمن يخشى﴾ أي شأنه الخشية فإنه يدع التمرد على الله تعالى وتكذيب أنبيائه خوفًا من أن ينزل به مثل ما نزل بمنكري بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وعلمًا بأنه تعالى ينصر رسله وأولياءه وأنبياءه كما نصر موسى عليه الصلاة والسلام، فاعتبروا معاشر مكذبي سيد المرسلين ﷺ بما ذكرنا لكم واعلموا أنكم إن شاركتموهم فيما أوجب عقابهم شاركتموهم أيضًا في حلول العقاب بكم. ثم إنه تعالى لما ختم هذه القصة رجع إلى مخاطبة منكري البعث فقال: ﴿ءأنتم أشد خلقًا﴾ أقسم الله تعالى أولاً على قيام الساعة وبيّن مقدماتها الهائلة وذلة الكفرة فيها، ثم التفت عن خطابهم إلى أن حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بإنكار البعث، ثم أجابهم بقوله: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي لا تستصعبوها فإنها سهلة هينة في قدرة الله تعالى، والآن شرع في بيان سهولته فقال: ﴿ءأنتم أشد خلقًا﴾ وفسر المصنف الشدة بالصعوبة لا الصلابة لأنه لا يلائم المقام أي أخلقكم بعد الموت مع صغر جثتكم وضعف تأليفكم أصعب أم خلق السماء بلا مادة مع عظم جرمها وقوة تأليفها؟ وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء أصعب فيلزمهم بأن يقول لهم: أيها السفهاء من قدر على الأصعب الأعسر كيف لا يقدر على إعادتكم وحشركم وهي أيسر وأسهل، فإعادتكم أولى بأن تكون مقدورة له تعالى فكيف تنكرون ذلك؟ والتفاوت بين الأمرين بأن يكون أحدهما أصعب من الآخر إنما هو بالنسبة إلى المخاطبين

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ لمن كان من شأنه الخشية ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أصعب خلقًا ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ ثم بيّن كيف خلقها فقال: ﴿بَنَاهَا ﴿٢٧﴾﴾ ثم بيّن البناء فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو تحتها الذاهب في العلو رفيعًا. ﴿فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾﴾ فعدلها أو فجعلها مستوية، أو فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم: سوّى فلان أمره إذا أصلحه، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه فنقول من غطش الليل إذا أظلم، وإنما أضافه إليها لأنه يحدث بحركتها. ﴿وَأَخْرَجَ

وقدرتهم وتقديرهم، فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله تعالى واحد لا تفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة.

قوله تعالى: (ءأنتم) مبتدأ و«أشد» خبره و«خلقًا» تمييز و«السماء» عطف على «أنتم» وحذف خبره لدلالة خبر أنتم عليه أي أم السماء أشد خلقًا. و«بناها» مستأنف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله: ﴿أم السماء﴾ ويبتدأ من قوله: ﴿بناها﴾ استعمل لفظ البناء في موضع ذكر السقف فإن السماء سقف مرفوع والبناء إنما يستعمل في أسافل البيت لا في الأعالي للإشارة إلى أنه وإن كان سقفًا لكنه في البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء، وأن البناء أبعد عن تطرق الاختلال إليه بالنسبة إلى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء في هذا الموضع. **قوله:** (ثم بين البناء) أي لما بيّن كيفية خلق السماء بقوله: «بناها» بيّن كيفية البناء بوجوه أربعة: الأول ما يتعلق بالارتفاع فقال: ﴿رفع سمكها﴾ واعلم أن امتداد الشيء إذا أخذ من أسفله إلى أعلاه سمي سمكًا، وإذا أخذ من جانب أعلاه إلى أسفله سمي عمقًا. والمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب في العلو رفيعًا حتى ذكروا أن ما بين الأرض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك. والثاني من وجوه كيفية البناء ما أشار إليه بقوله: ﴿فسواها﴾ وفسره المصنف بوجوه ثلاثة: الأول قوله: «فعدلها» أي جعلها متعادلة الأجزاء في سلامتها من العيوب وفي مشابهة اللون وفي سائر الأوصاف، والثاني قوله: «أو فجعلها مستوية» أي متساوية غير مختلفة الأجزاء بالارتفاع والانخفاض بأن يكون بعض أجزائها أقرب إلى المركز بالنسبة إلى البعض الآخر بل جعل جميع أجزائها متساوية البعد بالنسبة إلى المركز فيكون ذلك إشارة إلى كونها كرة. قالوا: لما ثبت كونها محدثة مفتقرة إلى فاعل مختار فأي ضرر في الدين ينشأ من كونها كرة؟ ويحتمل أن يكون المراد باستوائها كونها مسطحة ملساء، والثالث قوله: «أو فتممها» واستعمال التسوية في معنى الإتمام والإصلاح شائع. والثالث من وجوه كيفية البناء ما أشار إليه بقوله: ﴿وأغطش ليلها﴾ وإنما أضافه إليها وحق حق الليل أن يضاف إلى الأرض لكونه اسمًا لزمان الظلمة الحاصلة في الهواء بسبب حيلولة الأرض بينها وبين الشمس، فهو في

ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وأبرز ضوء شمسها كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] يريد النهار ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ بسطها أو مهدها للسكنى ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير العيون ﴿وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ ورعيها، وهو في الأصل لموضع الرعي.

الحقيقة ظل الأرض إلا أنه أضيف إلى السماء للملابسة بينهما من حيث إن الليل يحدث بسبب غروب الشمس أي يحصل بسبب حركة الفلك، والإضافة يكفي فيها أدنى الملابسة بين المضاف والمضاف إليه. والظلمة الحاصلة في الليل لما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره لم يرد أن يقال قوله أغطش ليلها بمنزلة أن يقال: جعل المظلم مظلمًا فما وجهه؟ والرابع من وجوه كيفية بناء السماء ما أشار إليه بقوله: ﴿وأخرج ضحاها﴾ فسر المصنف الإخراج الإبراز، وهو ظاهر، والضحى بالضوء، وحمل الكلام على تقدير المضاف أي وأخرج ضحى شمسها لأن الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] وحذف لدلالة الضحى عليه. **قوله:** (يريد النهار) أي يريد بضحى الشمس وضوئها النهار. وإنما عبّر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم أشرف ما حل فيه، فإن فضل النهار على الليل إنما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو أشرف ما فيه فسمي النهار به لذلك. ولما بيّن الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الأرض فقال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ والجمهور على نصب «الأرض» و«الجبال» بفعل مضمر مفسر بما بعده أي ودحا الأرض رواسي الجبال. وقرىء بالرفع، والنصب هو المختار هنا لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التي قبلها وبتقدير النصب يحصل التناسب بينهما، . وكلمة «بعد» تقتضي أن يكون دحو الأرض بعد خلق السماء، ولا يعارضه قوله تعالى في سورة حمّ السجدة: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١] بعد قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ٩] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ [فصلت: ١٠] لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سمٰوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك. وقد ذكر اختلاف الناس في خلق السماء والأرض أيهما كان أولاً في سورة البقرة وسورة فصلت. وقيل: كلمة «بعد» ههنا بمعنى «مع» كأنه تعالى قال: والأرض مع ذلك دحاها كقوله تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أي مع ذلك. وقيل: إنها هنا بمعنى «قبل» كما في قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ أي من قبل الفرقان. **قوله:** (ورعيها) أي كلأها فإن الرعي بكسر الراء الكلأ وبالفتح المصدر، والمرعى في أصل اللغة يطلق على موضع الرعي بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري إلا أنه لم يسمع استعماله في المعنيين الأخيرين. ويطلق أيضًا على الرعي بكسر الراء وهو الكلأ وهو مجاز في هذا المعنى مبني على تشبيه الكلأ

وتجريد الجملة عن العاطف لأنها حال بإضمار «قد» أو بيان للدحو ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾ أثبتها. وقرىء و«الأرض» و«الجبال» بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لأن العطف على فعلية. ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ تمتيعًا لكم ولمواشيكم ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ الداهية التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي. ﴿ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾ التي هي أكبر الطامات وهي القيامة، أو النفخة الثانية، أو الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥﴾ بأن يراه مدونًا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة أو طول المدة. وهو «بدل من إذا جاءت»، و«ما» موصولة أو

بموضع الرعي بالمعنى المصدري في تعلق الرعي بالفتح بكل واحد منهما. ويجوز أن يكون المرعى إذا أريد به الكلأ مصدرًا ميميًا بمعنى المفعول. **قوله: (تمتيعًا لكم)** على أن المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم، وانتصابه إما على أنه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام أي متعناكم بها تمتيعًا، أو على أنه مفعول له أي فعلنا ذلك تمتيعًا لكم.

قوله: (وتجريد الجملة عن العاطف) جواب عما يقال: لم جرد قوله: «أخرج» عن العاطف مع كون الجملة المتقدمة مصدرة به؟ أجاب عنه أولاً بأن هذه الجملة في موضع الحال من مفعول «دحاها» بإضمار «قد» فإن الماضي المثبت إذا وقع حالاً لا بد له من «قد» ظاهرة أو مقدرة للتنافي الظاهري بين لفظ الماضي والحالية، وبإضمار «قد» يكون الماضي قريبًا من الحال فيرتفع التنافي وفي مثله يجوز ترك الواو كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] فلذلك جرد قوله: ﴿اخرج منها ماءها ومرعاها﴾ عن العاطف. وثانيًا بأنها جردت عن العاطف لكونها جملة مستأنفة لبيان قوله: «دحاها» فإن معناه بسطها ومهدها للسكنى، ودحو الأرض وتمهيدها لسكنى الحيوان لا يكون إلا باشتمالها على ما لا بد منه في تأتي السكنى فيها من تهيئة أمر المأكل والمشرب بإخراج الماء والمرعى، ومن إرساء الجبال عليها أوتادًا لها فتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها، والكلام المستأنف لا يعطف على ما قبله فلذلك جردت عن العاطف. ثم إنه تعالى لما بيّن أن بعث الأموات هين عليه تعالى حيث قال: ﴿ءأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها﴾ أخبر عن وقوعه وبين ما يكون وقت وقوعه من تذكر الإنسان ما عمله وبراز الجحيم لجميع أهل الساهرة بحيث لا تخفى على أحد فقال: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أي بعد ما نبين لكم إمكان البعث وسهولته فاعلموا أنه إذا جاءت الطامة أي الحادثة التي تعلو على ما سواها وتقهره يقال: جاء السيل فطم الركية أي دفنها وسواها، وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم. **قوله: (وما موصولة)** أي الذي سعاه وعمله في الدنيا من خير أو شر، أو مصدرية أي يتذكر سعيه.

مصدرية. ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ وأظهرت ﴿لِمَن يَرَىٰ (٣٦)﴾ لكل راءٍ بحيث لا تخفى على أحد. وقرىء و«برزت» و«لمن رأى» و«لمن ترى» على أن فيه ضمير «الجحيم» كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢] أو أنه خطاب للرسول ﷺ أي لمن تراه من الكفار. وجواب «فإذا جاءت» محذوف دل عليه يوم يتذكر الإنسان أو ما بعده من التفصيل. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧)﴾ حتى كفر ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨)﴾ فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس. ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩)﴾ هي مأواه.

قوله: (**لكل راءٍ**) هذا العموم مستفاد من لفظة «من» لأنها من ألفاظ العموم ويرى منزل منزلة اللازم، وهذا العموم لا ينافيه قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩١] لأن إظهارها إنما هو لتهديد الغاوين خاصة ولكن المؤمنون يرونها أنها مأوى الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] إلى قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] ويحتمل أن يكون إظهارها لكل راء عبارة عن إظهارها إظهارًا بينًا لأنها صور أعمال المبطلين أبرزها تعالى يوم البعث بصور الحقيقة ليجازوا بها جزاء وفاقًا، ولا يلزم منه أن يراها كل راء بل يجوز أن لا يراها إلا صاحب تلك الأعمال كما لا يرى جنة الأعمال الصالحة إلا أهلها. **قوله:** (**دل عليه يوم يتذكر**) أي إذا جاءت يتذكر الإنسان سعيه وما عمله ويعرفه كل ما يستحقه ومأواه. **قوله:** (**أو ما بعده**) أي يجوز أن يكون جواب «إذا» محذوفًا دل عليه قوله تعالى: ﴿فأما من طغى﴾ إلى آخر الآية كأنه قيل: فإذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك أي فإن الطاغي للجحيم وهي مأواه، وأن الخائف للجنة وهي مأواه. فإن قيل: على ما ذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدر بـ «أما» التفصيلية الدالة على تفصيل ما أجمل سابقًا ولم يسبق في الكلام مجمل حتى تكون كلمة «أما» تفصيلاً له فيكون لغوًا خاليًا عن الفائدة. قلنا: إنها ليست للتفصيل هنا بل هي حرف جيء بها توكيد ترتب الجزاء على الشرط وبيان أن الحكم ثابت البتة كما في قولك: أما زيد فمنطلق، فإن معناه مهما يكن من شيء فزيد منطلق أي أن يقع في الدنيا شيء يقع انطلاق زيد مرتبًا عليه. والمقصود القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازمًا لوقوع شيء ما في الدنيا. وفي شرح الرضي: جواز السكوت على مثل قولك: ما زيد فقائم يرفع دعوى لزوم التفصيل فيها. ويحتمل أن يكون قوله: «أو ما بعده» معطوفًا على قوله: «يوم يتذكر» والمعنى أو دل على الجواب المحذوف ما بعد قوله: ﴿يوم يتذكر الإنسان﴾ من التفصيل وتقدير الكلام فإذا جاءت الطامة الكبرى يقع ما لا يدخل تحت الوصف والبيان ويكون قوله: ﴿فأما من طغى﴾ تفصيلاً لذلك المحذوف.

واللام فيه سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل أو مبتدأ. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ لعلمه بأنه مرد.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ ليس له سواها مأوى. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ

قوله: (واللام فيه سادة مسد الإضافة) أي إلى ما يعود إلى المبتدأ يعني أنه لا بد في الخبر من رابط يربطه بالمبتدأ إذا كان جملة. وكلمة «من» في قوله: ﴿من طغى﴾ موصولة في موضع الرفع على الابتداء وقوله: «طغى» صلتها وقوله: ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ خبره ولا ضمير فيه يعود إلى المبتدأ. فذهب البصريون إلى أن تقدير الكلام: فإن الجحيم هي المأوى له وإنما حذف لطول الكلام. وذهب الكوفيون إلى أن تقديره: فإن الجحيم هي مأواه فسد الألف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعني أن ترك التعريف بالإضافة لعدم الحاجة إلى تعريف المأوى بالإضافة إلى صاحبها لأن كل أحد علم أن صاحب المأوى هنا هو الطاغي فلم لم يحتج إلى الرابط لعدم الالتباس ترك العائد ولم يضف الاسم، بل عرف تعريف الحقيقة للدلالة على أن حقيقة المأوى في حقه هو الجحيم ليس إلا وليست اللام في المأوى لتعريف العهد إذا لم يسبق حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب لا صريحًا ولا كناية. فقوله: «واللام فيه سادة مسد الإضافة» ليس معناه أنه ترك الإضافة إلى الضمير العائد وأقيم حرف التعريف مقامها من حيث إن حرف تعريف العهد يغني غناء الإضافة إلى الضمير في إفادة الربط، بل معناه أنه ترك الإضافة إلى الضمير لعدم الاحتياج إلى ما يدل على الربط، وعرف الاسم تعريف الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم «أن» لإفادة الحصر، ومثل هذا الضمير لا موضع له عند الخليل، وبعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبره.

قوله: (مقامه بين يدي ربه) يعني أن المقام إنما هو للعبد وأضيف إليه تعالى لملابسته له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقامًا لحسابه، والعبد إنما يخاف من ذلك المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد، فإن الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به والخشية من مقام الحساب نتيجة العلم بالمعاد. ولما كان الخوف من الله تعالى سببًا وعلة لمخالفة الهوى ونهي النفس عن الهوى قدمه عليه ضرورة تقدم العلة على المعلول، وكما أن الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة أصل لجميع القبائح والسيئات فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى أصل لجميع الطاعات والحسنات. ولذلك كان الوصفان الأولان سببًا لكون صاحبهما من أهل الجحيم وكان الوصفان الأخيران سببًا للسعادة الأبدية.

مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ متى إرساؤها أي إقامتها وإثابتها أو منتهاها ومستقرها، من مرسي السفينة وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه. ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم، أي ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فإن ذكراها لا يزيدهم إلا غيًا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه. وقيل: فيم إنكار لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف معناه أنت ذكر من ذكراها أي علامة من أشراطها، فإن إرساله خاتمًا للأنبياء أمارة من أماراتها. وقيل: إنه متصل بسؤالهم والجواب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ أي منتهى

قوله: (متى إرساؤها) على أن «أيان» ظرف زمان بمعنى «متى» مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام، وأن المرسي مصدر بمعنى الإرساء وهو الإثبات فإن المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان مما زاد على ثلاثي يكون على لفظ اسم المفعول فيه. وقوله تعالى: «مرساها» مبتدأ و «أيان» خبره. **قوله:** (أو منتهاها ومستقرها) على أن يكون المرسي اسم مكان ينتهي إليه المتحرك ويستقر فيه كمرسي السفينة كأن الساعة شيء متحرك يجري إلى جانب الوقوف مثل جريان السفينة إلى مستقرها، وكان المشركون يسمعون أخبار القيامة وأوصافها الهائلة مثل: إنها طامة كبرى وصاخة وقارعة، فيسألون رسول الله ﷺ عن وقت وقوعها قائلين: ﴿أيان مرساها﴾ استعجالاً واستهزاء بمن يخبر عنها وإيهامًا لأتباعهم أنه لا أصل لها كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]. **قوله:** (من أن تذكر وقتها لهم) إشارة إلى أن قوله: ﴿من ذكراها﴾ فيه مضاف محذوف وهو الوقت، وصلة محذوفة هي «لهم» والقرينة الدالة عليهما ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت إتيانها، فإن «أيان مرساها» سؤال منهم عن وقت إتيانها و «فيم أنت» في مقابلة حكاية سؤالهم وهي قرينة دلت على ذينك المحذوفين، والمعنى: ما أنت في شيء من تبيين وقتها لهم لأنك لا تعلم وقتها لأن الاستفهام في قوله: ﴿فيم أنت﴾ للإنكار أي أن تبين وقتها لهم لا يزيدهم إلا غيًا، فعلى هذا «أنت» مبتدأ و «فيم» خبره قدم عليه و «من ذكراها» تعلق بما تعلق به الخبر. **قوله:** (وقيل فيم) عطف على فحوى كلامه السابق أي وقيل قوله: ﴿فيم﴾ ليس خبرًا مقدمًا لما بعده بل هو خبر مبتدأ محذوف أي فيم هذا السؤال الواقع من الكفرة فتم الكلام عنده، ثم استأنف بجملة ﴿أنت من ذكراها﴾ بيانًا لسبب الإنكار على سؤالهم كأنه قيل: إنها قريبة غير بعيدة لأنك علامة من علاماتها فإرسالك يكفيهم دليلاً على دنوها والاهتمام بتحصيل الاعتداد لها فلا معنى لسؤالهم عنها. **قوله:** (وقيل إنه متصل بسؤالهم) أي وقيل: إنه ليس من كلامه تعالى على أحد الوجهين بل هو من تتمة قول المشركين «أيان مرساها». والمعنى: يسألونك عن الساعة قائلين متى إرساؤها وفي أي شيء أنت متحاشيًا من أن تذكر وقتها لنا، فقال تعالى في جوابهم: ﴿إلى ربك منتهى علمها﴾.

علمها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾ إنما بعثت لإنذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لأنه المنتفع به. وعن أبي عمرو «منذر» بالتنوين والإعمال على الأصل لأنه بمعنى الحال. ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ أي في الدنيا أو في القبور. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ أي عشية يوم أو ضحاه كقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥] ولذلك أضاف الضحى إلى العشية لأنهما من يوم واحد. عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة».

قوله: (**وهو لا يناسب تعيين الوقت**) أي كون حالك مقصورًا على الإنذار لا يناسب تعيين الوقت إذ لا مدخل لتعيين وقتها في الإنذار، وأن محض الإنذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها بل المناسب لذلك تعيين ما يكون حاملاً للمبعوث إليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد لها بالإيمان والطاعة. **قوله:** (**على الأصل**) فإن الأصل في اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال الإعمال والإضافة إنما هي للتخفيف. ثم إنه تعالى لما بيّن كونه عليه الصلاة والسلام مبعوثًا لمجرد الإنذار من الساعة وشدائدها بيّن أن شدتها بحيث إنهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في قبورهم ويزعمون أنهم لم يلبثوا فيها الآخر يوم أو أوله. و «يوم» ظرف لما في «كان» من معنى التشبيه. ولما ورد أن يقال: ما وجه إضافة الضحى إلى ضمير العشية، والعشية لا ضحى لها وإنما الضحى لليوم؟ أشار إلى جوابه بقوله: «أي عشية يوم أو ضحاه» يعني أن تنوين عشية عوض عن المضاف إليه وهو يوم منكر، ومعنى قوله: ﴿أو ضحاها﴾ أو ضحى ذلك اليوم الذي أضيف إليه العشية إلا أن الضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لإضافة أحدهما إلى الآخر، فلتلك الملابسة أضيف الضحى إلى العشية والمراد إضافته إلى يوم تلك العشية، ومثله شائع في كلام العرب يقولون: آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها يريدون آتيك غداة النهار أو عشية النهار الذي تلك الغداة أوله، فحذف ما حذف للاختصار. **قوله:** (**كان ممن حبسه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة**) عبارة عن استقصار مدة لبثه فيها بما يلقى من البشرى والكرامة في البرزخ والموقف. تمت سورة والنازعات بفضل الله تعالى وكرمه وإحسانه ومنّه ولطفه.

سورة عبس

مكية وهي إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم. فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه. فنزلت. فكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي». واستخلفه على المدينة مرتين. وقرىء «عبس» بالتشديد للمبالغة وإن جاء» علة «لتولى» أو «عبس» على اختلاف المذهبين. وقرىء «أأن» بهمزتين وبألف بينهما بمعنى ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك رسول الله ﷺ، وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله ﷺ للقوم، أو الدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق. أو لزيادة الإنكار كأنه قال: تولى لكونه أعمى، كالالتفات في قوله:

سورة عبس

مـــكيـة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى: (عبس) يقال: عبس أي كلح بوجهه يعني أن النبي ﷺ ﴿عبس وتولى﴾ أي أعرض بوجهه. والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع. وكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الإسلام تبليغًا لهم ورجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم لأن عادة الناس أنه إذا مال

....

أكابرهم إلى أمر مال إليه الأصاغر. **قوله:** (على اختلاف المذهبين) أي في تنازع الفعلين فإن الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما أن ينصب قوله: ﴿أن جاءه﴾ على أنه مفعول له، فأعمل البصريون الفعل الثاني لقربه منه أي «تولى» لـ «أن جاءه الأعمى»، والكوفيون أعملوا الفعل الأول أي «عبس» لـ «أن جاءه». وأم مكتوم كنية أم أبيه وكان ابن أم مكتوم معروفًا بجدته لأبيه. روي أنه لما نزلت الآية خرج عليه الصلاة والسلام في طلبه وهو يقول: «من رأى الأعمى»؟ فلما لقيه عانقه وقال: «لن تزال في عيالي ما بقيت عيال محمد ﷺ». وروي أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس في وجه فقير بعد نزول هذه الآيات. **قوله:** (وقرىء أإن بهمزتين وبألف بينهم) أي بهمزتين فقط، وبهمزتين بينهما ألف للفصل بين همزة الاستفهام وهمزة «إن» ومعنى الاستفهام الإنكار. وعلى هاتين القراءتين يوقف على «تولى» ثم يبتدأ بقوله: «أإن جاءه» على معنى: ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك فقوله: «أأن» على هاتين القراءتين ليس متعلقًا بما قبله. **قوله:** (وذكر الأعمى للإشعار الخ) جواب عما يقال: إنه تعالى لما عاتب سيد المرسلين ﷺ على مجرد أنه عبس في وجه ابن أم مكتوم كان ذلك تعظيمًا عظيمًا منه تعالى لابن أم مكتوم، وإذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم أن يذكره باسم الأعمى مع أن ذكر الإنسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شأنه؟ أجاب عنه أولاً بأن ذكره بلفظ الأعمى ليس لتحقير شأنه بل للإشعار بعذره في الإقدام على ما فعله والدلالة على أنه أحق بالكرامة. وثانيًا بأنه كان لزيادة الإنكار على ما فعله من العبوس والتولي فإن أهل الإعذار وسع الله في حقهم ما لم يوسع في حق غيرهم كأنه يقول: إنه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة فكيف يليق بك أن تخصه بالغلظة والتولي؟ وإنما قال: «لزيادة الإنكار» لأن أصل الإنكار مستفاد من قوله: ﴿عبس وتولى﴾ بإسناد الفعلين إلى ضميره عليه الصلاة والسلام بصيغة الغيبة فإن مقتضى الظاهر أن يقال: عبست وتوليت عمن جاءك بصيغة الخطاب فالسلوك إلى طريق الغيبة يشعر أن العابس والمتوالي غير المخاطب وأنه يشكي إلى المخاطب من فعله، وذلك يدل على أن ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه ممن جبل على خلق عظيم وبعث رحمة للعالمين وإنما المتصور أن يقع ذلك من غيره، وأن يشكو المتكلم إلى المخاطب منه وهو إنكار عظيم لوقوعه فيكون ذكر ذلك المستهزأ به بوصف الأعمى مفيدًا لزيادة الإنكار عليه. كأنه قيل: قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس والإعراض عنه وكان من حقه أن تزيد لعماه التعطف والاهتمام بأمره، كما أن وجه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وما يدريك﴾ هو زيادة الإنكار على فعله. فإنه تعالى صور فعله مع الرسول ﷺ في صورة من يشكو إلى أحد جانيًا جنى عليه ويقبل على الجاني حين التهب

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ أي وأي شيء يجعلك داريًا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك. وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية غيره. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ أو يتعظ فتنفعه موعظتك. وقيل: الضمير في «لعله» للكافر أي أنك طمعت في

غضبه وحمى رأسه مواجهًا إياه بالتوبيخ وإلزام الحجة، فكان الالتفات الواقع في الآية لمزيد الإنكار. فإن قيل: إن ابن مكتوم كان قد استحق التأديب والزجر لأنه وإن كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول ﷺ مع أولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه ﷺ بشأنهم، فيكون إقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام إيذاء له ولا شك أن إيذاءه عليه الصلاة والسلام معصية عظيمة، وأيضًا الأهم مقدم على المهم وقد كان ابن أم مكتوم أسلم وتعلم ما يحتاج إليه من أمر الدين بخلاف الصناديد المذكورة فإنهم لم يسلموا بعد وقد كان إسلامهم سببًا لإسلام جمع عظيم، فكان الاستمرار على دعوتهم وتقرير الدلائل لهم وإلزام الحجة عليهم أهم وأليق بحاله عليه الصلاة والسلام وكان قطع الكلام معهم والإقبال على ابن أم مكتوم تقديمًا للنفع القليل على خير العظيم. ولا وجه له، فثبت بهذين الوجهين أن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر، فكيف عاتب الله تعالى رسوله على أن أدبه بترك الإقبال عليه والتولي عنه والحال أنه عليه الصلاة والسلام إنما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب؟ وأجيب عنه بوجهين: أحدهما أن الأمر كما ذكر إلا أنه عليه الصلاة والسلام عوتب بناء على أن ما فعله يوهم ظاهره تقديم الأغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة. وثانيهما أن ابن أم مكتوم وإن كان قد استحق التأديب والتولي إلا أنه تعالى لم يعاتبه عليه الصلاة والسلام على ذلك بل على ما كان في قلبه من الميل إليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم وإن لم ينفر طبعه عن الأعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه، فلما كان العبوس والتولي لهذه الداعية لا لأجل تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك.

قوله: (وأي شيء يجعلك داريًا بحاله) أي بحال هذا الأعمى قدر لفعل الدارية مفعولاً تنبيهًا على أن قوله: ﴿لعله يزكى﴾ ليس مفعوله بل تم الكلام عند قوله: ﴿وما يدريك﴾ فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده على معنى وما يطلعك على أمره وعاقبة حاله على أن الاستفهام بمعنى النفي أي لا يدريك شيء، ثم ابتدأ فقال: ﴿لعله يزكى﴾ على أن ضمير «لعله» للأعمى. و«لعل» في كلامه تعالى مستعمل في معنى القطع والتحقق مجازًا فإن «لعل» ونحوه في كلام العظماء يراد بها ذلك. وتلقف الشيء تناوله بسرعة والمراد به ههنا الاستفادة والتعليم. **قوله:** (وقيل الضمير في لعله للكافر) فعلى هذا كلمة «لعل» على أصل معناها الذي هو الترجي الكائن من قبله ﷺ ولذلك قال: «إنك طمعت في إسلامه» الخ.

تزكيه بالإسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فما يدريك أن ما طمعت فيه كائن؟ وقرأ عاصم بالنصب جوابًا للعل.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ تتعرض بالإقبال عليه. وأصله «تتصدى». وقرأ ابن كثير ونافع «تصدى» بالإدغام. وقرىء «تصدى» أي تعرض وتدعى إلى التصدي. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام

قوله: (وقرأ عاصم) أي قرأ «فتنفعه» بالنصب والباقون بالرفع، فمن رفعه جعله معطوفًا على «يذكر» ومن نصبه نصبه على أنه جواب «لعل» بالفاء، فإن الفعل المضارع ينتصب «بأن» مقدرة بعد الفاء بشرطين أحدهما السببية وثانيهما أن يكون قبلها أحد الأشياء الستة: الأمر والنهي والاستفهام والنفي والتمني والعرض، ولا شبهة في تحقق الشرط الأول ههنا بخلاف الشرط الثاني فإنه غير متحقق بحسب الظاهر إلا أنه حمل الترجي على التمني من حيث إن متعلق كل واحد منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد فقدرت «أن» بعد الترجي كما قدرت بعد التمني ليكون الفعل معها في تأويل المصدر، فعطف المصدر على المصدر الأول هربًا من عطف الإخبار على الإنشاء. فتقدير الآية: فلعله يكون منه تذكر فانتفاع. ونظيره قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦] ثم قال: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ [الصافات: ٥٥] بالنصب على قراءة حفص والمعنى: لعله يكون مني بلوغ الأسباب فالاطلاع إلى إلٰه موسى. ويحتمل أن تكون كلمة «لعل» ههنا للتمني كما يدل عليه عبارة الكواشي حيث قال: ونصب على جواب التمني. قال صاحب المفتاح: وسبب مجيء «لعل» بمعنى التمني في قولهم: لعلي سأحج فأزورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول. **قوله تعالى:** (أما من استغنى) أي عن الله تعالى وعن الإيمان وعن التزكي بما له من المال، كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه. وقول المصنف فيما بعد «يسرع طالبًا للخير» يدل على أن المعنى هنا من استغنى عن طلب الخير مطلقًا. والتصدي للشيء عبارة عن التعرض له والتقييد به والاهتمام بشأنه بالقلب والقالب بأن تقبل عليه بوجهك وتميل إليه بقلبك وضده التشاغل عنه بالميل إلى غيره ويقال له التلهي والتغافل. وأصل «تصدى» تتصدى يقال: تصدد للشيء يتصدد إذا كان في صدده وقربه ومواجهته، والصدد ما استقبلك وصار في قبالتك. وفي الصحاح: الصدد القرب يقال: داره صدد داري أي قبالها نصب على الظرف وحذف تاء التفعل من تتصدد للتخفيف وأبدلت الدال الأخيرة ياء كما في تقضي البازي. ومن قرأ «تصدى» بتشديد الصاد أدغم تاء التفعل في الصاد بعد قلبها صادًا وقرىء «تصدى» بضم التاء وتخفيف الصاد أي تحمل وتدعى إلى التعرض والتصدي له أي يدعوك داعي إلى التعرض والتصدي له من الحرص والتهالك على إسلامه. **قوله:** (وليس عليك بأس) إشارة إلى أن ما في ﴿وما عليك﴾ نافية بمعنى ليس

حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم إن عليك إلا البلاغ. ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ يسرع طالبًا للخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾﴾ الله أو أذية الكفار في إتيانك، أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له. ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى. ولعل ذكر التصدي والتلهي للإشعار بأن العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك.

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ حفظه أو اتعظ به والضميران للقرآن أو العتاب المذكور، وتأنيث الأول لتأنيث

حذف اسمها وعليك خبرها وقوله: ﴿ألا يزكى﴾ في موضع الجر بكلمة «في» المقدرة المتعلقة بأم «لا» وهو بأس المقدر، والجملة في موضع النصب على أنها حال من فاعل «تصدى» مقررة لجهة الإنكار. ويجوز أن تكون كلمة «ما» استفهامية على معنى أي شيء عليك أن لا يتزكى بالإسلام من تدعوه؟ أي لا شيء عليك فيه فيؤول المعنى إلى كونها نافيه. وقوله: «يسعى» حال من فاعل «جاءك» وقوله: «وهو يخشى» جملة حالية من فاعل «يسعى» على التداخل أي يسعى حال كونه خائفًا من الله تعالى أن يقصر في أداء شيء من تكاليفه وما أوجبه عليه. قوله: (للإشعار بأن العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير) لا عن مجرد تعبيس الوجه والتولي عنه. ووجه الإشعار أنه تعالى ذكر المتصدي له بوصف الاستغناء فأشعر ذلك أن سبب العتاب على تصديه عليه الصلاة والسلام هو جعل تصديه متعلقًا بالمستغنى، وكذا وصف المتلهي عنه بالسعي إلى الخير والافتقار والخشية يدل على أن سبب العتاب هو التلهي عن من اتصف بالوصف المذكور. والظاهر أن المراد بالغني المستغني عما دعي إليه من التزكي بالإيمان والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج إلى ذلك، فإنه عليه الصلاة والسلام حاشاه أن يكون تصديه للصناديد لأجل شدتهم وكثرة أموالهم وتلهيه عن الأعمى لعدمه وفقد ماله.

قوله: (ردع عن المعاتب عليه) وهو تلهيه عليه الصلاة والسلام عمن جاءه يسعى وهو يخشى وتصديه لمن استغنى. عن الحسن أنه قال: لما تلا جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي ﷺ هذه الآيات عاد وجه كأنما أسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله تعالى عليه فلما قال: ﴿كلا﴾ سرى وانكشف. قوله: (والضميران) أي ضمير «أنها» وضمير «ذكره» فإن كانا للقرآن يكون وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما دعاهم إليه عظم شأن القرآن ووصفه بأنه هدى للناس وتذكرة لهم وليس شرفه وعلو قدره بقبول الصناديد إياه حتى تتهالك على قبولهم إياه بل أن شرف الخلق بقبولهم إياه واتعاظهم به، فمن شاء اتعظ به فاقتصر على تبليغه إليهم ودع الحرص على قبولهم وإيمانهم وإياك أن

خبره. ﴿فِي صُحُفٍ﴾ مثبتة فيها صفة لتذكرة أو خبر ثانٍ لأن أو خبر محذوف. ﴿مُكَرَّمَةٍ (١٣)﴾ عند الله ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ مرفوعة القدر ﴿مُطَهَّرَةٍ (١٤)﴾ منزهة عن أيدي الشياطين ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥)﴾ كتبه من الملائكة أو الأنبياء ينسخون الكتب من اللوح أو الوحي، أو سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله، أو الأمة جمع سافر من السفر أو السفارة، والتركيب للكشف يقال: سفرت المرأة إذا كشفت وجهها. ﴿كِرَامٍ﴾ أعزاء على الله تعالى،

تعرض عمن آمن به تطييبًا لقلوب من استغنى عنه. وإن كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط أنه تعالى لما عاتب النبي ﷺ على ما وقع منه من الاهتمام بإسلام الصناديد لتضمنه قلة المبالاة بشأن ضعفاء المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده تعالى عقبه بقوله: إن هذه المعاتبة تذكرة أي موعظة للسامعين فاتعظوا بها يا معاشر من يطلب تحلية النفس بالأخلاق الحميدة والآداب المرضية، ولازموا بإجلال الفقراء الطائعين تزكية نفوسهم عن المعاصي وتحليتها بالطاعات.

قوله: (صفة لتذكرة) فيكون قوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وإن كان ﴿في صحف﴾ خبرًا ثانيًا لقوله: «إنها تكون الجملة معترضة بين الخبرين» نقل عن صاحب الكشاف أنه أنكر كونها اعتراضًا وقال: شرط الاعتراض أن يكون بالواو أو مجردًا عنها، وأما الاعتراض بالفاء فغير مفهوم. وأجيب بأن هذا النقل منه ينافي ما صرح به الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] في سورة النحل من أنه من الاعتراض على بعض الوجوه. ويحتمل أن يكون «في صحف» حالاً من ضمير «أنها». وعلى التقديرين لا يوقف على قوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ ويوقف عليه إن جعل «في صحف» خبر مبتدأ محذوف أي هي في صحف، وهو جمع صحيفة وهي الصحف التي انتسختها الملائكة من اللوح وهي مكرمة عند الله مرفوعة في السماء. ويحتمل أن يكون المراد بالصحف صحف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨] وهي صحف الأنبياء المتقدمين. أشار المصنف إلى الاحتمالين بقوله: «كتبة من الملائكة أو الأنبياء ينسخون الكتب من اللوح أو الوحي» والسفرة كالكتبة لفظًا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر إذا كتب، والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح مصدر بمعنى الكتابة. قوله: (أو سفراء) عطف على قول كتبة أي ويحتمل أن يكون «سفرة» جمع سافر بمعنى سفير وهو الرسول الذي شأنه السفارة والتبليغ. وإلى المعنيين أشار المصنف بقوله: «جمع سافر من السفر أو السفارة» وهي الرسالة إما من الله تعالى إلى الرسل فيكون السفرة الملائكة، وإما من الله تعالى إلى الأمة فالسفرة بهذا المعنى هم الرسل من البشر. قوله: (والتركيب للكشف) أي تركيب حروف السفرة سواء كان من السفر بمعنى

أو متعطفين على المؤمنين يكملونهم ويستغفرون لهم ﴿بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أتقياء ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره

الكتابة أو من السفارة بمعنى الرسالة. والتبليغ ينبيء عن معنى الكشف والتبيين أما على الأول فلأن في الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب: سفر وللكاتب: سافر لأن كل واحد منهما يبين الشيء ويوضحه، وأما على الثاني فلأن السفير يعبّر عن مرسله ويكشف عنه حكمه. ولما ذكر السفرة أثنى عليهم بوصفين: الأول أنهم كرام أي يكرمون عند الله تعالى والثاني أنهم بررة أي أتقياء مطيعون، فإن كل واحد من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك. قال الإمام: قوله تعالى: ﴿مطهرة بأيدي سفرة﴾ يقتضي أن تكون طهارة تلك الصحف إنما حصلت بأيدي هؤلاء السفرة. فقال القفال في وجهه: إنها لما كانت لا يمسها إلا ملائكة مطهرون قبل ذلك وهو قصر إضافي، والمراد تنزهها عن أيدي الشياطين كما أشار إليه المصنف بقوله: «منزهة عن أيدي الشياطين». وما ذكر من قول الإمام مبني على أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿بأيدي سفرة﴾ متعلقة «بمطهرة» وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة لصحف أي صحف كائنة بأيدي سفرة. ويجوز أيضًا تعلقها بما تعلق به كلمة «في» في قوله: ﴿في صحف﴾ أي أنها مثبتة في صحف كذا بأيدي سفرة كذا.

قوله: (دعاء عليه بأشنع الدعوات) فإن القتل أشد شر وأشنعه. فإن قيل: الدعاء على الإنسان إنما يليق بالعاجز والقادر على كل شيء كيف يليق به ذلك؟ أجيب بأن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب فإنهم إذا أنكروا فعل أحد يقولون: قتله الله، والمقصود بيان أنهم استحقوا أعظم أنواع العقاب حيث أتوا بأشنع القبائح. فإنه تعالى لما وصف الصناديد بالاستغناء عن الهدى والتمادي في الاغترار بما لهم من أسباب الردى وهددهم بقوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ عجب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن التذكر والاتعاظ بهذه التذكرة البليغة والذكر الحكيم، كأنه قيل: أي سبب في هذا الاستغناء والترفع مع أن أوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وهو فيما بين الوقتين حامل العذرة؟ فقال: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ وهو صيغة تعجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفي سببه فهو تعالى منزه عن ذلك، فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه أي أعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل ألوهيته ووحدانيته وكمال قدرته ونفاذ مشيئته، ومن كفر بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه من بدء خلقه إلى أن يتوارى في قبره. ويحتمل أن تكون كلمة «ما» في ﴿ما أكفره﴾ استفهامية ويكون معنى الاستفهام فيه التقريع والتوبيخ أي أي شيء حمله على الكفر؟ قال المفسرون: نزلت الآية في عتبة بن أبي لهب. وقيل: المراد بالإنسان الصناديد

يدل على سخط عظيم وذم بليغ. ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾﴾ بيان لما أنعم عليه خصوصًا من مبدأ حدوثه، والاستفهام للتحقير. ولذلك أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾ فهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال، أو فقدره أطوارًا إلى أن أتم خلقته.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾﴾ ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فويهة الرحم

الذين أقبل عليه السلام عليهم وترك ابن أم مكتوم بسببهم. وقيل: المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقراء لفقرهم لأنه تعالى إنما ذمهم لعتوهم فوجب أن يعم الحكم بسبب عموم العلة.

قوله: (بيان لما أنعم عليه) ليتضح كفرانه بنعم الله تعالى. وابتدأ بأول ما أنعم به عليه من مبدأ حدوثه وهو خلق مثل هذه الصورة البهية من مثل تلك المادة الحقيرة لكون هذه النعمة أصلاً لجميع النعم المتعلقة به إلى آخر عمره، والخصوصية وصف للنعمة التي بينها بقوله: «من مبدأ حدوثه» فإن حدوث من هو في أحسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جليلة، ولا وجه لجعلها وصفًا للمنعم عليه لأن النعمة المذكورة ليست مخصوصة بالإنسان الذي دعي عليه بقوله: ﴿قتل الإنسان﴾ ضرورة أن ما فيه من التعريف ليس للاستغراق ولا لنفس الحقيقة فلا بد أن تكون الإشارة إلى حصة معينة تعيينًا نوعيًا أو شخصيًا. **قوله:** (والاستفهام للتحقير) أي لتحقير أصله للإشعار بأن كل من كان أصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والكفران بحق من أنعم عليه بهذه النعمة الجليلة؟ كما قال الحسن: كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين؟

قوله: (فهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال) لما كان خلق الشيء عبارة عن إحداثه على وفق التقدير كان متفرعًا على التقدير، وقد جعل التقدير في الآية متفرعًا على الخلق حيث قيل: ﴿خلقه فقدره﴾ فلذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالتهيئة، فإن التقدير قد يستعمل بمعنى التهيئة أيضًا فيقال: قدره فتقدر بمعنى هيأه فتهيأ، فالمعنى أحدثه إحداثًا يراعي فيه التقدير الأزلي في حقه مما يتعلق بأعضائه وأشكاله وكمياته وكيفياته فهيأه لما يصلح له من الأحوال العارضة له والمصالح المتعلقة به في بابي الدين والدنيا. **قوله:** (أو فقدره أطوارًا) أي ويجوز أن تكون الفاء للترتيب في الذكر بأن يكون قوله: «فقدره» تفصيلاً لما أجمل بقوله: ﴿من نطفة خلقه﴾ فإنه وإن وقع جوابًا لقوله من أي شيء خلقه؟ إلا أنه أجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل بقوله: «فقدره» أي قدر في حق ذلك المخلوق أطوارًا نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه ذكرًا أو أنثى شقيًا أو سعيدًا، وإنما عطفه بالفاء

وألهمه أن يتنكس. أو ذلل له سبل الخير والشر. ونصب «السبيل» بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الإضافة للإشعار بأنه سبيل عام، وفيه على المعنى الأخير إيماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها. ولذلك عقبه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ وعد الإماتة والإقبار في النعم لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة، والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع.

لأن التفصيل يعقب الإجمال. **قوله:** (وألهمه أن يتنكس) أي ينقلب عن الهيئة التي كان الجنين عليها في بطن أمه، فإن رأسه وهو في بطن أمه كان إلى جانب صدر أمه ورجليه إلى جانب رجليها وكانت فويهة الرحم غير مفتوحة قبل وقت الولادة، فإذا جاء وقت الولادة انفتحت فويهة الرحم وانتكس المولود بأن ينقلب وتصير رجلاه إلى جانب صدر أمه ورأسه إلى جانب المخرج فيخرج رأسه أولاً. ولا يخفى أن ما ذكر تسهيل لسبيل الخروج فإنه لولا الانفتاح والانتكاس لما تأتي الخروج. **قوله:** (أو ذلل له سبيل الخير والشر) أي ويجوز أن يكون المراد تسهيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر وتيسيره الإقدار على سلوكه وتمكنه منه والهداية إلى عاقبة كل واحد منهما ببعثة الأنبياء وإنزال الكتب وإعطاء العقل المميز والقوى والأعضاء المستوية. **قوله:** (وتعريفه باللام) يعني أن الكلام في الإنسان المدعو عليه وبيان ما أنعم عليه، فالمناسب للمقام أن يقال: ثم يسر سبيله بإضافة السبيل إليه إلا أنه عرف باللام للإشعار بأنه غير مختص به بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الإنس والجن على المعنى الثاني، وللحيوانات أيضًا على المعنى الأول. **قوله:** (وفيه على المعنى الأخير إيماء) وجه الإيماء أنه لما فسر السبيل بسبيل الخير والشر فهم أن المكلف ما دام في هذه الدار فهو ابن السبيل وأن سبيله يؤديه إما إلى خير وإما إلى شر، أي إلى دار الجزاء بالثواب والعقاب، والدار الآخرة هي الدار التي يقر بها. ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى أنه حينئذٍ يحسن انتظام ما بعد هذه الآية بها. **قوله:** (وعد الإماتة والإقبار في النعم) لما جعل قوله تعالى: ﴿من أي شيء خلقه﴾ إلى قوله: ﴿كلا﴾ مسوقًا لبيان ما أنعم الله تعالى به على الإنسان وكفرانه به وخفي وجه كون الإماتة والإقبار نعمة، بيّن وجه ذلك بأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية وبأن الإقبار تكرمة وصيانة للميت عن كونه طعمة للسباع، وإنما قال: وصلة في الجملة لأن كونها وصلة إلى ما ذكر إنما هو بالنسبة إلى المؤمن لا الكافر لا يقال الكلام ههنا في الكافر بقرينة قوله: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ فكيف تعد الإماتة نعمة في حقه مع أن الموت في حقه مفتاح لكل بلاء ومحنة؟ لأنا نقول: الإماتة في نفسها شأنها أن تكون نعمة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا إلى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة في حق الكافر إنما هو من سوء اعتقاده وسيئات أعماله. **قوله:** (والأمر بالقبر) منصوب بالعطف على

وفي إذا شاء إشعار بأن وقت النشور غير متعين في نفسه وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى.

﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو عليه ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأمر إذ لا يخلو أحد من تقصير ما. ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ

الإماتة. فإن قيل: من أي شيء استفيد الأمر بالقبر والحال أنه ليس ههنا صيغة للأمر؟ قلنا: هو مستفاد من قوله تعالى: ﴿فاقبره﴾ فإنه يقال: قبر الحي الميت يقبره من باب نصر إذا دفنه بيده، والقابر هو الدافن بيده، ولا يقال: أقبر الميت إلا إذا أمر غيره بأن يجعله في القبر. فالمقبر هو الله تعالى لأنه هو الآمر بأن يدفن أموات بني آدم في القبور إكرامًا لهم، وأنهم لو ألقوا على وجه الأرض كسائر الحيوانات لصاروا جزرًا للطير والسباع. والمراد بالإنشار الإحياء والبعث منقول من نشر الميت ينشر نشورًا إذا عاش بعد الموت.

قوله: (غير متعين في نفسه) أي كما أنه غير متعين في علمنا. ولعل الوجه فيه أن تعين الوقت في نفسه متفرع على بقاء الأفلاك وحركاتها وتكور الليل والنهار ونشور الأموات إنما يكون بعد خراب العالم فلا سبيل لنا أن نقول: إن وقت النشور متعيّن في نفسه وإن لم نعلمه بخصوصه، لأن تعين الوقت في نفسه فرع تحققه وما لم يتحقق في نفسه كيف يحكم عليه بأنه متعين في نفسه؟ بخلاف الأمور الواقعة حال بقاء العالم على حاله فإن الموت مثلاً وإن لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة إلينا إلا أنه متعين في نفسه من حيث إنه لا يقع إلا في حد معين من حدود الزمان. **قوله:** (لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى هذه الغاية) إشارة إلى أن في «لما» توقعًا وانتظارًا، ولذلك قال تعالى: ﴿لما يقض﴾ ولم يقل: لم يقض لأن قضاء المأمور به كان متوقعًا في زمن كل أحد لتعاضد دلائل وجوبه عليه وتحقق ما هو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة. ومعنى «بعد» في مثل هذا الموضع بالفارسية هنوز وكان أصله بعد ما مضى من الزمان إلى هذا الوقت، ثم حذف المضاف إليه فبنى «بعد» على الضم وقوله: «من لدن آدم» الخ بدل من قوله: «بعد» جيء به إبرازًا لمعنى التوقع المدلول عليه بلفظ «لما». نقل الإمام عن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: لا يقضي أحد جميع ما كان مفروضًا عليه أبدًا. وهو إشارة إلى أن الإنسان لا ينفك عن تقصير البتة. ثم قال: وهذا التفسير عندي فيه نظر لأن قوله: ﴿لما يقض﴾ الضمير فيه عائد إلى المذكور السابق وهو الإنسان في قوله: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ وليس المراد من الإنسان ههنا جميع الناس بل الإنسان الكافر المترفع المتكبر فإنه لم يقض ما أمره الله تعالى به من ترك الكفر والتكبر بأن يتأمل في دلائل الله تعالى ويتدبر في عجائب خلقه وبينات حكمته، فكيف يصح أن يقال في تفسير الآية لا يقضي أحد ما كان مفروضًا عليه؟

طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ إتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام. وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال. ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ بالنبات أو بالكراب، وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالحنطة والشعير. ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ يعني الرطبة.

وكلمة «ما» في قوله؛ ﴿ما أمره﴾ موصولة وعائدها يجوز أن يكون محذوفًا والتقدير: ما أمره به، فحذف الجار أولاً فبقي ما أمره هو، ثم حذف العائد ثانيًا ويجوز أن يكون باقيًا ويكون المحذوف من الهاءين هو العائد إلى الإنسان والباقي هو العائد إلى الموصول، فاعرفه وقس عليه أمثاله. ثم إنه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شيء حقير قليل وهو أول ما أنعم به عليه في مبدأ حدوثه، ثم ذكر بعض ما يترتب عليه من النعم الموجبة للشكر ليتضح أن تكذيبهم وكفرانهم في غاية القباحة والشناعة، ذكر بعده ما أنعم به عليه من النعم الخارجية وأمره بالنظر إليه والتأمل فيه فقال: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ الذي يعيش به كيف دبرنا أمره ولا شك أنه موضع للاعتبار. **قوله:** (إتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية) فإن ما ذكر إلى هنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية متحققة في نفس الإنسان وهي خلقه بإنزال النطفة مَن صلب الآباء إلى أرحام الأمهات وتصويره بأحسن الصور والهيئات، وما يتعاقب عليه من الأطوار والحالات إلى أن ينتهي إلى دار الأبد، وما ذكره ههنا نعم خارجة عنه يحتاج إليها الإنسان في معاشه. وبيّن أنه كيف دبر في خلق طعامه الذي هو قوام حياته وأقوى أسباب معاشه التي يستعد بها لمواده وذكر أن ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل إلى رحم المرأة، كذلك طعامه إنما يحصل بنزول الماء من السماء إلى الأرض وبما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الأرض وبلوغه إلى أقصى كماله. قرأ ما عدا الكوفيين «إنا صببنا» بكسرة الهمزة على الاستئناف. وقرأ الكوفيون بفتحها على أن الجملة بدل من الطعام، كأنه قيل: فلينظر الإنسان إلى أنّا صببنا الماء فإن تكون الطعام وحدوثه من الأرض بالأسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر وبقائه معلقًا في جو السماء مع كثرته وغاية ثقله وغير ذلك مما يعجز العقل عن إدراكه، وَالمعنى: فلينظر كيف حوّلنا أحوال طعامه كما حوّلنا أحوال نفسه في بدء خلقه، وجعله من بدل الاشتمال لأن انصباب الماء وانشقاق الأرض سبب لحدوث الطعام فيكون بينهما اشتمال السببية، فإن الواجب في بدل الاشتمال أن يكون بينهما علاقة بغير الكلية والجزئية وقد حصلت. والكراب قلب الأرض للحرث. **قوله:** (وأسند الشق إلى نفسه) أي جعل إسناد الشق بمعنى الكراب إليه تعالى مجازًا مع أنه تعالى هو الموجد لجميع الأشياء من الجواهر والأعراض لكونه إسنادًا إلى غير ما هو له، لأن المراد بما هو له ما يكون معنى الفعل قائمًا به وصفًا له وحقه أن يسند إليه سواء كان مخلوقًا له أو لغيره، وسواء كان صادرًا

سميت بصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى. ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ عظامًا. وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها، أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعارًا من وصف الرقاب.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ ومرعى من أب إذا أم لأنه يؤم وينتجع، أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيىء للرعي، أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء. ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ أي النفخة وصفت بها مجازًا لأن الناس يصخون لها. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾

عنه باختياره كضرب أولاً كمرض ومات، فإسناد نحو الضرب إلى من قام به حقيقة وإلى موجده الذي هو البارىء تعالى مجاز. ولا شك أن شق الأرض قائم بمن حرثها وقلبها. **قوله:** (لأنها تقضب مرة بعد أخرى) فصارت لكثرة قضبها كأنها عين القضب فسميت قضبًا للمبالغة فيه.

قوله: (عظامًا) الغلب جمع أغلب أو غلباء كحمر في جمع أحمر أو حمراء، وأصله في وصف الرقاب يقال: رجل أغلب وأسد أغلب أي غليظ العنق، وامرأة غلباء أي غليظة العنق، وجماعة غلب أي غلاظ الأعناق. ذكر لمصنف في وجه توصيف الحدائق بالغلب قولين: الأول أن الحديقة الواحدة سميت غلباء توصيفًا لها بوصف مجموع أشجارها الملتفة المتكثرة بحيث صارت كأنها شيء واحد ضخم عظيم يشبه الرقبة الغلباء، فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب. والقول الثاني أنه وصفت الحدائق بالغلب لكونها ذوات الأشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف أشجارها. **قوله:** (ومرعى) المرعى الذي لم يزرعه الناس سمي إبًا إما لأنه يؤب أي يؤم ويقصد جزه لأجل الدواب، والأب والأم أخوان، والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه. وإما لأنه يؤب ويهيأ للرعي على أنه من أب لكذا إذا تهيأ له. **قوله تعالى:** (متاعًا لكم ولأنعامكم) أي تمتيعًا منصوب على أنه مفعول له لقوله: ﴿فأنبتنا﴾ أي أنبتنا ذلك كله ممتعين لكم. **قوله:** (وصفت بها مجازًا) فإن الصاخة اسم فاعل من قولهم: صخ لحديثه أي أصغى واستمع فهو صاخ أي مصغي ومستمع، والنفخة ليس من شأنها أن تصغي وتسمع بل الناس هم الذين يصخون لها فأسند الإصغاء والاستماع إلى النفخة المسموعة مثل ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي مرضية. وقيل: سميت صيحة القيامة صاخة لأنها تصخ الآذان أي تصمها لشدة صوتها، يقال: صخ الصوت الأذن يصخها صخًا فهو صاخ إذا أصمها. فعلى هذا يكون الإسناد حقيقيًا. ووجه ارتباط الآية بما قبلها أنه تعالى لما بيّن ما أنعم به على الإنسان من النعم الذاتية والخارجية توبيخًا وتقريعًا لمن كفر بها وحثًا على شكرها بالإيمان والطاعة، شرح بعده

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه، أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم. وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل: يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه. ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ يكفيه في الاهتمام به. وقرىء «يعنيه» أي يهمه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مضيئة من أسفر الصبح إذا أضاء ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ بما ترى من النعيم. ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ غبار وكدورة ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ يغشاها سواد وظلمة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ الذين جمعوا إلى الكفر الفجور فلذلك يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة. قال عليه الصلاة السلام: «من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر».

أحوال القيامة للمناسبة بين شرحها وبين تعداد النعم المذكورة في كونها داعية إلى الإيمان والطاعة. فإن الإنسان إذا سمع أحوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها إلى التأمل في دلائل الحق فقال: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ وجواب «إذا» محذوف يدل عليه قوله: ﴿يوم يفر المرء﴾ إلى قوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] والتقدير: فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه. وقوله: ﴿يوم يفر المرء﴾ بدل من «إذا» ولا يجوز أن يكون يغنيه عاملاً في «إذا» ولا في «يوم» لأنه صفة لشأن ومعمول الصفة لا يتقدم على الموصوف. **قوله**: (**أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم**) بأن يقول الأخ: لم تواسني بما لك؟ ويقول الأبوان: قصرت في برنا، والصاحبة: أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت، والبنون: لم تؤدبنا ولم تعلمنا. وقيل: أول من يفر من أخيه هابيل من قابيل لأنه العاصي، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام. **قوله**: (**وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة**) أي في بيان اشتغال كل أحد بنفسه فإنه بدأ بالأخ لأنه شقيقه، ثم بالأبوين لأنهما أقرب إليه من الأخ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم ألصق بالصلب وأعلق بالنفس. كأنه قيل: يفر من أخيه وكيف لا يفر منه؟ وهو يفر من أبويه وكيف لا يفر منهما؟ وهو يفر ممن هو أحب إليه منهما وهو الصاحبة والبنون. **قوله**: (**وقرىء يعنيه**) بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم: عناني الأمر أي أهمني وقصدني. ثم إنه تعالى لما ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها بيّن أن المكلفين فيه على قسمين وميز أحدهما عن الآخر بما يعرض لوجوههما يومئذٍ. يقال: أسفر الصبح إذا أضاء، والغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما إذا اغبرّ وجه الزنجي، فكأنه تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور. وفي الحديث: «إن البهائم إذا صارت ترابًا يوم القيامة يذري ذلك التراب في وجوه الكفار». **تمت سورة عبس بحمد الله وعونه**.

سورة التكوير

مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾ لفت من كورت العمامة إذا لففتها بمعنى رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لف، أو لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، أو ألقيت عن فلكها من طعنه فكوره إذا ألقاها مجتمعًا. والتركيب للإدارة والجمع وارتفاع الشمس

سورة التكوير

مـــكيـة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (**من كورت العمامة**) التكوير التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة، تقول: كرت العمامة على رأسي أكورها كورًا وكورتها تكويرًا إذا لففتها. فالطي واللف والكور والتكوير واحد. وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون الرفع من توابع التكوير لأن الثوب إذا أريد رفعه لف. **قوله:** (**أو لف ضوؤها**) عطف على قوله: «لفت» أي ويجوز أن يكون معنى كورت كور ضوؤها بتقدير المضاف، أو على إسناد فعل الحال إلى المحل لأن تكوير الضوء وذهاب انبساطه في الآفاق إنما يكون بإذهاب نفسها لأنها ما دامت باقية يكون ضوؤها منبسطًا غير ملفوف، ثم فسر التكوير بالإلقاء والإسقاط. ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحًا

بفعل يفسره ما بعدها أولى لأن «إذا» الشرطية تطلب الفعل. ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ انقضت قال:

أبصر خربان فضاء فانكدر

دبورًا فتضربها فتصير نارًا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة». ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال: وما ذنبهما؟ قال: إني أحدثك عن رسول الله ﷺ. فسكت الحسن. قال الإمام: سؤال الحسن ساقط لأن الشمس والقمر جمادان وإلقاؤهما في النار لا يكون سببًا لمضرتهما. ولعل ذلك يصير سببًا لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل. ذكر الله تعالى ههنا اثني عشر شيئًا وقال: إذا وقعت هذه الأشياء فهنالك ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] فكلمة «إذا» في قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى في آخر المعطوفات ﴿علمت نفس﴾ وارتفاع الأسماء الواقعة بعد «إذا» على أنها مفاعيل ما لم يسم فاعله المفسرة بما بعدها عند البصريين، فإنهم لا يجوّزون أن يلي «إذا» غير الفعل. وقال الكوفيون: إنها مرفوعة بالابتداء والأفعال التي بعدها إخبارها بناء على أن التقدير خلاف الأصل، والجملة على المذهبين في محل الجر بإضافة «إذا» إليها. **قوله: (انقضت)** أي تساقطت وتناثرت. الجوهري: انكدر أي أسرع وانقضّ. قال تعالى: وإذا الكواكب انتثرت فإن السماء تمطر يومئذٍ نجومها فلا يبقى في السماء نجم إلا وقع على وجه الأرض. قال عطاء: وذلك أنها كانت في قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور، فإذا مات من في السمٰوات ومن في الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة لأنه قد مات من يمسكها.

قوله: (أبصر خربان فضاء فانكدر) الخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحتين، وهو ذكر الحبارى. والبيت للعجاج عمر بن يعمر التيمي وأوله:

إذا الكرام ابتدر والباع بدر ... تقضى البازي إذا البازي كسر
داني جناحيه من الطور فمر ... **(أبصر خربان فضاء فانكدر)**

الباع قدر مد اليدين يعبّر به عن الكرم. يقول: إذا الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدر أي أسرع إليه كانقضاض البازي على الحبارى. يقال: كسر الطائر جناحيه إذا ضمهما حين ينقض. وقوله: «تقضي البازي» مصدر منصوب بنزع الخافض أصله تقضض لما كثرت الضادات أبدلت الأخيرة ياء.

أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر. ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ عن وجه الأرض أو في الجوّ. ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء. ﴿عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر. وقرىء بالتخفيف. ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ جمعت من كل جانب، أو بعثت للقصاص ثم ردت ترابًا، أو أميتت من قولهم: إذا أجحفت ألسنة بالناس حشرتهم. وقرىء بالتشديد. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ

قوله: (من كدرت الماء فانكدر) الكدر خلاف الصفو يقال: كدر الماء يكدر كدرًا فهو كدر من باب علم، وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما بمعنى، وكدرم غيره فانكدر، وتكدر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه. **قوله:** (سيرت عن وجه الأرض) أي قلعت فصارت هباء منبثًا، أو سيرت في الجو كالسحاب لقوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] وقيل: سيرها تحويلها من صفة الحجرية بجعلها كثيبًا مهيلاً أي رملاً سائلاً وكالعهن وهباء منبثًا. والعشار جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر من يوم أرسل عليها الفحل، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة. وقيل: هو اسمها بعد ما وضعت أيضًا. ومن عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدم وإن كان قد جاوز حد أن يسمى به. وخص العشار بالذكر لأنها أعز الأموال عند العرب وأنها معظم أسباب معاشهم، وتعطيلها تركها وإهمالها من غير راع اشتغالاً بأنفسهم عند مجيء أمارات قيام الساعة. **قوله:** (أو السحائب) أي ويجوز أن يراد بالعشار السحائب تشبيهًا لها بها، والعشار وإن كان مجازًا في هذا المعنى إلا أن حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها. وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله تعالى: ﴿فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢] كما مر في سورة والذاريات. والتعطيل الإهمال ومنه قيل للمرأة، عاطل إذا لم يكن عليها حلي. والوحوش جمع وحش وهو اسم لما لا يستأنس من حيوان البر. وفسر حشرها بثلاثة أوجه: الأول أن يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث يختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينهما وتفرقها في الصحارى والقفار. والثاني أن تجمع أحياء بعد الموت ليقتص لبعضها من بعض، فإنه قد ثبت أنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت. والثالث ما روي عن ابن عباس: أن حشر البهائم موتها. **قوله:** (إذا أجحفت ألسنة) يقال: أجحف به أي أذهبه واستأصله، والسنة القحط. وبناء التفعيل هنا يحتمل أن يكون لتكثير الفعل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الأول للدلالة على هول ذلك اليوم، فإن اجتماع الأضداد مع كمال النفرة بينها إنما يكون لهول عظيم. وبالمعنى الثاني لتأييد حشر المكلفين، فإن الحيوانات إذا بعثت للقصاص تحقيقًا لمقتضى العدل، فحشر المكلفين من الإنس والجن يكون أولى.

سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ قرنت بالأبدان أو كل منها بشكلها، أو بكتابها وعملها، أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين. ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ المدفونة حية، وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق، أو لحوق العار بهم من أجلهن. ﴿سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ تبكيتًا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى

قوله: (أحميت أو ملئت) فإن السجر في اللغة يكون بمعنى الملء وبمعنى الإحماء أيضًا يقال: سجرت الإناء وسجرت التنور. قيل في إحماء البحار: إنه تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم في البحر يوم القيامة، ثم يبعث عليها ريحًا دبورًا فتنفخه فيصير نارًا وهو قوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ وفي وجه امتلائها أنه تعالى خلق الآن بين البحار حاجزًا لا يصل بعضها إلى بعض كما قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٩، ٢٠] أي لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما، فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس، فصارت البحور كلها بحرًا واحدًا فعمت الأرض كلها. ثم ارتفاع الحاجز الكائن بينهما يحتمل أن يكون بأن اندكت الجبال وتفتت أجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك، فلا جرم تنصب أجزاؤها الرفيعة في أسافلها فتميل في المواضع الغائرة من الأرض فيصير وجه الأرض مستويًا غرقًا تحت البحار وتصير الكل بحرًا واحدًا مستعليًا على الأرض. وهذه الأحوال الست تكون في مبادىء قيام الساعة على ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: ست آيات تكون قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم: إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والوحوش والطير وماج بعضهم في بعض، فحينئذٍ تقول الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو نار متأججة. قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة من الأرض السابعة السفلى إلى السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم. والله أعلم. كذا في المعالم. ثم اعلم أنه تعالى شرع في ذكر الأحوال التي تكون بعد قيام الساعة فقال: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ بالأبدان بأن ردت إليها أو بأن يضم كل أحد إلى من يشاكله ويماثله في الخير والشر. قيل ذلك حين تكون الناس أزواجًا ثلاثة أي أصنافًا ثلاثة: السابقون زوج، وأصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج. والشكل بالفتح المثل. **قوله:** (تبكيتًا لوائدها) أي لمن دفنها في القبر وهي حية وهو جواب عما يقال: ما معنى سؤال الموؤودة عن ذنبها الذي قتلت به مع أن الظاهر

عليه الصلاة والسلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: ١١٦] وقرىء «سألت» أي خاصمت عن نفسها وإنما قيل: «قتلت» على الإخبار عنها. وقرىء «قتلت» على الحكاية. ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ يعني صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب. وقيل: نشرت فرقت بين أصحابها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر، أو لكثرة الصحف، أو لشدة التطاير. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة. وقرىء «قشطت»

أن يسأل الوائد عن قتله إياها؟ وتقرير الجواب أن هذه الطريقة أفظع في ظهور جناية الوائد وإلزام الحجة عليه، فإنه إذا قيل للموؤودة: إن القتل لا يجوز إلا بذنب عظيم فما ذنبك وبأي ذنب قتلت؟ فلا جرم كان جوابها: أني قتلت بغير ذنب، فيفتضح الوائد ويصير مبهوتًا. وهذا كقوله تعالى لعيسى ابن مريم: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فإنه عليه الصلاة والسلام لما أجاب بقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] كان ذلك أشد في تبكيت النصارى وفي توبيخهم. **قوله**: (**وقرىء سألت**) أي بفتح السين والهمزة على لفظ الماضي المبني للفاعل المسند إلى ضمير الواحدة الغائبة على أن الموؤودة هي السائلة تسأل الله تعالى، أو تسأل قاتلها قائلة: ﴿بأي ذنب قتلت﴾ بضم تاء المتكلم وحده فإنه هو المناسب لكون الموؤودة هي السائلة، لأن الظاهر أن يحكى كلامها بعبارتها. وهذه القراءة ذكرها المصنف بقوله: «وقرىء قتلت على الحكاية» أي على حكاية قول الموؤودة كما مر أي بعبارتها حين سألت. وقرىء أيضًا «**سألت بأي ذنب قتلت**» على لفظ الإخبار عن الواحدة الغائبة على بناء المفعول كقراءة الجمهور. والظاهر أن يقرأ «قتلت» على لفظ حكاية قول الموؤودة كما مر لأنها هي السائلة، كما أن الظاهر على قراءة الجمهور أن يقال: «قتلت» على لفظ خطاب الواحدة لأن السائل حينئذٍ هو الله تعالى، فالظاهر حينئذٍ أن يحكي قوله تعالى بعبارته. ولما ذكرت الموؤودة بالاسم الظاهر جاز الأمر أن إسناد الفعل إلى ضمير الغائب الذي هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بأن يقال في قراءة «سألت» قتلت بضم التاء، وفي قراءة «سئلت» قتلت بكسر التاء. **قوله**: (**وتنشر وقت الحساب**) أي تفتح بعد ما كانت مطوية فتعطاها الناس منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف الإنسان على ما فيها ويحصى عليه جميع أعماله فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]. **قوله**: (**للمبالغة في النشر الخ**) يعني أن التشديد لتكثير الفعل وتكريره، أو لتكثير محله، أو للمبالغة في شدة التطاير أي تطاير الصحف وتفريقها بين الأصحاب. فالتشديد للمبالغة في النشر بمعنى التفريق بحسب الكيفية. انتهى. **قوله**: (**قلعت وأزليت**)

واعتقاب القاف والكاف كثير. ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد. ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ قربت من المؤمنين.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ جواب «إذا». وإنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده، لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها. و«نفس» في معنى العموم كقولهم: تمرة خير من جرادة. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ بالكواكب الرواجع، من خنس إذا تأخر، وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من

بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش. **قوله:** (وإنما صح الخ) أي صح أن تكون «إذا» المضافة إلى الخصال الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله: ﴿علمت نفس﴾ مع أن كونها معمولة له يستلزم أن تكون النفس عالمة بما أحضرته من الأعمال في زمان وقوع الخصال الست المتقدمة وليست كذلك، وإنما تكون عالمة بها بعد قيام الساعة. وتوضيح الجواب أن المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط بتلك الخصال الاثنتي عشرة وابتداء ذلك الزمان المتسع هو زمان النفخة الأولى الذي هو زمان التكوير وما يتبعه إلى أن يتم موقف الحساب وتعلم كل نفس جزاء عملها، وفي ذلك الزمان المتسع تعلم كل نفس ما أحضرت في صحيفة عملها وما أحضرته في موقف المحاسبة، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال لأن نفس الأعمال أعراض لا يمكن إحضارها، كأنه قيل: الزمان الذي يقع فيه هذه الأمور الاثنتا عشرة بأسرها علمت فيه كل نفس ما أحضرت.

قوله: (ونفس في معنى العموم) جواب عما يقال من أن النكرة في سياق الإثبات للإفراد أو النوعية لا للاستغراق والعموم، والمقام مقام الاستغراق والعموم لأن العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس حينئذٍ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] فما معنى قوله: ﴿علمت نفس﴾ بالتنكير في موضع الإثبات؟ ومحصول الجواب أن ما ذكر أكثري لا كلي مطرد، وأن النكرة في سياق الإثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما في قولهم: تمرة خير من جرادة، و«نفس» في الآية من هذا القبيل. ثم إنه تعالى لما فصل ما يكون في مبادىء قيام الساعة قبل فناء الدنيا وبعده أقسم على أن القرآن العظيم قول رسول كريم فقال: ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ الآية ترهيبًا للمشركين المنكرين للبعث والجزاء أي تأملوا ما ذكر لتعلموا أنه كلام إلهي منزل من عند الله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بما ذكر من الأوصاف. وكلمة «لا» في قوله: ﴿فلا أقسم﴾ يحتمل أن تكون صلة مؤكدة وأن

أغصان الشجر. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ أقبل ظلامه أو أدبر. وهو من الأضداد يقال: عسعس الليل وسعسع إذا أدبر. ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ أي إذا أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم. ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾﴾ يعني جبريل عليه السلام

تكون رد الكلام سابق أي ليس الأمر كما تزعمون أيها الكفرة، ثم ابتدأ جل ذكره فقال: ﴿أقسم بالخنس﴾ وأن تكون لنفي القسم بناء على أنه لا يحتاج إليه لوضوح الحق وهو أن القرآن كلام إلٰهي منزل به الروح الأمين، وبلغه إلى سيد المرسلين ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين. **قوله:** (والليل) عطف على «الخنس» وكذا قوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ﴾ [التكوير: ١٨] والعامل في «إذا» معنى القسم و «إذا» مع ما بعده في موضع الحال أي أقسم بالليل مدبرًا ومقبلاً وبالصبح مضيئًا. وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ [التكوير: ١٩] وضمير «أنه» للقرآن وإن لم يجر له ذكر لحصول العلم به. والخنس جمع خانس، والخنوس الانقباض والاستخفاء. وفي الحديث: «الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله تعالى خنس» أي انقبض ولذلك سمي بالخناس. والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس الذي هو مقر الوحش. والجواري جمع جارية أي الكواكب التي تجري في أفلاكها وما سوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة وهي: المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري خنس وكنس، وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها من أول البرج إلى آخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس. والنيران لا يكنسان لأن المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبي المستتر بالكناس ولا كنوس لهما بهذا المعنى. والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس، وهو ظاهر، وخنس أيضًا من حيث إنها ترجع وتستقيم فإنها بينما ترى في آخر البرج إذ كرّت راجعة إلى أوله فرجوعها من آخر البرج إلى أوله هو الخنوس كما أن اختفاءها تحت ضوء الشمس كنوسها. **قوله:** (وهو من الأضداد) لأن العسعسة دقة الظلام وذلك يكون في كل واحد من طرفي الليل فلذلك يقال: عسعس الليل إذا أقبل. ويقال أيضًا: عسعس إذا أدبر فمنهم من قال: المراد به في الآية أقبل الليل لتناسب قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ لأن القسم حينئذٍ يكون بإقبال كل واحد من الليل والنهار. وإن أريد بعسعسة الليل إدباره يكون القسم بإدبار الليل وإقبال النهار فتفوت المناسبة، ويتضمن الكلام تكرار المقسم به لأن إدبار أحدهما يستلزم إقبال الآخر. **قوله:** (أي إذا أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم) النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة. وتنفس الصبح عبارة عن إقبال النسيم المروح المتحرك عند طلوع الصبح فإذا ذهب ذلك النسيم عند طلوعه قيل: تنفس، والنفس المروح للقلب انبساطًا وانقباضًا، جعل ذلك نفسًا للصبح على المجاز ثم ذكر المشبه به وأريد المشبه

فإنه قاله عن الله تعالى. ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ عند الله ذي مكانة ﴿مُّطَاعٍ﴾ في ملائكته ﴿ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ على الوحي. و«ثم» يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده. وقرىء «ثم» تعظيمًا للأمانة وتفصيلاً لها على سائر الصفات.

ثم اشتق منه تنفس بمعنى أقبل النسيم مع طلوعه. ثم لما كان التنفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال غبرته كني بتنفسه عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زالت معه عسعسة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخره، وهي كناية متفرعة على الاستعارة. والغبرة لون الأغبر وهو الشيء الملون بلون يشبه الغبار. وأضاء يجيء لازمًا ومتعديًا وكلاهما يصح ههنا. وفي بعض النسخ: إذا تنفس أي إذا أضاء عبّر به عن إقبال روح ونسيم، والمعنى واحد أي شبه إقبال النسيم وقت طلوع الصبح بتنفسه فعبّر عنه بالتنفس ثم اشتق منه تنفس وجعل تنفسه كناية عن إضاءته كما أشار إليه فقوله: «أي إذا أضاء».

قوله: (فإنه قاله عن الله تعالى) يعني أن كون القرآن قول جبريل عليه السلام لا ينافي كونه كلام الله تعالى حقيقة لأنه عليه السلام قاله وبلغه عن الله تعالى. واعلم أنه تعالى وصف جبريل عليه السلام ههنا بست صفات: أولاها أنه رسول فإنه لا شك أنه رسول منه تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام. وثانيتها أنه كريم على ربه حيث جعله أمين وحيه وواسطة بينه وبين رسله وهذا من أجل المناصب وأشرف المراتب، ومن كرمه أنه وسيلة لنيل أفضل العطايا وأقصى الكرامات وهو المعرفة والهداية. وثالثتها أنه ذو قوة أي ذو قدرة على ما يكلف به لا يعجز ولا يضعف عن شيء مما يكلف به. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل: «ذكر الله تعالى قوتك وأمانتك وأثنى عليك بهما فما كانت قوتك وما كانت أمانتك» قال: أما قوتي فإني بعثت إلى مدائن لوط وهي أربع مدائن وفي كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات الدجاج ونبيح الكلاب، ثم هويت بهن فقلبتهن. وأما أمانتي فإني لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره. وروي أن شيطانًا يقال له الأبيض صاحب الأنبياء قصد أن يتعرض للنبي ﷺ فدفعه جبريل دفعة دقيقة رفعه بها من مكة إلى أقصى الهند. ورابعتها قوله تعالى في حقه: ﴿عند ذي العرش مكين﴾ أي ذي منزلة ومكانة عند الله، ومن مكانته عنده تعالى أنه تعالى جعله تالي نفسه في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ﴾ [التحريم: ٤] وهذه العندية كناية عن كونه ذا منزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى. وخامستها أنه مطاع في ملائكته تطيعه الملائكة المقربون لعلمهم بمنزلته عند الله. وسادستها أنه أمين على وحي الله تعالى ورسالته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل. وقوله: «ثم» بفتح الثاء إشارة إلى الظرف المذكور هو عند ذي

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ كما تبهته الكفرة. واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي ﷺ وهو ضعيف، إذ المقصود منه نفي قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨] لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ ولقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ بمطلع الشمس الأعلى ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما محمد ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على ما يخبره من الوحي إليه

العرش. ثم إنه إن اتصل بما قبله بأن يكون ظرفًا له يكون المعنى: أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه، وإن اتصل بما بعده يكون المعنى: أنه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالته إلى الأنبياء. وإن قرىء «ثم» بضم الثاء تكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة إلى ما هو أفضل وأعظم وهو الأمانة. قوله تعالى: (وما صاحبكم بمجنون) عطف على جواب القسم وكذا قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] أقسم الله على أن القرآن كلامه نزل به جبريل رسوله الكريم الأمين، وعلى أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، وعلى أنه قد رآه أي جبريل بالأفق المبين. قوله: (وهو ضعيف) يعني أن ما ذكره المستدل إنما يدل على مقصوده أن لو كان المقصود من سوق الآية تعداد خصالهما الشريفة وبيان أن من ازدادت خصاله الشريفة فهو أفضل، وليس كذلك بل المقصود إثبات أن القرآن لا سيما هذه السور المصدرة بما يدل على مقدمات القيامة وأهوالها وحي إلهي نزل به الملك المقرب عند ذي العرش نفيًا لقول الكفرة إنما يعلمه بشر وإنه لمجنون، وترغيبًا للسامعين في استماع القرآن وتصديق جميع ما ذكر فيه. وهذا المقصود يستدعي أن يوصف الملك المتوسط بين يدي الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والقربة، وذلك لا يستلزم كونه أفضل من رسل البشر بل الظاهر أن وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات وبما هو أزيد منها وأفضل مما يدل على شرف رسول الله ﷺ بالنسبة إليه من حيث إن جبريل مع اتصافه بهذه المناقب والفضائل الشريفة مبلغ الرسالة إليه فأي مرتبة أعلى من مرتبته بعد ما تبت أن السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب؟ قوله: (بمطلع الشمس الأعلى) أفق السماء ناحيتها، والآفاق النواهي، إلا أن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالأفق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالاً بوصفه بالمبين. فإن نفس الأفق لا مدخل له في إبانة الأشياء وإظهارها وإنما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعًا لكوكب نيّر يبين الأشياء بضيائه وذلك الكوكب هو الشمس. وأسند الإبانة إلى مطلعها مجازًا باعتبار تسببه لها في الجملة، فإن الإبانة في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو أعلى المطالع وأرفعها وهو المطلع الذي إذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع

وغيره من الغيوب. ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بمتهم من الظنة وهي التهمة. وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر «بضنين» من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره. والظاء من طرفي اللسان وأصول الثنايا العليا. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم: إنه لكهانة وسحر.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة: أين تذهب؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ تذكير لمن يعلم ﴿لِمَن شَآءَ

ويكون النهار في غاية الطول، وإنما فعل ذلك حملاً للمبين على كمال الإبانة فإنه كلما كان الكوكب الطالع أرفع وأعلى وكان النهار أطول كانت الإبانة والإظهار أتم وأكمل. روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال: ما أقدر على ذلك وما ذاك إليّ. فاستأذن له فأتاه عليها فرآه رسول الله ﷺ قد ملأ الأفق بكلكله أي بصدره ورجلاه في الأرض ورأسه في السماء، جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، فغشي عليه فتحول جبريل عليه السلام إلى صورة بني آدم ـ إلى آخر الكلام ـ فقيل له عليه السلام: ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم. فقال عليه الصلاة والسلام: «جاءني جبريل اليوم في صورته فاعتراني» هذا من حسنه. **قوله:** (**من الظنة وهي التهمة**) أي وليس من الظن الذي يتعدى إلى مفعولين أي هو ثقة في جميع ما يخبر به لا يتوهم فيه أنه يخبر بشيء من ذلك عن الهوى. وهذه القراءة أعني القراءة بالظاء هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي فالظنين الرجل المتهم. وقرأ نافع وحمزة وعاصم وابن عامر «بضنين» بالضاد أي ببخيل يقال: ضننت بالشيء بكسر العين أضن به ضنًا وضنانة فأنا ضنين أي بخيل، وهو من باب علم، فالمعنى: يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانًا. واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لوجهين: أحدهما أن الكفار لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل، والآخر قوله: «الغيب» فإن البخل وما بمعناه لا يتعدى بكلمة «على» وإنما يتعدى بالباء فيقال: فلان ضنين بكذا ولا يقال: ضنين على كذا.

قوله: (حافة اللسان) أي جانبه والثنايا من الأسنان جمع ثنيه وهي أربع أسنان في مقدم الفم: اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى، ووراء الثنايا أسنان أربع يقال لها رباعيات: اثنتان منها عليا واثنتان منها سفلى ووراءها الأنيب الأربع: ثنتان من فوق وثنتان من تحت ووراءها الضواحك وهي أربع كذلك، ووراءها الأضراس: ثمانية من فوق وثمانية أخرى من تحت. **قوله:** (**استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول ﷺ والقرآن**) فإن «أين» ظرف مكان مبهم

﴿مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة يا من يشاءها ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مالك الخلق كله. قال عليه الصلاة والسلام: من قرأ سورة التكوير أعاذه الله من أن يفضحه حين تنشر صحيفته».

منصوب «بتذهبون» والاستفهام فيه للإنكار. شبّهت حالهم في تركهم ما هو الصواب والحق في باب الاعتقاد والعمل وعدولهم إلى ما هو الباطل في ذلك بحال من يترك الجادة وهي معظم الطريق ويتعسف إلى ما ليس بسبيل قط، فإنه يقال له: إلى أين تذهب؟ استضلالاً له وإنكارًا على تعسفه. فقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق وعدل عنه إلى الباطل على سبيل الاستعارة والمعنى: أي طريق تسلكون أبين من هذا الطريق الذي ظهرت حقيته ووضحت استقامته. و«إن» في قوله: ﴿إن هو﴾ نافية بمعنى ما هو؟ والتذكير بمعنى التذكر والعظة والعالمين يعم جميع ما سوى الله تعالى ممن يعلم وممن لا يعلم، وخص ههنا بمن يعلم من الإنس والجن حيث قيل: لمن يعلم والمخصص هو العقل. وقوله تعالى: ﴿لمن شاء﴾ بدل من قوله: ﴿للعالمين﴾ بإعادة الجار بدل البعض من الكل و ﴿أن يستقيم﴾ مفعول «شاء» كأنه قيل: ما هو إلا بيان وهداية للخلق أجمعين، ما هو إلا هداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق واتباع البرهان والدليل وإبداله من العالمين مع أن ذكر شامل لجميع المكلفين لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم، فكان بذلك كأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم. ثم بيّن أن مشيئة الاستقامة موقوفة على أن يعطي الله تلك المشيئة لأن تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشيئة أخرى، فظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة، وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله تعالى إعطاء تلك الإرادة. والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فأفعال العباد ثبوتًا وانتفاء موقوفة على مشيئة الله تعالى. وهذا قول أصحابنا. قوله: (يا من يشاءها) إشارة إلى أن الخطاب في قوله: ﴿وما تشاؤون﴾ ليس للمخاطبين بقوله: ﴿فأين تذهبون﴾ بل لبعض منهم وهم الذين عبّر عنهم بقوله: ﴿لمن شاء منكم﴾ فإن قوله: ﴿لمن شاء منكم﴾ يدل على أن منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لا يشاءها، فالخطاب لمن يشاءها منهم. وجعل المصنف قوله تعالى: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ من إقامة المصدر مقام الزمان كما في نحو: آتيك خفوق النجم. روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهم: وكّل الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم. فأنزل الله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ تمت سورة التكوير. والله أعلم بالصواب.

سورة الانفطار

مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾﴾ انشقت ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾﴾ أي تساقطت متفرقة ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾﴾ فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحرًا واحدًا ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها. وقيل: إنه مركب من بعث وراء الإثارة

سورة الانفطار

مـكيـة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

ذكر الله تعالى في أول هذه السورة أربعة أشياء من أشراط الساعة: اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان منها يتعلقان بالسفليات. وقال: إذا وقعت هذه الأشياء علمت كل نفس ما قدمت من خير وشر. ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والأرض كالبناء، ومن أراد تخريب دار فإنه أولاً يبدأ بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ وانتقض تركيبها وذلك يستلزم انتثار ما فيها من الكواكب وتساقطها متفرقة. ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها يخرب كل ما على وجه الأرض وينفذ بعض البحار إلى بعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخًا بينهما فحينئذٍ يصير الكل بحرًا واحدًا، وإنما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الأرض وتصدعها. قوله: (قلب ترابها وأخرج موتاها) يعني أن بعثرة الشيء عبارة عن تفريق أجزائه وتقليبها ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر.

كبسمل ونظيره بحثر لفظًا. ومعنى. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل أو صدقة ﴿وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ من سنة أو تركه ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب «إذا».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه. وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال

وفي الصحاح: بعثر الرجل متاعه وبحثره إذا فرقه وبدده وقلب بعضه على بعض، ويقال: بعثرت الشيء وبحثرته إذا استخرجته وكشفته. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿بعثر ما في القبور﴾ أبرز وأخرج ما فيها. انتهى. وقيل: إن بعثر مركب من بعث وراء مأخوذة من الإثارة كبسمل، فإنه مركب من بسم ولام مأخوذة من لفظة الله، وكذا بحثر فإنه بمعنى بعثر وهو مركب من البحث والراء المضمومة إليه والمعنى: بحث وأخرج موتاها، ومنه سميت سورة براءة المبحثرة لأنها تبحث عن أحوال المنافقين. **قوله:** (من عمل أو صدقة) أي يجوز أن يكون المراد بما قدمته ما عمله بنفسه من الأعمال الصالحة والسيئة مقدمًا على موته، وبما أخرته ما عمله بعد موته بأن سنه لمن بعده سنة حسنة كانت أو سيئة، فإن الأعمال الصادرة بمباشرة من بعده يصدق عليها أنها أعمال الميت أخرها عن موته إذ كان له مدخل في مباشرة من بعده بأن سنه له. وإسناد الفعل إلى سببه شائع كثير مثل: بنى الأمير. ويجوز أيضًا أن يراد بما قدمته الأموال التي تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له في النشأة الأخرى وبما أخرته الأموال التي خلفها لمن بعده من ورثته.

قوله: (ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع) فيكون المعنى: علمت نفس ما عملته من الطاعات وما أضاعت العمل به ولم تعمل. وقد مر أن تنكير «نفس» في الآيات لا ينافي إرادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه. والمقصود من الكلام تقرير أمر البعث والجزاء والزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة. فإن قيل: في أي موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم؟ قلنا: أما العلم الإجمالي فيحصل له في أول زمان الحشر لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر، وأما العلم التفصيلي فإنما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة. **قوله:** (أي شيء خدعك) إشارة إلى أن «ما» في قوله: ﴿ما غرك﴾ استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و «غرك» خبره، وأن غرك بمعنى خدعك وجرأك على عصيانه يقال: غره فلان يغره غرورًا إذا خدعه وجرأه عليه وآمنه من أن يصل إليه المكروه من قبله مع أنه غير مأمون. والمعنى: ما الذي خدعك وسوّل لك معصية ربك وآمنك من عقابه؟ والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ. **قوله:** (وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار) جواب عما يقال: قد سيقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم، فكيف يلائم لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم؟ والحال أن

الظالم، وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان فإنه يقول له: افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدًا أو لا يعاجل بالعقوبة. والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارًا بكرمه. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك أولاً قدر عليه ثانيًا. والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء،

الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو إلى الاغترار به لأن الكرم والجود عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لا للعوض، فلما لم يكن الكريم مستعيضًا بما عنده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المسيء وهذا يوجب الاغترار به. وقد روي أن عليًا رضي الله عنه دعا غلامه مرات فلم يجبه، فنظر فإذا هو بالباب فقال له: لم لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك. فاستحسن جوابه وأعتقه. ولولا أن كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام. وتقرير الجواب: أنا لا نسلم أن كرم الكريم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث إن إهمال الظالم يأبى كونه كريمًا بالنسبة إلى المظلوم، وكذا التسوية بين المطيع والعاصي، وبين الموالي والمعادي[1] فثبت أن محض الكرم لا يقتضي الاغترار به، فكيف إذا انضم إليه وصف كونه قهارًا منتقمًا ذا بطش شديد؟ ثم أشار إلى فائدتين أخريين لذكر الكريم فقال: والإشعار بما به يغره الشيطان وقال ثانيًا: والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته. فإن كل واحد منهما معطوف على قوله: «للمبالغة» فكأنه قيل: أيها العاصي كيف تتجرأ على معصيته مع أن كرمه يستدعي أن لا يسوّي بين المطيع والعاصي؟ ولم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع أنها تستدعي الجد في الطاعة قضاء لحق شكره على كرمه؟ وفيه إشارة إلى أن سبب اغترار بني آدم تسويل الشيطان بقوله: افعل ما شئت فإن ربك كريم. ثم إنه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم أتبعه بقوله: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه، ودلالته على الربوبية ظاهرة لأن من فعل هذه الأمور الثلاثة في المخلوق لا جرم يكون ربًا مالكًا له، وكذا دلالته على الكرم لأنه لا شك أن أصل الخلق والإيجاد كرم وجود لأن الوجود محض كرم، وكذا تسوية الأعضاء وتعديل البنية فإن سلامة الأعضاء كونها مسواة أي تامة الخلق سالمة عن النقصان في خلقتها بحيث يكون الشخص بها بشرًا سويًا تام الخلق سليم الأعضاء. انتهى. **قوله: (والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء)** الظاهر أنه أراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة لكون كل واحدة منها منكسرة بحصول الفعل والانفعال بينها. وبتناسب الأعضاء كون كل عضو منها معادلاً للآخر لئلا يتفاوت بعضها عن بعض،

أو معدلة بما يستعدّها من القوى. وقرأ الكوفيون «فعدلك» بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقه غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ⑧﴾ أي ركبك في أي صورة شاءها. و«ما» مزيدة وقيل: شرطية و«ركبك جوانبها والظرف صلة «عدلك» وإنما لم تعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدّلك.

مثل أن تكون إحدى اليدين أطول من الأخرى وكذا الرجلان والأذنان، ومثل أن تكون إحدى العينين أوسع من الأخرى. قال علماء التشريح: إنه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها، ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة عنها، فكل ما في أحد الجانبين مساوٍ لما في الجانب الآخر كأنه عدل له.

قوله: (أو معدلة بما يستعدها من القوى) عطف على قوله: «معتدلة» والمنوي في يستعدها ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الأعضاء أي والتعديل جعل كل عضو من أعضاء البنية معادلاً مناسبًا لما بني له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتكلم والعين للإبصار إلى غير ذلك، فالتعديل على هذا بين الأعضاء ومنافعها التي هي القوى المودعة فيها، والبارز المنصوب في يستعدها راجع إلى «ما» وأنث العائد إليها لكونها عبارة عن القوى. وذكر لقراءة «عدلك» بالتخفيف وجهين: الأول أنه بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت، والثاني أنه من العدول أي فصرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر الحيوانات إلى أحسن تقويم. والفاء في قوله: ﴿فسواك فعدلك﴾ لإفادة أن ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لأنها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد ذكر المجمل كما في نحو قولك: أجبته فقلت: لبيك، والتسوية في الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية. **قوله**: (أي ركبك في أي صورة شاءها) أي الله تعالى على أن قوله: ﴿في أي صورة﴾ متعلق «بركبك» وإن «شاء» في موضع الجر على أنه صفة لصورة، فلذلك قدر الضمير الراجع إليها بعد «شاء» ليربط به جملة الصفة بالموصوف ولم تعطف جملة «ركبك» على ما قبلها لأنها بيان لقوله: ﴿فعدلك﴾ أي فعدلك بأن ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة، ومن الصور التي تشبه الأب والأم أو أقارب الأب أو أقارب الأم أو لا تشبه واحدًا منهم. **قوله**: (وقيل شرطية) أي قيل «ما» شرطية و«شاء» فعل الشرط و«ركبك» جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم، والمعنى: ما شاء من الصور ركبكِ عليها، والجملة الشرطية في موضع الجر على أنها صفة لصورة أيضًا والعائد محذوف وهو عليها. فعلى هذا

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى. وقوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾﴾ إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو الإسلام. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والإهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كرامًا عند الله لتعظيم الجزاء. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ بيان لما يكتبون لأجله ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يقاسون حرها. ﴿يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ لخلودهم فيها. وقيل: معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يجدون سمومها في القبور.

يكون قوله: ﴿في أي صورة﴾ متعلقًا «بعدلك» ولا يجوز أن يتعلق «بركبك» لأن ما كان في حيز الشرط لا يتقدم عليه. فإن قيل: كيف يجوز أن يكون الظرف صلة «عدلك» مع أن «أيًا» اسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها؟ قلنا: من جعله متعلقًا «بعدلك» جعل قوله: «في أي صورة» بمعنى التعجب كما في قولك: مررت برجل أي رجل كأنه قيل: فعدلك في صورة أي صورة أي في صورة عجيبة، ثم حذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجيب. **قوله:** (إضراب) أي إعراض عن إيجاب الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى عليهم بجعله كالمسكوت عنه إلى بيان ما هو السبب في اغترارهم بالكرم وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزاء على أن يكون المراد بالدين الجزاء، يقال: دانه دينًا أي جازاه. وإن أريد بالدين الإسلام كما قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] يكون المعنى كيف ترتدعون عن الاغترار بالكريم وأنتم مصرون على تكذيب الإسلام الذي هو السبب الأصلي للاغترار به تعالى والجراءة على عصيانه؟ فإن كل واحد من تكذيب الجزاء ومن تكذيب الإسلام والإصرار عليه سبب أصلي في الاغترار والجراءة. **قوله تعالى:** (وإنَّ عليكم لحافظين) يجوز أن يكون حالاً من فاعل «تكذبون» أي تكذبون والحالة هذه. ويجوز أن تكون جملة مستأنفة أخبرهم الله تعالى بذلك لينزجروا عما هم عليه من الإصرار على الكفر والتكذيب، فإن من وكّل به ملائكة كرام على الله يكتبون أعماله ليحاسب يوم البعث والجزاء من عظائم الأمور عند الله تعالى، فإنه لولا ذلك لما وكل بضبط الأعمال مثل هذه الملائكة الكرام. وصف الملائكة بكونهم حافظين لحفظهم الأعمال، وبكونهم كرامًا لكرامتهم عند الله تعالى بجدهم في طاعته، وبكونهم كاتبين لأنهم يكتبون أعمال بني آدم على علم منهم بجميع أعمالهم. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ما تفعلون﴾ يعم أفعال القلوب وهو من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله تعالى فكيف يكتبها الملائكة؟ وقد دلت الآية على أنهم يكتبون جميع أفعال المكلفين من أفعال القلوب ومن أفعال الجوارح. أجيب بأن ﴿ما تفعلون﴾ عام مخصوص بأفعال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع. وسئل سفيان الثوري كيف تعلم الملائكة أن

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أي كنه أمره بحيث لا تدركه دراية دار. ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً. ورفع ابن كثير والبصريان «يوم» على البدل من «يوم الدين» أو الخبر المحذوف. قال ﷺ: «من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة».

العبد هم بمعصية أو بحسنة؟ قال: إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن. ومحصول كلامه أنّا لا نسلم أن أفعال القلوب بالنسبة إلى الملائكة من قبيل المغيبات التي لا يعلمها إلا الله بل هي بالنسبة إليهم مما نصب عليه دليل. ثم إنه تعالى بعد أن وصف الكرام الكاتبين لأحوال العباد ذكر العاملين فقال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ والمراد نعيم الجنة وجحيم النار الموقدة و﴿يصلونها﴾ أي يدخلونها صفة الجحيم أو حال من المنوي في الخبر و﴿يوم الدين﴾ ظرف ليصلونها. ولما بيّن أنهم يقاسون حرها يوم القيامة بيّن أنهم مخلدون فيها ولا يخرجون منها فقال: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ ويجوز أن يكون معناه يصلونها يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك في قبورهم.

قوله: (تعجيب وتفخيم) يعني أن قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ تعظيم لذلك اليوم، ثم كرر تعجيبًا للمخاطب وتفخيمًا لشأن اليوم وقوله: «لا تدركه دراية دار» إشارة إلى أن ما أدراك خطاب عام. وقيل: إنه خطاب له عليه الصلاة والسلام خاطبه بذلك لأنه ما كان عالمًا بذلك قبل الوحي. وقيل: الخطاب للكافرين زجرًا لهم وتهديدًا. **قوله:** (**تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً**) فإن اليوم الذي لا ينفع المرء فيه إلا الإيمان والطاعة ولا تستطيع نفس أن تنفع نفسًا ولا أن تدفع عنها ضررًا، كيف يكون فيه حال من خالف الملك الجبار وعصاه؟ قرأ الجمهور «يوم لا تملك» بفتح الميم. ثم اختلفوا في أنها فتحة إعراب أو فتحة بناء؟ فمن قال إنها حركة إعراب ذكر لنصبه وجوهًا: أحدها أن تكون بدلاً من «يوم الدين» في قوله: «يصلونها يوم الدين». وثانيها أن تكون ظرفًا لفعل محذوف يدل عليه الدين أي يدانون ويجازون في ذلك اليوم. وثالثها أن يكون منصوبًا «باذكر» أو أعني فيكون مفعولاً به. ومن قال إنها فتحة بناء قال: إنما بنى لإضافته إلى الجملة وما أضيف إلى غير المتمكن يبنى على الفتح. وقوله: «أو الخبر» أي أنه في موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو يوم لا تملك. فإنه لما قيل: ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ أخبر عنه بأنه ﴿يوم لا تملك﴾.

تمت سورة الانفطار بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

سورة التطفيف

مختلف فيها وآيها ست وثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ①﴾ التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس طفيف أي حقير. روي أن أهل المدينة كانوا أبخس الناس كيلاً. فنزلت فأحسنوه وفي الحديث: «خمس بخمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوّهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل

سورة المطففين
بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قال مقاتل: هي أول سورة نزلت بالمدينة. وقيل: هي مدنية إلا ثمان آيات وهي من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخر السورة. وقيل: مكية. وقال الكلبي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لأنفسهم، فنزلت الآيات فخرج عليه السلام فقرأها عليهم. وقال: «خمس بخمس» إلى آخر الحديث. فأحسنوا الكيل بعد ذلك. وقال السدي: قدمها وبها رجل يسمى أبا جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما للغير ويكال بالآخر لنفسه، فنزلت فأحسنوا الكيل. انتهى. **قوله تعالى: (ويل)** مبتدأ و«للمطففين» خبره. وجاز الابتداء به إما لأنه اسم لوادي مخصوص في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره أي لذابت، وإما لكونه دعاء فإنه في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعل «لا» من لفظه فإن أصله أهلكهم الله تعالى ويلاً أو هلكوا ويلاً، فلما حذف الفعل وسد

إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر». ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢﴾ أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية، وإنما أبدل على بـ «من» للدلالة على اكتيالهم لمالهم على الناس، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ أي إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم. ﴿يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾ فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله:

ولقد جنيتك أكمؤًا وعساقلا

الويل مسده عدل إلى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما في سلام عليك، فلما كان الويل في الأصل مصدرًا سادًا مسدًا الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك. وفي الصحاح: الطفيف القليل والتطفيف نقض المكيال، وهو أن لا يملأ إلى أصباره أي رأسه. وفيه أيضًا البخس الناقص قال تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] وقد بخسه حقه يبخسه بخسًا إذا انقصه، وسمي البخس في الكيل والوزن تطفيفًا أي تقليلاً لكون ما يبخس شيئًا طفيفًا أي قليلاً حقيرًا، فإن من لا يملأ المكيال إلى جوانبه، وكذا من لا يسوي عمودًا لميزان لا ينقص إلا شيئًا قليلاً من حق المشتري لأن نقص الكثير يظهر فيمنع منه. **قوله:** (أي إذا اكتالوا من الناس) يعني أن الاكتيال أخذ الحق من الغير بالكيل كما أن الاتزان أخذه منه بالوزن فهما أخذ الحق لنفسه. والكيل والوزن إعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان، فحق الاكتيال أن يتعدى بكلمة «من» حيث يقال: كلت من فلان ولا يقال: كلت على فلان إلا أن كلمة «على» أقيمت في الآية مقام «من» لوجهين: الأول الدلالة على أن المأخوذ الحق الثابت له على الناس. فإنه إذا قيل: اكتلت منه لا يفهم منه إلا أنه أخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه أولاً. والثاني الدلالة على أن اكتيالهم من الناس اكتيال فيه إضرار لهم وتحامل عليهم، فإن كلمة «على» تدل على الإضرار والظلم يقال: تحامل عليه أي ظلمه. فقولهم: اكتال عليه يفهم منه أنه أخذ منه أخذًا متضمنًا للتحامل عليه. والوجه الأول أظهر. **قوله:** (أي إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم) يعني أن الكيل والوزن عبارتان عن الإعطاء للغير بالمكيال والميزان، فاللغة الشائعة فيهما أن يقال: كالوا لهم أو وزنوا لهم ولا يقال: كاله أو وزنه. ونظم الآية إما من قبيل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والأصل: كالوا مكيلهم أو وزنوا موزونهم، وإما من قبيل الحذف والإيصال كما في قوله:

(ولقد جنيتك أكمؤًا وعساقلاً) ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

بمعنى جنيت لك. أو كالوا مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها، ويستدعي إثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه. وفيه إنكار وتعجب من حالهم.

والأصل جنيت لك أي لأجلك نوعين من الكماة من أجودها. فإن أكمؤًا جمع قلة واحدها كمء والكمأة جمع كثرة لكمء أيضًا على غير القياس، والتنوين في أكمؤًا للتعظيم. والعساقل ضرب من الكماة الواحدة عسقول وهي الكماة الكبار البيض التي يقال لها شحمة الأرض. وبنات الأوبر كماة صغار مزغبة على لون التراب وهي أردأ أنواع الكماة والزغب الشعرات الصغار من ريش الفرخ. **قوله:** (**ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل**) أي لا يحسن أن يكون كلمة «هم» في الموضعين ضميرًا مرفوعًا منفصلاً مؤكدًا للضمير المتصل في «كالوا» أو «وزنوا» العائدين إلى المطففين لوجهين: الأول أن المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع وأنهم حال الأخذ يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون. وعلى تقدير أن يجعل المنفصل تأكيدًا للمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود ويكون أول الكلام دالاً على أنهم يستوفون حال الأخذ، ويكون ما بعده دالاً على أنهم إذا تولوا الكيل والوزن هم بأنفسهم على الخصوص اخسروا، وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل وهو الاكتيال والكيل لا في المباشر. والوجه الثاني أن الضمير لو كان مرفوعًا مؤكدًا للمنفصل لوجب أن يكتب الألف بعد واو الجمع في إمام المصاحف كما هو الأصل في أمثاله مثل: قعدوا هم وقاموا هم، وهذا الوجه ضعيف لأن رسم المصحف كثيرًا ما يخالف القياس المقرر في علم الخط.

قوله: (**وفيه إنكار وتعجب من حالهم**) في الاجتراء على التطفيف والإنكار مستفاد من صورة الاستفهام، فإن «ألا» هنا ليست للتنبيه بل هي همزة الاستفهام دخلت على «لا» النافية فأفادت الإنكار على انتفاء ظنهم، والتعجب مستفاد من ذكر الظن في موضع ذكر اليقين والإنكار على انتفائه، فإن الواجب على العاقل أن يتيقن البعث والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه، وأن لا يتجاسر على ما يوجب الافتضاح والخجالة على رؤوس الأشهاد في يوم الحساب وإن لم يتيقن به فلا أقل من أن يظنه، ومن تجاسر عليه يرى من ظاهر حاله أنه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر بباله فضلاً عن التيقن به، فإن الظن كافٍ في حصول الخوف الموجب للامتناع عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه عنه يدل على أنه لا يظن ذلك،

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ عظمه لعظم ما يكون فيه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ نصب «بمبعوثون» أو بدل من الجار والمجرور. ويؤيده القراءة بالجر. ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ لحكمه. وفي هذا الإنكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه. ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب. ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم. ﴿لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال: ﴿وَمَآ

وذلك أمر عجيب حيث كان أسوأ حالاً من الكفار فإنهم يظنون البعث ويقولون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]. **قوله: (أو بدل من الجار والمجرور)** فإنه منصوب المحل. **قوله: (لحكمه)** قدر المضاف لأن ذاته تعالى لا تكون علة لقيامهم إلا باعتبار كونه حاكمًا وآمرًا بذلك. **قوله: (وذكر الظن)** فإن ذكره ليس لأجل إن أمر البعث والقيام من القضايا التي يكفي المؤمن أن يظن بوقوعها لأنه مما يجب أن يعتقد به المؤمن اعتقادًا جازمًا ثابتًا، بل إنما ذكر للمبالغة في المنع عن التطفيف لدلالته على أن الظن بالبعث والقيام يكفي في الامتناع والارتداع عن أمثاله فضلاً عن الجزم واليقين به. وكذا وصف اليوم بالعظم فإن ما يستعظمه الله تعالى لا شك أنه يكون في غاية العظمة، وقد مر أن عظمته لعظم ما يكون فيه من الأهوال. وكذا ذكر قيام الناس فيه لله الكبير المتعال أي لحكمه يدل على المبالغة في المنع عن ذلك. وكذا ذكر وصف نفسه بالربوبية للعالمين فإن من كان مالكًا للعالمين وكان العالم بأسره مسخرًا في قبضته وقدرته كيف يمتنع عنه الظالم القوي وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف؟ فإن مقتضى الربوبية أن لا يضيع شيئًا من حقوق المستحقين؟ وأصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله أولاً: ﴿ويل للمطففين﴾ فإنها كلمة تقال لمن استحق أن ينزل عليه بلية وآفة فيقال: ويل لك زجرًا له عما هو فيه، فدل بذلك على أن المطففين ينزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل، فما ذكر بعده يكون للمبالغة في المنع. قال أعرابي لبعض الملوك: إنك قد سمعت ما قال الله عز وجل في المطففين ـ أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل ـ فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بغير كيل ولا وزن؟ **قوله: (ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم)** جواب عما يقال: أخبر الله تعالى بأن كتاب الفجار في سجين، ثم فسر السجين بقوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ فصار كأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه؟ أجاب عنه المصنف أولاً بأن الكتاب في قوله: ﴿كتاب الفجار﴾ مصدر كتب يقال: كتب كتبًا وكتابًا وكتابة، أطلق في الآية بمعنى المكتوب كضرب الأمير، والكتاب الذي فسر به السجين بمعنى السفر الذي كتب فيه الأعمال والمعنى: الأعمال المكتوبة للفجار مثبتة في الكتاب الجامع لجميع أعمال الفجرة. وثانيًا بأن الكتاب

أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ أي مسطور بين الكتابة، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، فعيل من السجن لقب به الكتاب لأنه سبب الحبس، أو لأنه مطروح كما قيل: تحت الأرضين في مكان وحش. وقيل: هو اسم مكان والتقدير: مكان السجين، أو محل كتاب مرقوم فحذف المضاف.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾ بالحق أو بذلك. ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾﴾ صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة. ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز عن النظر غال في

الأول مصدر مستعمل في أصل معناه وهو في النظم مصدر مضاف والتقدير: أن كتابة أعمال الفجار ثابتة في السجين الذي هو كتاب جامع لأعمال الفجرة. **قوله: (أي مسطور بين الكتابة)** وفي الصحاح: الرقم الكتابة والختم. فإن فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب للدلالة على أنه بين الكتابة بحيث كل من نظر إليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وإمعان بوجه، وإن فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على أن ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار لأن الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لأنه مقام الذم والتهويل. **قوله: (فعيل من السجن)** اختلف في أن السجين علم لشيء معين أو اسم مشتق، فمن ذهب إلى الثاني قال: إنه فعيل من السجن وهو الحبس كما أن الفسيق مشتق من الفسق فهو في الأصل من أسماء الصفة وموضوع للمبالغة، ثم نقل من الوصفية وجعل لقبًا للكتاب لكونه سببًا لحبس صاحبه، ومعنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة في كونه سبب الحبس والتضييق فإنه يؤول إلى حبس لا يجد صاحبه فيه شيئًا من الروح والسعة.

قوله: (أو لأنه مطروح) أي ويجوز أن يكون السجين مبالغة المسجون، ثم نقل من الوصفية وجعل لقبًا للكتاب لكونه مطروحًا في أسفل المواضع وأوحشها وهو أسفل سبع أرضين وفيه إبليس وذريته لعنه الله، فيطرح فيه الكتاب الجامع لأعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارهم وخفة مقدارهم، ولا يصعد به إلى السماء كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]. **قوله: (وقيل هو اسم مكان)** أي وقيل: إنه ليس بمشتق بل هو اسم علم لشيء معين هو الأرض السابعة السفلى، أو حية في جهنم، أو صخرة تحت الأرض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها. فعلى تقدير أن يكون السجين اسم مكان لا يصح أن يحمل عليه كتاب مرقوم إلا بأن يقدر المضاف في قوله: ﴿ما سجين﴾ أو في قوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ ليصح الحمل. وإليه أشار المصنف بقوله: «والتقدير مكان السجين أو محل كتاب مرقوم». **قوله: (للمكذبين بالحق)** أي بما يجب تصديقه من الحق أي حق كان. وقوله: «أو بذلك» أي ذلك اليوم الذي

التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الإعادة. ﴿أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ منهمك في الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ من فرط جهله وإعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن هذا القول. ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا

يقوم فيه الناس لرب العالمين. ولم يذكر صلة المكذبين إما للتعميم لكل ما يجب أن يصدق به، وإما لدلالة القرينة عليه وهو يوم يقوم الناس فيه فعلى الأول يكون قوله تعالى: ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ **صفة مخصصة لكون مفهومه أخص من مفهوم موصوفه، وعلى الثاني صفة موضحة إن كان ذات الموصوف معلومًا للمخاطب بوجه ما ومجهولاً من حيث إنه يصدق عليه مفهوم الصفة، وإن كان معلومًا له من هذه الحيثية أيضًا تكون الصفة للذم. فإن الصفة الموضحة لا بد أن يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها ولا يكون بينهما فرق إلا بالإجمال والتفصيل باشتمال مفهومها على زيادة تفصيل وبيان ليس في مفهوم الموصوف بحيث يصلح أن يكون معرفًا له كما في قولك: الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله. قوله: (المخدجة) أي المنتجة نتيجة باطلة لا يعتد بها من أخدجت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق. والاعتداء هو التجاوز للحد عن النهج الحق، وحمله المصنف على إهمال القوة النظرية التي كاد أن يعرف الإنسان بها الحق لذاته كوجود الصانع ووحدته واستكماله لجميع صفات الجلال والجمال، ومن يكذب بالبعث والقيامة إنما يكذب لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرًا على جميع الممكنات، أو لاستقصاره علمه تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات ليعلم أنه تعالى عالم بتفاصيل أجزاء كل شخص متميزة عن أجزاء غيره، وأنه تعالى قادر على جمعها وإعاة الحياة فيها. ولا شك أن من وصف الله تعالى بما لا يجوز أن يوصف به فقد أهمل قوته النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة ويعتقد بها. والأثيم يدل على المبالغة في ارتكاب الإثم والمعصية بسبب الاتباع للشهوة والغضب فإنه يستلزم إهمال القوة العملية التي كمالها أن تعرف الحق لأجل العمل به. ثم إنه تعالى وصف الكذب بيوم الدين بوصف ثالث فقال:** ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ **وهذا من الاعتداء عن النظر في شواهد النقل بإنكار النبوة والقدح في كون القرآن من عند الله تعالى. والاعتداء بهذا الوجه وإن كان مندرجًا في الاعتداء المذكور أولاً إلا أنه خص بالذكر للمبالغة في ذم من اتصف به فإن أمر الإرسال والإنزال أشرف آثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده ومن أنكرهما فهو في غاية الطغيان، فلا يستبعد منه تكذيبه بيوم الدين. وفي الصحاح: السطر بسكون الطاء الصنف من الشيء، ويجمع على أسطر وسطور مثل أفلس وفلوس في**

كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ رد لما قالوه وبيان لما أدى بهم إلى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل، فإن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام: «إن العبد كلما أذنب ذنبًا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه» والرين الصدأ. وقرأ حفص «بل ران» بإظهار اللام. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر «بل رين» بالإمالة. ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن الكسب الرائن. ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلاً لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك، أو قدر مضافًا مثل: رحمة ربهم أو قرب ربهم.

جمع فلس، والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على أسطار مثل سبب وأسباب، ثم يجمع على أساطير والأساطير الأباطيل جمع أسطورة بالضم، أو إسطارة بالكسر. فأساطير الأولين أحاديثهم وأخبارهم الباطلة. **قوله:** (رد لما قالوه) من أن ما يتلى عليهم أساطير يعني أن كلمة «بل» ههنا للإضراب عن قولهم ذلك بعد ردعهم عنه، وأن وجه الإضراب عنه إبطاله. وقد يكون الإضراب لمجرد الإعراض عما سبق وجعله في حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو أهم، وههنا أضرب عنه لبطلانه في نفسه وشرع في بيان ما أدى بهم إليه كأنه قيل: ليس الأمر كما يقولون من أنه أساطير بل كان ما كسبوه من الأفعال القبيحة سببًا لحصول الرين وهو الدنس والصدأ في قلوبهم، فلذلك أضرب عن ذلك القول الباطل.

قوله: (فإن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات) تعليل لكون الانهماك في المعاصي سببًا لغلبة حب المعاصي عليهم، فإن الإنسان كلما تكرر عليه مباشرة المعصية حصلت في قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها اتقاؤه عن ارتكابها بل يزداد ميله ورغبته فيها، فذلك رين ودنس وظلمة على القلب مانعة من إدراك الحق والباطل، كما أن الطاعات لها أنوار وضياء معينة لمعرفة الحق والباطل، فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة واسودادًا وبحسب اسوداده يزداد المرء وقاحة حتى إذا اسودّ القلب كله ـ والعياذ بالله تعالى ـ لم يبق في قلبه شيء من المعرفة والحياء، ويرتفع بالكلية ما يمنعه عن ارتفاع الشهوة والغضب فيغلب عليه حب المعاصي بحيث لا يقدر على الامتناع عنها. وكلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿ما كانوا يكسبون﴾ يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية أي غلب على قلوبهم كسبهم الذي كانوا يكسبونه. **قوله:** (فلا يرونه بخلاف المؤمنين) وهذه الآية من جملة أدلة الرؤية، فإن المؤمنين لو لم يروه في الآخرة كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بأنهم محجوبون عن الله تعالى فائدة. وأيضًا أنه ذكر الحجاب هنا في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦)﴾ ليدخلون النار ويصلون بها. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾ يقوله لهم الزبانية: ﴿كَلَّا﴾ تكرير للأول ليعقب بوعد الأبرار كما عقب بوعيد الفجار إشعارًا بأن التطفيف فجور والإيفاء بر، أو ردع عن التكذيب. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠)﴾ الكلام فيه ما مر في نظيره. ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)﴾ يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على ما فيه يوم القيامة. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على الأسرة في الحجال ﴿يَنظُرُونَ (٢٣)﴾ إلى ما يسرهم من النعم والمتفرجات. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤)﴾ بهجة

وعيدًا وتهديدًا لهم لا يجوز حصوله في حق المؤمن، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن:

يراه المؤمنون بغير كيف ... وإدراك وضرب من مثال

فينسون النعيم إذا رأوه ... فيا خسران أهل الاعتزال

وأجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال بأن الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الرؤية حتى يقال إنه تعالى لما خص الحجاب بالكفار دل ذلك على أنه مرفوع عن الأبرار بل هو مجاز عن كونهم أذلاء مهانين عند الله تعالى، شبّهت حالهم تلك بحال من كان محجوبًا عن بعض السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه للدخول عليه، فأطلق عليهم اسم المشبه به. ومنهم من أجاب بأن تقدير الكلام أنهم عن رحمة ربهم أو عن قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك. **قوله: (تكرير للأول)** وهو قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] فيكون ردعًا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله. لما ذكر حال الفجار المطففين أتبعه بذكر حال الأبرار الذين لا يطففون. **قوله: (الكلام فيه ما مر)** فالمعنى الأعمال المكتوبة للأبرار أو كتابة أعمالهم ﴿لفي عليين﴾ أي لفي كتب جامعة لجميع أعمال الأبرار على أن عليين في الأصل جمع «على» وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه، ثم نقل عن الوصفية وجعل علمًا للكتاب الجامع لكونه سببًا لعلو صاحبه غاية العلو. وقيل: عليون اسم مكان إعرابه كإعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع. ثم اختلفوا في ذلك المكان؛ وقيل: هو السماء الرابعة. وقيل: هو السماء السابعة. وقيل: هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة. وقيل: هو سدرة المنتهى. فعلى تقدير كونه اسم مكان لا يحمل عليه كتاب مرقوم إلا بأن يحمل الكلام على تقدير المضاف في الأول أو في الثاني، ويكون التقدير: وما أدراك ما كتاب عليين أو هو محل كتاب مرقوم. **قوله: (على الأسرة في الحجال)** وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس يزين بالأسرة والثياب والستور، فإن الأسرة لا تسمى أريكة إلا

التنعم وبريقه. وقرأ يعقوب «تعرف» على بناء المفعول و«نضرة» بالرفع. ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ شراب خالص ﴿مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته، أو الذي له ختام أي مقطع هو رائحة المسك. وقرأ الكسائي «خاتمه» بفتح التاء أي ما يختم به ويقطع. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ يعني الرحيق أو النعيم. ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦)﴾ فليرتغب المرتغبون. ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧)﴾ علم لعين بعينها سميت تسنيمًا لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها. ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ فإنهم يشربونها صرفًا لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر أهل الجنة. وانتصاب «عينًا» على المدح أو الحال من «تسنيم» والكلام في الباء كما في ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ يعني رؤساء قريش. ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ (٢٩)﴾ كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين. ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠)﴾ يغمز بعضهم بعضًا

إذا كانت في الحجال. عن الحسن قال: كنا لا ندري ما الأريكة حتى لقينا رجل من أهل اليمن أخبرنا أن الأريكة عندهم ذلك. ولما عظم الله تعالى كتاب الأبرار في الآية المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢] والرحيق من الشراب ما لا غش فيه ولا شيء يفسده. **قوله: (أي مختوم أوانيه)** من الأكواب والأباريق أي هو ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار. وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل إليه. **قوله: (أو الذي له ختام)** عطف على قوله: «أي مختوم أوانيه بالمسك» أي يجوز أن يكون قوله: ﴿ختامه مسك﴾ بمعنى مقطعه إذا شرب رائحة مسك بأن توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فإن ختام الشيء وخاتمه آخره. **قوله: (والكلام في الباء كما الخ)** أي كما مر في سورة الإنسان من أنها إما صلة الالتذاذ أي يشرب المقربون متلذذين بها، أو بمعنى «من» لأن الشرب يبتدأ منها، أو مزيدة أي يشربها بتقدير يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب وإنما يشرب ماؤها. ويحتمل أن تكون بمعنى «في» أي يشربون وهم فيها، والجملة في موضع الصفة لقوله: «عينًا».

قوله: (يعني رؤساء قريش) إشارة إلى أن سبب النزول أن أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة وأمثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم كعمار بن صهيب وبلال، فنزلت. ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما وصف كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم، ثم بيّن أن ذلك سيقلب على الكفار في الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم.

ويشيرون بأعينهم. ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ ملتذين بالسخرية منهم. وقرأ حفص «فكهين». ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال. ﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم. ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار. وقيل: يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليه غلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ حال من «يضحكون». ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ هل أثيبوا ﴿مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾. وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة».

وذكر من معاملاتهم القبيحة أربعة أشياء: أولها قوله: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ **أي يستهزئون بهم وبدينهم. وثانيها قوله:** ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ **والتغامز تفاعل من الغمز وهو الإشارة بالجفن والحاجب، ويكون الغمز أيضًا بمعنى العيب والمعنى: أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاء بهم ويعيبونهم ويقولون: انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه في الآخرة من المثوبات، مع أن أمر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد. وثالثها قوله:** ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين﴾ **أي معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين، وهو حال من فاعل «انقلبوا» كما أن «حافظين» حال من فاعل «أرسلوا». قيل: فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين متلذذين. وقيل: فاكهين أي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات وفكهين معجبين. ورابعها قوله تعالى:** ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ **أي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أو لا، ثم قال:** ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ **يعني أن الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم أحوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق أو باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالاً، وإنما أمروا بإصلاح أنفسهم وأي نفع لهم في تتبع أحوال غيرهم.**

تمت سورة المطففين والحمد لله رب العالمين

سورة الانشقاق

مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ بالغمام كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] وعن علي رضي الله عنه: تنشق من المجرة.

سورة الانشقاق

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (انشقت بالغمام) الانشقاق التصدع وذلك من علامات القيامة. والغمام السحاب، والباء فيه للآلة كما في قولهم: انشقت الأرض بالنبات. والمعنى: إن السماء تتصدع بغمام يخرج منها. قيل: يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك أشد وأوجل من حيث إنه جاء العذاب من موضع الخير. فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة. وقيل: تنشق للسقوط والانتقاض. ويؤيد الأول ما روي من أنها تنشق من المجرة وهي باب السماء يقال لها بالفارسية راه كهكشان، وهي ترى في الشتاء في أول الليل في ناحية السماء، وفي الصيف في أول الليل في وسط السماء وتنتقل في آخر الليل إلى غير موضعها، ويقال: إن النجوم تقاربت في المجرة فطمس بعضها فصارت كالسحاب.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ واستمعت له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له. ﴿وَحُقَّتْ ۝٢﴾ أي وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال: حق بكذا فهو محقوق وحقيق. ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ بسطت بأن تزال جبالها وأكامها. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ما في جوفها من الكنوز والأموات. ﴿وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾

قوله: (واستمعت له) الجوهري: أذِن له أذنًا استمع. وأنشد.

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحًا وكل ما سمعوا من صالح دفنوا
صمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذكرت به وإن ذكرت بشرٍّ عندهم أذنوا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن». أي ما استمع إلى شيء كاستماعه إلى صوت نبي يقرأ القرآن المنزل عليه، وهو مجاز عن الاعتداد بذلك والاستحماد له أي لا يعتد بشيء كاعتداده بذلك. فإن حقيقة الإصغاء والاستماع لما لم تتصور في حقه تعالى حملت على غايتها التي هي الاعتداد والرضى، وإذا أسند إلى نحو السماء ممن ليس من أهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازًا عن المطاوعة لتأثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بأن شبهت حال السماء في انقيادها لتأثير قدرته تعالى حين أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للآمر، فاستعير لانقيادها لفظ الإذن والاستماع المستعمل في غاية التي هي انقياد المأمور المطيع، فهو مجاز في المرتبة الثانية. قال الإمام: إنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق أجزائها، فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذعن ولم يمتنع، كقوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] وكذا قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢، ٥] وحقت عبارة عن نفوذ القدرة في الإيجاد والإعدام وتفريق الأجزاء من غير ممانعة أصلاً. **قوله:** (**فهو محقوق وحقيق**) أي جدير بأن يستمع وينقاد لأنها ممكنة لذاتها والممكن لذاته يحق له أن ينقاد لقدرة من يؤثر في وجوده وصفاته وأفعاله.

قوله: (**وأكامها**) جمع أكم بفتحتين مثل جبل وجبال، والأكم بضمتين مثل عنق وأعناق، والأكم جمع أكام مثل كتب وكتاب، والأكام جمع أكم مثل جبل وجبال، والأكم جمع أكمة مثل ثمر وثمرة، والأكمة الجبل الصغير. فإن زلزلة الساعة تزيل جبال الأرض وأكامها وينسفها ربي نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، فيستوي ظهر الأرض وينبسط. والمد بمعنى البسط مأخوذ من مددت الشيء فامتد، ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: مدت مد الأديم العكاظي: فإن الأديم إذا مد زال كل

وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في الإلقاء والتخلية ﴿وَحُقَّتْ ۝٥﴾ للإذن وتكرير إذ الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالإبهام، أو الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار، أو بدلالة قوله:

انثناء فيه واستوى. وقيل: إنه مأخوذ من مده إذا أمده أي يتزايد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب. واعلم أنه لا بد من الزيادة في وجه الأرض سواء كان ذلك بتمديدها أو إمدادها، لأن الخلائق بأسرهم من الأولين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة لا بد من الزيادة في طولها وعرضها. عن علي بن الحسن أنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه». يعني لكثرة الخلائق فيها.

قوله: (وتكلفت) أي خلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء فصارت بذلك كأنها تكلفت في الخلو أقصى وسعها وطاقتها، فإن حقيقة التكلف غير متصورة في الأرض. والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة. وقوله: ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ ليس بتكرار لأن الأول في حق السماء وهذا في الأرض. ثم إنه تعالى لما ذكر من مقدمات القيامة ومباديها أمورًا وجعلها شروطًا ولم يذكر جزاءها ليكون إبهامه أدخل في التهويل، كأنه قيل: إذا وقعت هذه الأمور كان ما لا يدخل تحت الوصف والبيان، خاطب جنس الإنسان خطابًا منزلاً منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين فقال له: ﴿إنك كادح إلى ربك كدحًا﴾ والكدح في اللغة السعي الشديد في العمل، وذلك العمل إما الذهاب إليه تعالى بأن يفارق البدن بالموت ويصل إلى عالم الأرواح، وإما أعماله التي عملها في الدنيا من الخير والشر فإنه يسعى بها إلى ربه فيحاسبه بها. فالمعنى على الأول: أنك ساع مجتهد تسير مع أنفاسك كما قيل: أنفاسك خطاك سيرًا سريعًا إلى ربك أي إلى لقائه بالموت ﴿فملاقيه﴾ عند مجيء أجلك فانظر بأي عمل تلقاه أي فألقه بعمل ينجيك لا بعمل يرديك. وعلى الثاني أنك كاد بعملك في دنياك كدًا وسعيًا تسير إلى ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر بأي عمل تسير إليه.

قوله: (أو الاكتفاء) عطف على التهويل يعني أن المحذوف إما مبهم يذهب ذهن السامع كل مذهب لإبهامه لكون ذلك أدخل في التهويل، أو متعين وهو قوله: علمت نفس ما تسعى فيه من خير وشر ولم يذكر اكتفاء بما مر. **قوله:** (أو بدلالة قوله) عطف على قوله: «ما مر» وقوله: «عليه» أي على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ عليه. وتقديره لاقى الإنسان كدحه أي جهدًا يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه، أو فملاقيه. ويا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه. ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾ سهلاً لا يناقش فيه. ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾ إلى عشيرته المؤمنين، أو فريق من المؤمنين، أو أهله في الجنة في ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠﴾ أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. قيل: يغل يمناه إلى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره. ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١﴾ يتمنى الثبور ويقول: يا ثبوراه وهو الهلاك ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ وقرأ الحجازيان الشامي والكسائي و«يصلى» كقوله

قوله: (لاقى الإنسان كدحه) أي عمله الذي كدح فيه وتعب. وفيه إشارة إلى أن ضمير «ملاقيه» راجع إلى الكدح إلا أن الكدح لكونه عرضًا لا يبقى بمتنع تلاقيه فلا بد من تقدير المضاف إليه أي فملاقي حسابه وحكمه لا مفر له منه. **قوله:** (أي جهدًا يؤثر فيه) بفتح الجيم وهو المشقة والتعب، وهو تفسير لقوله: ﴿كدحًا﴾ لا بضمها ولذلك عطف عليه الكد في الكشاف حيث قال: الكدح جهد النفس في العمل، والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدة وجهه إذا خدشها. **قوله:** (أو فملاقيه) عطف على قوله: «محذوف» وإذا كان قوله: ﴿فملاقيه﴾ جواب إذا يكون قوله: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح﴾ معترضًا بين الشرط والجزاء، والمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله أي جزاء عمله. وإليه أشار بقوله: «والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه». **قوله:** (لا يناقش فيه) يعني أن الحساب اليسير هو العرض بأن تعرض عليه أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن المعصية هذه، ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة. ولا يقال له: لِمَ فعلت هذا؟ ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرًا ولا حجة فيفتضح، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من نوقش في الحساب فقد هلك» والحساب اليسير هو العرض و«سوف» من الله تعالى واجب. **قوله:** (أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره) يعني أن قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ لا ينافي قوله في سورة الحاقة ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥] لإمكان الجمع بينهما بأن تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله خلف ظهره. قيل: ويحتمل أن يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره، ولما أوتي كتابه من غير يمينه علم أنه من أهل النار فيقول: واثبوراه. قيل: الثبور مشتق من المثابرة على الشيء وهي المواظبة عليه، وسمي هلاك الآخرة ثبورًا لأنه لازم لا يزول. **قوله:** (وقرأ الحجازيان) وهما نافع وابن كثير والشامي، وهو ابن عامر «يصلي» بضم الياء وفتح

تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤] وقرىء ويصلى كقوله: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الدنيا ﴿مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ بطرًا بالمال والجاه فارغًا عن الآخرة. ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ لن يرجع إلى الله تعالى. ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد «لن» ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ عالمًا بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب. وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: إنه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة.

الصاد وتشديد اللام. وقرأ أبو عمرو البصري وعاصم وحمزة «يصلى» بفتح الياء وإسكان الصاد مخففًا. وقرىء «يصلي» بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام أي يدخله غيره لقوله تعالى: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]. **قوله:** (فارغًا عن الآخرة) وعما فيها من الحساب والثواب والعقاب فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة في الطاعات واجتناب المعاصي والمنكرات، فأبدله الله تعالى من ذلك السرور والأمن غمًا وإثمًا بخلاف المؤمن فإنه لما كان متقيًا عن المعاصي مجتهدًا في الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن في الدنيا مسرورًا بالمال والجاه ولم يكن له فيها إلا هم الآخرة والخوف من أهوالها، أبدله الله تعالى من غمه ذلك سرورًا أبديًا لا ينقطع. **قوله:** (ظن أن لن يحور) «أن» فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر «ولن يحور» خبرها والجملة سدت مسد مفعولي الظن، والمعنى: إن هذا الكافر ظن أن الأمر والشأن لن يحور إلى الله تعالى بأن يبعث بعد الموت. والحور الرجوع والمحار المرجع، وقيل: الحور الرجوع إلى خلاف ما كان عليه المرء كما في قولهم: نعوذ بالله من الحور بعد الكور. والمعنى على هذا أنه ظن أن لن يرجع إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم. ثم قال تعالى: ﴿بلى﴾ أي لتبعثن وعلى الثاني ليبدل سروره بغم لا ينقطع وبيلاء لا يزول ﴿إن ربه كان به بصيرًا﴾ عالمًا بما يعمله من الكفر والمعاصي، فلم يكن ليجوز في حكمته أن يهمله ولا يعاقبه على سوء أعماله، كنى بعلمه تعالى عن بعثه ومجازاته عليها. وكلمة «لا» في قوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ يجوز أن تكون لرد الكلام السابق وإبطاله، فإنه تعالى حكى عن المشرك أنه ظن أن لن يحور أي يبعث فأبطل الله تعالى ذلك الظن بقوله: ﴿لا﴾ ثم قال بعد: ﴿أقسم بالشفق﴾ والفاء للتعقيب، فإنه تعالى لما أوجب الحور والبعث بقوله: ﴿بلى﴾ فرع عليه رد قوله وإبطال ظنه. ويجوز أن تكون كلمة «لا» صلة وقد مر مرارًا. واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على أن الشفق اسم للأثر الباقي من الشمس في الأفق بعد غروبها، ثم اختلفوا بعد ذلك؛ فذهب عامتهم إلى أنه هو الحمرة التي ترى في المغرب بعد غروب الشمس، وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد رحمهما الله. وظاهر قول أبي حنيفة رحمه الله: إن الشفق البياض الذي يعقب الحمرة إلا أن أسد بن

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال: وسقه فاتسق واستوسق قال:

مستوسقات لو يجدن سائقًا

عمرو قال: إن أبا حنيفة رجع عن هذا القول واختار أن الشفق هو الحمرة كما قال به صاحباه. والشفق في الأصل الرقة ومنه ثوب شفق إذا رق لطول اللبس، والشفقة على الإنسان رقة القلب عليه. وإذا كان هذا أصله فهو بالبياض أولى منه بالحمرة، لأن أجزاء الضياء في البياض أرق وفي الحمرة أكثف. فإن أثر الشمس أعني ضوءها يأخذ في الرقة والضعف من غيبة الشمس إلى أن يستولي سواد الليل على الآفاق كلها. وقال عكرمة ومجاهد: إن الشفق هو النهار بناء على أن الشفق أثر الشمس وهو كوكب نهاري وأثرها هو النور، ويؤيده أنه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعي أن يكون المذكور قبله النهار، فيكون القسم واقعًا بالليل والنهار اللذين أحدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام أمور العالم.

قوله: (وما جمعه) أي وما كان منتشرًا بالنهار فإن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه. والوسق ضمك الشيء بعضه إلى بعض يقال: وسقه فاتسق واستوسق كوسعه فاتسع واستوسع. و«ما» في قوله تعالى: ﴿وما وسق﴾ موصولة أو موصوفة بمعنى الذي جمعه أو شيء جمعه، أشار إليه المصنف بقوله: و«ما جمعه» بتقدير العائد فإنه لا بد من العائد على التقديرين بخلاف ما إذا كانت مصدرية. وأشار أيضًا إلى أن جمع الليل للمخلوقات عبارة عن ستره إياها بظلمته وإحاطة الظلمة بها، فإن ظلمة الليل كأنها تجلل الجبال والبحار والأشجار والحيوانات، فكأنه تعالى أقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩] وهذا المعنى لا يحصل على تقدير أن تكون «ما» مصدرية لأن المقسم به حينئذٍ يكون بوسق الليل وجمعه لا بما يجمعه الليل من المخلوقات. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بما جمعه العباد المجتهدين بالليل لأنه تعالى مدح المستغفرين بالأسحار فيجوز أن يحلف بهم. **قوله:** (**مستوسقات لو يجدن سائقًا**) أوله:

إن لنا قلائصًا حقائقا

والقلوص الناقة الشابة. والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهي الناقة التي استكملت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة. وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات أي مجتمعات وتمنى أن يكون لها سائق.

أو طرده إلى أماكنه من الوسيقة. ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ اجتمع وتم بدرًا ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ حالاً بعد حال مطابقة لأختها الشدة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها، أو هي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «لتركبن» بالفتح على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ، أو الرسول ﷺ على معنى لتركبن حالاً شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية، أو طبقًا من أطباق السماء

قوله: (**أو طرده إلى أماكنه**) عطف على قوله: «جمعه وستره» يعني أن الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والإبعاد أيضًا كما يقال للإبل المسروقة وسيقة، لأن السارق طردها من أماكنها. وفي الصحاح: الوسيقة من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معًا. **قوله**: (**اجتمع وتم بدرًا**) مبني على ما قال من أن اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه يقال: أمور فلان متسقة أي مجتمعة على الصلاح كما يقال: منتظمة. ثم إنه تعالى لما ذكر ما أقسم به. ذكر بعده ما أقسم عليه فقال: ﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾ واختار المصنف قراءة من قرأ بضم الباء على خطاب الجنس الذي هو في معنى الجمع لأن النداء في قوله: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح﴾ للجنس. ومن قرأ «ليركبن» بالياء وفتح الباء جعل الكلام إخبارًا عن الغائب وهو الإنسان المذكور بالاسم الظاهر المنزل منزلة الغائب أي ليركبن الإنسان، ومعنى الآية: أن الناس يلقون يوم القيامة أهوالاً وشدائد حالاً بعد حال وشدة بعد شدة كأنهم لما أنكروا البعث أقسم الله تعالى أن البعث كائن لا محالة وأن الناس يلقون فيه الشدائد والأهوال إلى أن يفرغ من حسابهم فيصير كل أحد إلى ما أعد له من جنة أو نار، فهي نظير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]. **قوله**: (**وهو لما يطابق غيره**) يعني أن الأصل اسم لما طابق غيره يقال: ما هذا بطبق هذا أي لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء: الطبق ثم قيل للحال: المطابقة لغيرها طبق. **قوله**: (**أو مراتب من الشدة بعد المراتب**) عطف على قوله: «حالاً بعد حال» لأن «طبقًا» على الأول اسم مفرد أطلق على الحال المطابقة لغيرها. وعلى هذا جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال: طبقات البيت أي مراتبه فالمراد بها في الآية طبقات الشدة ومراتبها التي بعضها أشد من بعض وهي الموت وما بعده من أهوال القيامة. **قوله**: (**أو هي وما قبلها**) أي أو هي هذه المذكورات وما كان قبلها من الدواهي العارضة للإنسان من ابتداء وجوده إلى أن يموت.

قوله: (**باعتبار اللفظ**) فإن لفظ الإنسان مفرد فخوطب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه لضم الباء على طريق خطاب جماعة الذكور، وعلى تقدير أن يكون الخطاب لرسول الله ﷺ يكون قوله: «طبقًا» اسمًا مفردًا لما طابق غيره وهي إما أحواله التي يترقى عليه

بعد طبق ليلة المعراج. وقرىء بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة. و«عن طبق» صفة «لطبقًا» أو حال من الضمير بمعنى مجاوزًا لطبق أو مجاوزين له.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بيوم القيامة ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾ لا يخضعون أو لا يسجدون لتلاوته، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأ ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق

السلام فيها من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث وإظهار دينه على الأديان كلها، وإما مراتبه عليه الصلاة والسلام في القرب من الله تعالى والاستحقاق لأنواع فضله ورحمته بحيث لا يعلم كنه ذلك غيره تعالى، وإما ما ركبه من طبقات السماء كأنه تعالى يقول: أقسم يا محمد على أنك لتركبن حالاً بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلا يحزنك كفرهم وتماديهم في الكفر والتكذيب، أو لتركبن درجة بعد درجة في القرب من الله تعالى والكرامة عنده، أو لتركبن السمٰوات طبقًا بعد طبق فإنها سبع سمٰوات طباقًا. فهي بشارة له عليه الصلاة والسلام بصعوده إلى السمٰوات لمشاهدة ملكوتها وإجلال الملائكة إياه فيها. وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الإسراء. وقوله: «بعد حال وبعد المراتب» إشارة إلى أن «عن» بمعنى بعد ووجه ذلك أن الإنسان إذا صار إلى الشيء مجاوزًا عن شيء آخر فقد صار إلى الثاني بعد الأول، فصح أن يستعمل فيه «بعد» و «عن» معًا. وأيضًا لفظة «عن» تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظة «بعد» فصح استعمال إحداهما بمعنى الأخرى. **قوله**: (وعن طبق صفة لطبقًا) أي لتركبن طبقًا كائنًا بعد طبق، أو حال من الضمير في «لتركبن». وقوله: «مجاوز لطبق» على قراءة «تركبن» بفتح الباء وقوله: «أو مجاوزين له» على القراءة بضم الباء. **قوله**: (بيوم القيامة) خص يوم القيامة بانتفاء إيمانهم به مع أنهم لا يؤمنون بأكثر ما يجب الإيمان به بل بكله من حيث إن الكلام مسوق لتوبيخ منكري البعث والقيامة وتشنيع حالهم، لأنه تعالى حكى عن الكافر أنه ظن أن لن يحور ثم حكم بأنه يحور البتة ثم أقسم بالحوادث المتغيرة الطارية على الأفلاك والعناصر على أن الناس يلقون بعد البعث طبقًا بعد طبق إلى أن يستقر كل أحد فيما أعد له. فإن الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل، وكذا الليل حالة حادثة بعد انبساط ضوء النهار بتغير أحوال الحيوانات من التفرق إلى الاجتماع ومن اليقظة إلى النوم، وكذا اتساق القمر وكونه بدرًا حالة حادثة بعد كونه ناقصًا. فهو تعالى أقسم بهذه المذكورات على أنهم يبعثون ويركبون طبقًا عن طبق، فتخصيص هذه المذكورات بجعلها مقسمًا بها من حيث إن لها دلالة على ثبوت الدعوى فإن من قدر على تغيير الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لا بد أن يكون قادرًا على جميع الممكنات عالمًا بجميع

رؤوسهم. فنزلت. واحتج به أبو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجود فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي بالقرآن ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة. ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ استهزاء بهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناء منقطع أو متصل والمراد من تاب وآمن منهم. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ مقطوع أو ممنون به عليهم. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطي كتابه وراء ظهره».

المعلومات، فيكون قادرًا على البعث والقيامة. فلذلك فرع عليه استبعاد عدم إيمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال: ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾ بالبعث والجزاء فإن عدم إيمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدًا، وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم إياه من حيث إنهم بالغوا في أمر الفصاحة والبلاغة إلى أقصى المراتب الممكنة لنوع البشر فعند سماعه لا بد أن يجزموا بكونه معجزًا خارجًا عن طوق البشر. وكونه كلامًا إلهيًا ويعلموا بذلك صدق مبلغه عليه السلام في دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ما كلفهم به. فسر السجود أولاً بالخضوع والانقياد، ثم جوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجود على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن، وأيد هذا الاحتمال بما روي في سبب النزول. قوله: (واحتج به) أي بهذه الآية. وتذكير الضمير لكونها في معنى المنزل. ووجه الاحتجاج أن الذم إنما يتوجه على من ترك الواجب. **قوله:** (استهزاء بهم) لأن البشارة هي الإخبار بالخبر السار وقد استعملت في الخبر المؤلم. **قوله:** (استثناء منقطع) أي من الضمير المنصوب في قوله: ﴿فبشرهم﴾ الراجع إلى ﴿الذين كفروا﴾ ولا شك أن الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعًا بمعنى لكن الذين آمنوا. ويجوز أن يكون متصلاً والمعنى: إلا من تاب منهم وآمن بعد ما نزلت هذه الآية، فإنهم وإن كانوا في الحال كفارًا إلا أنهم متى تابوا واستحقوا لأن يثابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا من استحقاق العذاب الأليم، واستحقوا لأن يثابوا بأجر غير منقوص ولا مقطوع لأن نعيم الآخرة لا ينقطع. تمت سورة الانشقاق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة البروج

مكية وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت، أو منازل القمر، أو عظام الكواكب سميت بروجًا لظهورها، أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها. وأصل التركيب للظهور ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب، وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، أو المبالغة في الكثرة كأنه قيل: ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبي وأمته، أو أمته وسائر الأمم، أو كل نبي وأمه، أو الخالق والخلق أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده، أو الملك الحفيظ والمكلف، أو يوم النحر أو عرفة والحج، أو يوم الجمعة والمجمع فإنه يشهد له، أو كل يوم وأهله.

سورة البروج

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (البروج الاثني عشر شبهت بالقصور) أي أطلق اسم القصور التي تنزل فيها الأكابر والأشراف على بروج السماء الاثني عشر استعارة تصريحية تشبيهًا لها بالقصور لكونها منازل السيارات أو مقر الثوابت. وقيل: المراد بالبروج ههنا النجوم التي هي منازل القمر

....

وهي ثمانية وعشرون نجمًا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها، وإذا صار القمر إلى آخر منازله دق واستقوس واستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وإن كان تسعة وعشرين فليلة واحدة. وإطلاق البروج على هذه النجوم أيضًا مبني على تشبيهها بالقصور من حيث إن القمر ينزل فيها ولظهورها أيضًا بالنسبة إلينا، لأن البروج تنبىء عن الظهور. وقيل: المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجًا لظهورها. وقيل: المراد بها أبواب السماء وسميت بروجًا لظهورها بالنسبة إلى من ينزل من السماء ولأن النوازل تخرج منها كما تخرج من القصور. **قوله**: (وأصل التركيب للظهور) أي للظهور والامتياز بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن، فإن القصور لرفعتها وما فيها من المحاسن ظاهرة للأعين فلذلك سميت بروجًا ثم يقال: برجت المرأة أي شبهت بالبرج في إظهار المحاسن، وهو معنى قولهم: التبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]. **قوله**: (ومن يشهد) أي ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلائق الأولين والآخرين من الجن والإنس والملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنه سبحانه وتعالى لما أقسم باليوم الموعود الذي هو يوم القيامة تنبيهًا على عظيم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده فيه تعالى بالملك والحكم، عطف عليه الشاهد وهو من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذي هو ما في ذلك اليوم من العجائب.

قوله: (أو النبي وأمته) عطف على قوله: «ومن يشهد في ذلك اليوم» أي ويجوز أن يكون الشاهد من الشهادة لا من الشهود وهو الحضور. فعلى هذا يكون المشهود بمعنى المشهود عليه لأن الشهادة لا تتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال: شهد به وشهد عليه إلا أنه حذف الصلة كما حذف من المشترك وأصله مشترك فيه. وعلى تقدير أن يكون الشاهد والمشهود من الشهادة ذكر وجوهًا في تعيين المراد بهما: الأول ما ذكره بقوله: «أو النبي وأمته» ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] ولا شك أن تبشيره وإنذاره ودعوته عليه الصلاة والسلام إنما هو بالنسبة إلى أمته فكذا شهادته تكون بالنسبة إليهم، كما قال تعالى في حق أمته عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والثاني ما ذكره بقوله: «أو أمته وسائر الأمم» لقوله تعالى في حق أمته عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] والثالث ما ذكره بقوله: «أو كل نبي وأمته» لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] فإنه يدل على أن كل نبي شاهد على أمته. والرابع ما ذكره بقوله: «أو الخالق والخلق» لقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ قيل إنه جواب القسم على تقدير لقد قتل

[الفتح: ٢٨] أي شاهدًا مطلعًا على أحوال خلقه. والخامس ما ذكره بقوله: «أو عكسه» فإن كل جزئي من جزئيات العالم شاهد على أن له صانعًا. وعلى التقديرين يكون القسم واقعًا بجميع الكائنات وخالقها. قال الشاعر:

فيا عجبًا كيف يعصى الإلـٰه أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والسادس ما ذكره بقوله: «أو الملك الحفيظ والمكلف» لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٢١] فتكون كل نفس مشهودًا عليها من حيث إن حفظة أعمالها تشهد عليها بها. والسابع ما ذكره بقوله: «أو يوم النحر» فقد روي عن ابن عمر وابن الزبير والنخعي والثوري رضي الله عنهم: أن الشاهد يوم الأضحى فإنه يوم عظيم يشهد لمن حج بالأعمال واستحقاق الرحمة. والثامن ما ذكره بقوله: «أو عرفة» فإنه أيضًا يوم عظيم يشهد للحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزى وللعادين على أقدامهم عدى. والتاسع ما ذكره بقوله: «أو يوم الجمعة والمجتمع» فإنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه من خير وشر. والعاشر ما ذكره بقوله: «أو كل يوم وأهله» روي عن الحسن أنه قال: ما من يوم إلا وينادي: أنا يوم جديد وإني على ما تعمل فيَّ شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة. **قوله:** (قيل إنه جواب القسم على تقدير لقد قتل) احتيج إلى التقدير لأن جواب القسم إذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيًا مثبتًا تصدر الجملة بـ «لام» الابتداء الداخلة على كلمة «قد» نحو: والله لقد خرج. ولا يجوز الاقتصار على أحدهما إلا عند طول الكلام كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] إلى قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] فإنه لم يؤت فيه باللام لطول الكلام. أو في ضرورة الشعر كما في قوله:

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا وما إن من حديث ولا صالي

ويجب في مثل تقدير «قد» بعد اللام لأن لام الابتداء لا تدخل على الماضي المجرد. فمن قال: إن قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ جواب القسم قال: إن أصله لقد قتل أي لقد لعن فحذف كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] ثم حذف كلمة «قد» وقيل في توجيه خلو الجملة عنهما: إن الكلام محمول على التقديم والتأخير كأنه قيل: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج.

والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل: إنهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود. فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم. والأخدود الخد وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء، ومعنى الخق والأخقوق روي مرفوعًا: «أن ملكًا كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلامًا ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرًا وقال: اللهم إن كان هذا الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها. وكان الغلام بعد يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء. وعمي جليس للملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال: ربي. فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه، فدل على

قوله: (والأظهر أنه دليل جواب محذوف) جعله أظهر بالنسبة إلى كونه جواب القسم بناء على ما أشار إليه من أن السورة وردت لبيان شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله تعالى وعظيم سخطه، وأن ذكر قصة أصحاب الأخدود والتعرض لحديث الجنود وفرعون وثمود المقصود منه تسلية النبي ﷺ وأصحابه على إيذاء الكفار ببيان أن أحوال المؤمنين مع الكفار في جميع الأزمنة مستمرة على هذا المنهج، وأنه تعالى ينتقم من الكفار المعاندين لأوليائه المؤمنين فإن ذلك يتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فإذا كان كذلك ظهر أن جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على تحقيق لعن أصحاب الأخدود لا وجه له، ولا سيما أن ذلك يؤدي إلى تقدير «قد» واللام وتقدير الكلام: والسماء ذات البروج أن كفار قريش لملعونون لعنًا مثل لعن أصحاب الأخدود، والقتل لكونه أغلظ العقوبات لا يقع إلا عن سخط عظيم يوجب الإبعاد عن الخير والرحمة الذي هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل، فلذلك عبّر به عن اللعن لكونه أبلغ في التصريح باللعن من حيث إنه بمنزلة إثبات اللعن بالبينة والإخبار بأن أصحاب الأخدود ملعونون لقوة عنادهم ومبالغتهم في إيذاء المؤمنين يدل على أن كفار مكة أيضًا ملعونون للاشتراك في العلة وهي الإصرار على الكفر والعناد والمبالغة في إيذاء المؤمنين. وسلوك طريق الكناية أبلغ من التصريح وأدخل في إفادة التسلية. **قوله:** (فمال قلبه إليه) فكان الغلام يطيل عنده القعود بسبب ميله إليه، فإذا أبطأ عن الساحر ضربه وإذا أبطأ عن أهله ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: يا بني إذا استبطأك الساحر فقل: حبسني أهلي وإذا استبطأك أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو بالطريق ذات يوم ظهرت حية قد حبست الناس الخ. **قوله:** (فأقتلها) أي بأن يخلق فيّ قوة أرمي بها هذا الحجر إليها وأضربها به، فرماها فقتلها فصار ذلك سببًا لإعراض الغلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى، فصار إلى حيث يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وهو جمع داء إلى آخر القصة والرجفة الزلزلة. ويقال: كفأت

الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا، وأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهمًا من كنانتي وتقول: بسم الله رب الغلام ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس. فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق، فاقتحمت. وعن علي رضي الله عنه: أن بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال: إن الله أحل نكاح الأخوات، فلم يقبلوه فأمر بأخاديد النار وطرح فيها من أبى. وقيل: لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من الأخدود بدل

الإناء أي كببته وقلبته، وتقاعست أي تأخرت فكأنها ارتدت. وكان لهذه المرأة ثلاثة أولاد: أحدهم رضيع فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار، فأبت فأخذ ابنها الأول فألقاه في النار. ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبت فألقى الثاني. ثم قال لها: ارجعي فأبت، فأخذ الصبي منها ليلقيه في النار فهمت بالرجوع فقال الصبي: يا أماه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك، فألقي الصبي في النار وألقيت أمه على أثره. عن عكرمة قال: تكلم في المهد أربعة: عيسى ويحيىٰ وصاحب جريج وصاحب الأخدود. وقال عطاء: خمسة: هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون. وقال الضحاك: ستة هؤلاء وشاهد يوسف عليه الصلاة والسلام. **قوله:** (وعن علي رضي الله عنه) عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: اختلف في أحكام المجوس؛ فقال عمر رضي الله عنه: ما هم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب. وقال علي رضي الله عنه: قد كان لهم كتاب وحرم عليهم في كتابهم الأخوات والبنات، وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على ابنته وعلى أخته، فلما ذهب عنه السكرندم وقال لهما: ويحكما ما هذا الذي أتيت وما المخرج؟ قالتا: المخرج منه أن تخطب الناس وتقول: إن الله قد أحل نكاح الأخوات والبنات. فقام خطيبًا فقال: إن الله قد أحل نكاح الأخوات والبنات. فقال له الجماعة: معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقرّ به ما جاءنا به رسول ولا أنزل علينا كتاب. فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا به، فجرد عليهم السيف فأبوا أن يقروا، فخد لهم أخدودًا وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها، فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله. **قوله:** (وقيل لما تنصر نجران) أي أهل نجران اليمن. روي أنه وصل إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم إلى التنصر فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفًا في الأخاديد، وقيل:

الاشتمال. ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها. واللام في «الوقود» للجنس ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ على حافة النار ﴿قُعُودٌ ۝٦﴾ قاعدون ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به، أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين يشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟﴾ وما أنكروا ﴿مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ استثناء على طريقة قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

سبعين ألفًا. فإن قيل: تعارض هذه الروايات يدل على كذبها. أجيب بأنه لا تعارض لما روي عن مقاتل أنه قال: كانت الأخاديد ثلاثة: واحد بنجران اليمن وآخر بالشام والثالث بالعراق. **قوله**: (صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها) حطبًا كان أو غيره. فإن الوقود بالفتح وإن شاع في الحطب إلا أنه يطلق على مطلق ما تتقد به النار أي شيء كان، قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦؛ البقرة: ٢٤] فالمقصود من توصيف النار بكونها ذات الوقود تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة ما يكون سببًا لاتقادها واستشعالها، ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقي للتوصيف فائدة، فإنه من الظاهر المكشوف أن النار لا تخلو عن الوقود. وكلمة «إذ» في قوله تعالى: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ ظرف «لقتل» والمعنى: لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النار لإلقاء المؤمنين فيها. وحافة الشيء جانبه. والظاهر أن المراد بأصحاب الأخدود الجبابرة الذين يقعدون على شفير النار ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع في النار، فمن ترك الإسلام تركوه ومن كان يصبر عليه ألقوه في النار. وأن ضميرهم في قوله: ﴿إذ هم﴾ لهؤلاء الجبابرة و «قعود» جمع قاعد وعبّر عن القعود على حافة النار وشفيرها بالقعود على نفس النار للدلالة على أنهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤوا ويخلون سبيل من شاؤوا.

قوله: (وما أنكروا) يقال: نقم الأمر إذا عابه وكرهه أي وما عابوا منهم وما أنكروا إلا إيمانهم. وإنما قال: ﴿إلا أن يؤمنوا﴾ بلفظ المستقبل مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لدوامهم عليه في الآتي حتى لو كفروا في المستقبل لما عذبوهم على ما مضى، فكأنه قيل: إلا أن يستمروا على إيمانهم. **قوله**: **(استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم)** فإن كل واحد منهما من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، فإن كون سيوف الشجعان مشتملة على كسور في حدها من مصادمة الجيوش من أعز المحامد وأجل المفاخر، فكذا الإيمان بالله تعالى أشرف جميع فضائل المكلفين ولغاية غوايتهم عدوه قبحًا وعاقبوهم به. والمقصود من الآية بيان أن

ووصفه بكونه عزيزًا غالبًا يخشى عقابه حميدًا منعمًا يرجى ثوابه. وقرن ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ بلوهم بالأذى. ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ العذاب الزائد في الإحراق

أصحاب الأخدود يستحقون لعنة الله تعالى وسخطه، وذلك أن من اتصف بكونه عزيزًا غالبًا قادرًا يخشى عقابه وحميدًا أي محمودًا لجميع المخلوقات بلسان المقال أو بلسان الحال، فإن كل ذرة من ذرات الكائنات يثني على صانعه بكمال العلم والقدرة والحكمة ويحمده على ما أنعم به عليه من نعمة الإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم، وبكونه بحيث ثبت له ملك السمٰوات والأرض بحيث لا يشاركه أحد في تصرف شيء منهما يستحق أن يؤمن ويصدق بأنه رب العالمين ويخص بالعبادة، فالجاهل الذي نقم الإيمان به وتخصيصه بالعبادة يكون في نهاية الغواية ويستحق اللعن والسخط العظيم. وأخّر ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزًا حميدًا لأن الصفة الأولى دالة على كمال القدرة والثانية دالة على كمال العلم، ولا شك أن اختصاصه بالملك التام بحيث يكون موجدًا لجميع الكائنات ويكون إبقاؤها موجودة وإفناؤها مفوضًا إلى محض مشيئته إنما يكون عند حصول الكمال في القدرة والعلم. وقوله تعالى: ﴿على كل شيء شهيد﴾ وعيد لهم لأن من لا يخفى عليه شيء يجازي كل أحد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين. ثم إنه تعالى لما ذكر قصة أصحاب الأخدود وما فعلوا بالمؤمنين إذ هم عليها قعودًا تبعها بذكر عقاب من آذى المؤمنين وبذكر ثواب أهل الإيمان والطاعة. **قوله**: (بلوهم بالأذى) إشارة إلى أن أصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك قد يكون بالسراء وقد يكون بالأذى. والمراد بها في الآية الابتلاء بالأذى بقرينة المقام، فإن أولئك الكفار امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار وإحراقهم بها وإلى أن المراد بالذين فتنوا المؤمنين كل من فعل ذلك من أصحاب الأخدود وغيرهم لأن كل واحد من اللفظ والحكم عام، فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل. وقال بعض المفسرين: الفتنة هي الإحراق لقوله: ثم بالنار يفتنون. **قوله**: (العذاب الزائد في الإحراق) يعني أن الفاتنين يعذبون في الآخرة بنوعين من عذاب الإحراق: الأول جزاء كفرهم والثاني جزاء فتنتهم وإيذائهم المؤمنين. والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق. وفي الصحاح: تحرق الشيء بالنار واحترق، والاسم الحرقة والحريق. والنوع الثاني وإن كان من قبيل عذاب الإحراق بالنار إلا أنه خص باسم الحريق للدلالة على أنه عذاب زائد على النوع الأول من العذاب من حيث إن كل واحد منهما وإن كان عذابًا عظيمًا في نفسه إلا أن الثاني لما اجتمع مع الأول قوي واشتد وصار كأنه هو عذاب الحريق، وأن الأول ليس بالنسبة إليه

بفتنتهم. وقيل: المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبعذاب الحريق ما روي النار انقلبت عليهم فأحرقتهم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه. ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ مضاعف عنفه، فإن البطش أخذ بعنف. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ يبدىء الخلق ويعيده، أو يبدىء البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة.

بعذاب الحريق. قوله: (وقيل المراد الخ) **عطف من حيث المعنى على قوله: «بلوهم بالأذى» فإنه قد فهم منه أن قوله:** ﴿الذين فتنوا﴾ **يتناول أصحاب الأخدود وغيرهم، وأن المراد بالمؤمنين المؤمنون المفتونون مطلقًا، وأن المراد بفتنة المؤمنين إيذاؤهم مطلقًا، وأن المراد بعذاب الحريق عذاب الآخرة، وعطف عليه ما قيل من أن المراد بالذي فتنوا أصحاب الأخدود والمعنى: فلهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق بنار الأخدود في الدنيا. فإنه روي أنهم لما ألقوا المؤمنين في النار ارتفعت من الأخدود إلى الملك واتباعه نار فأحرقتهم فأهلكوا بنفس ما فعلوه بأيديهم لأجل هلاك غيرهم، ونجى الله تعالى المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار. فيكون قوله تعالى:** ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] **دالاً على أنهم كانوا ملعونين في تلك الحالة وأنهم خسروا الدنيا والآخرة. ثم إنه تعالى ذكر ما أعده للمؤمنين فقال:** ﴿إن الذين آمنوا﴾ **الآية. قال الإمام: إنما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي أن قوله: «ذلك» إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم وقوله: «تلك» إشارة إلى الجنات وإخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيًا عنهم؛ والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لا خصوص الجنة. ثم إنه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ووعد المؤمنين أكد كل واحد منهما فقال لتأكيد الوعيد:** ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ **والبطش هو الأخذ بعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف عنفه، ثم استدل على شدة بطشه بذكر اقتداره على الإبداء والإعادة بحيث لا يقدر عليهما غيره فقال:** ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾ **ويجوز أن يكون المقصود المبالغة في الوعيد لبيان أن بطشه لا يختص بالدنيا ولا بالآخرة بل إن شاء بطش فيها وإن شاء يمهل العاصي ويؤخر أمر المجازاة إلى يوم القيامة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحمًا ثم يعيدهم خلقًا جديدًا، فذلك هو المراد بقوله تعالى:** ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾ **ثم قال لتأكيد الوعد:** ﴿وهو الغفور الودود﴾ **وذكر من صفات جلاله وكبريائه خمس صفات: أولها الغفور. قال الإمام حكاية عن المعتزلة أنهم قالوا: هو الغفور لمن تاب. وقال أصحابنا: إنه غفور مطلقًا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] **ولأن الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح**

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ المحب لمن أطاع ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالق. وقيل: المراد بالعرش الملك. وقرىء «ذي العرش» صفة «لربك» ﴿ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة. وجره حمزة والكسائي صفة «لربك» أو «للعرش» ومجده علوه وعظمته. ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره. ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ أبدلهما من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه. والمعنى: قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل

بكونه غفورًا مطلقًا أتم وأكمل، فالحمل عليه أولى. انتهى كلامه. ولأن الغفور صيغة مبالغة فالمناسب أن تحمل على الإطلاق. قال الإمام الغزالي: الفعال ينبىء عن كثرة الفعل والفعول ينبىء عن جودته وكماله وشموله، فهو تعالى غفور بمعنى أنه تام الغفران كامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة. انتهى كلامه. ولا شك أن الغافرية مطلقًا أجود وأكمل وأشمل فحمل صيغة المبالغة عليها أولى لا سيما في مقام التمدح، فقول المصنف: «الغفور لمن تاب» ينبغي أن يكون المراد به لمن تاب عن الكفر.

قوله: (المحب لمن أطاع) على أن الودود فعول بمعنى فاعل والمحبة في حقه تعالى يراد بها إرادة الكرامة والإحسان والإنعام لمن أطاعه وهي صفة مدح له تعالى لأنه لا يجب عليه شيء وإنما هو مجرد فضل منه وإحسان. وقيل: يجوز أن يكون الودود فعولاً بمعنى مفعول نحو: ركوب وحلوب ومعناه أن عباده الصالحين يودونه لما عرفوه من فضله وجلالة ذاته ولما اتسع عليهم من فنون بره وإحسانه. والودود بهذا المعنى أيضًا صفة مدح له تعالى لأنهم إنما يحبونه لفضله وإفضاله. **قوله**: (وقيل المراد بالعرش الملك) فإنهم يكنون بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال: استولى فلان على العرش وإن لم يجلس عليه، وثل عرش فلان إذا ذهب سلطانه. **قوله**: (لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره) فهذه الآية من جملة ما استدل به الأشاعرة في مسألة خلق الأفعال. قالوا للمعتزلة: إنكم تقولون إنه تعالى يريد الإيمان والطاعة من كل مكلف فيجب أن يكون فاعلاً لهما بمقتضى هذه الآية، وإذا كان فاعلاً لهما وجب أن يكون فاعلاً للكفر والمعصية أيضًا إذ لا قائل بالفصل. روي أنه دخل على أبي بكر قوم يعودونه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليّ. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد. ثم إنه تعالى لما ذكر قصة أصحاب الأخدود وأوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله ﷺ ولمن تأذى من المؤمنين من قبل المشركين، ردف التسلية والإيعاد بقوله: ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم، ثم بينهم بقوله: ﴿فرعون وثمود﴾. **قوله**: (أبدلهما من الجنود) جواب عما يقال: كيف أبدل فرعون من

واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ لا يرعوون عنه. ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم. ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط. ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى. وقرىء قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد. ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ من التحريف. وقرأ نافع «محفوظ» بالرفع على أنه صفة للقرآن. وقرىء «في لوح» وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح. عن رسول

الجنود والبدل يجب أن يطابق المبدل منه في الجمعية؟ وأجاب عنه بأن المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكر قومه لكونهم أتباعه فيكون ذكره في حكم ذكر الجميع. **قوله:** (لا يرعوون) أي لا يمتنعون عن التكذيب. يقال: ارعوى يرعوي أي كف ومنع، وارعوى عن القبيح أي امتنع. **قوله:** (وكذبوا أشد من تكذيبهم) على أن تنكير قوله: ﴿في تكذيب﴾ للتهويل والتعظيم. ثم إنه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بيّن اقتداره على المكذبين وأنهم في قبضته وحوزته كالشيء الذي أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربًا فقوله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ من باب التشبيه البليغ أي كأنه محيط بهم في أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط، ثم زاد في التعجب من حالهم فقال: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ ومعنى الإضراب عنه أن ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود بل هذا الذي كذبوا به قرآن معجز بنظمه مجيد شريف عالي الطبقة من بين الكتب وحيد في نظمه وإعجازه. **قوله:** (وقرأ نافع محفوظ بالرفع على أنه صفة للقرآن) فالتقدير: بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح. واللوح بالفتح الذي يكتب فيه، وبالضم الهواء بين السماء والأرض. كذا في الصحاح. ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح. قال تعالى ههنا: ﴿في لوح محفوظ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] فيحتمل أن يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدًا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو أم الكتاب منه نسخ القرآن وسائر الكتب، ثم كونه محفوظًا يحتمل أن يكون المراد به كونه محفوظًا من التغيير والتبديل، ويحتمل أن يكون المراد به كونه محفوظًا من إطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين. روي أنه تعالى خلق للوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وفي صدر اللوح لا إلٰه إلا الله دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الله الجنة. وقيل: اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن. وقيل: اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه. ولما كانت الأخبار والآثار واردة بذلك وجب

الله ﷺ: «من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات».

سورة الطارق

مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق. واختص عرفًا بالآتي ليلاً ثم استعمل للبادي فيه. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، أو الأفلاك والمراد الجنس، أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيمًا لشأنه. ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ أي أن الشأن كل نفس لعليها. ﴿حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ رقيب. فإن هي

التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى. تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الطارق

مـكيـة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (والسماء والطارق) اعلم أنه تعالى أكثر في كتابه الكريم ذكر السماء والشمس والقمر لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة. ثم إنه تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال: ﴿وما أدراك ما الطارق**﴾ توطئة لبيان المراد منه وتفخيمًا لشأنه وإعلاء لقدره. ثم بينه بالنجم**

المخففة واللام الفاصلة. و«ما» مزيدة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة «لما على أنها»

المضيء الذي يطرق أي يبدو بالليل ويخفى بالنهار، فإن ذكر الشيء مجملاً تم تفصيله وتعيينه ينبىء عن فخامة شأنه. واختلفوا في أن تعريف النجم للاستغراق أو للعهد الخارجي؟ فقال بعضهم: إنه للاستغراق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] وقال آخرون: إنه نجم بعينه. ثم قال أبو زيد: إنه الثريا. وقال الفراء: إنه زحل لأنه يثقب بنوره سمك السمٰوات السبع. وقال آخرون: إنها الشهب التي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] أي نافذًا ومضيء يقال: ثقبه يثقبه ثقبًا أي جعل فيه منفذًا ومسلكًا ونفذ فيه، وثقبت النار تثقب ثقوبًا أي اتقدت واشتعلت. ويقال لصاحب النار: اثقب نارك أي أشعلها حتى تضيء، وثقب النجم أي أضاء، وشهاب ثاقب أي مضيء. فلعل المعنى الأصلي للثاقب الذي يفتح المنفذ وإطلاقه على المضيء لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث إنه يثقب الظلام، أو الأفلاك وإطلاقه على من يوقد النار لكونه سببًا لحدوث الضوء الثاقب. **قوله**: (وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما) أي بالتشديد بمعنى «ألا» والباقون بتخفيفها. واختار المصنف قراءة التخفيف فكلمة «أن» على هذه القراءة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام في «لما» هي الفارقة بين المخففة والنافية و«ما» صلة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] و«أن» المخففة مع ما في حيزها جواب القسم أي أقسم أن الشأن كل نفس لعليها حافظ. ومن قرأ «لما» بالتشديد جعل «أن» نافية وجعل «لما» في معنى «إلا» والجملة أيضًا جواب القسم أي أقسم ما كل نفس إلا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها وأجلها، وإذا استوفت جميع ذلك قبضها إلى ربها. فعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالإنسان كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢] روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين». والظاهر أن المراد بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] فإن الممكنات كما تحتاج إلى الواجب لذاته في ترجح وجودها على عدمها تحتاج إليه في بقائها أيضًا، فهو تعالى هو القيوم الذي بحفظه وإبقائه تبقى الكائنات كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] فكأنه تعالى أقسم على أن كل ما سواه ممكن محدث يحتاج في أصل وجوده وبقائه إلى حافظ يوجده ويبقيه ويوصله إلى الكمال اللائق به، وتربيته بأن يخلق له ما ينتفع به ويدفع عنه ما يضره. وعدي الحفظ بـ «على» في قوله تعالى عليها: ﴿حافظ﴾ لتضمنه معنى القيام فإنه تعالى قائم على خلقه بعلمه وإطلاعه على أحوالهم واستيلائه وقدرته عليها وتصرفه فيها

بمعنى «إلا» و«أن» نافية، والجملة على الوجهين جواب القسم. ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر إلى مبدئه يعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع، والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله:

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها. ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند

حسبما يشاء. **قوله**: (لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ) إشارة إلى وجه ترتيب هذه الآية على ما قبلها وذلك لأن إجمال ما قبلها متضمن لمعنى قولنا: إن الإنسان ما ترك سدى بل له حافظ مطلع على أعماله وأرزاقه وآجاله، وإذا استوفى جميع ما قدر له من ذلك يقبضه إليه في البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه على حسب أعماله لكمال قدرته وحكمته وإحاطة علمه بالكليات والجزئيات، فإن حفظ الأعمال ينبيء عن ذلك. ولما كان ما قبلها متضمنًا لهذه المعاني وكانت هذه المعاني سببًا لتوصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء ويجتهد في أن لا يكتب عليه حافظ أعماله سوى ما يفرح به يوم العرض والجزاء، ظهر بهذا التقرير أن ما ذهب إليه شرف الدين الطيبي من أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان﴾ فاء فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام على الحذف والتقدير غير موجه إذ لا حاجة في ارتباط الكلام واستقامته إلى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله في كونه سببًا للتوصية من غير ارتكاب الحذف.

قوله: (بمعنى ذي دفق) فإن الدافق عند البصريين بمعنى ذي دفق كلابن وتامر، وعند الكوفيين بمعنى مدفوق كسر كاتم و﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] بمعنى مكتوم ومرضية. **قوله**: (والمراد الممتزج من الماءين) يعني قيل: خلق من ماء بتنوين الوحدة مع أن الولد إنما يخلق من ماءين ماء الرجل الذي يخرج من صلبه وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها وهي عظام صدرها حيث تكون القلادة، وكل عظم منها تريبة بناء على أن الولد إنما يتكون بعد اجتماع ذينك الماءين في الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئًا واحدًا، فلذلك قيل: من ماء واحد ولم يقل من مائين، وذلك المجموع الممتزج يصدق عليه أنه خارج من بينهما. **قوله**: (ولو صح أن النطفة تتولد الخ) جواب عما طعن به بعض الملاحدة في هذه الآية فقال: إن كان المراد من قوله تعالى: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أن المني إنما ينفصل عن

البيضتين، فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر. وقرىء «الصلب» بفتحتين

ذينك الموضعين فليس الأمر كذلك، لأنه إنما يتولد من فضالة الهضم الرابع وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدًا لأن تتولد منه تلك الأعضاء، ولذلك ترى المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع أعضائه. وإن كان المراد أن معظم أجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم أجزائه إنما يتربى ويتولد في الدماغ، والدليل عليه أن المني يشبه الدماغ في صورته ولأن المكثر من الجماع يظهر الضعف أولاً في عينيه. وإن كان المراد أن مستقر المني هناك فضعيف أيضًا لأن مستقره هو أوعية المني وهي عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين. وإن كان المراد أن مخرج المني هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الإحليل. كذا نقل الإمام شبهتهم. ثم أجاب عنها بقوله: لا شك أن معظم الأعضاء معونة في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن وهي التريبة، فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على أن كلامهم في كيفية تولد الأعضاء من المني كلام بمحض الوهم والظن الضعيف، وكلام الله تعالى أولى بالقبول. انتهى كلامه. والحاصل أن الملاحدة خفي عليهم وجه قوله تعالى: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ بناء على زعمهم أن المني ينفصل عن جميع أجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء، فأشار المصنف أولاً إلى منع زعمهم بأنه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى أصدق القائلين وأعلم بأحوال ما خلقه على أي وجه يتولد ومن أي موضع يخرج، فكلامه المجيد هو المعول عليه. وأجاب ثانيًا بأنا لو سلمنا صحة ما زعموه نقول: وجه تخصيص الصلب والترائب اللذين يتصل بهما معظم ما يتولد منه المني المستقر في الأوعية كونهما أقرب إلى تلك الأوعية، ولذا خصا بالذكر وجعلا مخرجًا له وإن كان معظم المخرج هو الدماغ والنخاع، ولا ضرورة إلى تخصيص الترائب بالنساء فإنه قد ذهب قوم إلى أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من بين الصلب والترائب للرجل. واحتج على ما ذهب إليه بأن الله تعالى بيّن أن الإنسان مخلوق من ماء دافق وأن الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل. ثم إنه تعالى وصف ذلك الماء الدافق بأنه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على أن الترائب ترائب الرجل، وعدم التعرض لماء المرأة لا ينافي أن يكون لمائها مدخل في تكون الولد. وأجاب القائلون بالترائب ترائب المرأة عن هذا الاحتجاج بأن توصف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض أجزائه.

و«الصلب» بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب. ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ الضمير للخالق ويدل عليه خالق ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منهما وهو ظرف لرجعه. ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها. ﴿وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ يمنعه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك منه. وقيل: الرجع المطر سمي به كما سمي أوبًا لأن الله تعالى يرجعه وقتًا فوقتًا، أو لما قيل من أن

قوله: (والضمير) أي ضمير أنه للخالق أي أن من خلقه من مثل ذلك الشيء الحقير لقادر على رجعه وإعادته حيًا بعد موته. وقوله: ﴿على رجعه﴾ متعلق «بقادر» فإن قيل: ما وجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور والذي هو قوله: ﴿على رجعه﴾ على عامله الذي هو ﴿لقادر﴾ مع أنه تعالى قادر على كل شيء؟ قلنا: التقديم قد لا يكون للحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك، وقدم ههنا للاهتمام بالعلم. فإن الكلام فيه بخصوصه بناء على الأمر بالنظر في مبدأ خلقه إنما هو لكونه وسيلة ومؤديًا إلى العلم بصحة الرجع والإعادة. والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهو ما يكتم ويخفي والمراد بها في الآية ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفي من الأعمال. والإبلاء والابتلاء الاختيار. الجوهري: بلوته بلوًا جربته واختبرته، وبلاه الله بلاء وابتلاه ابتلاء أي اختبره، وإطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب لأن الاختيار يكون للتعريف والتمييز، وابتلاء الله تعالى عباده بالأمر والنهي يكون لكشف ما علم منهم في الأزل.

قوله: (وهو ظرف لرجعه) قيل عليه لا يجوز أن ينتصب به للفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو خبر «إن» أعني «لقادر» ولا ينتصب أيضًا بقوله: ﴿لقادر﴾ لأنه تعالى قادر في كل الأوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت إلا أن يراد أنه منتصب بمضمر دل عليه رجعه أي يبعثه يوم تبلى السرائر. وأجيب بأن الفصل غير مانع من كونه ظرفًا «لرجعه» لأنه مؤخر تقديرًا وإنما قدم مراعاة للفاصلة على أن الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره. **قوله:** (في نفسه) مستفاد من عطف قوله: ﴿ولا ناصر﴾ على ﴿قوة﴾ فإنه يدل على أن المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقًا وإلا لما بقي للعطف فائدة، لأن القوة المستفادة من الغير قوة أيضًا وقد نفيت أولاً. والمعنى: إذا رجع الإنسان في ذلك اليوم فحينئذٍ لا يكون له شيء من القوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه، ولا شك أنه يرجع معناه إلى التحذير عما يؤدى إليه. **قوله:** (سمي به كما سمي أوبًا لأن الله يرجعه) أي يرجع نوعه بإنزال مثل الأول. سمي المطر بمصدر رجع وآب بمعني

السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ ما تتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون. ﴿إِنَّهُ﴾ إن القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ فاصل بين الحق والباطل. ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ فإنه جد كله ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ في إبطاله وإطفاء نوره. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

ذي رجوع وأوب، أو لأنه لكثرة رجوعه وأوبه جعل نفس الرجوع والأوب مبالغة، أو لأن الرجع بمعنى الراجع فإن المطر النازل من السماء هو الذي صعد من البحار بأن حمله السحاب منها ثم رجع إلى جانب الأرض. ورجع يستعمل لازمًا ومتعديًا يقال: رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ [طه: ٤٠] وهذيل تقول: أرجعه غيره.
قوله: (من النبات) بيان ما في قوله «ما تتصدع عنه الأرض» فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الأرض سمي به لكونه صادعًا للأرض والأرض تتصدع به، ولما لم يتأت خروجه من الأرض إلا بصدعه إياها جعل كأنه نفس الصدع فسمي به. **قوله:** (أو الشق) عطف على قوله: «ما تتصدع» فإن الصدع في اللغة الشق والأرض ذات الشق بالنبات والعيون، فعلى هذا يكون الصدع على أصل معناه إلا أن الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة في نفسه بل وسيلة إلى خروج ما هو نعمة في نفسه وهو النبات والعيون أخّره في الذكر لفوات الملاءمة بين هذه القرينة وبين قوله: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ حينئذٍ لأن الرجع بأي معنى كان نعمة في نفسه. ثم إنه تعالى لما أقسم في أول هذه السورة الكريمة على أن من آذى المؤمنين ملعونون وسلى رسوله ﷺ والمؤمنين وثبتهم على أذى المشركين وصبرهم عليه، وبيّن عقاب الكافرين وثواب المؤمنين، أقسم قسمًا آخر بقوله: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ على أن القرآن الذي بيّن هذه الأمور لقول فصل يفصل بين الحق والباطل، وأشار إلى كيفية خلقه النبات في هذا القسم كما أشار فيما قبل إلى كيفية خلقه الحيوان، فإن السماء ذات الرجع كالأب والأرض ذات الصدع كالأم يتولد من اجتماعهما أنواع النباتات. ثم إنه تعالى بعد ما أخبر بحقية القرآن وأقسم عليه بيّن أنهم يكيدون كيدًا في إبطاله بإلقاء الشبهات لإبطال بعض ما أخبر به القرآن كقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩؛ المؤمنون: ٣٧] وقولهم: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] وقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥] وقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١] وقولهم: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وبالطعن في مبلغه بقولهم: ساحر وشاعر ومجنون وبقصد قتله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

إمهالاً يسيرًا. والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات».

يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: ٣٠] وتسمية ما كان من قبله تعالى في حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدًا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم وجزاء له كما أشار إليه المصنف بقوله: «وأقابلهم بكيدي» وذلك لأن الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز إسناده إليه تعالى مراد به معناه الحقيقي، وتسمية جزاء ذلك الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة كثير في القرآن كقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧] و﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢] ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥] بعدما حكى عنهم قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]. **قوله**: (**إمهالاً يسيرًا**) إشارة إلى أن «رويدًا» ههنا صفة مصدر محذوف لاسم فعل لأنه لو كان كذلك لكان المعنى: فمهل الكافرين أمهلهم أرودهم. فيكون الأمر بالإمهال تكرر ثلاث مرات، فإن مهل وأمهل وأرود بمعنى واحد، وفائدة التأكيد قد حصلت بالثاني فيبقى الثالث بلا فائدة. وأما إذا كان صفة مصدر محذوف فإنه حينئذٍ يكون تصغير رود بضم الراء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل. **قوله**: (**والتكرير**) أي تكرير الأمر بالإمهال حيث قيل: أمهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتصبير وكذا تغيير البنية حيث بنى أحد لفظي الأمر من باب التفعيل والآخر من باب الأفعال، فإنه أيضًا لزيادة التسكين لأن الواحد إذا عبّر بعبارتين مختلفتين يرى كأنهما معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة. واعلم أن رويدًا في كلام العرب يستعمل على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون اسمًا لفعل الأمر فيعمل عمل الأفعال يقال: رويدًا زيدًا أي أرود زيدًا وأمهله، ولا يتصرف فيه على هذا الوجه لأنه حينئذٍ يكون من الأسماء الغير المتمكنة. والثاني أن يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف إلى ما بعده كما تضاف المصادر تقول: رويد زيد كما تقول: ضرب زيد قال تعالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] والثالث أن يكون نعتًا منصوبًا كقولك: ساروا سيرًا رويدًا ويقولون أيضًا: ساروا رويدًا يحذفون المنعوت ويقيمون رويدًا مقامه، وما في الآية من هذا القبيل. والله أعلم. تمت سورة الطارق.

سورة الأعلى

مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ نزّه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه

سورة الأعلى

مكية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (نزّه اسمه) يعني أن الأمر الإلـٰهي وارد بتسبيح اسمه تعالى الذي هو اللفظ الدال على ذاته المقدس عن الإلحاد فيه أي عن الميل عن الحق. والصواب في تفسيره بأن يفسر الأعلى مثلاً بالعلو في المكان، ويفسر الاستواء على العرش بالاستقرار عليه. فإن الأعلى من العلو بمعنى الاقتدار والقهر والاستواء بمعنى الاستيلاء والتسلط. وقيل: الأمر الإلـٰهي وارد بتنزيه ذاته تعالى لأن الاسم لكونه من قبيل الألفاظ المؤلفة من الحروف المقطعة لا يجب تنزيهه، لكن المسمى إذا كان في غاية العظمة والجلالة يعبّر عنه بشيء مما يلابسه كما يقال: سلام على المجلس السامي والمعروض إلى الحضرة السامية، فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع إقحامة مع قطع النظر عن قصد التعظيم في قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ولكن إقحامه لقصد التعظيم يكون أولى. ومن الناس من تمسك بهذه الآية مستدلاً

على غيره زاعمًا أنهما فيه سواء وذكره لا على جه التعظيم. وقرىء سبحان ربي الأعلى. وفي الحديث: لما نزل ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «اجعلوها في

على أن الاسم والمسمى واحد وقال: لأن أحدًا لا يقول سبحان اسم الله سبحان اسم ربنا، فمعنى ﴿سبح اسم ربك﴾ سبح ربك والرب أيضًا اسم فلو كان غير المسمى لكان المأمور به تسبيح غيره تعالى وهو استدلال ضعيف، لأنه إذا وجب تسبيح اسمه تعالى فوجوب تسبيح ذاته يكون أولى. ويجوز أن يكون لفظ الاسم صلة على ما قيل. وعلى كل واحد من التقديرين لا دلالة في الآية على اتحاد الاسم والمسمى. قال الإمام: ههنا دقيقة وهي أن قولنا: اسم لفظ وضع لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك، فيلزم أن يكون الاسم اسمًا لنفسه. فههنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء الأولين ذكروا ذلك فاشتبه الأمر على المتأخرين وظنوا الاسم في جميع المواضع نفس المسمى. انتهى كلامه. فقوله: «فهاهنا الاسم نفس المسمى» محل بحث، وتحقيق المقام أن للأشياء وجودًا في الأعيان ووجودًا في الأذهان ووجودًا في اللسان. أما وجودها في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي، والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من الصورة العلمية، وتلك الصورة هي المنطبعة في النفس من الوجود العيني الخارجي، فلو لم يكن وجود في الأعيان لم تنطبع الصورة في الأذهان، ولو لم تنطبع الصورة في الأذهان لما عبّر عنها اللسان. فإذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة أمور متباينة لكنها متطابقة متوازية، وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة إلى ما ذكره علماء الكلام في مباحث الكيف وبحث الوجود الذهني، وظهر بهذا أن الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الأعيان بالوجود الأصلي كما أنه غير الصورة الذهنية التي عبّر عنها بالعلم، وكذا لفظ الاسم الذي عبّر به عن المفهوم الكلي الذي هو نوع من أنواع الكلمة ميّز عن الأفراد الخارجية لذلك المفهوم، وكذا كل لفظ وضع بإزاء معنى اسمًا كان أو فعلاً أو حرفًا فله اسم علم ميز به نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم أو الفعل أو الحرف كما تقول في قولنا: خرج زيد من البصرة: خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف، فتجعل كل واحد من الثلاثة محكومًا عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرًا عنه ومحكومًا عليه. فلفظ زيد في المثال المذكور وإن كان اسمًا لنفسه بحسب الظاهر إلا أن بينهما تغايرًا اعتباريًا، فإن الشخص الخارجي مسمى بزيد باعتبار وضعه بإزائه وهذا الاسم الموضوع بإزاء الشخص مسمى بلفظ زيد باعتبار دلالته على ذلك الاسم الموضوع فالاسم هنا أيضًا غير المسمى. **قوله**: (وقرىء سبحان ربي الأعلى) قيل إن علي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله عنهما قرآها كذلك، والظاهر أنهما قرآها امتثالاً للأمر لا على أنها من القرآن

ركوعكم» فلما نزل ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم». وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت وفي السجود: اللهم لك سجدت. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ خلق كل شيء فسوّى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ أي قدّر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ فوجهه إلى أفعاله طبعًا أو اختيارًا بخلق الميول

لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا قرأها قال: «سبحان ربي الأعلى» وروي أيضًا أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ في الصلاة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ثم قال: سبحان ربي الأعلى. فلما انقضت الصلاة قيل: يا أمير المؤمنين أتزيد هذا في القرآن؟ قال: ما هو؟ قيل: سبحان ربي الأعلى. قال: لا إنما أمرنا بشيء فقلته امتثالاً للأمر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قرأ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فليقل سبحان ربي الأعلى. وهذه الآثار والأخبار تؤيد قول من يقول: المأمور به تنزيه ذاته تعالى وأن لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم من لوازمها كما يقال: سلام على المجلس العالي. قيل: أول من قال: سبحان ربي الأعلى ميكائيل. وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام: «يا جبريل أخبرني عن ثواب من قالها في صلاته أو في غير صلاته». فقال: يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده أو في غير سجوده إلا كانت له في ميزانه أثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا، ويقول الله تعالى: صدق عبدي أنا الأعلى وفوق كل شيء وليس فوقي شيء، واشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لعبدي وأدخلته جنتي. فإذا مات أتاه ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله عز وجل فيقول: يا رب شفعني فيه. فيقول: قد شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة.

قوله: (خلق كل شيء فسوّى خلقه) إشارة إلى أن حذف مفعول كل واحد من ﴿خلق فسوى﴾ لقصد التعميم وأن تسوية خلق المخلوقات عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الإحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان جامعة لجميع ما يتوقف عليه كمالها في ذاتها وينتظم به أسباب معاشها. **قوله:** (أي قدّر أجناس الأشياء) أي جعل أجناسها بمقدار معلوم، وكذا جعل أنواع كل جنس وأشخاص كل نوع بمقدار معلوم، وجعل أيضًا مقدار كل شخص في جثته وأشكاله وأوصافه من الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والأرزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] قال صاحب الكشاف: قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه به إليه وعرّفه وجه الانتفاع به. ثم قال: يحكى أن الأفعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله تعالى أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها، فربما كانت في برية

والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات. ﴿وَالَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤﴾ أنبت ما يرعاه الدواب ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خضرته ﴿غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾ يابسًا أسود. وقيل: أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته. ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ على لسان جبريل عليه السلام، أو سنجعلك قارئًا بإلهام القراءة. ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ أصلاً من قوة الحفظ مع أنك أمي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضًا من الآيات. وقيل: نهي والألف للفاصلة كقوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾

بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم في بعض تلك البساتين على شجرة الرازيانج فتحك به عينها فترجع باصرة بإذن الله تعالى. وهدايات الله تعالى للإنسان إلى ما لا يجد من مصالحه وحوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه، والهامات البهائم والطيور وهو أم الأرض باب واسع لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى. **قوله:** (**أنبت ما يرعاه الدواب**) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المرعى الكلأ الأخضر. وفي الصحاح: الرعي بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر، والمرعى زمان الرعي والموضع والمصدر. والظاهر أن المرعى اسم مشتق أطلق على الكلأ تشبيهًا له بمكان الرعي. **قوله:** (**يابسًا أسود**) الأول تفسير قوله تعالى: ﴿غثاء﴾ والثاني تفسير ﴿أحوى﴾ فإن الغثاء ما يبس من النبات وصار هشيمًا يقذفه السيل على جوانب الوادي، وأحوى أفعل من الحوة وهي السواد والأحوى الأسود وهو صفة لغشاء. وسبب كونه أسود إما احتراقه لشدة الحر، أو أن السيل يحمله فتعلق به أجزاء كدرة فيسود لذلك، أو أن الريح تحمله فيلصق به الغبار فيسود بذلك. **قوله:** (**وقيل أحوى حال من المرعى**) وصف المرعى بكونه أحوى أي اسود لشدة خضرته كما قيل في وصف الجنتين ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٤] أي سوداوان من شدة خضرتهما. فعلى هذا يكون في الآية تقديم وتأخير والتقدير: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء. **قوله:** (**سنقرئك على لسان جبريل**) أي سنعلمك بأن يقرأ عليك جبريل القرآن مرات إلى أن تحفظ حفظًا لا تنساه بعد ذلك، أو سنجعلك قارئًا بإلهام القراءة بأن نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظًا لا تنساه. فيكون حفظه عليه السلام لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتبة أمرًا خارقًا للعادة ولا سيما هو أميٌّ فيكون معجزًا. وأيضًا أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وقد أخبر الله أنه سيظهر على يده أمرًا عجيبًا غريبًا مخالفًا للعادة، وهو أنه تعالى سيقرئه وهو أميٌّ لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه إلا ما شاء الله أن ينساه، فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] فإن الإنساء نوع من النسخ، وهذا إخبار عن الغيب وقد وقع كما أخبر فيكون معجزًا. قيل: كان

نسيانه بأنه تنسخ تلاوته. وقيل: المراد به القلة والندرة لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال: «نسيتها» أو نفي النسيان رأسًا فإن القلة تستعمل في النفي ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ ما ظهر من

عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسانه مخافة أن ينسى، وكان جبريل عليه السلام لا يفرغ من آخر الوحي حتى يتكلم عليه السلام بأوله مخافة النسيان، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿سنقرئك فلا تنس﴾ فلم ينسَ بعد ذلك شيئًا لأنه لا يخلف وعده. و «لا» في قوله تعالى: ﴿فلا تنسى﴾ نافية وعليه الجمهور «لا» للنهي لأن الإنسان لا ينهى عن النسيان لأنه لا مدخل فيه للاختيار فلا ينهى عنه، فلذلك ثبت الألف في «فلا تنسى» في الخط والتلفظ. ومن جعله نهيًا عن النسيان احتاج إلى التكلف في توجيه ورود النهي عما ليس باختياري، فقال: إن النهي وإن كان عن النسيان صورة لكنه في الحقيقة نهي عن سببه، وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكأنه قيل: لا تغفل عن قراءته وتكراره فتنساه. واحتاج في توجيه ثبوت الألف إلى أن يقول: إنها مزيدة رعاية لفواصل الآي كالتي في ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] وحمله على الخبر أولى لعدم احتياجه إلى التكلف وقوله: «فلا تنسى أصلاً» أي لا بطريق النسخ ولا بغيره ذكره ليظهر كون الاستثناء متصلاً. **قوله: (وقيل المراد به القلة)** أي قلة المنسي الذي يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله: «بأن تنسخ تلاوته» فإن المراد بنسيان ما شاء الله نسيانه حينئذٍ النسيان المستمر بحيث لا يعقبه التذكر بعده، فإن النسيان الذي هو أحد طريقي النسخ لا بد أن يكون مستمرًا. وأما إن حمل الاستثناء على القلة فحينئذٍ يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذي يعقبه التذكر بعده، ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسي بهذا المعنى. فإنه عليه الصلاة والسلام قد عرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المصنف. ووجه إفهام معنى القلة من هذا الاستثناء أن المستثنى هو المنسي الذي تعلقت المشيئة بنسيانه، ولا شك أن تعلق المشيئة بنسيان شيء منه غير معلوم إذ يجوز أن لا تتعلق بشيء منه أصلاً، وعلى تقدير تعلقها بنسيان شيء منه فلا شك أن ما تعلقت المشيئة بنسيانه أقل من الباقي بعد الاستثناء فدار أمر المستثنى بين أن ينتفي رأسًا وبين القلة والندرة، وما كان كذلك يكون في غاية القلة. فهذا وجه من حمل الاستثناء على القلة.

قوله: (أو نفي النسيان) مرفوع معطوف على قوله: «القلة» و «الندرة» والنسيان المنفي على القولين الأخيرين هو النسيان الذي يعقبه التذكر إلا أنه على القول الأول يقصد استثناء القليل منه كأنه قيل: فلا تنسى شيئًا مما علمناه لك وقرأناه عليك نسيانًا متعارفًا، وهو الذي يعقبه التذكر بعد إلا قليلاً منه. وعلى القول الثاني لا يقصد استثناء شيء منه ويكون قوله:

أحوالكم وما بطن، أو جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء أو إنساء.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي، أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة. قال تعالى: ﴿نيسرك﴾ لا نيسر لك عطفًا على ﴿سنقرئك﴾ و﴿إنه يعلم الجهر﴾ اعتراض. ﴿فَذَكِّرْ﴾ بعد ما استتب لك الأمر ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾

﴿إلا ما شاء الله﴾ لنفي النسيان المتعارف رأسًا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله: فلا تنسى شيئًا مما أقرأناك أصلاً إلا ما شاء الله نسيانه بأن تنسخ تلاوته. ولما كان قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ مما يدل على القلة جاز أن يراد منه نفي النسيان رأسًا، فإن استعمال القلة بمعنى النفي رأسًا وارد في كلامهم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فإن قضاء حق الشكر بكماله غير مقدور للبشر. **قوله:** (فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء أو إنساء) تفريع على التفسيرين. وأشار إلى أن قوله تعالى: ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بأن يجعل علمه تعالى بما ظهر من أحوال عباده وبما يخفى منها، أو علمه بجهره عليه الصلاة والسلام بالقرآن مع جبريل وبما يخفى في نفسه مما يدعوه إليه من مخافة النسيان مجازًا عن علمه بما فيه صلاح العباد، فلا ينسى ما أنساه من الوحي ولا يبقى ما أبقاه إلا لمصلحة تعود إليهم. **قوله:** (ونعدك للطريقة اليسرى) ضمن قوله: «نيسرك» معنى الإعداد والتوفيق بيانًا لوجه تعدية قوله: «نيسرك» بدون اللام، فإن العبارة الشائعة أن يقال: جعل الفعل الفلاني ميسرًا لفلان ولا يقال: جعل فلان ميسرًا للفعل الفلاني، فالظاهر أن يقال: نيسر اليسرى لك إلا أنه جعل الفاعل ميسرًا للفعل في هذا الموضع وكذا في سورة الليل أيضًا، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» باعتبار التضمين أي معد وموفق له. والمراد بالطريقة اليسرى إعمال الخير سميت يسرى لكونها مؤدية إلى اليسرى والراحة. وقوله تعالى: ﴿ونيسرك﴾ معطوف على ﴿سنقرئك﴾ وقوله: ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ اعتراض والتقدير: سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر في حفظ القرآن أو في باب التدين والطاعة، ونون العظمة في قوله تعالى: ﴿نيسرك﴾ ليستدل بعظمة المعطي على عظمة المعطا وكيف لا وقد كان عليه الصلاة والسلام صبيًا لا أب له ولا أم نشأ في قوم جهال؟ ثم إنه تعالى جعله في أفعاله وأقواله قدوة للعالمين وهاديًا للخلائق أجمعين إلى شريعة لم يهد إلى مثلها أحد من الأولين فكان بذلك سيد المرسلين وخاتم النبيين وأي عطاء أجل وأعظم من هذا؟ **قوله:** (بعدما استتب لك الأمر) بيان لمعنى فاء التعقيب في قول: ﴿فذكر﴾ يقال: استتب له الأمر إذا تهيأ واستقام، فإنه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسر حفظه له بحيث لا ينسى شيئًا

لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ [ق: ٤٥] الآية أو لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم، أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى. ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد.

منه إلا ما شاء الله تعالى نسيانه، أو تيسر سبيل الرشد والتدين، أمره بتذكير الخلق ودعوتهم إلى الحق ليكون جامعًا بين منصبي الهدى والهداية ودولتي الكمال والتكميل. **قوله:** (لعل هذه الشرطية إنما جاءت الخ) جواب عما يقال إنه عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ثواب الطاعة والإيمان، فعليه أن ينذر الكل ويذكرهم سواء قبلوا منه التذكير وانتفعوا به أم لا. فإن نفعتهم الذكرى فيها وإلا فلا أقل من تزايد مثوباته عليه الصلاة والسلام بتكرار الإنذار والتذكير وانقطاع حجة المعاندين حيث لا يمكنهم أن يقولوا بعد الإنذار والتذكير ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ﴿لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧] فلم وجب عليه أن يذكر الخلائق أجمعين إن نفعتهم الذكرى. والمصنف أجاب عنه بثلاثة أجوبة: تقرير الأول أن ما ذكره من كون التذكير واجبًا عليه مطلقًا إنما هو قبل إلزام الحجة عليهم وإتمام دعوتهم بتكرير التذكير بأوضح البيان وأبلغ التقرير إلى أن يتضح الحق ويبين الرشد من الغي، بحيث يظهر أن من أصر على الكفر والضلال بعده إنما يصر عليه لمحض العناد وإيثار الهوى على الهدى، وأما بعد ذلك فلا يجب إذ لا فائدة له بعد ذلك سوى إتعاب النفس والتلهف على من آثر الشقاوة الأبدية على السعادة الدائمة. وتقرير الجواب الثاني أن قوله تعالى: ﴿إن نفعت الذكرى﴾ وإن كان تقييدًا للإيجاب بحسب الظاهر إلا أنه لم يؤت به في هذا الموضع لتقييد الحكم به وإنما أتى به ذمًا للمذكورين وتنبيهًا له عليه الصلاة والسلام. يعني أن هؤلاء لا تنفعهم الذكرى كما يقال في حق رجل: ادع فلانًا إن أجابك والمعنى: ما أراه يجيبك، فكأنه قيل: فذكرهم وما يظن اتعاظهم وقبولهم منك. وإذا لم يكن التعليق والتقييد مرادًا بقي الأمر بالتذكير على إطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه. وتقرير الثالث أن التقييد والتعليق بالنسبة إلى طائفة معينة علم النبي ﷺ أن الذكرى لا تنفعهم لشدة إعراضهم عن الهدى، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] ويلزم من هذا الجواب أنه عليه الصلاة والسلام إذا علم بنور النبوة أو الوحي الإلهي أن الضال لا يؤمن ولا تنفعه الذكرى لا تجب عليه التذكرة.

قوله: (وهو يتناول العارف والمتردد) فإن الناس في المعاد على ثلاثة أقسام: منهم

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنب الذكرى ﴿ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ الكافر فإنه أشقى من الفاسق أو الأشقى من الكفرة لتوغله في الكفر. ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ نار جهنم فإنه عليه السلام قال: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم». أو ما في الدرك الأسفل منها. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ حياة تنفعه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تطهر من الكفر والمعصية، أو تكثر من التقوى من الزكاء، أو تطهر للصلاة، أو أدى الزكاة. ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل: ﴿تزكى﴾ تصدق

من قطع بصحته، ومنهم من جوّز وجوده ولكن لم يقطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات، ومنهم من قطع بإنكاره. والقسمان الأولان يتناولهما مفهوم من يخشى الله دون الثالث، فإن من كان عارفًا بالله تعالى وبكمال قدرته وعلمه وحكمته يقطع لذلك بصحة المعاد ويخشى الله تعالى وينتفع بالذكرى، وكذا من تردد وتوقف إلى أن يتبين الحق له ولا يكون من أهل العناد والإصرار فإنه إذا سمع آية التخويف مثل أن يقال: من كفر وتولى فإنه ﴿يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ ينكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلبه هواه وحمله ذلك العناد والإصرار، فإن قلبه يقفل عليه فلا يصل إليه خوف الله تعالى وخشيته فلا ينتفع بالذكرى لأن الانتفاع بها مبني على خشية القلب ولم يحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولا يقبلها ولا ينتفع بها، وهو المراد بالأشقى الذي هو القسم الثالث من أقسام الناس. **قوله**: (**الأشقى الكافر**) يعني أن المراد بالأشقى إما جنس الأشقى وهو الكافر، أو فرد معين منه كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والمفضل عليه على الأول جنس الفاسق وعلى الثاني سائر الكفرة. و «ثم» في قوله تعالى: ﴿ثم لا يموت﴾ للتراخي الرتبي لأن هذه الحالة أفظع وأعظم من نفس الصلى فهي متراخية عنه في مراتب الشدة. والكبرى اسم تفضيل لأنه تأنيث الأكبر فيقتضي مفضلاً عليه وهو نار الدنيا إن كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم، وإن كان المراد بها ما في أسفل دركات جهنم من النار يكون المفضل عليه ما في الدركات التي فوقها فإن في جهنم نيرانًا ودركات متفاوتة كما أن في الدنيا ذنوبًا ومعاصي متفاوتة، فالكافر أشقى العصاة فلذلك يصلى أعظم النيران. ثم إنه تعالى لما ذكر وعيد من أعرض عن الذكرى ولم يتأمل في دلائل الله تعالى أتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك بأن قال: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله على أن يكون التزكي من الزكاء بمعنى الطهارة. وقيل: من الزكاء بمعنى النماء أي من صار زاكيًا ناميًا من جهة الأعمال الصالحة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء أي نما وكثر والزاكي النامي الكثير، ويقال أيضًا تزكى بمعنى تصدق وأدى الزكاة. **قوله**: (**ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم**) عطف على قوله ما يفهم

للفطر ﴿وذكر اسم ربه﴾ كبره يوم العيد ﴿فصلى﴾ صلاته ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة. والخطاب للأشقين على الالتفات، أو على

من قوله: «ذكر اسم ربه بقلبه ولسانه» فدعاه ذلك إلى أن يصلي تعظيمًا له تعالى وإجلالاً ومن استدلاله على ذلك بقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤] فإن من ذكر الله تعالى بكمال عظمته وكبريائه وبأنواع فضله وإحسانه دعاه ذلك إلى الاشتغال بخدمته وطاعته. وذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن المراد بذكر اسم ربه تكبيرة الإحرام فيكون المعنى: وذكر اسم ربه لافتتاح الصلاة وصلى عقيبه. واحتج الآية على وجوب تكبيرة الإحرام حيث عدت في جملة ما علق به الفلاح وعلى أنها ليست من أركان الصلاة من حيث إن الصلاة عطف عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل إنما تكون بملابسة ركن من أركانها لا عقيبها، وعلى أن افتتاح الصلاة والشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من أسمائه تعالى. فالمناسب على هذا أن يحمل التزكي على التطهر للصلاة لتكون الآية مسوقة لكل من حصل هذين الشرطين الطهارة وتكبيرة إحرام وصلى عقيبهما. والأئمة الشافعية قالوا: هذه الآية وإن دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى وصلى عقيبه، لكن ليس فيها ما يدل على أن ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجوز أن يكون بمعنى أن من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه وعاد بعد ذلك إلى فعل الصلاة، فحينئذٍ يأتي بالصلاة التي أحد أركانها وأجزائها تكبيرة الافتتاح، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له. قال الإمام: وأقول هذا التفسير متعين وذلك لأن مراتب أعمال المكلف ثلاث: أولاها إزالة العقائد الفاسدة عن القلب، وثانيتها استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله، وثالثتها الاشتغال بخدمته وطاعته. فالمرتبة الأولى هي المرادة بقوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ وثانيتها هي المرادة بقوله: ﴿وذكر اسم ربه﴾ فإن الذكر بالقلب هو المعرفة وثالثتها وهي الخدمة هي المرادة بقوله: ﴿فصلى﴾ فإن الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لا بد وأن يظهر في جوارحه وأعضائه أثر الخضوع والخشوع. انتهى كلامه. وإذا حمل التزكي على أداء الزكاة المفروضة تكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] قيل: هذا التفسير بعيد من حيث إن عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلاة على الزكاة أينما ذكرا معًا، وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها.

قوله: (فلا تفعلون ما يسعدكم) إشارة إلى أن المضروب عنه قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي لا تفعلونه بل تؤثرون فإن «بل» موضوعة لنفي ما تقدم وتحقيق غيره. **قوله:** (والخطاب للأشقين) إشارة إلى أن المراد بالأشقى جنس الكافر فهو في معنى الجمع. ونكتة

إضمار «قل»، أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة. وقرأ أبو عمرو بالياء. ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ الإشارة إلى ما سبق من ﴿قد أفلح﴾ فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة. ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ بدل من «الصحف الأولى». قال عليه السلام: «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام».

الالتفات المبالغة في الذم فإن الذم مواجهة أبلغ في الذم مما يكون في الغيبة. وفي إضمار «قل» تحقير لشأنهم بالإشارة إلا أنهم لا يستحقون لخطابه تعالى. **قوله:** (وقرأ أبو عمرو بالياء) على الإخبار عن الأشقين وهم غيب. **قوله:** (فإن نعيمها ملذ بالذات) أي لا يتناول إلا لأجل الالتذاذ والتفكه ولا يقصد به التغذي ودفع ألم الجوع والعطش يقال: لذذت الشيء أي وجدته لذيذًا وأنت تلتذ به. وفي بعض النسخ «تلذذ» أي كأنه محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فإنه يقصد لا لذاته بل لما يترتب عليه من التقوى ونحوه. والغوائل جمع الغائلة وهي الشر والمضرة. **قوله:** (والإشارة إلى ما سبق من قد أفلح) والمعنى ما ذكر من قوله: ﴿قد أفلح﴾ إلى آخر الآيات الأربع مذكور في صحف الأنبياء المتقدمين بمعناه، وإن لم يكن مذكورًا باللفظ المذكور هنا. **قوله:** (فإنه جامع أمر الديانة) فإن قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إشارة إلى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغي من العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة. وقوله: ﴿وذكر اسم ربه﴾ إشارة إلى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله: ﴿فصلى﴾ إشارة إلى تكميل الله تعالى الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ إشارة إلى الزجر عن إيثار الحظوظ العاجلة على السعادة الأبدية وقوله: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ إشارة إلى الترغيب في طلب الآخرة وما فيها من التروح والثواب الجزيل. وهذه أمور لا تختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾. تمت سورة الأعلى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الغاشية

مكية وآيها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ①﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيامة أو النار من قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

سورة الغاشية

مـكيـة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله تعالى: (الغاشية) الغطاء هو الغشاء والغشاء هو الغطاء يقال: غشيه يغشاه أي غطاه، وكل ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاشٍ له. وسميت القيامة غاشية لأنها تغشى الناس جميعًا من الأولين والآخرين، أو لأنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد. ويجوز أن تكون الغاشية صفة بقرينة قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] و«هل» بمعنى «قد» أي قد أتاك خبر القيامة فتنبه لهولها وما فيها من معنى الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه، لأنه تعالى عرف رسول الله ﷺ من أحوال الغاشية وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عالمين به على التفصيل. **قوله تعالى:** (وجوه) مبتدأ و«خاشعة» خبره و«يومئذٍ» ظرف للخبر أي ذليلة يوم إذ غشيت تلك الداهية الناس. ولعل وجه صحة الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام أصحاب وجوه بالإضافة إلا أن أثر الخشوع والمذلة لما كان يظهر في الوجه أولاً حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قال الإمام: المراد بالوجوه

خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ تعملُ ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها، أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذٍ ﴿تَصْلَىٰ نَارًا﴾ تدخلها. وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر «تصلى» من أصلاه الله. وقرىء «تصلى» بالتشديد للمبالغة. ﴿حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ متناهية في الحر ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ بلغت أناها في الحر. ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبًا. وقيل: شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء. والزقوم والغسلين طعام غيرهم. أو المراد طعامهم مما

أصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل أنه تعالى وصف الوجوه بأنها ﴿عاملة ناصبة﴾ وذلك من صفات المكلف لكون الخشوع إنما يظهر في الوجه فأسند إلى ضميره لذلك. **قوله: (تعمل ما تتعب فيه)** إشارة إلى أن ارتفاع كل واحد من الاسمين على أنه خبر بعد خبر لوجوه، وأن «ناصبة» وإن كان خبر «وجوه» من حيث الإعراب إلا أنه من حيث المعنى تقييد للعمل بأنه من قبيل ما تعبت فيه الوجوه فإن «ناصبة» بمعنى تعبة يقال: نصب الرجل ينصب نصبًا من باب علم إذا تعب في العمل، وإذا كان كل واحد منهما خبر «الوجوه» يكون قوله: ﴿يومئذٍ﴾ ظرفًا لكل واحد من الأخبار الثلاثة، وتكون الأخبار بأسرها حاصلة في الآخرة. فإن الكفار لما تكبروا في الدنيا عن عبادة الله تعالى وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين أي ذليلين وعاملين في النار أعمالاً يتعبون فيها. والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير. والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئن. والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة. **قوله: (أو عملت ونصبت)** أشار بلفظ الماضي إلى أن المراد بالعمل والنصب ما صدر عنها في الدنيا، والمعنى: إنها خاشعة في الآخرة وقد كانت في الدنيا عاملة ناصبة ولم تنتفع بشيء من عملها، ونصبها الصادرين عنها في الدنيا لكونهما في غير طاعة الله تعالى. فالظاهر على هذا الاحتمال أن يكون قوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة في موضع الحال من ضمير «خاشعة» والتقدير: وهي عاملة تعبة في الدنيا فيما لم ينتفع به يوم إذ غشيت الداهية الكبرى. **قوله: (وقرأ أبو عمرو تصلى)** بضم التاء وسكون الصاد على بناء ما لم يسم فاعله. والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل، والمنوي فيه على تينك القراءتين للوجوه. وقرىء بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام. **قوله: (بلغت أناها)** أي بالغة غايتها في الحر يقال: آن الحميم يأنى آنًا أي انتهى حره، والآنا نهاية الحر.

قوله: (ولعله طعام هؤلاء) جواب عما يقال: قوله تعالى في هذه السورة ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ لا ينافي قوله تعالى في سورة الحاقة ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦] فإن أحد الحصرين ينافي الآخر لأن الضريع غير الغسلين.

يتحاماه الإبل ويتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ والمقصود من الطعام أحد الأمرين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ ذات بهجة أو متنعمة ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ رضيت بعملها لما رأت ثوابه.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ علية المحل أو القدر ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب أو الوجوه. وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس، والتاء نافع. ﴿فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ لغوًا أو كلمة ذات لغو أو نفسًا تلغو، فإن كلام أهل الجنة الذكر والحكم. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢﴾ يجري ماؤها ولا ينقطع. والتنكير للتعظيم. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣﴾ رفيعة السمك أو القدر ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ جمع كوب وهو إناء لا عروة له. ﴿مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ بين

وأيضًا كل واحد منهما ينافي قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] وتقرير الجواب أن الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصي وأهلها من أهل النار، فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم شرابه من الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم. ثم أشار إلى جواب آخر بقوله: أو المراد بهذه الآية حصر طعامهم المقيد بكونه مما يتحاماه الإبل وتكرهه ولا تتناوله لمرارته في الضريع، وذلك لا ينافي أن يكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين. **قوله: (ذات بهجة)** أي حسن على أن ناعمة من نعم الشيء بالضم نُعومة أي صار ناعمًا لينًا، وتكون نعومة الوجوه أي غضاضتها ونضارتها كناية عن التنعم وطيب الحال، أو على أن بناء ناعمة للنسبة بمعنى ذات نِعمة والنعمة في حق الوجه هو الحسن والبهجة. **قوله: (رضيت بعملها)** إشارة إلى أن السعي بمعنى العمل يقال: سعى يسعى سعيًا إذا عدا وكذا إذا عمل وكسب، وإلى أن اللام في قوله: ﴿لسعيها راضية﴾ متعلقة براضية والتقدير: راضية لسعيها، فلما تقدم المعمول ضعف العامل فجيء باللام في قوله: ﴿لسعيها﴾ ويجوز أن تكون لام التعليل أي لأجل سعيها في طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه. **قوله: (والتاء نافع)** لتأنيث لفظ «لاغية». وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء لأن التأنيث غير حقيقي، ولأن اللاغية بمعنى اللغو على أنها مصدر كالعاقبة. **قوله: (أو كلمة ذات لغو)** على أن تكون «لاغية» بمعنى النسبة مثل تامر صفة لمؤنث هي الكلمة أو النفس، واللاغية حينئذٍ للحدث لا للنسبة. **قوله: (والتنكير للتعظيم)** أي رفعة شأنها من حيث إنها تجري على وجه الأرض من غير أخدود جريًا لا ينقطع وتجري لهم حيث أرادوا إجراءها، وماؤها أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل. **قوله: (رفيعة السمك)** أي عالية إلى جهة الفوق، فإن السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه إذا جلس المؤمن عليها يرى جميع ما أعطي له في الجنة من الملك والنعيم، أو رفعة قدرها من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في

أيديهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿مَصۡفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ بعضها إلى بعض ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وبسط فاخرة جمع زربى ﴿مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ مبسوطة. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾﴾ خلقًا دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار، وترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعدًا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع أخر. ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعًا ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع. وقيل: المراد بها السحاب على الاستعارة. ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾﴾ بلا عمد ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾﴾ فهي راسخة لا تميل ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ بسطت حتى صارت مهادًا. وقرىء الأفعال الأربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب، والمعنى: أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات

ذواتها وأوصافها. لما قرر الله تعالى أمر الغاشية وحكم بأن بعض أهلها أشقياء معذبون أشد العذاب وبعضهم سعداء منعمون، ومعلوم أن ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على ما يشاء، اتبع ذلك ذكر ما يدل على ثبوته وكمال قدرته فقال: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل﴾ إنكارًا على تركهم النظر إلى عجائب المخلوقات وحثًا لهم على النظر والاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه وحكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث. والفاء في قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون﴾ للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام أي أيعرضون عن النظر إلى ما يدل على صحة البعث وقدرته تعالى عليه؟ أو إلى ما أتاك من حديث الغاشية أفلا ينظرون إلى الإبل الخ. **قوله:** (باركة للحمل) أي باركة لأن يحمل عليها ناهضة بالحمل وهو بالكسر ما كان على الظهر، والباء فيه للتعدية أي رافعة إياه. ونهض بمعنى قام وناء ينوء نوءًا أي نهض بجهد ومشقة، وناء بالحمل إذا نهض به. والوقر بالكسر الحمل ويجمع على أوقار كحمل وأحمال. يعني أن الحكمة في طول أعناقها أمران: أحدهما اقتدارها على القيام بأحمال الثقيلة فإنها إذا مالت عنقها إلى جانب خلفها يسهل عليها رفع مقدمها. **قوله:** (إلى عشر) وهو بكسر العين وسكون الشين ما بين الوردين وهو ثمانية أيام ترد اليوم العاشر. كذا في الصحاح. **قوله:** (وقيل المراد بها السحاب) تشبيهًا بالإبل في كثرة ما نيط بها من حاجة الناس كالإبل وأطلق الاسم المشبه به عليه المجاز أو قرينة المجاز ذكره في جنب ذكر السماء والجبال. وقوله: ﴿كيف﴾ منصوب «بخلقت» على حد نصبها في قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون﴾ والجملة بدل من الإبل بدل اشتمال لتكون في محل الجر وقد دخلت «إلى» على «كيف» في قولهم: انظر إلى كيف تصنع، فيجوز إبدالها مما دخلت عليه كلمة «إلى». قرأ

من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث». ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ بمسلط. وعن الكسائي بالسين على الأصل وحمزة بالإشمام ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ لكن من تولى وكفر ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ يعني عذاب الآخرة. وقيل: متصل فإن جهاد الكفار وقتلهم تسلط

العامة «خلقت» و«رفعت» و«نصبت» و«سطحت» بضم فاء الفعل وكسر عين الفعل وتاء التأنيث الساكنة مبنيًا للمفعول، والقائم مقام الفاعل في كل واحد منها منوي فيه عائد إلى ما قبله. وقرىء كل واحد منها بفتح الفاء والعين على بناء الفاعل وهو ضمير المتكلم وحده وحذف ضمير المفعول الراجع إلى ما قبلها للعلم به والتقدير: خلقتُها ورفعتُها ونصَبتُها وسَطَحتُها. **قوله**: (ولذلك) أي ولكون المقصود من حثهم على النظر إلى أنواع المخلوقات أن يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث أورده عقيب ذكر أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير، فإنه عليه الصلاة والسلام إنما يذكرهم ببعثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته. ثم إنه تعالى حصر أمره عليه السلام في التذكير لأنه عليه السلام لم يؤمر حينئذٍ إلا بالتذكير، ويؤيده قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] فتقتلهم وتكرههم على الإيمان، ثم نسختها آية القتال. ويحتمل أن يكون المراد بالتسلط المنفي التسلط على قلوبهم بأن تدخل الإيمان في قلوبهم كرهًا فلا نسخ.

قوله: (وعن الكسائي بالسين) هكذا في بعض النسخ، وهو خطأ لأن الكسائي ممن يقرأ بالصاد الخالصة والصواب، وعن هشام وهو ممن يروي عن ابن عامر الشامي فإنه قرأ بمسيطر بالسين على الأصل لأنه من السطر. قال الجوهري: سطر يسطر سطرًا أي كتب، والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء يشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتبها عليه، وأصله من السطر لأن الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر. انتهى. وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد والزاي أي بخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي، والخلط المذكور أي خلط حرف بحرف أحد معاني الإشمام في عرف القراء. والباقون بالصاد خالصة. **قوله**: (لكن) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن المقصود منه إثبات ولاية الله عز وجل واقتداره على تعذيب من تولى وأعرض عن إجابة دعوته عليه الصلاة والسلام بعد ما نفى تسلطه عليه السلام، وليس فيه إخراج بعض من دخل من المستثنى منه عن حكمه. فعلى هذا تكون كلمة «من» شرطية جزاؤها قوله ﴿فيعذبه﴾ أي فهو يعذبه الله إذ لو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزومًا. **قوله**: **(وقيل متصل)** على

وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة. وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر إلا من تولى وأصر فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض، ويؤيد الأول أنه قرىء «ألا على» التنبيه، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ رجوعهم. وقرىء بالتشديد على أنه فيعال مصدر «أيب» فيعل من الإياب، أو فعال من الأوب قلبت واوه الأولى قلبها في ديوان ثم الثانية للإدغام ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ في المحشر وتقديم الخبر

أنه استثناء من الضمير في «عليهم» أي لست عليهم بمسيطر إلا على من تولى عن الإيمان وكفر، فإنك مسلط عليه بما يؤذن لك من قبله. ولما استشعر أن يقال: إن الإيمان من أعمال القلب فتسلطه عليه السلام عليهم بإكراههم على الإيمان تسلط على القلب بأن يقبل الإيمان، وذلك ليس في وسع البشر إذ لا يستولي على القلب أحد غير الله. أجاب عنه بأن الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم بمنزلة الاستيلاء عليهم لقبول الإيمان لكونه من الأسباب المؤدية إلى الإيمان. **قوله**: (**وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا**) جواب عما يقال من أن السورة مكية وأنه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونًا بالقتال إلا بعد الهجرة، فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لأن يكون المعنى أنت مسلط على من تولى عن الإيمان منهم؟ ومحصل الجواب أن الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاة والسلام بإذنه للقتال والوعيد للكفار المعاندين لا على طريق الإخبار بأنه عليه الصلاة والسلام مسلط عليهم في المال. **قوله**: (**أي فذكر إلا من تولى وأصر فاستحق العذاب الأكبر**) الظاهر أن «من» هذه موصولة و«تولى» صلتها و«كفر» عطف عليه والفاء في «فيعذبه» سببية دالة على أن التعذيب مرتب على التولي والكفر. فسر قوله تعالى: «فيعذبه» بقوله: «فاستحق العذاب الأكبر» وهذا المتولي عن الإجابة لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلاة والسلام، فلذلك استثنى من جملة من أمر عليه الصلاة والسلام بتذكيره. **قوله**: (**ويؤيد الأول**) وهو أن يكون الاستثناء منقطعًا على معنى لكن الله هو المسيطر عليهم فيعذبهم، ووجه التأييد ظاهر وهو يوافق المعنيين حينئذٍ بخلاف ما إذا كان الاستثناء متصلاً. **قوله**: (**وقرىء بالتشديد**) والجمهور على تخفيف ياء «إيابهم» على أنه مصدر آب يؤوب إذا رجع. وقرىء بتشديد الياء وذكر لها وجهين: الأول كونه مصدرًا على وزن فيعال من أيب على وزن فيعل نحو: حوقل حيقالاً وسيطر سيطارًا أصله إيواب، فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فصار إيابًا. والثاني كونه مصدرًا على وزن فعال نحو: كلم كلامًا أصله أوواب قلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، كما في ديوان أصله دووان، فصار إيوابًا، ثم فعل ما مر فصار إيابًا. وقوله: «تارة من الإياب وتارة من الأوب» لمجرد التفنن لأن كل واحد من الأوب والإياب مصدر آب بمعنى رجع

للتخصيص والمبالغة في الوعيد. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابًا يسيرًا».

سورة الفجر

مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ أقسم بالصبح أو فلقه كقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]

يقال: آب يؤوب أوبًا وأوبة وإيابًا. تمت سورة الغاشية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الفجر

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (أقسم بالصبح أو فلقه) الأول على أن يكون الفجر اسمًا بمعنى الصبح وهو أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق، ويطلق الفجر أيضًا على نفس ذلك الضوء وهو قول الجوهري: الفجر في آخر الليل كالشفق في أوله. والثاني على أن يكون الفجر مصدرًا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار وانشقاقها عنه بأن يشقها الضوء المذكور يقال: فلقت الشيء فلقًا أي شققته. أقسم الله تعالى بما يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الأرزاق، وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل فيه. فإن الشيء إنما يقسم به إذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلاً باهرًا على التوحيد، أو على صحة البعث والجزاء ونحوهما، أو فائدة دنيوية تحمل المكلف على شكر نعمة الله

أو بصلاته ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ عشر ذي الحجة، ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة، أو النحر أو عشر رمضان الأخير. وتنكيرها للتعظيم. وقرىء و«ليال عشر» بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ والأشياء كلها شفعها ووترها، أو والخلق

تعالى، أو مجموعهما كالفجر فإنه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين. شبّه قوله تعالى: ﴿والفجر﴾ بقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] من حيث إن للصبح جعل مقسمًا به في كل واحد منهما وأشار به إلى أن المختار عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق. **قوله:** (أو بصلاته) إما بتقدير المضاف أو بأن يراد بالفجر ما وقع فيه على طريق إطلاق اسم المحل وإرادة الحال. أقسم بصلاة الفجر لكونها مما وقع في أول اليوم من أعمال المكلفين وبادروا إليها وإلى مقدماتها أول يومهم، ولأن ملائكة الليل والنهار يجتمعون لاستماع ما فيها من القراءة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] أي تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القراءة فيه. وأقسم بعشر ذي الحجة لأنها أيام الاشتغال بمناسك الحج وأعماله، والحج المبرور من أفضل الأعمال وأنه كفارة لذنوب العمر. وفي الخبر: «ما يوم من أيام العمل الصالح أفضل من أيام التشريق». **قوله:** (ولذلك) أي ولأجل أن فسر الليالي العشر بعشر ذي الحجة لم يفسر الفجر بفجر كل يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة، أو فجر يوم النحر لأن الحجاج يقفون بعرفات يوم عرفة متوجهين إلى الرب الكريم راجين عفوه وغفرانه، وأن يتفضل عليهم بأنواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب فيه الآملون. وفي الحديث: «الحج عرفة». وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحجاج فيه الدماء فداء لأنفسهم ويطوفون فيه طواف الزيارة الذي هو باقي أركان الحج بعد الحلق ورمي الجمار. ويروى أن يوم النحر يوم الحج الأكبر فاستحق كل واحد من اليومين لأن يقسم به، وكان ذكر الفجر بجنب الليالي العشر قرينة لتخصيصه بأحد اليومين. **قوله:** (أو عشر رمضان) عطف على ذي الحجة فإنها أيضًا ليالي شريفة لما فيها من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فإنه قد ورد في الخبر: «اطلبوها في العشر الأخير من رمضان» وكان عليه الصلاة والسلام إذا دخل العشر الأخير من رمضان شد المئزر وأيقظ أهله وكف عن قربانهن وأمرهن بالتهجد. **قوله:** (وتنكيرها للتعظيم) جواب عما يقال: ما بال الليال العشر جاءت منكرة من بين ما أقسم به؟ ومحصول الجواب أنها لو وقعت بلام العهد لكونها معلومة معهودة في نفسها لما انفهمت الفضيلة التي تستفاد من التنكير. **قوله:** (على أن المراد بالعشر الأيام) إلا أن الظاهر على هذا أن يقال: عشرة أيام لأن الأيام مذكر قال تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧]. **قوله:** (والأشياء كلها) عبّر عنها بالشفع والوتر لأن أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها إما شفع أو وتر، ولا يتصور خلوها عنهما

كقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] والخالق لأنه فرد ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك والبروج والسيارات، أو شفع الصلوات ووترها، أو بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعًا، أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول بما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلاً في الدين أو مناسبة لما قبلها، أو أكثر منفعة موجبة للشكر. وقرأ حمزة والكسائي والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر.

معًا فصح أن يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الأشياء كلها. وكذا صح أن يعبّر به عن المخلوقات بأسرها وعمن خلقها لأنه تعالى خلقها زوجين ذكرًا وأنثى ناطقًا وصامتًا كافرًا ومؤمنًا قادرًا وعاجزًا باردًا وحارًا رطبًا ويابسًا فلكيًا وعنصريًا إلى غير ذلك وخالقها فرد واحد لا تعدد فيه بوجه ما. **قوله:** (ومن فسرهما إلى قوله أو أكثر منفعة موجبة للشكر) لما فسر مجموع الأشياء بالشفع والوتر أولاً ثم فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ما ذكره المفسرون في تفسير الشفع والوتر تخصيصًا بلا مخصص، أشار إلى أنهم لا يدعون بما ذكروه انحصار مدلولهما في ذلك وإنما خصوا بالذكر من أنواع مدلولهما ما رأوه أظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والأفلاك والبروج والسيارات إذ لا مدخل فيها لغيرها، أو مدخلاً في الدين كالصلوات شفعها ووترها، أو مناسبة لما قبلها كيومي النحر وعرفة، أو أكثر منفعة موجبة للشكر كالأعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالعناصر والأفلاك والبروج والسيارات فإن منافعها أكثر من أن تحصى. ألا ترى أن انتظام أحوال الحيوانات بأسرها منوط بالفصول الأربعة! وإن ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ما ذكره المفسرون فالظاهر أنه ليس مبنيًا على تخصيص مدلول اللفظ به بل إنه وارد على طريق التمثيل بما رأى في تخصيصه بالذكر فائدة معتدًا بها. فلنذكر بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرهما: فإن منهم من فسر الشفع بالعناصر الأربعة والوتر بالأفلاك التسع، ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثني عشر والوتر بالسيارات السبع، ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعًا من الصلوات وهو ما عدا صلاة المغرب والوتر بما كان وترًا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول، ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لأنه عاشر أيام الليالي العشر والوتر بيوم عرفة لأنه تاسع تلك الأيام وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه فسرهما بذلك حيث قال: «العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر» وقال عليه الصّلاة والسلام: «بعضها شفع وبعضها وتر». ومنهم من فسرهما بغير ما ذكر. ثم اختلفوا في ذلك الغير؛ فقال بعضهم: الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث بعدهما. ثم قال: حمل الشفع والوتر على ما قلنا أولى من حملهما على يومي النحر وعرفة، لأن يومي النحر وعرفة قد أقسم بهما في قوله: ﴿وليال عشر﴾ إذا فسرت بعشر ذي الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار في القسم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾﴾ إذا يمضي كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣] والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة، أو يسري فيه من

بهما، ولأن بعض أعمال الحج إنما تحصل في هذه الأيام التي بعد يوم النحر. وقال البعض الآخر: الشفع آدم وحواء والوتر مريم. وقال آخرون: الشفع العيون الاثنتا عشرة التي فجرها الله تعالى من حجر موسى عليه الصلاة والسلام للأسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقيل: الشفع أيام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقيل: الشفع الأعضاء والوتر القلب قال الله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ وقيل: الشفع الشفتان والوتر اللسان قال: ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾ [البلد: ٩] وقيل: الشفع السجدتان والوتر الركوع. وقيل في تفسيرهما غير ذلك ولا وجه لتطويل الكلام بذكره. قرأ حمزة والكسائي و «الوتر» بكسر الواو والباقون بفتحها. قيل: فتحها لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم.

قوله: (والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة) فإن أصل الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرض لانقضائه بظهور ضوء النهار، وذلك لأن سلخ ضوء النهار من الليل وإدخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة. وفيه أيضًا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعرض لانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تقوّي تلك الدلالة، فإن آية الليل إذا محيت مع كونها محيطة بجميع أقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والإحسان الشامل لجميع الحيوانات، لأنهم يصيرون بذلك كأنهم أعيد لهم الحياة بعد الموت وينبثونَ بذلك لطلب الأرزاق الممدة للحياة الفانية التي يتوسل بها إلى سعادة الدارين. فإن قيل: القسم بالليل إذا يسر يغني عن القسم بليال عشر. قلنا: المقسم به في قوله: ﴿والليل إذا يسر﴾ هو الليل باعتبار مسيره ومضيه وفي قوله: ﴿وليال عشر﴾ هو الليالي بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية أخرى فلا يغني أحدهما عن الآخر. **قوله**: (أو يسري فيه) فيكون الكلام من قبيل ما أسند فيه الفعل إلى زمانه مثل: صام نهاره أي صام هو فيه، وقام ليله أي قام فيه. وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لأن السير فيه حافظ للسائر من حر الشمس، فإن السفر مع مقاساة حر الشمس أشد على النفس، ومن شر قطاع الطريق غالبًا لأنهم مشغولون بالنوم في الليل غالبًا. وقيل: المراد بالليل إذا يسري فيه ليلة النحر، فإن الحجاج تسري فيها إلى المزدلفة بعد إفاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها. والعامل في «إذا» معنى القسم أي أقسم بالليل إذا

قولهم: صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفًا. وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل، ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلاً وقرىء «يسر» بالتنوين المبدل من حرف الإطلاق. ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ القسم أو المقسم به ﴿قَسَمٌ﴾ حلف أو محلوف به ﴿لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾ يعتبره ويوكد به ما يريد تحقيقه. والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهية وحصاة من الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو لنعذبن يدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ يعني أولاد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم أبيهم سمي بنو هاشم باسمه. ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح لأنه

مضى أو يسري فيه. **قوله:** (**وقد خصه نافع الخ**) ههنا ثلاث قراءات: الأولى حذف الياء وصلاً ووقفًا وهي قراءة الكوفيين وابن عامر الشامي، والثانية حذفها وقفًا لا وصلاً وهي قراءة نافع وأبي عمرو، والثالثة عدم حذفها في الحالين وهي قراءة ابن كثير ويعقوب. وجه الحذف مطلق التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الراء عليها، ووجه الإثبات مطلقًا أن الياء لام الفعل لا تحذف في الفعل حال الوقف فضلاً عن حال الوصل فيقال هو يقضي ويغزو وأنا أرضى، ووجه الحذف في الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة دون الوصل لأنها لام الفعل والأصل فيها أن لا تحذف. **قوله:** (**وقرىء يسر بالتنوين المبدل الخ**) فإن تنوين الترنم يلحق القوافي في الاسم والحرف والفعل بدلاً من حرف الإطلاق أي من حرف المد واللين لترك الترنم، فإن الألف والواو والياء الواقعة في القوافي يترنم بها لما فيها من المد فيبدل منها التنوين إذا قطع الترنم لخلو التنوين من المد، فإضافة هذا التنوين إلى الترنم لأدنى الملابسة لأنها ليست لأجل الترنم بل لقطعه. فإن قيل: فما فائدة قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ بعد أن أقسم بالأشياء المذكورة؟ قلنا: هي زيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال: هل فيما ذكرته حجة. **قوله:** (**يدل عليه قول ألم تر كيف فعل**) فإنه لما أقسم الله تعالى بأمور عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم إلى كل مذهب، ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريري ما يدل على تعذيب المعاندين المغرورين بما أوتوا من الحظوظ العاجلة، دل ذلك على أن المقسم عليه المحذوف هو مثل قوله: «لنعذبن الكافرين» وقيل: جواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. **قوله تعالى:** (**ألم تر**) ليس من رؤية البصر لأنه عليه الصلاة والسلام لم ير ببصره ما فعل بهم بل هو بمعنى: ألم تعلم، وعبّر عن العلم بالرؤية لأن أخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذي يفيد العلم الضروري بالمخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة. **قوله:** (**على تقدير مضاف**) لأن القبيلة المسماة بـ «عاد» إنما يصح تسميتها بإرم.

اسم بلدتهم. وقيل: سمي أوائلهم وهم عاد الأولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث. ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات. وقيل: كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وفخرا، ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد، وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها إرم. فلما تمت سار إليها بأهله. فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله فيهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها.

﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ صفة أخرى «لإرم» والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ قطعوه واتخذوه منازل كقوله:

كان إرم اسم جدها فلا بد من كون التقدير سبط إرم، فإن السبط أولاد الأولاد، فعلى هذا يكون عاد وإرم عبارتين عن طائفة واحدة هي قوم هود عليه السلام. غاية ما في الباب أنهم سموه تارة باسم أبيهم وتارة باسم جدهم، وعطف عليه قوله: «وقيل سمي أوائلهم» يعني قيل للأولين من أولاد عاد بن عوض عاد الأولى وإرم تسمية لهم باسم جدهم، وقيل لمن بعدهم عاد الأخيرة. فإرم في قوله تعالى: ﴿بعاد إرم﴾ عطف بيان لعاد إيذانًا بأنهم عاد الأولى القديمة كقوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠].

قوله: (ذات البناء الرفيع) وهو ما بناه شداد بن عاد زاعمًا أنه على مثال الجنة بناه في ثلاثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة رفيعة لم يخلق مثلها في البلاد قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار. وجاز وصف إرم بذات القدود الطوال أيضًا لما روي أن قد أحدهم اثنا عشر ذراعًا وأكثر من ذلك. وفي تفسير الكواشي قالوا: كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع وكان أحدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحي فيهلكهم. وجاز وصفها أيضًا بذات الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عمادًا لقومهم يقال: فلان عماد القوم وعمودهم أي سيدهم ولثبات أعمارهم وسعة أرزاقهم. **قوله**: (بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا) ولم يدخل إرم أحد منهم ولا من غيرهم حتى الساعة غير عبد الله بن قلابة فإنه خرج في طلب إبل له فوصل إلى جنة شداد فدخلها، فحمل ما قدر على حمله مما هناك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ما رآه. فبعث معاوية إلى كعب فسأله فقال: هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل. **قوله**: (والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أو البلدة) فالمعنى على الأول لم يخلق مثل

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩] ﴿بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾ وادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد. ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾﴾ صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون، أو ذم منصوب أو

تلك القبيلة في القوة وطول العمر، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وعلى الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا. **قوله:** (ومضاربهم) جمع مضروبة خيمة مضروبة كما مر في جمع مقصورة، ومن كثرت خيامه كثرت أوتاده. **قوله:** (أو لتعذيبه بالأوتاد) روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن خازن فرعون كان رجلاً مؤمنًا يكتم إيمانه وكذا امرأته، فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله تعالى. فقالت بنت فرعون: وهل لك إله غير أبي؟ فقالت: إلٰهي وإلٰه أبيك وإلٰه السمٰوات والأرض واحد لا شريك له. فقامت البنت فدخلت على أبيها وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلٰهك وإلٰهها واحد لا شريك له. فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت: صدقت. فقال: ويحك اكفري بإلٰهك وأقري بأني إلٰهك. قالت: لا أفعل. فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب، وقال لها: اكفري بإلٰهك وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين. فقالت: لو عذبتني سبعين شهرًا ما كفرت برب العالمين. وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على صدرها، وقال لها: اكفري بإلٰهك وإلا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعة. فقالت: لو ذبحت جميع من على الأرض عليّ في ما كفرت بالله تعالى. فأتى بابنتها فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وقالت: يا أماه لا تجزعي فإن الله تعالى قد بنى لك بيتًا في الجنة اصبري فإنك تفضي إلى رحمة الله تعالى وكرامته. فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله تعالى الجنة. وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم، فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها: كيف يسعني أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر. فبينما هي تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريبًا منها فقالت: يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها. قال: فلعل بك الجنون الذي كان بها. قالت: ما بي من جنون وإنما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السمٰوات والأرض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير. فمدها بين أربعة أوتاد يعذب بها، ففتح الله تعالى لها بابًا إلى الجنة ليهون لها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]. **قوله:** (صفة للمذكورين) فيكون مجرورًا لمحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورًا بالباء وبعضه معطوفًا عليه. وتقديم هذا الوجه يدل على أنه المختار

مرفوع. ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ بالكفر والظلم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ ما خلط لهم من أنواع العذاب، وأصله الخلط، وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض. وقيل: شبه بالسوط ما أحل بهم في الدنيا إشعارًا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب.

عنده من حيث إن الوجه الثاني يحتاج إلى حذف العامل وهو أعني، والوجه الثالث يحتاج إلى حذف المبتدأ. فما اختاره المصنف أحسن بحسب اللفظ. واختار صاحب الكشاف كونه منصوبًا على الذم بتقدير أعني لكونه صريحًا في الذم والمقام مقام الذم فهو أحسن من حيث المعنى.

قوله: (ما خلط لهم من أنواع العذاب) فسر سوط العذاب بأنواع العذاب الملتف بعضها ببعض التفات طاقات السوط الذي يضرب به، فسوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى ما يعذب به والإضافة بمعنى من أي فصب عليهم ما هو كالسوط من العذاب. **قوله:** (وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم) فإضافة السوط إلى العذاب من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه كما في لجين الماء والصب مستعار للإنزال، والمعنى: أنزل عليهم عذابًا في الدنيا بالنسبة إلى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة إلى السيف. **قوله:** (يترقب فيه الرصد) وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد الراقب والمرتصد المرتقب، وصيغة مفعال قد تكون اسم مكان كالمضمار فإنه اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل، والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه، وقد تكون للمبالغة كالمعطار والمطعان لمن يكثر من هذه الأفعال. والمرصاد ههنا يتعين أن يكون اسمًا للمكان الذي يترقب فيه الرصد للباء الدالة على الظرفية قيل لبعض العرب: أين ربك؟ فقال: بالمرصاد. **قوله:** (وهو تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب) أي لإعداده للعصاة العقاب على أن الإرصاد بمعنى الإعداد وهو يتعدى إلى مفعولين إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر باللام، يقال: أعد العقاب للعصاة. وههنا لما عدى الإرصاد إلى العصاة بنفسه حيث قال: لإرصاده العصاة بنصب العصاة عدى إلى العقاب بالباء. الجوهري: رصدته أرصده أي رقبته أرقبه، وأرصدت له أي أعددت له. والحاصل أن قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ استعارة تمثيلية شبّه حاله تعالى في كونه حفيظًا لأعمال العباد ومجازيًا عليها على النقير والقطمير، ولا محيد للعباد عن موقف حسابه إلا إليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجائي أو لأخذ المكس أو نحو ذلك، ولا مخلص لهم عن المرور عليه، فأطلق على الحالة المشبهة ما يعبّر به عن الحالة

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ متصل بقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ كأنه قيل: إنه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها، فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها. ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اختبره بالغنى واليسر ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ بالجاه والمال. ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الإنسان، والفاء لما في إما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل: فأما الإنسان فقائل: ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وكذا قوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ إذ التقدير وأما الإنسان إذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ لقصور نظره وسوء فكره، فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين إذ التوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا. ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله: ﴿كَلَّا﴾ مع أن قوله الأول مطابق لأكرمه ولم يقل: فأهانه وقدر عليه كما قال، فأكرمه ونعمه،

المشبه بها. **قوله:** (كأنه قيل إنه بالمرصاد من الآخرة) أي من أجل الآخرة وجزائها فيجب أن يهتم الإنسان بأمر الآخرة ويسعى لها لكنه لا يهتم إلا بأمر الدنيا ولا يخطر بباله أمر الآخرة بالكلية مع أنه تعالى تكفل برزقه وأعد للعصاة عذابًا أليمًا، وكل واحد من الغني والفقير ابتلي منه تعالى. أما الأول فبأنه أيشكر أم يكفر؟ وأما الثاني فبأنه أيصبر أم يجزع؟ ويقول الإنسان إذا أغناه ربه: أكرمني ربي بما أعطاني يظن أن ما أعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه، ويقول إذا أفقره: أهانني ربي، وهذا من صفة الكافر فإنه يظن أن الكرامة والهوان بكرة الحظ من الدنيا وقلته، بخلاف المؤمن فإن الإكرام عنده هو توفيق الله تعالى لطاعته والهوان حرمانه منها. والعياذ بالله تعالى. و«الإنسان» مبتدأ وقوله: «فيقول» خبره و«إذا» لمجرد الظرفية معمول للخبر لكونه مؤخرًا عنه تقديرًا. **قوله:** (والانهماك في حب الدنيا) فإن كثرة الممارسة بالشيء تورث تأكد المحبة به، فإن من أحب شيئًا اشتغل به وأعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة تؤدي إلى الإعراض عن اكتساب ما يؤدي إلى سعادة الآخرة، فكان كل واحد من قوليه: «وهما قوله التقتير إهانة» وقوله: «التوسعة إكرام» مذمومًا مع أن قوله: «التوسعة إكرام» صادق في نفسه لأنه تعالى صدقه حيث قال: ﴿فأكرمه﴾. **قوله:** (ولم يقل فأهانه) عطف على قوله: «ذمه على قوليه» يعني أنه تعالى لما قال في الجملة الأولى: ﴿فأكرمه ونعمه﴾ كان الظاهر أن يقول في قسيمه: فأهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من أن التقتير والتضييق ليس بإهانة بل قد يؤدي إلى كرامة الدارين بخلاف التوسعة والتفضيل بالمال والجاه فإنه إكرام في نفسه وهو صادق في قوله: ﴿رب أكرمني﴾ ولكنه ذمه على قول ذلك لا لكونه كاذبًا فيه بل لسوء فكرته حيث ظن أنه تعالى إنما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم أنه تعالى كثيرًا ما يوسع على العصاة والكفرة لأنه يفعل ما يشاء ويكون ذلك استدراجًا ومكرًا إلٰهيًا في حقهم.

ولأن التوسعة تفضل والإخلال به لا يكون إهانة. وقرأ ابن عامر والكوفيون «أكرمن» و«أهانن» بغير ياء في الوصل والوقف. وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف. وقرأ ابن عامر «فقدّر» بالتشديد. ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلاً عن غيرهم. وقرأ الكوفيون و«لا تحاضون» ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث وأصله وراث. ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ ذا لَمّ أي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك. ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ كثيرًا مع حرص وشره. قرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب «لا يكرمون» إلى و«يحبون» بالياء. والباقون بالتاء.

قوله: (ولأن التوسعة تفضل) عطف على قوله: «ولذلك ذمه على قوليه» وحاصله أن الإنكار والذم لا يتوجه إلى قوله: ﴿ربي أكرمني﴾ وإنما يتوجه إلى قوله: ﴿ربي أهانني﴾ كأنه قيل: الإنسان إذا أكرمه ربه وتفضل عليه اعترف بالإكرام، وإذا لم يتفضل عليه سمي ترك التفضل هوانًا وليس بهوان. **قوله**: (وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد) تقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلغة. **قوله**: (أي بل فعلهم أسوأ من قولهم) يعني أن «بل» هنا للإضراب عن ذمهم على قولهم إلى ما هو أدخل في الذم كأنه قيل: دع ذكر قولهم فإن عندهم ما هو شر منه وهو أنه تعالى يكرمهم بتكثير المال وهم لا يتفقدون أحوال الأيتام، وعبّر عن التروك والأفعال بقوله: «بل فعلهم أسوأ تغليبًا للأفعال على التروك». **قوله**: (وقرأ الكوفيون ولا تحاضون) أصله تتحاضون فحذفت إحدى التاءين أي لا يحض ولا يحث بعضكم بعضًا على إطعام جنس المسكين، ومن لا يحض غيره على إطعام المسكين فإن لا يطعمه بنفسه أولى.

قوله: (أي جمع بين الحلال والحرام) فإن من جمع في الأكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام في الأكل. **قوله**: (قرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب الخ) أي قرؤوا الأفعال الأربعة بياء الغيبة على إسنادها إلى ضمير الإنسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع إليه مع أنه أفرد في قوله: «إذا ما ابتلاه ربه» من حيث إنه مفرد لفظًا وهو ظاهر وجمع معنى لأن المراد به الجنس، فبالنظر إلى الثاني جمع. وقرأ الباقون بتاء الخطاب للإنسان على طريق الالتفات للمبالغة في الذم فإن الذم مواجهة أبلغ من الذم في الغيبة. ويحتمل أن يكون مبنى القراءة بتاء الخطاب على تقدير «قل» أي قل لهم يا محمد كذا وكذا تحقيرًا لهم وتنزيلاً عن مقام الخطاب. ثم إنه تعالى ردعهم عن هذه الأفعال الذميمة

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه. ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ دكًا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثًا. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم. ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩١] وفي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا دكت» والعامل فيهما ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي يتذكر معاصيه أو يتعظ لأنه يعلم قبحها فيندم عليها. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله. واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكير توبة غير مقبولة. ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ أي لحياتي هذه، أو وقت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة. وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المحجور عن الشيء قد يتمنى إن كان متمكناً منه.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ إلهاء لله تعالى أي

بقوله: ﴿كلا﴾ ثم أوعدهم عليها بقوله: ﴿إذا دكت الأرض﴾ إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ [الفجر: ٢٧] فإنه إذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاث فإنه يحصل له حينئذٍ الندامة على ما صدر منه ويتمنى أن لو كان أفنى عمره في التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة والمواساة بالمال. الجوهري: الدك الدق ويقال: دككت الشيء أدكه دكًا إذا ضربته وكسرته حتى سويته بالأرض، واندك سنام البعير إذا انفرش في ظهره. فمعنى الآية إذا كسر ما على الأرض من جبل وبناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها وما كان مرفوعًا عليها دكًا بعد دك. **قوله: (مثل ذلك)** لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بأن مثل حاله تعالى في ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان إذا حضر بنفسه، فإنه حينئذٍ يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه، فاستعمل في الحال الأولى ما استعمل في الثانية. **قوله: (يجرونها)** الظاهر أنها لا تنفك عن مكانها فالمراد بقوله: «وبرزت وأظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره إليها» فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها. **قوله: (وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله)** كما زعمه المعتزلة من أن أفعاله لو لم تكن بقصده واختياره بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وإرادته لما كان لهذا التمني وجه. **قوله: (إلهاء لله)** لما ورد أن يقال: كيف يصح أن يرجع ضمير عذابه ووثاقه إليه تعالى؟ مع أنه يوهم أن يكون يوم القيامة معذِّب سوى الله تعالى، لكنه لا يعذب ذلك المعذِّب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح. أشار

لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه. وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ على إرادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره، أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك، أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرىء

المصنف إلى دفعه بأن المعنى حينئذٍ أنه لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله يومئذٍ لله ولا أمر في يد غيره أصلاً، والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والإيثاق كما يوضع العطاء موضع الإعطاء والمعنى: لا يملك أحد التعذيب والإيثاق في ذلك اليوم إلا الله تعالى وحده. قوله: (أو للإنسان) أي الكافر المتوغل في عناده المنهمك في شهواته، فتكون إضافة عذابه ووثاقه من قبيل إضافة المصدر إلى مفعوله ويكون المعنى: لا يعذب أحد من الزبانية أحدًا من العصاة مثل ما يعذب ذلك الإنسان ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه. ثم إنه تعالى لما وصف حال من اطمأن إلى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن إلى الحق بحيث سكن إلى اليقين فلا يخالطه الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية، فقال: ﴿يا أيتها النفس﴾ على إضمار القول أي يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة، فإما أن يكلمه الله بنفسه إكرامًا للمؤمن المطمئن كما كلم موسى عليه السلام في الدنيا، أو على لسان ملك. والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار، وذكر المصنف في بيان كيفيته ثلاثة أوجه: الأول استقرار النفس عند معرفته والاستغناء بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وذلك أن القوة العاقلة إذا أخذت تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات، فكلما وصلت إلى سبب يكون هو ممكنًا لذاته محتاجًا إلى علة توجده وتبعثه طلب العقل له سببًا آخر، ثم إذا ترقى إلى ممكن آخر أعلى منه لا يقف عنده أيضًا بل لا يزال ينتقل من علة إلى ما هو أعلى إلى أن ينتهي إلى واجب الوجود لذاته المستغني عن جميع ما سواه، فحينئذٍ يقف العقل ويطمئن إليه ولا ينتقل عنه إلى غيره لعلمه بأن الأمر كله يرجع إلى إرادته وقدرته وأنه رب العالمين. قوله: (فتستقر دون معرفته) أي عندها وتستغني به عن غيره أي لا تطلب له سببًا آخر. والوجه الثاني ما أشار إليه بقوله: «أو إلى الحق» وهو عطف على قوله: «بذكر الله» أي أو هي التي اطمأنت إلى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك. والوجه الثالث ما ذكره بقوله: «أو الآمنة» أي هي النفس الآمنة التي لا يستفزها أي لا يحركها خوف، وهذا الوجه يؤيده قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه: «يا أيتها النفس الآمنة» فعلى هذا يكون الاطمئنان عبارة عن سكون الأمن في مقابلة قلق الخوف والحزن، وعلى الثاني يكون عبارة

بها. ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال: كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس، أو بالبعث. ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ عند الله ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ في جملة عبادي الصالحين. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ معهم، أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فإن الجواهر القدسية كالمرايا

عن سكون اليقين في مقابلة قلق الشك والريبة. **قوله: (إلى أمره أو موعده)** لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى: ﴿إلى ربك﴾ على ما زعموا في حقه تعالى بناء على أن كلمة «إلى» لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآنية هو المكان ومن تمكن فيه، رد المصنف تمسكهم بأن معنى الآية: ارجعي إلى حكم ربك أو ثوابه بالموت أو بالبعث، وهذا الخطاب تخاطب به النفس عند الموت أو عند البعث. فإن خوطبت به عند الموت يكون المعنى ارجعي إلى أمر ربك وحكمه بالموت، وإن خوطبت به عند البعث يكون المعنى ارجعي إلى ثوابه بالبعث.

قوله: (ويشعر ذلك) أي قوله تعالى: ﴿ارجعي إلى ربك﴾ يشعر بكون النفوس موجودة قبل الأبدان لأن هذا القول إنما يقال لما كان موجودًا قبل هذا البدن، ووجودها قبل الأبدان لا يستلزم كونها أزلية كما ذهب إليه بعض القدماء. وقوله: ﴿راضية مرضية﴾ حالان من فاعل «ارجعي» أي راضية من الله تعالى بما أعطيت مرضية عنده بما عملت. **قوله: (في جملة عبادي الصالحين)** يعني يجوز أن يكون المراد بالمتشرفين بإضافة التشريف إلى ياء المتكلم عباده الصلحاء المتحلين بحلية الإيمان والطاعة، أو الذين هم أخص وأشرف منهم وهم المقربون. والفريقان هما اللذان ذكرا في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٩١] والخطاب على التقديرين للمؤمن المحتضر لا لمجرد روحه. ولما عبّر عنه بالنفس قيل: ارجعي وادخلي. وقوله: «فتستضيء بنورهم» متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب للأمر، فإن الميت سواء انضم إلى أصحاب اليمين أو إلى المقربين يكون في حالة شريفة وهي انعكاس أنوار علومهم وكمالاتهم إليه، فإن الأرواح الشريفة كالمرايا المصقولة المجلوة فإذا انضم بعضها إلى بعض ينعكس إلى كل واحدة ما في مقابلتها من الفضائل والكمالات فيكون ذلك الانضمام سببًا لتكامل السعادات الروحانية، ثم قوله: ﴿وادخلي جنتي﴾ إشارة إلى السعادة الجسمانية. ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء قال: ﴿فادخلي في عبادي﴾ بالفاء الدالة على التعقيب ولما كان الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها إلا بعد القيامة الكبرى قال: ﴿وادخلي جنتي﴾ بالواو لا بالفاء. كذا في التفسير الكبير. وفيه بحث لأنه معطوف على مدخول الفاء فينجر إليه معنى

المتقابلة، أو ادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي أعددت لك. عن النبي عليه السلام ﷺ: «مَن قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له، ومَن قرأها في سائر الأيام كانت له نورًا يوم القيامة».

سورة البلد

مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام.

الفاء. **قوله**: (أو ادخلي في أجساد عبادي) على أن يكون الخطاب للروح. تمت سورة الفجر. والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة البلد

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (أقسم سبحانه بالبلد الحرام) قد أجمع المفسرون على أن المراد بالبلد الحرام مكة، وأن السورة نزلت بها، أقسم بها لشرفها بأنه تعالى جعلها حرمًا آمنًا، وفيها البيت العظيم الذي هو قبلة أهل الشرق والغرب، ونزل في حقه: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وجعل البيت المعمور بإزائه، ودحيت الأرض من تحته، ومقام إبراهيم الذي نزل في حقه ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال عليه الصلاة والسلام في حق مكة: «إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم

وقيده بحلوله عليه السلام فيه إظهارًا لمزيد فضله وإشعارًا بأن شرف المكان بشرف أهله وقيل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره، أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح. ﴿وَوَالِدٍ﴾ عطف على هذا البلد،

الساعة. لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار» الحديث. وفضائلها لا تحصى فلذلك أقسم الله تعالى بها على أن الإنسان لا يخلو عن كبد ومقاساة مشقة، والظاهر أن كلمة «لا» في ﴿لا أقسم﴾ صلة كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي ما منعك أن تسجد. وقول الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع

أي يتقطع ولا صلة. وقيل: إنها نافية والمعنى: لا أقسم به وأنت حل أي حال مقيم به نازل فيه بل أقسم بك. **قوله**: (وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه) على أن تكون الواو حالية لا اعتراضية، وتكون الجملة الاسمية حالاً من المقسم به فالحال قيد لعاملها. أقسم الله تعالى بالبلد مقيدًا بأنه عليه الصلاة والسلام حال فيه إظهارًا لمزيد فضله، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿حل﴾ نعت بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط والحرم بمعنى الحرام. وقد قرىء ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٩٥] أي وحرام، يقال: حل بالمكان يحل من باب نصر حلاً وحلولاً أي نزل. **قوله**: (وقيل حل مستحل تعرضك فيه) فعلى هذا يكون الحل بمعنى الحلال من قولهم: حل الشيء يحل حلاً وحلالاً وهو حل بل أي حلال مطلق، والجملة على هذا معترضة بين القسم والمقسم عليه. أقسم الله تعالى على أن الإنسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشدائد، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ أي حلال يستحلون إيذاءك ولو تمكنوا من إخراجك منه لأخرجوك بل قتلوك مع أنهم لا ينتهكون فيه الحرمات فلا يقتلون فيه صيدًا ولا يعضدون به شجرًا، وأي مكابدة لمثلك مع عظم حرمته من أن تستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غيره؟ وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وتصبير على ما كان يكابده من أهل مكة وتعجب من جراءتهم وشدة عداوتهم له عليه الصلاة والسلام.

قوله: (أو حلال لك) على أن الحل بمعنى المحلل له أي ذو حل وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت وتقاتل من قاتلك، والجملة على هذا أيضًا اعتراض. أقسم ببلده عليه الصلاة والسلام على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة شدة، واعترض بينهما بأن وعد له فتح مكة بأي طريق أمكنه فتحها تتميمًا للتسلية وتنفيسًا له عما لحقه من أذاهم. فإنه تعالى فتح على يده مكة وأحلها له وجعله في حل مما يصنع فيها من القتل والأسر، فقتل ابن خطل وهو متعلق

والوالد آدم أو إبراهيم. ﴿وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ ذريته أو محمد ﷺ. والتنكير للتعظيم وإيثار «ما» على «من» لمعنى التعجب كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران: ٣٦]

بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وخرب دار أبي سفيان. فقوله تعالى: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ معناه وأنت حل به فيما يستقبل. ونظيره في كونه بمعنى الاستقبال قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وذلك لأن السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع في سنة ثمان بعد الهجرة فأين فتحها من الهجرة فضلاً عن وقت نزول الآية؟ **قوله: (وما ولد ذريته)** أي ذرية آدم عليه السلام إن كان هو المراد بالوالد، وذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام إن كان هو المراد بالوالد. فعلى الأول يكون القسم بجميع أفراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم أشرف ما خلق الله على وجه الأرض لما فيهم من النطق والبيان وحسن الصورة والتدابير الغربية واستخراج العلوم البديعة، وفيهم الأنبياء والصلحاء الداعون إلى الله تعالى والناصرون لدينه وكل ما في الأرض خلق لأجلهم، وقد قال تعالى في حقهم: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] وقيل: المراد بقوله: ﴿وما ولد﴾ الصالحون من أولاد آدم بناء على أن الطالحين كأنهم ليسوا من أولاده بل هم بهائم في صورة البشر. وعلى الثاني يكون القسم بإبراهيم وبجميع أولاده من العرب والعجم. ويحتمل أن يكون المراد بإبراهيم وأولاده المؤمنين، ويؤيد الثاني أنه شرع أن يقال في التشهد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، ومعلوم أن المراد بآله المؤمنون لا مطلق أولاده. **قوله: (أو محمد ﷺ)** عطف على قوله: «ذريته» أي سواء أريد بالوالد آدم أو إبراهيم عليهما الصلاة والسلام يجوز أن يراد بما ولد محمد ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام آخر أولاد كل واحد منهما من الأنبياء، أقسم ببلده وبأول آبائه وبنفسه أو أقسم بمكة وإبراهيم بأني البيت الذي فيها وبولده الذي هو خاتم النبيين والمرسلين ومطهر ذلك البيت من الأصنام والمشركين. **قوله: (وإيثار ما على من)** جواب عما يقال: لو كان المراد بما ولد العقلاء لكان الظاهر أن يقال: ومن ولد، فكيف أوثر «ما» على «من»؟ وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو أن «من» لا تستعمل إلا في ذات من يعقل بخلاف «ما» فإنها قد تستعمل في صفة من يعقل للإشارة إلى أنها مما لا يكتنه كنهها، والبلوغ إلى أقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشأن بحسب اتصافه به كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي بأي شيء وضعت أي يعلم أنها وضعت موضوعًا عجيب الشأن بديع الأوصاف، فكذا قوله تعالى: ﴿وما ولد﴾ أي ومولود أي مولود عجيب الشأن. وفي شرح الرضي: وتستعمل «ما» في الغالب في صفات العالم نحو: زيد ما هو؟ وما هذا الرجل؟ فهو سؤال عن صفته؛ والجواب: عالم أو زاهد ونحوهما. وقول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ تعب ومشقة من كبد الرجل كبدًا إذا وجعت كبده، ومنه المكابدة والإنسان لا يزال في شدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده. وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كأبي الأشد بن كلدة، فإنه كان يبسط تحت قدمه أديم عكاظي ويجد به عشرة فينقطع ولا يزل قدماه، أو لكل أحد منهم أو للإنسان. ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ فينتقم منه ﴿يَقُولُ﴾ أي في ذلك الوقت ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ كثيرًا من تلبد الشيء إذا اجتمع. والمراد ما أنفقه سمعة

يجوز أن يكون سؤالاً عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٤] الآية ويجوز أن يكون سؤالاً عن الماهية، وأجاب عليه الصلاة والسلام ببيان الأوصاف تنبيهًا لفرعون على أنه تعالى لا يعرف إلا بالأوصاف وأن ماهيته غير معلومة للبشر. انتهى. وقال المفسرون: قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] تقديره: فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة «ما» مستعملة في صفة من يعقل ومن لا تستعمل هكذا. ثم إن كلمة «ما» لشدة إبهامها تدل على أن الوصف الذي دل بها عليه بالغ إلى أقصى غاية الكمال فتفيد في مقام المدح تفخيم شأن الموصوف بأنه مما لا يكتنه كنهه في اتصافه بذلك. **قوله تعالى:** (في كبد) منصوب المحل على أنه حال من الإنسان أي مكابدًا مهيئًا لأن تعتريه أنواع الشدائد والمصائب وهو جواب القسم. قال الإمام: حرفا «في» واللام متقاربان تقول: إنما أنت في العناء وإنما أنت للعناء والنصب. وفيه وجه آخر وهو أن قوله: ﴿في كبد﴾ يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف. والكبد في الأصل مصدر بمعنى توجع الكبد وتألمه يقال: كبد الرجل يكبد كبدًا فهو كبد إذا وجعته كبده وانتفخت، ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة. والآية تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش. فالمراد من الكبد إما شدائد الدنيا فقط، أو شدائد التكاليف فقط، أو شدائد الآخرة فقط، أو الكل. والظاهر من كلام المصنف أنه حمله على القبر ثم البعث والعرض على رب العالمين مالك يوم الدين إلى أن يصل إلى موضع الاستقرار إما في الجنة وإما في النار. ولا شك أن ما بينهما كما يتناول شدائد الدنيا يتناول شدائد التكاليف أيضًا وهو الشكر على السراء بقضاء حقها والصبر على الضراء بالانقياد لمن ساقها. ثم إنه تعالى لما سلى رسوله ﷺ وحمله على الصبر على أذى قريش بأن أقسم على أنه خلق الإنسان في كبد أخذ في وعيد من كان عليه الصلاة والسلام يكابد منه أكثر المكابدة أو يغتر هو بقوته أشد الاغترار وفي وعيد كل واحد من الفريقين، فإن قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ لما كان تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من أشقياء

ومفاخرة، أو معاداة للرسول ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ طريقي الخير والشر أو الشربين وأصله المكان المرتفع. ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾ أي فلم تشكو تلك الأيادي باقتحام العقبة، وهو الدخول في أمر شديد. والعقبة الطريق

قريش باعتبار كونه عليه الصلاة والسلام من جملة أفراد الجنس المذكور كان هؤلاء الأشقياء في حكم المذكور، فصح أن يرجع إليهم ضمير قوله: ﴿أيحسب﴾ ويحتمل أن يرجع إلى جنس الإنسان المذكور سابقًا أي أيظن أن لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بأن يبعثه ويجازيه على سوء أعماله مع علمه بأنه خلق في كبد ولا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما أصابه من أنواع المحن والآفات عن نفسه، وذلك ظن فاسد وخيال باطل. والمقصود من وعيد الجنس تهديد الأشقياء المغترين بكثرة أعوانهم وشدة قوتهم و«أن» في قوله تعالى: ﴿أن لن يقدر﴾ و﴿أن لم يره﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر أي أن الشأن لن يقدر ولم يره، وهي بجملتها تسد مسد مفعولي الحسبان والوقف على قوله: ﴿أحد﴾ لازم لئلا يتوهم كونه موصوفًا بقوله يقول: ﴿أهلكت مالاً لبدًا﴾ فإن الظاهر أنه مستأنف لبيان ما يقوله في موقف الحساب والانتقام، فإنه يقول فيه أنفقت مالاً كثيرًا في وجوه المكارم والمبرات، أو في عداوة رسول الله ﷺ فلم ينفعني شيء من ذلك سمي الإنفاق إهلاكًا من حيث إنه لما لم ينتفع به كان ما أنفقه هالكًا ضائعًا، ثم قال: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة ومفاخرة أو معاداة له ﷺ بلى إنه تعالى قد رآه وعلمه وكان رقيبًا عليه يعلم قصده ونيته في الإنفاق.

قوله: (أو بعد ذلك فيسأل عنه) من أين كسبه وأين أنفقه؟ أشار به إلى جواز أن يكون لم يره بمعنى لن يراه بقرينة لن يقدر عليه. **قوله: (يعني أن الله تعالى يراه)** بيان لمعنى إنكار حسبانه أنه لم يره بمعنى لم يره أحد حين كان ينفق ولم يقل إن الله رائيه فمجازيه على أنه هو الظاهر للدلالة على الدوام والاستمرار. وقوله: «أو يجده فيحاسبه» بيان لمعنى إنكار حسبانه أنه لن يرى ذلك منه أحد بعد ذلك ولم يوجد ذلك في كتابه الذي كتبه حفظة أعماله أي بل يرى ذلك منه ويجده في كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه ويحاسبه عليه. **قوله: (ثم قرر ذلك)** أي بين أنه يبعثهم ويجازيهم بما عملوا ببيان أنه تعالى أنهم عليهم نعمًا جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم. **قوله: (وأصله المكان المرتفع)** وسمي طريقي الخير والشر بتجديد لأنه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريقي الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين

في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام. ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع «لم» فإنها لا تكاد تقع في الماضي إلا مكررة إذ المعنى: فلا فك رقبة ولا أطعم يتيمًا أو مسكينًا. والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي «فك رقبة» أو «أطعم» على الإبدال من اقتحم وقوله: ﴿وما أدراك﴾ ما العقبة اعتراض معناه أنك لم تدرك صعوبتها وثوابها. ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عطفه على «اقتحم» أو «فك» بـ «ثم» لما بعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ وأوصى بعضهم بعضًا

الظاهرين للإبصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل. **قوله:** (لما فيهما من مجاهدة النفس) بيان لوجه مشابهتهما بالعقبة، فإن مخالفة النفس وترك مقتضاها يشبه العقبة في صعوبة اقتحامها والدخول فيها. وفك الرقبة عبارة عن تخليصها من أسر الرق. **قوله:** (ولتعدد المراد بها) لما تقرر في النحو أن كلمة «لا» إذا دخلت على الماضي لا بد من التكرير كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وفي الآية لم تتكرر حيث قيل: ﴿فلا أقتحم العقبة﴾ أجاب عنه بأنها وإن لم تتكرر لفظًا فهي متكررة معنى لأن معنى فلا أقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينًا لأنه فسر اقتحام العقبة بهما. **قوله:** (مفعلات) أي كل واحدة منها مصدر ميمي على وزن مفعلة سغب يسغب سغبًا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعًا ومجاعة، فقوله تعالى: ﴿ذي مسغبة﴾ بمعنى ذي مجاعة، وقرب في النسب قرابة ومقربة، وترب الرجل أي افتقر بحيث كأنه لصق بالتراب، ومتربة أي مسكنة وفاقة. قيد الإطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لأن إخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر، وقيد اليتيم بأن يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لأنه يجتمع في الإطعام حينئذٍ جهتا الصلة والصدقة. وقرىء «فك رقبة أو أطعم» على لفظ الفعل الماضي فيهما ونصب «رقبة» على أنها مفعول «فك». والفعل في هذه القراءة بدل من قوله: «اقتحم» على سبيل البيان والتفسير كأنه قيل: فلا فك رقبة ولا أطعم وقوله: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى: إنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها. وفي قراءة «فك رقبة» برفع الاسم المضاف إلى «رقبة» يكون الاسم خبر مبتدأ محذوف أي هو فك أي اقتحام العقبة فك رقبة لأن قوله: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ تقديره وما أدراك ما اقتحام العقبة، فيكون المبتدأ راجعًا إلى المضاف المقدر. وإنما احتيج إلى تقدير مضاف لأنه لو لم يقدر وجعل «فك رقبة» تفسيرًا لنفس العقبة للزم تفسير أحد

بالصبر على طاعة الله ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ اليمين أو اليمن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بما نصباه دليلاً على حق من كتاب وحجة، أو بالقرآن ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾﴾ الشمال أو الشؤم.

المتباينين بالآخر لأن الفك مصدر والعقبة ليست كذلك، وبتقدير المضاف يندفع المحذور. وقال الإمام نقلاً عن الفراء: إذا قرىء «فك وأطعم» على لفظ الفعل الماضي كان من عطف الفعل على الفعل. وإذا قرىء على لفظ المصدر على تقدير: هي فك رقبة أو إطعام كان من عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث، لأن القراءة على لفظ المصدر لا تستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز أن يكون قوله ثم كان في تلك القراءة معطوفًا على «اقتحم» لا على الفك كما أشار إليه المصنف بقوله: «عطفه على اقتحم أو على فك بـ «ثم» لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة» أي لا في الزمان لأن الإيمان شرط لانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات فيجب أن يكون مقدمًا عليها ومستقلاً في الانتفاع به لكونه معتبرًا في نفسه غير متوقف على شيء من الطاعات. وقيل: هي للتراخي في الزمان بناء على أن المعنى: ثم كان في غاية أمره من الذين آمنوا بأن يموت على الإيمان، فإن موافاة الموت على الإيمان شرط للانتفاع بالطاعات، وفي عد عدم التواصي بالصبر وبالمرحمة من وجوه كفرانه وسيئات خصاله دليل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره على طريق الحق كالصبر على الانتهاء عن المعاصي والمنكرات وعلى الامتثال بالأوامر وملازمة الطاعات. فقوله تعالى: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ إشارة إلى تعظيم أمر الله تعالى وقوله: ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار أمر الطاعة ليس إلا على هذين الأصلين وهو الذي قاله بعض المحققين: أن الأصل في التصوف أمران: صدق مع الحق وصداقة مع الخلق.

قوله: (أو بموجبات رحمة الله تعالى) يعني أن المرحمة مصدر بمعنى الرحمة والشفقة إلا أنه يجوز أن يكون المراد بالمرحمة نفس الرحمة على عباد الله تعالى بأي طريق أمكن وأن يراد بها ما يوجب رحمته تعالى بمقتضى وعده على طريق إطلاق اسم المسبب على السبب تنبيهًا على كماله في السبب، والمرحمة بهذا المعنى أعم من المرحمة بالمعنى الأول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد، وهو ظاهر وأعم أيضًا من الطاعة التي أوجب التواصي بالصبر عليها بقوله: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ على طاعة الله تعالى لأن الطاعة لكونها منبئة عن الانقياد لتكليف الشارع إنما تتناول فعل الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة الله كما يتناولهما يتناول السنن والمستحبات والآداب أيضًا. فلذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر

ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص

على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله تعالى أيضًا تكميلاً للترغيب في جميع ما هو من معالم الدين. ثم إنه تعالى بيّن أن أصحاب هذه الأوصاف المذكورة هم أصحاب الميمنة في القيامة، وقد بيّن الله تعالى ثوابهم في سورة الواقعة بقوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٢٨ ـ ٣٤] والميمنة إنما بمعنى اليمين وأصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ويسلك بهم على طريق اليمين إلى الجنة، وإما بمعنى اليمين والخير والسعادة فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم. وكذا أصحاب المشأمة إما بمعنى أصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمالهم ويسلك بهم على جانب الشمال إلى النار، أو بمعنى أصحاب الشؤم والشر الذين هم مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم.

قوله: (ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة) أي الموضوع للإشارة إلى الحاضر المشاهد والكفار بالضمير أي ضمير الغائب شأن لا يخفى وذلك لأن ذكرهم باسم الإشارة تكريم لهم بأنهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته وذكرهم بما يشار به إلى البعيد تعظيم لهم بالإشارة إلى علو درجاتهم وارتفاعها على درجة أضدادهم، فإن درجة من حضر عنده تعالى كيف لا تعلو على درجة من غاب عنه؟ وذكر الكافرين بضمير الغائب إشارة إلى أنهم غيب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده.

قوله: (من أوصدت الباب إذا أطبقته) أوصد أفعل من المعتل الفاء الواوي مثل: أوعد يوعد، وآصد أيضًا أفعل إلا أنه من المهموز الفاء مثل: أمن يؤمن، وهما لغتان بمعنى أطبق وأغلق يقال: آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته. فمن قرأ «مؤصدة» بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز أن يكون من أوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضم ما قبلها على لغة من يقول: مؤسي ويقرأ بالسؤق والأعناق. وكان أبو بكر يكره الهمز في هذا الحرف ويقول: لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته. فكأنه لم يحفظ من شيخه وهو عاصم إلا ترك الهمزة. وقد حفظه حفص عنه بالهمزة وهو أضبط لحذقه من أبي بكر على ما نقله الفراء، وإن كان أبو بكر أكبر وأتقن وأوثق عند أهل الحديث. ومن لم يهمز أخذها من أوصدت قيل في قوله تعالى: ﴿نار مؤصدة﴾ أن «نار» مبتدأ و«مؤصدة» خبره و«عليهم» متعلق بالخبر والوجه أن يكون مؤصدة صفة لها والخبر عليهم. والجملة إما مستأنفة لا محل لها أو خبر ثانٍ والمعنى: عليهم نار أبوابها مؤصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح أبد الآباد. نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها

بالهمزة من آصدته. عن النبي ﷺ: «من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة».

سورة الشمس

مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١)﴾ وضوئها إذا أشرقت وقيل: الضحوة ارتفاع النهار، والضحى فوق ذلك. والضحايا بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا

برحمة منه وفضل. تمت سورة البلد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة والشمس

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى: (والشمس الخ) أقسم الله تعالى بما ذكره من أنواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه أي أصلحها، وإنما هما بالعلم والعمل، وجنبها من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبًا في الطاعات وتحذيرًا عن المعاصي. **قوله:** (وضوئها إذا أشرقت) أي ارتفعت وانبسط نورها لأن الإشراق يكون بعد الشروق الذي هو الطلوع يقال: شرقت الشمس تشرق شروقًا أي طلعت، وأشرقت إشراقًا أي أضاءت بأن ارتفعت وانبسط نورها، والضحوة بعد الإشراق. قال مجاهد والكلبي: ضحى الشمس ضوءها أي نورها المنبسط على وجه الأرض وهو نقيض الليل. والمشهور عند العرب أن الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع، والضحى فوق ذلك. والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد

تَلَنهَا ﴿٢﴾ تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر، أو في الاستدارة وكمال النور. ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾ جلى الشمس فإنها تتجلى إذا انبسط النهار والظلمة، أو الدنيا، أو الأرض وإن لم يجز ذكره للعلم بها. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ يغشى الشمس فيغطي ضوءها، أو الآفاق، أو الأرض. ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو بما بعدها في قوله: ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين

النهار وقرب أن ينتصف. واختار المبرد الأول حيث قال: الضحاء والضحوة مشتقان من الضحى وهو نور الشمس المنبسط على وجه الأرض المضاد لليل. وفي الحديث: «لا يقعدن أحدكم بين الضحى والظل فإنه مقعد الشيطان» فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت. ويدل عليه إضافة الوقت إليه حيث يقال: «وقت الضحى» أي وقت إشراق الضوء.

قوله: (تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر) الظاهر أن يقال: بدل هذه العبارة تلا غروبه غروب الشمس وذلك في ليلة الهلال، فإن تبعية القمر للشمس في الطلوع لا تظهر للحس لكونه مغلوبًا مضمحلاً بنور الشمس بخلاف تبعيته لها في الغروب فإنها ظاهرة محسوسة.

قوله: (أو غروبها) منصوب معطوف على قوله: «طلوع الشمس» فإن القمر يبقى طالعًا عند غروب الشمس ليلة البدر. **قوله: (أو في الاستدارة)** عطف على ما قبله في المعنى، فكأنه قيل: إذا تلاها في الطلوع أو في الغروب أو في الاستدارة. **قوله: (فإنها تتجلى إذا انبسط النهار)** إشارة إلى أن إسناد جلي إلى ضمير النهار من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه كما في نحو: صام نهاره لأن انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار وليس انبساطه مجليًا لها. **قوله: (أو الظلمة)** منصوب بالعطف على الشمس في قوله: «جلى الشمس» أي ويجوز أن يكون ضمير «جلاها» راجعًا إلى الظلمة وأخويها للعلم كما جاز رجوعه إلى الشمس لذكرها آنفًا، وإسناد «يغشى» إلى ضمير الليل من قبيل الإسناد في صام نهاره لأن الذي يغطي ضوء الشمس في الليل هو حيلولة الأرض بين الشمس وبين ما وقع عليه ضوءها لا نفس الليل الذي هو زمان تلك الحيلولة. **قوله: (ولما كانت واوات العطف)** جواب عما يقال من أن الواوات الواقعة بعد قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ الظاهر أنها عاطفة لأن كونها قسمية يستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدًا، وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الإسفرايني: استقرينا ما استقر بنا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعًا تعدد فيه القسم إلا وقد كان كل واحد من القسم واقعًا فيه على مقسم عليه على حدة، فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم أن يعطف معمولان على معمولي عاملين مختلفين وهو لا يجوز لأن الحرف الواحد

مختلفين. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥﴾ ومن بناها. وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل: والشيء القادر الذي بناها، ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها

لا ينوب عن عاملين مختلفين. وبيان الملازمة أن النهار المجرور في قوله تعالى: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ معطوف على معمول واو القسم الجارة وهو ﴿الشمس﴾ وقوله: ﴿إذا جلاها﴾ معطوف على قوله: ﴿إذا تلاها﴾ وهو معمول فعل القسم. وبما أجاب به ظهر أنه من قبيل العطف على معمولي عامل واحد كما في قولك: ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا، فإن الواو فيه لعطف بكر وخالدًا على معمولي ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا، وذلك لأن الواو الأولى القسمية كما تعمل الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب في الظرف الذي بعدها لنيابتها عن فعل القسم. وأصل الكلام: أقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر وأنيبت الواو منابهما فسد مسدهما معًا فهي عامل واحد عمل عملين مختلفين الجر والنصب، فكان المجرور والظرف اللذان بعدها معمولي عامل واحد، وإذا عطف على هذين المعمولين بالواو لم يلزم العطف على معمولي عاملين. وهذا الجواب لا يجري فيما إذا كان فعل القسم مصرحًا به كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨] بعد قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦] فإن الواو هنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الأول فيحتاج فيه إلى جواب آخر نحو أن يقال: لا نسلم أن الظرف المنصوب معمول لفعل القسم أو للواو النائبة منابه لأن تقييد القسم بالزمان غير مناسب سواء كان الزمان حالاً أو مستقبلاً بل هو معمول لمضاف مقدر مدلول عليه بالقسم نحو العظمة، فإن الإقسام بالشيء تعظيم له كأنه قيل: أقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر إذا تلاها، فالقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] معطوفين على معمول عامل واحد. فإن قيل: ما ذكرته في تقرير جواب المصنف من أن الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث، لأن فعل القسم المضمر بمعنى الحال لأنه لإنشاء القسم في الحال فلا يعمل في «إذا» لأنه ظرف لما يستقبل والفعل الحالي لا يعمل في الظرف المستقبل لأن الفعل الحالي لا يصير استقباليًا، وإذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبًا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصبًا له؟ قلنا: فرق بين أقسم بالشمس غدًا وأقسم بها إذا أشرقت غدًا، فالذي لا يجوز هو الأول لا الثاني فإنه يجوز أن يقسم الآن بإشراق الشمس وسائر ما يترقب وجوده بعد زمان القسم.

قوله: (وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية) لم يرد أن كلمة «ما» يوصف بها

ولذلك أفرد ذكره، وكذا الكلام في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَنٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّنٰهَا ۝٧﴾ وجعل المآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ بقوله: ﴿وما سواها﴾ إلا أن يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير «نفس» للتكثير كما في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الانفطار: ٥] أو للتعظيم والمراد نفس آدم وإلهام

نعتًا نحويًا كما يوصف «بالذي» فإن «ما» و«من» الموصولتين لا يوصف بهما بخلاف «الذي» بل المراد أن «ما» قد تستعمل في الصفات، فيقال إذا أريد أن يسأل عن صفة زيد: ما زيد؟ فيجاب عنه بأنه فقيه أو طبيب، وإذا أريد أن يسأل عن ذاته يقال: من هذا؟ والجواب عنه أن يقال: هذا زيد. **قوله:** (ولذلك أفرد ذكره) أي ولكون المقصود من إيثار «ما» على من الدالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة أفرد ذكر البناء الدال على القادرية وجعل صلة «ما» ليدل عليها، لأن شأن الصلة أن تميز الموصول وتعينه. **قوله تعالى:** (وما طحاها) الطحو الدحو وهو البسط، وإبدال الطاء من الدال جائز. قال عطاء والكلبي: بسطها على الماء. وقيل: طحاها من تحت الكعبة. والنفس إن حملت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل أعضائها بعضها ببعض كما يشهد به علم التشريح، وإن حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل أمرها بإعطائها من القوى ما يتم به جميع أحوالها. وبعض تلك القوى محركة وهي اثنتان: شهوية وغضبية وبعضها مدركة وهي عشر الحواس: الخمس الظاهرة والخمس الباطنة، وبعضها لا محركة ولا مدركة وهي سبع: الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة. **قوله:** (وجعل المآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل) أي يجرد المنوي في «ألهمها» عما يرجع هو إليه فإن المآت التي في قوله: «وما بناها» و«ما طحاها» و«ما سواها» إن كانت مصدرية لا يكون مذكورًا إلا السماء والأرض، والنفس وما يتعلق بها من المعاني المصدرية وهي البناء والطحو والتسوية وشيء منها لا يصلح لأن يرجع إليه المنوي في «ألهمها» وقوله: «إلا أن يضمر فيها اسم الله للعلم به» استثناء من قوله: «يجرد الفعل عن الفاعل» وإشارة إلى أن سبق الذكر ليس شرطًا في إرجاع الضمير إذا كان المرجوع إليه لنباهة شأنه مما لا يغيب عن العقل كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢؛ الدخان: ٣؛ القدر: ١] وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥]. **قوله:** (ويخل بنظم قوله فألهمها بقوله وما سواها) وذلك أنه على تقدير أن تكون «ما» مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لأنه يكون تقدير الكلام حينئذٍ: ونفس وتسويتها فألهمها. ولا خفاء في ركاكة هذا النظم ويمكن أن يقال: لا بعد في أن تجعل «ما» مصدرية ويكون «فألهمها» عطفًا على سواها بأن يكون هو أيضًا في تأويل المصدر على معنى وتسويتها فإلهامها فجورها. غاية ما في الباب أن يكون «فألهمها» كالأفعال السابقة وهي بناها وطحاها وسواها

الفجور والتقوى إفهامها وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ أنماها بالعلم والعمل. جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية، ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية. وقيل: استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره: ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحًا. ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض.

في تجردها عن الفاعل، ويلتزم أن يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به. فإن قيل: الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح، والإلهام يكون بعد البلوغ فيختل انتظام الإلهام المصدر بالفاء بما قبله على تقدير أن تكون «ما» مصدرية. قلنا: التسوية عبارة عن تعديل الأعضاء والقوى الإدراكية وذلك إنما يكون بعد البلوغ. ويدل عليه كون الصبي محجورًا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلف بالأحكام الشرعية. وإلهام الفجور والتقوى عبارة عن إفهامهما وإعقالهما وتعريف حالهما من حيث إن أحدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهلة. **قوله:** (**وحذف اللام للطول**) أي لطول الكلام بين القسم وجوابه. قيل: لما طال الكلام صار طوله عوضًا عن اللام. وقيل: لما كانت اللام للتأكيد و«قد» أيضًا تفيد التأكيد استغنى بها عن اللام. **قوله:** (**وكأنه لما أراد به**) أي بقوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وهو بيان لوجه الإقسام عليه فإنه تعالى لما أقسم بالشمس التي هي أعظم المحسوسات شرفًا ونفعًا، ووصفها بأوصافها الأربعة التي هي ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل، ثم أقسم بالسماء التي هي مسير الشمس وأعظم منها، ومن المعلوم أنهما لحركاتهما الوضعية والآنية وتغير أحوالهما من الأجسام الممكنة المحتاجة إلى صانع واجب الوجود لذاته دفعًا للدور أو التسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال. **قوله:** (**ويذكرهم**) عطف على قوله: «يدلهم» ولا شك أن هذه الأمور المقسم بها من عظائم الآلاء. **قوله:** (**وقيل استطراد**) عطف على قوله: «جواب القسم» والدمدمة إهلاك باستئصال وقيل: هو التعذيب على أتم الوجوه، ولم يجعل قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود﴾ جوابًا لأن إقسام الله تعالى إنما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس متهمًا بل ذكر استشهادًا لقوله: ﴿قد خاب من دساها﴾ بخلاف قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ فإن الأول وعد لأهل التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لأضدادهم بالخيبة والخسران.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] وأصله طغياها. وإنما قلبت ياؤه واوًا تفرقة بين الاسم والصفة. وقرىء بالضم كالرجعى. ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ حين قام ظرف لكذبت أو طغوى. ﴿أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ أشقى ثمود وهو قدار بن سالف، أو هو ومن مالأه على

قوله: (بسبب طغيانها) يعني أن الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان إلا أن الطغوى لما كانت أشبه برؤوس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وإن كان هو المشهور، والباء فيه سببية، ومفعول «كذبت» محذوف للعلم به والمعنى: كذبت ثمود نبيها صالحًا عليه السلام بسبب طغيانها. وقوله: «أو بما أوعدت به» أي ويجوز أن يكون الطغوى اسمًا لعذابهم الذي أهلكوا به فتكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] أي بالعذاب الذي حصل بها. ثم قال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] فسمي ما أهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزًا عن القدر المعتاد، فجاز أن يراد بالطغوى في هذه ما أوعدوا به من العذاب لكونه مجاوزًا عن القدر المعتاد فإن الطغيان في اللغة عبارة عن مجاوزة الحد. **قوله:** (**تفرقة بين الاسم والصفة**) وذلك أن فعلى إذا كانت من ذوات الياء وكانت اسمًا قلبت ياؤها واوًا، وإن كانت صفة أبقيت الياء على حالها تفرقة بينهما. تقول في الصفة: خزيًا وريًا وصديًا فإن خزيًا صفة بمعنى مستحية من خزي الرجل إذا استحيى، وريًا من روى، وصديًا من صدى أي عطش فهو صديان وهي صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى، وتقول في الاسم تقوى وبقوى في اسمي الاتقاء والانتظار من تقى الله تقيًا أي خافه وبقيته أي انتظرته. وإبقاء الياء على حالها في الصفة أولى من إبقائها في الاسم لأن الصفة أثقل من الاسم والياء أخف من الواو. وإن قرىء «بطغواها» بضم الطاء يكون أيضًا مصدرًا كالرجعى والحسنى إلا أن قلب يائه واوًا حينئذٍ يكون مخالفًا للقياس إذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا. **قوله:** (**حين قام ظرف لكذبت**) أي كذبوا نبيهم حين نهض أشقاهم لعقر الناقة امتثالاً لأمر من بعثه إليه فإن انبعث مطاوع لبعث يقال: بعثت فلانًا على الأمر فانبعث له وامتثل، وإن كان «إذ» ظرفًا لطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم حين انبعث أو كذبوا بعذابهم ذي الطغوى حين انبعث. واختلفوا في الأشقى الذي هو عاقر الناقة هل هو شخص معين أو جماعة؟ فمن ذهب إلى الأول قال: اسمه قدار بن سالف وهو أشقى الأولين ويؤيده قوله تعالى في سورة القمر: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] ومن ذهب إلى الثاني قال: إنما جاء الأشقى بلفظ الواحد بناء على أن أفعل التفضيل إذا أضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤]. **قوله:** (**ومن مالأه**) أي

قتل الناقة، فإن أفضل التفضيل إذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها. ﴿وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ فلا تذودوها عنها. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بسببه ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ فسوى الدمدمة بينهم، أو عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير، أو ثمود بالإهلاك.

صاحبه وعاش معه ملاوة من الدهر أي حينًا وسهله. وفي بعض النسخ «ومن والاه» أي صادقه وهو من الولي بمعنى الصديق.

قوله: (فقال لهم) عطف على قوله: «انبعث» فإن ثمود لما اقترحوا الناقة وأخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذي وصفوها عليه الصلاة والسلام جعل لهم شرب يوم من شربهم ولها شرب يوم معلوم فقال لهم: ذروها وشربها أي نصيبها من الماء. فاستمروا على ما أمرهم به صالح عليه الصلاة والسلام إلى أن استضروا بذلك في أمر مواشيهم فهموا بعقرها، فلما علم صالح ما عزموا عليه أعاد لهم الوصية فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣] دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوتي فاحذروا أن تمسوها بسوء واحذروا أيضًا أن تمنعوها من سقياها أي شربها ونصيبها من الماء، فإنكم إن تفعلوا ذلك تعذبوا. فكذبوه في أنهم يعذبون إن فعلوا ذلك فعقروا الناقة فأطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم أحد إلا أهلكه. **قوله:** (أي ذروا ناقة الله) إشارة إلى أن «ناقة الله» منصوب بعامل مضمر على التحذير وإضمار الناصب هنا واجب لوجود العطف، فإن إضمار الناصب يجب في ثلاثة مواضع: أحدها أن يكون المحذر نفس إياك وبابه، الثاني أن يوجد فيه عطف، الثالث أن يوجد فيه تكرير نحو: الأسد الأسد والطريق الطريق.

قوله: (وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة) يقال: دمت الناقة بالشحم أي طليت به بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه الشحم، ثم كرر الدال بين عين الفعل ولام الفعل للمبالغة في الإحاطة. وهذه قاعدة مطردة في كل مضاعف من الثلاثي كرر فاؤه بين العين واللام نحو: زلزل في زل. **قوله:** (أو ثمود بالإهلاك) على أن يكون ضمير «سواها» راجعًا إلى «ثمود» باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد إليه ضمير «بطغواها» بذلك الاعتبار. وعلى الأول يكون راجعًا إلى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [المائدة: ٨] فإنهم قد هلكوا بصيحة واحدة من جبريل عليه الصلاة والسلام وتلك الصيحة أهلكتهم جميعًا بحيث لم يبق منهم أحد لا صغير ولا كبير.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ أي عاقبة الدمدمة، أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الإبقاء. والواو للحال. وقرأ نافع وابن عامر «فلا» على العطف. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر».

قوله: (أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود) يعني أن ضمير «سواها» إن رجع إلى الدمدمة يرجع إليها ضمير «عقباها» إلا أنه حينئذٍ لا بد من تقدير ما يضاف إليه العقبى. **قوله:** (فيبقى بعض الإبقاء) أي فيترحم بعض الترحم. وفي الصحاح: أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته يقال: لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ، والاسم منه البقوى بفتح الباء وكذلك التقوى بفتح التاء. **قوله:** (والواو للحال) فقوله: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ في محل النصب على أنه حال من المنوي في سواها الراجع إلى الله جل ذكره أي فسواها غير خائف عقبى ما صنع بهم من الإهلاك أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة، لأنه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فإنه لا يخاف عاقبة فعله. وإن قرىء «فلا يخاف» بالفاء يكون معطوفًا على قوله: «فسواها» ومتفرعًا عليها. تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الليل

مكية وآيها إحدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١)﴾ أي يغشى الشمس أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه. ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢)﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين بطلوع الشمس. ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ

سورة الليل

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (أي يغشى الشمس أو النهار) يدل على الأول قوله تعالى في السورة السابقة: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤] وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالمفعول المقدر على التقديرين ليس بعام إلا أنه حذف اعتمادًا على ما يدل عليه وإن كان تقدير الكلام: إذا يغشى كل ما يواريه ويستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم.

قوله: (ظهر بزوال ظلمة الليل) هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار، وقوله: «أو تبين بطلوع الشمس» هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس. أقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما في تعاقبهما من مصالح لا تحصى، فإنه لو كان الدهر كله ليلاً لتعذر المعاش ولو كان كله نهارًا لاختل أمر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل، فمقتضى الحكمة ليس إلا تعاقبهما فلذلك امتن سبحانه وتعالى بذلك وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ [الفرقان: ٦٢].

﴿وَالْأُنثَىٰ ③﴾ والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد، أو آدم وحواء. وقيل: «ما» مصدرية. ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④﴾ إن مساعيكم لأسباب مختلفة لشتى جمع شتيت. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥﴾ تفصيل مبين لتشتت المساعي. والمعنى من أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑦﴾ فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة، من يسر الفرس إذا هيأه للركوب بالسرج واللجام. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بما أمر به.. ﴿وَاسْتَغْنَىٰ ⑧﴾ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨﴾ بإنكار مدلولها. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ⑩﴾ للخلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول

قوله: (صنفي الذكر والأنثى) على أن تعريف الذكر والأنثى للجنس وعلى الثاني للعهد. **قوله:** (إن مساعيكم الخ) إشارة إلى وجه الإخبار عن السعي وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وجريح وجرحى، وبيانه أن السعي مصدر قولك: سعى الرجل يسعى إذا عمل وكسب، والمصدر جنس يشمل جميع أفراده لا سيما وقد أضيف إلى الجمع فهو جمع في المعنى إلا أن المقصود بالإخبار عنه ليس هو السعي والعمل بالمعنى المصدري بل المقصود الإخبار عن الأعمال الصالحة بالسعي، فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعي والأعمال المكتسبة. والشتيت المتباعد المتفرق يقال: تشتت الآمر تشتتًا وشتاتًا أي تفرق وأمر شت وشتيت أي متفرق، وحكم على الأعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى وبعضها ضلالاً بأنها شتى لتباعد ما بين بعضها وبعض فإن بعضها يؤدي إلى الجنان وبعضها إلى عذاب النيران. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية: إن أعمالكم مختلفة عمل للجنة وعمل للنار. **قوله:** (**تفصيل مبين لتشتت المساعي**) أي مبين لاختلاف الأعمال من حيث اختلاف أجزيتها، فإن اختلاف أنفس المساعي والأعمال في أنفسها معلوم لا فائدة في الإخبار عنه. **قوله:** (**والمعنى من أعطى الطاعة واتقى المعصية**) إشارة إلى أن عدم ذكر متعلقات هذه الأفعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به، فمتعلق الإعطاء جميع ما يتقرب بفعله وإتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية وإعطاؤها صرف القوى والآلات في تحصيلها، وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان ملابسته معصية وكل واحد منهما لما لم ينفع صاحبه بدون التصديق والإيمان عقبه بقوله: ﴿وصدق بالحسنى﴾ أي بالكلمة الحسنى، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٥] إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] والخلة بالفتح الخصلة. واليسرى أعمال الخير بناء على أن الأعمال بالعواقب فكل ما أدى إلى يسر وراحة فهو خصلة يسرى. ومعنى تيسير المكلف لها أن يوفقه لإتيانها

النار. ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ نفي أو استفهام إنكار، ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ هلك تفعل من الردى، أو تردى في حفرة القبر أو قعر جهنم. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ للإرشاد إلى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا، أو أن علينا طريقة الهدى كقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء، أو ثواب الهداية للمهتدين، أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تتلهب ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يلزمها مقاسيًا شدتها. ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ إلا الكافر فإن الفاسق وإن دخلها لم يلزمها، ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي كذب الحق وأعرض عن الطاعة. ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ الذي اتقى الشرك والمعاصي فإنه لا يدخلها فضلاً أن يدخلها ويصلاها. ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق. ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ يصرفه في مصارف الخير لقوله: ﴿يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ فإنه بدل من يؤتى أو حال من فاعله. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ فيقصد بإيتائه مجازاتها.

ويسهلها له من غير أن يعتريه من التغافل والكسل ما يعتري المرائين والمنافقين. وكذا المراد بالعسرى أعمال الشر المؤدية إلى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها أن يخذله ويخليه وشأنه لعلمه باختيار المكلف ذلك. **قوله:** (نفي أو استفهام إنكار) إذا كانت كلمة «ما» نافية يكون مفعول «يغني» محذوفًا أي ليس يغني عنه ماله شيئًا. وإن كانت استفهامية تكون في محل النصب على أنها مفعول «يغني» أي أي شيء يغني عنه ماله أي لا يغني شيئًا. **قوله تعالى:** (تردى) يحتمل أن يكون من التردي بمعنى الهلاك والموت يقال: ردى يردي من باب علم أي هلك وأرداه غيره وهو ردى أي هالك، وتردى تفعل منه للمبالغة، ويجوز أن يكون من ردى في البئر وتردى فيه أي سقط فيه أو تهور من جبل، ومنه المتردية. والمعنى: إذا يسرناه للعسرى المؤدية إلى دخوله النار وتردى فيها فما يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه، ولم يصحبه شيء منه إلى آخرته التي هي موضع مقره وحاجته. يعني أن الذي ينتفع به الإنسان هو ما قدمه من أعمال البر وإعطاء الأموال في حقوقها دون المال الذي يخلفه على ورثته. ثم إنه تعالى لما عرفهم أن سعيهم لشتى بحسب الجزاء وبيّن أن من آثر الهدى يهون عليه طريق الهدى، ومن آثر الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهون عليه ما يؤدي إلى العسر والعناء أخبر أنه قد قضى ما عليه من الهدى والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرهم فقال: ﴿إن علينا للهدى﴾ أي للإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع بمقتضى حكمتنا أو بموجب قضائنا. ويجوز أن تكون الآية من قبيل قوله تعالى: ﴿وعلى الله

....

قصد السبيل ومنها جائر﴾ أي علينا طريقة الهدى التي تؤدي سالكها إلينا. والهدى على الأول بمعنى الهداية والإرشاد، وعلى الثاني بمعنى الطريقة المبينة لهداية الله تعالى وإرشاده سميت باسم ما هو سبب لتبينها مجازًا. **قوله:** (فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء) فيكون قوله: ﴿إن لنا للآخرة والأولى﴾ في معرض التأكيد والتحقيق لقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ ولما يلزمه من الضمان لثواب الاهتداء في الآخرة، فإن من تفرد بمالكية الدارين يملك إرشاد الأنام إلى الحق في الدنيا ويملك إثابتهم على الاهتداء في العقبى.

قوله: (أو ثواب الهداية للمهتدين) فيكون ذلك تتميمًا لقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ على معنى أن علينا أن نهديه في الأول إلى الحق وأن نثيبه على اهتدائه في الآخرة. **قوله:** (أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء) فيكون استئنافًا لبيان أنه تعالى إنما يهديهم ويرشدهم إلى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود إليه كأنه قيل: علينا أن نهديكم إلى صراط مستقيم ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن أساء فعليها لا تعود منفعة اهتدائه ولا مضرة عدم اهتدائه إلينا، وأن اهتداءكم لا يزيد في ملكنا شيئًا لأن لنا الآخرة والأولى. فالوجوه الثلاثة لبيان وجه ارتباط الآية بما قبلها لا لبيان معناه لأنه معلوم. **قوله:** (لا يلزمها مقاسيًا شدتها) لما دل ظاهر قوله تعالى: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ على أنه لا يدخل النار إلا الكافر. وهذا الحصر ترده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق، حمل صلى النار على لزومها والخلود فيها مقاسيًا شدتها وحرها لكون الصلى بهذا الوجه كمال الصلى فيحمل عليه عند الإطلاق. ولا شك أن الصلى بهذا المعنى منحصر في الكافر وأمر الفاسق مفوض إلى مشيئة الله تعالى فإما أن لا يدخلها رأسًا أو يدخلها ولكن لا يلزمها. وجعل حمله صلى النار على لزومها وسيلة إلى دفع ما يتوهم من أن منطوق قوله: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ الذي يخالف مفهوم قوله: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ فإنه بمفهومه يدل على أن غير الأتقى لا يتجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق، فلما جعل صلى النار بمعنى لزومها كان منطوق الأول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود في الكافر لأن دخول العصاة لا يستلزم خلودهم. **قوله:** (لقوله يتزكى) استدل به على أن الإيتاء ليس المراد به صرف المال مطلقًا بل المراد به صرف المال في مصارف الخير وإن كان «يتزكى» بدلاً من «يؤتى» لا يكون له محل من الإعراب لأنه لما كان بدلاً من صلة «الذي» كان داخلاً في حكم الصلة، والصلات لا محل لها من الإعراب لأن الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل له، وإن كان حالاً من المنوي في «يؤتى» كان المعنى: يؤتيه متزكيًا أي متطهرًا من الذنوب أو متزايدًا في الخير زاكيًا رفيع

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ استثناء منقطع أو متصل من محذوف مثل: لا يؤتى إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ وعد بالثواب الذي يرضيه. والآيات نزلت في أبي بكر حين اشترى بلالاً في جماعة تولاهم المشركون فأعتقهم.

القدر عند الله تعالى لا للرياء والسمعة. **قوله**: (استثناء منقطع) لأن ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي يجازى عليها فيكون منصوبًا على الاستثناء المنقطع، وتكون «إلا» بمعنى لكن أي لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه أي لابتغاء التوجه إلى ربه. **قوله**: (أو متصل من محذوف) يدل عليه قوله: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ فإنه يدل على أن المراد لا يؤتى ماله لأمر من الأمور إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. فعلى هذا يكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه ويكون الاستثناء متصلاً. **قوله**: (والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه) هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين. والشيعة ينكرون ذلك ويقولون: إنها نزلت في حق علي بن أبي طالب، ويستدلون عليه بأن قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] نزلت في حقه فقوله: ﴿الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى﴾ إشارة إلى ما في تلك الآية. ونحن نقول: لا يمكن حمل الأتقى المذكور في هذه الآية على علي رضي الله عنه لأنه تعالى قال في صفة هذا: ﴿الأتقى وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ وهذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله عنه لأنه كان في تربية النبي ﷺ أخذه من أبيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه، فكان عليه السلام منعمًا عليه بنعمة يجزى عليها. بخلاف أبي بكر فإنه لم يكن لأحد عنده من نعمة دنيوية، نعم كان للرسول ﷺ عنده نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين إلا أن هذه النعمة لا يجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠] وآيات أخرى والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى، فظهر أن هذه الآية لا تصلح أن تكون نازلة في حق علي رضي الله عنه، فتعين أنها نزلت في أبي بكر لأن الأمة أجمعوا على أن أفضل الخلق وأكرمهم وأتقاهم أبو بكر رضي الله عنه. روي أن بلالاً كان مولى عبد الله بن جدعان فسلح أي تغوط على الأصنام، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، فاطلع المشركون عليه فشكوه إلى عبد الله فوهبه لهم ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم. فأخذوا يعذبونه في الرمضاء أشد العذاب وهو يقول: أحد أحد، فمر به رسول الله ﷺ فقال: «ينجيك أحد أحد». ثم أخبر عليه السلام: «أن بلالاً يعذب لأجل دينه» فحمل أبو بكر رطلاً من ذهب فابتاعه به فأعتقه. فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. فنزل قوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ وقال ابن الزبير وهو على المنبر: كان أبو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال أبوه: يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال: يمنع ظهري ربه. فنزلت هذه الآية. ثم وعده الله بأن

ولذلك قيل: المراد بالأشقى أبو جهل وأمية بن خلف. قال عليه السلام: «من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر».

سورة والضحى

مكية وآيها إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، أو لأن فيه كلم موسى ربه، أو ألقى السحرة سجدًا، أو النهار ويؤيده قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: ٩٨] في مقابلة بياتًا. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ سكن أهله، أو ركد

يرضيه في الآخرة بثوابه فقال: ﴿ولسوف يرضى﴾ تمت سورة الليل والحمد لله رب العالمين حمدًا دائمًا أبدًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الضحى

مــكيـة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

فسّر الضحى أولاً بصدر النهار حين ترتفع الشمس بقرينة العطف عليه بقوله: ﴿والليل﴾ وفسر قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس وإشراقها بقرينة إضافة الضحى إلى الشمس، لأن إضافة صدر النهار إليها لا معنى له بخلاف إضافة النور إليها. وفسره ثانيًا بالنهار كله وقد أريد بالضحى النهار كله في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧، ٩٨] أي نهارًا بقرينة وقوعه في مقابلة قوله: «بياتًا» أي بائتين داخلين المساء. **قوله**: (سكن أهله) يعني أن الإسناد مجازي من قبيل

ظلامه من سجا البحر سجوًا إذا سكنت أمواجه. وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما قطعك قطع المودع. وقرىء بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم. ﴿وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ وما أبغضك. وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل. روي أن الوحي تأخر عنه أيامًا لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف. أو لزجره سائلاً ملحًا، أو لأن جروًا ميتًا كان

إسناد الفعل إلى زمانه مثل: صام نهاره، وكذا الحال إذا فسر بقوله: ركد ظلامه أي ثبت وكان بحيث لا يزداد بعد ذلك وكل ما ثبت في مكان فهو راكد فيه. **قوله**: (وتقديم الليل في السورة المتقدمة) يعني أن كل واحد منهما له تأثير عظيم في صلاح العالم فلذلك أقسم به إلا أن الليل له فضيلة السبق والأصالة بالنسبة إلى النهار، فإنه يحدث بطلوع الفجر وبالغروب يعود الهواء إلى الحالة الأصلية، ولذلك قدم الظلمة في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة إلى الليل فلذلك قدم هذا تارة وذاك أخرى. فإن قيل: ما السبب في أنه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته؟ أجيب بأنه وإن كان ساعة منه إلا أنه لكونه أشرف ساعاته نازل منزلة الكل. **قوله**: (لتركه الاستثناء) روي أن مشركي قريش أرسلوا إلى يهود المدينة وسألوهم عن أمر رسول الله ﷺ فقال لهم اليهود: اسألوه عن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وعن الروح. فإن أخبركم بقصة أهل الكهف وعن قصة ذي القرنين ولم يخبركم عن أمر الروح، فاعلموا أنه صادق. فجاءه المشركون وسألوه عنها فقال عليه الصلاة والسلام لهم: «ارجعوا سأخبركم غدًا» ولم يقل إن شاء الله. فاحتبس الوحي عنه اثني عشر يومًا وقيل: عشرين يومًا. وقيل: خمسة وعشرين يومًا. وقيل: أربعين يومًا حتى نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] فأخبره بما سئل عنه ونزل أيضًا بقوله: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ فإن قيل: ما ذكر من كون سبب احتباس الوحي ترك الاستثناء لا يدل على أنه كان عن قلى فما وجه قوله تعالى: ﴿وما قلى﴾؟ أجيب بأن أقصى ما في الباب أنه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو ترك الأفضل والأولى، فظن أنه صار ممقوتًا. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل: «ما جئتني حتى اشتقت إليك» فقال جبريل: بل كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور، وتلا ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] والتوديع أصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه، لأن من ودعك عند الرحيل مفارقًا فقد بالغ في تركك. وقرىء «ما ودعك» بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فإنهم أماتوا ماضي يدع ويذر فلا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في أول الكلمة، واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم الثقل. **قوله**: (أو لزجره سائلاً ملحًا)

تحت سريره، أو لغيره فقال المشركون: إن محمدًا ودعه ربه وقلاه، فنزلت ردًا عليهم. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤)﴾ قالها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار، كأنه لما بيّن أنه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعدله ما هو أعلى وأجل من ذلك في الآخرة، أو ولنهاية أمرك خير من بدايته فإنه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥)﴾ وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولما ادخره له مما لا يعرف كنهه سواه. واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير: ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فإنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة.

روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أهدى إلى رسول الله ﷺ عنقود عنب، فجاء سائل فأعطاه إياه، ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه إلى رسول الله ﷺ ثانيًا، ثم عاد السائل فأعطاه ذلك فاشتراه عثمان أيضًا وقدمه له. فعاد السائل ثالثًا فقال عليه الصلاة والسلام ملاطفًا له لا غضبان عليه: «أسائل أنت يا فلان أم تاجر» فتأخر عنه الوحي أيامًا لذلك. فنزلت: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ وروي أيضًا أن خولة كانت تخدم النبي ﷺ فجاء جرو البيت فدخل تحت السرير فمات هناك، فمكث رسول الله ﷺ أيامًا لا ينزل عليه الوحي فقال: «يا خولة ما حدث في بيتي حتى أن جبريل لا يأتيني» قالت خولة: فهيأت البيت فكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء رسول الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: «يا خولة دثريني» فأنزل الله تعالى هذه السورة. فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تأخيره فقال: أما علمت أنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة. **قوله:** (أو لنهايـة أمرك خير من بدايته) على أن لا يراد بالآخرة ما يقابل الدنيا بل يراد بها الحالة الآتية، فالمعنى: لا تظن أن ربك ودعك وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه أيامًا بل كل حال يأتي عليك فيما بعد من الأزمنة والأيام فإنها خير لك من أحوالك الماضية، ومن جملة أحوالك أنه احتبس عنك الوحي أحيانًا بعد تتابعه وتعاقبه عليك فقال الأعداء فيك ما قالوا، وقلنا في ردهم مؤكدًا بالقسم ﴿ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتتابعه.

قوله: (واللام للابتداء الخ) لأنها لا تدخل إلا على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ أي ولأنت سوف يعطيك ربك لا لام جواب القسم، لأن لام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد نحو: والله لأضربن. **قوله:** (وجمعها مع سوف) فإن لام

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾﴾ تعديد لما أنعم عليه تنبيهًا على أنه كما أحسن إليه فيما مضى يحسن إليه فيما يستقبل. ويجدك من الوجود بمعنى العلم و«يتيمًا» مفعوله الثاني أو المصادفة و«يتيمًا» حال. ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن علم الحكم والأحكام ﴿فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر. وقيل: وجدك ضالاً في الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام، أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك

الابتداء لما تجردت للتأكيد وكانت السين تدل على التأخر والتنفيس حصل من اجتماعهما أن العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة. **قوله:** (من الوجود بمعنى العلم) أي ألم يعلمك يتيمًا فآوى أي فجعل لك مأوى تأوي إليه يقال: آوى فلان إلى منزله يأوي أويًا على فعول، وآويته أنا إيواءً. وكان يتمه عليه الصلاة والسلام أن أباه عبد الله بن عبد المطلب توفي وأمه عليه السلام حامل به، ثم ولد عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة فماتت أمه آمنة وهو ابن ست سنين، ثم مات جده بعد أمه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين. ولما أشرف عبد المطلب على الموت أوصى عليه عليه السلام أبا طالب لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة، فكان أبو طالب هو الذي يكفل رسول الله ﷺ بعد جده إلى أن بعثه الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة، ثم توفي أبو طالب بعد ذلك فلم ير عليه السلام من أثر اليتم شيئًا. فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله: ﴿ألم يجدك يتيمًا فآوى﴾. **قوله:** (عن علم الحكم والأحكام) أي وجدك غافلاً عن علوم النبوة والأحكام الشرعية فهداك إليها كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل: وجدك ضالاً في الطريق. روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة، فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة. وقيل: إلى أرض الهند ثم رده إلى القافلة. وقيل: إنه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وأرادت أن ترده إلى جده حتى دخلت إلى هبل وشكت ذلك إليه فتساقطت الأصنام وسمعت صوتًا: إنما هلاكنا بيد هذا الصبي. وفيه حكاية طويلة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنه عليه الصلاة والسلام ضل في شعاب مكة وهو صغير وما زال ضالاً حتى كاد الجوع يقتله فرآه أبو جهل وهو منصرف عن أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب وهو متعلق بأستار الكعبة يتضرع إلى الله تعالى في أن يرد إليه محمدًا ويقول بالبيت: رب رد لي محمدًا اردده ربي واصطنع بذا يدًا. فما زال يردد هذا الكلام حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد ﷺ بين يديه فقال له: لا تدري ماذا نرى من ابنك؟ فقال عبد المطلب: ما رأيت؟ قال: إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة

فأزال ضلالك عن عمك أو جدك. ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيرًا ذا عيال ﴿فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ بما حصل لك من ربح التجارة. ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ فلا تغلبه على ماله لضعفه. وقرىء «فلا تكهر» أي فلا تعبس في وجهه. ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ فلا تزجر ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ فإن التحدث بها شكرها. وقيل: المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها. قال عليه السلام: «من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل».

سورة ألم نشرح

مكية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق

كأن الناقة تقول: يا أحمق هو الإمام فكيف يقوم خلف من وجب عليه أن يقتدي به؟ **قوله**: (ذا عيال) صفة كاشفة لقوله: «فقيرًا» يقال: عال يعيل عيلاً عيلة وعيولاً أي افتقر وأعال الرجل إذا كثر عياله أي من ينفق عليه. قيل: العائل ذو العيال، ثم أطلق على الفقير وإن لم يكن له عيال. والمشهور أن المراد بالعائل في الآية الفقير. تمت سورة الضحى بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة ألم نشرح

مـكيـة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الشرح التوسعة، والفسحة السعة، ومكان فسيح أي واسع، وفسح له في المجلس أي وسع له. وقد شرح الله تعالى صدره عليه الصلاة والسلام بحيث وسع مناجاة الحق ودعوة

فكان غائبًا حاضرًا، أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك. وقيل: إنه إشارة إلى ما روي أن جبريل أتى رسول الله ﷺ في صباه، أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانًا

الخلق بعدما ضاق عنهما جميعًا، فإن مقام حضور الحق ومناجاته مقام شهود الحق والغيبة عن الخلق، ومن كان غائبًا عن الخلق كيف يتأتى له دعوة الخلق ومعاناتهم؟ فإن دعوتهم تستلزم الحضور معهم والحضور مع المخلوق ينافي الحضور مع الخالق ظاهرًا فيضيق الصدر عن الجمع بينهما، فكان حاضرًا مع الحق مستغرقًا في مقام مناجاته دائمًا وهو غائب عنه مشتغل بدعوة الخلق ظاهرًا، فكان غائبًا حاضرًا. **قوله**: (أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه الخ) فإنه تعالى ما فسح صدر أحد من بني آدم كفسحه لصدره المنير عليه الصلاة والسلام حتى وسع علم الأولين والآخرين وقال: «أوتيت جوامع الكلم». **قوله**: (وقيل إنه) أي أن قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ إشارة إلى ما روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ في صباه أي حين كان عند حليمة في السنة التي أعاده فيها إلى عبد المطلب، وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه مما كان فيه من الدم الأسود، ثم جاء بطست من ذهب قد ملىء علمًا وإيمانًا فوضعه في صدره. **قوله**: (أو يوم الميثاق) الظاهر أن المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج. ويؤيده ما ذكره الإمام النسفي ناقلاً عن الكلبي أن جبريل عليه السلام أتاه فشق صدره وأبدى عن قلبه، ثم جاء بدلو من ماء زمزم فغسله وأنقاه مما فيه، ثم جاء بطست من ذهب قد ملىء علمًا وإيمانًا فوضعه فيه ثم قال: كان هذا حين جاءه بالبراق ليلة المعراج، أو حين كان عند حليمة في السنة التي أعادته فيها إلى عبد المطلب والقاضي عبد الجبار طعن في هذه الرواية من وجوه: أحدها أنه قد روي أن هذه الواقعة وقعت في حال صغره عليه الصلاة والسلام وهي من المعجزات فلا يجوز أن تتقدم نبوته. وثانيها أن تأثير الغسل في إزالة الأجسام، ولا شك أن الأخلاق والمعاصي ليسا من قبيل الأجسام فلا يؤثر فيهما الغسل. وثالثها أن القلب لا يصح أن يملأ علمًا وإيمانًا بل الله تعالى يخلقهما في القلب. وأجيب عن الأول بأن تقديم المعجزة عن البعثة يجوز عندنا وذلك هو المسمى بالإرهاص ومثله كثير في حقه عليه الصلاة والسلام. وعن الثاني في قوله إن الغسل له تأثير في إزالة الأجسام بأن ما في القلب من الدم الأسود لا يبعد أن يكون حصوله فيه علامة مؤدية للقلب إلى ميله إلى المعاصي وإبعاده عن الطاعات، وتكون إزالته عنه سببًا لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية إليها فتكون إزالته عنه مستلزمة لامتلائه بالعلم والإيمان، فصح أن يعبر عن تطهير قلبه عليه الصلاة والسلام من ذلك الدم بامتلائه بالعلم والإيمان. وأشار المصنف إلى الجواب عن طعن القاضي في هذه الرواية

وعلمًا. ولعله إشارة إلى نحو ما سبق. ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه.

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾ عبأك الثقيل ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ الذي حمله على النقيض. وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة. أو جهله بالحكم والأحكام، أو حيرته، أو تلقي الوحي، أو ما كان

بما حاصله أن المراد بما روي ليس ظاهره بل هو رمز إلى توسيع الصدر فقال: «ولعله» أي ولعل ما روي إشارة إلى نحو ما سبق من تفسيح الصدر.

قوله: (مبالغة في إثباته) **وجه المبالغة أن الإنكار في معنى النفي ونفي النفي إثبات، فكان المعنى: قد شرحنا لك صدرك وإثبات الشرح بنفي النفي إثبات له، فكأن أبلغ من إثباته ابتداء. قوله:** (ولذلك) **أي ولأجل أن معنى** ﴿ألم نشرح﴾ **قد شرحنا عطف عليه وضعنا لأنه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية على مثلها. والعبء بالكسر الحمل، والنقيض صوت الانتفاض والانفكاك، ونقيض الرحل صوته عند تداعي أجزائه إلى الانفكاك، وشبه خطأه من تركه الأفضل والأولى بالعبء الثقيل فأطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط. فالوزر استعارة والوضع ترشيح. قوله:** (أو جهله بالحكم والأحكام) **لعله أراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الأخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية. وفي تلويح الحكمة: هي العلم النافع المعبّر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار إليه بقوله تعالى:** ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] **وبالأحكام العلم المتعلق بإصلاح الأعمال والمعاملات التي يتوقف عليها حسن المعاشرة بين الأنام ويدور عليها انتظام أحوالهم. قوله:** (أو حيرته) **أي أو المراد من الحمل الثقيل الحيرة التي كانت له عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، وذلك أنه عليه السلام كان ينظر بكمال عقله إلى عظم نعم الله تعالى عليه حيث أخرجه من العدم إلى الوجود وإعطاء الحياة والعقل وسائر ما يتبعهما من النعم، فتثقل عليه تلك النعم ولا يدري كيف يشكرها فيغلب عليه الحياء والحيرة، فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف أنه كيف يعبد ربه ويشكر نعمه زالت حيرته. فإن اللئيم لا يبالي بما أسبغ عليه من النعم المتظاهرة ولا يستحي من مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف الإنسان الكريم النفس فإنه إذا تواترت النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من أنواع الخدمة فإن ذلك يثقل عليه جدًا بحيث يكاد يموت من الحياء، فإذا كلفه المنعم بنوع من الخدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه. قوله:** (أو تلقي الوحي) **أي أو المراد من الوزر ما أصابه من الهيبة والفزع في أول ملاقاة جبريل عليه السلام حتى كأن تأخذه الرعدة ويستولي عليه العرق عند نزول الوحي ويقول:**

يرى من ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم، أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ بالنبوة وغيرها وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب وإنما زاد ذلك ليكون إبهامًا قبل إيضاح فيفيد المبالغة. ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ كضيق الصدر. والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم. ﴿يُسْرًا ۝٥﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك. وتنكيره للتعظيم. والمعنى: بما في أن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين. ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ تكرير للتأكيد أو استئناف وعدة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك: إن للصائم فرحتين أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام: «لن يغلب عسر يسرين» فإن «العسر» معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد أو الجنس، و«يسرًا» منكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد يغاير ما أريد بالأول.

زملوني ودثروني. ثم إنه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى ألفه وصار يأتي بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه إليه. **قوله**: (وإنما زاد لك) جواب عما يقال: ما الفائدة في زيادة قوله: ﴿لك﴾ في قوله: ﴿ألم نشرح لك﴾ ﴿ورفعنا لك﴾ وفي زيادة ﴿عنك﴾ في قوله: ﴿ووضعنا عنك﴾ مع أن المعنى يتم بدونهما وبعد زيادتهما فأي فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما؟ وتقرير الجواب أن زيادتهما مقدمين على المفعول تفيد إبهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم تبينه وتوضحه، ومن المعلوم أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال أوقع في الذهن وأبلغ في البيان، وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع.

قوله: (فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك) يعني أن قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرًا﴾ من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي، كأنه قيل: إذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والخمول، فتحقق أن لمطلق العسر يسرًا أي يسر وتيقن أن العسر الذي أنت فيه لا ينفك عن يسر عظيم. وقس ما سيأتي عليك فيما بعد من وجوه العسر على ما مضى من أحوالك فأي زمهرير لا يعقبه ربيع؟ **قوله**: (والمعنى بما في أن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر) يعني أنهما متضادان لا يتصوَّر معيتهما فلا بد من توجيه ذكر كلمة «مع» في هذا المقام. **قوله**: (تكرير للتأكيد) أي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب، فكما يكرر المفرد في مثل: جاءني زيد زيد كذلك كررت الجملة هنا أيضًا. ويحتمل أن تكون

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ من التبليغ ﴿فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ فاتعب في العبادة شكرًا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعمة الآتية. وقيل: فإذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة، أو فإذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر وحده على إسعافه وقرىء «فرغب» أي فرغب الناس إلى طلب ثوابه. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني».

الجملة الثانية مستأنفة بأن العسر المذكور أولاً متبوع بيسر آخر، فإن الاسم إذا ذكر معرفًا ثم أعيد معرفًا كان الثاني عين الأول فيكون العسر واحدًا مع كونه مذكورًا مرتين. وذلك العسر إما العسر المعهود الذي كانوا فيه أو جنس العسر الذي يعلمه كل واحد، والنكرة إذا أعيدت مع الألف واللام كان الثاني عين الأول أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦] وإذا أعيدت نكرة لا يلزم أن يكون الثاني عين الأول و «يسرًا» الثاني ههنا منكر فيحتمل أن يكون عين الأول. والحال أن العسر الثاني أيضًا هو العسر الأول فيكون قوله تعالى: ﴿إن مع العسر يسرًا﴾ تكريرًا للأول وتأكيدًا له وأن يكون غيره فيكون الثاني كلامًا مستأنفًا مفيدًا لأن يكون مع عسر واحد يسران. وهذا الاحتمال أرجح لما علم من فضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى ينبغي أن يحمل على أبلغ الاحتمالين وأوفاهما، والمقام مقام التسلية والتنفيس والحمل عليه أولى. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يقول الله تعالى: خلقت عسرًا واحدًا وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين. وكل هذا يؤيد كون الجملة الثانية كلامًا مستأنفًا. **قوله تعالى**: (فإذا فرغت فانصب) جواب شرط محذوف أي إذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما وعدناه لك من النعم فاتعب في العبادة إذا فرغت من التبليغ شكرًا لذلك، فإن الشكر يربط البعيد ويجلب المزيد. والنصب التعب يقال: نصب في الشيء ينصب من باب علم أي تعب فيه. وروي أن شريحًا مر برجلين يتصارعان فقال: ما أمر الله بهذا إنما قال: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ يعني أنه تعالى أمر أن يواصل بين بعض العبادات وبعضها وأن لا يخلي وقتًا من أوقاتها منها فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى. **قوله**: (ولا تسأل غيره) الحصر مستفاد من تقديم الظرف. تمت سورة ألم نشرح لك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

سورة والتين

مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ خصصهما من بين الثمار بالقسم لأن التين فاكهة طيبة لا فضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع، فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن. وفي الحديث: «إنه يقطع البواسير وينفع من النقرس» والزيتون فاكهة وأدام ودواء، وله دهن لطيف كثير المنافع مع أنه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال. وقيل: المراد بهما جبلان من الأرض المقدسة أو مسجدا دمشق وبيت المقدس أو البلدان. ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾

سورة التين

مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (وقيل المراد بهما جبلان) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لها بالسريانية طور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون. **قوله:** (**أو مسجدا دمشق وبيت المقدس**) قال ابن زيد: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، عبّر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون. **قوله:** (**أو البلدان**) الكوفة والشام، وسينين وسيناء اسمان للبقعة وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه أضيف ذلك الجبل إلى البقعة التي حصل هو فيها. والمعنى: وجبل الموضع المسمى بسينين. وعن

يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي فيه ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ أي الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يأمن فيه من دخله، والمراد به مكة.

ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الطور الجبل وسينين الجسر بلغة الحبشة. وعن مجاهد: سينين المنازل. وقال الكلبي: هو الجبل ذو الشجر. وقال مجاهد ومقاتل: كل جبل ذي شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط. **قوله:** (من أمن الرجل) يأمن بضم الميم فيهما فهو أمين أي آمن بمعنى ذي أمن وهو الأمانة يقال: أمنت فأنا آمن، فالأمين فعيل بمعنى فاعل، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. **قوله:** (أو المأمون فيه) عطف على قوله: «أي الآمن» فالأمين فعيل بمعنى المفعول فيه كالمشترك بمعنى المشترك فيه. أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لأنه شرفها وبركها ولأنها مساكن الأنبياء والصالحين ومهاجر إبراهيم ومولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ومنشأه بمكة موضع البيت العتيق ومولد خير الأنبياء ومبعثه وجواب القسم قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ أي تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه. فإن التقويم تيسير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه في تأليف الأجزاء وتعديل الأعضاء والهيئات والأشكال، وتكميله بالقوى الباطنة التي يتوسل بها إلى الفضائل العلمية والآداب والأخلاق المرضية يقال: قومه تقويمًا فاستقام وتقوم. روي أن ملكًا من الملوك خلا بزوجته في ليلة قمراء فقال لها: إن لم تكوني أحسن من القمر فأنت كذا. فأفتى الكل بالحنث إلا يحيىٰ قال: لا يحنث. فقال الملك: خالفت شيوخك. فقال: الفتوى بالعلم لا بكبر السن، ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى فقال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ وكان بعض الصالحين يقول: إلٰـهنا أعطيتنا في الأولى أحسن الأشكال فأعطنا في الآخرة أحسن الفعال. وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب. وقيل: كان عيسى بن موسى الهادي يحب زوجته حبًا شديدًا فقال لها يومًا: أنت طالق ثلاثًا إن لم تكوني أحسن من القمر. فنهضت واحتجبت وقالت: طلقتني. فباتا بليلة عظيمة. فلما أصبح عدا إلى دار المنصور فأخبر الخبر وأظهر له جزعًا عظيمًا، فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر: قد طلقت، إلا رجلاً من أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه، فإنه كان ساكتًا فقال المنصور: ما لك لا تتكلم؟ فقال: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿والتين والزيتون﴾ إلى قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ثم قال: يا أمير المؤمنين فالإنسان أحسن المخلوقات ولا شيء أحسن منه فلم تطلق امرأة الرجل. فقال المنصور لعيسى بن موسى: الأمر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وأرسل إلى زوجته: أن أطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يريد به الجنس ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ بأن جعلناه من أهل النار أو إلى أسفل سافلين وهو النار. وقيل: هو أرذل العمر فيكون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ منقطعًا ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ لا ينقطع أو لا يمن به عليهم، وهو على الأول حكم مرتب على الاستثناء

قوله: (ونظائره سائر الممكنات) أي وبأن خص باستجماعه مثال كل ممكن. قال الفلاسفة: إنه العالم الأصغر إذ كل ما في المخلوقات حاصل فيه. **قوله:** (بأن جعلناه من أهل النار) على أن يكون «أسفل» حالاً من مفعول «رددناه» ويكون المراد بكونه أسفل كونه في غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من أهل النار، والمعنى: ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر تلك النعمة وهي نعمة الخلقة الحسنة أن رددناه أي صرفناه عن طريقه في أحسن الصور حال كونه أسفل من سفل خلقًا وتركيبًا وأقبح من قبح صورة وخلقة وهم أصحاب النار. **قوله:** (أو إلى أسفل سافلين وهو النار)على أن يكون أسفل صفة مكان محذوف أي إلى مكان أسفل أمكنة السافلين. عن مجاهد: ثم رددناه إلى النار التي هي أسفل السافلين. وعلى الوجهين يكون الاستثناء في قوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ متصلاً والمستثنى منه الضمير المنصوب في قوله: ﴿ثم رددناه﴾ لأنه في معنى الجمع لرجوعه إلى الإنسان المراد منه الجنس، وتكون الفاء في قوله: ﴿فلهم أجر﴾ لتعليل كون المستثنى خارجًا عن حكم المستثنى منه. كأنه قيل: لا يحولون عن كونهم في أحسن تقويم إلى أن يكونوا من أسفل السافلين من حيث الصورة لأنهم مثابون في الجنة تعرف في وجوههم نضرة النعيم. وأما إذا أريد بأسفل السافلين أرذل العمر بناء على أن من رد إلى أرذل العمر يحول من أحسن التقويم إلى أسفل السافلين من حيث الصورة والشكل حيث يتقوس ظهره ويضعف سمعه وبصره ويتداعى جميع قواه وأعضائه إلى الانحلال والاضمحلال، فحينئذٍ يكون الاستثناء منقطعًا لأن أهل الإيمان والطاعة المخرجين عن كونهم مردودين إلى أرذل العمر قد أثبت لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم إلى أرذل العمر وعجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه، فيكون «إلا» بمعنى «لكن» وقوله: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ اسمه وقوله: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ خبره ودخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والمعنى: ولكن الصالحين من الهرمى فلهم أجر وثواب دائم غير ممنون أي غير منقطع بسبب طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى إياهم بالشيخوخة والهرم. فإن المؤمن إذا عمل في حال شبابه وقوته وحياته فإذا مرض أو هرم أو مات فإنه يكتب له حسناته بتمامها كما كان يعمل في حياته وقوته إلى يوم القيامة. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن

مقرر له. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقًا. ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل. وقيل: «ما» بمعنى «من» وقيل: الخطاب للإنسان على الالتفات والمعنى: فما الذي يحملك على هذا الكذب. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ تحقيق لما سبق. والمعنى: ليس بذي فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم

المؤمن إذا مات صعد ملكاه إلى السماء فيقولان: يا رب إن عبدك فلانًا قد مات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء. فيقول الله تعالى: سمواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا له حسناته إلى يوم القيامة». كذا في تفسير الإمام أبي الليث. وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المولود حين لم يبلغ الحلم ما عمل من حسنة كتبت لوالديه فإن عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه، وإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم أمر الله تعالى ملكين أن يحفظاه ويسدداه، فإذا بلغ سنه في الإسلام أربعين أمنه الله تعالى من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة ضعف الله تعالى حسناته، فإذا بلغ ستين رزقه الله تعالى الإنابة إليه فيما يحب، وإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكان اسمه أسير الله في أرضه، فإذا بلغ أرذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيئًا كتب الله له مثل ما كان يعمل في يوم صحته من الخير وإن عمل سيئة لم تكتب عليه». كذا وجدته في بعض التفاسير ووجدته أيضًا معلقًا على ظاهر التفسير الكبير نقلاً عن تفسير الثعلبي من غير تفاوت بين عبارتهما. انتهى.

قوله: (فأي شيء يكذبك يا محمد) صلى الله عليك وسلم يعني أن «ما» استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و«يكذبك» خبرها والخطاب له عليه الصلاة والسلام، والمعنى: أي شيء ينسبك إلى الكذب فيما أخبرت به من البعث والجزاء بعد هذا البيان. والباء في قوله تعالى: ﴿بالدين﴾ ليست صلة للتكذيب بل هي مثلها في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠] فإن تقديره: والذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فحذف بالله. فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب الجزاء والحساب؟ فإن من كذب بالجزاء وأنكره فهو مكذب لمن أخبر به لا محالة. ووجه كون ما ذكر في هذه السورة بيانًا لحقية الدين حتى يصح أن يفرع عليه قوله: ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ أنه تعالى أقسم بالأمور المذكورة على أنه خلق الإنسان المسوى من الماء المهين، وحسن ظاهره وباطنه بأحسن تقويم، ودرجه في مراتب الازدياد والنماء إلى أن استكمل واستوى، ثم نكسه ورده إلى أرذل العمر وبيّن به كمال قدرته ليستدل به على أن من قدر على الإبداء على الوجه المذكور فهو قادر على الإعادة والجزاء. ثم حقق أنه عليه الصلاة والسلام غير مكذب بسبب الدين فقال

الحاكمين صنعًا وتدبيرًا، ومن كان كذلك كان قادرًا على الإعادة والجزاء على ما مر مرارًا. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية واليقين ما دام حيًا، فإذا مات أعطاه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة».

على سبيل الاستفهام الإنكاري ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ وإنكار عدم كونه تعالى أحكم الحاكمين أثبت له فيما ذكره من الخلق والرد كونه أحكم الحاكمين صنعًا وتدبيرًا، وإذا ثبتت القدرة والحكمة بما ذكره من البيان صح القول بإمكان البعث والجزاء وبوقوع ذلك. أما الإمكان فبالنظر إلى القدرة وأما الوقوع فبالنظر إلى الحكمة، فإن عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ [صٓ: ٢٧] وذلك أنه تعالى إن كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثًا وهو لا يجوز على الحكيم، وإن كان خلقها لحكمة عائدة إليه تعالى يلزم كونه مستكملاً بغيره تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، فتعين أنه تعالى خلق ما خلق لحكمة عائدة إلى الإنسان وهي إثابة المطيع وعقاب العاصي، وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا لأنها دار ابتلاء وامتحان فثبت أنه لا بد من دار أخرى غير هذه الدار ليثاب فيها الإنسان ويستريح. فالقول بوجود الإله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيامة والجزاء كما مر غير مرة، وأن الحكيم هو المتقن للأمور ويلزم بذلك كونه تام القدرة كامل العلم، ومن هذا شأنه كيف يستبعد عليه البعث والجزاء؟ والمعنى: أليس من فعل ذلك ببالغ إتقان الأمور؟ وقيل: معناه أليس الله تعالى بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل؟ من قولهم: حكم بينهم إذا قضى فالآية حينئذٍ وعيد للمكذبين. تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة العلق

مكية وآيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ أي اقرأ القرآن مفتتحًا باسمه أو مستعينًا به. ﴿الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ أي الذي له الخلق أو الذي خلق كل شيء. ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنعًا وتدبيرًا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال:

سورة العلق

مكية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قال أكثر المفسرين: هذه السورة أول ما نزل من القرآن نزل بها جبريل على النبي ﷺ وهو قائم على حرًا فعلّمه خمس آيات من أول هذه السورة إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] عن الزهري أنه قال: أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء يعني العزلة فكان يأتي حرًا ويمكث هناك ثم يرجع إلى خديجة، فجاءه ملك وهو على حرا فقال له: اقرأ. فقال ﷺ: «ما أنا بقارىء». قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: «ما أنا بقارىء». فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ

....

بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥] فرجع بها يرجف بردائه وأخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب منه الروع. فلذلك قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ يعني اقرأ بعون ربك ووحيه إليك. كذا في تفسير الإمام أبي الليث. وفيه أيضًا أنه عليه الصلاة والسلام لما بلغ أربعين سنة كان يسمع صوتًا فيناديه: يا محمد ولا يرى شخصه وكان يخشى على نفسه الجنون، حتى رأى جبريل عليه السلام يومًا في صورته فغشي عليه فحمل إلى بيت خديجة فقالوا: إنها تزوجت مجنونًا. فلما أفاق أخبر بذلك خديجة فجاءت إلى ورقة بن نوفل وكان يقرأ الإنجيل ويفسره، ثم جاءت إلى عداس كان راهبًا فقال: يا خديجة إن له نبأ وشأنًا يظهر أمره. فخرج عليه الصلاة والسلام يومًا إلى الوادي فجاءه جبريل عليه السلام بهذه السورة وأمره بأن يتوضأ ويصلي به ركعتين، فلما رجع دخل على خديجة وعلمها الصلاة. وقال جابر بن عبد الله: أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] وقيل: أول ما نزل فاتحة الكتاب. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أول ما نزل من القرآن ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. **قوله: (أي اقرأ القرآن مفتتحًا باسمه)** يعني أن مفعول «اقرأ» محذوف وهو القرآن حذف للعلم به إذ القراءة في عرف الشرع لا تستعمل إلا في قراءة القرآن وأن محل «باسم ربك» النصب على أنه حال من فاعل «اقرأ» والتقدير: اقرأ القرآن مفتتحًا باسم ربك أو مبتدئًا به أي قل بسم الله الرحمٰن الرحيم، ثم اقرأ. فالآية على هذا التوجيه تدل على أنه تجب قراءة التسمية في ابتداء كل سورة، وهي حجة للإمام الشافعي رحمه الله تعالى في جهره بالتسمية في أول كل سورة مع ما جاء من الأحاديث المروية في هذا الباب.

قوله: (أو مستعينًا به) على أن الباء للاستعانة كما في قولك: كتبت بالقلم، فإنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بالقراءة وتعسرت هي عليه فقال: لست بقارىء قيل له: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أي استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة في تحصيل الذي عسر عليك، فإن ربك يعينك عليها بأن يوحى إليك ويعلمك ما لم تكن تعلم. والباء على الأول للإلصاق والملابسة. **قوله: (أي الذي له الخلق)** على أن ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على أن المقصود بيان تفرده بالخلق وأنه لا خالق سواه، فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق فمعنى «الذي خلق» الذي حصل منه الخلق وتفرد به لا خالق سواه، ووصفه تعالى بكونه متفردًا بالخالقية تعليل لأمره عليه الصلاة والسلام بالقراءة التي هي أصل جميع العبادات لأن من تفرد بالخالقية يجب على المخلوق أن يعبده ويتذلل له. **قوله: (أو الذي خلق كل شيء)** وجه ثانٍ لعدم ذكر مفعول «خلق» الأول أي ويجوز أن يقدر له

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أو الذي خلق الإنسان فأبهم أولاً ثم فسر تفخيمًا لخلقه ودلالة على عجيب فطرته. ﴿مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع. ولما كان أول الواجبات معرفة الله تعالى نزل أولاً ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته.

مفعول ويكون تعلقه به مرادًا إلا أنه حذف قصدًا للتعميم. ولما ورد أن يقال: لما حكم بأنه تعالى خلق كل شيء فقد علم أن خلق الإنسان في جملة ما خلق، فلم أفرد بالذكر بعد ذلك التعميم؟ أجاب عنه بقوله: «ثم أفرد ما هو أشرف» يعني أن كثيرًا ما يفرد ذكر الخاص بعد العام إظهارًا لشرفه كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة للدلالة على أنه لغاية شرفه صار كأنه حقيقة منفردة خارجة من عداد ما سبق، ولأن المقصود من توصيفه تعالى بالخالقية تعليل الأمر بالقراءة التي في معنى الأمر بالعبادة فقوله: «الذي خلق كل شيء» وإن كان كافيًا في بيان كونه تعالى مستحقًا للعبادة لأن خالق الأشياء كلها يجب أن يعبد ويعظم إلا أن التعرض لكونه تعالى خالقًا للإنسان بخصوصه أدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة. **قوله**: (**أو الذي خلق الإنسان**) وجه ثالث لعدم ذكر مفعول «خلق» الأول أي ويجوز أن يقدر له مفعول خاص ابتداء إلا أنه أبهم أولاً، ثم فسر بقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ تفخيمًا لخلق الإنسان، فإن هذا الأسلوب إنما يكون فيما يقصد تفخيم شأنه. **قوله**: (**جمعه**) فإن علق جمع علقة كثمر وثمرة، والعلقة الدم الجامد وما لا يكون جامدًا فهو المسفوح، ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد. فأفاد أنه تعالى خلق كل فرد من أفراد الإنسان من علقة على حدة. **قوله**: (**نزل أولاً ما يدل على وجوده**) فإنه تعالى لما أراد أن يبعثه رسولاً إلى المشركين كان الظاهر أن يقال: اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له إلا أنه لو قيل ذلك لأبوا أن يقبلوا ذلك لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم. فدبّر سبحانه وتعالى لأجل أن يسمعوا كلامه بأن قدم لهم ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حيث وصف نفسه بما لا سبيل لهم إلى إنكاره. فإنه لا يمكنهم أن ينكروا كونهم مخلوقين من علق، ولا ينكروا أن ذلك الخلق لا بد له من خالق، ولا أن يدعوا أن ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بأن الصنم لا يخلق شيئًا، ومن المعلوم بداهة أن ما لا يخلق شيئًا لا يصلح إلـٰهًا. فهذا الأسلوب يستلزم اعترافهم بوجود إلـٰه قادر حكيم فهو أسلوب لطيف في إلزام المشركين ودعوتهم إلى التوحيد. ونظيره ما يحكى أن زفر لما بعثه أبو حنيفة إلى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل إليهم وذكر أبا حنيفة منعوه من ذكره اكتفاء بأئمتهم واستغنائهم بهم عنه، ولما لم يلتفتوا إليه ولم يسمعوا به رجع إلى أبي حنيفة وأخبره بذلك فقال له أبو حنيفة: إنك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع إليهم واذكر في المسألة أقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحجتي فإذا تمكن ذلك في قلبهم فقل هذا قول أبي

﴿ٱقۡرَأۡ﴾ تكرير للمبالغة أو الأول مطلق والثاني للتبليغ، أو في الصلاة ولعله لما قيل له ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فقال: ما أنا بقارىء فقيل له: ﴿اقرأ﴾ ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ الزائد في الكرم على كل كريم فإنه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة. ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ أي الخط بالقلم، وقد قرىء به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد.

حنيفة فإنهم حينئذٍ يستجيبون فلا يردونها. **قوله:** (تكرير للمبالغة) يعني أن «اقرأ» الثاني تكرير للأمر بالقراءة تأكيدًا ومبالغة في الأمر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثاني ويكون ما بعده كلامًا مستأنفًا بأن يكون و «ربك» مبتدأ و «الأكرم» صفته و «الذي» مع صلته خبره وقوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ بدلاً من قوله: ﴿علم بالقلم﴾ لكونه بيانًا له. **قوله:** (أو الأول مطلق) أي أمر بمطلق القراءة سواء كانت على طريق التعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام، أو على طريق تكرارها لنفسه طلبًا للثواب، أو على طريق التعليم والتبليغ للأمة. و «اقرأ» الثاني أمر بأن يقرأ للتبليغ وتعليم الأمة، أو بأن يقرأ في الصلاة. **قوله:** (ولعله لما قيل له) إشارة إلى جواز أن يكون «اقرأ» الثاني جوابًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «ما أنا بقارىء» أي اقرأ فإن ربك الأكرم يعلمك القراءة وإن لم تكن قارئًا إلا أنه على هذا ينبغي أن تكون العبارة قيل له: اقرأ وربك الأكرم بدون الفاء، لأن قوله فقيل له على هذا التوجيه جواب «لما» ولا تدخل الفاء على جواب «لما» وليس في الكلام ما يصلح أن يكون جوابًا لها غيره.

قوله: (بل هو الكريم وحده على الحقيقة) فإن الكرم إفاضة ما ينبغي لا لغرض، فإن من أعطى ما لا ينبغي لا يكون كريمًا ومن أعطى ما ينبغي توقعًا لغرض لا يكون كريمًا أيضًا، فظهر أن الكرم مختص به تعالى وأنه لا ينعم بما أنعم به إلا لمحض الكرم. بخلاف غيره تعالى فإنه يعطي طلبًا للغرض والغرض لا يجب أن يكون من قبيل الأعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمة ونحوها كلها غرض. **قوله:** (أي الخط بالقلم) يعني مفعول علم محذوف يتعلق به قوله: «بالقلم» وتقدير الكلام: علم الخط بالقلم. وقرأ ابن الزبير كذلك. **قوله:** (لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد) بيان توجه كرمه الزائد في تعليم الكتابة بالقلم فإن الغرض المسوق له الكلام بيان أكرميته تعالى والإشعار بأن أشرف النعم وأجلها هو العلم لأن الأكرمية إنما تكون بإفاضة أجل الأشياء وهو العلم بحقائق الأشياء فإنه أشرف المواهب، وعلم الخط والكتابة والقلم وسيلة يتوسل بها إلى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل: العلم صيد والكتابة قيد. روي أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل عفريتًا عن الكلام فقال: ريح لا يبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة والقلم وإن كان لا ينطق إلا أنه يسمع أهل المشرق والمغرب فإنه ما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين

﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ بخلق القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئًا. وقد عدد سبحانه مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهارًا لما أنعم عليه من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريرًا لربوبيته وتحقيقًا لأكرميته. وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبه على ما يدل سمعًا. ﴿كَلَّآ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه. ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ

ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا. وصف الله تعالى نفسه أولاً بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقًا للإنسان من علق تنبيهًا على أن الخالقية لا سيما خالقية أشرف المخلوقات من دلائل الربوبية ولوازمها، ثم وصفها بأنه الرب الأكرم ورتب عليه تعليمه الإنسان الخط بالقلم وتعليمه غير ذلك مما لا يعلمه الإنسان تنبيهًا على أن أجل المواهب وأعز المطالب هو إفادة الفوائد العلمية وما يؤدي إلى تقييدها وضبطها، لأن الأكرمية إنما تكون بإعطاء أعز العطايا، وفيه تشريف بليغ لشأن العلم فإنه لو كان في جملة المطالب ما هو أشرف منه لكان ذكره أولى في مقام بيان أكرميته.
قوله: (وقد عدد سبحانه الخ) يعني أنه لا مناسبة بحسب الظاهر بين أن يصف الله تعالى نفسه بأنه الذي خلق الإنسان من علق وبأنه الذي علم بالقلم، لكنه في التحقيق في غاية الحسن، وذلك لأنه تعالى بيّن أول أحوال الإنسان وهو كونه علقة وهي أخس الأشياء، وبيّن أيضًا آخر أمره وهو صيرورته عالمًا بحقائق الأشياء وقادرًا متمكنًا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها إلى أهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من أخس الأحوال إلى أعز المراتب وأشرفها، ودليل باهر على وجود الإله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله: ولما كان أول الواجبات معرفة الله تعالى نزل أولاً ما يدل على وجوده. الخ. وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً فإن قوله تعالى: ﴿باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق﴾ يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته. وقوله: ﴿الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ تنبيه على ما يدل على معرفته تعالى سمعًا فإن ما حصل بنظر العقل من المعرفة عقلي وما حصل بالتعليم سمعي، فإن الأحكام التي لا سبيل إلى معرفتها إلا السمع هي الحاصلة بالتعليم. **قوله:** (ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه) فإن الآية لما كانت مشتملة على أصول النعم ومباديها وهو خلق الإنسان من علق وعلى كمالها وغايتها وهو قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة المنعم وشكر نعمته. ولما كان الرسول الذي بلغ هذه الآية لا بد له من المرسل إليهم وهم جهال لا يعرفون النعمة ولا المنعم فضلاً عن القيام بشكرها، ردعهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والجهل فقال:

ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله الضميرين لواحد. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ الخطاب للإنسان على الالتفات تهديدًا وتحذيرًا من عاقبة الطغيان و«الرجعى» مصدر كالبشرى. ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ نزلت في أبي جهل قال: لو رأيت محمدًا ساجدًا لوطئت

﴿كلا﴾ وبيّن أن سبب ذلك إنما هو الطغيان. قال مقاتل: معنى طغيانه أنه إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك. وقال الكلبي: يرتفع من منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام. **قوله**: (وذلـك) أي ولكونه بمعنى علم جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشيء واحد، فإن ذلك من خصائص أفعال القلوب يقال: رأيتني وعلمتني، ولو كانت الرؤية ههنا بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. وقوله تعالى: ﴿إن رآه﴾ أصله لأن رآه أي لرؤيته نفسه ﴿استغنى﴾ أي مستغنيًا فكان فاعله ومفعوله ضميرين لشيء واحد فحذفت اللام، كما يقال: إنكم لتطغون إن رأيتم غناكم فمحله النصب على أنه مفعول له. وأول السورة يدل على مدح العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال، وكفى بذلك مرغبًا في الدين والعلم ومنفرًا عن الدنيا والمال. والظاهر أن كون الغنى سببًا للطغيان إنما هو في حق المحجوبين الذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون، بخلاف أولي البصائر وأصحاب العرفان فإن عرض الدنيا لا يلهيهم عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام فإنه قد نال من الملك ما لم ينله أحد من العالمين مع أنه لم يزدد بذلك إلا تواضعًا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول: مسكين جالس مسكينًا، وكعبد الرحمٰن بن عوف فإنه رضي الله عنه ما طغى مع كثرة أمواله بل العاقل يعلم أنه عند الغنى يكون أكثر حاجة إليه تعالى منه حال فقره، لأنه في حال فقره لا يتمنى إلا سلامة نفسه وفي حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه.

قوله: (نزلت في أبي جهل) مبني على ما روي عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما أنهما قالا: هذه السورة أول ما نزل إلى قوله تعالى: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ وما بعده نزل في أبي جهل إلى آخر السورة، فيكون المراد من الإنسان في قوله تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ جنس الإنسان. وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض أنه تعالى بيّن أنه خلق الإنسان من علق، ثم بيّن أنه رفعه من أخس المراتب إلى أعز مفاخر الموجودات وهو التحلي بفضيلة العلم والعرفان، ثم أشار بقوله: ﴿كلا﴾ إلى أنه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى إذ أغناه ربه وزاده جاهًا ومالاً فردعه عنه وقبح حاله، ثم بيّن سبب كفرانه وطغيانه فقال: ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ ثم أكد الردع والزجر فقال: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ على الالتفات للمبالغة في التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان. وذهب أكثر

عنقه. فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فنزلت. ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي. ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ أرأيت تكرير للأول وكذا الذي في قوله.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له. والمعنى: أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى

المفسرين إلى أن أول ما نزل قد انتهى عند قوله تعالى: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ثم نزل باقي السورة بعد زمان مديد في حق أبي جهل لعنه الله. ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمر بأن يوضع في هذا الموضع ويضم إلى آخر الآيات الخمس التي هي أول ما نزل من القرآن، لأن تأليف الآيات إنما كان بأمر الله تعالى. ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم إلى ما نزل قبله بزمان طويل! وما ذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله: روي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن من استغنى طغى؟ فاجعل لنا جبال مكة ذهبًا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك. فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن شئت فعلنا ذلك. ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة. فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء إبقاء عليهم وترحمًا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي نحلف به لأن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته. قال: فقيل له: ها هو ذاك ظهر. فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فأتوه فقالوا: ما لك يا أبا الحكم. قال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار. فنزل قوله: ﴿أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى﴾ قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا فعضوًا». والهول الخوف. والأجنحة أجنحة الملائكة أبصر اللعين أجنحتهم ولم يبصر أصحابها. **قوله:** (ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي) فإنه لو قيل: «ينهاك» بضمير الخطاب يدل لفظ العبد لدل الكلام على تقبيح النهي إلا أن يراد لفظ العبد أبلغ في تقبيح النهي، لأن نهي العبد عن تعظيم مولاه أقبح من نهي فرد من أفراد الإنسان عنه. وتنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله في العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه أبلغ من نهي عبد ما أي عبد كان، فكأنه قيل: ينهى أكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه. **قوله:** (والشرطية مفعوله الثاني) إن جعل «رأيت» من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله: «الذي ينهى» مفعوله الأول وجعلت الشرطية الأولى مفعوله الثاني وهي قوله: ﴿إن كان على الهدى

عنه، أو آمرًا بتقى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده، أو إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما يقول: ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله. وقيل: المعنى: أرأيت الذي ينهى عبدًا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى

أو أمر بالتقوى﴾ مع جوابها المحذوف وهو قوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ويطلع على أحواله من كونه على هدى في نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته، أو كون آمرًا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان على زعمه الباطل. وحذف جواب الشرط الأول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني، فإن الشرط الثاني وهو قوله: ﴿أن كذب وتولى﴾ مقابل للشرط الأول فإن ذلك الناهي عن التكذيب للحق والتولي عن الصواب مقابل لكونه على هدى في أمره وآمر بالتقوى فيما يأمر به، فلما أجيب الشرط الثاني بقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ أحواله علم أن جواب الشرط الأول من هذا القبيل أيضًا وجاز أن تكون الجملة الاستفهامية وهي قوله: ﴿ألم يعلم﴾ الخ جوابًا للشرط كما جاز في قولك: إن أكرمتك أتكرمني؟ وإن أحسن إليك فلان هل تحسن إليه؟ وجعل كل واحد من «رأيت» الثاني والثالث تكريرًا للأول لأجل التأكيد. فعلى هذا يجب أن يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿أرأيت﴾ لكل من يصلح أن يكون مخاطبًا ممن له فطنة وعقل سليم، أو للإنسان على الالتفات كما في قوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨] وهذا هو الأظهر لا للنبي ﷺ ولا لأبي جهل، لأن كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبرّ عنه المصنف بلفظ الغيبة حيث قال: «عمن ينهى بعض عباد الله فإن من عبارة عن الكافر الناهي والبعض عبارة عنه عليه الصلاة والسلام، فكأنه تعالى جعل الثالث حاكمًا بين الناهي وبينه عليه الصلاة والسلام فقال: أخبرني الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته ويزعم أنه على الحق في ذلك النهي وفي أمره بعبادة الأوثان، وأخبرني أيضًا عمن يقول في حقه إنه على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح فما حكمك في حقه ألم تعلم بأن الله يراه ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك؟ فهو وعيد بليغ.

قوله: (وقيل: المعنى) يعني أن الضمائر كلها للكافر الناهي إلا أنه قيل: ضمير «ينهى» و«كذب» و«تولى» عبارة عن الكافر الناهي وضمير «كان» و«أمر» للعبد المنهي، وأن قوله تعالى: ﴿أرأيت﴾ كلمة تعجيب عجب الله تعالى عباده من أبي جهل في منعه العبد إذا صلى على ثلاثة أوجه: الأول أنه ينهى عبدًا عن طاعة ربه، والثاني أن المنهي عن الصلاة مهتد بصلاته وتعظيم رب آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله، والثالث أن الناهي عن الصلاة مكذب للحق متولي عنه غير قائل به. والفرق بين القول الثاني والثالث مع أن ضمير «ينهى» و«كذب» و«تولى» فيهما للكافر وضمير «كان» على «الهدى» أو «أمر» للعبد المنهي هو أن

والناهي مكذب متولى فأعجب من ذا. وقيل: الخطاب في الثانية مع الكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى، وكأنه قال: ويا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله أمرًا بالتقوى أتنهاه؟ ولعله ذكر الأمر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لأن النهي كان عن الصلاة والأمر فاقتصر على ذكر الصلاة لأنه دعوة بالفعل، أو لأن نهي العبد إذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة. ﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ لنأخذن بناصيته

الخطاب في المواضع الثلاثة على القول الثاني للإنسان على الالتفات و «أرأيت» للتعجب. وعلى القول الثالث يكون الخطاب الأول له عليه الصلاة والسلام والخطاب الثاني للكافر الناهي خاطبه توبيخًا على قبح فعله. ولما ورد على القولين الأخيرين أن يقال: لم ذكر الأمر بالتقوى بعد «أرأيت» الثاني على تقدير أن لا يكون تكريرًا للأول بل يكون للتعجيب كما في القول الثاني أو للتوبيخ كما في القول الثالث. ولم يتعرض له في النهي؟ أجاب عنه أولاً بأن الذي يشق على أبي جهل من أفعاله عليه الصلاة والسلام وإن كان في حق نفسه عبادة إلا أنه في حق غيره أمر بالتقوى والطاعة، لأنه عليه الصلاة والسلام كان كل من يراه وهو من الصلاة يرق قلبه فيميل إلى الإيمان والطاعة فكانت صلاته عليه الصلاة والسلام أمرًا بالتقوى بلسان الحال والفعل، فكان النهي عن الصلاة نهيًا عنها وعن الأمر بالتقوى، فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة في مقام حكاية نهيه عن الأمرين جميعًا لحصول المقصود به. ولم يقتصر على ذكر الصلاة في مقام التعجب من حال الناهي وفي مقام توبيخه، لأن التعجب من جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها أبلغ وأدخل في الذم. ثم أجاب عنه ثانيًا بأن ما ذكر من أنه كما ينهى عن الصلاة ينهى عن الأمر بالتقوى أيضًا فلم اقتصر على ذكر الصلاة؟ إنما يتوجه أن لو قيل: ينهى عبدًا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل: ينهى عبدًا إذا صلى، وليس فيه تصريح بأن المنهي عنه أهو الصلاة أم غيرها فهو يتناول نهيه عن الأمرين جميعًا، فليس في الكلام اقتصار على ذكر النهي عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به الغير الصريح لينهى يدل على إرادة العموم أي ينهى عن عامة أفعاله المحصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة. وهذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما تعلق به من الذم والوعيد حتى روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رأى في المصلى أقوامًا يصلون قبل صلاة العيد فقال: ما رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك. فقيل له: ألا تنهاهم؟ فقال: أخشى أن أدخل في وعيد قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى﴾ فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطًا. وأخذ أبو حنيفة هذا الأدب

ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة. وقرىء «لنسفعن» بنون مشددة و«لأسفعن» وكتبته في المصحف بالألف حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الإضافة للعلم بأن المراد ناصية المذكور. ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ بدل من الناصية وإنما جاز لوصفها. وقرئت بالرفع على هي ناصبة والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما

الجميل حين قال له أبو يوسف رحمهما الله: أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع: اللهم اغفر لي حيث قال له: يقول ربنا لك الحمد ويسجد. ولم يصرح بالنهي احتياطًا عن أن يقول ذلك. قوله: (ولنسحبنه بها إلى النار) **وذلك في الآخرة. ويحتمل أن يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر، وتكون الآية بشارة بأنه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه إذا عاد إلى النهي، فلما عاد إليه مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر. روي أنه لما نزلت سورة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمٰن: ١، ٢] قال عليه الصلاة والسلام: «من يقرأها على رؤوس قريش». فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضي الله عنه وقال: أنا. فأجله عليه الصلاة والسلام ثم قال ذلك ثانيًا فلم يقم إلا ابن مسعود، ثم ثالثًا إلى أن أذن له. وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته. ثم إنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فانشقت أذنه وأدماها، فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي ﷺ رق قلبه وأطرق رأسه مغمومًا، فإذا جبريل عليه السلام جاء ضاحكًا مستبشرًا فقال: «يا جبريل أتضحك ويبكي ابن مسعود» فقال: سيعلم. فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ في الجهاد فقال له عليه السلام: «خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فإنك تنال به ثواب المجاهدين». فأخذ يطالع القتلى فإذا أبو جهل مصروع يخور فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه. ولعل هذا معنى قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] ثم لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيله، فلما رآه أبو جهل قال: يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبًا. فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه. فقال له أبو جهل: بلغ صاحبك أنه لم يكن أحد أبغض إليّ منه في حال مماتي. فروي أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال: «فرعوني أشد من فرعون موسى عليه السلام فإنه قال آمنت وهذا قد زاد عتوًا». ثم قال اللعين لابن مسعود: اقطع بسيفي هذا لأنه أحد وأقطع، فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره إلى رسول الله ﷺ وجبريل بين يديه يضحك ويقول: يا محمد أذن بأذن لكن الرأس ههنا مع الأذن. والللام في قوله تعالى ﴿لئن لم ينته﴾ لام توطئة القسم والقسم بعدها مضمر أي لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون**

لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم. روي أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنهك؟ فأغلظ له رسول الله ﷺ فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت. ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ ليجروه إلى النار. وهي في الأصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع، أو زبني على النسبة وأصلها زباني والتاء معوضة عن الياء. ﴿كَلَّا﴾ ردع أيضًا للناهي.

والوقف عليها بالألف لانفتاح ما قبلها تشبيهًا لها بالمنون المنصوب، وقد كتبت في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه بالألف على حكم الوقف واللام في قوله: «بالناصية» بدل من الإضافة أي لنسفعن بناصيته اكتفاء بلام العهد عنها للعلم بأن المراد ناصية المذكور. ثم وصفها بأنها ناصية كاذبة قولاً خاطئة فعلاً ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي لأنهما في الحقيقة لصاحبها، وقوله: «ناصية» بدل من «الناصية» وجاز إبدالها من المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت بقوله: «كاذبة» والنكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة لئلا يلازم كون المقصود بالنسبة أنقص دلالة على الذات المراد بالنسبة من غير المقصود. وكل واحدة من قراءتي رفع «ناصية» ونصبها مبنية على الشتم والذم. قال ابن الحاجب: سئلت لم جمع بين «الناصية» وبين ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ وهلا اقتصر على إحداهما؟ فأوجبت بأن الأولى ذكرت للتنصيص على ناصية الناهي بناء على أن اللام فيها للعهد، والثانية ذكرت للتنبيه على علة السفع لتشمل بظاهرها كل ناصية هذه صفتها. **قوله**: (**أي أهل ناديه**) قدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى.

قوله: (**ينتدي فيه القوم**) أي يجتمع، ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولا يسمى المكان ناديًا حتى يكون فيه أهله. والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة وهم كبار الجند وأول كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة، وسموا شرطًا لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها. **قوله**: (**أو زبني على النسبة**) أي على أنه بياء النسبة إلى الزبن وهو الدفع، وجمع على زباني، ثم غير هذا اللفظ إلى زبانية بأن عوضت تاء التأنيث عن إحدى الياءين بعد حذفها كالأشاعثة في جمع أشعثى. وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم. وحذفت الواو من «سندع» في الإمام اتباعًا للخط باللفظ فإن الواو لما سقطت في اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت في الخط أيضًا اتباعًا، والمعنى: ليفعل ما خطر بباله من دعوة أهل ناديه واستعانته بهم في مناصبته عليه السلام، فإنه إن فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لأهل ناديه وقومه بهم. قال ابن عباس

﴿لَا تُطِعْهُ﴾ واثبت أنت على طاعتك. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ ودم على سجودك ﴿وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ وتقرب إلى ربك. وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد». عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله».

سورة القدر

مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه وعظم الوقت الذي

رضي الله عنهما: لو دعا أهل ناديه لأخذته الزبانية من ساعته عيانًا. وقيل: بل هذا إخبار بأن الزبانية يجرونه في الآخرة إلى النار. وكلمة «ما» في قوله عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد» مصدرية و«أقرب» مبتدأ حذف خبره و«يكون» من كان التامة أي أقرب وجود العبد إلى ربه حاصل وقت سجوده، فإنه قد تقرر في علم النحو أنه يجب حذف خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ أفعل التفضيل مضافًا إلى مصدر مذكور بعده الحال أو الظرف مثل: أكثر شربي السويق ملتوتًا، وأخطب ما يكون الأمير قائمًا. والظرف في معنى الحال.

سورة القدر

قيل: إنها أول سورة نزلت بالمدينة وقيل: إنها مكية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (بالنباهة) النباهة الشهرة في رفعة القدر وكمال الشرف، وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صريحًا فصح إرجاع الضمير إليها يقال: شيء نبه ونبه أي مشهور، ونبه الرجل

أنزل فيه بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها، أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة، ثم كان جبريل ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة. وقيل: المعنى: أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأواخر من شهر رمضان ولعله السابعة

بالضم نباهة أي شرف واشتهر. **قوله تعالى:** (وما أدراك ما ليلة القدر) أي ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها؟ ثم بيّن له ذلك بقوله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قال مجاهد: قيامها والعمل فيها من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر. وذلك لأن الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيه من الخير والنفع، فلما جعل الله تعالى الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيرًا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة. **قوله:** (وإنزاله فيها) جواب عما يقال: القرآن إن لم ينزل جملة واحدة في وقت واحد بل أنزل منجمًا مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة فما وجه قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾؟ وأجاب عنه بثلاثة أوجه: الأول أن المراد ابتدأنا بإنزاله على طريق التنجيم والتفريق في ليلة القدر بناء على أن البعثة كانت في رمضان. والثاني أن السؤال إنما يرد أن لو كان المراد إنزاله إلى الأرض وإلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه الذي كان منجمًا في ثلاث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد ـ والله أعلم ـ ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن جبرائيل عليه السلام نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم السلام وهم الملائكة في سماء الدنيا، ثم كان ينزله على النبي عليه السلام منجمًا مفرقًا على حسب المصالح في ثلاث وعشرين سنة. والثالث أن السؤال إنما يرد أن لو كان ليلة القدر ظرفًا لنفس الإنزال على معنى أن الإنزال وقع في ذلك الزمان المعين، وليس كذلك بل المعنى إنّا أنزلناه في حق فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها. وهذا المعنى لا ينافي كون الإنزال مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة. واختلف في تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم في أنها هل هي باقية تتكرر في كل سنة أو أنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت وانقطعت؟ فمن قال: إن فضلها كان لنزول القرآن فيها يقول: إنها كانت مرة ثم انقطعت. قال الإمام النسفي رحمه الله تعالى: قول من قال: إنها رفعت بعد وفاة النبي عليه السلام قول مردود، والجمهور على أنها باقية. ثم اختلفوا هل هي مختصة برمضان أو لا؟ فعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: أنها غير مختصة برمضان بل هي تدور في كل السنة، وبه قال بعضهم، حتى روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: من يقم الحول يصبها. وقال عكرمة: المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣] وهي ليلة النصف من شعبان. والجمهور على أنها مختصة برمضان

منها والداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها ليالي كثيرة. وتسميتها بذلك لشرفها

لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] مع قوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فوجب أن تكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض. ثم قيل: إنها تدور في ليالي شهر رمضان مرة تكون في العشر الأول، وتارة في العشر الأوسط، وأخرى في العشر الآخر. وهي أشهر الروايتين عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وذهب صاحباه إلى أنها تدور في العشر الآخر من شهر رمضان استدلالاً بما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: سئل أي ليلة هي؟ فقال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، فاطلبوها في كل وتر في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين». وذهب أكثر العلماء إلى أنها ليلة السابع والعشرين وذكروا فيه كرامات منها: أن هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون يومًا والكلمة السابعة والعشرون منها هي لفظ «هي» وتلك إشارة إليها. ومنها أن ليلة القدر تسعة أحرف وذكرها الله تعالى في هذه السورة ثلاث مرات فيبلغ عدد حروفها سبعة وعشرين، ففيه إشارة إلى أنها هي الليلة السابعة والعشرون. ومنها أنه كان لعثمان بن أبي العاص غلام فقال: يا مولاي إن البحر يعذب مائه ليلة واحدة من الشهر. قال: إذا كانت تلك الليلة فأعلمني. فإذا هي السابعة والعشرون من رمضان. وقال عبيد بن عمير: كنت في السابع والعشرين من رمضان في البحر فأخذت من مائه فوجدته عذبًا سلسبيلاً. وقيل: إنها هي الليلة الأخيرة من رمضان استدلالاً بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن لله تعالى في كل ليلة من رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره». وقيل: إنها الليلة الأولى من رمضان لما روي أن صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنزلت في الليلة الأولى من رمضان، والتوراة أنزلت لست ليال مضين من رمضان بعد صحف إبراهيم بسبعمائة سنة، وأنزل الزبور على داود لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام، وأنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عامًا. وقيل: كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرآن ليلة القدر من بيت العزة إلى السماء السابعة قدر ما ينزل به على النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كلها في ليلة القدر. **قوله**: (وتسميتها بذلك لشرفها) أي على سائر الليالي على أن القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم: لفلان قدر عند فلان أي منزلة وشرف. ثم إن شرفها يحتمل أن يكون راجعًا إلى العامل فيها على معنى أن من أتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف. ويحتمل أن يرجع إلى نفس العمل على معنى أن الطاعة الواقعة فيها لها قدر وشرف زائد على شرف ما

أو لتقدير الأمور فيها كقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكر إسرائيليًا لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت إليه أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بيان لما له فضلت على ألف شهر.

وقع في سائر الليالي. قوله: (أو لتقدير الأمور فيها) عن الواحد: أن القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مقدار معين من غير زيادة ولا نقصان. وقال: سميت بها لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، وسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم الصلاة والسلام. ونظيره قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] واعلم أن تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة فإنه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ. وهذا القول اختيار عامة العلماء. قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: نعم. قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر.

قوله: (وذكر الألف إما للتكثير) فإن العرب تذكر الألف ولا تريد حقيقتها وإنما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] وأما لما روي أنه ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فعجب لذلك رسول الله ﷺ عجبًا شديدًا وتمنى أن يكون ذلك في أمته فقال: «يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارًا وأقلها أعمالاً» فأعطاه الله ليلة القدر فقال: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ الذي حمل الإسرائيلي فيها السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعد ذلك إلى يوم القيامة في كل رمضان. وقيل: كان الرجل فيما مضى لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر، فأعطوا ليلة القدر إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عبادًا من أولئك العباد. قوله تعالى: (والروح فيها) يجوز أن يكون جملة اسمية في محل النصب على أنه حال من فاعل «تنزل» وضمير «فيها» للملائكة. ويجوز أن يكون «الروح» مرفوعًا بالعطف على «الملائكة» ويكون «فيها» متعلقًا بقوله: «تنزل» وضمير «فيها» لليلة. قوله: (بيان لما له فضلت على ألف شهر) يعني أن قوله: ﴿تنزل الملائكة﴾ جملة مستأنفة لبيان كونها خيرًا من ألف شهر. كأنه قيل: لم ارتقي فضلها إلى هذه الغاية؟ فأجيب بأن ذلك لما يوجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليه السلام بالرحمة من

....

الله والسلام على أوليائه فيسلمون على كل عبد قائم أو قاعد بذكر الله تعالى. وهذا غير مَا ذكره مجاهد في بيان كونها خيرًا من ألف شهر. إلا أن يقال: إنهم إنما ينزلون إلى الأرض رأفة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات لا تبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات. وظاهر أن من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لا يناله بعبادته في ألف شهر، فيؤول إلى ما ذكره مجاهد. روي عنه عليه الصلاة والسلام: «إنهم ينزلون يسلمون علينا ويستغفرون لنا، فمن أصابته التسليمة غفر له ذنبه». وعن كعب: إن سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك إلا وقد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين، ينزلون مع جبريل ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحدًا من الناس ممن يقوم فيها إلا ويصافحه. وعلامة ذلك أن يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فإن ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام. فإن نظر الملائكة إلى الأرواح ونظر البشر إلى الأشباح، فكما أن البشر إذا رأوا صورة حسنة قبلوها ومالوا إليها فكذا الملائكة إذا رأوا في أرواح المؤمنين صورة حسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته أحبوهم ورغبوا في زيارتهم وتمنوا لقاءهم لكنهم كانوا ينتظرون الإذن كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ [مريم: ٦٤] وقال تعالى في هذه الآية: ﴿بإذن ربهم﴾ فإنه يدل على أنهم استأذنوا أولاً فأذنوا. وذكر في الروح أقوال: أحدها أنه ملك عظيم لو التقم السمٰوات والأرض كانت كلها لقمة واحدة له. وفي التيسير: ينزل الروح في تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه في تخوم الأرض السابعة ورأسه تحت عرش الملك الجبار، وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا، وفي كل رأس ألف وجه، وفي كل وجه ألف فم، وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الأخرى. فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة أهل السمٰوات السبع سجدًا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه، وإنما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر. وقيل: إنه طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد. وقيل: إنه خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس، ولعلهم خدم أهل الجنة. وقيل: يحتمل أنه هو عيسى عليه الصلاة السلام لأنه نسمة، ثم إنه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع أمة محمد ﷺ. وقيل: إنه القرآن لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل: إنه الرحمة لما قرىء ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ

وتنزلهم إلى الأرض أو السماء الدنيا، أو تقربهم إلى المؤمنين ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ من أجل كل أمر قدر في تلك السنة. وقرىء «من كل امرىء» أي من أجل كل إنسان. ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين. ﴿حَتَّىٰ

مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] بالضم كأنه تعالى يقول: الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في أثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. والأصح أن الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه. **قوله**: (وتنزلهم إلى الأرض) هو الأظهر لأن الأحاديث دلت على أن الملائكة ينزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين فلأن يجعل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها أولى، ولأن مطلق النزول لا يفهم منه إلا النزول من السماء إلى الأرض. وقيل: إن الملائكة بأسرهم ينزلون إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فإن قيل: كل واحدة من السمٰوات مملوءة بما فيها من الملائكة بحيث لا يوجد في واحدة منها موضع قدم يخلو من ملك فكيف تسع جميع ملائكة السمٰوات والأرض أو السماء الدنيا؟ قلنا: إنما يرد ما ذكرت لو كان نزولهم على سبيل الاجتماع وليس بلازم لما روي «إنهم ينزلون فوجًا فوجًا ينزل بعضهم ويصعد آخرون كأهل الحج» فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج، ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر ولذلك أيضًا ذكر لفظ «تنزل» ليفيد التدريج مدة بعد مدة.

قوله: (ما هي إلا سلامة) إشارة إلى أن قوله: «هي» مبتدأ و «سلام» خبره ومعناه السلامة. وقدم الخبر ليفيد الحصر، كما في نحو: تميمي أنا أي، لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما نزل فيها إنما هو سلامة وخير. وفي الحديث: «إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها» والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة. ثم أشار إلى جواز أن يكون «سلام» اسمًا بمعنى التسليم والمعنى: إن ليلة القدر من غروب الشمس إلى طلوع الفجر سلام أي تسلم فيها الملائكة على أهل الطاعة. **قوله**: (من أجل كل أمر قدر في تلك السنة) أي من خير وشر أو مما فيه صلاح المكلف في دينه ودنياه. والظاهر أن هذا الاحتمال مبني على أن يكون المراد بالليلة المباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين، لأنه إن كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه الأكثرون فلا يظهر أن يكون وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الأمور لأنه يستلزم أن يكون تقدير الأعمال والأرزاق والآجال والمصائب وغيرها واقعًا في ليلة القدر وفي ليلة

﴿مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ أي وقت مطلعه أي طلوعه. وقرأ الكسائي بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر».

النصف من شعبان. أما الأول فلقوله: «وتسميتها بذلك لتقدير الأمور فيها» وأما الثاني فلقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] فإن ضمير «فيها» يرجع إلى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف. وكون كل واحدة من الليلتين ليلة التقدير لا يخلو عن بعد إلا أن يقال: ههنا ثلاثة أمور: الأول نفس تقدير الأمور والأحكام أي تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك في الأزل قبل أن يخلق الله السمٰوات والأرض. والثاني إظهار تلك المقادير للملائكة بأن تكتب في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف والثالث إثبات تلك المقادير في النسخ وتسليمها إلى أربابها من المدبرات فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل، ونسخة الريح والجنود والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرائيل، ونسخة الأعمال إلى إسرافيل صاحب سماء الدنيا، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وقيل: يقدر في ليلة البراءة الآجال والأرزاق، وفي ليلة القدر تقدر الأمور التي فيها الخير والبركة والسلامة. وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت وتسلم إلى ملك الموت. **قوله**: (على أنه كالمرجع) أي على أنه مصدر ميمي على خلاف القياس، فإن قياس المصدر الميمي من الثلاثي أن يجيء على مفعل بفتح العين وكذا إذا كان اسم زمان، فإن كسر عينه مخالف للقياس لأن قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها أن يكون على مفعل بفتح العين وما يكون سواه حمل على المصدر أو اسم الزمان، ولا معنى لكون مطلع الفجر اسم مكان وهو ظاهر. ويفهم من تقرير المصنف أن قوله تعالى: ﴿من كل أمر﴾ متعلق بقوله: ﴿تنزل﴾ أي تنزل من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل من عمل ورزق وحياة وموت، أو من أجل كل أمر من الخير والبركة. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿بإذن ربهم﴾ ثم ابتدىء فقيل: ﴿من كل أمر سلام هي﴾ أي من كل أمر محدث سلامة هي ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي هي إلى وقت طلوع الفجر. تمت سورة القدر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة البيّنة

مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي اليهود والنصارى فإنهم كفروا بالإلحاد في صفات الله. و«من» للتبيين. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعبدة الأصنام ﴿مُنفَكِّينَ﴾ عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول. ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ الرسول أو القرآن فإنه مبين للحق، أو معجزة الرسول بأخلاقه والقرآن بإفحامه من تحدى به.

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بدل من البيّنة بنفسه، أو بتقدير مضاف، أو مبتدأ.

سورة البينة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (فإنهم كفروا بالإلحاد في صفات الله تعالى) بيان لوجه توصيفه تعالى أهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله ﷺ، وذلك أن طريق الكفر غير منحصر في إنكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكون به مثل كفر اليهود وتكذيب عيسى عليه السلام وإنكار دينه، وقد يكون بإنكار حكم من أحكام أصل الدين والعدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ بالإلحاد في صفات الله تعالى والعدول فيها عن الحق والصواب، كما قالوا في صفة العلم إنها أقنوم من الأقانيم الثلاثة انقلبت إلى بدن عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك. فإن عامة النصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة يقولون:

....

عزير ابن الله كما تقول النصارى: المسيح ابن الله، واشترك الجميع في تحريف كتاب الله تعالى ودينه وسائر ما يوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين ﷺ. وقيل: المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا، والمعنى: لم يكن الذين كفروا بمحمد ﷺ منفكين من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب، ولم يكن المشركون من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين أي منفصلين زائلين وفيه أنه يبعد أن يقال: لم يكن الذين كفروا بمحمد ﷺ منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم محمد ولا وجه للكفر بمن لم يبعث بعد ولم يعلم خبر بعثته. **قوله**: (ومن للتبيين) لأن كونها للتبعيض يستلزم أن يكون البعض من المشركين كافرًا والبعض الآخر غير كافر، لأن تقدير الآية يكون حينئذٍ: لم يكن الذين كفروا بعض أهل الكتاب وبعض المشركين. فينبغي أن تكون للتبيين بأن يذكر جنسا الكفار بقوله تعالى: ﴿الذين كفروا﴾ على الإجمال، ثم يفصل ذلك المجمل بقوله: ﴿من أهل الكتاب والمشركين﴾ أخبر الله تعالى أنهم قد اتفقوا على ما كانوا عليه من دينهم أو خبر الوعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول إلى أن تأتيهم البينة، وكلمة «حتى» تقتضي أن ينتهي الاتفاق المذكور عند إتيان البينة بأن يحدث منهم الاختلاف والتفرق عند إتيانها لأن حكم ما بعد كلمة الغاية يكون مخالفًا لحكم ما قبلها لوجوب انتهاء الحكم المذكور قبلها عند تحقق الغاية، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] جعل كل واحد من الرسول والقرآن بينة إما لكونه حجة مبينة لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار كونه معجزة فإنه عليه الصلاة والسلام معجز بأخلاقه الزاكية حيث بلغ فيها إلى أقصى درجات الكمال وأعجز الحكماء المهذبين عن أن يتشبهوا به في شيء من مكارم أخلاقه، وكذا القرآن أعجز فصحاء العرب عن أن يأتوا بسورة من سوره فقوله: «أو معجزة الرسول» من إضافة الصفة إلى موصوفها أي الرسول المعجز بأخلاقه العظام والقرآن المعجز بإفحامه من تحدى به أي بإسكاته من طلب منه أن يأتي بمثله يقال: فحم الصبي يفحم بفتح الحاء فيهما فحومًا وفحامًا إذا بكى حتى ينقطع صوته، وكلمته حتى أفحمته أي أبكيته في خصومة أو غيرها، ويقال: تحديثه إذا باريته أي أعرضته في فعله ونازعته الغلبة.

قوله: (بدل من البينة بنفسه) على أن يكون المراد بالبينة الرسول باعتبار كونه مبينًا للحق أو كونه معجزًا بأخلاقه. **قوله**: (أو بتقدير مضاف) على تقدير أن يكون المراد بالبينة القرآن المبين للحق أو المبين لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار إعجازه، والتقدير: وحي رسول أو كتاب رسول.

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝٢﴾ صفته أو خبره، والرسول وإن كان أميًا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها. وقيل: المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة أن الباطل لا يأتي ما فيها أو أنها لا يمسها إلا المطهرون. ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم، أو تردد في دينه، أو عن وعدهم بالإصرار على الكفر. ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ فيكون كقوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى. ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾

قوله: (صفته أو خبره) نشر على ترتيب قوله: «بدل من البينة» أو مبتدأ. **قوله:** (والرسول وإن كان أميًا) جواب عما يقال: كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة إليه عليه الصلاة والسلام وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب وإنما يقرأها بوحي إليه عن ظهر القلب؟ وتقرير الجواب أنه عليه السلام وإن كان أميًا يتلو ما أوحي إليه عن ظهر القلب، إلا أن متلوه الذي هو القرآن لما كان مصدقًا مطابقًا لصحف الأولين في أصول الشرائع والأحكام صار متلوه كأنه هو صحف الأولين فعبّر عن متلوه بها بطريق الاستعارة. والصحف جميع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله، فلذلك فسره الزمخشري بقوله: قراطيس والمراد ما رسم فيها. وقيل: المراد بقوله: رسول يتلو صحفًا جبريل عليه الصلاة والسلام، فلا إشكال في نسبة التلاوة إليه. ولم يرض به لأن من أتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما الصلاة والسلام. **قوله تعالى:** (فيها كتب قيمة) جملة اسمية منصوبة المحل على أنها صفة لقوله تعالى: ﴿صحفًا﴾ وتلك المكتوبات التي تضمنتها الصحف هو المتلو دون نفس الصحف. **قوله:** (عما كانوا عليه أو عن وعدهم) نشر على ترتيب قوله: «عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد» وقوله: «بالإصرار على الكفر» متعلق بالتفرق عن الوعد والمعنى: وما تفرقوا عن الوعد بأن الرسول الموعود إذا بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بأن أخلفوا الوعد وصمموا على الكفر القديم. وقوله: «فيكون» كقوله: «وكانوا من قبل الآية» تفريع على وجه الثاني. ووجه المشابهة بين الآيتين حينئذٍ اشتراكهما في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل، فإن من استفتح به عليه عليه الصلاة والسلام أي طلب الفتح وظفر على أعدائه بحرمة النبي الموعود ومكانته عند ربه بأن قال: اللهم انصرنا عليهم بحرمة النبي الموعود ثم كفر بعد بعثته حاله مثل حال من وعد بأنه عليه الصلاة والسلام إذا بعث يصدقه ويتبعه ثم كفر بعد بعثته عليه الصلاة والسلام فإنه كفر بمن صدقه قبل. **قوله:** (للدلالة على شناعة حالهم) فإن إفراد إحدى الطائفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر في مقام الذم يدل

أي في كتبهم بما فيها. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يشركون به. ﴿حُنَفَاءَ﴾

على كونها أشنع حالاً من الأخرى مع أن بيان تفرق أهل الكتاب يدل على تفرق المشركين بطريق الأولى، لأن أهل الكتاب عالمون بحقية أمره عليه السلام من حيث إن نعوته وبعثته عليه السلام مذكورة في كتبهم فإذا تفرقوا مع علمهم بحقية أمره كان غير العالم بأمره أولى بالتفرق.

قوله: (أي في كتبهم بما فيها) كل واحد من حرف الجر متعلق بأمر وأقدر المفعول الأول للدلالة على أن المراد بالأمر الأمر الوارد عليهم بألسنة أنبيائهم، وأن المعنى: وما أمر أهل الكتاب على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام إلا بهذه الأشياء. وقدر المفعول الثاني لأن تعدية فعل الأمر إلى مفعوله الثاني بالباء دون اللام، والمعنى: ما أمر أهل الكتاب بما أمروا به في الكتابين لشيء من الأمور إلا لأجل أن يعبدوا الله. وأهل السنة وإن أحالوا أن يكون شيء من أفعاله تعالى معللاً بالغرض بناء على أن الفاعل لغرض يكون ناقصًا في ذاته مستكملاً بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك، إلا أنهم قالوا: إن أفعاله تعالى لا بد أن تكون مغياة بالحكم والمصالح وكثيرًا ما تستعمل لام الغرض في الحكمة المرتبة على الفعل تشبيهًا لها به في ترتبها على الفعل في الوجود. وبخ الله تعالى أهل الكتاب على تعكيس الأمر ببيان أن الحكمة الأصلية في جميع ما أمروا في كتابهم هي العبادة المقرونة بالإخلاص، ثم إنهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه وأوامره بأن قال بعضهم: عزير ابن الله، وقال بعضهم: عيسى ابن الله، وقال بعضهم: عيسى هو الله، وقال آخرون: ثالث ثلاثة وعامة اليهود مشبهة، وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد وإخلاص العبادة له تعالى فجاز أن يكون الشرك من أوصاف أهل الكتاب أيضًا ويكون عطف قوله تعالى: ﴿والمشركين﴾ في أول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات. وقيل: ليست اللام هنا لام الغرض بل هي صلة و«أن» الناصبة مضمرة بعدها والتقدير: وما أمروا إلا أن يعبدوا أي بأن يعبدوا. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ «كذلك» بناء على ما نقل عن الفراء فإنه قال: العرب تجعل اللام في موضع «إن» بعد فعل الأمر والإرادة كثيرًا كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] أي أن يطفئوا و﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] أي أن يبين ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١] أي أن نسلم بمعنى بأن نسلم. ولم يلتفت إليه المصنف لأن جعل اللام صلة وإضمار «أن» بعدها وإضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر. **قوله تعالى:** (مخلصين) حال من الفاعل في «ليعبدوا» و«حنفاء» حال ثانية منه أو من المنوي في «مخلصين» وفي انتصاب «مخلصين» على الحالية من فاعل «ليعبدوا» إشارة إلى أنه يجب تحصيل الإخلاص من ابتداء العبادة إلى انتهائها، والإخلاص أن يأتي بما يفعله خالصًا لداعية

مائلين عن العقائد الزائغة ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ ولكنهم حرفوه وعصوا. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ دين الملة القيمة.

واحدة وهي قضاء حق الربوبية ومقتضى العبودية ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الحمل على ذلك الفعل وجعل جميع ما يأتي به من الأفعال خالصًا لربه أن لا يستثني شيئًا منها لنفسه كأن يطلب به الجنة أو النجاة من النار فضلاً عن أن يستثني شيئًا منها لغيره مثل أن يفعله رياء وسمعة. واستدل بهذه الآية على أنه لا يجوز دفع الزكاة إلى الوالدين والمولودين والعبيد والإماء لانتفاء الإخلاص في دفعها إليهم، وإذا كان انضمام صلة الوالدين والأولاد إلى نية أصل القربة منافيًا للإخلاص فكيف يبقى الإخلاص إذا انضم إليها طلب حظ نفسك وقضاء شهواتك؟ ولهذا ذهب أهل السنة إلى أن العبادة ما وجبت لكونها مفضية إلى ثواب الجنة أو إلى النجاة من عذاب النار، وإنما وجبت لكون العابد عبدًا والمعبود ربًا، ولو لم يحصل في الدين لا ثواب ولا عقاب البتة بأن أمرنا ربنا بالعبادة لمحض العبودية ومقتضى الربوبية. والعبادة عبارة عن الإتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم والتذلل له، ولذلك قيل: صلاة الصبي ليست بعبادة لأنه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله تعظيمًا له تعالى. وقيل أيضًا: فعل اليهودي مثلاً ليس بعبادة وإن فعله قصد التعظيم ربه لكون ما فعله غير مأمور به. **قوله:** (مائلين عن العقائد الزائغة) قال الجوهري: أصل الحنف الميل والانقلاب، والأحنف هو الذي قلبت إحدى إبهامي رجليه على الأخرى. وعن أبي زيد: الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنًا، فالأحنف هو الذي يمشي على ظهر قدميه من شقها الذي يلي خنصرها. وقيل: الحنف الاستقامة. فقوله تعالى: ﴿حنفاء﴾ أي مستقيمين وإنما سمي مائل القدم أحنف على سبيل التفاؤل كقولك للمريض: مطبوب وللمهلكة: مفازة. والمصنف راعى القولين حيث اعتبر في مفهوم الحنف كل واحد من معنى الميل والاستقامة لأن الميل عن العقائد الزائغة إنما يكون بالاستقامة. **قوله:** (دين الملة القيمة) جعل «القيمة» نعتًا لموصوف محذوف لئلا يلزم إضافة الموصوف إلى صفته التي هي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه فإن ﴿دين القيمة﴾ مثل صلاة الأولى ومسجد الجامع، فكما أنهما في تأويل صلاة الساعة الأولى ومسجد الوقت الجامع فكذا الآية في تأويل الملة القيمة أو دين الشريعة القيمة أو الكتب القيمة. والملة والدين متحدان بالذات ومتغايران بالاعتبار، فإن الشريعة التي يبلغها الرسول إلى الأمة تسمى ملة باعتبار أنها تكتب وتملى ودينًا باعتبار أنها تطاع فإن الدين الطاعة يقال: دان له أي أطاعه، والدين أيضًا العادة والشأن كما في قوله:

وهــذا ديـنـه أبـدًا وديـنـي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي يوم القيامة، أو في الحال بملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ أي الخليقة. وقرأ نافع وابن ذكوان «البريئة» بالهمز على الأصل في الموضعين. ﴿إِنَّ

وكل واحد منهما أعم من الإسلام لأنه يستعمل في الحق والباطل والإسلام لا يستعمل إلا في الحق، ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت إضافة أحدهما إلى الآخر. وأيضًا هو من قبيل إضافة العام إلى الخاص لأن الملة المستقيمة أخص من الدين لما مر من أن الدين يستعمل في الباطل أيضًا والقيمة بمعنى المستقيمة، فإن قام الأمر بمعنى استقام يقال: قام الدليل على كذا إذا ظهر واستقام، وقوله تعالى: ﴿وذلك﴾ إشارة إلى ما أمروا به وهي الأعمال الصالحة التي معظمها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة المقرونة بالإخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد المطابق، فإن بعض أهل الأديان كاليهود والنصارى يتعبون أنفسهم في الطاعات من غير أن يحصلوا الاعتقاد المطابق، وبعضهم يحصلون الاعتقاد الحق ويهملون الأعمال وهم المرجئة الذين يقولون: لا تضر المعصية مع الإيمان. فهو تعالى خطأ كل واحد من الفريقين في هذه الآية وبيّن أنه لا بد من كل واحد من العلم والعمل فقال: ﴿وما أمروا﴾ الخ ثم قال: ﴿وذلك دين القيمة﴾ ثم ذكر مآل كل واحد من أهل الكتاب والمشركين ثم بيّن مآل أهل الحق والتوحيد إلى آخر السورة.

قوله: (أو في الحال بملابستهم ما يوجب ذلك) فيكون من باب الإسناد المجازي حيث أسند إليهم كونهم في النار وليسوا فيها في الحال باعتبار كونهم فيما يوجبها. **قوله**: (واشتراك الفريقين في جنس العذاب الخ) جواب عما يقال: لا شك أن كفر المشركين أشد وأغلظ بالنسبة إلى كفر أهل الكتاب لأن المشركين ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث وما يتفرع عليه، وأهل الكتاب يؤمنون بأكثرها وإذا كان كذلك فكيف يجوز تسويتهما في العذاب؟ والجواب أن الفريقين لما اشتركا في أعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا أعظم العقوبات وهو الخلود في نار جهنم، واشتراكهما في جنس عذابها لا يستلزم اشتراكهما في جميع أنواعه. **قوله**: (وقرأ نافع البريئة بالهمز) على الأصل لأنها فعيلة من برأ الله الخلق أي ابتدأه واخترعه. وقرأ الباقون بياء مشددة بدون همزة كالنبي والذرية، فإن أصلهما الهمزة والقراءة بالهمزة وإن كانت موافقة للقياس والأصل إلا أن القراءة بدون الهمزة أجود من حيث إن جمهور العرب قد استمروا على ترك الهمزة فيه وفي النبي والذرية فكانت القراءة بالهمزة كالشيء المرفوض المخالف للاستعمال وتوسيط ضمير الفصل في قوله: ﴿أولئك هم شر البرية﴾ لإفادة الحصر أي شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لأنهم

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بأنه من عند ربهم. وجمع «جنات» وتقييدها إضافة ووصفا بما يزداد لها نعيمًا وتأكيد الخلود بالتأبيد. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم. ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لأنه بلغهم أقصى أمانيهم

سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام؟ وشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق؟ وشر من الجهال الأجلاف لأن الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو أقبح من كفر الجهال؟ فظهر منه أن وعيد العلماء السوء أعظم من وعيد الجهال. **قوله تعالى:** (جزاؤهم) مبتدأ خبره «جنات». وفي الكلام حذف مضاف أي دخول جنات و«عند» ظرف للجزاء و«خالدين» حال وذو الحال وعامله كلاهما محذوفان لدلالة قوله: «جزاؤهم» عليهما والتقدير: يجزون بها خالدين، ولا يجوز أن يكون حالاً من الضمير المجرور في قوله: «جزاؤهم» لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو الخبر. **قوله:** (فيه مبالغات) أي في الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات في إعلاء قدرهم وإجلال شأنهم منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم، فإن الكلام لما كان مسوقًا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر أن يقدم بيان مصيرهم على قوله: ﴿أولئك هم خير البرية﴾ كما قدم بيان مصير الكفار على قوله: ﴿أولئك هم شر البرية﴾ فلما عكس هذا الترتيب احتجنا إلى طلب النكتة في ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لأن تكون نكتة فحكمنا بأنها هي النكتة فيه. ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزاء فإنه يتضمن الاعتناء بشأن ما وصفوا به من الإيمان والأعمال الصالحة. ومنها الحكم على ذلك الجزاء بأنه من عند ربهم فإنه يدل على علو قدر الجزاء وذلك يدل على علو قدر صاحبه عند ربه. ومنها جمع جنات فإنه يدل على أن لكل واحد منهم جنات كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢] فذكر للواحد أربع جنات. وقيل: إنه تعالى قابل الجمع بالجمع في قوله: ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات﴾ وهو يقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن أدنى تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشرًا كذا روي مرفوعًا. ومنها تقييدها إضافة فإنه يدل على أنهم لا يخرجون من تلك الجنات، فإن العدن بمعنى الإقامة يقال: عدن بالمكان إذا أقام به. ومنها تقييدها وصفًا بما يزداد لها نعيمًا من جري الأنهار المذكورة في القرآن من تحتها وهي نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر. ولعل المصنف أراد بالوصف في قوله: «ووصفًا بما يزداد لها نعيمًا» الوصف المعنوي الذي هو أعم من الوصف النحوي لئلا يخرج كون تلك

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي المذكور من الجزاء والرضوان ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾ فإن الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتًا ومقيلاً».

سورة الزلزلة

مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ اضطرابها المقدّر لها عند النفخة الأولى أو الثانية، أو الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة. وقرىء بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف. ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ ما في

الجنات بالنسبة إليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة، فإن الخلود في الجنة خير من دخولها كما أن رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها. والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة الزلزلة

مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (اضطرابها المقدّر لها) لما دلت إضافة الزلزال إلى الأرض على اختصاصه بها وتعرفه بسببها بيّن معنى تعريف الإضافة بثلاثة أوجه: وهي على الوجه الأول والثاني للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق، فإن المصدر المضاف إذا لم يقصد به المعهود يحمل على العموم والمعنى: إذا زلزلت جميع ما يمكن في حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب. والمعهود على الأول الاضطراب الذي قدره الله تعالى للأرض عند إحدى النفختين، فإنه قد سبق في علم الله تعالى وقضائه أن تحرك الأرض تحريكًا

جوفها من الدفائن والأموات جمع ثقل وهو متاع البيت. ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ لما يبهرهم من الأمر الفظيع. وقيل: المراد بالإنسان الكافر فإن المؤمن يعلم ما لها. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ تحدث الخلق بلسان الحال أخبارها ما لأجله زلزالها

شديدًا عند النفخة الأولى لفناء الدنيا، وعند النفخة الثانية لبعث الموتى إحياء من بطن الأرض كما يخرج الولد من بطن أمه. والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللائق بها في الحكمة وما تقتضيه مشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال وتكون الأرض بسببه قاعًا صفصفًا بانكسار ما عليها من الأبنية والأشجار والجبال والتلال ويصير جميع ذلك نظير الهباء المنبث حتى تمهد الأرض وتتسع لأهل الموقف من الجن والإنس وصفوف الملائكة، فإن الأرض لا تصير كذلك إلا بزلزال شديد، ونظيره قولك: أكرم التقي كرامة وأهن الفاسق إهانة. تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الإكرام والإهانة. والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد في غير المضاعف كالصلصال والقلقال إلا نادرًا نحو قسطال وهو الغبار. **قوله:** (من الدفائن والأموات) فإن أريد بزلزال الأرض اضطرابها عند النفخة الأولى يكون المراد بالأثقال الدفائن والكنوز، فإن الأرض حينئذٍ تخرج جميع ما فيها من الكنوز فيمتلىء ظهر الأرض ذهبًا ولا يلتفت إليه أحد. وإن أريد به الزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الأثقال بالأموات. وعلى التقديرين تكون الأثقال استعارة بأن شبه ما في جوف الأرض من الدفائن والأموات بأمتعة البيت فعبّر عنه بالأثقال مجازًا. **قوله:** (لما يبهرهم من أمـــر الفظيع) أي لما يغلبهم من الأمر الهائل أشار به إلى أن الاستفهام في قوله: ﴿ما لها﴾ للتفظيع والتهويل فإن كل من رأى تلك الزلزلة بغتة سواء كان ممن آمن بالبعث أو كفر به يجوز أن يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير، إلا أن المؤمن يقول بعد ما تدارك الأمر ورجع إليه عقله وفكره: هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون. وأما الكافر فإنه يحشر أعمى كما عاش أعمى فيستمر على السكرة والحيرة. قوله: ﴿ما لها﴾ جملة اسمية معناها التعجب أي أي شيء حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت هذه الزلزلة الشديدة؟ فإن التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للإنسان عند إدراك ما خفي سببه صح أن يكون السؤال عن السبب طريقًا لإنشاء التعجب وإظهاره. وكلمة «إذا» في قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ شرطية وجوابها تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور و «يومئذٍ» أي يومئذٍ زلزلت بدل من «إذا». **قوله:** (تحدث الخلق) إشارة إلى أن المفعول الأول «لتحدث» محذوف وهو الخلق و «أخبارها» مفعوله الثاني حذف أولهما لأن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق بناء على أن السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى: «تحدث» في حق تعلقه بمفعوله الأول منزلة اللازم ولم يقصد إلا إتيان تعلقه بمفعوله الثاني

وإخراجها. وقيل: ينطقها الله فنخبر بما عمل عليها. و«يومئذ» بدل من «إذا» وناصبها تحدث، أو أصل و«إذا» منتصب بمضمر. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي تحدث بسبب إيحاء ربك لها بأن أحدث فيها ما دلت على الأخبار، أو أنطقها بها. ويجوز أن يكون بدلاً من إخبارها إذ يقال: حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى «إلى»، أو على أصلها إذ لها في ذلك تشفٍ من العصاة.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ عن مخارجهم من القبور إلى الموقف. ﴿أَشۡتَاتٗا﴾ متفرقين بحسب مراتبهم. ﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦﴾ جزاء أعمالهم. وقرىء بفتح الياء

فإنه لا مدخل لذكر الخلق في بيان هوله وإنما يستحق التهويل بذكر ما تحدث به، إلا أن الأرض لكونها جمادًا لا يمكن لها أن تحدث بلسان المقال وإنما تحدث بلسان الحال فإن الأرض لما بطلت حالتها الأولى واضمحل جميع ما عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على أن الدنيا قد انقضت مدتها وأن الآخرة قد أقبلت بما فيها من البعث والحساب والجزاء فلذلك وقعت هذه الزلزلة والإخراج، وهذه الدلالة قد أقيمت مقام التحديث فعبّر به عنها. **قوله:** (وقيل ينطقها الله تعالى) فتشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «حافظوا على الوضوء وخير أعمالكم الصلاة لوقتها، وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وليس فيها أحد يعمل خيرًا ولا شرًا إلا وهي تخبر به». **قوله:** (أو أصل) عطف على قوله: «بدل». ذكر لانتصاب «إذا» وجهين: الأول أنها منصوبة بجوابها وهو «تحدث» و «يومئذٍ» بدل منها والعامل فيه هو العامل فيها. والثاني أنها منصوبة بمضمر نحو: اذكر إذا زلزلت وإذا زلزلت يظهر جميع أحوال الخلق فيجازي كل واحد بما يستحقه، فحينئذٍ يكون «يومئذٍ» أصلاً معمولاً «لتحدث» ظرفًا له. **قوله:** (إذ يقال حدثته كذا وبكذا) جواب عما يقال: كيف يكون بدلاً من «أخبارها» وهو مفعول ثانٍ لتحدث عدي إليه الفعل بلا واسطة حرف الجر؟ وقوله: ﴿بأن ربك﴾ إن جعل بدلاً منه كان هو المقصود بالمفعولية وقد عدّي إليه الفعل بواسطة الباء. وأجاب عنه بأن كل واحد من الاستعمالين فصيح فعدّي الفعل إلى المبدل منه بنفسه وإلى المبدل بواسطة الحرف، كأنه قيل: تحدث أن ربك أوحى لها بأن أحدث عليها أحوالاً دالة على أنه لأي شيء زلزالها وإخراجها. واللام قد تستعمل بمعنى «إلى» كما في قوله:

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

ويجوز أن تكون اللام على أصل معناها أي فعلنا ذلك لأجلها فإنها تتوسل بذلك إلى التشفي من العصاة.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ تفصيل ليروا. ولذلك قرىء «يره» بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب. وقيل: الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة أو «من» الأولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالأشقياء لقوله: ﴿أشتاتًا﴾ والذرة النملة الصغيرة أو الهباء. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله».

قوله: (ولعل حسنة الكافر) جواب عما يقال: إن حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن معفوة إما ابتداء وإما بسبب اجتنابه الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر؟ وحاصل الجواب الأول أن حسنات الكافر وإن كانت محبطة بمعنى أنه لا يستحق بها ثوابًا إلا أن ذلك لا ينافي أن يرى جزاء تلك الحسنات بأن ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات، وكذا سيئات المؤمن وإن كانت معفوة بأن لا يعذب بسببها إلا أن ذلك لا ينافي أن يرى جزاءها بأن ينقص من ثواب إيمانه وصالح أعماله بمقدار تلك السيئات. وحاصل الجوابين الأخيرين ظاهر. **قوله: (أو من الأولى)** وهي التي في قوله: ﴿فمن يعمل﴾ مختصة بالسعداء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط، والأشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة أصلاً. وقرأ هشام بإسكان هاء «يره» في الموضعين وصلاً ووقفًا. وباقي السبعة يقرؤونهما بإشباع ضمة الهاء أي موصولة بالواو ووصلاً وسكونها وقفًا كسائر هاء الكناية. وهذه الآية نزلت ترغيبًا في الخير ولو كان قليلاً وتحذيرًا من الشر والذنب وإن قل فلا ينبغي للمرء أن يتهاون في الذنب اليسير ويزعم أن المرء لا يؤخذ بمثله كما لا ينبغي له أن يجتنب عن إعطاء شيء قليل نحو تمرة وكسرة استقلالاً به، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة». **قوله: (والذرة النملة الصغيرة أو الهباء)** قال الكلبي: الذرة أصغر النمل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا وضعت راحتك على الأرض ـ أي كفك ـ ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة. وعلى الوجهين ﴿مثقال ذرة﴾ بمعنى زنة ذرة فإن مثقال الشيء ميزانه ومثله. والله سبحانه وتعالى أعلم. تمت سورة الزلزلة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

سورة والعاديات

مختلف فيها وآيها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحًا وهو صوت أنفاسها عند العدو، ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فإنها تدل بالالتزام على الضابحات، أو ضبحًا حال بمعنى ضابحة. ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ فالتي توري النار والإيراء إخراج النار

سورة العاديات

مدنية وقيل مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى: (والعاديات) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة. والياء التي فيها منقلبة عن الواو لكسر ما قبلها لأنها من العدو كالغازيات من الغزو. والضبح صوت يسمع من أفواه الخيل وصدورها إذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة. وذكر لانتصاب «ضبحًا» ثلاثة أوجه: الأول أنه مصدر مؤكد لفعله المحذوف أي تضبح ضبحًا على تأويل العاديات بالجماعة، أو تضبحن ضبحًا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدر في موضع النصب على أنه حال من العاديات. والثاني أنه مصدر مؤكد للعاديات لأن الشرط في عامل المفعول المطلق أن يوافقه معنى لا لفظًا، والتوافق المعنوي متحقق ههنا لأن الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولاً التزاميًا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات، فصح انتصاب ضبحًا بها على أنه مفعول مطلق لها. والثالث أنه مصدر في موضع الحال من

يقال: قدح الزند فأورى. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ يغير أهلها على العدو ﴿صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ أي في وقته ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ فهيجن بذلك الوقت ﴿نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ غبارًا أو صياحًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو أو بالنقع أي ملتبسات به ﴿جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ من جموع الأعداء. روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلاً فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت. ويحتمل ان

المنوي في قوله تعالى: ﴿والعاديات﴾ أي ضابحات أو ذوات ضبح أو على ادعاء أنها في أنفسها ضبح للمبالغة كما في: رجل عدل، وكذا الكلام في انتصاب ﴿قدحًا﴾ فإنه يجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لفعله المحذوف أي فالتي توري النار حال كونها تقدح قدحًا، والقدح ضرب الحجر بالمقدحة، فإن الخيل تضرب بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فتخرجن منها نارًا. ويجوز أن يكون مصدرًا للموريات لأن الإيراء لكونه من لوازم القدح وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزامًا، ويجوز أن يكون حالاً من المنوي في الموريات على معنى: فالتي توري النار قادحة أو ذات قدح. **قوله:** (**يغير أهلها**) يعني أن إسناد المغيرات إلى ضمير العاديات التي هي خيل الغزاة إسناد مجازي، فإن الإغارة في اللغة هي الإسراع على العدو للظفر عليهم وهو فعل أصحاب الخيل. **قوله:** (**أي في وقته يريدان صبحًا**) منصوب على أنه ظرف للمغيرات وكانوا يغيرون على العدو صباحًا لأنهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئًا، وفي النهار يكون الأعداء متهيئين للوقعة والمحاربة، وأما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للإغارة.

قوله تعالى: (**فأثرن**) معطوف على اسم الفاعل قبله حملاً على المعنى، فإن المعنى: والخيل اللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن أصله فأثورن نقلت حركة الواو إلى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفًا لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن فصار أثارن فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فبقي أثرن بوزن أفلن، يقال: ثار الغبار إذا هاج وارتفع، وأثرته أنا هيجته. والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو رفع الصوت يقال: تقع الصوت واستنقع أي ارتفع. وضمير «به» يرجع إلى الزمان الذي وقعت الإغارة فيه وهو الصبح، والباء بمعنى في أي فصحن فيه صياح النوائح وارتفاع أصواتهن. ويجوز أن يكون ضمير «به» للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لأن الإغارة لا بد لها من مكان والباء للظرفية أيضًا وأن يكون للعدو المدلول عليه بلفظ العاديات أي فأثرن بسبب عدوهن نقعًا فالباء سببية. وما اختاره المصنف أظهر إلا أنه جوّز أن يكون ضمير «وسطن به» للعدو فتكون الباء سببية وأن يكون للنقع لقربه ذكرًا فتكون الباء متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوي في قوله: ﴿فوسطن﴾ روي عن مقاتل أنه عليه الصلاة والسلام بعث سرية إلى حي من كنانة وأمر عليهم المنذر بن عمر وأحد النقباء، فمكث ما شاء الله أن يمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون: قتلوا

يكون القسم بالنفوس العادية أثر كمالهن الموريات بأفكارهن أنوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات إذا ظهر لهن مبدأ أنوار القدس فأثرن به شوقًا فوسطن به جمعًا من جموع العليين.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ لكفور من كند النعمة كنودًا، أو لعاص بلغة كناه، أو لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم. ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ وإن الإنسان على كنوده. ﴿لَشَهِيدٞ ۝٧﴾ يشهد على نفسه لظهور أثره عليه، أو أن الله علم كنوده لشهيد فيكون وعيدًا. ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ المال من قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾

جميعًا. فأخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿والعاديات ضبحًا﴾ إلى آخرها وبيّن بذلك سلامتهم وأنهم توسطوا في وقت الصبح جماعة الأعداء فأغاروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين، وأن المنافقين كاذبون في أقوالهم إنهم قتلوا جميعًا. فعلى هذا تكون السورة مدنية لأنه عليه الصلاة والسلام لم يؤذن له في القتال وهو بمكة. وأيضًا الظاهر حينئذٍ أن يكون تعريف العاديات للعهد ويكون المقسم به خيل تلك السرية، ويجوز أن يكون التعريف للجنس ويكون المقسم به كل خيل عدت في سبيل الله بالصفات المذكورة فإنها تستحق لأن يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة. **قوله:** (**العادية أثر كمالهن**) أي الساعية المسارعة في طريق الارتفاع إلى درجات الكمالات الروحانية وضبحهن ما طرأ عليهن أثر بعثهن بالسعي في مباشرة أسباب ذلك الارتقاء. **قوله:** (**إذا ظهر لهن**) ظرف لقوله: «المغيرات على الهوى» أي الماحيات للرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت أن طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم أنوار القدس. **قوله تعالى:** (**لربه**) متعلق «بكنود» وقدم عليه رعاية للفواصل أي أنه لكنود لنعمة ربه. قيل: أصل الكنود منع الحق والخير، والكنود الذي يمنع ما عليه، والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئًا. روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الكنود الكفور الذي يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده». والمراد بالإنسان الجنس والمعنى: إن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته. وقيل: المراد به الكافر. **قوله:** (**لظهور أثره عليه**) يعني ليس المراد بشهادة الإنسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال، فإن آثار الكنود تظهر عليه بحيث لا يمكنه أن يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه. ويجوز أن يكون ضمير «وإنه» للباريء تعالى لكونه أقرب المذكورين فتكون الآية وعيدًا وزجرًا له عن المعصية من حيث إنه تعالى يحصي عليه أعماله، وعلى الأول يكون تأكيدًا لكنوده وكفرانه. ويؤيد الأول رجوع ضمير قوله: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ إلى الإنسان أي وأن الإنسان من أجل حبه للمال لبخيل ممسك، أو أنه لقوي مطيق لحب المال مبالغ في إيثار الدنيا وطلبها وهو في حب الله

[البقرة: ١٨٠] ﴿لَشَدِيدٌ ⑧﴾ لبخيل أو لقوي مبالغ فيه. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ بعث ﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ ⑨﴾ من الموتى وقرىء بحثر وبحث. ﴿وَحُصِّلَ﴾ جمع محصلاً في الصحف أو ميز. ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ ⑩﴾ من خير أو شر وتخصيصه لأنه الأصل. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّخَبِيرٌ ⑪﴾ عالم بما أعلنوا وما أسروا فمجازيهم وإنما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم في الحالين وقرىء إن وخبير بلا لام. عن النبي عليه

وشكر نعمته ضعيف، على أن اللام معدية لقوله: ﴿لشديد﴾ يقال: هو شديد لهذا الأمر أي مطيق له قوي عليه. **قوله:** (جمع محصلاً في الصحف) يعني أن تحصيل الشيء جعله حاصلاً مجموعًا في غيره أو جعله متميزًا عن غيره، فتحصيل ما في الصدور إما جمعه وإثباته في الصحف أو تمييزه عما لم يثبت في الصدور. **قوله:** (وتخصيصه لأنه هو الأصل) جواب عما يقال: لم خص أعمال القلوب بالذكر في قوله: ﴿وحصل ما في الصدور﴾ وأهمل ذكر أعمال الجوارح؟ وأجاب عنه بأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب فإنه لولا تحقق البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح، وذكر مبدأ الشيء بمنزلة ذكر نفسه. **قوله:** (إذا بعثر) لا يجوز أن يكون ظرفًا «ليعلم» لأن الإنسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت وإنما يراد منه ذلك وهو في الدنيا، فلا بد أن يؤول النظم بوجه يفيد معنى أي أفلا يعلم الإنسان الآن أنه تعالى عالم بجميع ما عمله سرًا وجهرًا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك؟ ولا يجوز أيضًا أن يكون ظرفًا «لبعثر» لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف لأنه بمنزلة أن يعمل بعض الكلمة في بعضها، ولا لقوله: «الخبير» لأن ما بعد «أن» لا يعمل فيما قبلها فتعيّن أن يكون العامل فيه ما دل عليه قوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير﴾ أي أفلا يعلم الإنسان في الدنيا أنه تعالى يجازيه إذا بعثر، ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم. وكسر «أن» في قوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير﴾ مع أنه في حيز مفعول «يعلم» لوجود اللام في خبرها كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١] ومن فتح همزة «أن» قرأ «خبير» بلا لام. **قوله:** (وإنما قال ما ثم قال بهم الخ) إشارة إلى جواب ما يقال: عبّر عن أهل القبور أولاً بكلمة «ما» وهي في الأغلب لا تطلق إلا على غير أولي العلم ولا تطلق على أولي العلم إلا نادرًا كما حكى أبو زيد: سبحان ما سخركن لنا سبحان ما يسبح الرعد بحمده. وفي التنزيل ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣] ثم إنه تعالى عبّر عن ضمير أهل القبور بضمير العقلاء حيث قال: ﴿إن ربهم بهم﴾ ولم يقل إن ربها بها فما الحكمة في ذلك؟ وأجاب عنه بأن ذلك لاختلاف شأنهم في الحالين فإنهم ما داموا في القبور أموات وجمادات فعبّر عنهم في تلك الحال بما يعبّر به عن غير العقلاء، ثم إنهم يوم القيامة أحياء عقلاء فلذلك عبّر عنهم عند حكاية حالهم بضمير

الصلاة والسلام: «من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعًا».

سورة القارعة

مكية وآيها عشرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣)﴾ سبق بيانه الحاقة ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ (٤)﴾ في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ كالصوف ذي الألوان ﴿ٱلْمَنفُوشِ (٥)﴾ المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجو ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦)﴾ بأن ترجحت مقادير أنواع حسناته.

العقلاء توفية للحالين حقهما. ونظير الآية قوله عليه الصلاة والسلام: «ليس للنساء من الولاء إلا ما أعتقن أو أعتق من أعتقن» الحديث فإنه عليه الصلاة والسلام عبّر عن المعتق بفتح التاء بلفظ «ما» وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من إلحاقًا للرقيق الذي يتعلق به العتق بالبهائم لأنه يستخدم ويحجر عن التصرف ويباع في الأسواق كالبهائم، بخلاف المعتق بكسر التاء فإنه بحريته عاد إلى الحالة الأصلية التي هي الإنسانية فعبّر عنه بـ «من». تمت سورة العاديات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة القارعة

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

القرع الضرب بشدة واعتماد، ثم سميت الحادثة العظيمة قارعة قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ

....

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] واتفقوا على أن القارعة من أسماء يوم القيامة سمي بها لأن الأجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكًا شديدًا عند تخريب العالم، فبسبب ذلك الاصطكاك سمي يوم القيامة بالقارعة أي الساعة القارعة، أسند الفعل إليها وهو لأهلها إسنادًا مجازيًا. قال المصنف في سورة الحاقة في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] أي بالحالة التي تقرع الناس بالإفزاع والأجرام بالانفطار والانتشار يعني أنه سمي زمان الحالة القارعة باسم القارعة. **قوله تعالى:** (القارعة) مبتدأ و«ما» مبتدأ ثانٍ و«القارعة» خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول ووضعت «القارعة» موضع الضمير العائد إلى المبتدأ الأول تفخيمًا لشأنها وإفادة لزيادة التهويل. وتقدير الكلام: القارعة أي شيء هي ثم زادها تفخيمًا فقال: ﴿وما أدراك ما القارعة﴾ يعني أنك لا علم لك بكنهها لأنها من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وهمه. و«ما» في قوله: ﴿وما أدراك﴾ مبتدأ و«ما» الثانية مبتدأ ثانٍ و«القارعة» خبر الثاني والجملة في محل النصب على أنها مفعول ثانٍ لأدري ومفعوله الأول الكاف، وأدراك لا يعمل في مفعوله الثاني وهو قوله: ﴿ما القارعة﴾ لتضمنه معنى الاستفهام وأدري مع ما في حيزه في محل الرفع على أنه خبر المبتدأ الأول. والفراش جمع فراشة وهو ما يتهافت في النار ليلاً والمبثوث المفرق يقال: بثه إذا فرقه. **قوله:** (في كثرتهم) لأنه تعالى شبّه الخلق وقت البعث بالكثير من الفراشة لأن الفراش جمع فراشة. و«يوم» منصوب بما يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش، ولا يجوز أن يكون ظرفًا للفظ القارعة المذكور أولاً لاستلزامه تخلل الفاصل بين العامل الذي هو من صلة لام التعريف وبين معموله بأجنبي وهو الخبر. هذا على تقدير أن تكون «القارعة» اسم فاعل. وإن جعل علمًا للقيامة فلا يعمل أيضًا ولا للمذكور ثانيًا وثالثًا إذ لا وجه لكونه ظرفًا لشيء منهما. ويحتمل أن يكون معمولاً «لاذكر» مضمرًا. وقيل: «القارعة» مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر و«يوم» منصوب به تقديره: ستقوم القارعة يوم يكون. **قوله:** (كالصوف ذي الألوان) فإن الجبال مع كونها مختلفة الألوان كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧] إذا تفرقت أجزاؤها وانحل تركيبها تصير مشابهة للعهن وهو الصوف الملون بألوان مختلفة إذا جعل منفوشًا متبدد الأجزاء. **قوله:** (بأن ترجحت مقادير أنواع حسناته) على أن الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وحظ عند الله، وأن ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار ما يقابله من العمل القبيح واختيار موازينه على موزونه مع أن إضافة جنس الموزون أيضًا تفيد العموم للدلالة على أن المراد إحاطة أنواع ذلك الجنس لا إحاطة نوع واحد من أنواعه. فإن أنواع الأعمال الموزونة إما أن تكون ثقيلة

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ في عيش ﴿رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ ذات رضى أو مرضية. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨﴾ بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها، أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ فمأواه النار والهاوية من أسمائها. ولذلك قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ

أي راجحة على الأعمال التي لا وزن لها ولا قدر، أو تكون خفيفة مرجوحة بأن لا يوجد لها عمل صالح أو يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه، فسكن المكلف على الأول هو الجنة وعلى الثاني هو الهاوية. وقيل: الموازين جمع ميزان وهو ميزان واحد له لسان وكفتان يوزن به أعمال المكلفين، وذكره بلفظ الجمع مع أنه ميزان واحد تعظيمًا له إلا أنه لا وجه لأن يراد بثقل الميزان وخفته ثقل أحد كفتيه بالنسبة إلى الأخرى وخفتها بالنسبة إليها مطلقًا، لأن ثقل أحد الكفتين على الإطلاق مستلزم لخفة الأخرى بالنسبة إليها وغير قسيم لها إلا أن يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بأن لا يكون فيها عمل صالح. ولا يخفى أن جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن ثقل كفة الحسنة وخفتها في قوة أن تجعل الموازين جمع موزون، وأن يكون ثقل الموازين عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات، فلذلك لم يلتفت المصنف إلى أن يكون الموازين جمع ميزان. ذكر الإمام في الكبير أن المتكلمين قالوا: إن نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد أن الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن أو يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات، فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو في عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من أهل النار، أو تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة، وتكون الفائدة في ذلك ظهور حال صاحب الحسنات في الجمع العظيم فيزداد سرورًا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق. إلى هنا كلامهم. وقال بعض العلماء: لا توزن أعمال الكافر وإنما توزن الأعمال التي بإزائها الحسنات وليس للكافر حسنات لأن حسناته محبطة بكفره. وقيل: قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته. قيل: قد ذكر الله تعالى من ترجحت حسناته على سيئاته ومن ترجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر من تساوت حسناته مع سيئاته فلعله من أصحاب الأعراف.

قوله: (ذات رضى) بأن يرضاها صاحبها أو مرضية الأول على أن البناء للنسب والثاني على أن يكون الإسناد مجازيًا، فإن حق الرضى أن يسند إلى صاحب العيشة وقد أسند إلى نفس العيشة المرضية. **قوله:** (فمأواه أن النار) على أن الهاوية من أسماء النار وأن قوله تعالى: ﴿فأمه هاوية﴾ من قبيل التشبيه شبهت النار بالأم للعصاة لكونها تهوى بهم وتضمهم إلى نفسها كما تضم الأم الأولاد إليها وأنهم يلتجئون إليها.

مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ ذات حمى. عن النبي ﷺ: «من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة».

سورة التكاثر

مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغلكم وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لهى إذا غفل.

قوله تعالى: (ما هيه) جملة اسمية سادة مسد مفعول أدراك علقت هي عنها لتضمنها معنى الاستفهام و«هيه» ضمير الهاوية والأصل هي دخلت الهاء عليها للسكت. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب «ما هي» بغير هاء على الأصل ووقفوا بالهاء فقوله: «نار» خبر مبتدأ محذوف أي هي نار شديدة الحرارة فإن بناء حامية للنسبة كبناء تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم أي اشتد حره، وتوصيف النار بها في مقام المبالغة في بيان هولها يدل على أن سائر النيران بالنسبة إليها ليس فيها شيء من الحرارة. تمت سورة القارعة والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده.

سورة التكاثر

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (وأصله الصرف إلى اللهو) أراد الذي يدعو إليه اللهو والصرف إلى اللهو واللعب لما كان مستلزمًا للشغل والإغفال عن المهم أطلق الإلهاء الذي هو الصرف إلى اللهو على الإغفال عن المهم، كقول امرىء القيس:

فألهيتها عن ذي تمائم محول

﴿ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ التباهي بالكثرة ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبّر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة المقابر. روي أن عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم، وإنما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة.

فإن جعلها معرضة عنه من لوازم كونها منصرفة إلى اللهو. **قوله:** (التباهي بالكثرة) أي بكثرة الأعداد والعشائر كما يدل عليه سبب النزول، فتعريف التكاثر للعهد والمعهود التكاثر في الأمور الدنيوية الفانية، فالآية تقريع لهم على سوء فعلهم حيث اشتغلوا بما لا يعنيهم عن أمر الدين والآخرة والعمل لها. **قوله:** (إذا استوعبتم عدد الأحياء صرتم) أي انتقلتم إلى ذكر الأموات والتكاثر بهم يعني أن قوله تعالى: ﴿حتى زرتم﴾ غاية لقوله: ﴿ألهاكم﴾ وأنه عطف عليه أي شغلكم التباهي والتفاخر بكثرة الأعوان حتى انتقلتم إلى ذكر الأموات بعد أن استقصيتم في ذكر الأحياء. شبّه الانتقال إلى ذكر الموتى بزيارة القبور فعبّر بها عنه تهكمًا بهم فإن التفاخر بالمواضع التي تدفن فيها الأموات غاية الجهالة، لأن من فنى وصار بحيث يعبّر عنه بالمقبرة كيف يصلح لأن يفتخر به؟ وفي هذا التعبير أيضًا تعريض لهم بأنهم عكسوا الأمر من حيث إن المقصود من زيارة المقابر تذكر الموت والإعراض عن الدنيا والمباهاة بها، فمن توسل بزيارتها إلى المباهاة بالدنيا فقد عكس الأمر وتردّى في وادي الجهالة والضلالة. **قوله:** (فكثرهم بنو عبد مناف) أي غلبوهم بالكثرة من قولهم: كاثرناهم فكثرناهم أي غلبناهم بالكثرة، على ما ذكر في باب المغالبة أنهم إذا أرادوا الإخبار بالغلبة في فعل نقلوا الأفعال اللازمة من باب فعل بضم العين إلى باب نصر ويذكرونه بعد فاعل مسندًا إلى الغالب فيه نحو: كارمني زيد فكرمته أي غالبني في الكرم فغلبته فيه، ومثله: كاثرناهم فكثرناهم. فلما غلب بنو عبد مناف على بني سهم بالكثرة قال بنو سهم: إن البغي أهلكنا ـ أي أن بغي الأعداء والقتال معهم أهلكنا ـ فعدوا مجموع أحيائنا وأمواتنا مع مجموع أحيائكم وأمواتكم. ففعلوا ذلك فزاد بنو سهم. فنزلت الآية. والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بضم الباء وفتحها، والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت أقبره وأقبره قبرًا أي دفنته في المقبرة، وأقبرته أي أمرت بأن يقبر. **قوله:** (وإنما حذف الملهى عنه) ضمير عنه راجع إلى الألف واللام في الملهى والمعنى وإنما حذف الذي ألهى عنه، وعلل الحذف بعلتين: الأولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين فإن حذف الشيء قد يجعل ذريعة إلى تعظيمه فإن الحذف بمنزلة التنكير من حيث إن كل واحد منهما يفيد الإبهام فكما أن التنكير يفيد التعظيم فكذا ما هو بمنزلته، فكأنه قيل: ألهاكم التكاثر عن أمر عظيم وهو ما يعنيكم من أمر الدين. والعلة

وقيل: معناه ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت.

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ تكرير للتأكيد وفي «ثم» دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور. ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ أي لو تعلمون ما بين أيديكم

الثانية المبالغة في التعرض لكل ما حقه أن يشتغل به فإنه إذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يناسب المقام مثل: ألهاكم التكاثر عن الإيمان بالله تعالى وبرسوله وبجميع ما جاء به من عند ربه وعن الطاعة التي يقتضيها الإيمان.

قوله: (وقيل معناه) أي قيل: ليس المراد بالتكاثر التكاثر بالقبائل والأعوان ولا بزيارة القبور الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات بل المعنى: ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم، فإنه كثيرًا ما يعبّر عن الموت بزيارة القبر فيقال لمن مات: زار قبره، فكأنه قيل: شغلكم التفاخر بكثرة الأموال والأولاد حتى أدرككم الموت وأنتم على ذلك. ولقائل أن يقول: إنها نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك عن الإيمان حتى ماتوا على الضلال. وقرأ ابن عباس «أألهاكم التكاثر» ويجوز أن يكون الاستفهام للتقرير وأن يكون للتقريع. **قوله:** (كلا ردع) أي عما اشتغلوا به من التكاثر أي ليس الأمر كما تتوهمون من أن السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والأموال والأولاد، فإن من مات وحده وبعث وحده وحوسب وحده لا يكون سعيه للدنيا وبالاً وحسرة عليه. **قوله:** (تكرير للتأكيد) أي لتكرير الردع والإنذار المذكورين فهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد إلا أن الثاني لما كان أشد من الأول وأبلغ جيء بينهما بكلمة «ثم». **قوله:** (أو الأول عند الموت) في وقت ما يبشر به المحتضر من جنة أو نار أو في القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ والثاني عند النشور حين ينادي المنادي: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا وحين يقال: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] والظروف المذكورة في هذا الاحتمال متعلقة بقوله: ﴿سوف تعلمون﴾ كما أن قوله: «إذا عاينتم» في الاحتمال الأول متعلق به فيكون كل واحد منهما تأسيسًا على حدة لا تكريرًا للتأكيد لأن كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان. ثم إنه تعالى كرر الردع فقال: ﴿كلا لو تعلمون﴾ و «تعلمون» في المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون أشار إليه المصنف بأن قدر له مفعولاً واحدًا وهو قوله: «خطأ رأيكم» وقوله: «ما بين أيديكم». **قوله:**

علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره، أو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم. ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ جوابًا له لأنه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيمًا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأتهم من مكان بعيد. والثانية إذا وردوها، أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية الإبصار.

(علم الأمر اليقين الخ) يعني أن «علم» منصوب بنزع الخافض وأن اليقين بمعنى الأمر المتيقن به، وصف الأمر المذكور بأنه اليقين للمبالغة في كونه متيقنًا به. وقيل: «علم» منصوب على المصدرية والأصل: لو تعلمون علمًا يقينًا فأضيف الموصوف إلى صفته كما في قوله تعالى: ﴿ولدار الآخرة خير﴾ ومسجد الجامع. وعلم اليقين إدراك الأمر على ما هو عليه، وعين اليقين مشاهدته كما هو، وحق اليقين الفناء في الحق والبقاء به علمًا وشهودًا وحالاً لا علمًا فقط. واتفقوا على أن جواب «لو» محذوف أي لو تعلمون ما بين أيديكم من الأمر كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره لا التفاخر بكثرة العدد والأموال والأولاد لكنكم لا تعلمون ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيؤ له بالطاعة، فحذف الجواب للتفخيم فإن الوهم حينئذٍ يذهب كل مذهب فيكون التهويل أعظم. كأنه قيل: لو علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة. **قوله:** (لأنه محقق الوقوع) فإن قوله: ﴿لترون الجحيم﴾ لو كان جوابًا له لوجب أن لا يحصل لهم رؤية الجحيم وذلك باطل، وذلك لأن جواب «لو» إذا كان مثبتًا يكون معنى الكلام انتفاءه لانتفاء الأول بناء على ما اشتهر من أن «لو» تفيد امتناع الثاني لامتناع الأول، وقوله تعالى: ﴿لترون الجحيم﴾ مثبت فلو جعل جواب «لو» لكان المعنى: أنكم لا ترونها لكونكم جهالاً وهو غير صحيح. ومما يدل على أن قوله تعالى: ﴿لترون الجحيم﴾ لا يصح أن يكون جواب «لو» أن قوله تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ عطف على قوله: «لترون» وهو إخبار عن أمر كائن لا محالة، ولا يخفى أن عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد قبيح في النظم، ولما لم يجز كونه جواب «لو» تعين كونه جواب قسم محذوف أو عدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين أيديهم من الأمر. فاللام في «لترون» لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد المدلول عليه بقوله: سوف تعلمون أيهم الوعيد أو لا؟ ثم فصله بقوله: والله لترون الجحيم لما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من التفخيم والتعظيم. **قوله:** (تكرير للتأكيد) أي لتأكيد الوعيد بعد توكيده بالقسم، ونون التوكيد للدلالة على أن تلك الرؤية واقعة لا محالة شاؤوا أو أبوا. ويجوز أن لا يكون تكريرًا للأولى بل تكون كل واحدة منهما لتأسيس رؤية غير الأخرى بأن يراد بالأولى رؤيتها من مكان بعيد، فإن الغاوين يرونها وهم في الموقف كما

﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ الذي ألهاكم. والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه، والنعيم مخصوص بما يشغله لقرينة والنصوص الكثيرة كقوله:

قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] قيل إنهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام. والرؤية الثانية إذا أوردوها وشاهدوا ما فيها من الأهوال التي كانت من بعيد كرؤيتها ببعض خواصها وأحوالها مثل لهبها ودخانها، ولما كانت الثانية أجلى وأكشف من الأولى قيل ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ وهو الإدراك بمشاهدة الشيء كما هو. وجاز أن تكون مغايرة الرؤيتين بأن يكون المراد بالأولى رؤية القلب وهي المعرفة وبالثانية الإبصار وهذه المعرفة لا تحصل لمن ألهاه التكاثر عن النظر في أمر دينه وأحوال معاده إلا عند الموت وفي القبر وعند البعث قبل أن يبصروها ويشاهدوها.

قوله: (أي الرؤية التي هي نفس اليقين) إشارة إلى أن انتصاب «عين اليقين» على أنه صفة مصدر«لترونها» أي لترونها رؤية هي عين اليقين. وصفت الرؤية التي هي سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة. **قوله**: (الذي ألهاكم) إشارة إلى أن تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من ألهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق، وخص النعيم بما يشغل صاحبه عن أداء شكره وطاعته بشهادة القرينة فإن ما سبق من الخطاب كله لمن ألهاه دنياه عن دينه، وذلك يدل على كون هذا الخطاب أيضًا مخصوصًا به وذلك يقتضي أن يكون النعيم الذي يسأل عنه أنه هل أدى شكره بأن تقوّى به على طاعة المنعم أو كفر به بأن قصر همه على أن يأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب ولا يلتفت إلى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية؟ فيكون مخصوصًا بالنعيم الذي ضيع شكره وانتفع به كما تنتفع الأنعام بشهادة النصوص الدالة على إرادة الخصوص منها: ما روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم الأنصاري من خبز شعير ولحم ضأن وبسر قد أذيب في ماء عذب أتكون من النعيم الذي يسأل عنه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إنما ذلك للكفار» ثم قرأ ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] وقال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار، فإن الحكمة الإلٰهية تقتضي أن يسأل كل من ألهاه دنياه عن دينه عن شكر ما كان فيه من الخير والنعمة، ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له أن الذي ظنه سببًا لسعادته هو الذي كان من أعظم أسباب الشقاوة له في الآخرة. ووجه الاستدلال على التخصيص بنحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق أنه لا يليق بكرم الله تعالى أن

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ﴾ [البقرة: ٥٧] وقيل: يعمان إذ كل يسأل عن شكره. وقيل: الآية مخصوصة بالكفار. عن النبي ﷺ: «من قرأ ألهاكم

ينعم على عبده الشاكر ثم يسأله، إذ لا وجه لسؤال التوبيخ من حيث إن العبد أطاع ربه فيما أنعم عليه ولا لسؤال الامتنان لأن من أدخل أحدًا بيته وأطعمه وسقاه لا يمن عليه بذلك، فكيف يليق بكرمه تعالى أن يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمن عليه ويسأله عن شكر نعمته؟ **قوله:** (وقيل يعمان) أي يعم كل واحد من الخطاب والنعيم فيسأل كل واحد عن كل ما أنعم الله تعالى به عليه أنه هل شكر أو كفر؟ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم أن يقال له: ألم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد». وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به». وكل ما وصل منه تعالى إلى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام. وروي أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة إلى المسجد في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فلم يلبث أن جاء أبو بكر رضي الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أخرجك يا أبا بكر» قال: الجوع. قال: «والله ما أخرجني إلا الذي أخرجك». ثم دخل عمر رضي الله عنه فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم الأنصاري رضي الله تعالى عنه، فدق رسول الله ﷺ الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب أحد فانصرف عليه السلام، فخرجت امرأته تصيح. كنا نسمع صوتك يا رسول الله لكن أردنا أن تزيد من سلامك فننال به خيرًا. ثم قالت: بأبي أنت وأمي إن أبا الهيثم خرج يستقي لنا الماء. ثم عمدت إلى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع أبو الهيثم بقربة من ماء فوضعها، ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقة فبسط لهم بساطًا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فقال عليه الصلاة والسلام: «أفلا نقيت لنا من رطبه». فقال: يا رسول الله إني أردت أن تجزوا من رطبه وبسره. فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا والذي نفسي بيده إنه من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة: أكل شهي ورطب طيب وماء بارد». وقال الإمام: واعلم أن الأولى أن يقال: السؤال يعم المؤمن والكافر، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لأنه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر وأطاع. واختلفوا في أن السؤال عن النعيم أين يكون؟ والمختار أن يكون في موقف الحساب. فإن قيل: كيف يستقيم أن يكون في موقف الحساب؟ وقد أخبر الله تعالى أن هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم حيث قال: ﴿ثم لتسألن﴾ وظاهر أن موقف الحساب متقدم على مشاهدة جهنم حيث قلنا كلمة «ثم» فيه ليست لتراخي زمان السؤال عن سؤال مشاهدة الجحيم بل هي للترتيب في الأخبار. كأنه قيل: ثم

التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية».

سورة العصر

مكية وآيها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ أقسم بصلاة العصر لفضلها، أو بعصر النبوة، أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إن الإنسان لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم.

أخبركم أنكم لتسألن يوم القيامة، ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣، ١٤] إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧] وقيل: إن السؤال عن النعيم يكون إذا دخلوا النار فإنهم حينئذٍ يسألون عن النعيم توبيخًا لهم ليضطروا إلى الاعتراف بالتقصير في شكره فيقال لهم: إنما حل بكم هذا العذاب لأنكم اشتغلتم في الدنيا بالتنعم عن العمل الذي ينجيكم من النار ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة والفائزين بالدرجات، فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم فبقيتم في عذاب الهون. والله أعلم.

سورة العصر

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (أقسم بصلاة العصر لفضلها) أطلق العصر وأراد ما يقع فيه من الصلاة وهو

....

كثير فإنه يقال: أذن للعصر أي لصلاة العصر، وصليت العصر أي صلاته. ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام: «الوسطى صلاة العصر». فثبت أنها أفضل الصلاة لأن تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨] يدل على فضلها لأنه المقصود من التخصيص بعد التعميم. وقوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي فهو كمن صار موتورًا بأن قتل أهله وأصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله. قال الجوهري: الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. قال الخطابي: وتر أي نقص وسلب فبقي وترًا فردًا بلا أهل ومال. والمراد فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب أهله وماله. ويروى بنصب «الأهل» ورفعه فمن نصبه جعله مفعولاً ثانيًا «لوتر» وأضمر فيه مفعول ما لم يسم فاعله عائدًا إلى «الذي فاتته الصلاة» ومن رفعه لم يضمر وأقام «الأهل» مقام ما لم يسم فاعله لأنهم المصابون المأخوذون، فمن رد النقص إلى الرجل نصبهما ومن رده إلى الأهل والمال رفعهما. وروي أن امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول: دلوني على النبي ﷺ. فرآها رسول الله ﷺ فسألها: «ماذا حدث»؟ فقالت: يا رسول الله إن زوجي غاب عني فزنيت فولدت ولدًا من الزنى، فألقيت الولد في دن من خل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أما الزنى فعليك الرجم بسببه، وأما القتل فجزاؤه جهنم، وأما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة. لكن ظننت أنك تركت صلاة العصر». وفيه تفخيم بليغ لشأن هذه الصلاة. ومما يدل على فضلها أن أسواق العرب إنما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الأرض، فلما كان ذلك وقت تجارتهم والاشتغال بتحصيل أسباب معاشهم كان أداء صلاة العصر أشق عليهم، وقد ثبت أن أفضل الأعمال أشقها. وفي الحديث: «من حلف بعد العصر كاذبًا لا يكلمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه».

قوله: (أو بعصر النبوة) وهو من زمان بعثته عليه الصلاة والسلام إلى انقراض أمته في آخر الزمان. ومن ذهب إلى هذا القول احتج عليه بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الأمم مثل رجل استأجر أجيرًا فقال: من يعمل من الفجر إلى الظهر بقيراط؟ فعملت اليهود ثم قال: من يعمل من الظهر إلى العصر بقيراط؟ فعملت النصارى. ثم قال: من يعمل من العصر إلى المغرب بقيراطين؟ فعملتم أنتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل أجرًا. فقال: وهل نقصت من أجركم شيئًا. قالوا: لا. فقال: هذا فضلي أوتيه من أشاء فكنتم أقل عملاً وأكثر أجرًا». فهذا الخبر كله دل على أن العصر

....

هو الزمان المختص به عليه الصلاة والسلام وبأمته فلا جرم أقسم الله تعالى به إيذانًا بشرفه، فإذا كان الزمان الذي هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف.

قوله: (أو بالدهر) إطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر كثير شائع، ويجوز أن يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على أنواع العجائب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام أحوال المخلوقات. ومن جملة ما فيه من العجائب أن بقية عمر المرء لا قيمة له فإنه لو ضيع ألف سنة، ثم تاب وأناب إليه ثم توفي في اللمحة الأخيرة من العمر بقي في الجنة أبد الآباد، فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللمحة بالنسبة إلى كل أحد من أشرف الأشياء وأجل النعم فجاز أن يقسم به لشرفه. نقلست كه پيش شقيق بلخى پيرى آمد وكفت بسيار معصيتها كردم اكنون آمدم كه توبه كنم شقيق كفت كه دير آمدى ديرامدى وپيركفت زوامد زودامدم شقيق كفت چكونه پيركفت هركه پيش ازمرك آيد زودآمده باشد شقيق كفت زودامدى ونيك كفتى. فقد ثبت بهذه الرواية أيضًا أن اللمحة الباقية من عمر المرء أجل النعم لمن تاب فيها.

قوله: (والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران) أي وللتعريض بنفي ما ينسبون إليه من الآفات مثل قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] ووجه التعريض بالنفي المذكور أن الإقسام بالشيء إعظام له وما يضاف إليه الخسران ويكون من شأنه ذلك لا يعظم عادة، ولأنه لو نسب إليه شيء الحوادث كما تزعم الدهرية لكان شريكًا له تعالى ومبغوضًا عنده فلا يقسم به. والخسر والخسران بمعنى واحد كالكفر والكفران، ومعناهما النقصان، وذهاب رأس مال الإنسان وهو نفسه وعمره فهو في جميع سعيه وصرفه عمره في أشغاله مهلك نفسه ومضيع عمره، إلا المؤمن العامل بطاعة ربه فإنه غير مضيع نفسه التي هي رأس ماله بل اكتسب به سعادة الأبد وربح في تجارته حيث ظفر بالشرف الباقي بمقابلة الخسيس الفاني.
قوله: (والتعريف للجنس) بشهادة الاستثناء فإنه قد تقرر أن صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق. **قوله**: (والتنكير للتعظيم) أي لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله عزّ وجلّ، وعظم الذنب إما لعظم من في حقه الذنب أو لأنه في مقابلة النعم العظيمة، وكل واحد من الوجهين حاصل في ذنب العبد ومعصية ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ بالثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل. ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ عن المعاصي، أو على الحق، أو ما يبلو الله به عباده. وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما يكون مقصورًا على كماله. ولعله سبحانه إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود وإشعارًا بأن ما عدا ما عد يؤدي إلى خسر ونقص حظ أو تكرمًا فإن الإبهام في جانب الخسر كرم. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر».

قوله: (وهذا من عطف الخاص على العام) أي عطف التواصي بالأمرين على العمل الصالح مع أن العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول أيضًا ما يتعلق بتكميل غيره من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة في بيان فضله وشرفه من حيث إن عطفه عليه يؤذن بكونه أمرًا مغايرًا له غير مندرج تحته كما عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام لذلك. **قوله:** (ولعله سبحانه الخ) جواب عما يقال: ما الحكمة في أنه تعالى ذكر الحكم في جانب الخسر ولم يذكر السبب؟ وذكر في جانب الربح السبب وهو الأمور الأربعة: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالأمرين ولم يذكر الحكم وهو الربح؟ وأجاب عنه بأن المقصود من إنزال القرآن بيان أسباب سعادة الإنسان وما يؤديه إلى مرضاة الرحمٰن فاقتصر على بيان المقصود وساق بيانه على وجه علم منه أسباب الخسران حيث سجل على أن من لم يباشر هذه الأمور الأربعة فهو في خسران، وأيضًا تعداد مثالب القاصرين ليس من دأب الكريم فلذلك لم يفصل أسباب الخسران. تمت سورة العصر والحمد لله رب العالمين.

سورة الهمزة

مكية وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم. وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال: ضحكة ولعنة إلا للمكثر المقود. وقرىء همزة «ولمزة» بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم، ونزولها في الأخنس بن شريق فإنه

سورة الهمزة

مكية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله تعالى: (ويل) هي كلمة تهديد ووعيد. وقيل: هو اسم وادٍ في جهنم. واللمز العيب وأصله الإشارة بالعين وغيرها. يقال: لمز يلمز بضم العين وكسرها من المضارع، وقرىء بهما قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨] ورجل لمّاز ولمزة أي عيّاب والهمزة مثل اللمزة والهامز والهماز العياب. والهمز مثل اللهز الطعن يقال: همزه بالرمح طعنه في صدره، ولهز الفصيل أمه إذا ضربها برأسه عند الرضاع. والهمز كالهزم الكسر يقال: تهزم السقاء إذا يبس وتكسر، وهزمت الجيش هزمًا وهزيمة فانهزموا. كذا في الصحاح. وللمفسرين ألفاظ في تفسير اللفظين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الهمزة المغتاب واللمزة العياب. وقيل: الهمز الطعن باليد واللمز باللسان. وقيل: الهمز بالمواجهة

كان مغتابًا أو في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله ﷺ. ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير. ﴿وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾ وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى. ويؤيده أنه قرىء «وعدده» على فك الإدغام.

واللمز بظهر الغيب. وقيل: الهمز ما يكون جهرًا واللمز ما يكون سرابًا لحاجب والعين. وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله تعالى بالويل؟ فقال: هم المشّاؤون بالغيبة والنميمة المفرقون بين الأحبة الناعتون للناس بالعيب. وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب. فما ذكره المصنف خلاصة هذه الوجوه. فقوله تعالى: ﴿لمزة﴾ بدل من «همزة» والتاء فيهما للمبالغة في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال: رجل همزة لمزة كما يقال امرأة: همزة لمزة، وقد اطرد أن بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أي للمكثر المتعود لمأخذ الاشتقاق وإن أسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال: رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره، ولعنة بسكون العين إذا كان ملعونًا للناس يكثرون لعنه، ويقال: ضحكة بالسكون إذا كان الناس يضحكون منه بأن يكون مسخرة لهم. فمفتوح العين هو الذي يفعل بغيره وساكن العين هو الذي يفعل به غيره. **قوله:** (بدل من كل) أي ويل للذي جمع أو منصوب بإضمار أعني أو مرفوع بتقدير هو الذي جمع. وعلى التقادير هو وصف معنوي لكل من وصفه الله تعالى بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب للهمز واللمز من حيث إنه أعجب بنفسه لما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب لعز المرء وفضله، فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفًا نحويًا لكل لأنه نكرة والنكرة وإن تخصصت بالإضافة إلى النكرة لا يصح توصيفها بالموصولات.

قوله: (وجعله عدة) وهو الذخيرة المعدة لحوادث الدهر كالمال والسلاح يقال: أعددت الشيء لكذا وعددته له إذا جعلته عدة وذخيرة. **قوله:** (أو عده مرة بعد أخرى) على أن يكون عدد من العدد بمعنى الإحصاء إلا أنه نقل إلى بناء فعل لتكثير الفعل كما في جمع على قراءة التشديد فإنه يدل على كثرة الجمع، وتكرره بأن جمع من ههنا وههنا في أزمنة متعددة متطاولة. ويؤيد كون عدده بالتشديد مأخوذًا من العد بمعنى الإحصاء قراءة من قرأ و «عدده» بالتخفيف بإضافة لفظ العدد إلى ضمير المال ونصبه بالعطف على قوله: ﴿مالاً﴾ فالمعنى: الذي جمع مالاً وضبط عدده وأحصاه على أن يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكناية عن كثرته. وقيل: قوله: ﴿وعدده﴾ بفك الإدغام فعل اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعده فيكون معطوفًا على جمع. وعلى التقديرين تؤيد هذه القراءة كون

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ تركه خالدًا في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت، أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت، وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة ﴿كَلَّا﴾ ردع له على حسبانه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي ليطرحن ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ ما النار التي لها هذه الخاصية. ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ تفسير لها ﴿ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه. ﴿ٱلَّتِى

«عدده» بالتشديد مأخوذًا من العد لا من العدة. **قوله**: (تركه خالدًا في الدنيا) يعني أن قوله تعالى: ﴿أخلده﴾ ليس بمعنى يخلده كما قيل: إنه من قبيل قولهم: دخل فلان النار إذا أتى معصية والمعنى سيدخلها، وهلك فلان إذا حدث به سبب الهلاك من غير أن يقع هلاكه، بل لفظ «أخلده» هنا على أصل معناه. و «يحسب» يحتمل أن يكون حالاً من المنوي في جمع وأن يكون مستأنفًا لبيان سبب اهتمامه بجمع المال وعده، كأنه قيل: ما باله بجمع المال ويهتم به ويترك سبب الاستعداد لما بعد الموت؟ فقيل: إنه لزعمه أن بقاء الحياة والسلامة من الأمراض والآفات يدور على مراعاة الأسباب الظاهرة والتشبث بها يحسب حقيقة أن المال سبب خلوده في الدنيا، وأنه الذي تركه خالدًا فيها زاعمًا أنه كلما تأتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فأحبه كما يحب مسببه الذي هو الخلود في الدنيا فالحسبان على هذا حقيقة. ثم أشار إلى جواز أن يكون قوله تعالى: ﴿أيحسب أن ماله أخلده﴾ من قبيل الاستعارة التمثيلية بأن لا يكون الكلام فيمن يحسب حقيقة أن المال مخلد بل يكون فيمن يكون حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدًا فقال: «أو حب المال أغفله» الخ وتلك الحالة الشبيهة إما الغفلة عن الموت وعما بعده من قوارع الآخرة أو طول الأمل المسببان عن حب المال والاشتغال بجمعه وضبط عدده فإن كل واحدة من تينك الحالين شبيهة بحال من يحسب أن المال مخلده فيعمل عمل من لا يظن الموت. **قوله**: (وفيه تعريض) أي وفي قوله تعالى: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بأن المخلد في النعيم المقيم هو السعي للآخرة لأنه قد تقرر أنه ليس للإنسان إلا ما سعى، وإذا كان حب الدنيا والاهتمام بها مؤديًا إلى الويل والهلاك تعيّن أن المخلد في الحياة الأبدية والنعيم المقيم هو السعي للآخرة. **قوله**: (التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها) أي تكسره وتأكله ويقال للرجل الأكول: إنه لحطمة. وفي الحديث: «شر الرعاء الحطمة» وهو الذي من عادته أن يضرب ويكسر. وقد مر أن صيغة فعلة بفتح العين لمبالغة الفاعل جوزي الهمزة اللمزة بأن يلقى في الحطمة جزاء وفاقًا، فكما أن من شأن المطروح وعادته الطعن في الأعراض فكذا من شأن المطروح فيه أن يحطم ويكسر كل ما يطرح فيه. **قوله**: (وما أوقده لا يمكن غيره أن يطفئه)

تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها، وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البطن وأشده تألمًا، أو لأنه محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال القبيحة. ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته قال:

نحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء موصدة

وقرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمزة. ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ أي موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقطر التي يقطر فيها اللصوص. وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بضمتين. وقرىء «عمد» بسكون الميم مع ضم العين. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه».

يعني أن إضافة النار إليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها تتقد أبدًا وليست كسائر النار تتقد تارة وتخمد أخرى. **قوله**: (من أوصدت الباب) قد مر في سورة البلد أن آصدتها وأوصدتها لغتان بمعنى أطبقتها وأغلقتها، وأن الأول أفعل من مهموز الفاء مثل آمن والثاني أفعل من معتل الفاء مثل: أوعد يوعد، وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة فيها حتى يخلص إليهم منها روح ويخفف عنهم كرب. **قوله**: (تحن) أي تشتاق. والأجبال جمع جبل. وموصدة أي مطبقة مغلقة. **قوله**: (أي موثقين في أعمدة) يعني أن قوله تعالى: ﴿في عمد﴾ في محل النصب على أنه حال من الضمير المجرور في «عليهم» أي أن الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين في أعمدة. والعمد بفتحتين جمع كثرة لعمود البيت وكذا عمد بضمتين فإنه أيضًا جمع عمود كرسول ورسل، ويجوز أن يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب وجمع القلة أعمدة. والمقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المحبوسين يقال لها بالفارسية كنده وبالتركي طمرق. **قوله**: (يقطر فيها اللصوص) أي يجعلون فيها قطارًا كقطار الإبل. تمت سورة الهمزة والحمد لله رب العالمين.

سورة الفيل

مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)﴾ الخطاب للرسول وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها، ولذا قال:

سورة الفيل

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اختلفوا في تاريخ عام الفيل؛ فقيل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة. وقيل: بثلاث وعشرين سنة. وقيل: ولد عليه الصلاة والسلام بعد يوم الفيل بخمسين يومًا. والأكثرون على أن عام الفيل هو العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ. **قوله:** (وهو عليه الصلاة والسلام وإن لم يشهد تلك الواقعة) جواب عما يقال: ما وجه قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ مع أن الأصل في الرؤية أن تكون بصرية وأن يكون الاستفهام للتقرير؟ فيكون المعنى: قد رأيت وشاهدت مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده. وتقرير جوابه أن المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي العلم عبّر عنه بالرؤية لكونه علمًا ضروريًا مساويًا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان، وإنما قلنا: علم ضروري لأن طريق العلم بها الخبر المتواتر وهو يفيد علمًا ضروريًا لا سيما وقد تأيدت تلك الأخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة. روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى من الحجارة التي أهلك الله بها أصحاب الفيل

﴿كيف﴾ ولم يقل «ما» لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله ﷺ، فإنها من الإرهاصات إذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام. وقصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بني بيعة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك فحلف ليهد من الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى

عند أم هانىء نحو قفيز منها وهي مخططة بخمرة كالجزع الظفاري. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان. وكان عبد المطلب جد النبي ﷺ وأبو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة الأشرم حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه: صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز، فانحطا من الجبل فدخلا العسكر وإذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما. وهذا كله من آثار تلك الواقعة التي شاهدها رسول الله ﷺ فحصل له بذلك علم ضروري بما يؤدي إلى العيان فكأنه تعالى قال: ألم تعلم يا محمد بالأخبار المتواتر المؤيدة بمشاهدة الآثار علمًا يوازي العيان في الإيقان.

قوله: (لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة الخ) يعني أن الأشياء لها ذوات ولها هيئات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها. وكلمة «ما» تدل على الأولى و «كيف» على الثانية، والمقصود في هذا المقام ليس نفس تذكير ما فعل بهم من الإهلاك لأنه باعتبار نفسه لا يدل على كمال علمه تعالى وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله، وإنما يدل عليه باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الإهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات على ما يدل على نفس الذوات. **قوله**: (فإنها من الإرهاصات) بيان لوجه دلالتها على شرف نبيه عليه الصلاة والسلام. والإرهاصات هي الخارقة للعادة الجارية على يد نبي قبل بعثته وقبل التحدي، مأخوذ من الرهص بكسر الراء وهو الصف الأسفل من أحجار الحائط، فإنه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسًا للنبوة وتقدمه عليها كإظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا ﷺ قبل البعثة ودعوى النبوة، ومن هذا القبيل إهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الشرك وعبادة الأوثان إذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره من الرجس والأوثان ويدعو الناس إلى عبادة الرحمٰن، لأن تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك والعصيان بل لكونه بناء خليل الرحمٰن بناه لتأتي إليه الناس أفواجًا من

هرول. فأرسل الله طيرًا كل طير في منقاره حجر وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فرمتهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا

كل فج عميق طائفين وعاكفين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين، وقد جعله الله تعالى في علمه الأزلي مولد سيد المرسلين ومسكنه إلى أن هاجر منه بأمر رب العالمين ومهبط ما يوحى إليه وقبلة أمته إلى يوم القيامة، فكان لذلك عتيقًا عن استعلاء الظلمة عليه وتخريبهم إياه. فكان إهلاك أصحاب الفيل من جملة الإرهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه الصلاة والسلام فإن أبرهة لو سلط على مكة وسبى أهلها وقتلهم وخرب ما فيها من البيت لاختل ما قدره الله تعالى من الأمور المتعلقة بها. والشرم الشق يقال: شرمه أي شقه، وسمي أبرهة بن الصباح أشرم لأنه كان مشقوق الأنف والشفة، وسببه أن أباه ضربه بحربة فهشم أنفه وجبينه، أو سببه أن أرباطًا ضربه بالسيف فشرم أنفه وشفته فجاء غلام أبرهة من خلفه فقتله. وأصحمة اسم النجاشي ملك الحبشة وكان أصحمة قد لبث فيها زمان، ثم نازعه رجل من الحبشة إلى أرض اليمن فغلب عليها واستقر أمره فيها زمانًا، ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح فتفرقت الحبشة فرقتين: فكانت فرقة مع أرباط وفرقة مع أبرهة، فكان الأمر على ذلك إلى أن قتل أبرهة أرباطًا. واجتمعت الحبشة من أعوان أرباط لأبرهة وغلب على اليمن كلها وأقره النجاشي على عمله. ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أوان الموسم إلى مكة لحج البيت الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم يبنِ لملك مثلها وسمّاها القليس وأراد أن يصرف إليها حج العرب ووجوههم، فسمع بها رجل من كنانة فخرج إليها فدخلها ليلاً فقعد فيها إلى أن قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجترأ على هذا؟ فقيل: لعل ذلك فعل رجل من أهل مكة سمع بالذي قلت في حق البيت الذي يعظمونه. فحلف أبرهة عند ذلك ليهد من الكعبة. وقيل: أججت ـ أي أشعلت ـ رفقة من العرب نارًا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهد من الكعبة، فخرج بالحبشة ومعه **فيل** اسمه محمود وكان قويًا عظيمًا وثمانية أخر. وقيل: اثنا عشر. وقيل: ألف. فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة بينه وبين مكة ميل خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ أي هيأ جيشه وقدم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن وإلى سائر الجهات هرول أي أسرع في المشي. ثم إن أبرهة كان قد أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه في حق تلك المائتين من العير فعظم في عين أبرهة وكان رجلاً جسيمًا وسيمًا. وقيل له: هذا سيد قريش وصاحب عير مكة. فلما ذكر حاجته قال له أبرهة: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود أخذ منك. فقال: أنا رب الإبل وللبيت رب يمنعه. وأمر قريشًا أن يتفرقوا

جميعًا. وقرىء «ألم تر» جدًا في إظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ في تعطيل الكعبة وتخريبها. ﴿فِي تَضْلِيلٍ (٢)﴾ في تضييع وإبطال بأن دمرهم وعظم شأنها. ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣)﴾ جماعات

في الجبال والشعاب تخوفًا عليهم من مضرة الجيش ففعلوا. ثم خرج من عنده وأتى البيت وأخذ بحلقته وجعل يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا	**يا رب فامنع عنهمو حماكا**
إن عدو البيت قد عاداك	**فامنعهمو أن يخربوا قراكا**

فالتفت وهو يدعو وإذا بطير من نحو اليمن فقال: والله إنها لطير غريبة ما هي بجرية ولا بنجدية ولا تهامية. وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق وسهل. ودوى أبرهة أي أصابه داء ومرض فتساقطت أنامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه أي انشق صدره وخرج قلبه منه. وانفلت وزيره أبو مكتوم وطائر يحلق خلفه فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتًا بين يديه. أرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك قومه عيانًا كما سمع إخبارًا.

قوله: (وقرىء ألم تر) أي بسكون الراء جدًا في إظهار أثر الجازم فإن سقوط الألف يكفي في ظهور أثره وإسكان الراء بعد سقوط الألف جدًا في إظهار أثر الجازم، وهذا الجد إنما يليق بالشعر وكلام من أحوجته الضرورة إلى العدول عن العبارة الفصيحة ولا يليق بفصاحة القرآن. و«كيف» منصوب بقوله: «فعل» لا بقوله: «تر» لأن كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله. والكيد إرادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فإنهم كادوا للبيت أو لأبناء القليس وإرادة صرف وجوه الحاج إليه، فضلل كيدهم بإيقاد الحريق فيه. وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه فضلله بإرسال الطير عليهم. فإن قيل: إنما سماه كيد وهو كان لا يخفي ما أراده من المضرة بالبيت بل كان يصرح بأنه إنما يريد هدم البيت وتخريبه. فالجواب: أنه وإن كان يظهر أن مقصوده هدم البيت وإضراره انتقامًا ممن قعد في كنيسته إلا أن الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب. فإن أصل مقصوده من هدم البيت أن يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة إلى نفسه وإلى كنيسته وبلدته فكان هدمه كيدًا في حق العرب. **قوله تعالى:** (وأرسل) عطف على قوله: ﴿ألم يجعل﴾ لأن الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى: قد جعل ذلك وأرسل. وأبابيل صفة «لطيرًا» أي جماعات متفرقة

جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها. وقيل: لا واحد لها كعباديد وشماطيط.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾ وقرىء بالياء على تذكير الطير لأنه اسم جمع أو إسناده إلى ضمير «ربك». ﴿مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ من طين متحجر معرب سنك كل. وقيل: من السجل وهو الدلو الكبير أو الإسجال وهو الإرسال، أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون. ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ كورق زرع وقع فيه إلا كال وهو

لأنها كانت أفواجًا فوجًا بعد فوج يتبع بعضها بعضًا. قيل: أبابيل جمع لا واحد له يقال: جاء إبلك أبابيل أي فرقًا. و«ترميهم» صفة أخرى «لطيرا» أو حال منها لأنها قد تخصصت بالصفة. والطير اسم جنس أطلق ههنا على آحاد الجنس وجماعته، فمن قرأ «ترميهم» بالتاء نظر إلى كونه بمعنى الجماعة، ومن قرأ بالياء نظر إلى أنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث لكونه في تأويل الجماعة، أو اعتبر كون الفعل مسندًا إلى ضميره تعالى أي يرميهم الله.

قوله: (معرب سنك كل) ذكر في بيان أخذ السجيل أربعة أوجه: الأول أنه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سج وجيل، فالسج الحجر والجيل الطين أي ترميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين. والثاني أنه من السجل وهو الدلو الكبير الذي فيه ماء يقال: سجلت الماء سجلاً فانسجل أي صببته بالدلو فانصب، وقوله تعالى: ﴿حجارة من سجيل﴾ أي حجارة كائنة مما صبه الله تعالى من خزائن قهره. والثالث أنه من الأسجال أي الإرسال يقال: أسجلت البهيمة مع أمها إذا أرسلتها معها، وهذا جمل مسجل أي مطلق مرسل والمعنى: أن تلك الحجارة مما أرسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالإرسال كما في قوله تعالى: ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] والرابع أنه مأخوذ من السجل الذي هو الكتاب أخذ منه لفظ سجيل وجعل علمًا للديوان الذي كتب فيه أعمالهم فكأنه قيل: بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب في الكتاب المسمى سجيل.

قوله: (كورق زرع) كما نقل عن الفراء أنه قال: العصف بقل الزرع وكونه مأكولاً عبارة عن أن يقع فيه أكال فيفنيه ويخرجه عن أن ينتفع به. شبّه به أصحاب الفيل من حيث إنهم فنوا وضاعوا أو من حيث إن الحجارة التي أرسلت عليهم خرقتهم وأحدثت فيهم منافذ وشقوقًا كالزرع الذي أكله الدود، أو عبارة عن أن يؤكل حبه ويبقى تبنه فالمعنى: جعلهم كعصف مأكول الحب كما نقول: زيد حسن بمعنى حسن وجهه أجرى الحسن على زيد مع أنه حال وجهه اعتمادًا على ظهور المراد، شبهوا بزرع أكل حبه في ذهاب أرواحهم وبقاء

أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرًا منه أو كتبن أكله الدواب وراثته. قال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الفيل عافاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ».

أجسادهم. **قوله:** (أو كتبن) عطف على قوله: «كورق زرع» أي ويجوز أن يراد بالعطف التبن من حيث إنه تعصف به الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب من قولهم: الحرب تعصف بالقوم أي تذهب بالقوم، وتهلكهم وناقة عصوف أي سريعة السير تعصف براكبها فتمضي به، ويكون المراد بالتبن المأكول حينئذٍ التبن الذي أكله الدواب ثم ألقته روثًا فيبس وتفرقت أجزاؤه. شبّه به القوم في تقطع أوصالهم وتفرق أجزائهم وفيه مبالغة حسنة وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يجدي حتى جعلهم رجيعًا إلا أنه عبّر عن الرجيع بالمأكول على طريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم رعاية للأدب واستهجانًا لذكر الروث كما عبّر بقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] عما يلزم أكل الطعام من التبول والتغوط لذلك روي أنه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش في أعين الناس وقالوا: هم أهل الله تعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤونة دفع عدوهم، فكان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى. تمت سورة الفيل والحمد لله على كل حال.

سورة قريش

مكية وآيها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

....

سورة القريش

مــكيــة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قريش قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مصر، وكل من كان من ولد النضر فهو قرشي، دون ولد كنانة ومن فوقه، وربما قالوا: قريشي. والقرش دابة تكون في البحر من أعظم دوابه لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته. ويطلق القرش أيضًا على الكسب وعلى الجمع يقال: فلان يقرش لعياله أي يكسب فهو قارش، وقرشهم أي جمعهم، وتقرش القوم أي اجتمعوا. واختلفوا في سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشًا. فقيل: سموا بتصغير القرش الذي هو دابة عظيمة تكون في البحر. روي أن معاوية سأل ابن عباس رضي الله عنه لمَ سميت قريش قريشًا فقال: سموا باسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا يعلى عليها. أي تشبيههم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تترك ... فيه لذي الجناحين ريشا

....

هكذا في البلاد حيّ قريش يأكلون البلاد أكلاً كميشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهمو والخموشا

فتصغير قريش للتعظيم كما في قول الحباب بن المنذر:

أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب

يصف نفسه بالحذاقة في الأمور بحيث يرجع إليه في معضلات الأمور. والجذيل تصغير جذل وهو أصل حطب عظيم ينصب في المعاطن لتحتك به الإبل الجرباء. والعذيق تصغير العذق بالفتح وهو النخلة ذات الحمل، والترجيب أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها وربما يبني لها جدار تعتمد عليه لضعفها. وقيل: سميت قريشًا لأنهم كانوا كسابين بتجارتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا أهل زرع ولا ضرع، فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب تصغير قارش، والقياس أن يقال: قويرش غير أنه رخم وصغر كقولهم: حريث في تصغير حارث، وقيل: إنه مأخوذ من القرش بمعنى الجمع فإنهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنًا لهم فسموا قريشًا لذلك أي لتجمعهم في الحرم وسمي قصي مجمعًا شعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعًا به جمع الله القبائل من فهر

وقرأ ابن عامر «لئلاف قريش» بغير ياء قبل اللام الثانية، والباقون «لإيلاف» بياء قبلها، وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو إيلافهم. واختلاف القراء في سقوط الياء وثبوتها في الأصل مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا دليل على أنهم إنما يتبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط والرسم. أما قراءة ابن عامر ففيها وجهان: الأول أنه مصدر ألف الثلاثي يقال: ألفته إلافًا نحو كتبته كتابًا، ويقال: ألفت الشيء إلافًا وألفًا. وقد جمع الشاعر بينهما في قوله:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

والثاني أنه مصدر آلف رباعيًا نحو: قاتل قتالاً فمعنى ألاف قريش إلفة قريش رحلة الشتاء. وأما على قراءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعي. ثم قيل: الإيلاف هو الإلف بناء على أن أهل اللغة قالوا: ألفت الشيء وآلفته ألفًا وإيلافًا بمعنى واحد أي لزمته

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: ٣]

ودمت عليه، فمعنى الآية: لإلف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم إياهما وثباتهم عليهما بحيث إذا فرغوا من إحداهما أخذوا في الأخرى وبالعكس. والظاهر على هذا المعنى أن تكون اللام في قوله تعالى: ﴿لإيلاف﴾ متعلقة بما قبلها والتقدير: فعل ربك بأصحاب الفيل ما فعل من تضليل كيدهم وتضييعه وإرسال الطير الأبابيل عليهم وجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش بالرحلتين وبقائهم عليهما. فإنه لو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة وتخريبها لما أمكن لهم أن يثبتوا على ما ألفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما انتظام أمر معاشهم، فإن أهل مكة ليس لهم زرع ولا ضرع فليس لهم طريق معاش سوى التجارة، وأنها إنما تتأتى لهم بسبب أن ملوك تلك النواحي كانوا يعظمونهم ويقولون: هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه، فكانوا بذلك آمنين في أسفارهم لا يتخطفون ولا يتعرض لهم في نفوسهم ولا في أموالهم. فلو لم يفعل الله تعالى بأصحاب الفيل ما فعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن أهل مكة هذا العز والشرف، وانقطع عنهم تعظيم الملوك واحترامهم إياهم، ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يتخطفون من كل جانب بسلب أموالهم وقتل نفوسهم. فلما أهلك الله تعالى أصحاب الفيل ازداد رفع قدر أهل مكة وهيبتهم في القلوب فاستمروا وداموا على ما ألفوا به من رحلتهم في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام. والظاهر أن الإيلاف ليس بمعنى الإلف بل همزة آلف إنما زيدت لتعدية الفعل منه إلى المفعولين والأصل ألفت الشيء وآلفته غيري بمعنى لزمته وألزمته غيري، كأنه تعالى قال: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل لنؤلف قريشًا رحلتيها ولنبقيهم على ما ألفوا به. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان السبب في الفهم بالرحلتين أن قريشًا كانوا إذا أصاب واحدًا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وجنوا على أنفسهم جناية حتى يموتوا، وكانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبًا في قريش فقال: إنكم أحدثتم حدثًا تغلون فيه وتزلون، وأنتم أهل حرم الله تعالى وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع. قالوا: نحن نتبع لك فليس عليك منا خلاف. فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، لأن بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام رطب باردة، ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الفتى منهم قسمه بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم. فجاء الإسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب ﷺ أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش حتى قيل فيهم:

الحافظون فقيرهم بغنيهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي

والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجله. ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾ أي الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون، أو بمحذوف مثل أعجبوا، أو بما قبله كالتضمين في الشعر أي جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش.

قوله تعالى: (إيلافهم) بدل من الأول وانتصاب «رحلة» على أنه مفعول به للمصدر كما نصب ﴿يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٥] بقوله: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾ [البلد: ١٤] فيكون الإيلاف مصدرًا من المبني للمفعول مضافًا إلى مفعوله الأول، وأطلق عن مفعوله الثاني حيث لم يقيد بتعلقه به. ثم جعل المقيد به بدلاً من ذلك المطلق تفخيمًا لأمر الإيلاف وتذكيرًا لعظم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة كما تقول: عجبت من إحسانك إحسانك إلى زيد. **قوله:** (والفاء لما في الكلام من معنى الشرط) جواب عما يقال: كون اللام متعلقة بقوله: «فليعبدوا» يستلزم أن يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له. وتقرير الجواب: أن قوله: «فليعبدوا» مع ما في حيزه جواب شرط محذوف. غاية ما في الباب أنه قدم عليه معموله لإفادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة ولفظًا. والرحلة بكسر الراء الارتحال، وبالضم الجهة التي يرتحل إليها. وأصل الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية، ثم استعمل في كل سير وارتحال. **قوله:** (فيمتارون) أي يحملون الميرة وهي الطعام. **قوله:** (أو بمحذوف) أي ويجوز أن لا تكون اللام متعلقة بقوله: «فليعبدوا» بأن تكون متعلقة بمحذوف مثل أعجبوا. قال الإمام محيي السنة في تفسيره حاكيًا عن الكسائي والأخفش: اللام في قوله تعالى: «لإيلاف» هي لام التعجب كأنه قيل: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت! ثم أمرهم بعبادته فقال: ﴿فليعبدوا﴾ وهذا كما تقول لزيد: وإكرامنا إياه! على وجه التعجب أي اعجبوا لزيد. والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفت بها دليلاً على التعجب من غير إظهار فعل التعجب. إلى هنا كلامه. ووجه التعجب أنه تعالى سهل لهم طريق معاشهم وحفظهم في أسفارهم إلى مواضع تجاراتهم من أن يتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين مع إصرارهم على الشرك وعبادة الأوثان، والظاهر على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: ﴿فليعبدوا﴾ معطوفًا على مقدر أي لينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا. **قوله:** (كالتضمين في الشعر) وهو أن يتعلق معنى البيت بالبيت الذي قبله تعلقًا لا يصح المعنى إلا به، وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لأن المعمول يتوقف في تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به، فإن قيل: تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين، فإن حق كل سورة أن تكون مستقلة بنفسها، ولا يتعلق ما في أحد السورتين بما في الأخرى فكيف جاز أن تتعلق هذه اللام بما في السورة المتقدمة؟ قلنا: السؤال ساقط على مذهب من يقول: إنهما سورة واحدة

ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة. وقرىء «لإلاف قريش إيلافهم» وقرىء «ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء». وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار شبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى. وصغر الاسم للتعظيم وإطلاق الإيلاف ثم إبدال المقيد منه للتفخيم.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ بالرحلتين والتنكير للتعظيم. وقيل: المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام. ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ خوف أصحاب الفيل أو التخطف في بلدهم ومسايرهم، أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. قال عليه السلام: «من قرأ سورة لإيلاف أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها».

احتجاجًا بما روي أن أبي بن كعب جعلهما سورة واحدة في مصحفه، وبما روي أن عمر رضي الله عنه قرأ في الركعة الأولى من صلاة المغرب بسورة و«التين» وفي الثانية «ألم تر» و«لإيلاف قريش» من غير أن يفصل بينهما بقوله: «بسم الله الرحمٰن الرحيم». وأما على ما ذهب إليه الأكثرون وهو أن تكون كل واحد منهما سورة منفصلة عن الأخرى، فوجه سقوطه على مذهبهم أن تعلق أول هذه السورة بما قبلها لا ينافي استقلالها عن الأولى لأن القرآن كله كالسورة الواحدة أو كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضًا ويبين بعضها بعضًا. وقولهم: إن أبيًا رضي الله عنه لم يفصل بينهما معارض بإطباق الكل على الفصل بينهما.

قوله: (وقرىء ليألف قريش إلفهم) على لفظ أمر الغائب باللام. **قوله:** (بالرحلتين) إشارة إلى أن المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حملهم هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التي أصابتهم بدعوة رسول الله ﷺ حين كذبوه وهي قوله: «اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فاشتد عليهم القحط حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة فقالوا: يا محمد ادع لنا فإنا مؤمنون. فدعا رسول الله ﷺ لهم فأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط. وهذا الإطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله ﷺ: و«من» على بابها أي أطعمهم من أجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين. وقيل: بمعنى بعد أي أطعمهم بعد الجوع الذي أصابهم. عن سيبويه قال: الفرق بين «عن» و«من» أن «عن» تقتضي حصول جوع قد زال بالإطعام و«من» تقتضي المنع من مخافة الجوع، والمعنى على هذا: أطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف. فتكون «من» لابتداء الغاية والمعنى: أطعمهم من بدء جوعهم قبل لحاقه إياهم وآمنهم من بدء خوفهم قبل اللحاق.

سورة الماعون

مختلف فيها وآيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام معناه التعجب. وقرىء «أريت» بلا همزة إلحاقًا بالمضارع ولعل تصدره بحرف الاستفهام سهل أمرها، وأرأيتك بزيادة الكاف. ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ بالجزاء أو الإسلام والذي يحتمل الجنس والعهد.

سورة الماعون

مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قوله: (استفهام معناه التعجب) يعني انه وإن كان في صورة الاستفهام إلا أنه يقصد به المبالغة في التعجب. يقال: أرأيت فلانًا ماذا قال ولماذا عرض نفسه. ثم قيل: إنه خطاب للرسول ﷺ. وقيل: هو خطاب لكل عاقل. و«رأيت» هنا يجوز أن تكون من رؤية البصر وأن تكون بمعنى عرفت، كأنه قيل: أبصرت المكذب أو أعرفته، وأن تكون بمعنى العلم فتكون بمعنى أخبرني، فتتعدى إلى اثنين: الأول الموصوف والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو، وقدره القرطبي أمصيب هو أم مخطىء. والمعنى: أرأيت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح براهينه أيفعل ذلك لا لغرض فكيف يجترىء العاقل على أن يلقي نفسه في العقوبة الأبدية من غير غرض أو لأجل الدنيا فكيف يجترىء العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعًا في اللذة اليسيرة الفانية. **قوله:** (سهل أمرها) أي أمر هذه القراءة يعني

....

أن وقوع حرف الاستفهام في أول الكلمة جعل أمر حذف همزة سهلاً يسيرًا مع كونه مخالفًا للقياس والاستعمال، فإن «ريت» في «رأيت» لم يسمع من العرب. ووجه التسهيل أن الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لأن في الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك مع أن وقوع الهمزة أو الكلام أوجب ثقل وقوع همزة أخرى بعدها فسهل أمر حذفها لذلك أيضًا. وحذفها في الآية أسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو قوله:

صاح هل ريت أو سمعت براع روث الضرع ما قرى في العلاب

لأن البيت وإن كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس بهمزة، فلو لم تحذف همزة «رأيت» لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية. وقوله: «صاح» أصله يا صاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح. قوله: «ما قرى» أي ما جمع يقال: قريت الماء في الحوض أي جمعت. والعلبة ما يحلب فيه من جلد أو خشب وجمعه علب وعلاب. **قوله:** (بزيادة الكاف) الضمير المرفوع في أرأيتك هو التاء والكاف إنما زيدت لتدل على أحوال المخاطب تقول: أرأيتك زيد أو أرأيتكما زيد أو أرأيتكم زيدًا بمعنى أخبر زيدًا وأخبر أو أخبروا. **قوله:** (بالجزاء أو الإسلام) فإن الدين يستعمل بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وبمعنى الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] وتكذيب الإسلام كما يكون بتكذيب الصانع والنبوة والمعاد يكون أيضًا بإنكار شيء من الشرائع. **قوله:** (والذي يحتمل الجنس) أي جنس من كان مكذبًا بالدين أي شخص كان. ويحتمل العهد أيضًا حتى قيل إنها نزلت في أبي سفيان كان ينحر جزورين في كل أسبوع فأتاه يتيم فسأله لحمًا فقرعه بعصاه. وقيل: نزلت في العاص بن وائل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والإتيان بالأفعال القبيحة، جعل علم تكذيبه بالجزاء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على إطفاء نائرة الجوع عن المحتاجين. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وقيل: نزلت في أبي جهل. روي أنه كان وصيًا ليتيم فجاءه عريانًا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي، فقال له أكابر قريش: قل لمحمد ﷺ يشفع لك. وكان غرضهم الاستهزاء به ولم يعرف اليتيم ذلك، فجاء إلى النبي ﷺ والتمس منه ذلك وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجًا، فذهب معه إلى أبي جهل فقام أبو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم. فعيّره قريش وقالوا: أصبوت؟ قال: لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن شماله حربة خفت إن لم أجبه

ويؤيد الثاني قوله: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ يدفع دفعًا عنيفًا. وهو أبو جهل كان وصيًا ليتيم فجاء عريانًا يسأله من مال نفسه فدفعه، أو أبو سفيان نحر جزورًا فسأله يتيم لحمًا فقرعه بعصاه، أو الوليد بن المغيرة، أو منافق بخيل. وقرىء «يدع» أي يترك.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أهله وغيرهم. ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على «يكذب» بالفاء. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ غافلون غير مبالين بها. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها. ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ الزكاة أو ما يتعاور في العادة. والفاء جزائية. والمعنى: إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للندم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع

يطعنها فيّ. والدع الدفع بعنف وجفوة وأذى قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

قوله: (ولا يحض أهله وغيرهم) يعني أن مفعول «يحض» محذوف والمعنى: أنه لا يحض نفسه ولا يأمر به غيره. ولا بد أيضًا من تقدير المضاف إلى طعام أي لا يحث غيره على إطعام طعام المسكين لتكذيبه بالدين فإنه لو اعتقد بالبعث والجزاء لسارع إلى ما يؤدي إلى سعادة الآخرة بمباشرته بنفسه ودلالة غيره عليه، وأضيف الطعام إلى المسكين للإشعار بأن ذلك حق المسكين وبأنه لم يمنع عن المسكين إلا ما هو حقه، وذلك نهاية البخل وخساسة الطبع. فإن عدم مواساة الأيتام والمساكين وترك قضاء حوائجهم الضرورية، وكذا عدم حث غيره على مواساتهم وإعانتهم وإن لم يكن في نفسه إثمًا وحرامًا لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه من حيث إن السبب في ذلك كله هو التكذيب بالجزاء، فلذلك رتب قوله: ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ على قوله: ﴿يكذب بالدين﴾ بالفاء السببية للإيذان بأن دع اليتيم وعدم حث غيره على قضاء حاجة المضطرين سببه التكذيب بالجزاء. وجعل الزمخشري قوله تعالى: «فذلك» جواب شرط محذوف والتقدير: إن لم تعلم ذلك الذي يكذب بالدين وأردت أن تعرفه فاعلم أنه ذلك الذي يكذب بالجزاء وهو الذي يدع اليتيم.
قوله: (يرون الناس أعمالهم) بيان معنى المفاعلة في قوله: ﴿يراءون﴾ فإنه مفاعلة من الإراءة فالمرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب فإن قيل: ما الفرق بين أن يقال: عن صلاتهم وبين أن يقال: في صلاتهم؟ وما الحكمة في اختيار العبارة الأولى على الثانية؟ فالجواب أن العبارة الثانية إنما تقال إذا كان الإنسان شارعًا في الصلاة خالصًا لوجه الله تعالى

الزكاة التي هي قنطرة الإسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليها الويل، أو للسببية على معنى فويل لهم، وإنما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديًا».

ومتذللاً بين يديه بالتضرع والابتهال، ولكنه يعبّر به عن السهو والغفلة في إتيانها بوسوسة الشيطان أو بحديث النفس وذلك لا يخلو عنه البشر. ومعنى السهو عن الصلاة الغفلة عن أداء الصلاة على ما هي فيؤدي ذلك إلى عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها برعاية شروطها وأركانها وأوقاتها وسننها وآدابها فيقوم وينحط ولا يدري ما يفعل، وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لأنه استهزاء بالدين، فثبت أن السهو في الصلاة من أفعال المؤمن لأنه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من أفعال الكافر، فإنه وإن باشرها صورة لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته. عن أنس رضي الله عنه قال: الحمد لله على أنه لم يقل: في صلاتهم لأن السهو فيها قد يعتري بوسوسة الشيطان وحديث النفس، وذلك لا يكاد يخلو عنه مسلم. وكان عليه الصلاة والسلام يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره. **قوله:** (أو للسببية) أي للدلالة على أن ما وصف به المكذب بالدين من دع اليتيم وترك حث غيره على الخير سبب للدعاء عليه بالويل، والظاهر على هذا أن يقال: فويل لهم إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق. وذهب كثير من الصحابة والتابعين إلى أن المراد من الماعون في الآية الزكاة ويؤيده أنه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة، وما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من قرأ سورة الماعون غفر له إن كان للزكاة مؤديًا» فإن كل واحد منهما يدل على أن المراد بالماعون الزكاة. وذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالماعون اسم لما لا يمنع في العادة ويسأله الغني والفقير وينسب مانعه إلى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح، فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكاة ماعونًا لأنها ربع العشر وهو قليل من كثير، والمقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة فإن البخل بها في غاية الدناءة ونهاية الخساسة والخباثة. ومن أوصاف المنافقين قال الله تعالى في حقهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء: ٣٧] وقال: ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٢] قال العلماء: ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزلة ما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على اتخاذ ما يهمه فقط.

سورة الكوثر

مكية وآيها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ وقرىء «أنطيناك» ﴿ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين. وروي عنه عليه السلام: «أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد حافتاه الزبرجد، وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه». وقيل: حوض فيها. وقيل: أولاده أو

سورة الكوثر

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله تعالى: (إنّا) أصله «إننا» فحذفت إحدى النونات كراهة اجتماع الأمثال. والإنطاء الإعطاء بلغة أهل اليمن. قال أهل اللغة: الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل، والعرب تسمي كل شيء كثير العدد أو كثير القدر والخطر كوثرًا، فهو بناء يفيد المبالغة في الكثرة والإفراط فيها. قيل لأعرابية رجعت ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر أي بالعدد الكثير من الخير. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو الخير الكثير. **قوله:** (وقيل) يعني أن المفسرين ذكروا في تفسير الكوثر أقوالاً كثيرة منها: أن المراد بالكوثر أولاده عليه الصلاة والسلام ويدل عليه أن هذه السورة نزلت ردًا على من قال في حقه عليه الصلاة والسلام: إنه أبتر ليس له من يقوم مقامه، قال ذلك لما مات ابنه القاسم وعبد الله

أتباعه أو علماء أمته أو القرآن. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فدم على الصلاة خالصًا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرًا لإنعامه فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر. ﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾

بمكة وهما ابناه عليه الصلاة والسلام من خديجة رضي الله عنها، ومات إبراهيم بالمدينة فوعد الله تعالى في أول السورة أن يعطيه نسلاً يبقون على ممر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم إن العالم ممتلىء منهم والحمد لله، ثم قال في آخر السورة: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وقيل الكوثر أتباعه وأشياعه إلى يوم القيامة، ولا شك أن له من الأتباع ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل. وقيل: الكوثر علماء أمته وهو لعمري الخير الكثير لأنهم كأنبياء بني إسرائيل وأنهم يدعون عباد الله إلى اتباع ما شرع لهم من إتيان ما يسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الأنبياء عليهم السلام. روي أن اتباع علماء هذه الأمة تكثر على اتباع كثير من الأنبياء. وقيل: إنه يجاء يوم القيامة بالرسل والأنبياء ويتبعهم أممهم فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان، ويجاء بكل عالم من علماء أمته ومعه الألوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول ﷺ فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء على عدد متبعي ألف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وذكر في الطبقات الحنفية أنه روي عن أبي حنيفة رحمه الله أن نقلة مذهبه من الشيوخ وأكابر العلماء نحو من أربعة آلاف نفر فضلاً عمن اقتدى به واهتدى باتباعه. وقس عليه سائر الأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين، فكل ذلك خير كثير له ﷺ. وقيل: الكوثر القرآن وفضائله لا تحصى. ولعل المصنف إنما لم يرض بهذه الأقوال لأن الكوثر الذي هو الخير الكثير يتناول جميع ما أنعم الله تعالى به عليه عليه الصلاة والسلام، وليس حمله على البعض أولى من حمله على الباقي فيجب إبقاؤه على ما يعم خيري الدنيا والآخرة لأن حمله على البعض تخصيص من غير مخصص. ثم إنه تعالى لما ذكر رسوله وما أنعم به عليه من الخير الكثير أمره بشكر تلك النعمة العظيمة فقال: ﴿فصل لربك وانحر﴾ بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية أي إذا تقرر عندك ما فضلت به من الكوثر فدم على الصلاة الجامعة لأنواع العبادة. **قوله:** (خلاف الساهي عنها المرائي فيها) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فصل﴾ مقابل لقوله في السورة المتقدمة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] وقوله: ﴿لربك﴾ مقابل لقوله فيها: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٦]. **قوله:** (شكرًا لإنعامه) أي لإنعامه عليه بقوله: دم على الصلاة فإن كثرة الإنعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم. فكأنه قيل: إنا أعطيناك الكوثر فدم على الشكر فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر وهي ثلاثة: الأول الشكر بالقلب وهو أن يعتقد أن تلك النعم منه تعالى أنعم بها عليه تفضلاً وكرمًا، والثاني الشكر باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثني عليه بما هو أهله، والثالث الشكر بالجوارح وهو أن يخدمه ويتواضع له بالطرق

البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافًا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون. فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ إن من أبغضك لبغضه لك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر، وأما أنت فيبقي ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر».

التي بينها الشارع. والصلاة جامعة لهذه الأقسام كلها. **قوله:** (خلافًا لمن يدعهم) يعني أن قوله تعالى: ﴿وانحر﴾ مقابل لما ذكر من أوصاف المنافقين بقوله: ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] فإن ذبح البدن التي هي خيار الأموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم. **قوله:** (إن من أبغضك) يعني أن الشانىء بمعنى المبغض الذي هو ضد المحب يقال: شنأته شنأ وشنآنا بفتح النون وسكونها أي أبغضته، فالمعنى: أن من أبغضك أي من لا يحبك بل يعاديك لمخالفتك له هو الأبتر لبغضه لك، فقوله: «لبغضه لك» علة لكون الشانىء هو الأبتر فإنه يفيد كون بغضه علة لكونه أبتر أي مقطوع العقب. روي أن عامر بن وائل كان يمر بالنبي ﷺ ويقول: إني لأشنؤك وإنك الأبتر من الرجال. فنزلت. تمت سورة الكوثر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الكافرين

مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١)﴾ يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي أن رهطًا من قريش قالوا: يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك. فنزلت.

سورة الكافرين

مكية ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان أي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (يعني كفرة مخصوصين) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: سبب نزول هذه السورة أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وإياك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيرًا مما بأيدينا كنا قد شركناك وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا من الذي بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه. فأنزل الله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ونزل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] فعدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك. فالألف واللام في قوله تعالى: ﴿الكافرون﴾ وإن كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لأي إلا أن ما فيه من التعريف للإشارة إلى المعهود بقرينة سبب النزول، ولأن قوله تعالى: ﴿لا

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ أي فيما يستقبل فإن لا لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن «ما» لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال. ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ أي فيما يستقبل لأنه في قران «لا أعبد».

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ أي في الحال أو فيما سلف. ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ أي وما عبدتم في وقت ما أنا عابده. ويجوز أن تكونا تأكيدين على طريقة أبلغ. وإنما لم يقل: ما عبدت ليطابق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل المبعث

أعبد ما تعبدون﴾ **لا يجوز أن يكون خطابًا مع كل الكفرة لأن فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى ولا يجوز أن يقال لهم:** ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ **ولا يجوز أيضًا أن يكون قوله:** ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ **خطابًا مع الكل لأن في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى. فعلمنا بهذه القرينة أن الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق في علمه تعالى أنهم سيموتون أو سيقتلون على كفرهم. قوله: (فإن لا لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال) لا أنها لا تدخل أبدًا إلا على المضارع الموصوف، فإن «لا» قد تدخل على الماضي بشرط التكرير نحو قوله تعالى:** ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] **وقد تدخل على الاسم كقوله تعالى:** ﴿ولا أنتم عابدون﴾ **وكذا قوله: «كما أن «ما» لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال» فإن معناه أنها إذا دخلت على المضارع يكون المضارع بمعنى الحال. فمعنى القرينة الأولى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم لما ذكره من أن المضارع المصدر بكلمة «لا» يكون للاستقبال، ومعنى القرينة الثانية ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلٰهي، لأن اسم الفاعل وإن كان صالحًا للحال والاستقبال إلا أنه ههنا للاستقبال لوقوعه في مقابلة** ﴿لا أعبد﴾. **ثم إنهم اختلفوا في أن القرينة الثالثة هل هي تأكيد للأولى أو لا؟ وكذا الرابعة هل هي تأكيد للثانية أو لا؟ واختار المصنف أن كل قرينة من القرينتين الأخيرتين لإفادة معنى على حدة بأن جعل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الأخرى، فحمل القرينة الأولى على الاستقبال بشهادة كلمة «لا» وحمل القرينة الثالثة على الحال أو الماضي، فكان المعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه من عبادة الأصنام ولست في الحال أو في الماضي بعابد لما عبدتم من الأصنام، وحمل القرينة الثانية وهي قوله:** ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ **على الاستقبال لوقوعها في مقابلة الأولى، وحمل القرينة الرابعة على استغراق النفي وشموله لجميع الأزمنة بناء على أن الجملة الاسمية تفيد الدوام وإذا دخل عليها حرف النفي تفيد دوام النفي. ثم قال: «ويجوز أن تكونا تأكيدين على طريقة أبلغ» أي ويجوز أن تكون القرينة الثالثة تأكيدًا للأولى على طريقة أبلغ لأن القرينة الأولى لنفي الاستقبال، والثالثة تفيد دوام النفي في جميع الأزمنة كما عرفته فتفيد ما أفادته**

بعبادة الأصنام، وهو لم يكن حينئذٍ موسومًا بعبادة الله تعالى. وإنما قال: «ما» دون «من» لأن المراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، أو للمطابقة وقيل: «ما»

الأولى مع زيادة فكانت تأكيدًا لها على طريقة أبلغ. وكذا القرينة الرابعة يجوز أن تكون تأكيدًا للثانية على أبلغ وجه لأن الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفي فتكون أبلغ منها، والفائدة على تقدير أن تحمل القرينتان على التأكيد قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار بأنهم يموتون على الكفر ولا يسلمون أبدًا. ويرد على تجويزه أن يكون قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابد﴾ محمولاً على الماضي كما أشار إليه بقوله: «أو فيما سلف» أن عابدًا اسم فاعل وهو لا يعمل إلا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، فكيف يصح أن يعمل في قوله: ﴿ما عبدتم﴾ وهو بمعنى الماضي؟ إلا أن يقال: إعماله مبني على كونه بمعنى حكاية الحال الماضية كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] ونحوهما وهو لا ينافي كون مدلوله واقعًا في الماضي في نفس الأمر. **قوله: (وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن موسومًا بعبادة الله تعالى)** أي قبل البعثة لأن العبادة عبارة عن أعمال الجوارح الواقعة امتثالاً لأمر الله تعالى وقصدًا لتعظيمه، وما وقع منه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة من توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بحال ذاته ومن مناسك الحج وأفعاله على حسب ما تواتر من مشاعر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإن كان عبادة بمعنى المعرفة والإيقان بالحق إلا أنه ليس بعبادة بالمعنى المذكور لأنه يجب كونها مسبوقة بأمر الشارع ومأمورًا بها من قبله ولا أمر قبل البعثة، ولأن الشرائع السابقة على شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام صارت منسوخة بشريعة عيسى. وأما شريعة عيسى فقد صارت منقطعة بسبب أن الناقلين عنه هم النصارى وهم كفار قبل بعثة رسولنا ﷺ بسبب قولهم بالتثليث، والذين بقوا على التوحيد قلوا غاية القلة وتفرقوا في البلدان فلم يكن قولهم حجة شرعية، فثبت انقطاع شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام. فما وقع بعد انقطاعها لا يكون على طريق الامتثال للشرع فلم يكن عليه الصلاة والسلام قبل البعثة موسومًا بعبادة الله تعالى، فلذلك لم يكن نظم الآية ﴿ولا أنتم عابدون﴾ ما عبدت وإن كان هو المطابق لقوله: ﴿ما عبدتم﴾.

قوله: (وإنما قال ما دون من) جواب عما يقال: المراد بقوله: ﴿ما أعبد﴾ في القرينة الثانية والرابعة هو الله تعالى فكيف عبّر عنه بكلمة «ما» والأصل فيها أن لا تطلق على أولي العلم إذا أريد بهم نفس ذواتهم؟ وأما إذا أريد أن يعبّر عنهم بما يدل على غاية التعظيم والتحقير فحينئذٍ يعبر عنهم بكلمة «ما» فإن «ما» الموصولة لا تستعمل في ذي العلم إلا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقوله: سبحان ما سخركن لنا، أي سبحان العظيم الشأن

مصدرية. وقيل: الأوليان بمعنى الذي والأخريان مصدريتان. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه لا تتركونه. ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ الذي أنا عليه لا أرفضه فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخًا بآية القتال، اللهم إلا إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من

الذي سخر أمثالكن لنا، فكذا معنى الآية: ﴿ولا أنتم عابدون﴾ **الإله العظيم الشأن الذي لا يستحق العبادة غيره. ولما حمل ما في** ﴿ما أعبد﴾ **على المعبود بالحق حمل. قوله تعالى:** ﴿ما عبدتم﴾ ﴿وما تعبدون﴾ **على الباطل تحقيقًا للتقابل. والثاني أنه لما عبّر عن المعبودات الباطلة بـ «ما» على الأصل عبّر عن المعبود الحق أيضًا بها للمقابلة والمشاكلة، فإن رعاية المقابلة تحسن ما لا يحسن حال الانفراد. ثم أشار إلى جواب ثالث بقوله: «وقيل «ما» مصدرية» ومحصوله أنه إنما يحتاج إلى الاعتذار بأحد الوجهين: أن لو كانت «ما» موصولة وليست كذلك بل هي مصدرية والمعنى: لا أعبد عبادتكم أي مثل عبادتكم، ولا بد من هذا التقدير لأن الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله فكذا الكلام في أخواتها.**
قوله: (وقيل الأوليان بمعنى الذي) فالمعنى لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، ولا أنتم تعبدون الله الذي أعبده، والأخريان مصدريتان والمعنى: ولا أنا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك والتقليد، ولا أنتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين والبرهان. والظاهر أن مقصود القائل بحمل هذه القرائن الأربع على التأسيس بيان التغاير بينها بهذا الوجه، ولا دخل له في الجواب إذ لا تعرض لوجه التعبير عنه تعالى بكلمة «ما» في القرينة الثانية وإنما أخره إلى هنا من حيث إن له تعلقًا بهذا المقام أيضًا. **قوله:** (فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد) جواب عما يقال: كيف أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم: ﴿لكم دينكم﴾ وهو إذن لهم في الكفر وقد بعث عليه الصلاة والسلام للمنع عن الكفر؟ وأيضًا أنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بأن يأذن لهم في الكفر والثبات عليه لزم أن يكون ممنوعًا عن الجهاد وهو عليه الصلاة والسلام مأمور به. وتقرير الجواب أن قوله تعالى: ﴿لكم دينكم﴾ لما كان معناه أنكم لا تتركونه أبدًا فلا يفارق ذلك عنكم، كان ذلك فذلكة لقوله تعالى: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ وبيانًا لمحصل معناه فليس فيه إذن في الكفر بل هو تقريع وذم لهم بالإصرار على الكفر والضلال ولا منع عن الجهاد أيضًا. وقيل: هذه السورة نزلت قبل الأمر بالجهاد فهي منسوخة بآية القتال، وإن فسر الدين بالحساب كان المعنى: لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع إلى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة فالأمر ظاهر، وكذا إن فسر بالجزاء. وقد **يستعمل الدين بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى:** ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **[غافر: ١٤]** وإن فسر الدين بالدعاء يكون معنى قوله: ﴿لكم دينكم﴾ **إن دعاكم لا يسمع ولا يقبل وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي عن طريق قبول الله تعالى إياه ولا تقبله الأصنام أيضًا لقوله**

الفريقين الآخر على دينه. قد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك».

سورة النصر

مدنية وآيها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ إظهاره إياك على أعدائك ﴿وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فتح مكة.

تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: ١٤] وإنما يقبل ويستجاب دعاء من آمن بالله تعالى واتبع سبيله كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الشورى: ٢٦] ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]. **قوله:** (والعبادة) لعله تصحيف من الناسخين والعبارة الفصيحة العادة، فإن الدين قد يستعمل بمعنى العادة والشأن والمعنى: لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم من الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة ومن الوحي، ثم يجزي كل واحد مني ومنكم على حسب عادته فألقي الملائكة والجنة وتلقون الشياطين والنار، إذ لا وجه لإطلاق لفظ العبادة على إعمال المشركين إلا أن يقال: أطلق عليها الدين والطاعة لوقوعها في صحبة قوله: ﴿ولي دين﴾ والمشاكلة من صنائع أهل البلاغة. والله أعلم. تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين.

سورة النصر

مكية وقيل مدنية فإنه روي أنه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها سنتين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (إظهاره إياك) **يعني أن نصر الله مصدر مضاف إلى فاعله ومفعوله محذوف للعلم**

وقيل: المراد جنس نصر الله للمؤمنين فتح مكة وسائر البلاد عليهم. وإنما عبّر عن الحصول بالمجيء تجوزًا للإشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئًا فشيئًا وقد قرب النصر من وقته فكن

به أي نصر الله إياك، وأن المراد بنصره تعالى إياه عليه الصلاة والسلام إظهاره وجعله غالبًا على أعدائه من قريش وسائر العرب، يقال: ظهرت على فلان إذا غلبت عليه. وكذا الفتح فإنه مصدر أيضًا وما فيه من حرف التعريف عوض عن الإضافة ومفعوله محذوف وهو مكة، فإن فتحها هو الذي يقال له فتح الفتوح والتقدير: وفتح مكة. وجواب «إذا» وعامله هو قوله تعالى: ﴿فسبح﴾ وقد اشتهر أن الجواب هو العمل فيه أي إذا جاءك النصر والفتح وكثرت الأتباع والأمم فاشتغل أنت بالتسبيح والحمد والاستغفار. وقيل: «إذا» منصوب «بجاء»، وقيل: جوابه محذوف والتقدير: إذا جاءت هذه الأشياء فقد عظمت نعمة الله تعالى عليك. وقيل: حضر أجلك. وعطف الفتح على النصر من قبيل عطف المسبب على السبب لأن النصر الإلٰهي سبب للفتح وتقييد النصر بالإضافة إليه تعالى مع أن النصر لا يكون إلا من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦؛ الأنفال: ١٠] لتعظيم المضاف أي إذا جاءك نصر لا يليق إلا بالله ولا يفعله إلا هو فسبح. وقيل: المفعول المقدر لكل واحد من النصر والفتح ليس أمرًا مخصوصًا هو إياك ومكة بل الآية من قبيل ما حذف فيه المفعول للتعميم، والمعنى: إذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه ديار الكفر عليه.

قوله: (**وإنما عبر عن الحصول بالمجيء**) جواب عما يقال من أن المجيء من خواص ما يصح عليه الانتقال من الجواهر والنصر والفتح ليسا من قبيل الجواهر، فكيف أسند المجيء إليهما؟ والظاهر أن يقال: إذا وقع أو حصل نصر الله عز وجل. وتقرير الجواب أنه عبّر عن حصولهما بالمجيء تشبيهًا لهما بما يصح الانتقال في حقه من حيث إن الحوادث قدر وجودها في الأزل، فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها أسبابًا معينة وأوقاتًا مقدرة لا يحدث شيء منها إلا إذا تحققت أسبابه وحضرت أوقاته، فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الأسباب والأوقات بكونها متوجهة إليها بحيث تقرب منها شيئًا فشيئًا، وشبّه وقوعها عند حضور أوقاتها بمجيئها إليها فأطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ «جاء» فكانت استعارة تبعية. وكلمة «إذا» ظرف لما يستقبل، فالآية بظاهرها تدل على أن هذه السورة نزلت قبل أن نصره الله تعالى نصرًا تسبب عنه فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا، ولهذا قيل: إنها مكية وعده الله تعالى وهو فيها أنه سيهاجر منها، ثم إنه تعالى يفتحها له ويدخل الناس في دين الله أفواجًا بنصره له وإظهاره على أعدائه. وقيل: كلمة «إذا»

مترقبًا لوروده مستعدًا لشكره. ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾

هنا لمجرد الوقت وأن فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر. وروي أنه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يومًا، ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والتوجه إلى دار البقاء. وروي أنه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها ستين يومًا مستديمًا للتسبيح والاستغفار. وعن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه السورة يكثر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي. وقال مقاتل: إنه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها حولاً. واعلم أن صفات الحق تعالى منحصرة في قسمين: سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الإيجابات، والتسبيح إشارة إلى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات الجلال والتحميد إشارة إلى الصفات الثبوتية له تعالى وهي صفات الإكرام. ولما أمره الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية والثبوتية أمره بعده بالاستغفار لأن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وكمال وجود الحق، وفيه أيضًا طلب لما هو الأصلح والأكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا. وهذا الطريق أعني النزول من المؤثر إلى الأثر أشرف طرق السائرين، فإن لهم طريقين في مسيرهم منهم من يقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده ومنهم من يقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله، ولا شك أن النزول من المؤثر إلى الأثر أجل من الصعود من الأثر إلى المؤثر لأن الاستدلال بالأصل على التبع أقوى من الاستدلال بالتبع على الأصل، ولكون هذه الطريقة أشرف الطريقتين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق وهو النفس، فذكر في حق الاشتغال بالخالق أمرين: التسبيح والتحميد وفي حق الاشتغال بالنفس: الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات إلى الخالق وإلى الخلق. **قوله تعالى:** (يدخلون) في موضع النصب على أنه حال من «الناس» إن جعلت الرؤية بصرية أو بمعنى المعرفة، وإن جعلت بمعنى العلم كان مفعولاً ثانيًا لها و «أفواجًا» حال من الضمير في «يدخلون». والفوج الجماعة الكثيرة. روي أنه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا: أما إذا ظفر بأهل الحرم فليس لأحد به طاقة. وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم بسوء، ثم أخذوا يدخلون في دين الإسلام أفواجًا من غير قتال. وقصة فتح مكة أنه لما وقع صلح الحديبية وانصرف عليه الصلاة والسلام أغار بعض من كان في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهده عليه الصلاة والسلام، فجاء سفير ذلك القوم وأخبر رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليه عليه الصلاة والسلام ثم قال: «أما إن هذا العارض ليخبرني أن النصر يجيء من عند الله تعالى». ثم قال لأصحابه: «انظروا فإن أبا سفيان يجيء ويلتمس أن يجدد العهد» فلم يمض ساعة إلا جاء الرجل ملتمسًا لذلك فلم يجبه الرسول ﷺ ولا أحد

جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب. و«يدخلون» حال على أن «رأيت» بمعنى أبصر أو مفعول ثانٍ على أنه بمعنى علمت.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد حامدًا له عليه، أو فصل له حامدًا على نعمه. روي أنه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثماني ركعات، أو فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدًا له على أن صدق وعده، أو فأثن على الله بصفات الجلال حامدًا له على صفات الإكرام. ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾

من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورجع إلى مكة آيسًا، فتجهز عليه الصلاة والسلام للمسير إلى مكة فخرج إليها وفتحها ووقف على باب المسجد وقال: «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم»؟ فقالوا: خيرًا. أخ كريم. فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فأعتقهم. ثم إنهم بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والسمع والطاعة ثم صار الناس يدخلون في دين الإسلام فوجًا بعد فوج. قوله: (جماعات كثيفة) أي كثيرة.

قوله: (فتعجب) أي قل: سبحان الله والحمد لله تعجبًا مما أراك من عجيب إنعامه عليك وهو الغلبة على أهل الحرم، فإن هذه الكلمة تقال عند التعجب عادة فصح أن يفسر الأمر بالتسبيح بالأمر بالتعجب لذلك ولا سيما أن المقام مقام التعجب. ولعل الوجه في ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو أن الإنسان عند مشاهدة الأمر العجيب يستبعد وقوعه كأنه يستقصر قدرة الله تعالى عليه ويخطر بباله أن يقول: من يقدر عليه ويوجده؟ ثم يتدارك أنه في هذا الزعم مخطىء فيقول: سبحان الله تعالى تنزيهًا لله تعالى عن العجز عن خلق مثله من العجائب واعتقادًا بأنه تعالى على كل شيء قدير. قوله: (أو فصل له) يعني يجوز أن يكون المراد بالتسبيح الصلاة تسمية للمحل باسم ما حل فيه لأن الصلاة لا تخلو عنه فكأنه جزء منها. وقد عبّر بلفظ التسبيح عن الصلاة في مواضع من القرآن قال الله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: ١٣٠؛ قٓ: ٣٩] وحمل اللفظ على المجاز لما وجب أن يستند إلى قرينة تعين المعنى المجازي. أيد هذا الاحتمال بما روي أنه عليه الصلاة والسلام صلى ثماني ركعات يوم فتح مكة داخل البيت. ثم قيل: إنه عليه الصلاة والسلام صلاها شكر الله تعالى. وقال آخرون: هي صلاة الضحى. وقيل: أربع للشكر وأربع للضحى. قوله: (أو فنزهه) لما روي أنه عليه الصلاة والسلام سئل ما المراد بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فقال: «تنزيه الله تعالى عن كل سوء» فإنه تعالى منزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الأعلى. قوله: (أو فأثن على الله تعالى) أي ويجوز أن يكون التسبيح لا بمعنى التنزيه بل

هضمًا لنفسك واستقصارًا لعملك واستدراكًا لما فرط منك بالالتفات إلى غيره. وعنه عليه الصلاة والسلام: «إني أستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة». وقيل: استغفره لأمتك. وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق كما قيل: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ لمن استغفره منذ خلق المكلفين. والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة، وأنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام: «ما يبكيك؟» قال: نعيت إليك نفسك. فقال: «إنها لكما تقول». ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين

يكون بمعني الثناء عليه تعالى بصفات الجلال، ويكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الإكرام وصفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات وكماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالإفضال والإنعام عليه كالعظمة والكبرياء والملك والتقديس والعز والجبروت والعلم والسمع والبصر ونحوها، وصفات الإكرام صفات لها آثار في الخلق كالرحمٰن والرحيم والغفار والرزاق والوهاب والباسط والغني ونحوها. وقوله: ﴿بحمد ربك﴾ حال من المنوي في «فسبح» أي سبحه حامدًا له أي مقدرًا أن تحمده بعد التسبيح. قوله: (هضمًا لنفسك) إشارة إلى أن الحكمة الداعية إلى أمر النبي المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بأن يعدها قاصرة عن البلوغ إلى درجة الكمال في المعرفة والعبادة، ويقول: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك. ولما كانت مراتب السير إلى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب أخر، وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فإذا وصل العبد إلى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنها فبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرًا فيستغفر الله تعالى منه. وهذا القدر إنما يحتاج إليه على تقدير أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿واستغفره﴾ واستغفر الله لذنبك أما إذا كان معناه واستغفره لذنب أمتك فالأمر ظاهر. قوله: (كان توابًا لمن استغفره منذ خلق المكلفين) يعني أن لفظ «كان» ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين، ومن كان هذا شأنه أفلا يقبل استغفارك وتوبتك؟ فلا يرد أن يقال: إن الأفعال الناقصة إنما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها. فلفظ «كان» في الآية يدل على أن ذلك الثبوت في الماضي وكونه تعالى توابًا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال أو في المستقبل؟ ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر. ومعنى كونه تعالى: «توابًا» أنه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة من التوابين أو لكثرة ما تابوا منه من الذنوب. قوله: (ولعل ذلك) أي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة نعيًا له عليه الصلاة والسلام أن كونه عليه السلام منصورًا غالبًا على أعدائه، وحصول الفتح ودخول الناس في الدين أفواجًا يدل على

فهي كقوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على دنو الأجل ولهذا سميت سورة التوديع. وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة إذا جاء أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة».

سورة أبي لهب

مكية وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ﴾ هلكت أو خسرت. والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك. ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾

تمام الدعوة والتبليغ، وتمامه يدل على ارتحاله عليه الصلاة والسلام من هذه الدنيا. أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على قرب الأجل كأنه قيل: قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للأمر ففيه تنبيه على أن العاقل يجب عليه أن يستكثر من التوبة والاستغفار إذا قرب أجله، ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا.

سورة المسد

مكية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (هلكت أو خسرت) فإن التباب يكون بمعنى الهلاك كما في قوله: تبابة أم تابة أي أم هالكة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧] أي في هلاك، ويكون بمعنى الخسران أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١] أي غير تخسير بدليل أنه يقال: تب لفلان كذا أي استمر. وتبت يدا أبي لهب أي استمرتا في الخسران، والمراد بقوله تعالى: ﴿يدا أبي لهب﴾ نفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] و﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧] أي نفسه.

نفسه كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقيل: إنما خصتا لأنه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب: تبًا لك ألهذا دعوتنا؟ وأخذ حجرًا ليرميه به. فنزلت. وقيل: المراد بهما دنياه وآخرته، وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته، أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، أو لأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله، أو ليجانس قوله ذات لهب. وقرأ ابن كثير أبي لهب، بسكون الهاء. وقرىء «أبو لهب» كما قيل: علي بن أبو طالب. ﴿وَتَبَّ ①﴾ إخبار بعد دعاء والتعبير

فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ دعاء عليه بهلاك نفسه. **قوله:** (وقيل إنما خصتا الخ) يعني قيل: المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين، والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمي رسول الله ﷺ حين أنذره بعذاب الآخرة، كأنه قيل: شلت يداه كيف قصد أن يرمي بهما سيد الكائنات وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الأبد إلى سعادة الدارين؟ وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ وكان شديد المعاداة له. روي أنه عليه الصلاة والسلام خرج إلى سوق ذي المجاز يدعو الناس إلى التوحيد ويقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وأبو لهب خلفه يرميه وكان قد أدمى ساقه وعرقوبيه ويقول: أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه. ويروى أنه أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع أن يرميه وهو قوله تعالى: ﴿وتب﴾. **قوله:** (وقيل المراد بهما دنياه وآخرته) تشبيهًا باليدين من حيث إنه يتسبب بهما لما أصابه من الحوادث كما يتسبب الإنسان بيديه لما يكسبه. **قوله:** (لاشتهاره بكنيته) دون اسمه فإن الرجل قد يكون مشهورًا بأحدهما دون الآخر ولهذا يجعل اللقب عطف بيان للاسم إذا اشتهر الرجل بلقبه، وقد يعكس الأمر إذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا الوجه أنه قرأ عليه الصلاة والسلام: «تبت يدا أبو لهب» بالواو مع أن القياس أن يقرأ أبي لهب بالياء لكونه مضافًا إليه. ووجه التأييد أن الشخص لما كان مشهورًا بهذه الكنية وهي أبو لهب بالواو صارت بمنزلة اسم العلم فلم تتغير في شيء من الأحوال لأن الأعلام لا تتغير، بخلاف المضاف في التركيب الإضافي فإن إعرابه يتغير على حسب اختلاف العوامل فيقال: هذا أبو لهب ورأيت أبا لهب كما يقال: علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان بالواو فيهما، لأن كل واحدة من الكنيتين لما كانت بمنزلة العلم لم تتغير لئلا يشكل فيهما المراد على السامع. **قوله:** (أو لأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله) فإن مرجعه لما كان نارًا ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرًا بأن يذكر بأبي لهب كما يقال: أبو الشر وأبو الخير للشرير والخير. **قوله:** (وتبّ أخبار بعد دعاء) يعني أن الجملة الأولى دعاء عليه بالهلاك

بالماضي لتحقق وقوعه كقوله:

جـزانـي جـزاه الله شـر جـزائـه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه أنه قرئ «وقد تب» أو الأول إخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ نفي لإغناء المال عنه حين نزل به التباب، أو استفهام إنكار له ومحله النصب. ﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ وكسبه أو مكسوبه بما له من النتائج والأرباح

كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧] والمقصود بيان استحقاقه لأن يدعى عليه بالهلاك فإن حقيقة الدعاء شأن العاجز وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. والجملة الثانية إخبار عن تحقق المدعو ووقوع المطلوب على نهج قول الشاعر وقد فعل على سبيل التفاؤل. و«العاويات» في البيت يروى بالواو من عوى الكلب يعوي إذا صاح، وبالدال من عدا في المشي أي أسرع. فلعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها شبه الجنون يسري مرضها إلى من تعضه. ووجه قراءة «وقد تب» على كون الجملة الثانية إخبارًا بعد دعاء أن «قد» لا تدخل على الدعاء وإنما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول مثل: قد خرج الأمير لمن ينتظر خروجه. فهذه القراءة دلت على أن ما بعدها ليس بدعاء كما قبلها.
قوله: (أو الأول إخبار عما كسبت يداه) أي إخبار بهلاك عمله وأنه محروم مما يترتب عليه من المنافع، والثاني إخبار بهلاك نفسه فإنه هالك ضائع في الدنيا والآخرة. وإنما عبّر عن عمله باليدين لأن أكثر الأعمال إنما يحصل بمباشرة اليدين.

قوله: (نفي لإغناء المال عنه) أي ويجوز أي تكون كلمة «ما» حرف نفي لا محل لها من الإعراب. فعلى هذا يكون مفعول «أغنى» محذوفًا أي لم يغن عنه ماله شيئًا وهو استئناف جوابًا عما كان يقول اللعين: إن كان ما يقول ابن أخي حقًا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي. ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى الإنكار فتكون في موضع النصب «بأغنى» أي أي شيء أغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب فإنه لا أحد أكثر مالاً من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا أعظم ملكًا من سليمان عليه الصلاة والسلام فهل دفع ذلك منه الموت ولم يصرح في الآية أن المراد من الإغناء الإغناء فيما ذا قال بعضهم في عداوة الرسول ﷺ فإنه كان يعتقد أن يده هي العليا وأنه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه اعتمادًا على كثرة أمواله وأولاده وقال بعضهم بل المعنى أنهما لم يغنيا عنه في دفع النار ولذلك قال: سيصلى نارًا فإنه تصوير الهلاك بحيث يظهر معه عدم إغناء المال وما كسب ويؤيد هذا المعنى ما روي عنه من قوله إن كان ما يقوله ابن أخي حقًا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وأولادي. **قوله:** (وكسبه) على أن كلمة «ما» في قوله: ﴿وما كسب﴾ مصدرية وقوله: «أو

والوجاهة والأتباع، أو عمله الذي ظن أنه ينفعه، أو ولده عتبة وقد افترسه أسد في طريق الشام وقد أحدق به العير. ومات أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتًا

مكسوبة على أن تكون «ما» موصولة أو موصوفة» أي والذي كسبه أو شيء كسبه. والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب، فلذلك فسرها به فالكسب بمعنى المكسوب. ثم إنه يحتمل أن يكون المراد بماله رأس المال من أي نوع كان وبمكسوبه ما اكتسبه بأصل ماله من النتائج والأرباح. ويحتمل أن يكون المراد بماله المال الذي ورثه من أبيه وبما كسب المال الذي كسبه بنفسه. ويحتمل أن يكون المراد بماله ما في يده من المال مطلقًا وبكسبه ما اكتسبه من الأعمال والأولاد والوجاهة والأتباع. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ما كسب ولده. وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبًا حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه». قوله: (وقد افترسه أسد) أي أهلكه. وكان ذلك بدعاء رسول الله ﷺ دعا عليه لشدة عداوته له عليه الصلاة والسلام. روي عن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب كان تحته بنت رسول الله ﷺ، فلما أراد أن يسافر إلى الشام قال: لآتين محمدًا فلأوذينه. فأتاه فقال: يا محمد إني كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى، ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها. فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» وكان أبو طالب حاضرًا عنده فوجم لها أي اشتد حزنه لأجل تلك الدعوة حتى أمسك عن الكلام لأجل حزنه. وقال: ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة. فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره بما وقع له، ثم خرج إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من دير فقال: إن هذه أرض مسبعة. فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معاشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني من دعوة محمد. فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة، فسلّط الله تعالى الأسد وألقى السكينة على الإبل فجعل الأسد يتخللهم ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه. فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع

كان لكم في هذه عبرة للسيد المتبوع والتابع

فعلى هذه الرواية احتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إخبارًا عن هلاك نفسه وقوله: ﴿وتب﴾ إخبارًا عن هلاك ولده عتبة، وكون نزول هذه السورة متقدمًا على هلاكهما لا ينافيه كون الإخبار بلفظ الماضي لأن وروده بلفظ الماضي مبني على أنه محقق الوقوع في علمه تعالى. قوله: (ومات أبو لهب بالعدسة) وهي بثرة تخرج بالإنسان وربما قتلت. روي عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أنه قال: كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام دخل بيننا، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وكان العباس يهاب القوم

ثلاثًا حتى أنتن، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو إخبار عن الغيب طابقه وقوعه. ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ اشتغال يريد نار جهنم. وليس فيه ما يدل على أنه لا يؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق. وقرىء «سيصلى» بالضم مخففًا ومشددًا

ويكتم إسلامه. وكان أبو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم إلا بعث مكانه رجلاً آخر، فلما جاء الخبر عن واقعة أهل بدر وجدنا في أنفسنا قوة وكنت رجلاً ضعيفًا أعمل القداح في حجرة زمزم، فكنت جالسًا وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهري إلى ظهره. فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب. فقال أبو لهب: كيف الخبر يا ابن أخي. فقال: لقينا القوم ومنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف أرادوا، وأيم الله ومع ذلك قالت الناس: لقينا رجل أبيض على جبل يرف بين السماء والأرض. فقال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة ثم قلت: أولئك والله الملائكة، فأخذني وصرعني على الأرض ثم برك عليّ يضربني. وكنت رجلاً ضعيفًا فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته على رأسه شجته وقالت: تستضعفه إذ غاب سيده، والله نحن مؤمنون منذ كذا، وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلاً. فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله. ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثًا فلم يدفناه حتى أنتن في بيته. وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما تتقي الناس الطاعون ويقولون: نخشى هذه القرحة. ثم دفنوه. فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ والله أعلم فهو من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث أخبر عن الغيب وطابقه وقوعه، لأن السورة مكية وكان هلاكه بعد الهجرة بزمان. **قوله**: (**وليس فيه ما يدل على أنه لا يؤمن**) أي حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على أنه لا شك أن أبا لهب مكلف بأن يؤمن بجميع ما جاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى، ومن جملة ما جاء به أنه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وذلك مما لا يطاق. فالآية دليل على وقوع التكليف به مع أن العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالاً بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فإنه يدل على عدم وقوع ذلك وإن لم يدل على عدم جوازه. والأمر في قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة: ٣١] للتفخيم لا للتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ليس المراد بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به بل إيصال ما لا يطاق من العوارض إليهم. وإذ قد تبين أن التكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم أنهم اختلفوا في الجواز؛ فمنعه الحنفية والغزالي من الشافعية والمعتزلة، وجوّزه الأشعري ومن تابعه. والمراد بما لا يطاق أعم مما يكون

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ عطف على المستكن في «سيصلى» أو مبتدأ وهي أم جميل أخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ يعني حطب جهنم فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على إيذائه، أو النميمة فإنها توقد نار الخصومة، أو حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقرأ عاصم بالنصب على الشتم. ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾ أي مما مسد أي فتل. ومنه رجل ممسود الخلق أي مجدوله، وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التي

ممتنعًا في نفسه كالجمع بين الضدين أو ممكنًا في نفسه خارجًا عن قدرة العبد كخلق الأجسام، وأما ما يمتنع بناء على أنه تعالى علم خلافه وأراد خلافه كإيمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في جواز التكليف به ووقوعه لكونه مقدورًا للمكلف في نفسه.

قوله: (عطف على المستكن في سيصلى) وهي أم جميل بنت الحارث أخت أبي سفيان عمة معاوية كانت شديدة العداوة لرسول الله ﷺ. قرأ عام «حمالة» بالنصب على الشتم والذم.

وقد أتى بجميل من سب أم جميل

وقرأ الباقون بالرفع إما على أن قوله: «وامرأته حمالة الحطب» جملة اسمية سيقت للإخبار عنها بذلك، وإما على أن «وامرأته» عطف على المستكن في «سيصلى» و «حمالة» صفة لامرأته، وجاز ذلك لكون إضافتها معنوية لكونها بمعنى الماضي أو بدل أو عطف بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أي هي حمالة أو مبتدأ خبره «في جيدها». **قوله: (يعني حطب جهنم)** جواب عما يقال: إنها كانت من بيت العزة أخت أبي سفيان، فكيف يصح لها أن تكون حمالة الحطب؟ وأجاب عنه بثلاثة أوجه: الأول أنه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الآثام والأوزار بسبب معاداتها رسول الله ﷺ وحملها زوجها على إيذائه عليه الصلاة والسلام، استعير الحطب لتلك الآثام تشبيهًا لها بالحطب في أن كل واحد منهما سبب لإيقاد النار واشتعالها إذ توقد بها نار جهنم كما أن الحطب يوقد به نار الدنيا. والثاني أن الحطب مستعار للنميمة فإنها توقد بها نار الفتنة والخصومة كما أن الحطب توقد به النار، فإن النمّام يعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر. وعلى التقديرين يكون قوله: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ ترشيحًا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم المستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيقي، ويلائمه أن يلقى حامله الحبل على جيده بأن يجعله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد. والثالث أن الحطب على حقيقته إلا أنها لا تحمله لمصلحة بيتها حتى يقال إنها من بيت الشرف والسعة،

تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرًا لشأنها، أو بيانًا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار. والظرف في موضع الحال أو الخبر و«حبل» مرتفع به. عن النبي عليه السلام: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحد».

فكيف تحتطب بنفسها؟ بل المراد أنها لشدة عداوتها لرسول الله ﷺ تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب والسعدان فتنثرها بالليل في طريقه ﷺ ليتأذى به عند خروجه للصلاة، فكان عليه الصلاة والسلام يطأه كما يطأ الحرير. قيل: كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة حزمة ذات ليلة أعيت فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها بأن خنقها بذلك الحبل. فقوله تعالى: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ **تصوير لها بصورة الحطابة التي تحتطب لنفسها تحقيرًا لشأنها لأن الحطب لو حمل على الحقيقة لم يكن في الكلام استعارة حتى يكون قوله:** ﴿في جيدها﴾ **ترشيحًا لها. قوله:** (أو بيانًا لحالها) **عطف على قوله: «تحقيرًا لشأنها» أي ويجوز أن يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان أن حالها في نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليه في الدنيا جزاء وفاقًا بعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه، وفي جيدها سلسلة من النار كما أنها في الدنيا على هذه الصورة. قوله:** (والظرف) **وهو قوله: «في جيدها» في موضع الحال من قوله: «وامرأته» وقد مر أنه مستكن في «سيصلى» فيكون في معنى الفاعل. و«حبل» فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال وقوله: «أو الخبر» أي أو هو في موضع الخبر لقوله: «وامرأته» على أن يكون مرفوعًا بالابتداء و«حبل» فاعل بالظرف أيضًا لاعتماده على المبتدأ. روي عن أسماء رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب جاءت أم جميل ولها ولولة وبيدها حجر، فدخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر رضي الله عنه وهي تقول:**

مذممًا قلينا ودينه أبينا وحكمه عصينا

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد أقبلت إليك وأنا أخاف أن تراك. فقال عليه الصلاة والسلام: «إنها لن تراني» وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ **[الإسراء: ٤٥] فلما انتهت إلى أبي بكر رضي الله عنه قالت له: قد ذكر لي أن صاحبك هجاني. فقال أبو بكر: لا ورب الكعبة ما هجاك. فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها. وإنما حلف أبو بكر بأنه عليه الصلاة والسلام ما هجاها بناء على أنه من باب المعاريض لأن القرآن لا يسمى هجوًا، ولأنه كلام الله تعالى لا كلام الرسول. ففيه دليل على جواز المعاريض. والله سبحانه وتعالى أعلم.**

سورة الإخلاص

مختلف فيها وآيها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الضمير للشأن كقولك: هو زيد منطلق، وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة، ولا حاجة إلى العائد لأنها هي هو أو لما سئل عنه أي الذي سألتم عنه هو الله. إذ روي أن قريشًا قالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه.

سورة الإخلاص

مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قوله: (الضمير للشأن أو لما سئل عنه) يعني أن ضمير «هو» فيه وجهان: الأول أنه ضمير الشأن لأنه في موضع التفخيم وتفسير الشيء بعد ذكره مبهمًا يفيد ذلك، فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره، والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدًا معه بالذات استغنى عن العائد. والثاني أنه عائد إلى المسؤول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول هذه السورة. قال الضحاك: إن المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ وقالوا: قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك، فإن كنت فقيرًا أغنيناك وإن كنت مجنونًا داويناك وإن هويت امرأة زوجناكها. فقال عليه الصلاة والسلام: لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة أنا رسول الله أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادة رب الأنام». فأرسلوه ثانيًا وقالوا: قل له بيّن جنس معبودك أمن ذهب أم فضة؟ فأنزل الله

فنزلت. «وأحد» بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال، إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية. وقرىء «هو الله» بلا «قل» مع الاتفاق

تعالى هذه السورة. فقالوا: لنا ثلاثمائة وستون صنمًا لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق؟ فنزلت ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات: ٤]. قوله: (وأحد بدل أو خبر ثان) **يعني أن «هو» إذا لم يكن ضمير الشأن بل كان ضمير ما سئل عنه وكان لفظ الجلالة خبره، يحتمل أن تكون لفظة «أحد» بدلاً من الخبر وأن تكون خبرًا ثانيًا. والمشهور عند النحاة أن النكرة الغير الموصوفة لا تكون بدلاً من المعرفة لئلا يكون ما هو أنقص في الدلالة على الذات المراد مقصودًا بالنسبة وما هو أتم فيها توطئة لذكره وأحد نكرة غير موصوفة، فجعله بدلاً من لفظ الجلالة مخالف لهذه القاعدة إلا أن هذه القاعدة لما لم تكن متفقًا عليها، فإن أبا علي جوّز إبدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة، جوّز المصنف إبدال أحد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز مثل ذلك. قوله:** (يدل على مجامع صفات الجلال) مجامع بفتح الميم الأولى جمع مجموعة أنثت لتأنيث ما هي عبارة عنه وهو صفات الجلال أي الصفات السلبية وسميت صفات الجلال لكونها من الفضائل اللازمة. **قوله:** (إذ الواحد) إشارة إلى أن الأحد بمعنى الواحد وأن أصله وحد قلبت همزته واوًا للتخفيف، وأكثر ما يفعلون هذا في الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين أول الكلمة نحو: أجوه وأشاح في وجوه ووشاح. وقيل: بينهما فرق بأن الأحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركبها بشيء من الجائز التركيب أي لا تركيبًا خارجيًا ولا عقليًا، والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة في الصفات وكون لفظة الله دالة على جميع صفات الكمال ظاهر لأنه اسم للذات الواجب الجامع لجميع الصفات الذاتية والفعلية ولجميع الفضائل الذاتية والفواضل المتعدية، وأما كون أحد دالاً على جميع صفات الجلال فلأن أحدية الشيء عبارة عن كونه واحدًا حقيقيًا لا تعدد فيه لا في ذاته ولا في صفاته وأفعاله، ومعنى كونه واحدًا في ذاته أن لا يكون منقسمًا إلى أبعاض وأجزاء خارجية ولا عقلية والله تعالى يجب أن يكون كذلك لأنه لو كان مركبًا في الخارج لكان مفتقرًا إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره فيكون مفتقرًا إلى غيره والمفتقر إلى الغير ممكن في نفسه، ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنًا في نفسه، ولو كان مركبًا في العقل لكان مشاركًا لغيره في ماهية ذلك الغير فيحتاج إلى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم إمكان الواجب أيضًا، لأن كل ماهية لما سواه تقتضي الإمكان فلو كانت تلك الماهية ماهية للواجب لزم إمكانه.

على أنه لا بد منه في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] ولا يجوز في «تبت» ولعل ذلك سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا

ومعنى كونه واحدًا في صفاته أن لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفاته وليس له تعالى نظير يضاهيه في شيء من صفاته، إذ لو كان له نظير كذلك لاشتركا في ذلك الوصف ولتميز الواجب عنه بحسب التعين العارض له، ولو كان كذلك لكان مركبًا مما به المشاركة والممايزة وقد مر أن التركيب يستلزم الإمكان وينافي الوجوب الذاتي، فوجب كونه تعالى واحدًا في صفاته. ومعنى كونه واحدًا في أفعاله أن لا يكون له شريك في أفعاله فإنه إذا كان له شريك في أفعاله لا يخلو إما أن يحتاج إليه في فاعليته أو كان كل واحد منهما مستقلاً في الفاعلية والتأثير، والأول يستلزم الإمكان والثاني يبطله برهان التمانع، فقد ثبت أن الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب الخارجي والعقلي وعن أنحاء التعدد أيضًا بأن يكون له من يشاركه في صفاته وأفعاله، وذلك يستلزم أن لا يكون جسمًا لأن الجسمية تستلزم التركيب الخارجي لأن كل جسم مركب في ذاته من الأجزاء وأن لا يكون متحيزًا لأن التحيز أيضًا يستلزم التركيب الخارجي، فإن كل متحيز يمينه مغاير لشماله فيكون منقسمًا وأن لا يشاركه أحد في نفسه حقيقته ولا في خواص تلك الحقيقة لأن المشاركة فيهما أي في الحقيقة الواجبة وخواصها المقتضية للألوهية تستلزم كونه تعالى مميزًا عما يشاركه بحسب التعين العارض للماهية، وذلك يستلزم كونه تعالى مركبًا مما به المشاركة وما به الامتياز وقد مر أن التركيب منافٍ للوجوب الذاتي فثبت أن الأحدية دالة على جميع صفات الجلال كما أن لفظ الله دال على جميع صفات الكمال. فإذا تقرر هذا ثبت أن الإخبار عن مسؤولهم بأنه الله أحد مع وجازة لفظه أتم بيان وأكمل تعريف له بالنسبة إلى البشر إذ لا سبيل لهم إلى معرفة كنه ذاته، وإنما الذي في وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الإخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧].

قوله: (ولعل ذلك) أي ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بأن وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة «قل» وعلى عدم التصدير بها في الأخرى وجواز القراءة بها وبدونها في الثالثة أن سورة الكافرين مشاقة الرسول ﷺ ومخالفته لقومه في أمر العبادة بأن ينفرد كل واحد منهما بعبادة معبود غير معبود الآخر، ومن المعلوم أن المشاقة لا تناسب أن تقع منه عليه الصلاة والسلام من عند نفسه من غير أن يكون مأمورًا بها من قبله تعالى لأنه عليه الصلاة والسلام أرسل لدعوة الخلائق إلى اتباعه وطاعته في جميع ما جاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به أن يقول لقومه من عند نفسه لا يجمعنا دين واحد ولا نتفق على عبادة

يناسب أن يكون وأما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بأن يدعو إليه أخرى.

معبود بل لكل واحد مني ومنكم معبود على حدة؟ أو أن يوادعهم أي يتركهم وما يدينون ولأنه كيف لا يليق بالمؤمن أن يحكم على أحد ويقول له من عند نفسه أنك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن أبدًا ولا تعبد الله لحظة؟ وإنما يتأتى له ذلك إذا بيّن الله تعالى أن الأمر كذلك وأمره أن يخبره بذلك وأن سورة تبت معاتبة عمه عليه السلام. ومن المعلوم أيضًا أن معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب أن تقع منه عليه السلام لا من عند نفسه، ولا بأن يكون مأمورًا بها من قبله تعالى لأن للعم حرمة كحرمة الأب لأن أب الرجل وعمه شعبتان من أصل واحد كما قال عليه الصلاة والسلام: «عم الرجل صنو أبيه» وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة إلى الحق يجب أن تكون معاملته مع أعمامه باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] وقال لسيد المرسلين ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإذا وجب مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم الذي هو كالأب في استحقاق التعظيم والتكريم؟ لا سيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلذا لم تصدر سورة تبت بكلمة «قل» صونًا له عليه السلام من أن يشافه عمه بالشتم والتغليظ، وأن شتمه عمه الخبيث بقوله: تبًا لك ألهذا دعوتنا؟ فكأنه تعالى يقول: اسكت أنت وتخلق بما نزل عليك من قولي: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فأنا أجيب عنك وأشتمه فأنزل قوله: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ففيه تنبيه على أن من لم يشافه السفيه كان الله تعالى ذابًا عنه وناصرًا له ومعينًا. فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا آذاه أحد يبقى ساكتًا ولم يكافئه بسوء، فجاء رجل فشتمه فجعل رسول الله ﷺ يدفع ذلك الشاتم ويزجره. فلما شرع أبو بكر في الجواب سكت رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: ما السبب في ذلك؟ قال: «لأنك ما دمت ساكتًا فالملك يجيب عنك، فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان» وأما سورة الإخلاص فإنها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية وتنزيه له تعالى عن الأولاد والأكفاء، فصح أن يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه وأن يؤمر بأن يدعو إليه، فجاز لذلك كونها مصدرية بـ «قل» وكونها غير مصدرة به وهذا ما فهمته من قول المصنف: «ولعل ذلك» إلى آخره إلا أنه محل تأمل لأن قوله: ﴿وتبت﴾ معاتبة عمه فلا يناسب أن يكون منه يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لا مدخل له في هذا الكلام على تقدير عدم تصوير السورة بـ «قل» سوى كونه تاليًا لكلام الله المنزل إليه. وقوله: «يقول به» يدل على أنه عليه الصلاة والسلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بـ «قل» فبينهما تدافع، ولأن تعليل وجوب تصدير إحدى السورتين بـ «قل» وعدم جواز التصدير به في الأخرى بقوله

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إذا قصد وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه يستغني عن غيره مطلقًا وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته، بخلاف أحديته وتكرير لفظ الله

فلا يناسب أن يكون منه تعليل للحكمين المختلفين بعلة واحدة بحسب الظاهر. وقوله: «وموادعته لهم» معطوف على المشاقة بالواو في أكثر النسخ. والظاهر أن يعطف عليها بكلمة «أو» ويكون المعنى: لأن السورة من أولها إلى آخرها إما مشاقة معهم بأن يكون قوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ فذلكة لما سبق وتقريرًا له وتكون اللام في قوله تعالى: ﴿لكم﴾ ﴿ولي﴾ متعلقة بالثبات والدوام المقدر كما اختاره المصنف، وإما أن آخر السورة موادعتهم ومتاركتهم وما قبله تمهيد له كما أشار إليه بقوله اللهم إلا إذا فسر بالمتاركة، وكلا التقديرين لا يناسب أن يكون منه عليه الصلاة والسلام، وعطفه بالواو يشعر أن كون السورة مشاقة وموادعة وجه آخر في تفسيرها. والجمهور كسروا تنوين «أحد الله الصمد» حال الوصل لالتقاء الساكنين التنوين ولام التعريف. وعن ابن عمر أنه قرأ «أحد الله الصمد» بضم الدال من غير تنوين بناء على أن التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين في أنها من حروف الزيادة، فلما شابهتها حذفت عند اتصالها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده في نحو: يغزو القوم ويرمي القوم، ولهذا الوجه أيضًا حذفت النون الساكنة في الفعل المجزوم. فقيل: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ﴾ [غافر: ٨٥] ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ [هود: ١٠٩] وعن ابن عمر أيضًا «أحد الله الصمد» بإسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على إجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته في ألسنتهم وفرارًا من ثقل الحركة والتنوين. وقال: أدركت القراء تقرأها كذلك وصلاً على السكون. **قوله**: (السيد المصمود إليه) على أن «الصمد» فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمده إذا قصده. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزل «الله الصمد» قالوا: وما الصمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «الصمد الذي يصمد الناس إليه في الحوائج» أي تقصده. والصمد بالسكون المقصد، ولا شك أن من يقصد إليه في جميع المهمات ويرجع إليه في جميع الحاجات يكون مستغنيًا عن كل ما عداه وكاملاً في جميع صفاته وأفعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشأن وعلو القدر.

قوله: (وهو الموصوف به على الإطلاق) قال حجة الإسلام الغزالي نور الله مرقده: ومن جعله الله تعالى مقصد العبادة في مهمات دينهم ودنياهم وأجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد أنعم عليه بحظ من هذا الوصف، لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد إليه في جميع الحوائج وهو الله تعالى جل جلاله. **قوله**: (وتعريفه لعلمهم بصمديته) فإن العرب بل

للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو

أكثر الخلق تعرف أنه تعالى هو الذي يقصد إليه في الحوائج وأن جميع ما سواه مفتقرًا إليه كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥؛ الزمر: ٣٨] فلذلك جاء لفظ الصمد معرفًا بخلاف أحديته، فإنه لا يخطر ببال أكثر الخلق أن في الوجود ذاتًا لا تركيب ولا انقسام فيه بوجه من الوجوه فضلاً عن كونه واحدًا في صفاته بأن لا يكون له نظير وشبيه يضاهيه في شيء من صفاته وواحدًا في أفعاله بأن لا يكون له شريك فيها، وذلك لأنهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين أنهم لا يعرفون موجودًا هو واحد في ذاته لا تعدد فيه بوجه فنكر لفظ «أحد» لذلك.

قوله: (للإشعار) وجه الإشعار أن قوله تعالى: ﴿الله الصمد﴾ جملة اسمية طرفاها معرفتان فدل على انحصار الصمدية فيمن اتصف بالألوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الألوهية يشعر بأن من لا يكون صمدًا لا يستحق أن يكون إلهًا، لأن انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع. وهذا الإشعار يكون بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرًا عنه، إذ لو قيل: هو الله أحد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان بمعنى أن الشأن الله أحد الصمد أو أن المسؤول عنه هو الله وما بعده بدل من الجلالة أو خبر ثانٍ، وعلى تقدير أن يكون الكلام خاليًا عن الإشعار المذكور وكرر مع عدم الاحتياج إليه لا بد أن يكون ذلك لنكتة، والإشعار المذكور يصلح أن يكون نكتة فحمل عليها. **قوله:** (**لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها**) وجه كون الجملة الثانية كالنتيجة للأولى أن من كان واحدًا حقيقيًا منزهًا عن أنحاء التركيب والتعدد في ذاته وصفاته وأفعاله يكون مبدأ لنكائنات بأسرها حافظًا لها ومدبرًا، فلا جرم لا يصمد في الحوائج إلا إليه، فظهر به أن كونه تعالى صمدًا نتيجة متفرعة على أحديته. ووجه كونها كالدليل على الأولى أن من كان صمدًا وملجأ لأرباب الحاجات لا بد وأن يكون في أعلى درجات الكمال منزهًا عن جميع وجوه النقصان قادرًا على جميع الممكنات عالمًا بجميع المعلومات، وذلك يستلزم الأحدية. **قوله:** (**لأنه لم يجانس**) حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد منهما من يجانسهما، والحمار وإن لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه، وأن القوة المولدة تكون وسيلة إلى توليد المماثل والمجانس ولا تكون وسيلة إلى توليد المباين، ونفي المجانسة يستلزم نفي المماثلة لأن انتفاء العام يستلزم انتفاء الخاص على المصنف نفي كونه تعالى والدًا بعلتين: الأولى أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده بمصاحبة من يجانسه ولا مجانسة فلا ولادة، والثانية أن الولادة مبنية على الاحتياج إلى ما يعينه في حياته ويخلف عنه بعد وفاته ولا احتياج ولا فناء فلا ولادة تتفرع عليهما. فكلمة «أو» في قوله: «أو يخلف

يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه. ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردًا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله، أو ليطابق قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ أي ولم يكن أحد يكافئه أي يماثله من صاحبة وغيرها. وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة «كفوًا» لكن لما كان المقصود نفي

عنه بعد وفاته» لتقسيم أحوال الوالد وقدم نفي كونه والدًا على نفي كونه مولودًا من حيث إن الكفرة ادعوا أن له ولدًا ولم يدعوا أن له والدًا، فإن مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، فبدأ بالأهم فقال: ﴿لم يلد﴾ ثم اتبعه بقوله: ﴿ولم يولد﴾ تعليلاً لقوله: ﴿لم يلد﴾ لأنه لما وقع الاتفاق على أنه تعالى لم يكن ولدًا لغيره ثبت أنه لم يلد غيره. **قوله**: (**ولعل الاقتصار على لفظ الماضي**) وعدم التعرض بأنه لا يلد في المستقبل مبني على أن المقصود من الآية تكذيبهم في قولهم: ولد الله، وأن الملائكة بنات الله وأن المسيح ابن الله وكذا عزير، ومرجع الجميع أنه تعالى ولد في الزمان الماضي ولو كان المقصود بيان زعمهم أنه لا يلد في شيء من الأزمنة الثلاثة لما صح الاقتصار على لفظ الماضي. **قوله**: (**وذلك**) أي وبيان وجه كونه تعالى منزهًا عن كونه مولودًا لغيره أن المولودية تقتضي النقصان من وجهين: الأول كونه معلولاً لوالده مفتقرًا إليه والثاني كونه حادثًا مسبوقًا بالعدم تعالى شأنه عن كل واحد من الأمرين.

قوله: (**أي ولم يكن أحد يكافئه أي يماثله**) إشارة إلى أن «أحد» اسم «يكن» و «كفوًا» خبره وله متعلق بكفوًا لما فيه من معنى الفعل وهو المماثلة. والكفؤ المثل والشبيه والمعنى: لم يكن أحد كفوًا له أي مثلاً له. ولما ورد على هذا التوجيه أن يقال: على تقدير أن يكون قوله: «له» ظرفًا لغوًا متعلقًا بكفوًا كان حقه أن يؤخر عن اسم «كان» وخبره لأن الظرف اللغو فضلة يتم الكلام بدونه، والأصل في الكلام الفصيح أن يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لأنهما مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود أولى وأفصح، فيكون تقديم اللغو قبيحًا مخلاً بالفصاحة لكونه خلاف الأصل فكيف قدم له في الآية مع أنه ظرف لغوتم الكلام بدونه باسم «كان» وخبره؟ أشار إلى جوابه فقال: وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة أي لغو وفضلة لا يفتقر إليه الكلام في تمامه والظرف المستقر يفتقر تمام الكلام إليه لكونه خبرًا فيه كما في قولك: لم يكن فيها أحد خير منك، فإن الظرف فيه مستقر لأنه خبر «كان». وتقرير الجواب أن الظرف اللغو وإن كان الأصل فيه أن يؤخر إلا أن هذا الأصل قد يترك إذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهمًا بالنسبة إلى عامله فيقدم عليه لكونه أهم بالنسبة إليه، كما يقدم المفعول على الفاعل إذا عرض له ما يجعله مهمًا بالنسبة إلى الفاعل. والمقصود في الآية

المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديمًا للأهم. ويجوز أن يكون حالاً من المستكن في «كفؤًا» أو خبرًا ويكون «كفؤًا» حالاً من «أحد». ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل. قرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية «كفؤًا» بالتخفيف مهموزًا، وحفص «كفوًا» بالحركة وقلب الهمزة واوًا، والباقون بالحركة مهموزًا. ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلٰهية والرد

ليس نفي أن يكون أحد كفؤًا لشيء ما مطلقًا بل المقصود نفي كونه كفؤًا لذاته تعالى. **قوله: (ويجوز أن يكون حالاً)** عطف من حيث المعنى على قوله أي ولم يكن أحد يكافئه، فإنه يفهم منه أن «له» ظرف لغو متعلق بكفؤًا أي ويجوز أن لا يكون الظرف لغوًا بأن يكون حالاً من المستكن في «كفؤًا» على أنه صفة له في الأصل فلما قدم عليه انتصب حالاً. «فأحد» اسم «يكن» و «كفؤًا» خبره و «له» حال، أو بأن يكون الظرف خبرًا ويكون «كفؤًا» منصوبًا على أنه حال من «أحد» لأنه كان صفة له في الأصل فلما تقدم عليه انتصب حالاً. قال أبو البقاء: قوله: «أحد» اسم «كان» وفي خبرها وجهان: أحدهما أن الخبر «كفؤًا» فعلى هذا يجوز أن يكون له حالاً من كفؤًا لأن التقدير ولم يكن أحد كفؤًا له وأن يتعلق بيكن والوجه الثاني أن يكون الخبر له وكفؤًا حال من أحد أي ولم يكن له أحد كفؤًا فلما قدم على النكرة انتصب حالاً منها. **قوله: (ولعل ربط الجمل)** كأنه جواب عما يتوهم من أن الجمل ثلاث في الآية من قبيل قولك زيد شاعر وعمر وطويل فإن عطف الجملة الثانية على الجملة الأولى فيه لا يصح مطلقًا أي سواء كان بين زيد وعمر ومناسبة كالأخوة والصداقة ونحوهما أو لم يكن لعدم المناسبة بين المسندين أعني الشعر وطول القامة فينبغي أن لا يصح ربط الجمل الثلاث في الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ما وقع مسندًا فيها وهو الوالديّة والمولدية والكفاءة فإنها أمور متباينة وتقرير الجواب منع انتفاء المناسبة بينها فإنها أمور متناسبة من حيث إن كل واحدة منها قسم من أقسام لمثل فإن المقصود من قوله: لم يلد أن ينفي عنه تعالى القسم المخصوص من أقسام المثل وهو الولد، ومن قوله: ﴿ولم يولد﴾ أن ينفي عنه تعالى القسم الآخر منها وهو الوالد، ومن قوله: ﴿ولم يكن له كفؤًا أحد﴾ أن ينفي عنه باقي أقسامه كالصاحبة والشركاء ونحوهما، فتحقق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند إليه ولتناسب المسند عطف بعضها على بعض. **قوله: (قرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤًا بالتخفيف)** أي بسكون الفاء مهموزًا. وقرأ حفص «كفوا» بضم الكاف والفاء غير مهموز. وقرأ الباقون بضمتين مهموزًا. وفي التيسير: قرأ حفص بضم الكاف والفاء منونًا من غير همزة، وحمزة بإسكان الفاء مع الهمزة في الوصل فإذا وقف أبدل الهمزة واوًا مفتوحة اتباعًا للخط، والباقون بضم الفاء مع الهمزة منونًا. وقد تقرر أن كل اسم على ثلاثة أحرف

على من الحد فيها جاء في الحديث: «إنها تعدل ثلث القرآن» فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك. وعن النبي عليه السلام: أنه سمع رجلاً يقرأها فقال: «وجبت» قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال: «وجبت له الجنة».

سورة الفلق

مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ ما يفلق عنه أي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى

أوله مضموم فإنه يجوز في عينه الضم والإسكان إلا في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]. **قوله: (فإن مقاصده محصورة)** أي في ثلاثة. وهذه السورة الكريمة كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد، فلما كانت كافلة بثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه. روي عن سهل بن سعد أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ وشكا إليه الفقر فقال: «إذا دخلت بيتك فسلّم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك واقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة». ففعل ذلك فأدر الله تعالى عليه رزقًا حتى أفاض على جيرانه. وروي أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فسمع رجلاً يدعو ويقول: اسألك يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد عفوك عفوك عفوك ثلاث مرات. فقال عليه الصلاة والسلام: «غفر لك غفر لك غفر لك» ثلاث مرات.

سورة الفلق

مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الفلق بسكون اللام الشق يقال: فلقت الشيء فلقًا فانفلق وتفلق أي شققته فانشق

مفعول وهو يعم جميع الممكنات فإنه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها سيما ما يخرج من أصل كالعيون والأمطار والنبات والأولاد، ويخص عرفًا بالصبح ولذلك فسر به. وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن

وتشقق، والفرق بمعنى التمييز والتبيين قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي بيناه، والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق إذ به يصير كل واحد منهما فرقة متميزة عن الأخرى. والمصنف حكم بأن كل واحد من لفظي الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول أي بمعنى المفروق عنه والمفلوق عنه، وذلك إنما يكون بأن يكون الشيء مستورًا محجوبًا فيشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشيء المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ما ستره من الحجاب وزواله، وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر أن يبقى الفلق بمعنى المفلوق عنه على عمومه فيتناول كل ما يفعله الله تعالى من الممكنات وإن شاع تفسيره بالصبح، يقال: انفلق وانفرق الصبح ويقال للشيء الجلي: إنه أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح لأن الليل يفلق عنه ويفرق عنه. فإن الممكنات بأسرها أعيان ثابتة في علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فإن ظلمات العدم غير متناهية لعدم تناهي المعدومات الممكنة وساترة لجميع الممكنات، والله تعالى فالق تلك الظلمات بنور التكوين والإيجاد ومظهر ما في علمه من المكونات فكانت بأسرها مفلوقًا عنها كصبح صار مفلوقًا عنه بفلق ظلمة الليل عنه، فظهر أن مفهوم المفلوق عنه يعم جميع الممكنات إلا أنه مقول عليه بالتشكيك، فإنه أظهر وأولى فيما يخرج من أصل كالعيون من الأرض والأمطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والأرض والأولاد من الأرحام، فإن معنى المفلوق عنه أظهر فيها بالنسبة إلى المخلوق على وجه الإبداع. **قوله: (ويخص عرفًا بالصبح)** هذا الفرق مبني على أن يكون نور الصبح وضوء النهار أصلاً سابقًا يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه أخرى، وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] فإنه يدل على أن ظلمة الليل أصل يغشاها ضوء النهار عند طلوع الشمس فتصير كزنجي ليس ثوبًا شفافًا وينسلخ عنها عند غروبه، ويؤيده تقديم الظلمات على النور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] ويشهد عليه العقل أيضًا ولا ضير إذ لكل وجهة. **قوله: (وتخصيصه لما فيه من تغير الحال)** جواب عما عسى أن يقال: مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضي تعظيم المستعاذ به، ولا شك أن تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات أعظم وأقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح، فإن المعنى على الأول: قل يا محمد أعوذ وأعتصم برب جميع الممكنات البارزة

العائذ ما يخافه. ولفظ الرب هٰهنا أوقع من سائر أسمائه لأن الإعاذة من المضار تربية.

من تحت ظلمة العدم، ولا يخفى أن الصبح من جملة الأمور الداخلة في هذا العام فيكون التعظيم في حمل الفلق على جميع الممكنات أتم وأعظم، فما وجه تخصيصه بالصبح؟ وتقرير الجواب أن التعميم وإن كان فيه مناسبة لهذا المقام إلا أن التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه اخر من حيث إن مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بأن يخرج من حال ضيق الخوف والخشية إلى فضاء الأمن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور. وتخصيص الصبح أدل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها بإشراق أنوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته. فإن الليل له ثقل يكون الإنسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب عليه اللحم، فإذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا تجد لكل مريض ومهموم خفة في وقت السحر. روي أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما ألقي في الجب وجعته ركبته وجعًا شديدًا فبات ليلته ساهرًا، فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بإذن الله تعالى يسأله ويأمره بأن يدعو ربه فقال: يا جبريل ادع أنت وأنا أؤمن. فدعا جبريل وأمّن يوسف عليه الصلاة والسلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر، فلما طاب وقت يوسف قال: يا جبريل وأنا أدعو أيضًا وأنت تؤمن. فسأل الله أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت. فلا جرم ما من مريض إلا ويجد نوع خفة في آخر الليل. روي أن دعاءه في الجب كان هذا. يا عدتي في شدتي. ويا مؤنسي في وحشتي، ويا راحم غربتي، ويا كاشف كربتي، ويا مجيب دعوتي، ويا إلٰهي وإلٰه إبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ارحم صغر سني. وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام. وفي وقت الصبح أيضًا محاكاة لاختلاف أحوال الناس في فاتحة يوم القيامة حيث إن الخلق في الليل كالأموات ودورهم كالقبور، ثم منهم من يخرج من داره مفلسًا عريانًا لا يلتفت إليه ومنهم من كان مديونًا فيجر إلى الحبس، ومنهم من كان ملكًا مطاعًا فيقدم إليه المركب وتقوم الناس بين يديه، فكذا الحال في يوم القيامة بعضهم مفلس من الثواب عار عن لباس التقوى، ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده ما لا يطاق حمله فيجر إلى الملك الجبار، ومنهم من كان عبدًا مطيعًا لربه في الدنيا فصار ملكًا مطاعًا في العقبى يقدم إليه البراق. ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيًا لاختلاف أحوال الناس في فاتحة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبًا لمقام الاستعاذة لإشعاره بأن من قدر على التغيرات المدلول عليها بالصبح يقدر أيضًا على أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويحترز منه.

قوله: (ولفظ الرب هٰهنا أوقع) أي أليق وأنسب وقوعًا جواب عما يقال: ما السبب

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه، فإن عالم الأمر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كإحراق النار وإهلاك السموم.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ ليل عظم ظلامه من قوله: إلى غسق الليل. وأصله الامتلاء يقال: غسقت العين إذا امتلأت دمعًا، وقيل: السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها. ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لأن

في أنه تعالى حين أمر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة القرآن قال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وآيات أخرى. وقال هنا: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فعبَّر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل: قل أعوذ باسم الله مع أن اسم الله أشرف الأسماء؟ وأجاب عنه بأن الشر المستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف إلى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات والأجسام والجسمانيات، وإنما سمي عالم الأجسام والجسمانيات بعالم الخلق لأن الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية، والإعاذة من المضار البدنية تربية، فناسب ذلك أن يعبّر عمن يعيذ من تلك المضار باسم الرب فكأنه أمر بأن يقول: يا رب كما ربيتني من أول زمان تكويني إلى هذا الوقت بأنواع التربية، فأدم تلك التربية، بأن تحفظني فيما بقي من عمري ولا تقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك. وكلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿من شر ما خلق﴾ يجوز أن تكون موصولة وعائدها محذوف أي من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر وأن تكون مصدرية أي من شر خلقه بمعنى مخلوقه على أن يكون المصدر بمعنى المفعول. **قوله: (وشره اختياري الخ)** قسم الشرور المضافة إلى عالم الخلق إلى الاختياري والطبيعي، وقسم الاختياري إلى اللازم والمتعدي أي إلى ما لا يتعدى أثره إلى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الآثار اللازمة وإلى ما يتعدى أثره إلى فاعله كالظلم سواء تعلق بالمال أو بالبدن أو بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها وأكلها ولذع الحيات والعقارب. **قوله: (ليل عظم ظلامه)** يعني أن الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل، كأنه لشدة ظلامه وتكاثفه ظرف امتلأ ظلمة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الغاسق الليل إذا أقبلت ظلمته واجتمعت وتكاثفت من قولهم: غسقت العين إذا امتلأت دمعًا، وغسق الجرح إذا امتلأ قيحًا. وأسند الشر إلى الليل الغاسق وإن لم يكن من فعله لملابسته له واشتماله عليه من حيث وقوعه فيه. **قوله: (وقيل السيلان)** عطف على قوله: «الامتلاء» يقال: غسق الجرح غسقًا أي سال منه الصديد، وسمي الليل غاسقًا لانصباب ظلامه على الأرض. **قوله: (وتخصيصه)** جواب عما يقال: قوله تعالى: ﴿من شر ما خلق﴾ يتناول جميع الشرور

المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل: الليل أخفى للويل وقيل: المراد به القمر فإنه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف. ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ ومن شر النفوس، أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها. والنفث النفخ مع ريق. وتخصيصه لما روي أن يهوديًا سحر النبي عليه الصلاة والسلام في إحدى

المتعلقة بعالم الخلق سواء كانت طبيعية أو اختيارية، وشر الليل الغاسق مندرج فيه فما معنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة منه بخصوصه؟ وتقرير الجواب أن تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للإشارة إلى تفخيم شره لكثرة وقوعه فيه وعسر دفعه. أما كثرته فلأن السباع تخرج في الليل من آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق وسائر مترصدي الفرصة ينتشرون فيه لقصد الإضرار. وعن عكرمة: أن عفاريت الجن ترسل في تلك الساعة. وأما عسر دفع ما وقع فيه من الشر فلأن ظلمة الليل أستر للقاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرة وغفلة فلا يتمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستعانة بغيره لأن الغوث يقل فيه، ولذلك يقال: الليل أخفى للويل بمعنى أنه أستر لما يؤدي إلى الويل والهلاك فيكثر الإضرار فيه بما يؤدي إليه. **قوله: (وقيل المراد به)** أي بالغاسق إذا وقب هو القمر مسمى به لأنه يكسف فيغسق أي يذهب ضوؤه ويسود، ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده. ودليله ما روي أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عائشة رضي الله عنها فأشار إلى القمر وقال: «استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب» قال الإمام: وعندي فيه أي في تسمية القمر غاسقًا وجه آخر. وهو إن صح أن القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهو المراد من كونه غاسقًا، وأما وقوبه فهو المحاق وانمحاق نوره في آخر الشهر والمنجمون يقولون: إنه في آخر الشهر يكون منحوسًا قليل القوة لأنه لا يزال ينتقص نوره ولا يزداد وسبب ذلك نحوسته، ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر الذي يورث التمريض إلا في ذلك الوقت. وهذا مناسب لسبب نزول السورة فإنها نزلت لأجل أنهم سحروا النبي ﷺ لأجل التمريض. و «إذا» في قوله تعالى: ﴿إذا وقب﴾ منصوب «بأعوذ» أي أعوذ بالله من كذا في وقت كذا. **قوله: (والنفث النفخ مع ريق)** وقيل: إنه النفخ فقط أي بلا ريق. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها». الجوهري: التفل شبه بالبزق وهو أقل منه أوله البزق ثم التفل ثم النفث.

قوله: (وتخصيصه) أي وتخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شره بخصوصه مع اندراجه تحت شر عالم الخلق وقد استعيذ منه مطلقًا، فلم تبق حاجة إلى الاستعاذة من شره بخصوصه إلا أنه خص بالذكر لما أن السورة نزلت للاستعاذة من شر السواحر النفاثات، فاقتضت الحكمة أن تذكر النفاثات بخصوصهن ويستعاذ من شرهن لتكمل آيات السورتين

عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلاة والسلام، فنزلت المعوذتان وأخبره جبرائيل بموضع السحر. فأرسل عليًا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة. ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم

إحدى عشر آية بعدد العقد التي عقدها لبيد بن أعصم اليهودي. روي أن غلامًا من اليهود كان يخدم النبي ﷺ؛ فأغوته اليهود حتى أخذلهم مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه وأعطاهم إياها فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم، ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان. فمرض النبي ﷺ وانتثر شعر رأسه واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فجعل يتألم ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب. قال: وما طب؟ قال: سحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي. قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة تحت راموقة في بئر ذروان. والجف وعاء الطلع وقشره، والراموقة حجر من أسفل البئر يترك هناك إذا احتفرت البئر ليجلس عليه من ينقى البئر عند الاحتياج إلى تنقيتها. فانتبه النبي ﷺ مذعورًا وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله تعالى أخبرني بدائي». ثم بعث عليه الصلاة والسلام عليًا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام وأسنان من مشطه وإذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين. فقال جبريل للنبي ﷺ: اقرأ آية وحل عقدة. فجعل عليه الصلاة والسلام كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد عليه الصلاة والسلام بعض خفة حتى إذا انحلت العقدة الأخيرة قام ﷺ كأنما نشط من عقال، وجعل عليه الصلاة والسلام يقول: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك». والمعتزلة أنكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام وقالوا: كيف يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة، ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور، ولو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في ذلك التعيير ومعلوم أن ذلك غير جائز. وقال أهل السنة: هذه القصة قد صحت عند جمهور أهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم إنه عليه الصلاة والسلام مسحور، وذلك لأنهم كانوا يريدون بكونه عليه الصلاة والسلام مسحورًا أنه أزيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه. فأما أن يكون مسحورًا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد. وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانًا ولا إنسيًا ولا جنيًا يؤذيه فيما يتعلق

أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحرا وقيل: المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها، وإفرادها بالتعريف لأن كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضرره منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره

بنبوته وعقله، وأما الإضرار به من حيث إنه إنسان وبشر فإنه يعرض له من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه. وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام لم يكن من حيث إنه نبي وإنما أثر في بدنه من حيث إنه إنسان وبشر، فإنه يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر. ألا ترى أن ما عرض له من كسر ثناياه يوم أحد لم يقدح فيما ضمن الله تعالى له من عصمته بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] لأن المراد من العصمة هي العصمة مما يخل بأمر نبوته! **قوله:** (وقيل المراد بالنفث في العقد الخ) عطف على قوله: «من شر النفوس السواحر أو النساء السواحر» فيكون معنى الآية: من شر جنس النساء اللاتي شأنهن أن ينفثن في عزائم الرجال المعقودة على أمور بكلمات لطيفة أو محاولات خفية، فيغلبن عليهم ويحولنهم عن آرائهم وعزائمهم التي صمموا على إمضائها بأنواع المكر والحيلة فإن كيدهن عظيم. ويؤيد هذا التفسير قوله عليه الصلاة والسلام: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلت: وبم يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن». والحازم الضابط لأمره المتبصر في سيره شبهت عزائم الرجال وآراؤهم بعقد الحبال، فأطلق عليها اسم العقد وشبه إبطال تلك العزائم بأنواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها، فإن النساء بميل طباع الرجال إليهن يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي إلى رأي ومن عزيمة إلى أخرى، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتعوذ من شرهن، ولذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

إن النساء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الظرفاء في جوابه:

إن النساء رياحين خلقن لكم   وكلكم يشتهي شم الرياحين

قوله: (وإفرادها بالتعريف) جواب عما يقال: لم عرف «النفاثات» ونكر «غاسق» و«حاسد» مع اشتراك الجميع في كونه مستعاذًا منه؟ وجوابه أن كل نفاثة شريرة، فعرّف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع آحادها، وليس كل حاسد وغاسق شريرًا فنكر تنكير النوعية. **قوله:** (لاغتمامه بسروره) تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل

وتخصيصه لأنه العمدة في إضرار الإنسان بل الحيوان غيره. ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى، وبالنفاثات النباتات فإن قواها النباتية من حيث إنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث في العقد الثلاث، وبالحاسد الحيوان فإنه إنما يقصد غيره غالبًا طمعًا فيما عنده.

عمله بمقتضى حسده أي لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بما فيه من النعمة. روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لله در الحسد ما أعد له يقتل الحاسد قبل أن يقتل المحسود.

قوله: (**وتخصيصه لأنه العمدة في إضرار الإنسان بل الحيوان غيره**) ذكره المصنف لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع أن الشرور المضافة إليها مندرجة تحت شر عالم الخلق لأنها إما من قبيل الأجسام أو الجسمانيات وجهًا مستقلاً مناسبًا له وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر أن الحسد لما كان معظم الأسباب الحاملة للحيوان على إضرار غيره فإنه إنما يضر غيره غالبًا طمعًا فيما عنده واستكراهًا لرؤية غيره، كان كأنه كل السبب لشر الحيوان وإضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره بخصوصه. **قوله:** (**ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى**) فسر الغاسق أولاً بالليل العظيم الظلمة وفسر وقوبه بدخول ظلامه في كل شيء وفسر ثانيًا بالقمر ووقوبه بدخوله في الكسوف، ثم فسر النفاثات أولاً بالسواحر وثانيًا بجنس النساء اللاتي يبطلن عزائم الرجال، ثم فسر الحاسد بالإنسان المتصف بالحسد إذا أظهر حسده وعمل بمقتضى حسده. وأشار ههنا إلى تفسير كل واحد من هذه الأوصاف الثلاثة بتفسير آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فإنها تشبه النور في كونها سببًا لظهور الأشياء كالنور، فإن القوة النامية النباتية يزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق، وكذا القوى الحيوانية وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فإن كل واحدة منها سبب لظهور ما يخص بها من الآثار في الحيوان فشابهت النور بذلك، والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى فهي المرادة بالغاسق وشرورها ما يترتب عليها بحسب طبائعها من المضرات، وفسر الحاسد بالحيوان بأن جعله كناية عنه بناء على أن الحيوانية لازمة للحاسد. ومبنى هذه التفاسير أن الإنسان لا يتضرر عن الأجسام الفلكية وإنما يتضرر عن الأجسام العنصرية وهي إما جمادات أو نباتات أو حيوانات، فأمر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة.
قوله: (**فإنه إنما يقصد غيره غالبًا طمعًا فيما عنده**) جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من أن التعبير بلفظ الحاسد من الحيوان في مقام الأمر بالاستعاذة من شر الحيوان

ولعل إفرادها من عالم الخلق لأنها الأسباب القريبة للمضرة. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما». يعني المعوذتين.

سورة الناس

مختلف فيها وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ قرأ ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام. ﴿بِرَبِّ

يدل أن منشأ شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك، وتقرير الجواب أن باقي الأوصاف الذميمة والأخلاق الرديئة وإن جاز أن يكون منشأ شر الحيوان وحاملاً له على إضرار غيره إلا أن غالب ما يحمله على الإضرار هو الحسد فصار الحسد بذلك كأنه يحمل الحامل عليه، فالتنبيه على هذا المعنى يضيف الشر إلى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له. **قوله: (ولعل إفرادها)** أي إفراد الأجسام العنصرية التي هي الجماد والنبات والحيوان مع اندراجها في عالم الخلق للتنبيه على أن لها مزيد مدخل في الإضرار من حيث كونها أسبابًا قريبة للمضرة. والله أعلم بالصواب.

سورة الناس

مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الناس عند صاحب الكشاف أصله أناس بشهادة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢؛ النمل: ٥٦] فحذفت منه الهمزة التي هي فاؤه فبقي ناس، فهو من قولهم:

ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الإنسان وغيره، والاستعاذة في هذه السورة من المضار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها، عمم الإضافة ثمة وخصصها بالناس هٰهنا فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس

آنست الشيء بمعنى أبصرته، والقياس يقتضي أن يجوز إطلاقه على كل مبصر إلا أنه خص بالبشر عرفًا. وعند غيره لم يحذف منه شيء. وأصله نوس لقولهم في تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة، فكان القياس أن يطلق على كل متحرك إلا أنه خص بالبشر عرفًا. وقال آخرون: هو من الأنس الذي هو ضد الوحشة لأنه يؤنس به. وقيل: هو من النسيان وأصله الناسي بياء في آخر الكلمة على أنه اسم فاعل من نسي ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسرة. وقرىء «قل أعوذ برب» بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ [طٰه: ٦٤] وأجمع القراء على ترك الإمالة في الناس. وروي عن الكسائي الإمالة فيه إن كان في موضع الجر.

قوله: (لما كانت الاستعاذة إلى قوله عمم الإضافة ثمة وخصصها بالناس هٰهنا) جواب عما يقال: ما الفرق بين السورتين حتى أضيف لفظ الرب في السورة المتقدمة إلى الفلق بمعنى جميع الممكنات المفلوق عنها، وأضيف ههنا إلى الناس وهو رب العالمين وملكهم وإلٰههم وليست ربوبيته بالنسبة إلى الناس خاصة؟ وتقرير الجواب أن ما وقع مضافًا إليه في السورتين مظهر واقع موقع المضمر لأنه عليه الصلاة والسلام وهو المأمور بالاستعاذة وحق المستعيذ أن يستعيذ بسيد نفسه ومالكه ومدبر أمره، فمقتضى الظاهر أن يقال في السورتين: أعوذ بربي إلا أنه لما كان الشر المستعاذ منه في السورة المتقدمة ليس شر عالم الخلق بل شر عالم العنصريات من الأجسام والجسمانيات، فإن الغاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشر هؤلاء مضار بدنية متعلقة بالأجسام. والشر المستعاذ منه في هذه السورة وهو الوسوسة يختص بالنفس الإنسانية ناسب للمستعيذ في السورة الأولى أن يدرج نفسه في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق ويعبّر عمن يستعيذ به وبربوبيته لمن يتضرر بالشر المستعاذ منه، فلذلك قيل في تلك السورة ﴿برب الفلق﴾ بدل أن يقول بربي، فإن الفلق يعم جميع الممكنات فضلاً عن العنصريات ولذا ناسب في هذه السورة أن يدرج المستعيذ نفسه في جملة من يتضرر بالوسوسة ويعبّر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرر بها وهو نوع البشر ويقول: ﴿أعوذ برب الناس﴾ في موضع أن يقول بربي، فلذلك أضيف لفظ الرب ثمة إلى ما يعم الناس وغيرهم وأضيف ههنا إلى الناس خاصة إلا أن هذا التوجيه مبني على أن يفسر الفلق بما يعم جميع الممكنات كما اختاره المصنف فينبغي أن يكون تقرير السؤال هكذا: لَمَ عدل عن ضمير المتكلم إلى الاسم الظاهر؟ ثم لِمَ أوثر لفظ رب الفلق في إحدى السورتين

إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم. ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عطف بيان له، فإن الرب قد لا يكون ملكًا والملك قد لا يكون إلـهًا وفي هذا النظم دلالة على أنه تعالى حقيق بالإعادة قادر عليها غير ممنوع عنها، وإشعار على

ولفظ رب الناس في الأخرى؟ ويكون تقرير الجواب أن المستعيذ لما كان إمام أمته كان اللائق بمنصبه وخلقه العظيم أن يدرج نفسه عند الاستعاذة من شر عالم الخلق في جملة من يتضرر من جهتهم إنسانًا كان أو غيره، وعند الاستعاذة من شر الموسوس إلى الناس في جملة من يتضرر منه وهو الناس خاصة إشعارًا بأن الاستعاذة في السورة الأولى ليست لأجل نفسه خاصة بل لكل ما يدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية، كأنه قيل: أعوذ برب من يتضرر بشر عالم الخلق من شره وبرب من يتضرر بشر الموسوس إلى الناس من شره. وأما على قول من فسره بالصبح فوجه إضافة لفظ الرب إليه في تلك السورة أن الشر المستعاذ منه فيها شرور خفية بناء على أن معظم المستعاذ منه فيها هو شر الغاسق والنفاثات والحاسد ولا يخفى أن شرورها خفية، فكان المناسب أن يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لأن شأن المستعيذ أن يلتجيء إلى من يخرجه مما هو فيه إلى ما يضاده ويدفعه، وعبّر عنه في هذه السورة ﴿برب الناس﴾ لكون المستعاذ منه شرًا مختصًا بالنفوس الإنسانية.

قوله: (فإن الرب قد لا يكون ملكًا) يعني أن المقصود من عطف البيان إيضاح متبوعه إما بتعيينه أو بتقليل اشتراكه، ومفهوم «رب الناس» أعم من مفهوم «ملك الناس» لأن التربية بمعنى السياسة والفوقية وهي لا تستلزم الملك وقد تكون بالتعليم والإرشاد، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الجوهري: ربيت القوم أي سستهم وكنت فوقهم. ومنه قول صفوان بن أمية: لأن يربيني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربيني رجل من هوازن. فلما كان «ملك الناس» أخص من «رب الناس» صح أن يكون موضحًا له وأن يقلل اشتراكه إلا أنه لم يصح أن يكون معينًا له لأن ملك الناس قد يطلق على من يدبر أمرهم مع كونه بمعزل عن الألوهية فبينه بقوله: «إله الناس» وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتعيين، لأن لفظ «إلـه» مفردًا كان أو مضافًا لا يطلق على غيره تعالى لأن الألوهية مختصة به تعالى. **قوله: (وفي هذا النظم دلالة على أنه تعالى حقيق بالإعادة)** وجه الدلالة ظاهر لأن من كان رب الناس بأن كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم القادر على التصرف فيهم، فإن الملك هو الذي يفتقر إليه غيره ويكون غنيًا عن غيره وإلـههم الذي يستحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر أمورهم حيثما شاء كيف لا يكون حقيقًا بالعيادة قادرًا عليها؟ **قوله: (وإشعار على**

مراتب الناظر في المعارف فإنه يعلم أولاً بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له ربًا، ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق أنه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف أمره منه فهو الملك الحق، ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير ويدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلاً لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارًا بعظم الآفة

مراتب الناظر في المعارف) ضمن الإشعار معنى الإطلاع فعدى بـ «على» فإن الإشعار لا يتعدى بـ «على» يقال: شعرت بالشيء أشعر شعرًا أي فطنت له ومنه قولهم: ليت شعري أي ليتني علمت، وأشعرته فشعر أي أدريته فدرى، ويقال: أطلعتك على سري. فإن الاستعاذة أولاً بلفظ الرب، ثم توضيحه بلفظ الملك، ثم بلفظ الإلٰه تطلع السامع على أن أول ما يعرفه الناظر بنظره أن له ربًا، ثم يترقى في باب المعرفة فيتحقق أنه ملك، ثم ينتهي إلى معرفة أنه إلٰه. فإن الناظر في المعارف يعلم أولاً بسبب ما يرى عليه من النعم أن له ربًا يربيه بأنواع النعم ثم يتغلغل أي يتعمق في النظر حتى يتحقق أي يتيقن أنه غني عن الكل وأن جميع ما سواه يفتقر إليه وهو المعنى بالملك، فإنه إذا علم أن جميع ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة إنما يفاض عليه من ربه يترقى إلى معرفة أن وجود كل موجود وما يتفرع على أصل وجوده من أنواع الفضل ووجوه الإحسان إنما يفاض عليه من خزائن رحمته التي وسعت كل شيء ويتحقق عنده أنه غني عن الكل وأنه ملكهم.

قوله: (ويدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة) أي يمشي من قولهم: درج الرجل والضب يدرج دروجًا أي مشى، فإن عادة المستعيذ أن يلتجيء أولاً إلى ما تيسر مما يظنه مأمنًا ثم يترقى منه إلى ما هو أكمل وأقوى في كونه مأمنًا، ثم يترقى إلى منتهى المطالب والملجأ الحقيقي. ولما كانت صفة الألوهية منتهى معارف الناظر وصفة الملكية دونها وكانت صفة الربوبية مبدأ معارفه. ذكر من أوصاف المستعاذ به أولاً صفة الربوبية ثم صفة الملكية ثم صفة الألوهية تنزيلاً لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة في الملجئية، فقوله: «ويدرج» عطف على قوله: «ويستدل» أي يستدل الناظر ويمشي في طريق نظره مشى من يمشي في وجوه الاستعاذة المعتادة. والظاهر أن العبارة و«تدرج» بالعطف على قوله: «وإشعار والمعنى وفي هذا النظم دلالة على كذا وإطلاع على مراتب الناظر في المعارف وتدرج» أي ترقي على سبيل التدريج إلى منتهى معارف الناظر على وجوه تدرج المستعيذ على أن تكون كلمة «في» بمعنى «على» ويكون قوله: «تنزيلاً» علة للمتدرج إليه على وجوه تدرج المستعيذ ويكون قوله: «إشعارًا بعظم الآفة» علة للتدرج المذكور بعد تعليله بقوله: «تنزيلاً» ووجه الإشعار أن المستعيذ لما أمر بأن يتدرج في الاستعاذة بمن لا يدرك بكنه ذاته بل إنما يدرك بحسب أوصافه بأن يصفه أولاً بأول ما يحصل للنظر من أوصافه ويذكره بذلك الوصف، ثم يذكره

الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارًا بعظم الآفة المستعاذ منها، وتكرير الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان. ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة. ﴿ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه. ﴿ٱلَّذِى

بما يحصل له ثانيًا، ثم بما يحصل له ثالثًا، وينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل ذلك على عظم الشر المستعاذ منه لا محالة. **قوله:** (وتكرير الناس) جواب عما يقال: لم لم يكتف بإظهار المضاف إليه الذي هو «الناس» مرة واحدة بأن يقال: برب الناس ملكهم إلٰههم؟ أجاب عنه بوجهين: الأول أن عطف البيان إنما يؤتى به لإيضاح المتبوع وتبيينه وإظهار الاسم أدخل في إيجاب الإيضاح بالنسبة إلى إضماره. والثاني أن في إظهار المضاف إليه في كل واحد من هذه التراكيب الإضافية إشعارًا بشرفه، وذلك لأنه تعالى لم يكتف في مقام بيان كونه حقيقًا لأن يستعاذ به بإضافة لفظي الملك والإله إلى ضمير الإنسان بل عرف ذاته بكونه ربًا للناس ملكًا للناس، ولولا أن الناس أشرف مخلوقاته وأعز مظاهر ملكيته وإلٰهيته لما ذكرهم بالاسم الظاهر في كل مرة. **قوله:** (أي الوسوسة) يعني أن الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة، كما أن الزلزال اسم بمعنى الزلزلة، والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال. وإطلاق الوسوسة على الشيطان من قبيل توصيف العين بالمصدر للمبالغة في الاتصاف كما يقال: رجل عدل للدلالة على بلوغه في الاتصاف بالعدالة إلى حيث صار كأنه نفس العدالة. ويجوز أن يحمل الكلام على تقدير المضاف أي من شر ذي الوسواس. والخناس صفة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر وهو مجرور على أنه صفة للوسواس بمعنى الموسوس وصف به لأن شأنه وحرفته وشغله الذي هو عاكف عليه أن يخنس إذا ذكر العبد ربه. والوسوسة والخنس صفتان للشيطان على حسب حالتي الإنسان كما ورد في الخبر: «إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا غفل وسوس وإذا ذكر الله تعالى خنس» أي تأخر وولى. والوسوسة الدعوة إلى الشر عن خفية، وأصل الوسوسة الصوت الخفي، ومنه وسواس الحلي فإن صوته سمي وسوسة لخفائه، وسميت دعوة شياطين الجن والإنس إلى الشر بالوسوسة لأن شياطين الجن تدعو إلى المعصية وتزينها بإخفاء ضررها إما بإن تغر العبد بسعة رحمة الله تعالى وعفوه، أو بأن تخيل إليه أن في العمر سعة فتتوب بعد ما قضيت شهوتك منها، أو لأنهم يدعون إلى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير أن يسمع صوته. وكذا شياطين الإنس يدعون إليها بإخفاء ضررها وإراءة المنافع والمصالح في مباشرتها وإظهار أنه ناصح له في ذلك وليس مراده إلا المكر والخيانة، أو يجعله مغرورًا بأن يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه أو إمكان التوبة بعد مباشرتها.

﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ إذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية، فإنها تساعد العقل في المقدمات فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه. ومحل «الذي» الجر على الصفة أو النصب أو الرفع على الذم. ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيان للوسواس أو للذي أو متعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس. وقيل: بيان للناس على أن المراد به ما يعم الثقلين، وفيه تعسف

قوله: (وذلك كالقوة الوهمية) شبّه الشيطان بها من حيث إنه يساعد الإنسان في اتباع المعاصي والمنكرات، وإذا آل أمره إلى طاعة الله تعالى خنس وأعرض عنه وأخذ في المكر والحيلة ليصرفه عنها كما أن القوة الوهمية تساعد العقل في المقدمات، فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه. **قوله:** (ومحل الذي الجر) على أنه صفة الوسواس أو النصب أو الرفع على الذم، وعلى الوجهين الأخيرين يحسن للقارىء أن يقف على «الخناس» ويبتدىء بقوله: ﴿الذي يوسوس﴾ لطول الكلام. **قوله:** (من الجنة والناس بيان للوسواس أو للذي) على معنى أن الشيطان الموسوس ضربان جني وإنسي كما قال الله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شر شيطان الإنس؟ فقيل له: هل للإنس من شيطان؟ قال: نعم. واستدل بالآية. **قوله:** (أو متعلق بيوسوس) فتكون «من» لابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس مثل أن يوقع في القلب من جهة المنجمين والكهان أنهم يعلمون الغيب، ومن جهة الجن أنهم يضرون وينفعون.

قوله: (وقيل بيان للناس) أي المذكور في قوله تعالى: ﴿في صدور الناس﴾ بناء على جواز أن يطلق اسم الناس على الجن كما يطلق على الإنس استدلالاً بتسمية الجن نفرًا ورجالاً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] وقوله: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] وكل واحد منهما من الألفاظ المستعملة في الإنس. والمصنف رحمه الله تعالى عد هذا القول تعسفًا بناء على أن إطلاقه على القبيلين بعيد عن اللغة، فإن أهل اللغة اتفقوا على أن كل واحد من لفظي الجن والإنس موضوع بإزاء حقيقة مباينة للحقيقة التي وضع بإزائها اللفظ الآخر، وعلى أن إحدى الحقيقتين سميت جنًا لاجتنانها أي تسترها عن أعين الناس، والأخرى ناسًا لظهور إفرادها للبصر على أن الناس من الإيناس وهو الإبصار قال تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] أي أبصر، فكما لا يطلق اسم الجن على بني آدم لعدم اجتنانهم عن أعين الناس فكذلك ينبغي أن لا يطلق اسم الناس على الجن لعدم تعلق الإيناس والإبصار بهم، إلا أن يكون الناس من النسيان ويكون أصله الناس وحذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة، فحينئذٍ يمكن أن يطلق اسم الناس على القبيلين لأن

إلا أن يراد به الناس كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] فإن نسيان حق الله يعم الثقلين. عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى». والله سبحانه وتعالى أعلم.

نسيان حق الله تعالى متحقق فيهما. ولا يجوز أن يقرأ في هذه السورة ﴿مالك الناس﴾ كما يقرأ ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ في سورة الفاتحة والفرق أن المالك بمعنى الرب فقوله: ﴿رب الناس﴾ أفاد كونه تعالى مالكًا لهم، فلو قرىء بعده: ﴿مالك الناس﴾ للزم التكرار بخلاف سورة الفاتحة فإنه لم يذكر فيها ما يدل على كونه تعالى مالك يوم الدين بغير هذه العبارة حتى يلزم التكرار. واعلم أن في هذه السورة لطيفة بالغة وهي أن المستعاذ به قد ذكر في السورة المتقدمة بصفة واحدة وهي أنه ﴿رب الفلق﴾ وأن المستعاذ منه فيها ثلاثة أنواع من الآفات وهي: الغاسق والنفاثات والحاسد، بخلاف هذه السورة فإن المستعاذ به ذكر فيها بثلاثة أوصاف وهي: الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة. ومن المعلوم أن المطلوب كلما كان أهم والرغبة فيه أتم كان ثناء الطالب قبل طلبه أكثر وأوفر، وقد تقرر أن المطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفي هذه السورة هو سلامة الدين من وسوسة الشيطان، فظهر بما ذكرنا أن في نظم السورتين الكريمتين تنبيهًا على أن سلامة الدين من وسوسة الشيطان وإن كانت أمرًا واحدًا إلا أنه أعظم مرادًا وأهم مطلوبًا، وأن سلامة البدن من تلك الآفات وإن كانت أمورًا متعددة ليست بتلك المثابة في كونها مطلوبًا مهمًا لمن استعاذ منها. اللهم اجعل أمر الدين أعز مطلوب لنا وثبتنا على نهج الاستقامة، وأعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة. نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين. والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين. وعلى سائر الأنبياء والمرسلين. وعلى الملائكة المقربين. من أهل السمٰوات وأهل الأرضين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تمت الحواشي المتعلقة بحل مغلقات أنوار التنزيل وأسرار التأويل
الذي صنفه الإمام العالم العلامة حبر الأئمة سيد العلماء
علي بن عمر البيضاوي تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى جنانه.

الفهرس

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمٰن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقين

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة التكاثر

سورة العصر

سورة الهمزة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الماعون

سورة الكوثر

سورة الكافرون

سورة النصر

سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس